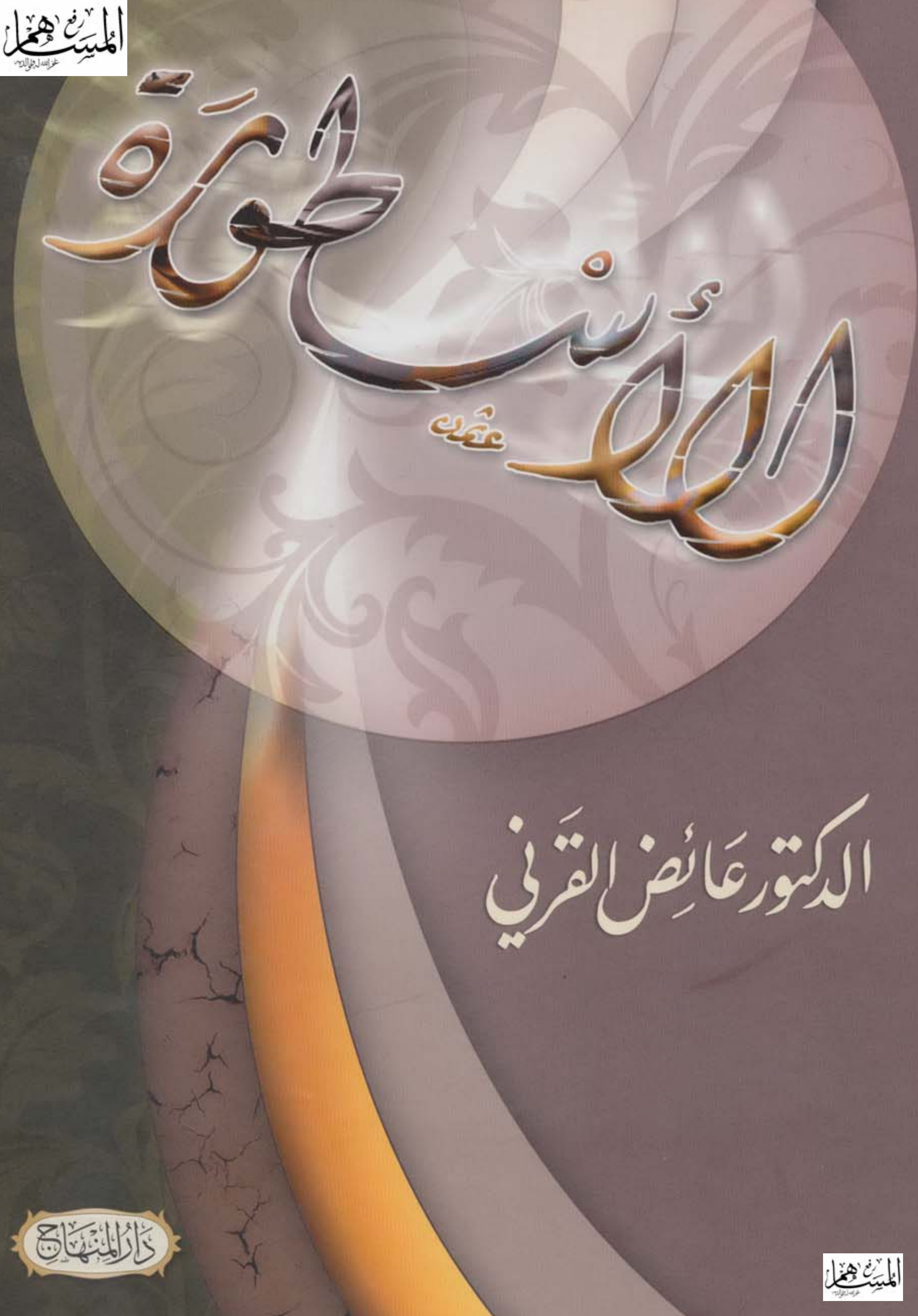


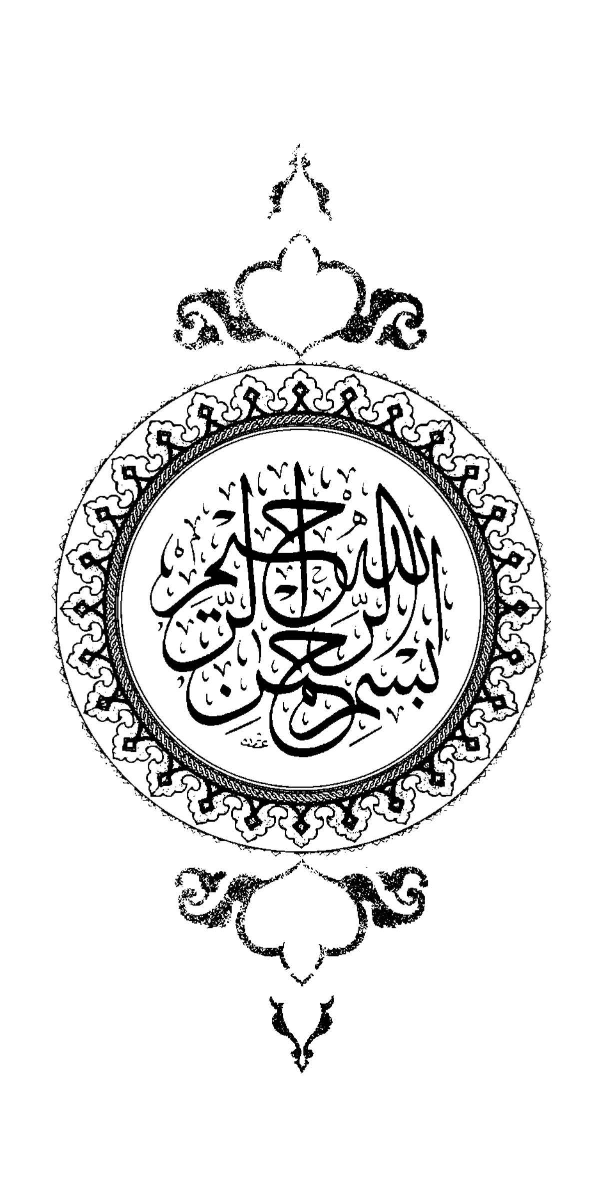
الأسطورة
عثمان
الدكتور عائض القرني
دار المنهاج

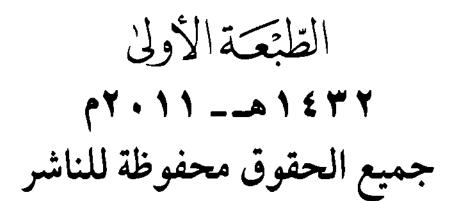


تأليف

د. عائض القرني




بسم الله الرحمن الرحيم



الطّبْعَة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

اسم الكتاب : الأسطورة

المؤلف : د. عائض القرني

الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي

موضوع الكتاب : أدب

مقاس الكتاب : (٢٤ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي : (٨١٨)

عدد الأجزاء : (١)

عدد المجلَّدات : (١)

نوع الورق : شاموا

نوع التجليد : مجلَّد كرتوناج

عدد الصفحات : (٨٤٨ صحيفة)

عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني



الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 40 - 2



لبنان ـ بيروت ـ فاكس : 786230

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف
وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة
حي الكندرة ـ شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون
هاتف رئيسي 6326666 ـ الإدارة 6300655
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392
ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب
عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين
عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com

الموزّعون المعتمدون داخل المملكة العربيّة السّعوديّة

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6570628 ـ 6510421

جدة

مكتبة الشنقيطي

هاتف 6894558 ـ فاكس 6893638

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

هاتف 5570506 ـ 5273037

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز

هاتف 5473838 ـ فاكس 5473939

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666 ـ فاكس 8383226

الطائف

مكتبة المزيني

هاتف 7365852

الدمام

مكتبة المتنبي

هاتف 8413000 ـ فاكس 8432794

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 ـ فاكس 4937130

الرياض

مكتبة الرشد

هاتف 2051500 ـ فاكس 2052301

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

هاتف 4626000 ـ فاكس 4656363

الرياض

مكتبة العبيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

هاتف 4654424 ـ فاكس 2011913

الموزعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية



فيرجن وفروعها في العالم العربي

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة ـ حضرموت
هاتف 417130 ـ فاكس 418130

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق ـ المنامة
هاتف 17272204 ـ فاكس 17256936

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع ـ أبو ظبي
هاتف 5593007 ـ فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري ـ دبي
هاتف 2977766 ـ فاكس 2975556

مكتبة دبي للتوزيع ـ دبي
هاتف 2211949 ـ فاكس 2225137

دولة الكويت

مكتبة دار البيان ـ حَوَلي
هاتف 22616490 ـ فاكس 22616490

دار الضياء للنشر والتوزيع ـ حَوَلي
هاتف 22658180 ـ فاكس 22658180

جمهورية مصر العربية

دار السلام ـ القاهرة
هاتف 22741578 ـ فاكس 22741750

مكتبة نزار الباز ـ القاهرة
هاتف 25060822 ـ جوال 0122107253

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم ـ بيروت
هاتف 785107 ـ فاكس 786230

مكتبة التمام ـ بيروت
هاتف 707039 ـ جوال 03662783

المملكة المغربية

مكتبة التراث العربي ـ الدار البيضاء
هاتف 022306240 ـ فاكس 022447666

دار الأمان ـ الرباط
هاتف 0537723276 ـ فاكس 0537200055

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس ـ عمّان

هاتف 4653390 ـ فاكس 4653380

الجمهورية العربية السورية

مكتبة المنهاج القويم ـ دمشق

هاتف 2235402 ـ فاكس 2242340

الجمهورية التونسية

الدار المتوسطية للنشر ـ تونس

هاتف 70698880 ـ فاكس 70698633

جمهورية الجزائر

دار البصائر ـ الجزائر

هاتف 773627 ـ فاكس 773625

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر ـ مقديشو

هاتف 002525911310

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد ـ إستانبول

هاتف02126381633 ـفاكس02126381700

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية ـ سوروبايا

هاتف 0062313522971

جوال 00623160600020

جمهورية الهند

دار الكتاب العربي

Kottakkal. Malappuram

Mobile 9846161784

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا ـ باريس

هاتف 48052928 ـ فاكس 48052997

جميع منشوراتنا متوافرة على



موقع رائد لتجارة الكتب و البرمجيات العربية

E-mail:furat@furat.com

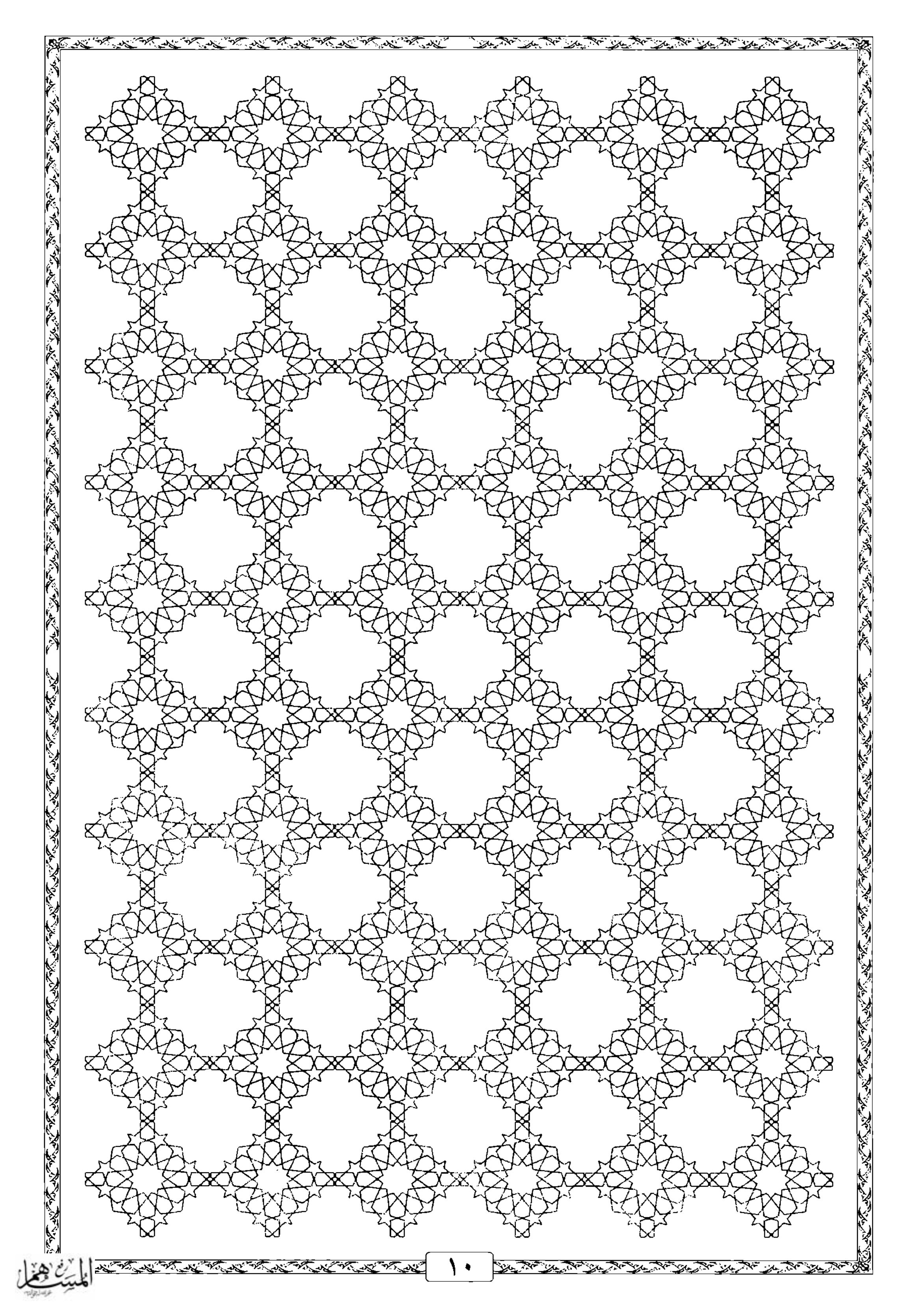


مكتبة نيل وفرات كوم

www.nwf.com



مُقدّمة المؤلّف



المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه .

وبعد :

فهذا كتاب « **الأسطورة** » **انتقيته من أحسن ما كتبت ، واصطفيته من أجمل ما جمعت** .

فكأنه واسطة العقد ، وبيت القصيد ، والغرة في وجه الفرس ، والتاج علىٰ رأس الملك .

فكنت أبحث في مئات الصفحات لأختار صفحة واحدة ، وأفتش عشرات المقالات لأصطفي مقالة واحدة .

وحرصت أن أجمع في « **الأسطورة** » **بين أصالة المعنىٰ ، وجمال المبنىٰ** ؛ بحيث تكون الفكرة رائدة ، واللفظ حسناً جذاباً .

ولأن من النفوس ما لا يرضيها إلا الأجمل والأكمل . . **فحرصت علىٰ** طلب **العزيز الغالي ، والنفيس الراقي ؛ من المعاني السديدة ، والجمل الأخاذة ، والعبارات الباهرة** .

في هذا الكتاب حديث مطلق ، وكلام مسجوع ، وتنقلات من فن إلىٰ فن ، ومن قضية لأخرىٰ ، وكأنك في زورق إبداع .

تمرّ مرة بساحل ساحر ، ومرة بسفح أخضر ، وروض أفيح ، وجبل

شامخ ، وصحراء صامتة ، ونهر مطرد ، حيث تشبع النفس في التأنق بين مشاهد عديدة ومناظر مختلفة ، يجمعها السحر والأسر ، والجمال والجلال .

وعذري إن قصرت أنني اجتهدت ، وإن أخطأت فالخير قصدت .

فاقبل ـ رحمك الله ـ ما جادت به الذاكرة ، وسال به القلم علىٰ طبق من حب ، فالمخلوق من النقص . . معذور إن لم يحرز الكمال .

والمجبول على العجز . . مسامح إذا لم يبلغ التمام .

وتقصير المجتهد عند الكريم . . مغتفر .

وذنب المحب لدىٰ من أحبهم . . يدخل في ديوان العفو .

وحسبي أني أردت أن أشاركك في المتعة ، وأبهجك بالطريف من القول ، والجميل من الحديث .

ومن وجد الإحسان قيداً تقيّدا

فإن لم تصبْنا منك دعوة . . فحظنا منك الصفح .

وإن لم ننلْ رضاك . . فيكفينا سترك .

ليسقَ عهدكُمُ عهد السرور فما　　كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

د. عَائِض القَرني

كهف العزلة

ـ هـٰذه فصوص من النصوص لأهل الخصوص ممن أراد الخلوص .

ـ يا من اغتر بالناس ؛ ليس كل بيضاء شحمة ، ففر من الزحمة ، إلىٰ غار الرحمة ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ .

ـ في العزلة استدرار أمطار الأفكار ، واستذكار أبكار الأخبار ، والاعتبار بآثار الأخيار ، واختيار مآثر الأبرار .

ـ وفيها حجب الجاه ، وإلجام اللسان عن السفاه ، وحبس الطبع السارق عن الأشباه ، وحفظ مكنون النعمة عن الجناة ، والبعد عن كيد الجفاة .

ـ وفيها إقامة مهرجان العبادة وناموسها ، وفتح ديوان المعرفة وقاموسها ، والتّعرف علىٰ نعيم الأيام وبؤسها ، والسلامة من غوائل الأشرار ونحوسها ، والخلوة بأقمار الرسالة وشموسها .

ـ وفيها السلامة من صروف الزمان ، وضياعِ الوقت مع الأقران ، وصرف الساعات في سوق الخسران ، والتعرض للتبذل والهوان ، والتحفي بفلان وعلاّن .

ـ ومن الفوائد : كسر جماح النفس الأمّارة ، ودحض الأماني الغرّارة ؛ فإنّ مَن لابس الناس . . حفظوا عِثاره، واستنبطوا أسراره ، وعرفوا غَوره ومعياره .

ـ ومنها : حفظُ سرّ الحر ، والبُعد عن شرر أهل الشر ؛ فإن من قرّ في قعر بيته واستقر . . أمِنَ مِنْ حرِّ الباطل والقر ، ومِن تجرُّع الحق المر ، ومَن فرّ من

التبعات . . فقد أحسن المفرّ ، ولكل نبأ مستقرّ .

ـ ومنها : المتعة برحلة ذهنية بحراً أو برّاً ، والارتفاع عن السَّفِلة جاهاً وقدراً ، فكم من أحمق علىٰ عاقل تجرّا ، والأوباش كالكلاب تهِرُّ هَرّا ، وتلوك عِرضه جهراً وسراً ، ولا تنسَ قول تأبّط شرا :

عَوَى ٱلذِّئْبُ فَٱسْتَأْنَسْتُ بِٱلذِّئْبِ إِذْ عَوَى ... وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

ـ ومنها : عدم شهود الحسود ، والغياب عن جمود الحقود ، وعهود الكنود ، ولؤم المرود ، ونذالة الجحود .

ـ خلد مع « المقدمة » في بيته ابن خلدون ، ولما اعتزل الجمهورَ ألّف كتاب « الجمهورية » أفلاطون ، وزاد من الإبداع في « وحدته » ابن زيدون ، ودبّج في الانفراد « إلياذته » ابن عيذون ، وقال موسىٰ : ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ .

فهٰذه الآية صريحة في الفِرار بالدين ، وهجرة الأهل والبنين ، والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة ، وما يلقاه الإنسان من المحنة .

وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاراً بدينه ، وكذلك أصحابه ، وجلس في الغار حسبما ورد في (سورة النحل) ، وقد نص الله تعالىٰ علىٰ ذلك في (براءة) .

وفي الحديث : « كفّ عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابكِ علىٰ خطيئتك » .

ففي العزلة السكوت ، ولزوم البيوت ، والرضا بالقوت ، والحَطَب مع العزّ ياقوت ؛ لأنَّ الخُلطة أسحر للقلب من هاروت وماروت ، ومصاولةَ الناس أشدّ من مصاولة طالوت وجالوت .

ـ لزوم العزلة بالعزّ أثمن من كل كنـز ؛ ففيها ينشر لقبول البز ، وتنبت أرض العبادة بغيث الذكر وتهتز ، فلا تتشرّف بغير الوحدة مع الله وتعتزْ .

كُـنْ مَـعَ اللهِ عَلَـىٰ ذِكْـرٍ وَوَحِّـدْهُ   وَٱعْتَـزِلْ وَحْـدَكَ إِنَّ ٱللهَ وَحْـدَهْ

ـ كم خلوت بالعلم فأتحفني وشجاني ، وفي الزوايا خبايا كما قال الأرجاني ؛ لأن من خالط الناس.. هان عندهم كما في شعر الجرجاني، فالحمد لله الذي عصمني من الشرِّ ونجّاني ، بعد ما لامني قلبي في الخلطة وهجاني .

ـ فكن في الانفراد كالقرني أويس ، وبشرف العزلة كالأسدي دبيس ، ورتّل وحدك آي الذكر كعبد الله بن قيس ، وانظر للناس كأنهم في رؤيا منام نَظَرَ أسماء بنت عميس ، وأسلم مع سليمان الولاية كبلقيس .

أما ترى الهدهد وحّد وتفرّد ، وأنذر وأوعد ، وخوّف وهدّد ؛ لأنه اعتزل في الطريق وتجرّد ، وتخلّىٰ عن الخَلْق وتزهّد ، فعرف المقصد فوُفِّق وسدّد ، ومدح ومجّد .

ـ فاشرب في الوحدة رحيق الهناء من سيبويه ، وأشعل في ليل العزلة مصباح الأنس من نفط نفطويه ، واسحق مسك الإخلاص رهواً من علم إسحاق بن راهويه ، وعليك بالخلوة مع بدائع أبي الطيب وابن خالويه .

ـ إن آنست وحشةً.. فناد نفسك : يا نفس قرّي ولا تفرّي ، وجاهدي ولا تغتري ، وعلىٰ صراط السلامة مرّي ، وفي جنات الأنهار استقري .

ـ في العزلة ألّف الفارابي « المدينة الفاضلة » ، ودبّج أبو حيان « المفاضلة » ، وبها تدرّب الجاحظ على المناظرة والمناضلة ، وأتقن أبو يعلى المجادلة ، وبها مهر ابن تيمية على المصاولة .

ـ والتفرد للزمخشري كاف شاف ، ولهـٰذا ألّف « الكشّاف » ، وغاص في

البلاغة إلى الشغاف ، ونثر تلك الجواهر والألطاف ، وكان في أيام تأليفه معتزلاً بين السعي والطواف .

ـ ومالك بن أنس ملك الأنس بعزّة النَّفْس ، وبقائه في بيته كالحِلْس ، وخلوته بالقِرطاس والطِّرْس ، لما صار الناس كالذئاب الطُّلْس .

ـ فاجعل العقل رئيسك ، والعلم أنيسك ، والكتاب جليسك ، والقلم والدفتر طمسك وجديسك ، واتخذ القناعة كيسك .

ـ ولما ترك أبو الفرج الهمج ، وركب من الأدب الثبج ، وهجر من هرج ومرج . . أتىٰ في « الأغاني » بالمطربات والروائع والحجج .

ـ فاعتزل الفِرق ، فمن لابس الفتن . . احترق ، ومن ركب بحر الغوغاء . . غرق ، وإذا رأيت الطبع يسرق من أخلاق الخلق الخرق . . فاهتف به : إن ابنك سرق .

ـ وارشف في العزلة من المزني مزنه ، واستفد من ابن المسيب سهله وحزنه ، وخذ من « الفتح » المفتاح ، ومن « الميزان » وزنه .

ـ واسبك في الوحدة سبائك محمود بن سبكتكين في غرته كما سبك الذهبي الذهب ، واترك من جاء ومن ذهب .

ـ واجلس مع ابن جرير لتنسىٰ كل جريرة ، وفاكه « مقامات الحريري » فما أجمل حريره ، ولا تستكثر ليلة مع ابن كثير فليست كثيرة ، وسامر الشعر فرزدقه وجريره .

ـ وألقم كلب الفراغ حجراً بأخبار كُليبْ ، واجعل للفراغ نصيباً من أبيات نصيب ، واستغن عن الأحباب بروائع خُبيب ، وحادث خاطرك بروايات بلال وصُهيب .

ـ ولا تترك يوسف عِلمك مع البطّالين فيأكله الذيب ، بل جالس مالكاً وابن أبي ذيب ، واقترب من ملك الأدب بمجالسة عبد الملك بن قريب ، وحادث مؤلف « جامع الأصول » و« الغريب » ، وشمَّ « نفح الطيب » من تاريخ الغصن الرطيب .

ـ وأطفىء نار الشهرة بماء الخليل ، وأرسل علىٰ أبرهة المعصية الطير الأبابيل ، ويكفيك (قال الله) عن قال وقيل ، واعتبر بأصحاب البقرة والناقة والفيل .

ـ وأطفىء نار الذنب بدمعة ، ونوّر ليل الوحشة من الذكر بشمعة .

ـ واغزل خيوط الحكمة كما فعل الغزالي ، وبرّز في العلم تبريز البرزالي ، فلن تدرك المعالي إلا بهمة أبي المعالي ، والتقلل من الدنيا كالقالي .

ـ واصنع في بيتك كوز السنّة كصنع الصنعاني ، وأزل شوك الهم بـ« نيل الشوكاني » ، واجلس علىٰ جوزاء الاستغناء عن الناس كما فعل الجرجاني ، وإذا مِللت فأنشد :

مَغَانِي ٱلشِّعْبِ طِيباً فِي ٱلْمَغَانِي

ـ وما أسعد من توسّد « المسند » للإمام أحمد ، وما آنس من جالس مُسَدَّد بن مُسَرْهَد ، وحادث « الكامل » للمبرّد ، ودرس أخبار عبد المؤمن الموحد ، وابن تيمية المُجدِّد .

ـ واعتمد علىٰ رب العباد ، واعتبر بما حصل للمعتمد بن عبّاد ، ولا يشغلك شكسبير عن الشيخ الكبير محمد بن جرير ، أو العالم الخطير ابن كثير ، أو الجهبذ النحرير ابن الوزير ، فقد فاح بخور البخاري ، وحلَّ لك الإشكال « فتح الباري » ، ودلّك في ليل الجهل « هدي الساري » .

ـ واشتر جمل القناعة بهمة وثّابة كوثبة الأشتر يوم الجمل ، واطلب الولاية بالصفاء للولي كصفاء علي يوم صفين ، واعلم أن الدواء الفاتر في مصاحبة الدفاتر ، وأن السيف الباتر هو الحديث الصحيح المتواتر .

ـ العالم إذا اعتزل . . اشتغل بما نزل ، فهو علىٰ حد الحديث : « دعها ؛ فإنّ معها سقاءها وحذاءها ، ترد الماء وترعى الشجر » .

ـ لزم عطاء بن أبي رباح الحرم ثلاثين سنة ، فعاد بالعطاء الرابح ، والسعي الناجح ، والعمل الصالح .

ـ ومكث أبو طاهر السِّلفي ستين سنة في منارة الجامع يكرر ويؤلف ، ويحبِّر ويصنِّف .

ـ وظن أعداء السرخسي أنه سيخر ، فوضعوه في السجن كالمربوط ، مع القيد والضغوط ، فألف كتاب « المبسوط » .

ـ وترك ابن الأثير المال الكثير ، والذهب النثير ، والفراش الوثير ، فصنّف « جامع الأصول » الكتاب الرائع المثير .

ـ كيف تكون وحدك والله يقول : « أنا جليس من ذكرني » ؟! فنِعم الأنيس والجليس ، ومن ترك ذكره فجليسه إبليس .

ـ أمرَض ابن سينا بشفائه الحسّاد ، وأذكى الغزالي بـ« إحيائه » الجمر في الرماد ، ومتع ابن القيم المسافرين إلى الله بـ« زاد المعاد » ، وجاب ابن بطوطة مع انفراده البلاد والوهاد ، ونزل كل واد .

ـ أنت نطفة ، يكفيك غُرفة وغَرفة ، وقطفة ورشفة :

لِمَ ٱمْتِطَاؤُكَ مَوْجَ ٱلْبَحْرِ تَرْكَبُهُ ... وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ غَرْفَةُ ٱلْوَشَلِ ؟

ـ مخالطة الفجرة كسرة تورث الحسرة ، وملك كسرىٰ تغني عنه كِسرة .

ـ العزلة مع المصحف الشريف ، والكوز والرغيف ، في إيوان نظيف ، ومجلس ظريف ، أهنأ من مجلس فيه صياح الرفاق ، بأسعار الأسواق ، وأخبار الآفاق .

ـ نسأل الله خلوة حلوة ، مع عزٍّ في عزلة ، واجتهاداً في انفراد ، وسياحة في راحة ، وصمتاً مع حفظ وقت .

ـ اجعل الذكر قوتاً ، والعلم ياقوتاً ، واغتنم راحة البال في طاعة ذي الجلال ، واجتنب خلطة العوام ؛ فإنهم هوام ، ومن بذّر في صرف الأيام . . صار كالمسكين علىٰ موائد اللئام .

ـ كان بعض السلف لا يخرج إلا لجماعة أو جمعة ، وكان يستر العبادة خوفاً من الرياء والسمعة ؛ لأن من مكّن الناس من نفسه . . داسوه ؛ فإن الناس لو مُكّنوا من جبلٍ . . دكوه ، ولو ازدحموا علىٰ باب حديد . . لفكّوه .

ـ لا تغترَّ بجلبة الناس وقت الرخاء ؛ فإنهم أسباب البلاء ، فهم ذُباب طمع ، وبعوض جشع ، يطمعون إذا بارق المال لمع ، ويُقبلون إذا نجم الدنيا سطع ؛ فإذا وقعت في المصائب ، وضرَّستك النوائب . . خلعوا بينك وبينهم العهد ، وأخلفوا الوعد ، وادَّعوا قدم الجفاء ، خِسةً وقلة وفاء ؛ لأنه نُسخ الصفاء ، وعلى المروءة العفاء .

ـ لا يحملك معرفة ضعف الناس وعجزهم على الإساءة إليهم ، أو هضم حقوقهم ، بل خفِ الله في الناس ولا تخفِ الناس ، وارجُ الله في الناس ولا ترجُ الناس ، وأنزل الناس منـزلة الأموات ؛ فإن الأموات أموات غير أحياء ، فهم لا يَصِلون ولا يقطعون ، ولا يضرون ولا ينفعون ، ولا يضعون ولا يرفعون ، فوالله ؛ لا يخفض ولا يرفع ، ولا يضر ولا ينفع ، ولا يصل ولا يقطع إلا الله .

ـ واعلم أنك في بيتك ملك ، وكأنك في العز كالمشتري في الفلك ، فإنك في بيتك سلطان ، فأنت ككسرىٰ في الإيوان ، أو الوزير في الديوان .

ـ قال أحد العلماء كما في كتاب « إدام القوت » : لو تشفعت في كافر أو في أحد أبنائي . . لرجوت الإجابة للكافر ؛ لأن المخامرة تُذهب الاحترام .

ـ في الخُلطة تُذيب قلبك برؤية متكبّر ، والتعرض لعتوّ متجبّر ، وفي العزلة قدرك أكبر ؛ لأنك في حرز الصون كاللؤلؤ المكنون ، والدّر المخزون ، وأهيب الناس مَن لا تراه العيون .

ـ والرسول صلى الله عليه وسلم اعتزل في الغار فجاءه جبريل بالوحي العظيم ، واعتزلت مريم فأتت بعيسى النبي الكريم .

ـ كن عصامياً كالأصمعي والزم صومعتك ، فما يعصم من الفتن إلا من اتبع المعصوم .

ـ أبو مسلم تكبر وتجبّر ، وخالط أبا جعفر ، فبقر بطنه بالخنجر .

ـ واعتزلَ الثورة والثوار سفيان الثوري ، فثار له القبول في القلوب .

ـ وخالط البرامكةُ الرشيد فبرك علىٰ صدورهم ، ووضع ركبته في رقابهم ، واعتزله الفضيل بن عياض ، فعوّضه الله بفضله عن كل فضل ، وفي الله عوض من كل نذل .

ـ مد رجلك في بيتك ، ولا تمد يدك في بيت غيرك ؛ فإن من يمد رجله . . لا يمد يده .

ـ وشمَّ وردة العزة في العزلة ، ولا تنسَ إلياذة : (اعتزل ذكر الأغاني) ، واسمع ابن الوردي ينادي في كل ناد ، ويصيح في كل واد ، لمن مَدَّ الأيادي للأعادي :

أَنَـــا لاَ أَرْغَـــبُ تقَبِيـــلَ يَـــدٍ قَطْعُهَـا أَحْسَنُ مِنْ تِلْـكَ ٱلْقُبَلْ

ـ والله ؛ لو برزت للناس بتاج مشلشل ، في همة تشرشل ، ولو فرشت للناس بالذهب الأسفلت ، في مجد روزفلت . . لقلبوا مدحك قدحاً ، وجدك مزحاً ، وكدّروا صفوك مساءً وصبحاً .

ـ اشرب من دنان عزلتك كما دوّن دانتي في روما مقالته : (العزلة في الدار مملكة الأفكار) ، وفي دفاتر فلوتير : (إن حسن التفكير في البعد عن الكثير) .

ـ لو كان لي كرّة . . لاعتزلت الناس بالمرة ، فخُلْطتهم تُذهِب المسرّة ، ولكن الحمد لله عرفنا الاختلاط وضرّه ، والاجتماع وشرّه ، وعذرنا قول ابن مطيع لله درّه :

أَنَـا ٱلَّـذِي فَـرَرْتُ يَـوْمَ ٱلْحَـرَّهْ وَٱلشَّيْـــخُ لاَ يَفِـــرُّ إِلاَّ مَـــرَّهْ

ـ سكن في الكوخ طاغور ، فأنشد على الفور : يا أهلَ الدور والقصور ، أنا أسعد منكم ، سعادتكم بجواهر البحور ، ودر النحور ، وسعادتي بفرائد المعارف وقلائد المصاحف ، نحن عبيد الله ، وأنتم عبيد الدينار الذي يؤدي إلى النار .

ـ أحب المتنبي الشهرة فباع قريضه ، وترك الفريضة ، وسافر في آماله العريضة ، فصار خويضة .

ـ إذا احتجب القمر بالخسوف . . قام الناس يصلون في صفوف ، والكل يبكي بكاء الملهوف ؛ لأن الغائب مقدَّر ، والمحجوب موقَّر ، فلا تبذل وجهك لكل سفيه ، فيصيبك من رماد الجهل سوافيه ، وما فيه يكفيه .

ـ صفق المجد لابن مقلة وانبسط ، ففرح واغتبط ، وجمع حوله الشرط ،

فَعُزِلَ وسقط ، ثم قطعوا يمينه ، وأبكوا عينه ، وداسوا جبينه .

ـ من خالط الأشرار انتكس وارتكس ، ومن رافق الفجار تعس .

ـ لم تحمد سيرة ابن الزيات ؛ لأنه صب الزيت على النار بإيذاء أحمد ، وزيت أحمد سني يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ، فوضع ابن الزيات في فرن فاشتعل بنار الخلاص ، والجروح قصاص .

ـ لما رأىٰ سعدٌ العقوق . . خرج إلى العقيق ، فذبح على الخلاص من الدنيا عقيقة ؛ حمداً لله علىٰ سلامته من شر ابنه العاق .

ـ رفض عمر بن سعد بن أبي وقاص عزلة والده وخالط المسيئين ، وتورط في قتل الحسين ، زرع مع ابن زياد حنظلة البغي بعد قطع ريحانة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ـ لو كان لابن بقية بقايا من عقل التقية . . لما أركبه عضد الدولة منبر الصلب ، ليقول فيه ابن الأنباري :

عُلُـوٌّ فِـي ٱلْحَيَـاةِ وَفِـي ٱلْمَمَـاتِ

ـ وفي مذكرات كونفوشيوس : الناس عبيد الفلوس ، لهم نبيب على المال كنبيب التيوس .

وعلىٰ ذكر النبيب ، يقول حسان الشاعر المصيب ، وهو من باب التأديب والتهذيب والتأنيب ، لمن اهتمّ بكلام العوام ، الهوام السوام ، عُبّاد الحطام :

مَـا أُبَـالِـي أَنَـبَّ بِـٱلْحُـزْنِ تَيْـسٌ　　　أَمْ لَحَـانِـي بِظَهْـرِ غَيْـبٍ لَئِيـمُ

يا من خاف من الناس القصف والسيف والخسف ؛ فِر إلىٰ غار العزلة واقرأ : ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ .

ـ ولله ما أعزّ ابن المعتز لما قال في عِزّ العزلة : من حطمته العيون.. حطمته الأقدام .

ـ ما اجترأ الطفل على البعير إلا لكثرة مشاهدته ؛ لأن المبذول أرخص من الشعير .

ـ من غباء الحمار : أنه عرضة للصغار والكبار ، ولهٰذا اجتنب ركوبه ذوو الأخطار ، أما الخيول.. فاعتزلت في الإصطبل ، فامتطاها أهل الفضل ، ولما تبلّد الحمار واحتار ، ضُرب مثلاً للفجار : ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ .

ـ لما لزم الأسد العرين وحصّن بالأسورة ، وكانت مشاهدته معسرة.. صار مهاباً : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ .

ـ ولو لم يدرك الوهم هامان.. لفرّ من الملعون ، ولكنه استقر لعون فرعون ، وليته سمع : فرّ عن عون فرعون ، وتناول شراب الخلطة فصار كالمبطون المطعون .

ـ اعتزل كالأسد ولا تبرز بروز الجمل ؛ فإن أسامة بن زيد أخذ من الأسد اسمه فاعتزل يوم الجمل ، فلما صفا له قلبه ترك صفين ، وما قاتل بين الصَّفين ؛ لأنه تذكر : « قتلته بعد ما قال : لا إلـٰه إلا الله » .

ـ لا تصدق الجمهور إذا أجلب ؛ فإنَّه برق خُلّب ، وهم عند الطمع أغش وأكذب ، إذا سمعت لحذاء أحدهم طربقة ، ولصوته لقلقة ، ولكلامه شقشقة.. فلا ترفع به رأساً ، فهو أحمق من هَبَنَّقة ، واهجر تلك الطبقة ، فإن رضيت بهم.. فقد وافق شنٌّ طبقة .

ـ ما أطلق على ابن دقيق العيد المحقق المدقق ، حتىٰ بخل بالدقائق في عزلة علمه ؛ لأن الشوق حمله إلى المعالي ، فكأنه سمع شوقي بعده بزمن :

دَقَّـاتُ قَلْـبِ ٱلْمَـرْءِ قَـائِلَـةٌ لَـهُ   إِنَّ ٱلْحَيَـاةَ دَقَـائِـقٌ وَثَـوَانِ

ـ اعتزل إبراهيم الشرك فصار حنيفاً ، واعتزل الأحنف الجهل فصار حليماً ، واعتزل أبو حنيفة السفهاء فصار فقيهاً ، فالدين حنيفي ، والحلم أحنفي ، والفقه حنفي :

نَحْنُ ٱلْحَنِيفِيُّونَ كَمْ مِنْ أَحْنَفٍ   فِينَـا وَكَـمْ مِـنْ عَنْتَـرٍ أَوْ حَـاتِـمِ

ـ تُيِّم ابن تيمية بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبشجاعة أبي بكر التيمي ، وغيره مُتيَّم بأبواب السلاطين ، فصاروا كالأيتام علىٰ موائد اللئام .

ـ انفرد الشافعي في خلوة شرعية بعد ما هاجرت به الأم ، فأخرج لنا كتاب « الأم » ، فعلّم ملايين من الشافعيّة ، ومحاسنه تشفع له :

وَإِذَا ٱلْحَبِيبُ أَتَىٰ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ   جَـاءَتْ مَحَـاسِنُـهُ بِـأَلْـفِ شَفِيـعِ

ـ اعتزل الهدهد فوحّد وتعبّد ، وصار آية في التّفرُّد ، سبىٰ قلبه خبر سبأ ، فأتىٰ إلى النبي منها بنبأ ؛ لأنه اختبأ ، ففتح عليه الذي يخرج الخبأ في السماوات والأرض ، فصار مختبئاً عن العيون ، وكأنه المقصود بقول الشاعر :

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ   فَعَيْنِي تَرَىٰ دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

فَلَوْ تَسْأَلُ الأَيَّامَ مَا ٱسْمِي لَمَا دَرَتْ   وَأَيْنَ مَكَـانِي مَا عَرَفْنَ مَكَانِي

ـ اختفى الدر في قاع البحر ، فوضع على النحر ، وعلّق على السحر ، وبرز الخشب فسمي بالحطب ، وأحرقوه بنار ذات لهب ، فاجعل نفسك حمّالة الشوق لا حمّالة الحطب :

حَبِيبَتِـي أَنْـتِ كَـالْجَـوْزَاءِ عَـالِيَـةٌ   حَمَالَةُ ٱلْحُبِّ لاَ حَمَّالَةُ ٱلْحَطَبِ

ـ يا عمرو الدّهاء ؛ لا تخالط الدهماء إلا في الجمعة والجماعة ، كما نصَّ

عليه الحكمان : الكتاب والسنة عام الجماعة .

ـ اعتزل موسىٰ في الطور ، فعاد بالكتاب المسطور ، وسمر السامري مع أهل الجهل ، وجالس أهل الدجل ، فعاد بفكرة العجل .

ومن كلام بعض الأعلام : العزلة بدون عين العلم زلة ، وبدون زاء الزهد علة .

ـ اعتزل مع الكتاب المنـزّل ؛ فإن الأمة كانت تعزل والقرآن ينـزل ، اعتزل أحمد ابن حنبل المسدد ، فقدّم لنا « المسند » ، وخالط أحمد بن أبي دؤاد المعتصم ، فصرفه عن سنة المعصوم في مسألة خلق القرآن ، فبالغ المعتصم في حبس أحمد وجلده ، وحبس الله ابن أبي دؤاد بالفالج في جِلده .

ولبعضهم في العزلة :

مَـنْ حَمِـدَ ٱلنَّـاسَ وَلَـمْ يَبْلُهُـمْ   ثُـمَّ بَـلاَهُـمُ ذَمَّ مَـنْ يَحْمَـدْ
وَصَـارَ بِـاْلْـوَحْـدَةِ مُسْتَـأْنِسـاً   بِـوَحْشَـةِ ٱلأَقْـرَبِ وَٱلأَبْعَـدْ

ـ صحبة الأخيار رصيد ، صحبهم الكلب فمُدح بأنه باسط ذراعيه بالوصيد ، وصحب الفيل أهل التضليل فرمي بطير أبابيل .

وقيـل للعتَّـابي : مـن تُجـالـس اليوم ؟ قـال : مـن أبصُـق فـي وجهـه ولا يَغْضَب ، قيل له : ومَن هو ؟ قال : الحائط .

وقيل لِدِعْبل الشاعر : ما الوَحْشة عندك ؟ قال : النظر إلى الناسِ ، ثم أنشأ يقول :

مَا أَكْثَرَ ٱلنَّاسَ لاَ بَلْ ما أَقَلَّهُمُ   ٱللهُ يَعْلَـمُ أَنِّـي لَـمْ أَقُـلْ فَنَـدَا
إِنِّـي لأَفْتَـحُ عَيْنِي حِيـنَ أَفْتَحُهَـا   عَلَـىٰ كَثِيـرٍ وَلَكِـنْ لاَ أَرَىٰ أَحَـدَا

ـ من السماجة والسذاجة بروز الدجاجة ، لو لزمت المسكينة السَّكِينة . .

ما ذبحت بالسكِّينة ، برزت من بيتها تقول : قيط قيط ، وما علمت أن الثعلب في الطريق ، فالحمق أوصلها لقطع الحلق بلا حق .

وقيل لغزوان الرقاشي : ما لك لا تجالس إخوانك ؟ فقال : إني أصبت راحة قلبي في مجالسة مَن عنده حاجتي .

وكان الفضيل إذا رأى الليل مقبلاً . . فرح به ، وقال : أخلو فيه بربي ، وإذا أصبح . . استرجع كراهة لقاء الناس .

وجاء رجل إلىٰ مالك بن دينار وإذا هو جالس وكلب قد وضع رأسه علىٰ ركبتيه ، قال : فذهبت أطرده ، فقال : دعه يا هـٰذا لا يضرك ولا يؤذي ، وهو خير من جليس السوء .

وقيل لبعضهم : ما حملك أن تعتزل عن الناس ؟ فقال : خشيت أن أُسلب ديني ولا أشعر . وهـٰذا إشارة منه إلىٰ مسارقة الطبع واكتسابه الصفات الذميمة من قرناء السوء .

ـ سَلِمَ محمد بن مسلمة لما سلك المسالمة من الفتنة ، وعمل بحديث : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » . فمكث ساعات في بيته ولسان حاله ينشد :

سَلْمَىٰ سَلِمْتِ مِنَ ٱلْعَاهَاتِ مَا سَلِمَتْ ... سَلاَمُ سَلْمَىٰ وَمَا قَدْ أَوْرَقَ السَّلَمُ

ـ أبصر الحسن البصري حُسن الشريعة فاعتزل نُصب المنصب .

ـ فجّر موسىٰ بـ(لا إلـٰه إلا الله) الصخور ، وعبد بنو إسرائيل عجلاً يخور ؛ لأن عِزّ العزلة مع العزيز في رأس موسىٰ ، وذل الخلطة بملامسة ومماسة السامري في رؤوس السفلة ، فأثمرت للسامري ذلا (لا مساس) .

ـ قضِّ نهارك مع ابن المبارك ، وترنّم بـ(يا عابد الحرمين . . .) ؛ لتثور

في رأسك النخوة لمجد الإسلام الغابر ، فبحبّ السلف يصل الخلف علىٰ حمير معقّرة صفوف الخيول المضمرة .

وقال ابن أبي حازم :

طِبْ عَنِ ٱلإِمْرَةِ نَفْساً وَٱرْضَ بِٱلْوَحْشَةِ أُنْساً
مَا عَلَيْهَا أَحَدٌ يَسْوَىٰ عَلَى ٱلْخِبْرَةِ فَلْسَا

وقال آخر :

قَدْ بَلَوْتُ ٱلنَّاسَ طُرّاً لَمْ أَجِدْ فِي ٱلنَّاسِ حُرَّا
صَارَ أَحْلَى ٱلنَّاسِ فَي ٱلْعَيْنِ إِذَا مَا ذِيقَ مُرَّا

ـ اعتزال المبتدع وباء ، كاعتزال الجهم الجاهل ، المحرج علىٰ سوق جهنم ، فبخار الضلال فاح من رأسه ؛ لأنه لم يطالع « صحيح البخاري » .

ـ اعتزال السني سلامة ؛ لأنه علىٰ محجّة ، كاعتزال مسلم بن الحجاج ، فقد قوّى الإسلام بحججه في كتابه .

وقال أحدهم :

لَوْ كَانَ لِي بُدٌّ مِنَ ٱلنَّاسِ قَطَعْتُ حَبْلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْيَاسِ
اَلْعِزُّ فِي ٱلْعُزْلَةِ لَكِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ ٱلنَّاسِ

ـ إذا أصابك برد الوحدة . . فسبّح الله وحده ، وتدفأ بكساء الكِسائي ، وتدثّر بفروة الفَرّاء ، واشرب توت ابن التين في آنية الزجّاج ، وأسورة ذهب الذهبي حلال لك ؛ لأنه على الأثر في « سِيَر أعلامه » .

ـ كيف تستوحش وجلساؤك ابن المسيب وسيبويه ، يسقيانك لبن الفطرة في كأس السنة ؟!

سَقَانَا وَأَسْقَى ٱلأَرْضَ مِنْ سَيْبِ جُودِهِ وَلِلأَرْضِ مِنْ كَأْسِ ٱلْكِرَامِ نَصِيبُ

ـ لا تصغ لـ« أغاني الأصبهاني » ، واستمع لمعاني أحمد الشيباني ، فنحن أهل سماع رباني للمثاني ، وخشوع رحماني لجلائل المعاني .

ـ الفلاح والنجاح والصلاح في أذان بلال بن رباح ، وفتيا عطاء بن أبي رباح ، فالموالي بطاعة الوالي في العوالي .

ـ وقد أغنانا الله عن أبي مسلم والحجّاج بـ« صحيح مسلم بن الحجاج » ؛ لأن « صحيحه » يخرج لنا ألف شعبة بن الحجاج ، أبطال الحِجاج ، وبدور الابتهاج ، فقد سئمنا من عصابات الحلاّج .

ـ ابن سينا يمرض ، وشفاؤه يرمض ، فلا تورد مرضى الفلسفة أهل السفه علىٰ أصحّاء أهل السُّنة ، فسناء سماء السُّنة يكاد يذهب بأبصار الفجّار ، ويطفىء شرر الأشرار .

ـ جالس الفراوي والفراء ، وإياك والفارابي وابن الفراء ، والفرار من أهل الافتراء .

ـ خرج علينا ابن سينا من مكمنه يصيح : قاط قاط ، ثم خلع لثمته وأماط ، فإذا هو يدعو لسقراط وبقراط وديمقراط . قلنا : لا تتحذلق وطلِّق المنطق ، فالعَود لسنة أحمد أحمد ، فسبح وتحمّد ، ولا تتكلف وتحدد ، فبنجك أثار جنونك ، ومجونك أثمر مرضىٰ قولنجك .

ـ اجزم في عزم ، وأقدم في حزم ، فِعْل ابن حزم ، فقد تجلَّىٰ في « المحلَّىٰ » ، وتولّىٰ من الأثر ما تولَّىٰ ، وليته يوم ترقىَّ للأعراض توقَّىٰ ؛ لأنه ما تبقّىٰ ، لما شق جماجم المخالفين شقاً ، فكأنه المقصود بالبيت :

إِنَّ عَلَىٰ رَاعِي ٱللِّوَاءِ حَقّاً أَنْ يَخْضِبَ ٱلصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقَّا

ـ نكسون عُزِل منكوساً ، وكلنتون ذهب مكبوتاً ، وسبى الأسبان فكر فرانكو ففرَّ مكروهاً .

ـ اجتمع جمال وتيتو ونهرو ، فيا قبح توت النهر الآسن .

ـ مد بورقيبة رقبته يطاول مرقاب الشريعة ؛ لأنه ما راقب ربّه ، فكتب في الخانة المنسيّة من الذاكرة التونسية .

ـ لماذا تستمع نشرة الأخبار ؟ وما فيها إلا : قدمت كوندليزا رايز في روزرايز ، تلبس الجنـز وتوزع الجوائز ، وهي التي في العراق قتلت العجائز ، وأخرجت الجنائز ، فهل هٰذا جائز ؟!

ـ ما سمع ابن بلاّ أذان بلال حتىٰ وضع في الزنزانة ، فلما استفاق وجد أبا مدين في الديوان .

ـ الآن أقبلتم يا دهاقين السياسة ، أما رأيتم سقوط جمجمة تيتو ، وتمزق منديل بنظير بوتو ، وانكسار ظهر هيراهيتو .

ـ دخل سُل السياسة في السلال فرُمي بالكرسي ، فرأى الإرياني رؤيا فصدّق ، فسرىٰ به العزل إلىٰ سوريا طريداً شريداً .

ـ حلمَ السادات بالسيادة على الوسادة ، فقال : لا مناص من ركوب الباص ، فانهمر عليه الرصاص ، والجروح قصاص .

ـ مناديل مانديلا في الزنزانة أشرف من تاج جنكيز خان ؛ لأن مانديلا رفض أن يتمندل به أزلام الدول ، وجنكيز خان خان الإخوان ، وجلس على الخوان بلا استئذان .

ـ عليك بالتّفرّد ، فما سمّي عمر المقدام حتىٰ تفرّد ، ولا حاتم حتىٰ جاد وجوّد ، ولا عامر بن الطفيل حتىٰ ساد وتسيّد ، وكنا نتحرّى البحتري ليحرّر :

عَمْـرُو ٱلْقَنَـا فِـي مَـذْحِـجٍ أَوْ حَـاتِـمٌ فِـي طَيِّـىءِ
أَوْ عَـامِـرٌ فِـي خِنْـدِفِ

لا تكن كـ (تاكسي) البلدة ، لا يعرف قصده ، ولكن كن غريباً من الخلان في كل بلدة .

ـ أحي بالإحياء شوقك ، وأمت بالذكْر شهوتك ، وكن كالضفدِع تُخرج رأسها من الماء لتتهوّىٰ ثم تعود .

فِـي حِـرَاءٍ أَحْمَـدٌ قَـدِ ٱعْتَـزَلْ فَجَـاءَهُ ٱلْـوَحْـيُ وَجِبْـرِيـلُ نَـزَلْ
وَفِـي لُـزُومِ ٱلـدَّارِ جَـاءَ ٱلأَثَـرُ أَهْـلُ ٱلْقَوَافِي أَبْدَعُوا وَأَكْثَرُوا
مَمْلَكَـةُ ٱلأَفْكَـارِ بَيْـتُ ٱلْمُسْلِـمِ كُـنْ حِلْسَ بَيْتٍ يَا أَخِي وَأَسْلِمِ
وَمُسْلِـمٌ لاَ تُـؤْذِهِ وَمُسْلِمَـهْ فَرْداً كَمِثْلِ ٱلصَّاحِبِ ٱبْنِ مَسْلَمَهْ
وَلِلْغِفَـارِي كَـأَبِـي ذَرٍّ وَرَدْ إِنْ بَلَـغَ ٱلسَّـاكِنُ سَلْعاً فَٱنْفَـرِدْ

ـ ولا أتمّ الله لمن تعلّق في وحدته بتميمة الرِّياء ، وأتم الله النعمة لمن حقق قول أبي تمام :

وَطُولُ مُقَامِ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلْحَيِّ مُخْلِقٌ لِـدِيبَـاجَتَيْـهِ فَـاغْتَـرِبْ تَتَجَـدَّدِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى ٱلنَّاسِ أَنْ لَيَسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

ـ تجرّأ الجمّال على الجمل ؛ لأنه فقد جمال الهيبة بالخلطة ، وتفرّد الأسد ؛ فرَهِبَه البلد .

ـ قيمة الديك الرومي السمين عشرة دراهم ؛ لأنه مبذول ، وقيمة الصقر مئة ألف درهم ؛ لأنه عزيز نادر .

ـ اشرب من جرّة ، واستند علىٰ آجرة ، ويكفيك عن طعام المكثرين حزمة جرجير ، فمن طلب الأجر في جوار الجبار لم يجر رجله بالذل أحد .

ـ رغيف في غرفة خير من الجواهر مع الجمهور ، إلا من اغترف لأداء حق من ماء الخير غرفة بيد الحذر .

ـ تغَنَّ في العزلة بالقرآن ، وتفقّه بـ« المغني » ، واستروح مع أبي الفرج بـ« الأغاني » ، وأنشد لكلِّ زائر :

كِـلاَنَـا غَنِـيٌّ عَـنْ أَخِيـهِ حَيَـاتَـهُ   وَنَحْـنُ إِذَا مِتْنَـا أَشَـدُّ تَغَـانِيَـا

ـ يا عبيط ! اترك التخليط ، فما ذبحت الدجاجة حتىٰ دلّت علىٰ نفسها بقاط قيط .

ـ سُمي العصفور عصفوراً ؛ لأنه عصىٰ وفر ، وطار وما استقر ، فسكن أعلى الأشجار ، وأكل ألذّ الثمار ، وسكن الديك على الدكّة ، ففصلوا بالسّكين فكه ، فصارت رجلاه في القِدر مصطكّة .

ـ أنحل أجسامنا كثرة عناق الأصحاب ، وضم الأحباب ، ومصافحة الأجناب ، وسؤال العُزّاب ، وسماع أخبار الغيّاب ، وكلها هباب في هباب .

ـ أعلن في عزلتك صرخة احتجاج على الحجّاج والحلاّج ، وعليك بابن الحاج ، ومسلم بن الحجاج .

ـ حج بقلبك إلىٰ ربك ، وخير الحج العج والثج ، فعج بصوت الاعتراف بما حصل من الاقتراف ، تجد الألطاف ، وثجَّ الدموع على الخدود في السجود ، وناد : يا ودود .

ـ ناداك « حادي الأرواح » إلىٰ « رياض الصالحين » ؛ لأن « اقتضاء الصراط المستقيم » لا يكون إلا بمخالفة أصحاب الجحيم ، ومن عنده « الفرقان بين أولياء الرحمـٰن وأولياء الشيطان » عرف « طريق الهجرتين » ، وصعد « مدارج السالكين » ، وفُتح عليه من « فتح الباري » ما يجده من « صيد

الخاطر » ، وجعل « البداية والنهاية » بـ« الوابل الصيّب من الكلم الطيّب » .

ـ كن في عزلتك كالأنصاري ، لا ناصري ولا نصراني ولا نصيري ، واجعل الكتاب والسنّة أوسك وخزرجك ، والهداية منهجك .

ـ كن مع أهل السنّة والجماعة ، واحضر صلاة الجمع والجماعة ، واحذر أدناس الناس ، وإذا خالطتهم.. فقل : لا مساس ، وانزل في بئر بيتك ، وأنشد مع الألبيري :

وَخَفْ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَٱخْشَ مِنْهُمْ ... كَما تَخْشَى ٱلضَّرَاغِمَ وَٱلسَّبَنْتَى

وَخَالِطْهُمْ وَزَايِلْهُمْ حِذَاراً ... وَكُنْ كَٱلسَّامِرِيِّ إِذَا لَمَسْتَا

ـ تطرق الباب علىٰ من وضع الحُجَّاب ، وأسدلَ الحِجَاب! وتترك باب الملك الوهاب ، وأقرب الطرق إليه المحراب !

ـ يا ذباب الطمع ، يا بعوض الجشع ، يا أصنام المعاصي والبدع ، والله ما لكم إلا فأس الخليل ، وروغة صاحب : (حسبنا الله ونعم الوكيل) .

ما عندكم صلاح دنيا ولا دين ، فما أحوجكم إلىٰ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ .

ـ اشترِ عز عزلتك ، وبزّ منزلتك ، من طيبة حيث الوحي ينزل ، والأمة تولِّي وتعزل ، وإذا لم يكن على البضاعة ختم محمد.. فاعلم أنها مغشوشة ، فصِحْ في الباعة : يا مزجي البضاعة ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ .

ـ من زمان وأنت يا إنسان مع الإخوان والخلاّن والجيران ، حياتك ديمة ، وحليمة علىٰ عادتها القديمة ، كيف تسطع وتلمع وجلاّسك أهل كسل ، وعشّاق فشل ، وذباب عسل ؟! تالله ما الورد مثل البصل .

ـ إذا لم تقرأ لابن تيمية.. فأنت يتيم في المعرفة .

ـ يقول روبرت غرين : إن زيادة التداول عن حده يرخص السعر ، فكلما زادت مشاهدتك والسماع منك ظهرت مبتذلاً أكثر ، فإذا كانت مكانتك راسخة في مجموعة ما ؛ فإن الانسحاب المؤقت منها يزيد الحديث عنك ، وحتى الإعجاب بك ، وعليك أن تتعلَّم متىٰ تغادر .

ـ يقول جان دي لافونتين في « الجمل والعصيّ الطافية » : هرب أول رجل رأى الجمل ، وتجرّأ الثاني على الاقتراب منه ولكن علىٰ مسافة ، وتجرّأ الثالث علىٰ وضع رسن حول رأسه ؛ ذلك أن الألفة الرافعة للكلفة تجعل كل الأشياء في هـٰذا الوجود أليفة ؛ لأن ما قد يبدو رهيباً وغريباً يصبح عادياً تماماً عندما تتاح لأعيننا برهة من الزمن للتكيف .

وبما أنني أتحدث في هـٰذا الموضوع ، فقد سمعت عن حراس كانوا يتخذون مواقعهم على الساحل ، فلمحوا شيئاً طافياً من بعيد ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا صرخة من حناجرهم : شراع! شراع! سفينة حربية قويّة! وبعد خمس دقائق صارت قارباً صغيراً لنقل الركاب والبريد ، ثم زورقاً صغيراً ، ثم بالة ، وأخيراً بعض العصيّ الطافية التي تعبث بها الأمواج .

ـ إنني أعرف كثيرين ممن تنطبق عليهم هـٰذه القصة ، وهم أناس تضخمهم المسافة ، غير أنهم عند الاقتراب منهم لا يبدون كباراً قط .

ـ إن العزلة تُضعف الصغار ، لكنها تزيد الكبار عظمة .

ـ وفي « قافلة الأحلام » : قال رجل لدرويش : لماذا لا أراك مرّات أكثر ؟ فردَّ عليه الدرويش : لأن عبارة : (لماذا لم تأتِ لرؤيتي) أحلىٰ في أذنيّ من عبارة : (لماذا جئت مرة أخرىٰ) .

ـ إذا استوحشت في الوحدة فوحّد الواحد ، وكرر (قل هو الله أحد) ،

فيوسف لما جلس وحده في الزنزانة نادىٰ : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ .

ـ أكثر العالم حمقى! أما تراهم يقفون في الأسواق ، ويمدّون الأعناق ، وينظرون في قادم من الآفاق ، يمضون الوقت بالهذيان ، ويصرفون الأيام في الأوهام ، ورخيص الكلام ، والوقوع في الأنام : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ .

ـ أنت في مكتبتك لست وحدك ، فمعك ألف عالم وشاعر وحكيم ، فلماذا تجالس الدهماء ، وتهجر العلماء والحكماء ؟

ـ أليس من السخف أن تجلس أمام بيتك علىٰ مصطبة ، تشاهد تعاير التيوس ، وتناطح الكباش ، وتهارش الديكة ، وقد انغمس الأبرار في لذة مناجاة الواحد القهار ؟

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ ... فَلاَ تَقْنَعْ بِمَا دُونَ ٱلنُّجُومِ

ـ ومن خصائص النجم : العلوّ والسموّ والتفرّد والتوحّد ، إذا بزغ . . أشرق ، وإذا هوىٰ . . أحرق ، وما أجمل : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ .

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ ٱلْجِنَّ عِنْدَ ٱسْتِرَاقِ ٱلسَّمْعِ تُرْمَىٰ بِٱلنُّجُومِ

ـ حضرنا عزائم وولائم ، مع جمع هائم ، وجو غائم ، همهمة وتمتمة ، ثم انتظرنا الطعام كما ننتظر الجنازة ، فانصرفنا بعد وقت طويل ، وهمّ ثقيل .

ـ الاختلاط بالحسّاد إنضاج للأكباد ، وسحب للقلوب علىٰ شوك القتاد ، ولو لم يكن من الخلطة بالحاسد إلا أنه يكشف أسرارك ، ويهتك أستارك .

ـ دخل أحد الحكماء غابة في كوخ ، وبجانبه عين ماء ، ومعه كيس من تمر ، وجرة زيت ، وجراب دقيق ، ومطهرة ، وعصاً ، وكتب علىٰ باب الكوخ : على الدنيا السلام .

ـ يا موسى الوحي ؛ اذهب إلىٰ فرعون الطبع في خلوة شرعية ، وصِحْ على النفس الأمّارة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ ، فإذا كنت وحدك فاضطجع علىٰ جنبك ، وسلم روحك إلىٰ مولاك ، ولسان حالك ينادي : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا ﴾ .

ـ عجيب أمرُك! هجرت الأذكار والآثار ، وجلست مع اللاهين تسمع أخبار الأسعار والأمطار ، وعجائب الأسفار .

ـ في خلوتك : اطرد الملل بالتنويع ، فالنفس تحب الانتقال من حال إلىٰ حال ، صلِّ ركعتين ، ترنّم بآية ، سبّح ، أنشد بيتاً ، اقرأ كتاباً ، تفكّر في بديع الصنع ، رتِّب غرفتك ، هذّب نفسك .

ـ معك في الخلطة ناقل متخرّص ، وحاسد متربّص ، ومتكلّف متنمّص ، وواشٍ متلصّص ، فأين المخلص ؟

ـ إذا قال لك إبليس في العزلة : اخرج ؛ فقل : أصّ يا لصّ ، ما تفهم النص ، بصّ للفص غار في البحر فطارده الغواص واقتصّ ، والحديد مبذول كالجصّ ، فها هو فاسٌ ومقصّ .

ـ يا أخ ؛ احذر الناس ولو وضعوا لك التمر في الفخ ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى الحسن يأكل من تمر الصدقة قال له : « كخ كخ » ، بل أقبل علىٰ حديقة العلم في بيتك ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي الدحداح لما تصدق بالحديقة : « بخ بخ » .

ـ احذر أن تجمعَ مع شين الشيخ والشيبة شين الشر ، فتجمع الثلاثة علىٰ شيطان ؛ لأنه :

وَيَقْبُحُ بِـالْفَتَـىٰ فِعْـلُ التَّصَـابِـي وَأَقْبَـحُ مِنْـهُ شَيْـخٌ قَـدْ تفَتَّـىٰ

ـ أحياناً العزلة مع الغنم خير من الخلطة مع أهل اللم واللمم ، ولهـٰذا حبذا في الشريعة الفرار من الفتن ، برأس القنن ، والبعد عن أهل الفتن ، أصحاب الإحن ، وقود المحن ، وهم أشرار كل زمن .

ـ أغلق عليك الباب عن كل كذَّاب ، وسبّاب وعيّاب ، وثلاّب ومغتاب ، وصِحْ من داخل الغرفة : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ ، ولا تكن كالذباب النهّاب ، يلطخ الثياب بالسكر المذاب .

ـ أما ترى الناس في هواش واحتراش على المعاش ، يتناطحون تناطح الكباش ، كل كلامهم خاش وفاش ، وعقولهم هاش وماش ، كأنهم طاش ما طاش .

ـ لسان الأحمق تلقلق ، وحذاؤه تطرق ، إن حلف طلّق ، وإن ضحك صفّق ، وإن نقل لم يحقّق ، فلِمَ تمنحه وقتك ؛ فإنه للزمان يسرق ، وللقلب يرهق .

ـ اجلس وحدك ، واذكر لحدك ، ففي الانفراد تُجوِّد الزاد ليوم المعاد ، وإياك والتشويش والتهويش ، والصجيج والضجيج ، فلا يصفو الماء حتىٰ يركد .

ـ قل لأفكارك في العزلة : استكنّ ، وإذا أرادت الخروج فاهتف : ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ ، وفي جوف البيت اسكنّ .

ـ مسكين المخالط ، طبلة هائم ، ومزمار نادم ، كأنه ما جف زاد قادم ، في ولائم وعزائم ، ومآتم ومواسم ، حارس وفرّاش وقهوجي وخادم .

ـ تركناك تجلس مع ابن تيمية فتركته وجلست مع الأيتام ، علىٰ موائد اللئام ، تترك ملوك الكلام ، وتجلس مع خدّ أو الخيَّام .

ـ لو بذلت للناس مالك . . لحاشوه ، ثم أتوا علىٰ عرضك فداسوه ، ثم وصلوا لدمك فسفكوه .

ـ دخل أعرابيّ بيتاً ، فجاء بأولاده ، ثم أدخل جمله ، ثم حلف إن البيت بيته ، ثم طرد صاحب المنـزل .

ـ بالعزلة لمع ابن باديس ، ونبغ ابن النفيس ، ورفض العزلة امرؤ القيس وخرج مع إبليس ، فأركبه مركب التدليس والتلبيس ، فقُتل البئيس ، وضاع ملك التعيس ، فذهب السيف والكيس ، وأكل البرسيم التيس .

ـ قلبك مخدّر بالبنج ، وذهنك مبرّد بالثلج ، وإلا فكيف تمنح وقتك من دجَّ وهج .

ـ أقبلْ علىٰ كعبة العبودية وحجّ ، وارفع صوتك بالتوحيد وعجّ ، واسفح دموع الندم وثجّ ، فخير الحجّ العجّ والثجّ :

حَجِّي إِلَى ٱلْبَابِ ٱلْقَدِيمِ وَكَعْبَةِ ٱلْـــبَابِ ٱلْجَدِيدِ وَبِٱلْمُصَلَّى ٱلْمَوْقِفُ
وَاللهِ لَوْ عَلِمَ ٱلْحَجِيجُ وُقُوفَنَا   فِي زَنْدَرُوزَ عَشِيَّةً مَا وَقَفُوا
أَوْ شَاهَدُوا جِسْرَ ٱلْحُسَيْنِ وَشِعْبَهُ   بَيْنَ ٱلْمُحَصَّبِ وَٱلنَّقَا مَا عَرَّفُوا

ـ سرق الوقت منك كل نذل بالترّهات والجهل ، والسفاسف والدجل ، وما سرقوا وقتك حتىٰ سرقت أنت المحاسبة : ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ .

ـ فتحت الباب والشباك ، فسلب قلبك كل أفّاك ، وسفح دم مروءتك كل سفّاك ، فإيّاك إياك ، الشمس تجري في الأفلاك ، فقم في طلب ما سلبه سرّاق الوقت من الأفلاك .

ـ من علامة التياسة ، وقلة الكياسة : طلب الرياسة ، والتمزق في السياسة :

اَلْكَلْبُ أَحْسَنُ عِشْرَةً وَهُوَ ٱلنِّهَايَةُ فِي ٱلْخَسَاسَهْ
مِمَّنْ يُنَازِعُ فِي ٱلرِّيَا سَةِ قَبْلَ أَوْقَاتِ ٱلرِّيَاسَهْ

ـ أعوذ بالله من ساس يسوس فهو سائس ، ما لك في ديار السياسة تجوس ، وفي مواطن الرياسة تحوس ، كأنك منحوس ؟ أما تعلم أنها أزهقت النفوس ، وخلعت الرؤوس ، وأحرقت الطروس ، ومزّقت العروش ؟

ـ كن كسلمان وسليمان ومسلم وابن مسلمة ، فخذ من سلمان إيمانه ، ومن سليمان همته ، ومن مسلم صدقه ، ومن ابن مسلمة عزلته ، واحذر مسيلمة وأبا مسلم وابن سامان ، فمسيلمة كافر ، وأبو مسلم غادر ، وابن سامان فاجر .

ـ كره للسلف + سفيه + فلسفة = زنديق .

ـ يا قتيل العيون المراض ، يا مقراض الأعراض ، تفتك بالشهوات فتك البرّاض ، فإذا رأيت الغدر فاض ، والوفاء غاض ، ففِرَّ مع كليم الحكمة من فرعون الأغراض : ونادِ : ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ ، فقد استنوق الجمل والديك باض .

ـ ضاع عمرك بين الجفان والجفون ، وهجرت المتون والفنون ، لو صحا قلبك . . لكان تقليبك الصفحات أحسن من لعق الصحاف .

عن مُعاذ بن جَبَل قال : إنكم لن ترَوْا من الدنيا إلا بلاءً وفِتْنة ، ولا يزيد الأمر إلا شِدة ، ولا الأئمّة إلا غِلظة ، وما يأتيكم أمرٌ يَهُولكم إلا حقّرَه ما بعده . قال الشاعر :

اَلْخَيْرُ وَٱلشَّرُّ مُزْدَادٌ وَمُنْتَقِصٌ فَٱلْخَيْرُ مُنْتَقِصٌ وَٱلشَّرُّ مُزْدَادُ
وَمَا أُسَائِلُ عَنْ قَوْمٍ عَرَفْتُهُمُ ذَوِي فَضَائِلَ إِلاَّ قِيلَ قَدْ بَادُوا

ـ حفظ الحدود ، وزيارة اللحود ، أجمل من عشق الخدود ، ووصل ذوات القدود ، والعيون السود ، واعلم أن المجد في سود الصحائف ، وفي بيض الصفائح .

قال العتَّابي : ما رأيتُ الراحةَ إلا مع الخَلْوَة ، ولا الأُنسَ إلا مع الوَحشة .

ـ كُفّ بالكفاية عنك أكفّ اللئام ، واخلع بالقناعة براقع الطعام ، فصاحب جرّة الفول أشرف من جرير ، وهو يجرجر رجله علىٰ أبواب الرجال ، مرّة يجازف ومرّة يجرّم .

قال ابن المقفَّع : وحشة الانفراد أبقىٰ على المرء من أنس التلاقي .

وقال بعض العلماء : العزلة عن الناس توقي العرض ، وتبقي الجلالة ، وترفع مؤونة المكافأة في الحقوق اللازمة ، وتستر الفاقة .

ـ الخلطة بأهل الرِّيبة رأس كل مصيبة ؛ لأن فيها سقوط الهيبة ، وكثرة الغيبة ، لكن الجمل الأهوج ما درىٰ بما في العيبة .

قال لُقْمان لابنه : استعذ بالله من شِرار الناس ، وكُن من خِيَارهم علىٰ حذَر .

وقال إبراهيم بن أدْهم : فِرّ من الناس فِرَارَك من الأسد .

وقيل له : لمَ تَجْتنب الناس ؟ فأنشأ يقول :

اِرْضَ بِـــــاْللهِ صَــــاحِبَــــا وَذَرِ ٱلنَّـــــاسَ جَـــانِبَــــا
قَلِّـــبِ ٱلنَّـــاسَ كَيْــفَ شِئْـــــتَ تَجِـدْهُــمْ عَقَــارِبَــا

ـ الاتّكاء علىٰ قطيفة ، وقراءة صحيفة ، مع قطّة أليفة ، في غرفة نظيفة ، وهمة شريفة ، أرفع من الجلوس على الديباج مع الحجاج ، وأتباع الحلاّج ، المحرجين على الدين في سوق الحراج ، فهل من خراج ؟

وقال أوس بن حجر :

وَإِنِّـي رَأَيْـتُ ٱلنَّـاسَ إِلاَّ أَقَلَّهُـمْ ... خِفَـافَ ٱلْعُهُـودِ يُكْثِـرُونَ ٱلتَّنَقُّـلاَ
بَنُـو أُمِّ ذِي ٱلْمَـالِ ٱلْكَثِيـرِ يَـرَوْنَـهُ ... وَإِنْ كَانَ عَبْداً سَيِّدَ ٱلْقَوْمِ جَحْفَلاَ
وَهُـم لِمُقِـلِّ ٱلْمَـالِ أَوْلاَدُ عَلَّـةٍ ... وَإِنْ كَانَ مَحْضاً فِي ٱلْعُمُومَةِ مُخْوِلاَ
وَلَيْسَ أَخُوكَ ٱلدَّائِمُ ٱلْعَهْدِ بِٱلَّذِي ... يَسُوءُكَ إِنْ وَلَّىٰ وَيُرْضِيكَ مُقْبِلاَ
وَلَكِنَّ ٱلأَخَ ٱلنَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِناً ... وَصَاحِبُكَ ٱلأَدْنَىٰ إِذَا ٱلأَمْرُ أَعْضَلاَ

ـ ابدأ بنفسك فهي أَشِرَةٌ بَطِرة ، واذبحها بسكين الزهد ، واهتف : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ ﴾ ، واهجر الفجرة ، واقرأ سير العشرة ، وطالع أخبار أهل الشجرة .

وكان محمد بن عبد الملك الزيَّات يأنَسُ بأهل البَلادة ويسْتوْحش من أهل الذكاء ، فسُئِل عن ذلك ، فقال : مَؤونة التحفُّظ شديدة .

وقال ابن مُحَيْريز : إن استطعتَ أن تعْرِف ولا تُعرَف ، وتَسأل ولا تُسأل ، وتمشي ولا يُمْشىٰ إليك . . فافعل .

وقال أيوب السخْتياني : ما أحب الله عبداً إلا أحب ألا يُشْعَر به .

ـ وللعزلة فوائد كثيرة ومنافع وفيرة ، منها : جمع القلب علىٰ طاعة الرب ، وكف اللسان عن الغيبة واللغو ورديء القول ، والبعد عن الحاسد والشامت ، ومتتبع السقطات ، والفارح بالغلطات ، والجامع للزلات ، ومفارقة الثقيل ، والبعد عن سوء الظن ، والسلامة من ضياع الزمان الذي هو أشرف العطايا ، واليأس مما في أيدي الناس ، وحبس الفِكْر على استجلاء الفِكَر ، والبعد عن كل مشوش ، والأمان من لدغ الأقران ، ومِنّة الإخوان ، وحقوق الخلان ، ومطالب الجيران ، والابتعاد عن النظر إلىٰ زينة الدنيا ،

والاستحسان لما ذمّه الله من زخرفها ، وعابه من زبرجد غرورها ، والنأي عن منافسة أهلها ، ومباراة خُدّامها ، ومعاداة أبنائها ، ومحاكاة أخدانها في طمعهم وجشعهم .

ـ وفي العزلة الأمان من حيف السلطان ؛ لأن في الخلطة فرصة للنمّام لنقل الكلام ، وعدم التحرز من اللسان عن العوام ، فرُبّ كلمة سقط معها الرأس ، أو وقع على النفس منها بأس ، سببها مجالسة الناس .

ـ وفي العزلة حفظ الأنفاس مع نفائس العلوم ، وتلقيح الفهوم بقطوف الحكمة ، وثمار المطالعة ، وأبكار الأفكار ، ونتائج القراءة ، ودرر الاستنباط ، وبدائع التأمل ، ومجالسة من سلف مع كتبهم وعلومهم وكنوز ميراثهم .

ـ وفي العزلة الابتعاد عن أسباب قسوة القلب من كثرة الكلام ، وفضول النظر ، والخلطة ، والمزاح ، والتهتك في الضحك ، ومجاراة السفهاء ، ومداهنة الكبراء ، ومنافسة الأغنياء ، ومجادلة الأغبياء .

ـ وفي العزلة حفظ الجاه ، وصون العرض من التبذّل .

ـ وفي العزلة تعلو قيمة المرء ، كاختفاء الشمس حتىٰ يُعرف نفعها ، واحتجاب القمر حتىٰ تظهر فائدته ، فما رفع الدر في النحور . . إلا لأنه اختفىٰ في البحور .

ـ وفي العزلة إقامة ناموس الهيبة ، وإقامة دولة العز في النفس والناس ، وحبس الطبع عن سرقة العادات ؛ فإن الطبع لص يسرق ، والنفس تهوى التقليد ، فمن جلس مع أبناء الزمان ، وضيّع العمر مع من يُسمّىٰ بالإخوان . . سرق منهم سقوط الهمم ، وموت الذمم ، وكثر فيهم برود العزائم ، وكثرة

الأماني ، وسماع الأراجيف ، ونشر المعائب ، والاشتغال بالتوافه ، والإقبال علىٰ ما يَشغل ، وترك المهمات ، وهجران الصالحات ، وحب البَطالة ، والكسل في العبادة ، والإعراض عن العلم ، وإزجاء الوقت في قيل وقال ، وبيع الأيام في سوق الأماني ، ومشاركتهم في مقاصدهم ، ومصاحبتهم في مكاسبهم .

* * *

الشّمس

أقسم الله بالشمس لعظم جِرمها ، وكبر جسمها ، فقال : ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ ، وإنما ذكرها بالضحىٰ ؛ لأنها تكون فيه أضحىٰ وأظهر ، ولهـٰذا قالوا في الحسناء : (كأنها شمس الضحىٰ) .

وقد ذكر أحد الشعراء الخليفة المكتفي ـ وكان آية في الحسن ـ فقال :

وَٱللهِ لاَ كَلَّمْتُهَا وَلَوَ انَّهَا كَٱلشَّمْسِ أَوْ كَٱلْبَدْرِ أَوْ كَٱلْمُكْتَفِي

وهي آية النهار ، وما ينكرها إلا مكابر ، يقول أبو الطيب :

وَكَيْفَ يَصِحُّ فِي ٱلأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا ٱحْتَاجَ ٱلنَّهَارُ إِلَىٰ دَلِيلِ

وهـٰذا البيت من ناصع شعره ، ونفيس ورده ، فللّه دره .

ويقول البوصيري :

قَدْ تُنْكِرُ ٱلْعَيْنُ ضَوْءَ ٱلشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ ٱلْفَمُ طَعْمَ ٱلْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

وقال المعرّي في قصيدته الشهيرة المذهلة :

وَٱلْعَيْبُ لِلْعَيْنِ لاَ لِلشَّمْسِ فِي ٱلنَّظَرِ

ويَصِفون الحجة الظاهرة بالشمس الباهرة ، وقد ذكر المولىٰ جل اسمه الشمس فقال : ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ ؛ لأن القمر قبلها في الجري ؛ إذ إن الليالي قبل الأيام ، فقطع الشبهة في إدراك الشمس للقمر أعظم منه في إدراك القمر للشمس .

ويسمونها أخت يوشع ، قال شوقي :

قِفِـي يَـا أُخْـتَ يُـوشَـعَ خَبِّـرِينَـا أَحَـادِيـثَ ٱلْقُـرُونِ ٱلْعَـابِـرِينَـا

ويوشع هو النبي الكريم عليه السلام ، وكما في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام : « أن الله حبس الشمس ليوشع حتىٰ قاتل الكفار حتى انتصر عليهم ثم غابت » .

وفي حديث باطل ترويه بعض الطوائف : (أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نام عن صلاة العصر حتىٰ غابت الشمس ، ثم استيقظ فسأل الله أن يرد عليه الشمس ، فردها عليه ، فصلىٰ ، ثم غابت) ، وهو خبر منكر ، اغتر بسنده بعض أهل السير فصححه ، فصار بهـٰذا التصحيح كالأعرابي الذي طلب لبناً يشربه ، فوضع له أحد اللعابين خمراً وصب فوقه لبناً ، فشرب حتىٰ سكر ، فلما استفاق . . خلط وقال :

إِنْ كُنْـتُ أَدْرِي فَعَلَـيَّ بَـدَنَـهْ مِنْ كَثْرَةِ ٱلتَّخْلِيطِ أَنِّي مَنْ أَنَهْ

وقد اغترّ بهـٰذا الشاعر أبو تمام فقال في قصيدة تذوب رقة وتسيل عذوبة وتقطر شهداً مصفّىٰ :

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا ٱلشَّمْسُ وَٱللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ ٱلْخِدْرِ تَطْلُعُ

فَـوَٱللهِ مَـا أَدْرِي أَأَحْـلَامُ نَـائِـمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي ٱلرَّكْبِ يُوشَعُ

ولعظم الشمس عَبَدَها بعض الناس ، وقد أنكر الهدهد علىٰ بلقيس وقومها عبادة الشمس فقال : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، فانظر لهـٰذا الهدهد الموحِّد كيف أنكر علىٰ مَن جحد وعبد غير الواحد الأحد .

والشمس أظهر الكواكب ، وأشهرها في المشارق والمغارب ، يقول النابغة في النعمان بن المنذر :

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

فانظر ما أفخم اللفظ ، وأرقّ الديباجة ، مع سلامة ذوق ، وجلالة معنىٰ ، وبُعد من التكلّف والتنافر والغرابة ، حتىٰ قال الأصمعي عن شعره : (إن قلت : ألين من الحرير ، وأقوىٰ من الحديد . . صدقت) .

وأخوه في المعلقات العبقري الثائر المتمرد الشاب طَرَفة ، يقول في بيت له من المعلقة ، لو لم يقل إلا هـٰذا البيت . . لكان شاعراً :

وَوَجْهٌ كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ حَلَّتْ رِدَائَهَا   عَلَيْـهِ نَقِـيُّ ٱللَّـوْنِ لَـمْ يَتَخَـدَّدِ

وفي حديث صحيح : (أن أبا هريرة سئل : هل كان وجه الرسول صلى الله عليه وسلم كالسيف ؟ قال : لا ، كالشمس) .

وقال واصفوه عليه الصلاة والسلام : (كأن الشمس تجري في وجهه) ؛ فقد جمع الله له بين الهيبة والجمال، والصباحة والجلال، والملاحة والكمال.

والشمس لها ميل ، قد تميل مع الفصول بدرجة علىٰ حسب الفصول ، وهـٰذا ٱزورار ، حتىٰ جاء هـٰذا اللفظ رشيقاً خلاباً في قوله تعالىٰ : ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ ؛ أي : تميل يمنة ويسرة ، يقول عنترة في فرسه :

فَـٱزْوَرَّ مِـنْ وَقْـعِ ٱلْقَنَـا بِلَبَـانِـهِ   وَشَكَـا إِلَـيَّ بِعَبْـرَةٍ وَتَحَمْحُـمِ

وفي جريان الشمس يقول الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ ، وقرىء : (لا مستقر لها) ، والأول أظهر .

وفي الصحيح : (أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أين تذهب الشمس ؟ فأخبره أنها تسجد تحت العرش) .

وسمع صلى الله عليه وسلم بيتاً لأمية بن أبي الصلت يذكر سجود الشمس تحت العرش فقال : « صدق » .

وأراد عمر رضي الله عنه أن يولّي رجلاً ولاية ، فقال له الرجل : رأيت البارحة أن الشمس والقمر يقتتلان ، فكنت مع القمر على الشمس ، فقال عمر : كنت مع الآية الممحوّة ، لن تلي لي ولاية .

وهٰذه من فراسته رضي الله عنه ، ويشير إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ ، فالقمر آية الليل ، والشمس آية النهار ، وقال : محوها ذهاب شعاع القمر ولهبه .

وقد ترجم بعضهم لشيخ الإسلام ابن تيمية فقال عنه : كان أبوه نجماً ، وجدّه قمراً ، وهو شمس ، ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ .

يقول أبو الطيب :

غُصْنٌ عَلَىٰ نَقَوَيْ فَلاَةٍ نَابِتٌ   شَمْسُ ٱلنَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلاً مُظْلِمَا

يصف حبيبته فيقول : **هي غصن** ؛ يعني : قامتها ، **نابتٌ علىٰ كثيبَيْ رملٍ** ؛ يعني : ردفيها ، ووجها شمس تحمل ليلاً مظلماً ؛ يعني : شعرها ، **ونَقَوْي** : مثنىٰ نقا ؛ وهو الكثيب من الرمل ، **والفلاة** : المفازة ، وهو بيت بارد سامج ، وللعبقرية فتور ، وللإبداع خدوش ، والتميز كالقصر الجميل ، ولكن فيه المجلس وغرفة الطعام والمطبخ ، ولكنه قصر في مجموعه .

ومدح نزار قباني الشام ، فأراد أن يفخر بدمشق فقال :

اِرْكَبِي ٱلشَّمْسَ يَا دِمَشْقُ حِصَاناً   حَسْبُكِ ٱللهُ حَافِظٌ وَأَمِينُ

وافتخر أحد المعاصرين بقومه فقال :

نَحْنُ وَجْهُ ٱلشَّمْسِ إِسْلاَماً وَقُوَّةْ   نَسَبٌ حُرٌّ وَمَجْدٌ وَفُتُوَّةْ

ولما تطاول بشار في شعره قال :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً   هَتَكْنَا حِجَابَ ٱلشَّمْسِ أَوْ تُمْطِرَ ٱلدَّمَا

وكان العبقري الحافظ ابن حزم الظاهري يفتخر ويقول :

وَإِنِّي لَشَمْسٌ فِي ٱلسَّمَاءِ مُضِيئَةٌ   وَلَكِنَّ عَيْبِـي أَنَّ مَطْلَعِيَ ٱلْغَرْبُ

ولما مدح بديع الزمان أحد الأمراء قال :

وَكَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ ٱلْغَيْثِ مُنْسَكِباً   لَوْ كَانَ طَلْقَ ٱلْمُحَيَّا يُمْطِرُ ٱلذَّهَبَا

وَٱلدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَٱلشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ   وَٱللَّيْثُ لَوْ لَمْ يَصِدْ وَٱلْبَحْرُ لَوْ عَذُبَا

ولما مدح زهير هرماً . . قال :

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ   قَوْمٌ بِآبَائِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

وهـٰذا مدح أجمل من در البحور على النحور ، أبقىٰ ذكر هِرَم فلم يهرم ، وذهب ما أعطاه من دينار ودرهم .

والشمس تملأ القلب جلالاً ، والعين جمالاً ، ولهـٰذا بدأ بها إبراهيم الخليل عليه السلام في مناظرته لقومه : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ .

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام : أنه نهىٰ عن الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ؛ لأن الكفار كانوا يسجدون لها ، فمنع من ذلك ؛ لئلا يقع التشبّه أو يحصل اللَّبْس ، وأمرنا أن نسبح قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ؛ لأن في إقبال النهار وإدبار الليل آية لعظمة الباري وبديع خلقه ، والتسبيح عند التعظيم ، ثم إنه يُنـزه أن يُعبد غيره سبحانه ، والتسبيح أنسب ، وهو قبل الشروق والغروب أطيب .

وصح عن رسولنا صلى الله عليه وسلم : أنه كان يسبح حتىٰ تطلع الشمس حسناء .

ومن المبالغة الممقوتة قول بعض الشعراء لهارون الرشيد :

لَمَّـا رَأَتْـكَ ٱلشَّمْـسُ طَـالِعَـةً سَجَدَتْ لِوَجْهِكَ طَلْعَةُ ٱلشَّمْسِ

وهٰذا مدح باطل ، والبياض إذا غلب.. صار برصاً ، فالزم أهل الاعتدال ، واتبع آثارهم قَصصاً .

والمتنبي أراد أن يمدح وجه حبيبته ، فما وجد أحسن من الشمس ، فقال :

رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَىٰ بِلَيْلٍ عَوَاذِلِي فَقُلْنَ نَرَىٰ شَمْساً وَمَا طَلَعَ ٱلْفَجْرُ

وهو بيت متماسك من قصيدة ذائعة شائعة منها :

وَأَسْتَكْبِـرُ ٱلأَخْبَـارَ قَبْـلَ لِقَـائِـهِ فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا صَغَّرَ ٱلْخَبَرَ ٱلْخُبْرُ

وله كلمة بديعة في سيف الدولة يقول فيها :

أَلشَّمْسُ مِنْ حُسَّادِهِ وَٱلنَّصْرُ مِنْ قُـرَنَـائِـهِ وَٱلسَّيْـفُ مِـنْ أَسْمَـائِـهِ

ونهىٰ صلى الله عليه وسلم في حديث عقبة بن عامر عند مسلم عن الصلاة إذا قام قائم الظهيرة .

قال العلماء : إذا توسطت الشمس السماء وأصبحت بلا ظل .

(وكان صلى الله عليه وسلم إذا مالت الشمس وزال ظلها.. قاتل في سبيل الله) وهو حديث صحيح .

ولما انكسفت الشمس في عهده صلى الله عليه وسلم.. صادف انكسافها موت إبراهيم ابنه عليه السلام ، فقال بعضهم : كسفت الشمس لموت إبراهيم ، فلو كان صلى الله عليه وسلم كزعماء الدنيا هواةِ الجاه والعلو في الأرض.. لكانت فرصة ، وصدق الخبر ، أو سكت ، ولكن الله عصمه وطهر قلبه وسمعه وبصره ، فأخبر : (أن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، وإنهما آيتان من آيات الله ، يخوّف الله بهما من يشاء) .

ومن قولي :

كَأَنَّكَ ٱلشَّمْسُ لَوْ دَامَتْ عَلَىٰ أَلَقٍ وَٱلْبَدْرُ لَوْ لَمْ يَغِبْ وَٱللَّيْثُ لَوْ عَقَلاَ

وأبو تمام يقول :

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ ٱلضُّحَى نُوراً وَمِنْ فَلَقِ ٱلصَّبَاحِ عَمُودَا

وأبو الطيب له قصيدة فذة خالدة مدح بها منصور الحاجب وكان بخيلاً ، فأعطاه ديناراً ، والقصيدة تساوي قنطاراً منها :

كَٱلشَّمْسِ فِي كَبِدِ ٱلسَّمَاءِ وَضَوْءهَا يَغْشَى ٱلْبِلاَدَ مَشَارِقاً وَمَغَارِبَا

بِأَبِي ٱلشُّمُوسُ ٱلْجَانِحَاتُ غَوَارِباً ٱللاَّبِسَاتُ مِنَ ٱلْحَرِيرِ جَلاَبِبَا

وعند مسلم عن ابن عباس : أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأىٰ رجلاً جالساً في الشمس فقال : « من هـٰذا ؟ » ، قال : أبو إسرائيل نذر أن يصوم ، وأن يصمت ، وأن يبقىٰ في الشمس ، قال : « مروه فليتكلم ، وليستظل ، وليتم صومه » .

وانظر لهـٰذه الجملة السديدة الرشيدة من معلم الخير صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه نهىٰ عن أمرين غير مشروعين : إدامة الصمت ، والبقاء في الشمس ، وأجاز بقاء صومه ؛ لأن الصوم مشروع في الأصل .

وتفنن أبو الطيب فقال :

بَيَاضُ وَجْهٍ يُرِيكَ ٱلشَّمْسَ حَالِكَةً وَدُرُّ لَفْظٍ يُرِيكَ ٱلدُّرَّ مَخْشَلَبَا

وليته لم يكرر (يريك) مرتين في بيت واحد ؛ لأن إعادة اللفظ بحاله مع تقارب الجمل ثقيلٌ ، ألم تر إلىٰ أفصح ولد آدم صلى الله عليه وسلم كيف يغاير بين الألفاظ ؟! حتىٰ قال النووي في « المجموع » في حديث : « كتب الله الصلاة وفرض الزكاة » : (الكتب والفرض واحد لئلا يتكرر اللفظ) .

ولما ذكر الله أهل الكهف.. قال : ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ﴾ ، قال الحربي : في وجه النهار تتركهم وتتجاوزهم ، فجعل سبحانه الشمس مذكورة ؛ لأثرها في الأرض من حيث الظلّ والضوء والظلمة .

ومدح شاعر كريماً فقال :

إِذَا حَضَرَ ٱلشِّتَاءُ فَأَنْتَ شَمْسٌ وَإِنْ حَضَرَ ٱلْمَصِيفُ فَأَنْتَ ظِلُّ

لأن شمس الشتاء دافئة مقبولة ، كأنها ماء ساخن في شدة البرد .

وقد ذكر الذهبي عن أحد الحمقاء أنه قال : اللهم ؛ أمتني ميتة أبي عمران ، قالوا : كيف مات ؟ قال : أكل فالوذجاً حتىٰ شبع ، وشرب نبيذاً حتىٰ روي ، ثم خرج في الشمس ، فمات شبعان ريان دافئاً!

والشمس جميلة مصورة ، عالية مدورة ، ذات هيئة مكورة ، وفي الذكر الحكيم : ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴾ قال المفسرون : لُفّت كما تُلفّ العمامة ، وذهب ضوءها .

وقد صحح الألباني حديث : « تكور الشمس والقمر ثم ترمىٰ في النار » .

وإذا جَمُل الوجه وحَسُن.. انعكس ضوء الشمس فيه ، ولهٰذا يقول أبو الطيب :

شَمْسٌ إِذَا ٱلشَّمْسُ لاَقَتْهُ عَلَىٰ فَرَسٍ تَرَدَّدَ ٱلنُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ

والقمر عند أهل الفلك يعكس نوره من الشمس ، كما قال أبو الطيب :

تَكَسَّبُ ٱلشَّمْسُ مِنْكَ ٱلنُّورَ طَالِعَةً كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُورَهُ ٱلْقَمَرُ

والشمس سراج يزهر ، والقمر نور يبهر ، ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴾ .

وبعض علماء الفلك قال عن الشمس : إنها أكبر من الأرض بأربعين مرة

كما في « الموسوعة العربية » ، وسألت أحد المتخصِّصين فقال : هٰذه معلومة قديمة ، والصحيح : أنها أكثر من هٰذا العدد بكثير .

وكانت العرب في جاهليتها تَقري الضيف عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فتذبح وتنحر ، ولهٰذا قالت الخنساء في أخيها صخر :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ ٱلشَّمْسِ صَخْراً وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

لأنه كان مِضيافاً . . .

والشمس تبهر البصر ، وتكسر النظر إذا قوي ضوءها وظهر ، قال أبو الطيب :

كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ ٱلشَّمْسِ فِيهِ فَفِي أَبْصَارِنَا مِنْهُ ٱنْكِسَارُ

وكان المقنّع له وجه كالشمس ، فاحتجب خوف العين ، فقال المعري :

أَفِقْ إِنَّمَا ٱلْبَدْرُ ٱلْمُقَنَّعُ رَأْسُهُ ضَلَالٌ وَغَيٌّ مِثْلُ بَدْرِ ٱلْمُقَنَّعِ

ويقول أبو الطيب :

فَلاَ زَالَتِ ٱلشَّمْسُ ٱلَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالِعَةَ ٱلشَّمْسِ ٱلَّتِي فِي لِثَامِهِ

وقد أخرج الحاكم عن أنس قال : (سألت أمي عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كانت كالقمر ليلة البدر أو الشمس . . .) .

والشمس لظهورها يورد ذكرها في المجادلة والاحتجاج ؛ يقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ﴾ ؛ لأن الشمس وطلوعها من المشرق آية ظاهرة ، لا يمتري فيها عاقل ، حتى المكابر بهت عن مثل هٰذا الدليل القاطع .

وفي « تاريخ ابن عساكر » : أن أمية بن أبي الصلت مدح أخواله آل جدعان في مكة بقصيدة رائعة ذائعة ، منها قوله :

وَإِذَا دَعَـــوْتَهُـــمُ لِكُـــلِّ مُلِمَّـــةٍ سَدُّوا شُعَاعَ ٱلشَّمْسِ بِٱلْفُرْسَانِ

وإنما ذكر الشمس ؛ لأن الغارة تكون صبحاً عند طلوعها ، كما قال جل ذكره : ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ .

ونعمة اغتسال النفس بضياء الشمس من أجلِّ النعم ، ولهٰذا يوصي الأطباء بتعرض الأطفال للشمس ؛ لأن فيها فيتامين D (دي) يمنع من هشاشة العظام .

وقد ذكر سيد قطب في « الظلال » : أنه لما سجن سجنه الطويل في مصر . . كان يتعرض هو وزملاؤه لضوء الشمس من خلال ثقب الباب ، ثم يلوم من نسي هٰذه النعمة وهو يعيشها كل يوم حراً طليقاً .

وأذكر وأنا طفل ببلدتي بالجنوب : أنا كنا في الصباح نلعب في ضوء الشمس الدافىء المنهمر ، كأنه أسلاك ذهب مذاب ، أو شهد ينساب ، فلا تسل كم هي المتعة والراحة ، يوم لا هم ولا حزن ، ولما كبرت . . قلت :

آهِ عَلَىٰ جَلْسَةٍ فِي ٱلصُّبْحِ غَامِرَةٍ فِي صُحْبَةٍ بِضِيَاءِ ٱلشَّمْسِ نَغْتَسِلُ

وكنت في الجامعة في أبها ، فجاءنا ضيوف من الكويت ، فلما خرجنا معهم في نزهة برية في سحر وجمال أبها . . احتجبت عنا الشمس بالغمام ، فقلت :

وَتَبْدُو ٱلشَّمْسُ مِنْ خِدْرٍ خَجُولاً فَتُـوقِـدُ فِـي جَـوَانِحِنَـا ٱلشَّبَـابَـا
تُطَـالِعُنَـا وَرَاءَ ٱلْغَيْـمِ طَـوْراً وَطَـوْراً تَكْتَسِـي عَنَّـا ٱلْحِجَـابَـا

والعرب كانت تفرح إذا احتجبت الشمس بالغمام ؛ لأنه أول مقدمات الغيث كما قال أبو تمام وأبدع ما شاء أن يبدع :

لَيْسَ ٱلْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلاً إِنَّ ٱلسَّمَاءَ تُرَجَّىٰ حِينَ تَحْتَجِبُ

وقلت في كلمة نثرية عن الشمس : يا شمس ؛ ربي وربك الله ، يا أخت يوشع ؛ هل من خبر فيسمع ؟ ما أخبار من ذهب بعد ما جمع الفضة والذهب ؟ أخبرينا عمَّن شاد وساد ، ودوخ العباد ، وانقادت له العباد ، وحدثينا عن القرون الماضية ، والأيام الخالية ؛ فأنت الشاهدة الباقية ، فاتوا وبقيت ، وهلكوا وسلمت ، فللّٰه أنت ما أطول عمرك!

نَمُـوتُ وَنَحْيَـا كُـلَّ يَـوْمٍ وَلَيْلَـةٍ وَشَمْسُ ٱلضُّحَىٰ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَجَدَّدُ

وبعد :

فآن أن نطوي الحديث رحمة بقلبك ، واستبقاءً علىٰ روحك ، وبخلاً بوقتك ، وخوفاً من إملالك ؛ لأنك في النهاية بشر مقهور بالقدرة ، مغلوب بالقضاء ، مركّب من لحم ودم ، فمرحباً بك في لقاء آخر ، ولا أفلح من ندم .

يَقُولُونَ لي : دَعْ مَنْ تُحِبُّ مُبَادِراً فَقُلْتُ وَدَاعِي يَوْمَ فَارَقْتُهُمْ قَتْلِي

* * *

العين

سبحان من يعلم خائنة الأعين وهي تنظر إلى الحرام ، وقيل : تختلس النظر فجوراً ، ولهٰذا مدح عنترة نفسه بقوله :

وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِيَ جَارَتِي ... حَتَّىٰ يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا

وقد تنظر العين ولا تبصر ؛ لأن النظر مشاهدة ، والبصر اعتبار ، لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ ، ولم يقل : لا ينظرون بها ، وقال : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ أي : ولا ينتفع بنظره ؛ لأنه لم يعبر ، كما قال أبو الطيب :

وَمَا ٱنْتِفَاعُ أَخِي ٱلدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إِذَا ٱسْتَوَتْ عِنْدَهُ ٱلأَنْوَارُ وَٱلظُّلَمُ

وكنت أطالع سيرة أبي هلال العسكري ، فأعجبني قوله :

يَا عَيْنُ صَارَ ٱلدَّمْعُ عِنْدَكِ عَادَةً ... تَبْكِينَ فِي مَرَحٍ وَفِي أَحْزَانِ

طَفَحَ ٱلسُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّىٰ إِنَّهُ ... مِنْ عُظْمِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي

وقد أحسن فيهما كل الإحسان مع سهولة المأخذ ، وسحر القافية ، ورقة الحاشية .

وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « وأعوذ بك من عين لا تدمع » أي : من خشية الله ؛ لأنها علامة الإفلاس ، وقسوة القلب ، ولهٰذا ذكر في « البداية والنهاية » : أن أحد العباد لطم عينه وقال : جامدة ! فانهلت معين .

وعلىٰ ذكر لطم العين : فقد أخرج البخاري : (أن موسىٰ لطم عين ملك

الموت) ، وهـٰذا ما نؤمن به ، فقد صح به الخبر .

وفي « النبلاء » عن يزيد بن هارون : أنه لما عمي قيل له : أين ذهبت العينان الجميلتان ؟ قال : أذهبهما بكاء الأسحار .

والله يقول في الذكر الحكيم : ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ﴾ ، فمدحهم بهـٰذه الصورة المعبرة ، والحالة المؤثرة ، والصِّمَّة القشيري غلب الشعراء بقوله :

بَكَتْ عَيْنِيَ ٱلْيُمْنَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنِ ٱلْجَهْلِ بَعْدَ ٱلْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا

فلو أن الشعر ينطق . . لصاح هـٰذا البيت من حسنه .

وعلىٰ ذكر ذلك : فقد قرأت في « ديوان السعدي الشيرازي » قوله :

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ دَمْعاً وَأُخْرَىٰ بِٱلْبُكَىٰ بَخِلَتْ عَلَيْنَا

فَعَاقَبْتُ ٱلَّتِي بَخِلَتْ عَلَيْنَا بِأَنْ غَمَّضْتُهَا يَوْمَ ٱلْتَقَيْنَا

ولو لم يكن في « ديوانه » إلا هـٰذان البيتان . . لكان من أكبر الشعراء ، فكيف وله ما لذّ وطاب ، ونصب في أرض المجد الأطناب .

وتمدح العيون بالحَوَر ، وفيها آيات الحسر ، وأدلة الأسر ، وهي أول ما تقبل بسهامها ، وتجرح بألحاظها ، كما قال جرير :

إِنَّ ٱلْعُيُونَ ٱلَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلاَنَا

ولقد نيف علي بن الجهم على الشعراء بقوله :

عُيُونُ ٱلْمَهَا بَيْنَ ٱلرُّصَافَةِ وَٱلْجِسْرِ جَلَبْنَ ٱلْهَوَىٰ مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي

فأوجز وأعجز وألغز .

ومما أحسن فيه ابن الخياط ، حتىٰ أدهش بيتُه الأدباء ، وأُعجب به العلماء : قوله في امرأة جميلة عوراء :

يَـا لَهَـا عَيْـنُ رَقِيـبٍ أَصَـابَـتْ   فَمَتَـىٰ أَبْصَـرَهَـا وَهْـيَ غَيْـنُ

وهـٰذا والله السحر الحلال ، والبالي المعتّق ، والشهد المصفّىٰ ، ولكن أين مَن يغوص في لجّ الإبداع ، ويركب زورق التميز .

وممن ذهبت عيونهم في سبيل الله في طريق الجهد أو العلم أو السهر في العبادة : ابن عباس ، والمغيرة بن شعبة ، وعدي بن حاتم ، وأبو سفيان ، وسعيد بن المسيب ، ويزيد بن هارون ، وقتادة ، والأعمش ، وغيرهم ، حتىٰ إنهم لما عزّوا ابن عباس في عينيه قال :

إِنْ يَأْخُذِ ٱللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا   فَفِـي لِسَـانِـي وَقَلْبِـي مِنْهُمَـا نُـورُ

وقال أحد الشعراء وقد ذهبت عينه :

فَـوَٱللهِ يَـا صَـاحِ مِمَّـا بَكَيْـتُ   خَشِيـتُ عَلَـىٰ عَيْنِـيَ ٱلْـوَاحِـدَةْ

وقد أجاد الأعور السلمي في بيتين عجيبين يقول فيهما :

بَكَيْتُ بِعَيْنٍ لَيْسَ فِيهَا غَضَاضَةٌ   وَعَيْـنٍ بِهَـا رَيْـبٌ مِـنَ ٱلْحَـدَثَـانِ

عَذَرْتُكِ يَا عَيْنِي ٱلصَّحِيحَةَ بِٱلْبُكَا   فَمَـا لَـكِ يَـا عَـوْرَاءُ وَٱلْهَمَـلاَنِ

وفي « سيرة عمر » : أنه كان تحت عينيه خطان أسودان من كثرة البكاء .

وفي « السير » : أن أحد تلاميذ ابن عباس يقول : رأيت جفني ابن عباس كالشراكين الباليين من البكاء .

وهـٰذا والله صدق العبودية ، يقول أبو الطيب :

إِذَا ٱشْتَبَكَـتْ دُمُـوعٌ فِـي خُـدُودٍ   تَبَيَّـنَ مَـنْ بَكَـىٰ مِمَّـنْ تَبَـاكَـى

وقد وصفوا العين بالملاحة والحسن يقول أحدهم :

وَعَيْنَانِ قَالَ ٱللهُ : كُونَا فَكَانَتَا   فَعُولاَنِ بِٱلأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ ٱلْخَمْرُ

وإنما صرّع العشّاق ، وقتل المحبين : لَحْظُ العيون ، وتقلّبها في المحاجر ، مع الدعج القاتل ، كما قال أبو الطيب لله دره :

وَأَنَا ٱلَّذِي ٱجْتَلَبَ ٱلْمَنِيَّةَ طَرْفُهُ فَمَنِ ٱلْمُطَالَبُ وَٱلْقَتِيلُ ٱلْقَاتِلُ

وقد نهىٰ صلى الله عليه وسلم في السنن علياً عن إرسال النظر إلى الحرام ، فسأله عن نظرة الفجأة ، فقال : « لك الأولىٰ ، وليس لك الثانية » .

وصح قوله صلى الله عليه وسلم : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » .

ولما ضربت عين قتادة بن النعمان في أحد وتدلّت علىٰ خده . . ردّها سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم بيده المباركة ، فكأنها صارت أجمل من أختها ، حتى افتخر ابنه بهـٰذا فقال :

أَنَا ٱبْنُ ٱلَّذِي سَالَتْ عَلَى ٱلْخَدِّ عَيْنُهُ فَرُدَّتْ بِكَفِّ ٱلْمُصْطَفَىٰ أَحْسَنَ ٱلرَّدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز :

تِلْكَ ٱلْمَكَارِمُ لاَ قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاَ

ويظهر في العين الحب والبغض ، والأمانة والخيانة ، يقول الشاعر :

وَٱلْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنَيْ مُحَدِّثِهَا إِنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مَنْ يُعَادِيهَا

وقال آخر :

تَقُولُ عَيْنُكَ لِي : لاَ مَرْحَباً وَهَلاَ قَالَتْ لِسَانُكَ : وَٱلتَّصْدِيقُ لِلْعَيْنِ

ومن أرسل نظره . . تعب ، وأصابه النصب .

وَأَنْتَ مَتَىٰ أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً إِلَىٰ كُلِّ عَيْنٍ أَتْعَبَتْكَ ٱلْمَنَاظِرُ
أَصَبْتَ ٱلَّذِي لاَ كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلاَ عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

ولهـٰذا كان بعض السلف إذا صلى . . كأنه أعمى من التقوىٰ ، كما

قال البردوني في أبي الطيب :

مِـنْ تَلَظِّـي دُمُـوعِـهِ كَـادَ يَعْمَـى كَادَ مِنْ شُهْرَةِ ٱسْمِهِ لاَ يُسَمَّىٰ

حتىٰ إن جارية الحسن فتحت الباب لأيوب السختياني سيد شباب البصرة ، فأغمض عينيه ، فقالت الجارية للحسن : جاء صديقك الأعمىٰ .

وَمَـا كَـانَ أَعْمَـىٰ غَيْـرَ أَنَّ عُيُـونَـهُ مِنَ ٱلْخَوْفِ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِهِ خَوْفا

وقد بكىٰ سعيد بن المسيب من خشية الله ستين سنة حتىٰ ذهبت عينه ، قالوا : نذهب بك لترى الخضرة في وادي العقيق ، قال : لا يكون هـٰذا وأترك صلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم بألف صلاة فيما سواه .

فَبَارَكَ ٱللهُ فِي عَيْنٍ سَخَوْتَ بِهَا لِلْعِلْمِ وَٱلْفَهْمِ وَٱلآيَاتِ وَٱلسُّوَرِ

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم : (أنه ما كان يومىء بعينه غمزاً) ؛ لأنه رسول معصوم ، حتىٰ لما جيء بابن أبي السرح في الحرم .. قال لأصحابه : « ألا قتلتموه ؛ لأنه أفسد ، وفي الحرم ألحد ؟ » ، قالوا : يا رسول الله ، هلاَّ أومضت لنا بعينك ؟ قال : « ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين » .

ودخل بعض الوزراء علىٰ ملك وزوجته حاضرة باهرة سافرة ، فلحظها الوزير بعينه وغمز لها ، فرآه الملك ، فبقي معه أربعين سنة مكسور العين ؛ خوفاً من الملك ، حتىٰ كأن هـٰذه عادته .

والعُمي قد يفتنون بالسماع أكثر من العيان ، كما قال بشار :

يَا قَوْمِ أُذْنِي لِبَعْضِ ٱلْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَٱلأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ ٱلْعَيْنِ أَحْيَانَا

ويستحسن في العين : السعة ، والدعج ؛ وهو شدة سواد النون مع بياض العين ، يقول أحد الشعراء :

قَالُوا: خُذِ ٱلْعَيْنَ مِنْ كُلٍّ، فَقُلْتُ لَهُمْ: فِي ٱلْعَيْنِ فَضْلٌ وَلَكِنْ نَاظِرُ ٱلْعَيْنِ

ودخل أحد الحمقى الحمام ، فرآه الأعمش ، فأطبق عينيه ، فقال الأحمق : من متىٰ عميت يا أعمش ؟ فقال : منذ هتك الله سترك .

وَكَـمْ مَنْظَـرٍ لَـوْلاَ ٱلْحَيَـاءُ رَمَيْتُـهُ ... بِعَيْنٍ كَحَامِي ٱلسَّهْمِ فِي رَشْقَةِ ٱلنَّبْلِ

وكانوا يشكون سهر العيون لفرقة الأحباب ، قال أبو نواس :

شَكَوْنَا إِلَىٰ أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا ... فَقَالُوا لَنَا : مَا أَقْصَرَ ٱللَّيْلَ عِنْدَنَا

وَذَاكَ بِأَنَّ ٱلنَّوْمَ يَغْشَىٰ عُيُونَهُمْ ... يَقِيناً وَلاَ يَغْشَىٰ لَنَا ٱلنَّوْمُ أَعْيُنَا

ويقول الوليد بن يزيد :

لاَ أَسْأَلُ ٱللهَ تَغْيِيـراً لِمَـا صَنَعَـتْ ... نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرَتْ عَيْنَيَّ عَيْنَاهَا

وقد أحسن البوصيري في قوله :

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ ٱكْفُفَا هَمَتَا ... وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ ٱسْتَفِقْ يَهِمِ

وإذا أنكرت العيون الحقائق . . ادعي عليها بقول الشاعر :

فَقُلْ لِلْعُيُونِ ٱلرُّمْدِ: لِلشَّمْسِ أَعْيُنٌ ... تَـرَاهـا بِحَـقٍّ فِـي مَغِيـبٍ وَمَطْلِـعِ

وَسَامِحْ عُيُوناً أَطْفَأَ ٱللهُ نُورَهَا ... بِـأَهْـوَائِهَـا لاَ تَسْتَفِيـقُ وَلاَ تَعِـي

ومن كرامة العين بكاؤها من خشية الله ، فهـٰذا سيد الخلق صلى الله عليه وسلم بكىٰ كثيراً وهو أتقى الخليقة لمولاهم ؛ ففي الصحيح : (أن الرسول صلى الله عليه وسلم استمع لقراءة ابن مسعود ، فلما بلغ قوله تعالىٰ : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ . . قال : « حسبك الآن » ، فنظرت إلىٰ عينيه ، فإذا هي تذرفان) .

وفي السنن : (أنه صلى الله عليه وسلم قام يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء) .

وقال تعالىٰ عن رسله عليهم السلام : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا

وَبُكِيًّا ﴾ ، قرأها أيوب السختياني مع أصحابه ، فسجد بهم ثم قال : هٰذا السجود فأين البكاء ؟

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ ، وهو لوم وتبكيت لكل فاجرٍ ساهٍ لاهٍ عابثٍ لاعب .

وقوله سبحانه للمنافقين : ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ ، فمن ضحك لاهياً في الدنيا وغفل عن ربه . . بكىٰ يوم القيامة علىٰ تسويفه .

وكان عبد الله الصغير ملكاً ضعيفاً في الأندلس ، ترك تدبير الملك ، فلما ضاع ملكه . . بكىٰ ، فقالت أمه :

اِبْكِ مِثْلَ ٱلنِّسَاءِ مُلْكاً مُضَاعاً ... لَمْ تُحَافِظْ عَلَيْهِ مِثْلَ ٱلرِّجَالِ

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم : أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : « رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » ، لأنه الخالي من الناس ، أخلص لربه ، وأبعد عن الرياء .

يقول أبو الطيب :

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا ... وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى

ولهٰذا فإن الأطلال والمعاهد والديار تستدر الدموع ، وتهيج على البكاء ، وما بكى العرب شيئاً كما بكوا الشباب والديار .

يقول أبو العتاهية :

بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي ... فَلَمْ يُغْنِ ٱلْبُكَاءُ وَلاَ ٱلنَّحِيبُ
فَيَا لَيْتَ ٱلشَّبَابَ يَعُودُ يَوْماً ... فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ ٱلْمَشِيبُ

وقال الملك الضليل :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ ٱللِّوَىٰ بَيْنَ ٱلدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

وأحسن من هـٰذا البكاء العابث ما ورد في التاريخ عن عمر وأبي عبيدة : أنهما لما التقيا في الجابية . . قال عمر : تعال يا أبا عبيدة نبك علىٰ تقصيرنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكيا حتىٰ أصبحا ، كما قال الشاعر :

عُبَّـادُ لَيْـلٍ إِذَا جَـنَّ ٱلظَّـلاَمُ بِهِـمْ كَمْ عَابِدٍ دَمْعُهُ فِي ٱلْخَدِّ أَجْرَاهُ

وأكثر بكاء الشعراء على الأطلال وذكرى الحبيب والهيام والغرام ، فأين هـٰذا من البكاء من خشية الله ؟!

إِذَا كَانَ حُبُّ ٱلْهَائِمِينَ مِنَ ٱلْوَرَى بِلَيْلَىٰ وَسَلْمَىٰ يَسْلُبُ ٱللُّبَّ وَٱلْعَقْلاَ
فَمَاذَا عَسَىٰ أَنْ يَصْنَعَ ٱلْهَائِمُ ٱلَّذِي سَرَىٰ قَلْبُهُ شَوْقاً إِلَى ٱلْعَالَمِ ٱلأَعْلَى

فتباً لحب ليس لله ، وسحقاً لعين لا تبكي من خشية الله .

وَمَا ٱلعِزُّ إِلاَّ فِي رِضَا ٱللهِ وَحْدَهُ وَحُبِّ ٱلَّذِي ذَلَّتْ بِهِ ٱللاَّتُ وَٱلْعُزَّىٰ

وكما قال الأول :

سَهَرُ ٱلْعُيُونِ لِغَيْرِ وَجْهِكَ ضَائِعٌ وَرِضَا ٱلْقُلُوبِ بِغَيْرِ دِينِكَ بَاطِلُ

وكان متمم بن نويرة يبكي أخاه كثيراً ، ومن مفرداته قوله :

فَقَـالَ : أَتَبْكِـي كُـلَّ قَبْـرٍ رَأَيْتَـهُ لِقَبْرٍ ثَوَىٰ بَيْنَ ٱللِّوَىٰ فَٱلدَّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ ٱلشَّجَا يَبْعَثُ ٱلشَّجَا فَـدَعْنِـي فَهَـٰذَا كُلُّـهُ قَبْـرُ مَـالِـكِ

وكان عمر يقول له : يا متمم ؛ يا ليتني كنت شاعراً فأرثي أخي زيداً كما رثيت أخاك مالكاً ، فوالله ما هبّت صبا نجد إلا جاءتني برائحة زيد .

يقول ابن المبارك متشوقاً :

هَبَّـتِ ٱلـرِّيـحُ مِـنَ ٱلشَّـرْ قِ فَجَـاءَتْـنِـي بِـرِيحِـكْ
كَيْـفَ أَنْسَـاكِ وَرُوحِـي صُنِعَـتْ مِـنْ جِنْسِ رُوحِـكْ

وعلىٰ ذكر نجد : فقد أكثر الشعراء من بكاء نجد وذكراها ، وذكر الحافظ

ابن دقيق العيد : أنه حضر مجلساً وفيه أحد الصالحين ، فأنشد منشد بصوت جميل :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَاناً لِقَلْبِهِ ... فَقَدْ كَادَ رَيَّاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ

فشهق هـٰذا الصالح ثم سقط مغشياً عليه ، فحركوه فإذا هو ميت .

سَيِّدِي عَلِّلِ ٱلْفُؤَادَ ٱلْعَلِيلاَ ... وَأَحْيِنِي قَبْلَ أَنْ تَرَانِي قَتِيلاَ

إِنْ تَكُنْ عَازِماً عَلَىٰ قَتْلِ رُوحِي ... فَتَرَفَّقْ بِهَا قَلِيلاً قَلِيلاَ

ومن لم يذق هـٰذا . . لم يصدق : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ ﴾ .

لاَ تَعْذُلِ ٱلْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ ... حَتَّىٰ يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ

أو كما قال الأول :

تَرَى ٱلْمُحِبِّينَ صَرْعَىٰ فِي دِيَارِهِمُ ... كَفِتْيَةِ ٱلْكَهْفِ لاَ يَدْرُونَ كَمْ لَبِثُوا

ولما خرج صلاح الدين للجهاد وسمع منشداً يقول :

تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ ٱلْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

قال : هـٰذا نعىٰ لي أجلي ، فمات في ذاك السفر ، رحم الله تلك الروح ، وأسبل علىٰ عظامه صوب الغمام .

ويعجبني كثيراً كثيراً قول أبي الطيب :

نَحنُ أَدْرَىٰ وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ ... أَقَصِيرٌ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ

وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلسُّؤَالِ ٱشْتِيَاقٌ ... وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ

وقال الحجّي من المعاصرين :

يَا سَاكِنِي نَجْدٍ أَنِّي بَعْدَ بَيْنِكُمْ ... كَأَنَّمَا قَدْ شَوَى ٱلأَضْلاَعَ سَفُّودُ

وما أقول في ديار الأحباب إلا كما قال جرير :

ذُمَّ ٱلْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ ٱللِّوَى ... وَٱلْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ ٱلأَقْوَامِ

ولله هـٰذا البيت تكاد تشرق حروفه ، ولا أزال معي صديقي الدكتور عبد العزيز المقحم نقلبه ونتأمله ونتشاجىٰ به .

وهـٰذا أبو الطيب يقول :

وَمَا شَرَقِي بِٱلْمَاءِ إِلاَّ تَذَكُّراً ... لِمَاءٍ بِهِ أَهْلُ ٱلْحَبِيبِ نُزُولُ

ويا له من بيت هزّ أعماقي ، واستولىٰ علىٰ مشاعري ، وليس بغريب على إمبراطور الشعراء .

ومن روائع ابن الأحنف :

بَكَيْتُ عَلَىٰ سِرْبِ ٱلْقَطَا إِذْ مَرَرْنَ بِي ... فَقُلْتُ وَمِثْلِي بِٱلْبُكَاءِ جَدِيرُ

أَسِرْبَ ٱلْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ ... لَعَلِّي إِلَىٰ مَنْ قَدْ هَوِيتُ أَطِيرُ

وقد رأينا شيخنا ابن باز بكىٰ بكاء طويلاً ، ودموعه تذرف كأنها الدرر ، فقلت :

عَفْواً لَكَ ٱللهُ قَدْ أَحْبَبْتُ طَلْعَتَكُمْ ... لأَنَّهَا ذَكَّرَتْنِي سَيْرَ أَسْلاَفِي

وما أجمل الدمع الصادق من خشية الله ، كم يغسل من الخطايا ، فيا رحمـٰن ؛ تجاوز عنا .

إِذَا كَانَ هَـٰذَا ٱلدَّمْعُ يَجْرِي صَبَابَةً ... عَلَىٰ غَيْرِ سَلْمَىٰ فَهْوَ دَمْعٌ مُضَيَّعُ

ولمن يُخزَّن الدمعُ إذا لم يُسفح لمرضاته ؟ ولمن يُصان الدمُ إذا لم يُسفك لنصرة آياته ؟

ويعجبني قول طلحة في أحد : (اللهم ؛ خذ من دمي هـٰذا اليوم حتىٰ ترضىٰ) .

وعلىٰ خبر نجد المتقدم : فإن الشريف الرضي له قصيدة فاتنة في نجد يقول فيها :

يَا صَاحِبَيَّ قِفَا لِي وَٱقْضِيَا وَطَراً ... لِمُغْرَمِ ٱلْقَلْبِ صَبٍّ رَبِّ أَسْمَارِ
وَعَلِّلاَنِي بِذِكْرَىٰ مَنْ وَلِعْتُ بِهِمْ ... وَخَبِّرَانِيَ عَنْ نَجْدٍ بِأَخْبَارِ

ويقول في آخرها :

تَضُوعُ أَرْوَاحُ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمُ ... عِنْدَ ٱلنُّزُولِ لِقُرْبِ ٱلْعَهْدِ بِٱلدَّارِ

وقد أقمت بالرياض من خمس عشرة سنة ، فقلت في مطلع قصيدة عارضني فيها جمع من الشعراء :

نَجْدُ ٱلْهَوَىٰ وَٱلسِّحْرِ يَا أَرْضَ ٱلْحِمَى ... أَلْمَجْدُ فَوْقَ تُرَابِ صُورَتِكِ ٱرْتَمَى
صَلَّتْ عَلَىٰ شَفَتَيْكِ يَا نَجْدَ ٱلْهُدَى ... قُبُلاَتُ مَنْ زَارَ ٱلْحَطِيمَ وَزَمْزَمَا

ولي من قصيدة تقارب ثمانين بيتاً :

خُذْ يَا صَبَا نَجْدٍ فَضْلاً وَحْيَ أَفْكَارِي ... فَنَجْدُ مَرْفَأُ تَرْحَالِي وَإِبْحَارِي

وأعود إلى البكاء والدموع والعيون ؛ فحديثها طويل له ذيول ، وقد بكى العظماء في المناسبات .

ذكر : أن ابن الزبير لما جاءه خبر مقتل أخيه مصعب بالعراق.. ذرفت عينه ، ثم قال :

وَلَيْسَ عَلَى ٱلأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا ... وَلَكِنْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا تَقْطُرُ ٱلدِّمَا

وأسرة آل الزبير من أشجع الناس ، وقع بهم القتل ، فشجاعتهم واستبسالهم في الجاهلية والإسلام .

ولما توفي إبراهيم ابن رسولنا صلى الله عليه وسلم.. قال : « تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا » .

وقد كتب الزيات في مجلة الرسالة مقالة يرثي فيها ابنه ، تكاد تذهب بالعقول .

ولما مات محمد بن الحجاج . . وضع أمامه أكفانه ، فبكى الحجاج وقال :

أَلآنَ لَمَّا كُنْتَ أَكْمَلَ مَنْ مَشَى وَٱفْتَرَّ نَابُكَ عَنْ شَبَاةِ ٱلْقَارِحِ
وَتَكَامَلَتْ فِيكَ ٱلْمُرُوءَةُ كُلُّهَا وَأَعنتَ ذَلِكَ بِٱلْفَعَالِ ٱلصَّالِحِ

فزجره الحسن البصري عن الجزع .

وكما قال أبو الطيب :

إِنِّي لأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحِسُّ نَفْسِي بِٱلْحِمَامِ فَأَشْجَعُ

وكم أشجاني بيتان ذكرهما الطنطاوي في مذكرته لأحد الشعراء عن الديار يقول فيهما :

مَا فِي ٱلْمَنَازِلِ مُخْبِرٌ إِلاَّ ٱلصَّدَىٰ لِمُصَوِّتِ
نَادَيْتُ : أَيْنَ أَحِبَّتِي فَأُجِبْتُ : أَيْنَ أَحِبَّتِي

وديارنا في الحقيقة هي جنات النعيم ، منزل أبينا آدم عليه السلام كما قال ابن القيم :

فَحَيَّ عَلَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ ٱلأُولَىٰ وَفِيهَا ٱلْمُخَيَّمُ

يقول أحد العلماء : يا ابن آدم ؛ عدوك سباك من أوطانك ، وأخرج أمك وأباك ، فابذل الغالي والرخيص في فكاك رقبتك من النار ، والعودة إلىٰ جنات النعيم .

وعدنا إلى الحديث عن العيون ، وذكرت ما قال أشعر قريش الشريف الرضي في قصيدته العامرة (يا ظبية البان) ، إذ يقول :

كَأَنَّ طَرْفَكِ يَوْمَ ٱلْجِزْعِ يُخْبِرُنَا بِمَا طَوَىٰ عَنْكِ مِنْ أَسْمَاءِ قَتْلاَكِ

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « العين حق ، ولو كان شيء يسبق القدر . . لسبقته العين » .

يقول أحد العلماء : العين تُنـزل الرجل القبر ، والجمل القدر .

وأصلها في قوله سبحانه : ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ ، قال بعض المفسرين : يسقطونك بالعين .

يقول أحدهم في ماجد :

مَجْدٌ إِلَى ٱلْعَيْبِ مُحْتَاجٌ يُصَانُ بِهِ   مِنْ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ أَوْ مِنْ أَسْهُمِ ٱلزَّمَنِ

* * *

ألا يا صبا نجد

إذا ذكرنا نجد ، ثار الوجد ، واستجاب المجد .

يا نجد ؛ أنتِ مهبط وحي العربيّة ، ومسقط رأس الشاعرية ، علىٰ رحابكِ سفكت دماء المحبين ، وسالت دموع المعجبين ، وعلىٰ بساطك وقعت جواهر البيان ، وبسقت لآلىء العرفان .

يا نجد ؛ أنتِ أرض الحب والغرام ، والعشق والهيام ، في رأسكِ ذاكرة الأيام ، وفي صدركِ مفكرة الأحلام ، هنا ملاعب طَسْم وجَديس ، ومفاتن امرىء القيس ، ومعاطن العيس ، هنا سحر القافية يلعب بالأذهان ، هنا للشعر سوق ومهرجان ، وللحب روض وبستان .

جدد التوحيد في نجد فصار غضّاً طريّاً ، وولد الحب نجديّاً ، وعاش الدين بها أبديّاً ، وصار الوفاء بها سرمديّاً ، لنجدٍ في قلبي منازل وخيام ، وبيوت وأعلام ، ولها في ذاكرتي صور وأفلام ، ومشاهد وأحلام .

يا صاحبيّ علىٰ نجد قفا نبك ، ومن هواها تعالا نشتكِ .

في نجد أم البنين الأربعة ، وعامر بن صعصعة ، المطعمون الجفنة المدعدعة ، والضاربون الهام يوم المعمعة .

من نجد انطلق الموحّدون ، وأنشد منها قيس بن ميمون ، وفيها عشق عروة بن حزام والمجنون .

في نجد الخزامىٰ والشِّيح ، والروض الفسيح ، والشعر الفصيح ، وشذا المسك تذروه الريح .

نجدٌ ثلاثة أحرف : نون ، وجيم ، ودال .

فالنون : فنون ، وشجون ، وعيون ، وفتون .

والجيم : جلال ، وجمال ، وجهاد ، وجلاد .

والدال في نجد : سنة وكتاب ، وعلوم ، وآداب ، وأحساب ، وأنساب ، ومجدد الدعوة محمد بن عبد الوهاب .

جاءتنا حمامة ، من اليمامة ، فأخبرتنا أن مسيلِمة ترك إسلامه ، وعصىٰ إمامه ، فخلع خالد العمامة ، وربط حزامه ، وسَلّ حسامه ، ففصل من مسيلِمة الهامة ، وقصّ عظامه .

فأهدت نجد المجدد ، والموحد ، والمسدد .

فالمجدد : ابن عبد الوهاب ، جدد للتوحيد الشباب ، وألبسه أحسن الثياب ، فجزاه الله أوفر الثواب .

والموحد : حصن الهمة الحريز ، وشارح كتاب المجد الوجيز ، الملك عبد العزيز .

والمسدد : الرجل الممتاز ، الذي حوىٰ كل فضل وحاز ، عبد العزيز بن باز .

من حنجرة نجد انطلقت في الظهيرة ، صرخة : (ودِّع هريرة . . .) ، ومن نجد أقبل الرجل المفضال ، والداعية الرحّال ، ثمامة بن أثال .

ونجد لا تقبل الرذيل ، ولا تعشق الدخيل ، ولذلك قتلت العميل ، عامر بن الطفيل ؛ لأنه كذب بالتنـزيل .

من نجد هب جيش بكر بن وائل الشجعان ، فهزموا صاحب الإيوان ، كسرىٰ أنوشروان .

وسوف يهب من نجد بنو تميم ، في جيش عظيم ، لحرب الدجال الأثيم ، كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « أشد أمتي على الدجال بنو تميم » .

من نجد هب عمرو بن كلثوم ، بسيفه المثلوم ، على الملك الغشوم ، عمرو بن هند الظلوم ، ثم أرسل إلى الشعوب ، قصيدته التي تعصف بالقلوب ، فسارت في الناس مغرّبة مشرّقة ، وجعلتها العرب معلّقة .

ومن نجد المحدث الكبير ، والعالم الأثير ، صاحب الدر النثير ، يحيى بن أبي كثير .

من نجد خرج الأعشىٰ يتمشىٰ ، بعد أن تعشىٰ ، فتوجه إلى المدينة ليعلن إسلامه ، فلقيه أبو سفيان فخاف مقامه ، وأعطاه خطامه ، ليعود لليمامة ، فعاد بجمله ، وأرخىٰ زمامه ، وأطلق خطامه ، فأسقطه فكسّر عظامه ، فباء بالخسران والندامة ، وله قصيدة فريدة ، يصف ويبعث فيها همومه المريدة .

في نجد شعر عجب ، خذ شعر امرىء القيس إذا شرب ، والأعشىٰ إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، وابن كلثوم إذا غضب .

شعر امرىء القيس كالخمر المعتّق ، تكاد القلوب منه تتشقق ، والعروق تتفتق ، والدموع تتدفق ، فإذا سمعْتَه . . فترفق .

وشعر الأعشىٰ ، كالحمَّىٰ ، يتركك كالمغْمَىٰ ، أو كأنك أعمىٰ ، وهو من الغيث أهمىٰ ، ومن النجم أسمىٰ .

وشعر النابغة سحر حلال ، لكنه يُذهب عقول الرجال ، وله روعة وجمال ، وأبهة وكمال .

وشعر زهير كالماء الزلال ، فيه صدق واعتدال ، وحق وجلال ، بعيد عن السخف والإملال .

وشعر ابن كلثوم يسابق حسامه ، كأنه بروق تهامة ؛ لأن صاحبه طالبُ زعامة ، يريد العزة والكرامة .

لما كان الشعر في روابي نجد الخضراء ، وفي فيافيها الفيحاء . . كان آية في الحسن والنبل والبهاء ، فلما دخل الشعر إلى القصور ، وسكن الدور . . خرج كأنه جلد ثور ، لا يطبخ في القدور ، ولا يهبط من النحور .

يحتاج البيان إلىٰ خيمة مضروبة ، ورابية منصوبة ، وخضرة وخصوبة ؛ لترى الأمثال المضروبة ، والمعاني المرغوبة ، ولما صار القلم بجانب التلفاز ، والعقل بجوار الجهاز . . ذهب البيان والإعجاز ، وغرُب الإبداع والإنجاز .

والسلام علىٰ نجد التوحيد ، ما تردد تغريد ، وعذب نشيد ، وطاب قصيد ، وعاد عيد ، ورحمة الله عليكم أهل نجد إنه حميد مجيد .

❊ ❊ ❊

فرائد وقلائد

وُلِدَ ٱلْهُدَىٰ فَٱلْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ ٱلزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ

* * *

هُوَ ٱلْبَحْرُ مِنْ أَيِّ ٱلنَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلُجَّتُهُ ٱلْمَعْرُوفُ وَٱلْجُودُ سَاحِلُهْ

* * *

لاَ يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا

* * *

سَأَشْكُرُ عَمْراً إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

* * *

بِيضُ ٱلْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمُّ ٱلأُنُوفِ مِنَ ٱلطِّرَازِ ٱلأَوَّلِ

* * *

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاَقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي

* * *

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي ٱلْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

* * *

قَوْمٌ إِذَا ٱلشَّرُّ أَبْدَىٰ نَاجِذَيْهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

* * *

إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلاَقُنَا شَرَفاً أَنْ نَبْتَدِي بِٱلأَذَىٰ مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا

وَنَشْـرَبُ إِنْ وَرَدْنَـا ٱلْمَـاءَ صَفْـواً   وَيَشْـرَبُ غَيْـرُنَـا كَـدَراً وَطِينَـا

* * *

قَوْمٌ هُمُ ٱلأَنْفُ وَٱلأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ   وَمَـنْ يُسَـوِّي بِـأَنْـفِ ٱلنَّـاقَـةِ ٱلـذَّنَبَا

* * *

أَأَذْكُـرُ حَـاجَتِـي أَمْ قَـدْ كَفَـانِـي   حَيَـاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَـكَ ٱلْحَيَـاءُ

* * *

هَيْنُـونَ لَيْنُـونَ أَيْسَـارُ ذَوُو يُسْـرِ   سُـوَّاسُ مَكْـرُمَـةٍ أَبْنَـاءُ أَيْسَـارِ

* * *

أَغَـرُّ أَبْلَـجُ يُسْتَسْقَـى ٱلْغَمَـامُ بِـهِ   لَوْ صَارَعَ ٱلنَّاسَ عَنْ أَحْلاَمِهِمْ صَرَعَا

* * *

مُحَسَّـدُونَ عَلَـىٰ مَـا كَـانَ مِـنْ نِعَـمٍ   لاَ يَنْـزِعِ ٱللهُ مِنْهُـمْ مَـا لَـهُ حُسِـدُوا

* * *

فَـٱلْخَيْـلُ وَٱللَّيْـلُ وَٱلْبَيْـدَاءُ تَعْـرِفُنِـي   وَٱلسَّيْفُ وَٱلرُّمْحُ وَٱلْقِرْطَاسُ وَٱلْقَلَمُ

* * *

وَفِيهِـمْ مَقَـامَـاتٌ حِسَـانٌ وُجُـوهُهُـمْ   وَأَنْـدِيَـةٌ يَنْتَـابُهَـا ٱلْقَـوْلُ وَٱلْفِعْـلُ

* * *

كَـأَنَّ مُثَـارَ ٱلنَّقْـعِ فَـوْقَ رُؤُسِهِـمْ   وَأَسْيَـافَنَـا لَيْـلٌ تَهَـاوَىٰ كَـوَاكِبُـهْ

* * *

أَحْـلاَمُنَـا تَـزِنُ ٱلْجِبَـالَ رَزَانَـةً   وَتَخَـالُنَـا جِنّـاً إِذَا مَـا نَجْهَـلُ

* * *

فَمَـا لِلْمَـرْءِ خَيْـرٌ فِـي حَيَـاةٍ   إِذَا مَـا عُـدَّ مِـنْ سَقَـطِ ٱلْمَتَـاعِ

إِنَّـا لَمِـنْ مَعْشَـرٍ أَفْنَـىٰ أَوَائِلَهُـمْ   قِيلُ ٱلْكُمَاةِ : أَلاَ أَيْنَ ٱلْمُحَامُونَا

* * *

أَلاَ لاَ يَجْهَلَـــنْ أَحَـــدٌ عَلَيْنَـــا   فَنَجْهَـلَ فَـوْقَ جَهْـلِ ٱلْجَـاهِلِينَـا

* * *

تَسِيلُ عَلَـىٰ حَـدِّ ٱلظُّبَاتِ نُفُـوسُنَـا   وَلَيْسَـتْ عَلَـىٰ غَيْـرِ ٱلظُّبَـاتِ تَسِيـلُ

* * *

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يُدْنَسْ مِنَ ٱللُّؤْمِ عِرْضُهُ   فَكُــلُّ رِدَاءٍ يَــرْتَــدِيــهِ جَمِيــلُ

* * *

وَإِنِّـي وَإِنْ كُنْـتُ ٱلأَخِيـرَ زَمَـانُـهُ   لآتٍ بِمَـا لَـمْ تَسْتَطِعْـهُ ٱلأَوَائِـلُ

* * *

أَنَـا ٱلَّـذِي نَظَـرَ الأَعْمَـىٰ إِلَـىٰ أَدَبِـي   وَأَسْمَعَـتْ كَلِمَـاتِـي مَـنْ بِـهِ صَمَـمُ

* * *

وَإِنَّمَـــا أَوْلاَدُنَـــا بَيْنَنَـــا   أَكْبَـادُنَـا تَمْشِـي عَلَـى ٱلأَرْضِ

* * *

هَـلاَّ سَـأَلْـتِ ٱلْخَيْـلَ يَـا ٱبْنَـةَ مَـالِـكٍ   إِنْ كُنْـتِ جَـاهِلَـةً بِمَـا لَـمْ تَعْلَمِـي

* * *

يَـا جَـارَةَ ٱلْـوَادِي طَـرِبْـتُ وَعَـادَنِـي   مَـا يُشْبِـهُ ٱلأَحْـلاَمَ مِـنْ ذِكْـرَاكِ

* * *

لَيْلَتِـي هَـٰـذِهِ عَـرُوسٌ مِـنَ ٱلـزِّنْـــجِ عَلَيْهَـا قَـلاَئِـدٌ مِـنْ جُمَـانِ

* * *

أَتَاكَ ٱلرَّبِيعُ ٱلطَّلْقُ يَخْتَالُ ضَاحِكاً   مِـنَ ٱلْحُسْـنِ حَتَّـىٰ كَـادَ أَنْ يَتَكَلَّـمَـا

نَصَحْتُكَ فَٱلْتَمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي   طَعَــامــاً إِنَّ لَحْمِــي كَــانَ مُــرَّا

* * *

مِكَــرٍّ مِفَــرٍّ مُقْبِــلٍ مُــدْبِــرٍ مَعــاً   كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ

* * *

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى ٱلْقَذَى   ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

* * *

مَـنْ يَفْعَلِ ٱلْخَيْـرَ لاَ يَعْـدَمْ جَـوَازِيَـهُ   لاَ يَذْهَبُ ٱلْعُرْفُ بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ

* * *

فَغُــضَّ ٱلطَّــرْفَ إِنَّــكَ مِــنْ نُمَيْــرٍ   فَــلاَ كَعْبــاً بَلَغْــتَ وَلاَ كِــلاَبَــا

* * *

فَحُبُّ ٱلْجَبَانِ ٱلنَّفْسَ أَوْرَدَهُ ٱلتُّقَى   وَحُبُّ ٱلشُّجَاعِ ٱلنَّفْسَ أَوْرَدَهُ ٱلْحَرْبَا

* * *

فَطَعْــمُ ٱلْمَــوْتِ فِــي أَمْــرٍ صَغِيــرٍ   كَطَعْــمِ ٱلْمَــوْتِ فِــي أَمْــرٍ عَظِيــمِ

* * *

إِذَا ٱعْتَــادَ ٱلْفَتَــىٰ خَــوْضَ ٱلْمَنَــايَــا   فَــأَهْــوَنُ مَــا يَمُــرُّ بِــهِ ٱلْــوُحُــولُ

* * *

ضِــدَّانِ لِمَّــا ٱسْتَجْمَعَــا حَسُنَــا   وَٱلضِّــدُّ يُظْهِــرُ حُسْنَــهُ ٱلضِّــدُّ

* * *

قُبَيِّلَــةٌ لاَ يَغْــدِرُونَ بِــذِمَّــةٍ   وَلاَ يَظْلِمُــونَ ٱلنَّــاسَ حَبَّــةَ خَــرْدَلِ

* * *

دَعِ ٱلْمَكَــارِمَ لاَ تَــرْحَــلْ لِبُغْيَتِهَــا   وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

تَعَــبٌ كُلُّهَــا ٱلْحَيَــاةُ فَمَــا أَعْـــــجَبُ إِلاَّ مِـنْ رَاغِـبٍ فِـي ٱزْدِيَـادِ

* * *

وَكَـانَـتْ فِـي حَيَـاتِـكَ لِـي عِظَـاتٌ وَأَنْــتَ ٱلْيَــوْمَ أَوْعَــظُ مِنْـكَ حَيَّـا

* * *

لَــوْلاَ ٱلْحَيَــاءُ لَعَــادَنِــي ٱسْتِعْبَــارُ وَلَــزُرْتُ قَبْــرَكِ وَٱلْحَبِيــبُ يُــزَارُ

* * *

ذَهَــبَ ٱلَّــذِيـنَ يُعَـاشُ فِـي أَكْنَـافِهِـمْ وَبَقِيتُ فِي خَلَفٍ كَجِلْدِ ٱلأَجْرَبِ

* * *

إِذَا غَضِبَــتْ عَلَيْــكَ بَنُــو تَمِيــمٍ حَسِبْــتَ ٱلنَّــاسَ كُلَّهُــمُ غِضَــابَــا

* * *

ذَهَــبَ ٱلشَّبَـابُ فَمَـا لَـهُ مِـنْ عَـوْدَةٍ وَأَتَى ٱلْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ ٱلْمَهْرَبُ

* * *

وَلُبْــسُ عَبَــاءَةٍ وَتَقَــرَّ عَيْنِــي أَحَــبُّ إِلَــيَّ مِــنْ لُبْـسِ ٱلشُّفُـوفِ

* * *

وَمَــنْ يَـكُ ذَا فَـمٍ مُـرٍّ مَـرِيـضٍ يَجِــدْ مُــرّاً بِــهِ ٱلْمَــاءَ ٱلــزُّلاَلاَ

* * *

وَمَنْ يُنْفِقِ ٱلسَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَـافَـةَ فَقْـرٍ فَـٱلَّـذِي فَعَـلَ ٱلْفَقْـرُ

* * *

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي ٱلضَّوَارِبُ بِٱلْحَصَى وَلاَ زَاجِـرَاتُ ٱلطَّيْـرِ مَـا ٱللهُ صَـانِـعُ

* * *

غِــبْ وَزُرْ غِبّــاً تَــزِدْ حُبّــاً فَمَــنْ أَكْثَــرَ ٱلتَّــرْدَادَ أَقْصَــاهُ ٱلْمَلَــلْ

أُعَلِّــلُ ٱلنَّفْــسَ بِــٱلآمَــالِ أَرْقُبُهَــا مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلاَ فُسْحَةُ ٱلأَمَلِ

* * *

تَقِفُــونَ وَٱلْفُلْــكُ ٱلْمُسَخَّــرُ دَائِــرٌ وَتُقَــدِّرُونَ فَتَضحَــكُ ٱلأَقْــدَارُ

* * *

بِقَــدْرِ ٱلْجِــدِّ تُكْتَسَــبُ ٱلْمَعَــالِـي وَمَــنْ رَامَ ٱلْعُـلاَ سَهِـرَ ٱللَّيَــالِـي

* * *

أَحْسِنْ إِلَى ٱلنَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ فَطَـالَمَـا ٱسْتَعْبَـدَ ٱلإِنْسَـانَ إِحْسَـانُ

* * *

وَإِنَّ ٱمْـرَأً قَـدْ سَـارَ خَمْسِيـنَ حِجَّـةً إِلَــىٰ مَنْهَــلٍ مِــنْ وِرْدِهِ لَقَــرِيــبُ

* * *

جِــرَاحَــاتُ ٱلطِّعَــانِ لَهَــا ٱلْتِئَــامُ وَلاَ يَلْتَــامُ مَــا جَــرَحَ ٱللِّسَــانُ

* * *

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ ٱلْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَـدْرُ ٱلَّـذِي يُسْتَـوْدَعُ ٱلسِّرَّ أَضْيَقُ

* * *

لِسَـانُ ٱلْفَتَـىٰ نِصْـفٌ وَنِصْـفٌ فُـؤَادُهُ فَلَـمْ يَبْـقَ إِلاَّ صُـورَةُ ٱللَّحْـمِ وَٱلـدَّمِ

* * *

يَمُــوتُ ٱلْفَتَــىٰ مِــنْ عَثْـرَةٍ بِلِسَـانِـهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ ٱلْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ ٱلرِّجْلِ

* * *

وَٱلصَّمْــــتُ أَجْمَــــلُ بِــــٱلْفَتَــــى مِــــنْ مَنْطِــقٍ فِــي غَيْــرِ حِينِــهْ

* * *

وَٱعْلَـمْ بِـأَنَّ مِـنَ ٱلسُّكُـوتِ إِبَـانَـةً وَمِـنَ ٱلتَّكَلُّـمِ مَـا يَكُـونُ خَبَـالاَ

إِذَا ٱمْتَحَنَ ٱلدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

* * *

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ ٱلذُّنُوبِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِي لاَ تُعَاتِبُهْ

* * *

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ ٱلْمَرْءُ يُولَدُ عَالِماً وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

* * *

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ ٱلأَسِنَّةَ مَرْكَبٌ فَمَا حِيلَةُ ٱلْمُضْطَرِّ إِلاَّ رُكُوبُهَا

* * *

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ ٱمْرِىءٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَىٰ عَلَى ٱلنَّاسِ تُعْلَمِ

* * *

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلاً فَأَرْسِلْ حَكِيماً وَلاَ تُوصِهِ

* * *

وَلَمْ أَرَ كَٱلْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

* * *

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لاَ تَنْقَضِي

* * *

يَعِيشُ ٱلْمَرْءُ مَا ٱسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى ٱلْعُودُ مَا بَقِيَ ٱللِّحَاءُ

* * *

أَخْلِقْ بِذِي ٱلصَّبْرِ أَنْ يَحْظَىٰ بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ ٱلْقَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

* * *

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرِماً لِلْمَوْتُ كَأْسٌ وَٱلْمَرْءُ ذَائِقُهَا

عَنِ ٱلْمَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُـلُّ قَـرِيـنٍ بِـٱلْمُقَـارِنِ يَقْتَـدِي

* * *

إِذَا لَـمْ تَسْتَطِـعْ شَيْئـاً فَـدَعْـهُ وَجَـاوِزْهُ إِلَـىٰ مَـا تَسْتَطِيـعُ

* * *

وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُـنْ حَمْـدُهُ ذَمّـاً عَلَيْـهِ وَيَنْـدَمِ

* * *

وَٱلنَّفْـسُ رَاغِبَـةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَـا وَإِذَا تُـرَدُّ إِلَـىٰ قَلِيـلٍ تَقْنَـعُ

* * *

إِنَّ ٱلْغُصُـونَ إِذَا قَـوَّمْتَهَـا ٱعْتَـدَلَـتْ وَلَـنْ تَلِيـنَ إِذَا قَـوَّمْتَهَـا ٱلْخُشُـبُ

* * *

بُغَـاثُ ٱلطَّيْـرِ أَكْثَـرُهَـا فِـرَاخـاً وَأُمُّ ٱلصَّقْـرِ مِقْـلاَةٌ نَـزُورُ

* * *

وَظُلْمُ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى ٱلْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ ٱلْحُسَامِ ٱلْمُهَنَّدِ

* * *

تُعَيِّـرُنَـا أَنَّـا قَلِيـلٌ عَـدِيـدُنَـا فَقُلْـتُ لَهَـا : إِنَّ ٱلْكِـرَامَ قَلِيـلُ

* * *

ٱبْـدَأْ بِنَفْسِـكَ وَٱنْهَهَـا عَـنْ غَيِّهَـا فَـإِذَا ٱنْتَهَـتْ عَنْـهُ فَـأَنْـتَ حَكِيـمُ

* * *

تَعْدُو ٱلذِّئَابُ عَلَىٰ مَنْ لاَ كِلاَبَ لَهُ وَتَتَّقِـي مَـرْبَـضَ ٱلْمُسْتَنْفِـرِ ٱلْحَـامِـي

* * *

أَرَى ٱلْمَوْتَ يَعْتَامُ ٱلْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَـةَ مَـالِ ٱلْفَـاحِـشِ ٱلْمُتَشَـدِّدِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ ٱلْمَنِيَّةِ يَلْقَهَا   وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَاءِ بِسُلَّمِ

* * *

فَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ   سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا ٱلرَّخَاءُ

* * *

وَفِي ٱلأَرْضِ مَنْأًى لِلْكَرِيمِ عَنِ ٱلأَذَى   وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ ٱلْقِلَىٰ مُتَعَزَّلُ

* * *

فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي   فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

* * *

يَا ظَبْيَةَ ٱلْبَانِ تَرْعَىٰ فِي خَمَائِلِهِ   لِيَهْنَكِ ٱلْيَوْمَ أَنَّ ٱلْقَلْبَ مَرْعَاكِ

* * *

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ   فَلاَ تَقْنَعْ بِمَا دُونَ ٱلنُّجُومِ

* * *

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱلْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ   وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

* * *

ذِكْرُ ٱلْفَتَىٰ عُمْرُهُ ٱلثَّانِي ، وَحَاجَتُهُ   مَا قَاتَهُ ، وَفُضُولُ ٱلْعَيْشِ أَشْغَالُ

* * *

وَٱلْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا   فَهُوَ ٱلَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا

* * *

وَفِي ٱلسَّمَاءِ نُجُومٌ لاَ عِدَادَ لَهَا   وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلاَّ الشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

* * *

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدُ

مَـنْ رَاقَـبَ ٱلنَّـاسَ مَـاتَ غَمّـاً وَفَـازَ بِـالـلَّـذَّةِ ٱلْجَسُـورُ

* * *

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي بَنُو ٱللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانِ

* * *

قَـدْ هَيَّـؤُوكَ لأَمْـرٍ إِنْ فَطِنْـتَ لَـهُ فَٱرْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَىٰ مَعَ ٱلْهَمَلِ

* * *

لَيْسَ ٱلْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلاً إِنَّ ٱلسَّمَـاءَ تُـرَجَّـىٰ حِيـنَ تَحْتَجِـبُ

* * *

أَنَـا ٱبْـنُ جَـلاَ وَطَـلاَّعُ ٱلثَّنَـايَـا مَتَـىٰ أَضَـعِ ٱلْعِمَـامَـةَ تَعْـرِفُـونِـي

* * *

أُذْكُـرُونَـا مِثْـلَ ذِكْـرَانَـا لَكُـمْ رُبَّ ذِكْـرَىٰ قَـرَّبَـتْ مَـنْ نَـزَحَـا

* * *

وَٱعْلَـمْ بِـأَنَّ عَلَيْـكَ ٱلْعَـارَ تَلْبَسُـهُ مِنْ عَضَّةِ ٱلْكَلْبِ لاَ مِنْ عَضَّةِ ٱلأَسَدِ

* * *

وَلَـوْ لَـمْ يَكُـنْ فِـي كَفِّـهِ غَيْرُ رُوحِـهِ لَجَـادَ بِهَـا فَلْيَتَّـقِ ٱللهَ سَـائِلُـهْ

* * *

لَمَعَـتْ نَـارُهُـمْ وَقَـدْ عَسْعَـسَ ٱللَّيْـلُ وَمَـلَّ ٱلْحَـادِي وَتَـاهَ ٱلـدَّلِيـلُ

* * *

هَـٰذَا ٱلَّذِي تَعْرِفُ ٱلْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ وَٱلْبَيْـتُ يَعْـرِفُـهُ وَٱلْحِـلُّ وَٱلْحَـرَمُ

* * *

وَمَـا حُـبُّ ٱلـدِّيَـارِ شَغَفْـنَ قَلْبِـي وَلَكِـنْ حُـبُّ مَـنْ سَكَـنَ ٱلـدِّيَـارَا

عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ ٱلْعَزْمِ تأْتِي ٱلْعَزائِمُ وَتَـأْتِي عَلَـىٰ قَـدْرِ ٱلْكِـرَامِ ٱلْمَكَـارِمُ

* * *

دَعِ ٱلْمَقَـادِيـرَ تَجْـرِي فِـي أَعِنَّتِهَـا وَلاَ تَبِيتَــنَّ إِلاَّ خَــالِــيَ ٱلْبَــالِ

* * *

وَإِذَا أَرَادَ ٱللهُ نَشْــــرَ فَضِيلَــــةٍ طُـوِيَـتْ أَتَـاحَ لَهَـا لِسَـانَ حَسُـودِ

* * *

إِذَا مَا خَلَوْتَ ٱلدَّهْرَ يَوْماً فَلاَ تَقُلْ خَلَـوْتُ وَلَكِـنْ قُـلْ عَلَـيَّ رَقِيـبُ

* * *

مَتَىٰ تَـأْتِـهِ تَعْشُـو إِلَـىٰ ضَـوْءِ نَـارِهِ تَجِـدْ خَيْـرَ نَـارٍ عِنْدَهَـا خَيْـرُ مُـوقِـدِ

* * *

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ مَا ٱلْبُكَا وَلاَ مُوجِعَاتِ ٱلْقَلْبِ حَتَّىٰ تَوَلَّتِ

* * *

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْيَزِيدَيْنِ فِي ٱلنَّدَى يَزِيدِ بْنِ عَمْرٍو وَٱلأَغَرِّ ٱبْنِ حَاتِمِ

* * *

وَمُشَتَّـتِ ٱلْعَـزَمَـاتِ يُنْفِـقُ عُمْـرَهُ حَيْــرَانَ لاَ ظَفَــرٌ وَلاَ إِخْفَــاقُ

* * *

جَرَتِ ٱلرِّيَاحُ عَلَىٰ مَكَانِ دِيَارِهِمْ فَكَــأَنَّمَــا كَــانُــوا عَلَــىٰ مِيعَــادِ

* * *

لِكُـلِّ شَـيْءٍ إِذَا مَـا تَـمَّ نُقْصَـانُ فَــلاَ يُغَـرَّ بِطِيـبِ ٱلْعَيْـشِ إِنْسَـانُ

* * *

وَمَـا كُـلُّ دَارٍ أَقْفَـرَتْ دَارُ عَــزَّةٍ وَلاَ كُـلُّ مَصْقُـولِ ٱلتَّـرَائِـبِ زَيْنَـبُ

أَتَيْـأَسُ أَنْ تَـرَىٰ فَـرَجـاً فَــأَيْــنَ ٱللهُ وَٱلْقَــدَرُ

* * *

تفُــتُّ فُــؤَادَكَ ٱلأَيَّــامُ فَتّــاً وَتَنْحِـتُ جِسْمَـكَ ٱلسَّـاعَـاتُ نَحْتَـا

* * *

أَلاَ لاَ أَرَى ٱلأَحْدَاثَ حَمْداً وَلاَ ذَمّاً فَمَـا بَطْشُهَـا جَهْـلاً وَلاَ كَفُّهَـا حِلْمَـا

* * *

يَـا عَـابِـدَ ٱلْحَـرَمَيْـنِ لَـوْ أَبْصَـرْتَنَـا لَعَلِمْـتَ أَنَّـكَ فِـي ٱلْعِبَـادَةِ تَلْعَـبُ

* * *

فَقَدْ هَدَّ قِدْماً عَرْشَ بِلْقِيسَ هُدْهُدٌ وَخَـرَّبَ فَـأْرٌ عَنْـوَةً سَـدَّ مَـأْرِبِ

* * *

أَلاَ يَـا حَمَـامَ ٱلأَيْكِ إِلْفُكَ حَـاضِـرٌ وَغُصْنُــكَ مَيَّــادٌ فَفِيــمَ تَنُــوحُ

* * *

مَـرَرْنَ عَلَـىٰ مَـاءِ ٱلْعَشِيـرَةِ وَٱلْهَـوَى عَلَىٰ مَلَلٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَىٰ مَلَلْ

* * *

وَلَمَّا ٱدَّعَيْتُ ٱلْحُبَّ قَالَتْ : كَذَبْتَنِي أَلَسْتُ أَرَى ٱلأَجْلاَدَ مِنْكَ كَوَاسِيَا

* * *

مَـــا أَقْبَـــحَ ٱلصَّبْـــرَ ٱلْجَمِيـــــلَ بِعَــاشِقِيــكَ وَأَجْمَلَــكْ

* * *

سَلِي ٱلـرِّمَـاحَ ٱلْعَـوَالِي عَـنْ مَعَـالِينَـا وَٱسْتَشْهِدِي ٱلْبِيضَ هَلْ خَابَ ٱلرَّجَا فِينَا

* * *

إِذَا هَـمَّ أَلْقَـىٰ بَيْـنَ عَيْنَيْـهِ هِمَّـةً وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ ٱلْعَوَاقِبِ جَانِبَا

وَلِـي كَبِـدٌ مَقْـرُوحَـةٌ مَـنْ يَبِيعُنِـي بِهَـا كَبِـداً لَيْسَـتْ بِـذَاتِ قُـرُوحِ

* * *

يَا قُرَّةَ ٱلْعَيْنِ سَلْ عَيْنِي هَلِ ٱكْتَحَلَتْ بِمَنْظَرٍ حَسَنٍ مُذْ غِبْتَ عَنْ عَيْنِي

* * *

هُمُ ٱلْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

* * *

تِلْكَ ٱلْمَكَارِمُ لاَ قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَـا بِمَـاءٍ فَعَـادَا بَعْـدُ أَبْـوَالاَ

* * *

وَمَـا نَيْـلُ ٱلْمَطَـالِـبِ بِـٱلتَّمَنِّـي وَلَكِـنْ تُـؤْخَـذُ ٱلـدُّنْيَـا غِـلاَبَـا

* * *

يَـا مَـنْ يَعِـزُّ عَلَيْنَـا أَنْ نُفَـارِقَهُـمْ وُجْـدَانُنَـا كُـلَّ شَـيْءٍ بَعْـدَكُـمْ عَـدَمُ

* * *

كُـلُّ ٱلْمَـوَارِدِ غَيْـرَ ٱلنِّيـلِ آسِنَـةٌ وَكُـلُّ أَرْضٍ سِـوَى ٱلْبَلْقَـاءِ فَيْحَـاءُ

* * *

جَـزَى ٱللهُ ٱلْمَسِيـرَ إِلَيْـهِ خَيْـراً وَإِنْ تَـرَكَ ٱلْمَطَـايَـا كَـٱلْمَـزَادِ

* * *

جُودُ ٱلرِّجَالِ مِنَ ٱلأَيْدِي وَجُودُهُمُ مِـنَ ٱللِّسَـانِ فَـلاَ كَـانُوا وَلاَ ٱلْجُـودُ

* * *

فَصِـرْتُ إِذَا أَصَـابَتْنِـي سِهَـامٌ تَكَسَّـرَتِ ٱلنِّصَـالُ عَلَـى ٱلنِّصَـالِ

* * *

وَتَجَلُّـدِي لِلشَّـامِتِيـنَ أُرِيهِـمُ أَنِّـي لِـرَيْـبِ ٱلـدَّهْـرِ لاَ أَتَضَعْضَـعُ

وَأَنَـا ٱلَّـذِي ٱجْتَلَـبَ ٱلْمَنِيَّـةَ طَـرْفُـهُ   فَمَـنِ ٱلْمُطَـالَـبُ وَٱلْقَتِيـلُ ٱلْقَـاتِـلُ

* * *

فَمَـــا أَطَـــالَ ٱلنَّـــوْمُ عُمْـــراً وَلاَ   قَصَّـرَ فِـي ٱلأَعْمَـارِ طُـولُ ٱلسَّهَـرْ

* * *

وَمِـنَ ٱلْعَـدَاوَةِ مَـا يَنَـالُـكَ نَفْعُـهُ   وَمِـنَ ٱلصَّـدَاقَـةِ مَـا يَضُـرُّ وَيُـؤْلِـمُ

* * *

إِنِّـي وَإِنْ لُمْـتُ حَـاسِـدِيَّ فَمَـا   أُنْكِـرُ أَنِّـي عُقُـوبَـةٌ لَهُـمُ

* * *

قَدْ كُنْتُ أُشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَىٰ بَصَرِي   فَـٱلْيَـوْمَ كُـلُّ عَـزِيـزٍ بَعْـدَكُـمْ هَـانَـا

* * *

عَوَى ٱلذِّئْبُ فَٱسْتَأْنَسْتُ بِٱلذِّئْبِ إِذْ عَوَى   وَصَـوَّتَ إِنْسَـانٌ فَكِـدْتُ أَطِيـرُ

* * *

هُمْ يَحْسُدُونِي عَلَىٰ مَوْتِي فَوَاأَسَفِي   حَتَّىٰ عَلَى ٱلْمَوْتِ لاَ أَخْلُو مِنَ ٱلْحَسَدِ

* * *

وَإِذَا ٱلْمَنِيَّـةُ أَنْشَبَـتْ أَظْفَـارَهَـا   أَلْفَيْـتَ كُـلَّ تَمِيمَـةٍ لاَ تَنْفَـعُ

* * *

وَصَـدْرٍ أَرَاحَ ٱللَّيْـلُ عَـازِبَ هَمِّـهِ   تَضَاعَفَ فِيهِ ٱلْحُزنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

* * *

فَبِـتُّ كَـأَنِّـي سَـاوَرَتْنِـي ضَئِيلَـةٌ   مِنَ ٱلرَّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا ٱلسُّمُّ نَاقِعُ

* * *

وَمَـا شَـرَقِـي بِـٱلْمَـاءِ إِلاَّ تَـذَكُّـراً   لِمَـاءٍ بِـهِ أَهْـلُ ٱلْحَبِيـبِ نُـزُولُ

إِذَا كَانَ هَـٰذَا ٱلدَّمْعُ يَجْرِي صَبَابَةً   عَلَىٰ غَيْرِ سُعْدَىٰ فَهْوَ دَمْعٌ مُضَيَّعُ

* * *

وَٱعْذِرْ حَسُودَكَ فِيمَا قَدْ خُصِصْتَ بِهِ   إِنَّ ٱلْعُـلاَ حَسَـنٌ فِـي مِثْلِهَـا ٱلْحَسَـدُ

* * *

إِنَّ ٱلْكِـرَامَ إِذَا مَـا أَسْهَلُـوا ذَكَـرُوا   مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي ٱلْمَنْزِلِ ٱلْخَشِنِ

* * *

يُقْضَىٰ عَلَى ٱلْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ   حَتَّىٰ يَرَىٰ حَسَناً مَا لَيْسَ بِٱلْحَسَنِ

* * *

وَتَضْحَـكُ مِنِّـي شَيْخَـةٌ عَبْشَمِيَّـةٌ   كَـأَنْ لَـمْ تَـرَىٰ قَبْلِي أَسِيـراً يَمَـانِيَـا

* * *

حَلَفْـتُ فَلَـمْ أَتْـرُكْ لِنَفْسِـكَ رِيبَـةً   وَلَيْـسَ وَرَاءَ ٱللهِ لِلْمَـرْءِ مَـذْهَـبُ

* * *

تَعَـوَّدَ بَسْـطَ ٱلْكَـفِّ حَتَّـىٰ لَـوَ ٱنَّـهُ   ثَنَـاهَـا لِقَبْـضٍ لَـمْ تُجِبْـهُ أَنَـامِلُـهْ

* * *

وَلاَ بُدَّ مِنْ شَكْوَىٰ إِلَىٰ ذِي مُرُوءَةٍ   يُـوَاسِيـكَ أَوْ يُسْلِيـكَ أَوْ يَتَـوَجَّـعُ

* * *

أُولَئِـكَ آبَـائِـي فَجِئْنِـي بِمِثْلِهِـمْ   إِذَا جَمَعَتْنَـا يَـا جَـرِيـرُ ٱلْمَجَـامِـعُ

* * *

فَـٱلنَّـاسُ أَعْـوَانُ مَـنْ وَالَتْـهُ دَوْلَتُـهُ   وَهُـمْ عَلَيْـهِ إِذَا عَـادَتْـهُ أَعْـوَانُ

* * *

لاَ تَغْتَـرِرْ بِبَنِـي ٱلـزَّمَـانِ وَلاَ تَقُـلْ   عِنْـدَ ٱلشَّـدَائِـدِ لِـي أَخٌ وَحَمِيـمُ

قَـدْ يُـدْرِكُ ٱلْمُتَـأَنِّي بَعْـضَ حَـاجَتِـهِ   وَقَـدْ يَكُـونُ مَـعَ ٱلْمُسْتَعْجِلِ ٱلـزَّلَـلُ

* * *

وَٱلنَّـاسُ مَـنْ يَلْـقَ خَيْـراً قَـائِلُـونَ لَـهُ   مَا يَشْتَهِي ، وَلأُمِّ ٱلْمُخْطِىءِ ٱلْخَبَلُ

* * *

وَلَيْتَهَـا إِذْ فَـدَتْ عَمْـراً بِخَـارِجَـةٍ   فَدَتْ عَلِيّاً بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ ٱلْبَشَرِ

* * *

أُحِبُّـكِ لاَ تَفْسِيـرَ عِنْـدِي لِصَبْـوَتِـي   أُفَسِّـرُ مَـاذَا وَٱلْهَـوَىٰ لاَ يُفَسَّـرُ

* * *

أَلاَ أَيُّهَا ٱلرَّكْبُ ٱلْيَمَانُونَ عَرِّجُوا   عَلَيْنَـا فَقَـدْ أَمسَـىٰ هَـوَانَـا يَمَـانِيَـا

* * *

مَضَىٰ طَاهِرَ ٱلأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ   غَـدَاةَ ثَـوَىٰ إِلاَّ ٱشْتَهَـتْ أَنَّهَـا قَبْـرُ

* * *

سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغِضْ   فَحَسْبُـكَ مِنِّـي مَـا تُجِنُّ ٱلْجَـوَانِـحُ

* * *

لَهَـا أَحَـادِيـثُ مِـنْ ذِكْـرَاكَ تَشْغَلُهَـا   عَـنِ ٱلطَّعَـامِ وَتُلْهِيهَـا عَـنِ ٱلـزَّادِ

* * *

أَخِـي جَـاوَزَ ٱلظَّـالِمُـونَ ٱلْمَـدَى   فَحُـقَّ ٱلْجِهَـادُ وَحُـقَّ ٱلْفِـدَا

* * *

لاَ تَعْـذُلِ ٱلْمُشْتَـاقَ فِـي أَشْـوَاقِـهِ   حَتَّـىٰ يَكُـونَ حَشَـاكَ فِـي أَحْشَـائِـهِ

* * *

أَمِـنْ تَـذَكُّـرِ جِيـرَانٍ بِـذِي سَلَـمِ   مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ٱلْحَجُونِ إِلَى ٱلصَّفَا   أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

* * *

كَأَنَّ طَرْفَكِ يَوْمَ ٱلْجِزْعِ يُخْبِرُنَا   بِمَا طَوَىٰ عَنْكِ مِنْ أَسْمَاءِ قَتْلاَكِ

* * *

ٱلْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ   كَٱلْمُسْتَجِيرِ مِنَ ٱلرَّمْضَاءِ بِٱلنَّارِ

* * *

ثَمَنُ ٱلْمَجْدِ دَمٌ جُدْنَا بِهِ   فَٱسْأَلُوا : كَيْفَ دَفَعْنَا ٱلثَّمَنَا

* * *

كَفَىٰ بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى ٱلْموتَ شَافِياً   وَحَسْبُ ٱلْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

* * *

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ ٱللِّوَى   فَلَمْ يَسْتَبِينُوا ٱلنُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى ٱلْغَدِ

* * *

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ   دُجَى ٱللَّيْلِ حَتَّىٰ نَظَّمَ ٱلْجَزْعَ ثَاقِبُهْ

* * *

مَا فِي ٱلْخِيَامِ أَخُو وَجْدٍ نُطَارِحُهُ   حَدِيثَ نَجْدٍ وَلاَ خِلٌّ نُجَارِيهِ

* * *

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى ٱلْغَمَامُ بِوَجْهِهِ   ثِمَالُ ٱلْيَتَامَىٰ عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

* * *

وَيَقْبُحُ مِنْ سِوَاكَ ٱلْفِعْلُ عِنْدِي   فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَا

* * *

أَحَرَامٌ عَلَىٰ بَلاَبِلِهِ ٱلدَّوْ   حُ حَلاَلٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ

طُبِعَتْ عَلَىٰ كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْواً مِنَ ٱلأَقْذَاءِ وَٱلأَكْدَارِ

* * *

إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ

* * *

أَعَيْنَيَّ كُفَّا عَنْ فُؤَادِي لأَنَّهُ مِنَ ٱلْبَغْيِ سَعْيُ ٱثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدِ

* * *

كَذَا فَلْيَجِلَّ ٱلْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ ٱلأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ

* * *

عُلُوٌّ فِي ٱلْحَيَاةِ وَفِي ٱلْمَمَاتِ لَحَقٌّ تِلْكَ إِحْدَى ٱلْمُعْجِزَاتِ

* * *

اَلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ

* * *

دَارٌ مَتَىٰ مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَداً تَبّاً لَهَا مِنْ دَارِ

* * *

بَهَالِيلُ فِي ٱلإِسْلاَمِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ كَأَوَّلِهِمْ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ

* * *

لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ ٱلشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

* * *

يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمُ لاَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

* * *

كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ ٱلْمَوْتَ مِنْ ظَمَأٍ أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ ٱلْخَطِّيِّ رَيْحَانَا

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ ٱلضُّحَى ... نُوراً وَمِنْ فَلَقِ ٱلصَّبَاحِ عَمُودَا

* * *

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ

* * *

وَإِلاَّ تَمُتْ تَحْتَ ٱلسُّيُوفِ مُكَرَّماً ... تَمُتْ وَتُقَاسِ ٱلذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ

* * *

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلْمَوْتِ بُدٌّ ... فَمِنَ ٱلْعَجْزِ أَنْ تَمُوتَ جَبَانَا

* * *

لاَ يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ إِلاَّ سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ عَلَى ٱلسَّادَاتِ فَعَّالُ

* * *

اَلْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَٱلْكَرَمُ ... وَزَالَ عَنْكَ إِلَىٰ أَعْدَائِكَ ٱلأَلَمُ

* * *

وَكَيْفَ تُعِلُّكَ ٱلدُّنْيَا بِشَيْءٍ ... وَأَنْتَ لِعِلَّةِ ٱلدُّنْيَا طَبِيبُ

* * *

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لاَ تَلُمُّهُ ... عَلَىٰ شَعَثٍ أَيُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُهَذَّبُ ؟

* * *

إِذَا ٱشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ ... تَبَيَّنَ مَنْ بَكَىٰ مِمَّنْ تَبَاكَى

* * *

فَبَشَّرْتُ آمَالِي بِشَخْصٍ هُوَ ٱلْوَرَى ... وَدَارٍ هِيَ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمٍ هُوَ ٱلدَّهْرُ

* * *

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى ٱلْمَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِي ٱلرِّيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِي ٱلسُّفُنُ

فَلَسْنَا عَلَى ٱلأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدِّمَا

* * *

خُلِقْتُ أَلُوفاً لَوْ رَجَعْتُ إِلَى ٱلصِّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ ٱلْقَلْبِ بَاكِيَا

* * *

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَٱلْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

* * *

هُوَ ٱلْجَدُّ حَتَّىٰ تَفْضُلَ ٱلْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّىٰ يَصِيرَ ٱلْيَومُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا

* * *

قَدْ يَهُونُ ٱلْعُمْرُ إِلاَّ سَاعَةً وَتَضِيقُ ٱلأَرْضُ إِلاَّ مَوْضِعَا

* * *

إِنَّا لَفِي زَمَنٍ تَرْكُ ٱلْقَبِيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ

* * *

لَوْلاَ ٱلْمَشَقَّةُ سَادَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ اَلْجُودُ يُفْقِرُ وَٱلإِقْدَامُ قَتَّالُ

* * *

وَإِذَا كَانَتِ ٱلنُّفُوسُ كِبَاراً تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا ٱلأَجْسَامُ

* * *

لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ فَلْيُسْعِدِ ٱلنُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ ٱلْحَالُ

* * *

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ ٱلْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلاَمُ

* * *

وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوّاً لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

إِذَا سَاءَ فِعْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ　　وَصَـدَّقَ مَـا يَعْتَـادُهُ مِـنْ تَـوَهُّـمِ

* * *

تَـرَاهُ إِذَا مَـا جِئْتَـهُ مُتَهَلِّـلاً　　كَـأَنَّـكَ تُعْطِيـهِ ٱلَّـذِي أَنْـتَ سَـائِلُـهْ

* * *

بَكَـتْ عَيْنِـيَ ٱلْيُمْنَـىٰ فَلَمَّـا زَجَـرْتُهَـا　　عَنِ ٱلْجَهْلِ بَعْدَ ٱلْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا

* * *

كَـأَنَّ قَطَـاةً عُلِّقَـتْ بِجَنَـاحِهَـا　　عَلَـىٰ كَبِـدِي مِـنْ شِـدَّةِ ٱلْخَفَقَـانِ

* * *

أَعِـدْ ذِكْـرَ نَعْمَـانٍ أَعِـدْ إِنَّ ذِكْـرَهُ　　مِـنَ ٱلطِّيـبِ مَـا كَـرَّرْتَـهُ يَتَضَـوَّعُ

* * *

تَمَتَّـعْ مِـنْ شَمِيـمِ عَـرَارِ نَجْـدٍ　　فَمَـا بَعْـدَ ٱلْعَشِيَّـةِ مِـنْ عَـرَارِ

* * *

تَضُـوعُ أَرْوَاحُ نَجْـدٍ مِـنْ ثِيَـابِهِـمُ　　عِنْدَ ٱلنُّزُولِ لِقُرْبِ ٱلْعَهْدِ بِـٱلـدَّارِ

* * *

وَإِذَا لَثَمْـتُ يَمِينَـهُ وَخَـرَجْـتُ مِـنْ　　أَبْـوَابِـهِ لَثَـمَ ٱلْمُلُـوكُ يَمِينِـي

* * *

أَمَـاوِيُّ مَـا يُغْنِـي ٱلثَّـرَاءُ عَـنِ ٱلْفَتَـى　　إِذَا حَشْرَجَتْ نَفْسٌ وَضَاقَ بِهَا ٱلصَّدْرُ

* * *

أَلاَ كُـلُّ شَـيْءٍ مَـا خَـلاَ ٱللهَ بَـاطِـلُ　　وَكُـلُّ نَعِيـمٍ لاَ مَحَـالَـةَ زَائِـلُ

* * *

سَتُبْدِي لَكَ ٱلأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً　　وَيَـأْتِيـكَ بِـٱلأَخْبَـارِ مَـنْ لَـمْ تُـزَوِّدِ

إِنَّ ٱلْعُيُونَ ٱلَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ   قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلاَنَا

* * *

دَقَّاتُ قَلْبِ ٱلْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ   إِنَّ ٱلْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِ

* * *

إِنَّ رَبّاً كَفَاكَ بِٱلأَمْسِ مَا كَا   نَ سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ

* * *

وإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ   فَكُنْ حَدِيثاً حَسَناً لِمَنْ وَعَى

* * *

يَكُونُ أُجَاجاً دُونَكُمْ فَإِذَا ٱنْتَهَى   إِلَيْكُمْ تَلَقَّىٰ طِيبَكُمْ فَيَطِيبُ

* * *

يَا قَوْمِ أُذْنِي لِبَعْضِ ٱلْحَيِّ عَاشِقَةٌ   وَٱلأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ ٱلْعَيْنِ أَحْيَانَا

* * *

يَقُولُونَ لَوْ عَزَّيْتَ قَلْبَكَ لاَرْعَوَى   فَقُلْتُ وَهَلْ لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ

* * *

عُيُونُ ٱلْمَهَا بَيْنَ ٱلرُّصَافَةِ وَٱلْجِسْرِ   جَلَبْنَ ٱلْهَوَىٰ مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي

* * *

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَاناً لِقَلْبِهِ   فَقَدْ كَادَ رَيَّاهَا يَطِيرُ بِلُبِّهِ

* * *

وَقَدْ كَمُلَتْ فِيهِ ٱلنُّهَىٰ لاَ يَسُرُّهُ   نَعِيمٌ وَلاَ يَرْتَاعُ لِلْحَدَثَانِ

* * *

سَقَطَ ٱلنَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ   فَتَنَاوَلَتْهُ وَٱتَّقَتْنَا بِٱلْيَدِ

هَنِيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ   لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا ٱسْتَحَلَّتِ

* * *

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَىً أَضَاعُوا   لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ

* * *

أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لاَ أَبَا لِأَبِيكُمُ   مِنَ ٱللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِي سَدُّوا

* * *

بِذَا قَضَتِ ٱلأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا   مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

* * *

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي ٱلدُّنَىٰ سَرْجُ سَابِحٍ   وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي ٱلزَّمَانِ كِتَابُ

* * *

أَلاَ إِنَّ عَيْناً لَمْ تَجُدْ يَومَ وَاسِطٍ   عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجَمُودُ

* * *

لَهَا عَيْنٌ أَصَابَتْ كُلَّ عَيْنٍ   وَعَيْنٌ قَدْ أَصَابَتْهَا ٱلْعُيُونُ

* * *

رسالة عبد الحميد الكاتب للكُتّاب

أما بعد :

حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم .

فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً وإن كانوا في الحقيقة سواء ، وصرفهم في صنوف الصناعات ، وضروب المحاولات إلىٰ أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم .

فجعلكم معشر الكتّاب في أشرف الجهات ، أهل الأدب والمروءات ، والعلم والرزانة .

بكم ينتظم للخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصحائكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمر بلدانهم .

لا يستغني الملك عنكم ، ولا يوجد كاف إلا منكم ، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون ، وأبصارهم التي بها يبصرون ، وألسنتهم التي بها ينطقون ، وأيديهم التي بها يبطشون .

فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ، ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم .

وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة ، وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم .

أيها الكتّاب :

إذا كنتم علىٰ ما يأتي في هـٰذا الكتاب من صفتكم . . فإن الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره : أن يكون حليماً في موضع الحلم ، فهيماً في موضع الحكم ، مقداماً في موضع الإقدام ، محْجماً في موضع الإحجام ، مؤْثراً للعفاف والعدل والإنصاف ، كتوماً للأسرار ، وفيّاً عند الشدائد ، عالماً بما يأتي من النوازل ، يضع الأمور مواضعها ، والطوارق في أماكنها ، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه ، وإن لم يحكمه . . أخذ منه بمقدار ما يكتفي به ، يَعرف بغريزة عقله ، وحسن أدبه ، وفضل تجربته ، ما يرد عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ، فيعدّ لكل أمر عدّته وعتاده ، ويهيىء لكل وجه هيئته وعادته .

فتنافسوا يا معشر الكتّاب في صنوف الآداب ، وتفقَّهوا في الدين ، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية ؛ فإنها ثقاف ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط ؛ فإنه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها ؛ فإن ذلك مُعين لكم علىٰ ما تسمو إليه هممكم ، ولا تضيعوا النظر في الحساب ؛ فإنه قوام كتاب الخراج .

وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سَنيها ودنيها ، وسفساف الأمور ومحاقرها ؛ فإنها مُذلّة للرقاب ، مفسدة للكتّاب .

ونزّهوا صناعتكم عن الدناءة ، واربؤوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات ، وإياكم والكبر والصلف والعظمة ؛ فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة .

وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم ، وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم ، وإن نبا الزمان برجل منكم . . فاعطفوا عليه ، وواسوه حتىٰ يرجع إليه حاله ، ويثوب إليه أمره ، وإن أقعد أحداً منكم الكبر عن مكسبه ، ولقاء إخوانه . . فزوروه ، وعظموه ، وشاوروه ، واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته .

وليكن الرجل منكم علىٰ من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه علىٰ ولده وأخيه ، فإن عرضت في الشغل محمدة . . فلا يصرفها إلا إلىٰ صاحبه ، وإن عرضت مذمة . . فليحملها هو من دونه ، وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال ؛ فإن العيب إليكم معشر الكتّاب أسرع منه إلى القرّاء ، وهو لكم أفسد منه لهم ، فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه مَن يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه . . فواجب عليه أن يعقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ، ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه ، والاضطرار إلىٰ ما لديه ، فاستشعروا ذلك ـ وفقكم الله ـ من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والإحسان والسراء والضراء ، فنعمت الشيمة هٰذه لمن وسم بها من أهل هٰذه الصناعة الشريفة .

وإذا ولي الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله وعياله أمر . . فليراقب الله عز وجل ، وليؤثر طاعته ، وليكن مع الضعيف رفيقاً ، وللمظلوم منصفاً ؛ فإن الخلق عيال الله ، وأحبهم إليه أرفقهم بعياله .

ثم ليكن بالعدل حاكماً ، وللأشراف مكرماً ، وللفيء موفراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعية متألفاً ، وعن أذاهم متخلفاً ، وليكن في مجلسه متواضعاً

حليماً ، وفي سجلات خراجه واستقضاء حقوقه رفيقاً .

وإذا صحب أحدكم رجلاً . . فليختبر خلائقه ، فإذا عرف حسَنها وقبيحها . . أعانه علىٰ ما يوافقه من الحسن ، واحتال علىٰ صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة ، وأجمل وسيلة ، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها . . التمس معرفة أخلاقها ؛ فإن كانت رموحاً . . لم يُهجها إذا ركبها ، وإن كانت شبوباً . . اتقاها من بين يديها ، وإن خاف منها شروداً . . توقّاها من ناحية رأسها ، وإن كانت حروناً . . قمع برفق هواها في طرقها ، فإن استمرت . . عطفها يسيراً فيسلس له قيادها ، وفي هـٰذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم .

والكاتب ـ لفضل أدبه ، وشريف صنعته ، ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاوره من الناس ويناظره ، ويفهم عنه ، أو يخاف سطوته ـ أولىٰ بالرفق لصاحبه ، ومداراته ، وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً ، ولا تعرف صواباً ، ولا تفهم خطاباً ، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها .

ألا فارفقوا رحمكم الله في النظر ، واعملوا ما أمكنكم فيه من الروية والفكر . . تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النَّبْوة والاستثقال والجفوة ، ويصير منكم إلى الموافقة ، وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله .

ولا يجاوزنّ الرجل منكم في هيئة مجلسه ، وملبسه ومركبه ، ومطعمه ومشربه ، وبنائه وخدمه ، وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه ؛ فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمةٌ لا تحملون في خدمتكم على التقصير ، حفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير .

واستعينوا علىٰ عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم ، وقصصته عليكم .

واحذروا متالف السرف ، وسوء عاقبة الترف ؛ فإنهما يُعقبان الفقر ، ويُذلان الرقاب ، ويفضحان أهلهما ، ولا سيما الكتَّاب وأرباب الآداب .

وللأمور أشباه ، وبعضها دليل علىٰ بعض ، فاستدلوا علىٰ مؤتنف أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة ، وأصدقها حجة ، وأحمدها عاقبة .

واعلموا أن للتدبير آفة متلفة ؛ وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه ورؤيته ، فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه ، وليوجز في ابتدائه وجوابه ، وليأخذ بمجامع حججه ؛ فإن ذلك مصلحة لفعله ، ومدفعة للتشاغل عن إكثاره ، وليضرع إلى الله في صلة توفيقه ، وإمداده بتسديده ؛ مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وآدابه ؛ فإنه إن ظن منكم ظان ، أو قال قائل : إن الذي برز من جميل صنعته ، وقوة حركته ، إنما هو بفضل حيلته ، وحسن تدبيره . . فقد تعرض بحسن ظنه أو مقالته إلىٰ أن يكله الله عز وجل إلىٰ نفسه ، فيصير منها إلىٰ غير كاف ، وذلك علىٰ من تأمله غير خاف .

ولا يقول أحد منكم : إنه أبصر بالأمور ، وأحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ، ومصاحبه في خدمته ، فإن أعقل الرجلين عند ذوي الألباب من رمىٰ بالعجب وراء ظهره ، ورأىٰ أن صاحبه أعقل منه ، وأحمد في طريقته ، وعلىٰ كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ، ولا تزكية لنفسه ، ولا يكاثر علىٰ أخيه أو نظيره ، وصاحبه وعشيره ، وحمد الله واجب على الجميع ، وذلك بالتواضع لعظمته ، والتذلل لعزته ، والتحدث بنعمته .

وأنا أقول في كتابي هٰذا ما سبق به المثل : (من تلزمه النصيحة . . يلزمه العمل) ، وهو جوهر هٰذا الكتاب ، وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل . فلذلك جعلته آخره ، وتممته به .

تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولىٰ به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ؛ فإن ذلك إليه وبيده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

كتاب ولاية

ذكر ابن خلدون في « مقدمته » أن طاهر بن الحسين كتب لابنه عبد الله بن طاهر لمّا ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما .

فكتب إليه أبوه طاهر كتابه المشهور ، عهد إليه فيه ، ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه ؛ من الآداب الدينية والخلقية ، والسياسة الشرعية والملوكية ، وحثه علىٰ مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك ولا سوقة .

ونص الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد :

فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ، ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه ، واحفظ رعيتك في الليل والنهار ، والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسؤول عنه .

والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عز وجل ، وينجيك يوم القيامة من عقابه ، وأليم عذابه ؛ فإن الله سبحانه قد أحسن إليك ، وأوجب الرأفة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل فيهم ، والقيام بحقه وحدوده عليهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم ومنصبهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسربهم ، وإدخال الراحة عليهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك ،

وموقفك عليه ، وسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت .

ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ، ولا يشغلك عنه شاغل ، وإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوقفك الله عليه ، وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعلك : المواظبة علىٰ ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك ، وتوقعها علىٰ سننها ؛ من إسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها ، ورتل في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصرف فيه رأيك ونيتك ، واحضض عليه جماعة ممن معك وتحت يدك ، وادأب عليها ؛ فإنها كما قال الله عز وجل : ﴿ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ .

ثم اتبع ذلك بالأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة علىٰ خلائقه ، واقتفاء أثر السلف الصالح من بعده .

وإذا ورد عليك أمر . . فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه ، وبلزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ، ولا تميلن عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو لبعيد .

وآثِر الفقه وأهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله عز وجل والعاملين به ؛ فإن أفضل ما يتزين به المرء الفقه في الدين ، والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله عز وجل ؛ فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد إليه ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها .

ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة وإجلالاً له ، ودركاً للدرجات

العلىٰ في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك ، والثقة بعدلك .

وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها ، فليس شيء أبين نفعاً ، ولا أخص أمناً ، ولا أجمع فضلاً منه ، والقصد داعية إلى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق قائد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فآثره في دنياك كلها .

ولا تقصر في طلب الآخرة ، والأجر ، والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ، ومعالم الرشد والإعانة ، والاستكثار من البر ، والسعي له إذا كان يطلب به وجه الله تعالىٰ ومرضاته ، ومرافقة أولياء الله في دار كرامته .

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ، ويمحص من الذنوب ، وأنك لن تحوط نفسك من قائل ، ولا تنصلح أمورك بأفضل منه ، فأته واهتد به ؛ تتم أمورك ، وتزد مقدرتك ، وتصلح عامتك وخاصتك ، وأحسن ظنك بالله عز وجل ؛ تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها ؛ تستدم به النعمة عليك .

ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره ؛ فإن إيقاع التهم بالبرآء ، والظنون السيئة بهم آثَمُ إثم ، فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه فيهم ، يعنك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم .

ولا تتخذن عدو الله الشيطان في أمرك معمداً ؛ فإنه إنما يكتفي بالقليل من وهنك ، ويُدخل عليك من الغم بسوء الظن بهم ما ينغص لذاذة عيشك .

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتكتفي به ما أحببت كفايته من

أمورك، وتدعو به الناس إلىٰ محبتك، والاستقامة في الأمور كلها ، ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك ، والرأفة برعيتك ، أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأمور الأولياء ، وحياطة الرعية ، والنظر في حوائجهم ، وحمل مؤوناتهم، أيسر عندك مما سوىٰ ذلك ؛ فإنه أقوم للدين، وأحيا للسنة.

وأخلص نيتك في جميع هٰذا ، وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسؤول عما صنع ، ومجزي بما أحسن ، ومؤاخذ بما أساء ؛ فإن الله عز وجل جعل الدين حرزاً وعزاً ، ورفع من اتبعه وعززه .

واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الأهدىٰ ، وأقم حدود الله تعالىٰ في أصحاب الجرائم علىٰ قدر منازلهم ، وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة ؛ فإن في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك ، واعتزم علىٰ أمرك في ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب البدع والشبهات ؛ يسلم لك دينك ، وتتم لك مروءتك .

وإذا عاهدت عهداً فأوف به ، وإذا وعدت الخير فأنجزه ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وأغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض أهل النميمة ؛ فإن أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها ، تقريب الكذوب ، والجراءة على الكذب ؛ لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتها ؛ لأن النميمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم له أمر .

وأحبب أهل الصلاح والصدق ، وأعز الأشراف بالحق ، وأعن الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله تعالىٰ وإعزاز أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة .

واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعيتك ، وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التي تنتهي بك إلىٰ سبيل الهدىٰ .

واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الحلم والوقار ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله .

وإياك أن تقول : أنا مسلط أفعل ما أشاء ؛ فإن ذلك سريع إلىٰ نقص الرأي ، وقلة اليقين لله عز وجل ، وأخلص لله وحده النية فيه واليقين به .

واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالىٰ يؤتيه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة إلىٰ أحد ، أسرع منه إلىٰ جهلة النعمة من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم في الدولة إذا كفروا نعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما أعطاهم الله عز وجل من فضله .

ودع عنك شَرَهَ نفسك ، ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكنز البرَّ والتقوىٰ ، واستصلاح الرعية ، وعمارة بلادهم ، والتفقد لأمورهم ، والحفظ لدمائهم ، والإغاثة لملهوفهم .

واعلم أن الأموال إذا اكتنزت وادخرت في الخزائن . . لا تنمو ، وإذا كانت في صلاح الرعية ، وإعطاء حقوقهم ، وكف الأذية عنهم . . نمت وزكت ، وصلحت بها العامة ، وترتبت بها الولاية ، وطاب بها الزمان ، واعتقد فيها العز والمنفعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه علىٰ أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقَهم ، وأوف من ذلك حصصَهم ، وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم ؛ فإنك إذا فعلت ذلك . . قرت النعمة لك ، واستوجبت المزيد من الله تعالىٰ ، وكنت بذلك علىٰ جباية أموال

رعيتك وخراجك أقدر ، وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك .

وطب نفساً بكل ما أردت ، وأجهد نفسك فيما حمدت لك في هـٰذا الباب ، وليعظم حقك فيه ، وإنما يبقىٰ من المال ما أنفق في سبيل الله وفي سبيل حقه .

واعرف للشاكرين حقهم ، وأثبهم عليه ، وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك ؛ فإن التهاون يورث التفريط ، والتفريط يورث البوار .

وليكن عملك لله عز وجل وفيه ، وارج الثواب منه ؛ فإن الله سبحانه قد أسبغ فضله .

واعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد ؛ يزدك الله خيراً وإحساناً ؛ فإن الله عز وجل يثيب بقدر شكر الشاكرين ، وإحسان المحسنين .

ولا تحقرن ذنباً ، ولا تمالئن حاسداً ، ولا ترحمن فاجراً ، ولا تصلن كفوراً ، ولا تداهنن عدواً ، ولا تُصدّقن نماماً ، ولا تأمنن غداراً ، ولا توالين فاسقاً ، ولا تتبعن غاوياً ، ولا تحمدن مرائياً ، ولا تحقرن إنساناً ، ولا تردن سائلاً فقيراً ، ولا تحسنن باطلاً ، ولا تلاحظن مضحكاً ، ولا تخلفن وعداً ، ولا تزهون فخراً ، ولا تُظهرن غضباً ، ولا تباينن رجاء ، ولا تمشين مرحاً ، ولا تزكين سفيهاً ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا ترفعن للنمام عيناً ، ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه أو محاباة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا .

وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة ، ولا تُدخلن في مشورتك أهل الرفه والبخل ، ولا تسمعن لهم قولاً ؛ فإن ضررهم أكثر من نفعهم .

وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت فيه أمر رعيتك من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيتك إنما تعقد علىٰ محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم .

ووال من صافاك من أوليائك بالإفضال عليهم ، وحسن العطية لهم ، واجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصى الإنسان به ربه ، وأن العاصي بمنزلة الخزي ، وهو قول الله عز وجل : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ، فسهّل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم في فيئك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود أفضل أعمال العباد ، فأعدّه لنفسك خُلقاً ، وارض به عملاً ومذهباً .

وتفقد الجند في دواوينهم ومكاتبهم ، وأدر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم في معايشهم ؛ يذهب الله عز وجل بذلك فاقتهم ، فيقو لك أمرهم ، وتزدْ قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً ، وحسب السلطان من السعادة أن يكون علىٰ جنده ورعيته ذا رحمة في عدله وعطيته وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته .

فزايل مكروه أحد البابين باستشعار فضل الباب الآخر ، ولزوم العمل به . . تلق إن شاء الله تعالىٰ به نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً .

واعلم أن القضاء من الله تعالىٰ بالمكان الذي ليس فوقه شيء من الأمور ؛ لأنه ميزان الله الذي تعدل عليه أحوال الناس في الأرض ، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية ، وتؤمن السبل ، وينتصف المظلوم ، وتأخذ الناس الحقوق ، وتحسن المعيشة ، ويؤدىٰ حق الطاعة ، ويرزق الله

العافية والسلامة ، ويقيم الدين ، ويجري السنن والشرائع في مجاريها .

واشتد في أمر الله عز وجل ، وتورع عن النطف ، وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد عن الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه في صحتك ، واسدد في منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم ، وتثبّت وتأنّ ، وراقب وانظر ، وتفكّر وتدبّر واعتبر ، وتواضع لربك ، وارفق بجميع الرعية ، وسلط الحق علىٰ نفسك ، ولا تسرعن إلىٰ سفك دم ؛ فإن الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم ، فلا تبغ انتهاكاً لها بغير حقّها .

وانظر هٰذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله توسعة ومنعةً ، ولعدوه كبتاً وغيظاً ، ولأهل الكفر من معاديهم ذلاً وصغاراً ؛ فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل ، والتسوية والعموم ، ولا تدفعن شيئاً منه عن شريف لشرفه ، ولا عن غني لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا عن أحد من خاصتك ولا حاشيتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له .

ولا تكلف أمراً فيه شطط ، واحمل الناس كلهم علىٰ أمر الحق ؛ فإن ذلك أجمع لإلفتهم ، وألزم لرضا العامة .

واعلم أنك جُعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً ، وإنما سمي أهل عملك رعيتك ؛ لأنك راعيهم وقيمهم ، فخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ، ونفذه في قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أودهم ، واستعمل عليهم أولي الرأي والتدبير ، والتجربة والخبرة بالعلم ، والعدل بالسياسة والعفاف ، ووسع عليهم في الرزق ؛ فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأُسند إليك ،

فلا يشغلك عنه شاغل ، ولا يصرفك عنه صارف ؛ فإنك متىٰ آثرته وقمت فيه بالواجب . . استدعيت به زيادة النعمة من ربك ، وحسن الأحدوثة في عملك ، واستجررت به المحبة من رعيتك ، وأعنت على الصلاح ، فدرت الخيرات ببلدك ، وفشت العمارة بناحيتك ، وظهر الخصب في كورك ، وكثر خراجك ، وتوفرت أموالك ، وقويتَ بذلك على ارتياض جندك ، وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضي العدل في ذلك عند عدوك ، وكنت في أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة ، فتنافس فيها ولا تقدّم عليها شيئاً ، تحمد عاقبة أمرك إن شاء الله تعالىٰ .

واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك خبر عمالك ، ويكتب إليك بسيرهم وأعمالهم ، حتىٰ كأنك مع كل عامل في عمله معايناً لأموره كلها ، وإذا أردت أن تأمرهم بأمر . . فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع . . فأمضه ، وإلا . . فتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم به ، ثم خذ فيه عدته ؛ فإنه ربما نظر الرجل في أمره وقد أتاه علىٰ ما يهوىٰ . . فأغواه ذلك وأعجبه ، فإن لم ينظر في عواقبه . . أهلكه، ونقض عليه أمره، فاستعمل الحزم في كل ما أردت، وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة ، وأكثرْ من استخارة ربك في جميع أمورك .

وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ؛ فإن لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضىٰ ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغلك ذلك حتىٰ تمرض منه ، وإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت بدنك ونفسك ، وجمعت أمر سلطانك .

وانظر أحرار الناس وذوي الفضل منهم ممن بلوتَ صفاء طويتهم ، وشهدتَ مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة علىٰ أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم .

وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، واحتمل مؤونتهم ، وأصلح حالهم حتىٰ لا يجدوا لخلتهم منافراً .

وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر علىٰ رفع مظلمته إليك ، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه . . فسل عنه أحفىٰ مسألة ، وكِلْ بأمثاله أهل الصلاح في رعيتك ، ومُرْهم برفع حوائجهم وخلالهم إليك ؛ لتنظر فيما يصلح الله به أمرهم .

وتعاهد ذوي البأساء ويتماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال ؛ اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله تعالىٰ في العطف عليهم ، والصلة لهم ؛ ليصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة .

وأجْر للأضراء من بيت المال ، وقدّم حملة القرآن منهم ، والحافظين لأكثره في الجراية علىٰ غيرهم .

وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم ، وقوماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك إلىٰ سرف في بيت المال .

واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيهم . . لم يرضهم ذلك ، ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلىٰ ولاتهم ؛ طمعاً في نيل الزيادة وفضل الرفق بهم ، وربما تبرّم المتصفح لأمور الناس ؛ لكثرة ما يرد عليه ، ويشغل ذكره وفكره منها ما يناله به من مؤونة ومشقة .

وليس من يرغب في العدل ، ويعرف محاسن أموره في العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذي يستقل ما يقرِّبه من الله تعالىٰ ، وتُلتمس به رحمته .

وأكْثِرِ الإذن للناس عليك ، وأرهم وجهك ، وسكّن لهم حواسك ، واخفض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرك ، ولِنْ لهم في المسألة والنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت . . فأعط بسماحة وطيب نفس ، والتماس للصنيعة والأجر ، من غير تكدير ولا امتنان ؛ فإن العطية علىٰ ذلك تجارة مربحة إن شاء الله تعالىٰ .

واعتبر بما ترىٰ من أمور الدنيا ، ومن مضىٰ قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية ، والأمم البائدة .

ثم اعتصم في أحوالك كلها بالله سبحانه وتعالىٰ ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وبإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ، ودعا إلىٰ سخط الله عز وجل .

واعرف ما يجمع عمالُك من الأموال ، وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ، ولا تنفق إسرافاً .

وأكثِرْ مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأخلاق ومعاليها .

وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأىٰ عيباً . . لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في ستر ، وإعلامك بما فيه من النقص ؛ فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك .

وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتاً يدخل فيه بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك وأمور الدولة

ورعيتك ، ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك ، وفهمك وعقلك ، وكرر النظر فيه والتدبر له ، فما كان موافقاً للحق والحزم . . فأمضه ، واستخر الله عز وجل فيه ، وما كان مخالفاً لذلك . . فاصرفه إلى المسألة عنه ، والتثبت منه .

ولا تمنن علىٰ رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتيه إليهم ، ولا تقبل من أحد إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور المسلمين ، ولا تضعن المعروف إلا علىٰ ذلك .

وتفهم كتابي إليك ، وأمعن النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله علىٰ جميع أمورك واستخره ؛ فإن الله عز وجل مع الصلاح وأهله .

وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضاً ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللملة والذمة عدلاً وصلاحاً .

وأنا أسأل الله عز وجل أن يحسن عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءتك ، والسلام .

وحدث الإخباريون أن هـٰذا الكتاب لما ظهر وشاع أمره . . أعجب به الناس ، واتصل بالمأمون ، فلما قرىء عليه . . قال : ما أبقىٰ أبو الطيب ـ يعني : طاهراً ـ شيئاً من أمور الدنيا والدين ، والتدبير والرأي والسياسة ، وصلاح الملك والرعية ، وحفظ السلطان ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة ، إلا وقد أحكمه وأوصىٰ به .

ثم أمر المأمون فكتب به إلىٰ جميع العمال في النواحي ، ليقتدوا به ، ويعملوا بما فيه .

* * *

يوسف أيّها الصِّدّيق

كنا نجلس كل يوم ، مع قوم ، ينتقون من الحديث درره ، ويذكرون لنا العالم بحره وبرّه . فدَلِف علينا يوماً من الأيام ، شيخ ممشوق المقام ، كثير الابتسام ، فصيح الكلام ، فنظر في وجوهنا وتوسّم ، ثم تبسّم وسلّم ، ثم جلس واتكا ، وتأوّه وشكا .

قلنا : ما الخبر ، أيها الشيخ الأغر ؟

قال : تذكرت من غبر ، أهل الأخبار والسير ، فعلمت أننا بالأثر .

قلنا : ما الاسم ، فقد أعجبنا الرسم ؟

قال : أنا عبيد الله بن حسان ، من أهل ميسان ، قلنا : كلامك محبوب ، فقص علينا قصة يوسف بن يعقوب ، فقال : مهما اهتم العالم بالحفظ وحرص ، فإن الذهن فتر والخاطر نكص ، وكفىٰ بقصص الله وهو يقول : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ ، لكن سوف أخبركم بوقفات ، والعفو عما نسيناه وفات :

لما نصح يعقوب يوسف ألا يقص ما رأىٰ ، فإنه كان يخشىٰ عليه ما جرىٰ ؛ فإنه ما خلا جسد من حسد ، وكم من قلب بنعم الغير فسد ، فيا أيها العبد ؛ استر جمال يوسف النعم ، خوفاً من أن تُلقىٰ في غَيابة جُبّ النقم ، فيسلط عليك ذئب البغضاء ، لا ذئب الصحراء .

لا تعتذر للمخالف ، فيأخذ العذر منك وأنت واقف ، أما ترىٰ يعقوب ،

يوم خاف على ابنه الخطوب ، قال : أخاف أن يأكل الذئب ، فقالوا : أكله الذئب فلا تأسف ، فكأنّه هيأ لهم الحجة ، حينما ضلوا في المحجّة .

وجاؤوا علىٰ قميصه بدم كذب ؛ لأن الذئب ما خلع الثوب ، بل شق وسحب ، والذئب لا يفتح الأزرار ، بل يمزقها بلا وقار .

لو علمت القافلة بمكانة يوسف . . لما قالوا : ﴿ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ﴾ ، بل لقالوا : يا بشرىٰ هـٰذا إمام ، وولي مقدام ، وسيد همام ، ولكن وما أدرى الليل ببدر التمام ؟

يوسف لديه جمال وجلال ، فردعه وازعُ الجلال ، عن نوازع الجمال ، لما قال : معاذ الله ، حماه ربه وتولاه .

لو ترك يوسف كلمة ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ ، وذكر هو ربَّه . . لكشف كربه ، وأزال خطبه ، وأسعد قلبه .

يوسف ما نسي إيمانه ، سُئل عن الرؤىٰ وهو في الزنزانة ، فدعا إلى التوحيد ؛ لأن التوحيد حياة العبيد ، لا يرده قيد ، ولا يمنعه حديد .

الذئاب لا تأكل الأنبياء ، ولا تلطخ أفواهها بدماء الأولياء ؛ لأنهم أصفياء أوفياء ، وإنما يقتل الأنبياء ذئاب الخليقة ، إذا عميت عليهم الحقيقة ، وأظلمت عليهم الطريقة .

في (سورة يوسف) قميص بريء من الذئب ، وقميص بريء من العيب ، وقميص مضمخ بالطيب .

فالأول : قميص يوسف وقد مزّقه الإخوان ، والثاني : قميصه وقد مزّقته امرأة السلطان ، والثالث : قميصه وقد أُلقي علىٰ يعقوب فأبصرت العينان .

لما قال إخوة يوسف له : ﴿ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ ، نسوا أنهم هم الذين

أوقعوه في همّ كبير ، فهو بسبب ما فعلوه في حزنه أسير ، وفي بيته كسير ، فهم يحتجون به وقت الحاجة ، وينسونه وقت اللجاجة .

لما قال يعقوب : ﴿ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ ﴾ فإنه خاف الحاسد ، فهو في مكان النعيم قاعد ، فإذا أقبلوا في حملة . . قتلهم جملة ، فَعمٍّ على الحسود الأمر ؛ لتضع في عينيه الجمر .

الدنيا وجهها نحس ، يباع يوسف بثمن بخس ، وحزن يعقوب يكاد يذهب بالنفس ، والفراعنة بملكهم يفرحون ، وفي دنياهم يمرحون ، وفي نعيمهم يسرحون ، لكن انظر إلى العواقب ، عندما تكشف عن الأولياء النوائب ، وتزول عنهم المصائب . . فإذا الفرحة الغامرة ، والحياة العامرة ، والنعيم في الآخرة .

أما الفجار . . فسحابة نهار ، وراحة حمار ، ثم نكال في أسوأ دار .

هَمَّ يوسفُ هَمّة ، وتذكر علو الهِمّة ، وإمامة الأمّة ، ففر إلى الباب ، يطلب الطريق إلى الوهاب ، بعد ما هيئت له الأسباب ؛ لأن يوسف من سلالة الأطياب ، فذكر ربه وأناب .

يوسف شابَ من العذاب ، تعرّضت له امرأة ذات منصب وجمال ، وحسن ودلال ، فغلقت الأبواب ، ورفلت في أبهى الثياب ، فتذكر يوم القيامة ، وساعة الندامة ، فقال : أواه ، معاذ الله ، فمنعه الله وكفاه ، وأنت تتعرض للنساء صباح مساء ، غرك الوجه المبرقع ، والحسن المرقع ، ولا تحذر وتتوقّع .

في قلب يوسف من الوحي نصوص ، وفي قلبك من المعصية لصوص ، في شرايين يوسف دماء الإمامة والدين ، وفي شرايينك شهوة الماء والطين .

يوسف تخرج من جامعة ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ ، وأنت تخرجت من جامعة :

يَشْكُو ٱلْعُيونَ ٱلسُّودَ قَلْبِي وَٱلْهَوَىٰ

يوسف تربيته علىٰ شريعة ، وأخلاق رفيعة ، وبعضهم تربَّىٰ علىٰ مجلات خليعة ، وآداب شنيعة .

واأسفي علىٰ منهج يوسف ، في هٰذا الواقع المؤسف ؛ صورة عارية ، وكأس وجارية ، وشهوات سارية ، كلها تقول : هيت لك ، وليس عند الجيل صرخة : (معاذ الله) .

الآن حصحص الحق ، وبان الفرق ، فيا شباب الصدق ، قولوا في أحسن نطق : (معاذ الله) .

من أراد السناء ، والثناء ، والعلياء ، وأن يحمي نفسه من الفحشاء ، والفعلة الشنعاء . . فليحفظ متن الأولياء : (معاذ الله) .

فمن عاذ بالله . . أعاذه ، وأكرم ملاذه .

* * *

المقامة الوعظيّة للحريريّ

حدثنا عيسىٰ بن هشام : بينا أنا بالبصرة أميس ، حتىٰ أداني السير إلىٰ فرضة قد كثر فيها قوم علىٰ قائم يعظهم ، وهو يقول :

أيها الناس ؛ إنكم لم تتركوا سدىً ، وإن مع اليوم غداً ، وإنكم واردو هوّة ، فأعدّوا لها ما استطعتم من قوة .

وإن بعد المعاش معاداً ، فأعدوا له زاداً .

ألا لا عذر ؛ فقد بُينت لكم المحجة ، وأُخذت عليكم الحجة ، من السماء بالخبر ، ومن الأرض بالعبر .

ألا وإن الذي بدأ الخلق عليماً ، يحيي العظام رميماً ، ألا وإن الدنيا دار جهاز ، وقنطرة جواز ، من عبرها . . سلم ، ومن عمرها . . ندم ، أَلا وقد نصبت لكم الفخ ، ونثرت لكم الحب ، فمن يرتع . . يقع ، ومن يلقط . . يسقط ، ألا وإن الفقر حلية نبيكم فاكتسوها ، والغنىٰ حلة الطغيان فلا تلبسوها ، كذبت ظنون الملحدين ، الذين جحدوا الدّين ، وجعلوا القرآن عضين .

إن بعد الحدث جدثاً ، وإنكم لم تخلقوا عبثاً ، فحذار حر النّار ، وبدار عقبى الدّار ، ألا وإن العلم أحسن علىٰ علاته ، والجهل أقبح علىٰ حالاته ، وإنكم أشقىٰ من أظلته السماء إن شقي بكم العلماء .

الناس بأئمتهم ، فإن انقادوا بأزمتهم ، نجوا بذمتهم ، والناس رجلان : عالم يرعىٰ ، ومتعلم يسعىٰ ، والباقون هامل نعام ، وراتع أنعام ، ويل

عال أمر من سافله ، وعالم شيء من جاهله .

وقد سمعت أنّ علي بن الحسين كان قائماً يعظ الناس ويقول : يا نفس ؛ حتام إلى الحياة ركونك ، وإلى الدنيا وعمارتها سكونك ؟ أما اعتبرت بمن مضىٰ من أسلافك ، وبمن وارته الأرض من ألافك ، ومن فجعت به من إخوانك ، ونقل إلىٰ دار البلىٰ من أقرانك ؟

فَهُمْ فِي بُطُونِ ٱلأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا مَحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ
خَلَتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ وَسَاقَتْهُمُ نَحْوَ ٱلْمَنَايَا ٱلْمَقَادِرُ
وَخَلَّوْا عَنِ ٱلدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَضَمَّتْهُمُ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ ٱلْحَفَائِرُ

كم اختلست أيدي المنون ، من قرون بعد قرون ؟ وكم غيرت ببلاها ، وغيبت أكثر الرجال في ثراها ؟

وَأَنْتَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ لِخُطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَاثِرُ
عَلَىٰ خَطَرٍ تَمْشِي وَتُصْبِحُ لاَهِياً أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ
وَإِنَّ ٱمْرَأً يَسْعَىٰ لِدُنْيَاهُ جَاهِداً وَيُذْهَلُ عَنْ أُخْرَاهُ لاَ شَكَّ خَاسِرُ

انظر إلى الأمم الخالية ، والملوك الفانية ، كيف انتسفتهم الأيام ، وأفناهم الحمام ؟ فانمحت آثارهم ، وبقيت أخبارهم .

فَأَضْحَوْا رَمِيماً فِي ٱلتُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ مَجَالِسُ مِنْهُمْ عُطِّلَتْ وَمَقَاصِرُ
وَخَلَّوْا عَنِ ٱلدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا بِهَا وَمَا فَازَ مِنْهُمْ غَيْرُ مَنْ هُوَ صَابِرُ
وَحَلُّوا بِدَارٍ لاَ تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّىٰ لِسُكَّانِ ٱلْقُبُورِ التَّزَاوُرُ
فَمَا إِنْ تَرَىٰ إِلاَّ رُمُوساً ثَوَوْا بِهَا مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْهَا ٱلأَعَاصِرُ

كم عاينت من ذي عزة وسلطان ، وجنود وأعوان ، قد تمكن من دنياه ، ونال منها مناه ، فبنى الحصون والدساكر ، وجمع الأعلاق والعساكر ؟

فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ ٱلْمَنِيَّةِ إِذْ أَتَتْ   مُبَادِرَةً تَهْوِي إِلَيْهِ ٱلذَّخَائِرُ
وَلا دَفَعَتْ عَنْهُ ٱلْحُصُونُ ٱلَّتِي بَنَى   وَحَفَّتْ بِهَا أَنْهَارُهَا وَٱلدَّسَاكِرُ
وَلاَ قَارَعَتْ عَنْهُ ٱلْمَنِيَّةَ حِيلَةٌ   وَلاَ طَمِعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهُ ٱلْعَسَاكِرُ

يا قوم ؛ الحذر الحذر ، والبدار البدار ، من الدنيا ومكايدها ، وما نصبت لكم من مصايدها ، وتجلت لكم من زينتها ، واستشرفت لكم من بهجتها .

وَفِي دُونِ مَا عَايَنْتَ مِنْ فَجَعَاتِهَا   إِلَىٰ رَفْضِهَا دَاعٍ وَبِٱلزُّهْدِ آمِرُ
فَجِدَّ وَلاَ تَغْفُلْ فَعَيْشُكَ بَائِدٌ   وَأَنْتَ إِلَىٰ دَارِ ٱلْمَنِيَّةِ صَائِرُ
وَلاَ تَطْلُبِ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّ طِلاَبَهَا   وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا رَغْبَةً لَكَ ضَائِرُ

وكيف يحرص عليها لبيب ، أو يسر بها أريب ، وهو علىٰ ثقة من فنائها ؟ ألا تعجبون ممن ينام وهو يخشى الموت ، ولا يرجو الفوت ؟

أَلاَ ، لاَ ، وَلَكِنَّا نَغُرُّ نُفُوسَنَا   وَتَشْغَلُهَا ٱللَّذَّاتُ عَمَّا نُحَاذِرُ
وَكَيْفَ يَلَذُّ ٱلْعَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ   بِمَوْقِفِ عَدْلٍ حَيْثُ تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرَىٰ أَنْ لاَ نُشُورَ ، وَأَنَّنَا   سُدَىً ، مَا لَنَا بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ مَصَائِرُ!

كم غرت الدنيا من مخلد إليها ، وصرعت من مكب عليها ؛ فلم تنعشه من عثرته ؟ ولم تقله من صرعته ، ولم تداوه من سقمه ، ولم تشفه من ألمه .

بَلَىٰ أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرِفْعَةٍ   مَوَارِدَ سُوءٍ مَا لَهُنَّ مَصَادِرُ
فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ لاَ نَجَاةَ وَأَنَّهُ   هُوَ ٱلْمَوْتُ لاَ يُنْجِيهِ مِنْهُ ٱلْمُؤَازِرُ
تَنَدَّمَ لَوْ أَغْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ   عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ ٱلذُّنُوبُ ٱلْكَبَائِرُ

بكىٰ علىٰ ما سلف من خطاياه ، وتحسر علىٰ ما خلف من دنياه ، حيث لم ينفعه الاستعبار ، ولم ينجه الاعتذار .

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُومُهُ   وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ ٱلْمَعَاذِرُ

فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ ٱلْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ خَسِئَتْ فَوْقَ ٱلْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهَا وَٱلْحَنَاجِرُ

فإلىٰ متىٰ ترقع بآخرتك دنياك ، وتركب في ذاك هواك ؟ إني أراك ضعيف اليقين، يا راقع الدنيا بالدين ، أبهـٰذا أمرك الرحمـٰن ، أم علىٰ هـٰذا دلك القرآن ؟

تُخَرِّبُ مَا يَبْقَىٰ ، وَتَعْمُرُ فَانِياً فَلاَ ذَاكَ مَوْفُورٌ ، وَلاَ ذَاكَ عَامِرُ
فَهَلْ لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْراً لَدَى ٱللهِ عَاذِرُ ؟
أَتَرْضَىٰ بِأَنْ تُقْضَى ٱلْحَيَاةُ وَتَنْقَضِي وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ ؟

قال عيسى بن هشام : فقلت لبعض الحاضرين : من هـٰذا ؟ قال : غريب قد طرأ ، لا أعرف شخصه ، فاصبر عليه إلىٰ آخر مقامته ، لعلّه ينبىء بعلامته ، فصبرت ، فقال :

زينوا العلم بالعمل ، واشكروا القدرة بالعفو ، وخذوا الصفو ودعوا الكدر . . يغفر الله لي ولكم .

ثم أراد الذهاب ، فمضيت على أثره ، فقلت : من أنت يا شيخ ؟

فقال : سبحان الله! لم ترض بالحلية فغيرتها ، حتىٰ عمدت إلى المعرفة فأنكرتها! أنا أبو الفتح الإسكندري .

فقلت :

حفظك الله ، فما هـٰذا الشّيب ؟

فقال :

نَذِيرٌ ، وَلَكِنَّهُ سَاكِتٌ ضَعِيفٌ ، وَلَكِنَّهُ شَامِتُ
وَأَشْخَاصُ مَوْتٍ ، وَلَكِنَّهُ إِلَىٰ أَنْ أُشَيِّعَهُ ثَابِتُ

* * *

حوار مع الشيطان

قال الراوي : حاورت الشيطان الرجيم ، في الليل البهيم ، فلما سمعت أذان الفجر . . أردت الذهاب إلى المسجد ، فقال لي : عليك ليل طويل فارقد .

قلت : أخاف أن تفوتني الفريضة ، قال : الأوقات طويلة عريضة .

قلت : أخشىٰ ذهاب صلاة الجماعة ، قال : لا تشدد علىٰ نفسك في الطاعة .

فما قمت حتىٰ طلعت الشمس ، فقال لي في همس : لا تأسف علىٰ ما فات ، فاليوم كله أوقات .

وجلست لآتي بالأذكار ، ففتح لي دفتر الأفكار ، فقلت : أشغلتني عن الدعاء ، قال : دعه إلى المساء .

وعزمت على المتاب ، فقال : تمتع بالشباب .

قلت : أخشى الموت ، قال : عمرك لا يفوت .

وجئت لأحفظ المثاني ، قال : رَوّح نفسك بالأغاني .

قلت : هي حرام ، قال : لبعض العلماء كلام .

قلت : أحاديث التحريم عندي في صحيفة ، قال : كلها ضعيفة .

ومرت حسناء فغضضت البصر ، قال : ماذا في النظر ؟ قلت : فيه خطر ، قال : تفكر في الجمال ، فالتفكر حلال .

وذهبت إلى البيت العتيق ، فوقف لي في الطريق ، فقال : ما سبب هٰذه السفرة ؟ قلت : لآخذ عمرة .

فقال : ركبت الأخطار ، بسبب هٰذا الاعتمار ، وأبواب الخير كثيرة ، والحسنات غزيرة ، قلت : لا بد من إصلاح الأحوال ، قال : الجنة لا تدخل بالأعمال .

فلما ذهبت لألقي نصيحة ، قال : لا تجرّ إلىٰ نفسك فضيحة ، قلت : هٰذا نفع للعباد ، فقال : أخشىٰ عليك من الشهرة ، وهي رأس الفساد .

قلت : فما رأيك في بعض الأشخاص ؟ قال : أجيبك عن العام والخاص .

قلت : أحمد ابن حنبل ؟ قال : قتلني بقوله : عليكم بالسنة ، والقرآن المنزل .

قلت : فابن تيمية ؟ قال : ضرباته علىٰ رأسي باليومية .

قلت : فالبخاري ؟ قال : أحرَق بكتابه داري .

قلت : فالحجاج ؟ قال : ليت في الناس ألف حجاج ، فلنا بسيرته ابتهاج ، ونهجه لنا علاج .

قلت : ففرعون ؟ قال : له منا كل نصر وعون .

قلت : فصلاح الدين ، بطل حطين ؟ قال : دعه فقد مرّغنا بالطين .

قلت : فأبو جهل ؟ قال : نحن له إخوة وأهل .

قلت : فأبو لهب ؟ قال : نحن معه أينما ذهب .

قلت : فلينين ؟ قال : ربطناه في النار مع استالين .

قلت : فالمجلات الخليعة ؟ قال : هي لنا شريعة .

قلت : فالمقاهي ؟ قال : نرحب فيها بكل لاهِ .

قلت : ما هو ذكركم ؟ قال : الأغانـي .

قلت : وعملكـم ؟ قال : الأمانـي .

قلت : وما رأيكم في الأسـواق ؟ قال : علَمنا بها خفّاق ، وفيها يجتمع الرفاق .

قلت : فحزب البعث الاشتراكي ؟ قال : قاسمته أملاكي ، وعلمته أورادي وأنساكي .

قلت : كيف تضل الناس ؟ قال : بالشهوات والشبهات والملهيات والأمنيات والأغنيات .

قلت : وكيف تضل الحكام ؟ قال : بالتعطش للدماء ، وإهانة العلماء ، ورد نصح الحكماء ، وتصديق السفهاء .

قلت : فكيف تضل النساء ؟ قال : بالتبرج والسفور ، وترك المأمور ، وارتكاب المحظور .

قلت : فكيف تضل العلماء ؟ قال : بحب الظهور ، والعجب والغرور ، وحسد يملأ الصدور .

قلت : فيكف تضل العامّـة ؟ قال : بالغيبة والنميمة ، والأحاديث السقيمة ، وما ليس له قيمة .

قلت : فكيف تضل التجّـار ؟ قال : بالربا في المعاملات ، ومنع الصدقات ، والإسراف في النفقات .

قلت : فكيف تضل الشباب ؟ قال : بالغزل والهيام ، والعشق والغرام ، والاستخفاف بالأحكام ، وفعل الحرام .

قلت : فما رأيك في إسرائيل ؟ قال : إياك والغيبة ، فإنها مصيبة ، وإسرائيل دولة حبيبة ، ومن القلب قريبة .

قلت : فما تقول في واشنطن ؟ قال : خطيبي فيها يرطن ، وجيشي بها يقطن ، وهي لي موطن .

قلت : فما رأيك في العلماء ؟ قال : عذبوني وأتعبوني ، وبهدلوني وشيبوني ، يهدمون ما بنيتُ ، ويقرؤون إذا غنيتُ ، ويستعيذون إذا أتيتُ .

قلت : فما تقول في مجالس العوام ؟ قال : تُضيّع بها الأوقات ، وتُهدر فيها الحسنات ، وتُضاعف علىٰ أصحابها السيئات .

قلت : فماذا فعلتَ بالغـراب ؟ قال : سلطته علىٰ أخيه فقتله ، ودفنه في التراب حتىٰ غاب .

قلت : فما فعلتَ بقـارون ؟ قال : قلت له : احفظ الكنوز ، يا بن العجوز ، لتفوز ، فأنت أحد الرموز .

قلت : فماذا قلتَ لفرعـون ؟ قال : قلت له : يا عظيم القصر ، قل : أليس لي ملك مصر ، فسوف يأتيك النصر .

قلت : فماذا قلتَ لشارب الخمر ؟

قال : قلت له : اشرب بنت الكروم ؛ فإنها تُذهب الهموم ، وتُزيل الغموم ، وباب التوبة معلوم .

قلت : فماذا يقتلك ؟ قال : آية الكرسي ، منها تضيق نفسي ، ويطول حبسي ، وفي كل بلاء أُمسي .

قلت : فمن أحب الناس إليك ؟ قال : المغنّون ، والشعراء الغاوون ، وأهل المعاصي والمجون ، وكل خبيث مفتون .

قلت : فمن أبغض الناس إليك ؟

قال : أهل المساجد ، وكل راكع وساجد ، وزاهد عابد ، وكل مجاهد .

قلت : أعوذ بالله منك ، فاختفىٰ وغاب ، كأنما ساخ في التراب ، وهـٰذا جزاء الكذاب .

* * *

نظرةٌ في آية

قرأت في كتاب « ظلال القرآن » لسيد قطب في تفسير قوله تعالىٰ :

﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

في هٰذه الآية الثانية من السورة صورة من صور قدرة الله التي ختم بها الآية الأولىٰ ، وحين تستقر هٰذه الصورة في قلب بشري . . يتم فيه تحول كامل في تصوراته ومشاعره ، واتجاهاته وموازينه وقيمه في هٰذه الحياة جميعاً .

إنها تقطعه عن شبهة كل قوة في السماوات والأرض ، وتصله بقوة الله ، وتيئِسه من مظِنة كل رحمة في السماوات والأرض ، وتصله برحمة الله ، وتوصد أمامه كل باب في السماوات والأرض ، وتفتح أمامه باب الله ، وتغلق في وجهه كل طريق في السماوات والأرض ، وتشرع له طريقه إلى الله .

ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد ، ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها ؛ في ذات نفسه وتكوينه ، وتكريمه بما كرمه ، وفيما سخر له من حوله ، ومن فوقه ومن تحته ، وفيما أنعم به عليه مما يعلمه ، ومما لا يعلمه ؛ وهو كثير .

ورحمة الله تتمثل في الممنوع تمثلها في الممنوح .

ويجدها من يفتحها الله له في كل شيء ، وفي كل وضع ، وفي كل حال ، وفي كل مكان ، يجدها في نفسه ، وفي مشاعره ، ويجدها فيما حوله ،

وحيثما كان ، وكيفما كان ولو فقد كلَّ شيء مما يعدّ الناسُ فقدَه هو الحرمان .

ويفتقدها من يمسكها الله عنه في كل شيء ، وفي كل وضع ، وفي كل حالة ، وفي كل مكان ولو وجد كلَّ شيء مما يعدُّه الناس علامةِ الوجدان والرضوان .

وما من نعمة يمسك الله معها رحمته حتىٰ تنقلب هي بذاتها نقمة ، وما من محنة تحفها رحمة الله حتىٰ تكون هي بذاتها نعمة .

ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله . . فإذا هو مهاد ، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه . . فإذا هو شوك القتاد ، ويعالج أعسر الأمور برحمة الله . . فإذا هي هوادة ويسر ، ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت رحمة الله . . فإذا هي مشقة وعسر ، ويخوض بها المخاوف والأخطار . . فإذا هي أمن وسلام ، ويعبر بدونها المناهج والمسالك . . فإذا هي مهلكة وبوار .

ولا ضيق مع رحمة الله ، إنما الضيق في إمساكها دون سواه ، لا ضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجن، أو في جحيم العذاب، أو في شعاب الهلاك .

ولا وسعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم ، وفي مراتع الرخاء .

فمن داخل النفس برحمة الله . . تتفجَّر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة ، ومن داخل النفس مع إمساكها . . تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكد والمعاناة .

هـٰذا الباب وحده يفتح وتغلق جميع الأبواب ، وتوصد جميع النوافذ ، وتسد جميع المسالك . . فلا عليك ؛ فهو الفرج والفسحة واليسر والرخاء .

وهـٰذا الباب وحده يغلق وتفتح جميع الأبواب والنوافذ والمسالك ، فما

هو بنافع ، وهو الضيق والكرب والشدة والقلق والعناء .

هـٰذا الفيض يفتح ، ثم يضيق الرزق ، ويضيق السكن ، ويضيق العيش ، وتخشن الحياة ، ويشوك المضجع . . فلا عليك ؛ فهو الرخاء والراحة ، والطمأنينة والسعادة .

وهـٰذا الفيض يمسك ، ثم يفيض الرزق ، ويقبل كل شيء . . فلا جدوىٰ ، وإنما هو الضنك والحرج ، والشقاوة والبلاء .

المال والولد ، والصحة والقوة ، والجاه والسلطان . . تصبح مصادر قلق وتعب ، ونكد وجهد إذا أمسكت عنها رحمة الله ، فإذا فتح الله أبواب رحمته . . كان فيها السكن والراحة ، والسعادة والاطمئنان .

يبسط الله الرزق مع رحمته . . فإذا هو متاع طيب ورخاء ، وإذا هو رغد في الدنيا ، وزاد إلى الآخرة ، ويمسك رحمته . . فإذا هو مثار قلق وخوف ، وإذا هو مثار حسد وبغض ، وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض ، وقد يكون معه التلف بإفراط أو استهتار .

ويمنح الله الذرية مع رحمته . . فإذا هي زينة في الحياة ، ومصدر فرح واستمتاع ، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله ، ويمسك رحمته . . فإذا الذرية بلاء ونكد ، وعنت وشقاء ، وسهر بالليل ، وتعب بالنهار .

ويهب الله الصحة والقوة مع رحمته . . فإذا هي نعمة ، وحياة طيبة ، والتذاذ بالحياة ، ويمسك نعمته . . فإذا الصحة والقوة بلاء يسلطه الله على الصحيح القوي ، فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ، ويفسد الروح ، ويدخر السوء ليوم الحساب .

ويعطي الله السلطان والجاه مع رحمته.. فإذا هي أداة إصلاح، ومصدر أمن، ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر، ويمسك الله رحمته.. فإذا الجاه والسلطان مصدر قلق علىٰ فوتهما، ومصدر طغيان وبغي بهما، ومثار حقد وموجدة علىٰ صاحبهما، لا يقر له معهما قرار، ولا يستمتع بجاه ولا سلطان، ويدخر بهما للآخرة رصيداً ضخماً من النار.

والعلم الغزير، والعمر الطويل، والمقام الطيب.. كلها تتغير وتتبدل من حال إلىٰ حال، مع الإمساك ومع الإرسال، وقليل من المعرفة يثمر وينفع، وقليل من العمر يبارك الله فيه، وزهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة.

والجماعات كالآحاد، والأمم كالأفراد في كل أمر، وفي كل وضع، وفي كل حال، ولا يصعب القياس علىٰ هٰذه الأمثال.

ومن رحمة الله أن تحس برحمة الله؛ فرحمة الله تضمّك وتغمرك وتفيض عليك، ولكن شعورك بوجودها هو الرحمة، ورجاؤك فيها وتطلعك إليها هو الرحمة، وثقتك بها وتوقعها في كل أمر هو الرحمة.

والعذاب هو العذاب في احتجابك عنها، أو يأسك منها، أو شكك فيها، وهو عذاب لا يصبه الله علىٰ مؤمن أبداً: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

ورحمة الله لا تعز علىٰ طالب في أي مكان، ولا في أي حال؛ وجدها إبراهيم عليه السلام في النار.

ووجدها يوسف عليه السلام في الجب كما وجدها في السجن.

ووجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت في ظلمات ثلاث.

ووجدها موسىٰ عليه السلام في اليم وهو طفل مجرّد من كل قوة ومن كل

حراسة ، كما وجدها في قصر فرعون وهو عدو له متربص به ويبحث عنه .

ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور ، فقال بعضهم لبعض : ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ .

ووجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار والقوم يتعقبونهما ويقصون الآثار .

ووجدها كل من أوىٰ إليها يأساً من كل ما سواها ، منقطعاً عن كل شبهة في قوة ، وعن كل مظِنّة في رحمة ، قاصداً باب الله وحده دون الأبواب .

ثم إنه متىٰ فتح الله أبواب رحمته . . فلا ممسك لها ، ومتىٰ أمسكها . . فلا مرسل لها ، ومن ثم فلا مخافة من أحد ، ولا رجاء في أحد ، ولا مخافة من شيء ، ولا رجاء في شيء ، ولا خوف من فوت وسيلة ، ولا رجاء مع الوسيلة ، إنما هي مشيئة الله ، ما يفتح الله . . فلا ممسك ، وما يمسك الله . . فلا مرسل ، والأمر مباشرة إلى الله ، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ، يقدر بلا معقب على الإرسال والإمساك ، ويرسل ويمسك وَفق حكمة تكمن وراء الإرسال والإمساك ، ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ .

وما بين الناس ورحمة الله إلا أن يطلبوها مباشرة منه ، بلا وساطة وبلا وسيلة إلا التوجه إليه في طاعة ، وفي رجاء ، وفي ثقة ، وفي استسلام .

﴿ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ .

فلا رجاء في أحد من خلقه ، ولا خوف لأحد من خلقه ، فما أحد بمرسل من رحمة الله ما أمسكه الله .

أية طمأنينة ؟ وأي قرار ؟ وأي وضوح في التصورات والمشاعر والقيم والموازين تقره هٰذه الآية في الضمير ؟!

آية واحدة ترسم للحياة صورة جديدة ، وتنشىء في الشعور قيماً لهـٰذه الحياة ثابتة ، وموازين لا تهتز ، ولا تتأرجح ، ولا تتأثر بالمؤثرات كلها ، ذهبت أَمْ جاءت ، كبرت أم صغرت ، جلت أم هانت ، كان مصدرها الناس أو الأحداث أو الأشياء .

صورة واحدة لو استقرت في قلب إنسان . . لصمد كالطود للأحداث والأشياء والأشخاص ، والقوىٰ والقيم والاعتبارات ولو تضافر عليها الإنس والجن ، وهم لا يفتحون رحمة الله حين يمسكها ، ولا يمسكونها حين يفتحها ، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ .

وهـٰكذا أنشأ القرآن بمثل هـٰذه الآية وهـٰذه الصورة تلك الفئة العجيبة من البشر في صدر الإسلام ؛ الفئة التي صُنعت علىٰ عين الله بقرآنه هـٰذا ؛ لتكون أداة من أدوات القدرة ، تنشىء في الأرض ما شاء الله أن ينشىء من عقيدة وتصور ، وقيم وموازين ، ونظم وأوضاع ، وتقر في الأرض ما شاء الله أن يقر من نماذج الحياة الواقعة التي تبدو لنا اليوم كالأساطير والأحلام .

الفئة التي كانت قدراً من قدر الله يسلطه علىٰ من يشاء في الأرض ، فيمحو ويثبت في واقع الحياة والناس ما شاء الله من محو ومن إثبات ؛ ذلك أنها لم تكن تتعامل مع ألفاظ هـٰذا القرآن ، ولا مع المعاني الجميلة التي تصورها . . . وكفىٰ ، ولكنها كانت تتعامل مع الحقيقة التي تمثلها آيات القرآن ، وتعيش في واقعها بها ، ولها .

وما يزال هـٰذا القرآن بين أيدي الناس ، قادراً علىٰ أن ينشىء بآياته تلك أفراداً وفئات تمحو وتثبت في الأرض بإذن الله ما يشاء الله ؛ ذلك حين تستقر هـٰذه الصور في القلوب ، فتأخذها جداً ، وتتمثلها حقاً ، حقاً تحسه

كأنها تلمسه بالأيدي وتراه بالأبصار .

ويبقىٰ أن أتوجه أنا بالحمد لله علىٰ رحمة منه خاصة ، عرفتها منه في هٰذه الآية :

لقد واجهتني هٰذه الآية في هٰذه اللحظة وأنا في عسر وجهد ، وضيق ومشقة ، واجهتني في لحظة جفاف روحي ، وشقاء نفسي ، وضيق بضائقة ، وعسر من مشقة ، واجهتني في ذات اللحظة ، ويسر الله لي أن أطلع منها علىٰ حقيقتها ، وأن تسكب حقيقتها في روحي ، كأنما هي رحيق أرشفه ، وأحس سريانه ودبيبه في كياني ، حقيقة أذوقها لا معنىٰ أدركه ، فكانت رحمة بذاتها ، تقدم نفسها لي تفسيراً واقعياً لحقيقة الآية التي تفتحت لي تفتحها هٰذا .

وقد قرأتها من قبل كثيراً ، ومررت بها من قبل كثيراً ، ولكنها اللحظةَ تسكب رحيقها وتحقق معناها ، وتنزل بحقيقتها المجردة ، وتقول : هٰأنذا أنموذجاً من رحمة الله حين يفتحها ، فانظر كيف تكون .

إنه لم يتغير شيء مما حولي ، ولكن لقد تغير كل شيء في حسي ، إنها نعمة ضخمة أن يتفتح القلب لحقيقة كبرىٰ من حقائق هٰذا الوجود ، كالحقيقة الكبرى التي تتضمنها هٰذه الآية ، نعمة يتذوقها الإنسان ويعيشها ، ولكنه قلما يقدر علىٰ تصويرها ، أو نقلها للآخرين عن طريق الكتابة ، وقد عشتها وتذوقتها وعرفتها ، وتم هٰذا كله في أشد لحظات الضيق والجفاف التي مرت بي في حياتي ، وهأنذا أجد الفرج والفرح ، والري والاسترواح ، والانطلاق من كل قيد ، ومن كل كرب ، ومن كل ضيق ، وأنا في مكاني! إنها رحمة الله يفتح الله بابها ، ويسكب فيضها في آية من آياته .

* * *

أنا والكتاب

بعد ما فارقت سن الطفولة ، وزمن اللهو . . اتخذت الكتاب جليساً وسميراً وأنيساً ، أُصبحُ والكتاب صاحبي ، أُمسي والكتاب رفيقي ، أنام وهو علىٰ صدري ، أحتضنه وأنا أمشي ، سلوت به عن الأهل والإخوان ، وتشاغلت به عن كلّ صديق ، تركت النزهة في البساتين من أجله ، بل لقد مر بي زمن لم أخرج من بيتي من أجل المطالعة ، ولقد أتىٰ عليّ زمن وأنا أطالع الكتاب في وقت الأكل ، آكل وأنا أقرأ ، أمشي وأنا أقرأ ، أرىٰ زملائي يمرحون ويسرحون وأنا أقرأ ، أشاهد اجتماع الناس وفرحهم وطربهم وأنا مشغول بكتابي ، هائم بأوراقي .

ولقد كنت أقرأ في اليوم ما يقارب مئتي صفحة ، وربما قرأت في اليوم مجلداً كاملاً ، وربما كررت الصفحة عشر مرات ، وأعيد المقطع من النثر حتىٰ أحفظه ، وأكرر القصيدة حتىٰ أحفظها .

وكنت أقرأ في التفسير حتىٰ أَمَلَّ ، ثم أطالع الفقه حتىٰ أسأم ، ثم آخذ في الأدب حتىٰ أضجر ، ثم أحفظ الحديث ، وأتلو القرآن ، وأنظر في التراجم ، وأنشد القصائد ، وأحياناً أؤلف وأختصر ، وأحذف وأزيد .

ولقد قرأت بعض الكتب عشر مرات ، وجردت أمهات الكتب جرداً ، وكنت أغلق عليّ الباب ومعي الكتاب ، فلا أرتاح لسماع صوت ، ولا لرؤية إنسان ؛ لأنني في أعظم متعة ، وفي أجلّ لذّة .

وكنت أجعل الأيام للفنون ، فمثلاً يوم السبت للعقيدة ، والأحد للفقه ، والإثنين للتفسير ، والثلاثاء للحديث ، والأربعاء للنحو ، والخميس للأدب ، والجمعة للسيرة .

وكنت أسهر أحياناً إلى الفجر وأنا أطالع وأعيد وأكرر ، ولقد مرت بي أعياد والكتاب في يدي ، وربما قرأت وأنا في السيارة إذا ساق زميلي ، فإذا قدت السيارة طلبت منه أن يقرأ .

وكنت أصور المجلد الضخم في أجزاء ، وأكرر كلّ جزء ، وأشتري من الكتاب الواحد نسخاً عدة ، نسخة في المجلس ، ونسخة في غرفة النوم ، وثالثة معي في السيارة ، وكنت أطلب من بعض ضيوفي القراءة معي ، حتىٰ يحضر الطعام ، ومن كثرة تكراري للكتب كنت أعرف موضع الترجمة ، والقصيدة ، يمين الصفحة أو يسارها .

وكنت أسهر والكتاب بيدي ، فيسقط إذا نعست ، فأقوم فأقرأ ، فيسقط مرات كثيرة ، ثم أنام وهو بجانبي .

وأحياناً أسمع حديث الناس وهم بجانبي وأنا أقرأ ، فلا أدري ما يقولون ، وكنت أتعجب ممن لا يقرأ ، وأرىٰ أن حياته لا جديد فيها ، وكنت لا أعجب بالرياضة أو المصارعة أو أي هواية أو سفر ، إنّما عجبي وتعلقي بالكتاب ، وكانت الكتب أحب أصدقائي ، بيني وبينها صداقة حميمة ، فيها الجاد ككتب العلم ، وفيها المرح ككتب الأدب ، وأحب أن أنوِّع وأغاير بينها ، وكنت شغوفاً بشراء الكتب واقتنائها ، أُذهب مالي فيها ، وربما اقترضت ، ولا أنزل إلاّ إلى المكتبات .

وكنت أعجب من همم السلف في التأليف ، وأنبهر من كثرة كتب ابن

تيمية ، وابن القيم ، وابن الجوزي ، والزهري ، والطبري ، وابن حجر ، وابن كثير ، وأمثالهم ، وإذا حصلت علىٰ كتاب جديد مفيد . . فرحت به فرحاً شديداً ، وكنت أغلق علىٰ كثير من الكتب ، وربما سهرت في مكتبتي ، ثم أنام بين كتبي .

ومرة ذهبت إلىٰ قريتي الريفية الجميلة في عطلة صيفية ، فما خرجت من بيتي إلاّ للمسجد ، أقرأ من بعد الفجر إلى السابعة صباحاً ، ثم أنام إلى التاسعة ، وأقرأ حتىٰ صلاة الظهر ، وبعد الظهر حتى القيلولة ، وبعد العصر والمغرب والعشاء حتىٰ أنام ، وكان يقدم لي الطعام وأنا أقرأ ، وأجلس مع الوالدة والوالد وأنا أقرأ .

وقد نصحني بعض الزملاء أن أخفف عن نفسي من القراءة ؛ خوفاً علىٰ بصري ، فما استطعت أن أصبر عن القراءة ، وأحس بجوع شديد للمطالعة ، ومما زادني حبّاً في القراءة . . مطالعة أخبار العلماء في التحصيل وطلب العلم؛ خاصة كتب : « صفحات من صبر العلماء » لأبي غدة ، و« صيد الخاطر » لابن الجوزي ، و« الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي ، و« نيل الأوطار » للشوكاني، وكنت أكرر الصفحة الواحدة من « فتح الباري » ثلاث مرات ، وإذا قرأت كتاباً فأعجبني . . وددت أن يطول وتكثر أوراقه ، وقد خصصت أياماً كثيرة لكتب الجاحظ فقط، وأياماً لابن تيمية فقط ، وأياماً لكتب ابن حزم فقط، فأثمر ذلك عندي من الرغبة الجامحة، والمحبة العارمة ما يفوق الوصف.

وإذا لم يكن معي كتاب . . أحسست بالوحشة والسأم والملل ، وكان بعض الأصدقاء والأقارب يأخذنا في نزهة ، فآخذ معي الكتاب ، وإذا لم أجد وقتاً للقراءة . . عدت إلىٰ منزلي لأقرأ .

وأنا أطالع كلّ شيء ؛ أقرأ الكتاب الطويل والقصير ، والجاد والهازل ، أقرأ المصنف ، والمجلة والجريدة ، أقرأ للمتقدمين والمتأخرين في العلم والأدب والثقافة ، في كلّ باب ، وفي كلّ فن ، سواء فهمت أو لم أفهم ، وحاولت أن أحدد لنفسي بعض الفنون وأقتصر عليها فأبت ، وكلما وهنت عزيمتي . . قرأت سيرة أهل الهمم والعزائم حتىٰ ينقدح في ذهني إلهام ، وفي قلبي حب لطلب العلم ، فلا أزال أقرأ وأحفظ وأكتب وألخص ، ولو كتبت قائمة بأسماء الكتب التي طالعتها وذكرياتي مع هـٰذه الكتب . . لجاءت في كتاب .

وكنت أتعجب من الفارغين الذين يجلسون في الأسواق ، أو يشاهدون المباريات ، أو يسمرون على اللهو ، كيف فاتتهم لذة القراءة ، ومتعة المطالعة ؟!

وقد سافرت بلداناً كثيرة في آسيا وأوروبا وأمريكا وأفريقيا ، فكان الكتاب معي عند رأسي ، وعلىٰ صدري ، وبين يدي ، وعجبت لأهل الغرب حبهم للقراءة بقدر بغض العرب للقراءة ، وهـٰذا سبب تفوقهم ونهوضهم وإبداعهم ، ويا حسرة علىٰ قومي بني العرب لا يحبون القراءة ، حتىٰ قال موشىٰ دايان الهالك : (العرب قوم لا يقرؤون) .

ولقد قرأت أخبار مَنْ عشق الكتب ، وأغرم بها ، وهام بحبها ، وأجلُّها وأعظمها وأكرمها : القرآن الكريم ؛ كتاب الله العظيم ؛ فقد ضرب الأخيار أروع القصص في تلاوته وحفظه ، وتدبره وتفسيره ، والاشتغال به ، و« صحيح البخاري » كرره بعضهم في الأندلس سبع مئة مرة ، و« صحيح مسلم » كرره النيسابوري مئة مرة ، والمزني كرر « الرسالة » للشافعي خمس

مئة مرة ، وأخبارهم في اقتناء الكتب والتعلق بها تفوق الحصر .

ولقد عشت مع الكتاب أكثر من ثلاثين سنة وكأنها ثلاثون دقيقة من حسنها وبهجتها ولذتها ، فمرة كتابي القرآن الكريم أتدبره وأحفظه ، وأقف عند عجائبه ، ومرة مع التفسير أقلب صفحاته من مأثور ومعقول ، وأتعجب من اختلاف المفسرين وتصارعهم وترجيحاتهم وطرائف استنباطهم وغرائب فهمهم .

وحيناً أطالع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم رواية ودراية ، سنداً ومتناً ، ألفاظاً وشروحاً ، وأتلذّذ بفرائد المحدثين ، وقلائد الرواة المتقنين .

وحيناً أطالع اللغة العربية في رحابتها وإشراقها ، وأسرارها وشواهدها .

وحيناً أعيش مع النحو ، فأقف عند قواعده وأمثلته ، وما قاله النحاة ، فأجد نشوة لهٰذا العلم المخدوم ، والفن المهم .

وحيناً أسبح في بحر الأدب شعراً ونثراً ، قصة ورواية ، فصيحاً وعامياً ، فأجد فيه بغيتي من وهج مشاعر ، ونتاج عقول ، وغيث أذهان .

وأحياناً أقرأ التاريخ والسير ، فإذا العبر والعجائب ، والغرائب التي تدهش العقول ، وتهز الأنفس ، وغيرها من الفنون .

فكم من كتاب عانقته ، وكم من مصنف احتضنته ، لا أملّ من كتاب حتى أتناول آخر ، أكرر مرة ، أعيد أخرىٰ ، أنشد حيناً ، أتحرك أحياناً ، أبكي وأضحك ، أرضىٰ وأغضب ، أكسل وأنشط ، كأن هٰذه الأوراق تناجيني وتحدثني وتسامرني .

أنام وحولي علماء وحكماء ، وأدباء وشعراء ، كتب مطروحة في غرفتي لا أتركها حتىٰ يداهمني النوم ، فأقوم فأقرأ ، وأنام وأنا أقرأ ؛ لأنني وجدت

القراءة البوابة العظمىٰ لمجد الدنيا والآخرة ، ووجدت القراءة الطريق الأرحب للتفوق والامتياز ، وهي الدواء الناجع لمن شكا من غربة ، أو قلق أو سأم ، وليست كلّ قراءة نافعة ، بل لا بد من اختيار الكتاب المفيد ، والعمل بالعلم في غرس الفضيلة في النفس .

* * *

دمعة ندم

يا باغي الخير أقبل ، فالباب غير مقفل ، يا من أذنب وعصىٰ ، وأخطأ وعتا ، تعال فلعل وعسىٰ ، يا من بقلبه من الذنوب جروح ، تعال فالباب مفتوح ، والكرم يغدو ويروح ، يا من ركب مطايا الخطايا ، تعال إلىٰ ميدان العطايا ، يا من اقترفوا فاعترفوا ، لن تنسوا : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ ، يا من بذنبٍ باء ، وقد أساء ، تذكّر : « يا ابن آدم ؛ لو بلغت ذنوبك عنان السماء . . . » .

أسقت بغيّ كلبا ، فأرضت في السماء ربّا ، ومحت ذنبا .

قتل رجل مئة رجل ، ثم تاب إلى الله عز وجلّ ، فدخل الجنة علىٰ عجل .

من الذي ما أساء قط ، ومن له الحسنىٰ فقط ، ومن هو الذي ما سقط ، وأين هو الذي ما غلط ؟

يا كثير الأخطاء ؛ أنسيت : (كلكم خطّاء) .

كم يقتلك القنوط كم ، وأنت تسمع : « والذي نفسي بيده ؛ لو لم تذنبوا . . لذهب الله بكم . . . » .

إذا أذنبت . . فتبْ وتندّم ؛ فقد سبقك بالذنب أبوك آدم ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، و« تلك شنشنة نعرفها من أخزم » ، فلا تقلد أباك في الذنب وتترك المتاب ، فإن أباك لما أذنب . . أناب ، بنصّ الكتاب .

أصبحت وجوه التائبين مسفرة ، لما سمعوا نداء : « لو أتيتني بقراب

الأرض خطايا . . لأتيتك بقرابها مغفرة » .

اطرح نفسك علىٰ عتبة الباب ، ومد يدك وقل : (يا وهّاب) .

أرغم أنفك بالطين وناد : (رحمتك أرجو يا رب العالمين) .

يا من أساء وظلم ؛ اعلم أن دمعة ندم ، تزيل أثر زلة القدم .

أنت تتعامل مع من عرض التوبة على الكفار ، وفتح طريق الرجعة أمام الفجّار ، وأمهل بكرمه الأشرار ، أَنزل بالعفو كتبه ، وسبقت رحمتُه غضبَه .

اسمه التوّاب ، ولو لم تذنب . . لما عرف هٰذا الوصف في الكتاب ؛ لأن الوصف لا بد له من فعل حتىٰ يوصف بالصواب .

ما تدري بالذنب ، محا العجب ، وبالاستغفار حصل الانكسار ، لكأس الاستكبار ، وصار الانحدار ، لجدار الإصرار .

لا تصر ، بل اعترف وقرّ ، فإن طعم الدواء مُرّ ، وسوف تجد ما يسرّ ولا يضرّ ، واحذر الشيطان ؛ فإنه يغرّ .

الاعتراف بالاقتراف طبيعة الأشراف ، قف بالباب وقل : (أذنبنا) ، وطف بتلك الديار وقل : (تبنا) ، وارفع يديك وقل : (أنبنا) ، ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، سبحان من يغفر الذنب لمن أخطأ ، ويقبل التوبة ممن أبطأ .

التوبة تَجُبُّ ما قبلها ، وتعم بركتها أهلها ، يقول عليه الصلاة والسلام : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ، وهٰذا قول يجب أن نقبله ، فهنيئاً لمن تاب وأناب ، قبل أن يُغلق الباب . التائب سريع الرجعة ، غزير الدمعة ، منكسر الفؤاد ، لرب العباد ، دائم الإنصات ، كثير الإخبات .

للتائب فرحتان ، ودمعتان ، وبسمتان .

فرحة يوم ترك الذنب ، والأخرىٰ إذا لقي الرب .

ودمعة إذا ذكر ما مضىٰ ، والثانية إذا تأمل كيف ذهب عمره وانقضىٰ .

وبسمة يوم ذكر فضل الله عليه بالتوبة ، وهي أجلّ نعمة ، والأخرىٰ يوم صرف عنه الذنب ، وهو أفظع نقمة .

بشرىٰ لمن عفّر جبينه ، وأشعل في قلبه أنينه ، وأضرم بالشوق حنينه ، التائب تبدل سيئاته حسنات ؛ لأن ما فات مات ، والصالحات تمحو الخطيئات .

للتوبة أسرار ، ولأصحابها أخبار ، فالتائب يزول عنه تصيُّد المعائب ، وطلبُ المثالب ؛ لأنه ذاق مرارة ما تقدّم ، فهو دائماً يتندّم ، وهو يفتح باب المعاذير ، لمن وقع في المحاذير ، ولا يفعل فعل المعجب المنّان ، الذي قال : (والله ؛ لا يغفر الله لفلان) ، بل يستغفر لمن أساء من العباد ، ويطلب الهداية لأهل الفساد .

والتائب يطالع حكمة الرب ، في تقدير الذنب ، وأنه لا حول للعبد ولا قوّة ، في منع نفسه من الوقوع في تلك الهوّة ، فالله غالب علىٰ أمره ، بعزته وقهره .

والتائب ذهبت عن نفسه صولة الطاعات ، والدعاوى الطويلات ، والتبجح علىٰ أهل المعاصي ، وأصبح ذليلاً لمن أخذ بالنواصي ، فإن بعض الناس إذا لم يقع في زلّة ، ولم يذق طعم الذلة . . جمحت به نفسه الأمّارة ، حتىٰ جاوز أطواره ، فكلما ذُكر له عاص تأفّف ، وكلما سمع بمذنب تأسّف ، وكأنه عبدٌ معصوم ، في حياته غير مَلُوم ، يحاسب الناس علىٰ زلاتهم ، ويأخذ بعثراتهم ، فإذا أراد الله تقويمه ، ليسلك الطريق المستقيمة . . ابتلاه بذنب

لينكسر لربه ، وأَراه ضعفَ قوته فيعترف بذنبه ، فيصبح يدعو للمذنبين ، ويحبّ التائبين ، ويبغض المتكبرين .

ومنها : أن كأس الندم يتجرعه جرعة جرعة ، مع انحدار دموع الأسف دمعة دمعة ، حينها ينال الولاية ، ويدرك الرعاية ؛ لأنه عرف سر العبودية ، ودخل باب الشريعة المحمديّة ، فإن ذُلّ العبد مقصود ، وتواضعه محمود ، لصاحب الكبرياء المعبود .

ومنها : أنه يشتغل بالاستغفار ، عن الاستكبار ، فهو دائم الفكر في تقصيره ، مشتغل به عن غروره ؛ لأن بعض الناس لا يرىٰ إلا إحسانه ، ولا يشاهد إلا صلاحه وإيمانه ، حتىٰ كأنه يَمنّ علىٰ مولاه ، بطاعته وتقواه ، بخلاف من طار من خوف العاقبة لُبُّه ، وتشعب بالندم قلبُه ، فهو كثير الحسرات ، علىٰ ما مضىٰ وفات ، وهـٰذا هو حال من عرف العبادة ، وسلك طريق السعادة .

واعلم أن لوم النفس على التقصير ، والنظر إليها بعين التحقير ، والإزراء عليها في جانب مولاها ، وعدم الرضا عنها لما فعله هواها ، يقطع من مسافات السير ، إلى اللطيف الخبير ، ما لا يقطعه الصيام ولا القيام ، ولا الطواف بالبيت الحرام ، فهنيئاً لمن علىٰ ذنبه يتحرق ، وقلبه يكاد من الأسف يتمزّق ، ودمعه علىٰ ما فرّط يترقرق .

أجمل الكلمات ، وأحسن العبارات ، لدىٰ رب الأرض والسماوات ، قول العبد : يا رب أذنبتُ ، يا رب أسأتُ ، يا رب أخطأتُ ، فيكون الجواب منه سبحانه : عبدي ؛ قد غفرت وسامحت ، وسترت وصفحت .

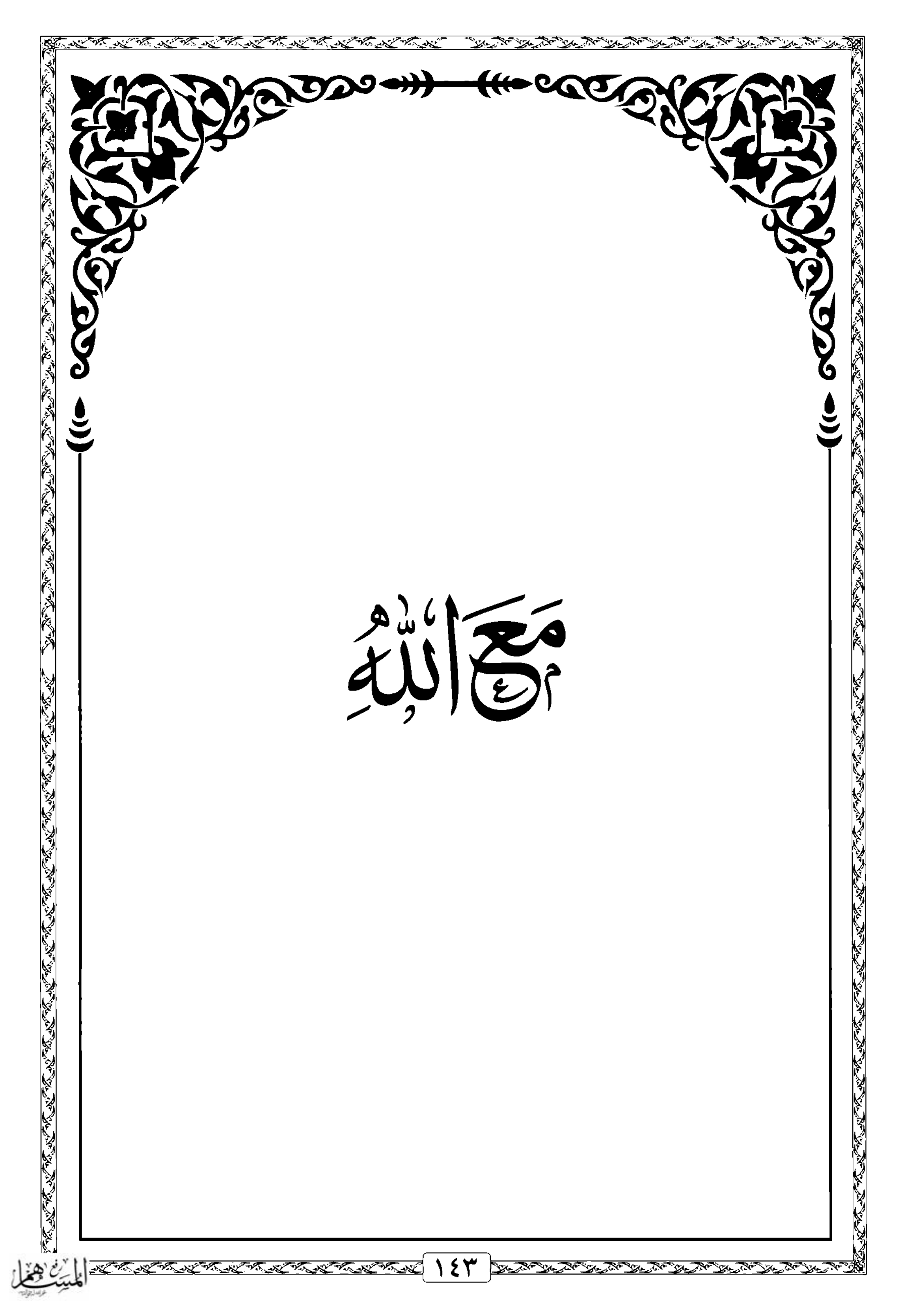
عفِّرِ الجبين بالطين ، وناد : يا رب العالمين ، تبنا مع التائبين ، اغسل

الكبائر بسبع غرفات من ماء الدموع ، وعفّرها الثامنة بتراب المتاب ، فهٰذا فعل من أناب ، حتىٰ يفتح لك الباب .

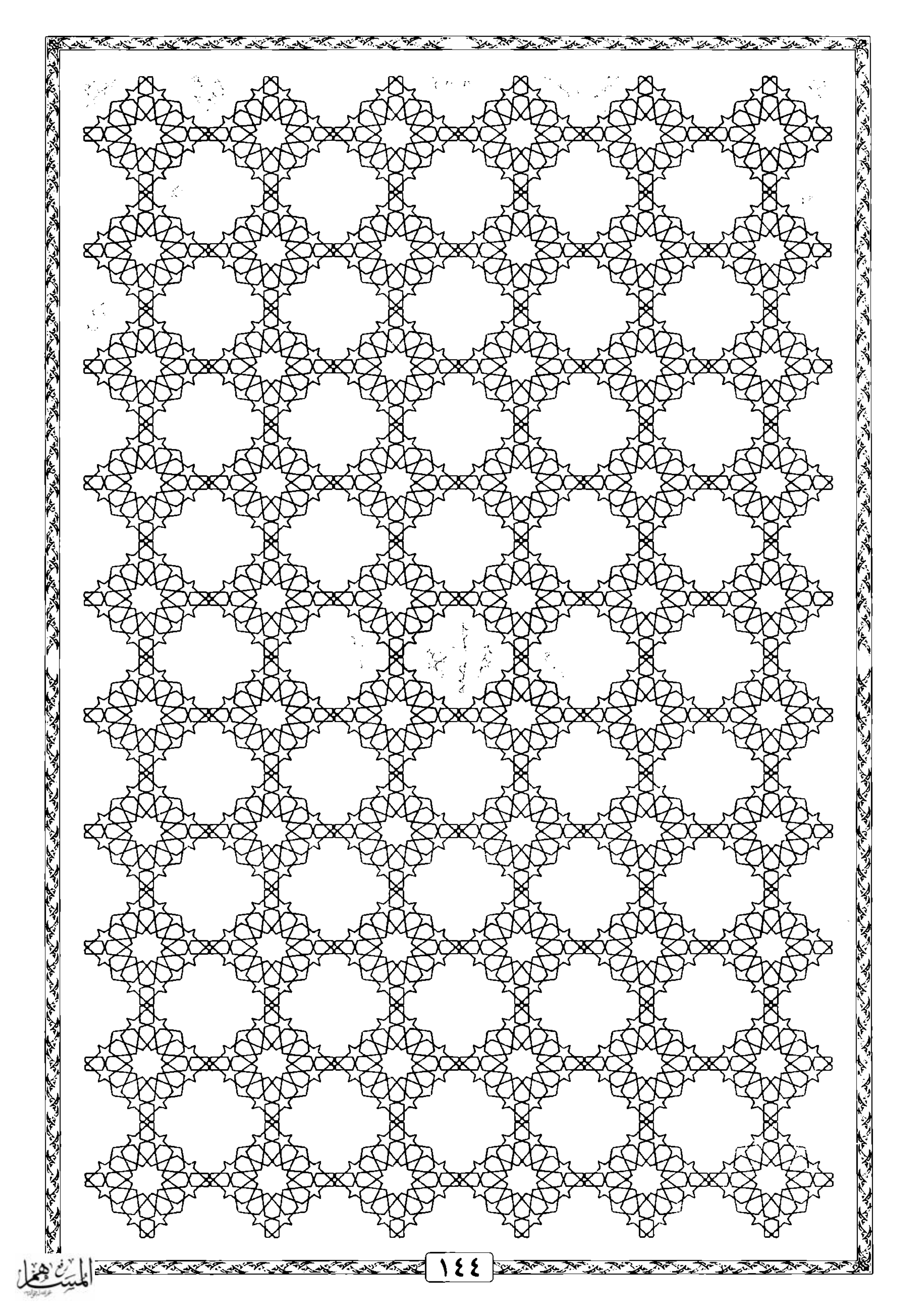
تأوّه المذنبين التائبين . . أحب من تسبيح المعجبين ، من قضىٰ ليله وهو نائم ، وأصبح وهو نادم . . أحب ممن قضاه وهو مسبّح مكبّر ، وأصبح وهو معجب متكبّر .

إذا أردت القدوم عليه . . توسّل برحمته وفضله إليه ، ولا تمنن بطاعتك لديه ، لا تيأس من فتح الباب ، ورفع الحجاب ، فأدم الوقوف عنده ، واخطب وده ؛ فإن من قصده لن يرده ، ما أحوج الجيل ، إلىٰ آخر ساعة من الليل ؛ لأنها ساعة الهبات ، والأعطيات والنفحات ، إمام الموحدين يقول : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ ، فجعل غاية مناه ، أن تغفر خطاياه ، وأنت تُصِرّ ، ولا تُقِرّ ، وتحسو كأس الذنب وهو مُرّ ، فأفق من سبات اللهو ، ولا تكن من الغافلين ، وأكثر من ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ .

* * *



مَعَ اللهِ



الله جلّ جلاله

سَأَلْتُكَ يَا رَحْمَنُ فَكَّ رِهَانِي رَجَوْتُكَ تَرْحَمْ ذِلَّتِي وَهَوَانِي
أَتَيْتُكَ وَٱلآمَالُ مِلْءُ جَوَانِحِي وَقَدْ عَقَدَتْ هُوجُ ٱلْخُطُوبِ لِسَانِي
تَوَسَّلْتُ بِٱلإِسْمِ ٱلْعَظِيمِ وَإِنَّهُ مَحَطُّ رَجَائِي أَوْ مَلاَذُ جَنَانِي
بِذُلِّي وَفَقْرِي وَٱلدُّمُوعِ وَتَوْبَتِي وَيَعْجَزُ عَنْ وَصْفِ ٱلْمُصَابِ بَيَانِي
وَفِي طَلْعَةِ ٱلْخَمْسِينَ أَبْلَغُ عِبْرَةٍ رَثَيْتُ شَبَابِي وَٱلْمَشِيبُ رِثَانِي
فَلاَ صَاحِبٌ أَشْكُو إِلَيْهِ مُصِيبَتِي وَمَا لِي صَدِيقٌ إِنْ دَعَوْتُ أَتَانِي
وَمَا لِي مَلاَذٌ غَيْرُ بَابِكَ أَرْتَجِي فَجُودُكَ وَٱلْفَضْلُ ٱلْعَظِيمُ دَعَانِي
لِمَنْ أَشْتَكِي إِلاَّ إِلَيْكَ نَوَائِبِي وَغَيْرُكَ عَنْ بَابِ ٱلْعَطَاءِ ثَنَانِي
إِلَىٰ مَنْ أَبُثُّ ٱلْهَمَّ وَٱلْكُلُّ عَاجِزٌ وَقَدْ عَقَدُوا بِٱلْبُخْلِ كُلَّ بَنَانِ
إِلَىٰ مَنْ أَسُحُّ ٱلدَّمْعَ وَٱلْحَالُ شَاهِدٌ وَنَوْمُ ٱلدُّجَىٰ وَٱلسَّعْدُ قَدْ هَجَرَانِي
أَأَشْكُو لِعَبْدٍ مُفْلِسٍ بَانَ عَجْزُهُ بِوَجْهٍ مِنَ ٱلشُّحِّ ٱلْقَبِيحِ رَمَانِي
أَأَطْلُبُ إِنْسَاناً فَقِيراً مُحَطَّماً إِذَا رُمْتُ خَيْراً مَلَّنِي وَجَفَانِي
إِذَا قُلْتُ : هَـٰذَا وَجْهُ دَهْيَاءَ أَقْبَلَتْ أَتَانِي بِدَهْيَا غَيْرِهَا وَدَهَانِي
كَتَبْتَ عَلَى ٱلأَحْيَاءِ غَيْرَكَ وَٱلدُّنَى فَنَاءً ، وَمَنْ يَبْقَىٰ عَلَى ٱلْحَدَثَانِ ؟!
تَفَرَّدْتَ بِٱلْمَجْدِ ٱلْعَظِيمِ جَلاَلَةً وَكُلُّ جُحُودٍ بَاءَ بِٱلدَّبَرَانِ
وَحَطَّمْتَ تِيجَانَ ٱلْمُلُوكِ بِعِزَّةٍ لِوَجْهِكَ رَبِّي يَسْجُدُ ٱلْقَمَرَانِ
خَطَمْتَ أُنُوفَ ٱلْمَاكِرِينَ فَأُبْلِسُوا وَشَتَّتَّ شَمْلَ ٱلْبَغْيِ كُلَّ مَكَانِ

نَمُـرُّ عَلَـىٰ أَوْطَـانِهِـمْ وَبُيُـوتِهُـمْ مُهَـدَّمَـةً بِـالْخَسْـفِ وَالـرَّجَفَـانِ
كَأَنْ لَمْ يَكُونُوا فِي قُصُورٍ مَشِيدَةٍ وَلَـمْ يَمْـرَحُـوا فِـي مَلْعَـبٍ وَجِنَـانِ
تَمَادَوْا وَعَاثُوا وَاسْتَبَدُّوا وَأَفْسَدُوا فَـلاَ أَثَـرٌ لِلْقَـوْمِ بَعْـدَ عِيَـانِ
نَصَبْتَ لَهُمْ أُحْبُولَةَ الْبَطْشِ فَارْتَمَى بِهَـا كُـلُّ مَطْمُـوسِ الْبَصِيـرَةِ جَـانِ
لِمَنْ يَشْتَكِي الْمَحْبُوسُ طَالَ أَنِينُه وَلَيْـسَ لِتَفْـرِيـجِ الْمُصَـابِ يَـدَانِ ؟
لِمَـنْ يَصْـرُخُ الْمَنْكُـوبُ يَمْـلأُ لَيْلَـهُ بُكَـاءِ بَـرِيءٍ أَوْ صُـرَاخَ مُـدَانِ ؟
لِمَـنْ يَفْـزَعُ الْمَكْـرُوبُ شُـدَّ خِنَـاقُـهُ بِقَلْـبِ أَسِيـرٍ دَائِـمِ الْخَفَقَـانِ ؟
لِمَنَ يَرْفَعُ الْعَبْدُ الْمَرِيضُ دُعَاءَهُ وَلَيْسَ لَـهُ فِـي الطِّبِّ أَيُّ ضَمَـانِ ؟
لِمَـنْ يَجْـأَرُ الْمَظْلُـومُ ضَـجَّ نِـدَاؤُهُ وَظَـالِمُـهُ مِـنْ دَهْـرِهِ بِـأَمَـانِ ؟
لِمَنْ يَرْتَجِي مَنْ زَلْزَلَ الْمَوْتُ رُوحَهُ وَمَـرْكَبُـهُ فِـي الْبَحْـرِ فِـي تَيَهَـانِ ؟
كَـأَنَّ الْحَمَـامَ الْـوُرْقَ تَشْـدُو بِـذِكْـرِهِ نَشِيـدَ نِيَـاحٍ أَوْ لُحُـونَ غَـوَانِ
كَـأَنَّ الـرِّيَـاحَ الْهُـوجَ شَقَّـتْ ثِيَـابَهَـا تَلُـومُ عُصَـاةَ الْخَلْـقِ كُـلَّ أَوَانِ
وَيَحْمَدُهُ الْقُمْرِيُّ فِي الرَّوْضِ مُنْشِداً وَحُـوتُ بِحَـارٍ لُـجَّ فِـي السَّبَحَـانِ
وَسَبَّـحَ هَـٰذَا الْكَـوْنُ حُبّـاً لِـرَبِّـهِ وَيُثْنِـي عَلَيْـهِ الْبَـرْقُ بِـاللَّمَعَـانِ
تَكَفَّـلَ بِـالأَرْزَاقِ وَالْفَضْـلُ فَضْلُـهُ يُطَـوِّقُ كُـلَّ النَّـاسِ وَالْحَيَـوَانِ
لَهُ الْحَمْدُ حَمْداً يَمْلأُ الأَرْضَ وَالسَّمَا وَشُكْـرٌ بِـلاَ عَـدٍّ طَـوالَ زَمَـانِ
أُعَفِّـرُ وَجْهِـي بِـالتُّـرَابِ لِمَجْـدِهِ فَيَهْتَـزُّ مِـنْ هَـوْلِ الْمَقَـامِ كِيَـانِـي

* * *

هتاف شاعر

لَكَ ٱلأَمْرُ ، لاَ يَدْرِي عِبادُكَ مَا بِيَا ... لَـكَ ٱلأَمْـرُ لاَ لِلنَّـاصِحِيـنَ وَلاَ لِيَـا
وَهَـٰذِي مَعَاذِيرِي وَتِلْكَ صَحَائِفٌ ... عَلَيْهَـا خَطَـايَـاهَـا وَفِيهَـا ٱعْتِـرَافِيَـا
وَفِيهَا مِنَ ٱلأَمْسِ ٱلدَّفِينِ وَحَاضِرِي ... وَفِيهَـا مِـنَ ٱلآتِـي وَفِيهَـا ٱبْتِهَـالِيَـا
وَفِيهَـا تَهَـاوِيـلٌ ، وَمُهْجَـةُ شَـاعِـرٍ ... يَنَـامُ بِهَـا يَـأْسـاً وَيَصْحُـو أَمَـانِيَـا
وَفِيهَــا أَعَــاجِيــبٌ يُكَفِّــرُ هَمُّهَــا ... ذُنُوبِي وَإِنْ كَانَتْ جِبَالاً رَوَاسِيَا!
وَنَـازَعَنِـي شَـوْقٌ إِلَيْـكَ وَهَـزَّنِـي ... مِـنَ ٱلْغَيْـبِ مَـا يَهْفُـو إِلَيْـهِ رَجَـائِيَـا
وَجِئْـتُ مِـنَ ٱلـدُّنْيَـا ٱلأَثِيمَـةِ هَـارِبـاً ... بِصَفْـوِيَ مِـنْ أَكْـدَارِهَـا وَنَقَـائِيَـا
وَفِي ٱلنَّفْسِ مَا أَخْشَىٰ ظَلاَمَ ضَبَابِهِ ... عَلَىٰ نُورِ إِيمَانِي وَمَسْرَىٰ حَيَائِيَا
وَذِكْرَىٰ مِنَ ٱلْمَاضِي ٱلشَّهِيدِ وَعَالَمٌ ... وَرَائِـيَ مِنْـهُ خُـدْعَـةٌ وَأَمَـامِيَـا!
وَنَـادَيْـتُ أَحْـلاَمِـي إِلَيْـكَ وَخَـافِقـاً ... تَهَيَّـبَ أَسْبَـابَ ٱلْمُنَـىٰ وَٱلتَّمَـادِيَـا!
أُنَادِيكَ فِي ضَعْفٍ وَأَخْجَلُ أَنْ تَرَى ... جِـرَاحَ أَمَـانِيـهِ وَلَـوْنَ دِمَـائِيَـا
لَكَ ٱلأَمْرُ ، أَشْوَاقِي بِبَابِكَ وَٱلْمُنَى ... وَلِـي أَمَـلٌ أَلاَّ يَطُـولَ ٱنْتِظَـارِيَـا
دَعَـوْتُـكَ بِـٱلسِّرِّ ٱلْمُغَيَّبِ فِي دَمِـي ... وَأَلْهَمَنِـي حُبِّـي وَفَـاضَ عِتَـابِيَـا
وَلاَحَ نَشِيـدٌ جِئْـتُ أَشْـرَعُ لَحْنَـهُ ... فَهَابَتْكَ أَرْضِي وَٱسْتَحَتْكَ سَمَائِيَا
لَكَ ٱلأَمْرُ مَا لِي أَرْتَجِيكَ فَيَلْتَوِي ... لِسَانِي وَأَمْضِي بِٱلتَّوَسُّلِ شَاكِيا ؟!
ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسٍ هَدَاهَا ضَلاَلُهَا ... إِلَيْـكَ وَعَـافَـتْ وَحْـدَتِـي وَٱرْتِيَـابِيَـا
وَمَنَّيْـتُ رُوحِي مِـنْ سَنَـاكَ بِلَمْحَـةٍ ... أُضَمِّــدُ آلاَمِــي بِهَــا وَجِـرَاحِيَــا

وَأَرْسَلْتُـهُ فِيمَـا لَـدَيْـكَ لَعَلَّـهُ يَعُـودُ بِـأَسْبَـابِ ٱلْمَحَبَّـةِ رَاضِيَـا
تَعَالَيْتَ ، لَمْ أَذْكُرْ سِوَاكَ بِمِحْنَتِي وَلَـمْ أَرْجُ إِلاَّ مِـنْ يَـدَيْـكَ جَـزَائِيَـا
وَفَـوَّضْـتُ عَـنْ عِلْـمٍ إِلَيْكَ إِرَادَتِـي وَحَسْبِـيَ مَـا أَدَّىٰ إِلَيْـهِ ٱخْتِيَـارِيَـا
لَكَ ٱلأَمْرُ ، شَاقَتْنِي سَمَاؤُكَ وَٱنْتَهَى إِلَيْـكَ بِـأَحْـلاَمِ ٱلضَّمِيـرِ مَطَـافِيَـا
وَأَنْـزَلْـتُ آمَـالِـي وَفِيهَـا مَـلاَمِـحٌ تَـرُدُّ أَمَـامِـي مَـا تَـرَكْـتُ وَرَائِيَـا!
يُطَـالِعُنِـي مِنْهَـا زَمَـانٌ عَـرَفْتُـهُ بِـرِيـحِ لَيَـالِيـهِ وَلَـوْنِ سُهَـادِيَـا!
تُقَلِّـبُ ذِكْـرَاه ٱلـدَّفِيـنَ وَمَـاضِيـاً تَهَـرَّبَ مِنْـهُ فِـي ٱلشِّعَـابِ خَيَـالِيَـا!
أَطَلَّـتْ مَـآسِيـهِ بِبَـابِـكَ فَـٱسْتَمِـعْ إِلَيْهَـا حَـدِيثـاً لَـمْ يَسَعْـهُ بَيَـانِيَـا
ضِيَـاؤُكَ أَغْـرَىٰ بِـٱلْيَقِيـنِ جَـوَارِحِـي وَفَجَّـرَ أَعْمَـاقِـي وَأَفْضَـىٰ بِـذَاتِيَـا
لَكَ ٱلأَمْرُ ، أَسْبَابٌ ضِعَافٌ وَخَاطِرِي بِبَـابِـكَ يَخْشَـىٰ رَجْعَتِـي وَٱنْحِـرَافِيَـا
دَعَـوْتُـكَ مِـلْءَ ٱلنَّفْـسِ أَلاَّ تَـرُدَّهُ مَغِيظـاً وَأَلاَّ تَسْتَعِيـدَ سُـؤَالِيَـا!
وَحَاشَاكَ أَنْ أَرْضَىٰ مَعَ ٱلنَّفْسِ مَذْهَباً بِغَيْـرِ يَقِيـنٍ مِنْـكَ يَهْـدِي شُعَـاعِيـاً!
كَفَـانِيَ أَوْهَـامـاً فَهَـبْ لِـي تَمِيمَـةً بِهَـا أَتَّقِـي نَفْسِـي وَشَـرَّ ذَكَـائِيَـا!
وَبَـارِكْ فِجَـاجَ ٱلأَرْضِ إِلاَّ مَـوَاضِعـاً شَـرِبْـنَ دُمُـوعِـي أَوْ شَهِـدْنَ عِثَـارِيَـا
تَنَـاسَيْتُهَـا لَـوْلاَ حَـدِيـثٌ أَهَـاجَـهُ تَلَفُّـتُ أَشْـوَاقِـي وَخَـوْفُ ٱرْتِـدَادِيَـا
وَجَدَّدَ لِي هَمْسُ ٱلرَّحِيلِ مَكَارِهاً تَـوَلَّـىٰ شَجَـاهَـا وَٱلْجِـرَاحُ كَمَـا هِيَـا
وَأَيَّـامِـيَ ٱلـلاَّتِـي ذَهَبْـنَ وَعَـالَمـاً دَفَنْـتُ بِـهِ عَهْـدَ ٱلصِّبَـا وَشَبَـابِيَـا
وَأَوْدَعْتُـهُ سِـرّاً حَـرَامـاً وَلَـمْ أَزَلْ أَعُـودُ فَـأَبْكِيـهِ دُمُـوعـاً غَـوَالِيَـا
لَكَ ٱلأَمْرُ ، هَـٰذَا مِنْ يَدَيْكَ عَدَالَةٌ وَهَـٰذَا قَلِيـلٌ فِـي مَقَـامِ ٱتِّصَـالِيَـا
أَتَيْتُـكَ وَٱلْحَـقُّ ٱلصَّـرِيـحُ يَمُـدُّنِـي إِلَيْـكَ وَلَحْـنُ ٱلْبِشْـرِ مِـلْءُ فُـؤَادِيَـا
وَفِي ٱلنَّفْسِ فَجْرٌ مِنْ يَقِينٍ وَمَوْكِبٌ مِـنَ ٱلْخَيْـرِ يَحْـدُوهُ إِلَيْـكَ وَلاَئِيَـا

وَفِيهَا رَجَاءٌ فَاضَ مِنْكَ جَلالُهُ   وَآفَاقُ نُورٍ يَسْتَحِيهَا ضِيَائِيَا
وَأَحْبَبْتُ حَتَّىٰ أَسْكَرَتْنِي مَوَدَّتِي   وَذَابَ يَمِينِي رَحْمَةً وَشِمَالِيَا!
وَهَامَتْ بِآلامِ ٱلْحَيَاةِ وَسَائِلِي   وَفَاضَتْ عَلَىٰ مَا لَيْسَ مِنِّي هِبَاتِيَا
وَأَرْسَلْتُ أَنْسَامِي عَبِيراً وَبَهْجَةً   لِتَنْفَحَ أَشْوَاكَ ٱلرُّبَىٰ وَٱلأَفَاعِيَا!
وَآمَنْتُ حَتَّىٰ كَادَ يَذْهَبُ خَاطِرِي   وَتَصْعَدُ أَنْفَاساً إِلَيْكَ حَيَاتِيَا!
وَلَمْ يَبْقَ حَرْفٌ مِنْكَ إِلاَّ أَسَرَّهُ   ضَمِيرِي وَأَبْدَتْهُ إِلَيْكَ سَمَائِيَا!
لَكَ ٱلأَمْرُ ، آفَاقٌ تَرَاءَتْ لِخَاطِرِي   وَعَاوَدَنِي مِنْهَا دَبِيبُ شَكَاتِيَا!
وَذَكَّرَنِي بِشْرُ ٱلسَّمَاءِ مَنَازِلاً   أَتَيْتُكَ مِنْهَا عَابِسَ ٱلْوَجْهِ دَامِيَا
أُقَلِّبُ أَوْهَامِي يَمِيناً وَيَسْرَةً   وَأَرْفَعُ آمَالاً إِلَيْكَ رَوَانِيَا!
يُنَازِعُنِي مَاضٍ شَرِقْتُ بِعَذْبِهِ   وَرَاوَدْتُ فِيهِ مَا أَشَابَ ٱلنَّوَاصِيَا
إِذَا طَافَ مِنْهُ حَوْلَ نَفْسِيَ طَائِفٌ   ذَكَرْتُ زَمَانِي وَٱلسِّنِينَ ٱلْخَوَالِيَا
هُنَاكَ وَفِي أَرْضٍ عَلَيْهَا مَلاَعِبِي   وَأَطْيَافُ آبَائِي وَلَغْوُ دِيَارِيَا
وَفِيهَا تَعِلاَّتِي وَرَاحُ مَشَارِبِي   وَزَلاَّتُ أَهْوَائِي وَدَمْعُ مَتَابِيَا
وَأَحْلاَمِيَ ٱلْمَوْتَىٰ وَذَاتُ مَوَاجِعِي   وَأَطْلاَلُ مَأْسَاتِي وَرَجْعُ بَلاَئِيَا
لَكَ ٱلأَمْرُ ، أَلْهَانِي حَدِيثٌ أَعَادَهُ   عَلَيْكَ ضَمِيرِي وَٱسْتَحَاهُ لِسَانِيَا!
وَأَسْرَفْتُ فِي ذِكْرِ ٱلْمَسَاءِ وَلَمْ أَكُنْ   لأُسْرِفَ لَوْلاَ رَجْفَةٌ مِنْ صَبَاحِيَا
لَكَ ٱلأَمْرُ ، نَادَتْ بِٱلرَّحِيلِ خَوَاطِرِي   وَهَبَّتْ عَلَىٰ نَفْسِي رِيَاحُ ٱغْتِرَابِيَا
وَذَكَّرْتُهَا أَنَّ ٱلشِّعَابَ جَدِيدَةٌ   وَأَنَّ عَلَيْهَا مِنْ سَنَاكَ هَوَادِيَا!
وَأَنَّ شِعَابَ ٱلأَمْسِ وَاجَهْتُ غَيَّهَا   عَلَىٰ غَيْرِ إِيمَانٍ فَكَانَتْ مَهَاوِيَا!
هِيَ ٱلأَرْضُ تَبْلُونِي لِتَبْلُو وَخَطْبُهَا   عَلَىٰ نُورِ إِدْرَاكِي وَضَوْءِ نَفَاذِيَا!
لَكَ ٱلأَمْرُ، مَا لِي فِي وَدَاعِكَ بَاهِتاً؟!   وَمَا لِيَ أَخْطُو شَاحِبَ ٱلنَّفْسِ نَائِيَا ؟!

لَكَ ٱلأَمْرُ ، لاَحَتْ مِنْ بَعِيدٍ مَذَاهِبي وَآذَنَ حَـادِيهَـا وَآنَ ٱرْتِحَـالِيَـا!
وَرَفَّـتْ عَلَيْهَـا مِـنْ سَنَـاكَ مَـآثِـرٌ وَرَفَّـتْ عَلَيْهَا غَـايَتِـي وَصَـلاَتِيَـا
تَنَسَّمْتُ أَمْوَاجَ ٱلرَّحِيلِ وَأَشْرَفَتْ عَلَـيَّ أَمَـانِيـهِ فَبَـارِكْ شِـرَاعِيَـا!

* * *

إِذَا نَحْـنُ أَثْنَيْنَـا عَلَيْـكَ بِصَـالِـحٍ فَأَنْتَ ٱلَّذِي نُثْنِي ، وَفَوْقَ ٱلَّذِي نُثْنِي

أبو نواس

* * *

لَـهُ مِنَـنٌ تُفْنِـي ٱلثَّنَـاءَ كَـأَنَّمَـا بِكُـمْ أَقْسَمَـتْ أَلاَّ يُؤَدَّىٰ لَهَـا شُكْـرُ

المتنبي

* * *

جَـزَى ٱللهُ ٱلْمَسِيـرَ إِلَيْـكَ خَيْـراً وَإِنْ تَـرَكَ ٱلْمَطَـايَـا كَـٱلْمَـزَادِ

المتنبي

* * *

يَجِلُّ عَـنِ ٱلتَّشْبِيـهِ جَـلَّ جَـلاَلُـهُ وَلاَ تَسْلَـمُ ٱلأَعْـدَاءُ مِنْـهُ ، وَيَسْلَـمُ
وَلاَ يُبْـرَمُ ٱلأَمْـرُ ٱلَّـذِي هُـوَ حَـالِـلٌ وَلاَ يُحْلَـلُ ٱلأَمْـرُ ٱلَّـذِي هُـوَ مُبْـرِمُ

المتنبي

* * *

اَلأَمْـرُ أَمْـرُكَ وَٱلْقُلُـوبُ خَـوَافِـقُ فِـي مَـوْقِـفٍ بَيْـنَ ٱلْمَنِيَّـةِ وَٱلْمُنَـى

المتنبي

* * *

وَأَمَا وَحَقِّكَ وَهْوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ   لَلْحَقُّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ ٱلْبَاطِلُ
مَا دَارَ فِي ٱلْحَنَكِ ٱللِّسَانُ وَقَلَّبَتْ   قَلَماً بِأَحْسَنَ مِنْ ثنَاكَ أَنَامِلُ

المتنبي

* * *

دَعَانِي إِلَيْكَ ٱلْعِلْمُ وَٱلْحِلْمُ وَٱلْحِجَى   وَهَـٰذَا ٱلْكَلاَمُ ٱلنَّظْمُ وَٱلنَّائِلُ ٱلنَّثْرُ

المتنبي

* * *

وُعُودُكَ حَقٌّ لَمْ نَزَلْ فِي ٱنْتِظَارِهَا   وَكُلُّ ٱلرَّزَايَا فِي جِوَارِكَ تَصْغُرُ
وَجُنْدُكَ مَنْصُورٌ ، وَجَيْشُكَ قَادِمٌ   وَنُورُكَ فِي كُلِّ ٱلدَّيَاجِيرِ يُسْفِرُ
أُحِبُّكَ ، وَٱلْعَقْلُ ٱلْحَصِيفُ يَقُودُنِي   إِلَيْكَ ، وَقَلْبِي بِٱلصَّبَابَةِ يَأْمُرُ

سلمان العودة

* * *

رَبِّي لَكَ ٱلْحَمْدُ لاَ أُحْصِي ٱلْجَمِيلَ إِذَا   نَفَثْتُ يَوْماً شَكَاةَ ٱلْقَلْبِ فِي كَرْبِ
فَلاَ تُؤَاخِذْ إِذَا زَلَّ ٱللِّسَانُ ، وَمَا   شَيْءٌ سِوَى ٱلْحَمْدِ فِي ٱلضَّرَّاءِ يَجْمُلُ بِي
لَكَ ٱلْحَيَاةُ كَمَا تَرْضَىٰ بَشَاشَتَهَا   فِيمَا تُحِبُّ ، وَإِنْ بَاتَتْ عَلَىٰ غَضَبِ
رَضِيتُ فِي حُبِّكَ ٱلأَيَامَ جَائِرَةً   فَعَلْقَمُ ٱلدَّهْرِ إِنْ أَرْضَاكَ كَٱلْعَذْبِ

عصام العطار

* * *

أَمْطِرْ عَلَيَّ سَحَابَ جُودِكَ ثَرَّةً   وَٱنْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ لاَ أَغْرَقُ

المتنبي

* * *

فِيكَ يَا أُغْلُوطَةَ ٱلْفِكَرِ حَارَ أَمْرِيْ وَٱنْقَضَىٰ عُمْرِي
سَافَرَتْ فِيكَ ٱلْعُقُولُ فَمَا رَبِحَتْ إِلاَّ أَذَى ٱلسَّفَرِ
فَلَحَى ٱللهُ الأُلَىٰ زَعَمُوا أَنَّكَ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلنَّظَرِ
كَذَبُوا إِنَّ ٱلَّذِي ذَكَرُوا خَارِجٌ عَنْ قُوَّةِ ٱلْبَشَرِ

ابن أبي الحديد

* * *

وَحَقِّكَ لَوْ أَدْخَلْتَنِي ٱلنَّارَ قُلْتُ لِلْـلَذِينَ بِهَا قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ يُحِبُّهُ
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ وَمَا بُغْيَتِي إِلاَّ رِضَاهُ وَقُرْبُهُ
أَمَا قُلْتُمُ : مَنْ كَانَ فِينَا مُجَاهِداً سَيُكْرَمُ مَثْوَاهُ وَيَعْذُبُ شُرْبُهُ
أَمَا رَدَّ شَكَّ ٱبْنِ ٱلْخَطِيبِ وَزَيْغَهُ وَتَمْوِيهَهُ فِي ٱلدِّينِ إِذْ جَلَّ خَطْبُهُ
أَمَا كَانَ يَنْوِي ٱلْحَقَّ فِيمَا يَقُولُهُ أَلَمْ تَنْصُرِ ٱلتَّوحِيدَ وَٱلْعَدْلَ كُتْبُهُ
هَبُونِي مُسِيئاً أَوْسَعَ ٱلْحِلْمُ جَهْلَهُ وَأَوْبَقَهُ دُونَ ٱلْبَرِيَّةِ ذَنْبُهُ
أَمَا يَقْتَضِي شَرْعُ ٱلتَّكَرُّمِ عَفْوَهُ أَيَحْسُنُ أَنْ يُمْحَىٰ هَوَاهُ وَحُبُّهُ
وَغَايَةُ صِدْقِ ٱلصَّبِّ أَنْ يَعْذُبَ ٱلأَسَى إِذَا كَانَ مَنْ يَهْوَىٰ عَلَيْهِ يَصُبُّهُ

ابن أبي الحديد

* * *

فِيكَ يَا أُعْجُوبَةَ ٱلْكَوْ نِ غَدَا ٱلْفِكْرُ كَلِيلاَ
أَنْتَ حَيَّرْتَ ذَوِي ٱللُّبْبِ وَبَلْبَلْتَ ٱلْعُقُولاَ
كُلَّمَا أَقْدَمَ فِكْرِي فِيكَ شِبْراً فَرَّ مِيلاَ
نَاكِصاً يَخْبِطُ فِي عَمْيَاءَ لاَ يُهْدَى ٱلسَّبِيلاَ

ابن أبي الحديد

ابتهال موحِّد :

مَـعَ ٱللهِ فِـي سُبُحَـاتِ ٱلْفِكَـرْ　　مَـعَ ٱللهِ فِـي لَمَحَـاتِ ٱلْبَصَـرْ
مَـعَ ٱللهِ فِـي وَمَضَـاتِ ٱلْكَـرَى　　مَـعَ ٱللهِ عِنْـدَ ٱمْتِـدَادِ ٱلسَّهَـرْ
مَـعَ ٱللهِ وَٱلْقَلْـبُ فِـي نَشْـوَةٍ　　مَعَ ٱللهِ وَٱلنَّفْسُ تَشْكُـو ٱلضَّجَـرْ
مَـعَ ٱللهِ فِـي أَمْسِـيَ ٱلْمُنْقَضِـي　　مَـعَ ٱللهِ فِـي غَـدِيَ ٱلْمُنْتَظَـرْ
مَـعَ ٱللهِ فِـي عُنْفُـوَانِ ٱلصِّبَـا　　مَعَ ٱللهِ فِي ٱلضَّعْـفِ عِنْـدَ ٱلْكِبَـرْ
مَـعَ ٱللهِ قَبْـلَ حَيَـاتِـي وَفِيهَـا　　وَمَـا بَعْـدَهَـا عِنْـدَ سُكْنَـى ٱلْحُفَـرْ
مَـعَ ٱللهِ فِـي ٱلْجِـدِّ مِـنْ أَمْـرِنَـا　　مَـعَ ٱللهِ فِـي جَلَسَـاتِ ٱلسَّمَـرْ
مَـعَ ٱللهِ فِـي حُـبِّ أَهْـلِ ٱلتُّقَـى　　مَـعَ ٱللهِ فِـي كُـرْهِ مَـنْ قَـدْ فَجَـرْ

* * *

سبحانك :

كُلَّمَـا أَمْعَـنَ ٱلـدُّجَـىٰ وَتَحَـالَـكْ　　شِمْتُ فِي غَوْرِهِ ٱلرَّهِيبِ جَلاَلَكْ
وَتَـرَاءَتْ لِعَيْـنِ قَلْبِـي بَـرَايَـا　　مِـنْ جَمَـالٍ آنَسْـتُ فِيـهِ جَمَـالَـكْ
وَتَـرَاءىٰ لِمَسْمَـعِ ٱلْقَلْـبِ هَمْـسٌ　　مِـنْ شِفَـاهِ ٱلنُّجُـومِ يَتْلُـو ٱلثَّنَـا لَـكْ
وَٱعْتَـرَانِـي تَـأَلُّـهٌ وَخُشُـوعٌ　　وَٱحْتَـوَانِـي ٱلشُّعُـورُ أَنِّـي حِيَـالَـكْ
مَـا تَمَـالَكْـتُ أَنْ يَخِـرَّ كَيَـانِـي　　عَـابِـداً خَـاشِعـاً وَمَـنْ يَتَمَـالَـكْ

* * *

تقدَّست :

وَحِيـنَ يُسَـاقُ ٱلسَّحَـابُ ٱلْجَـوَادْ　　لِيُحْيِـيَ فِـي ٱلأَرْضِ مَيْـتَ ٱلْقُبُـورْ
أَفِـرُّ إِلَـىٰ سَـاحَـةِ ٱلسَّـاجِـدِيـن　　أُشَـارِكُ فِـي مَهْـرَجَـانٍ كَبِيـرْ

أَبِيــعُ وَرَبِّــيَ مِنِّــي ٱشْتَــرَى   أَبِيـــعُ ٱلْحَيَـــاةَ وَلاَ أَسْتَشِيـــرْ
أَرَىٰ كِبْــرِيَـــاءً بِلَـــوْنِ ٱلسَّمَـــاءْ   وَوَمْــضِ ٱلْبُـرُوقِ وَلَفْـحِ ٱلْهَجِيـرْ

* * *

ملكُ الملوك :

بِـكَ أَسْتَجِيرُ ، وَمَنْ يُجِيرُ سِـوَاكَـا   فَـأَجِـرْ ضَعِيفـاً يَحْتَمِـي بِحِمَـاكَـا
إِنِّـي ضَعِيـفٌ أَسْتَعِيـنُ عَلَـىٰ قِـوَى   ذَنْبِـي وَمَعْصِيَتِـي بِبَعْـضِ قِـوَاكَـا
يَـا مُـدْرِكَ ٱلأَبْصَـارِ وَٱلأَبْصَـارُ لاَ   تَـــدْرِي لَـــهُ وَلِكُنْهِـــهِ إِدْرَاكَـــا
أَتَـرَاكَ عَيْـنٌ وَٱلْعُيُـونُ لَهَـا مَـدَى   مَـا جَـاوَزَتْـهُ وَلاَ مَـدَىٰ لِمَـدَاكَـا
إِنْ لَـمْ تَكُـنْ عَيْنِـي تَـرَاكَ فَـإِنَّنِـي   فِـي كُـلِّ شَـيْءٍ أَسْتَبِيـنُ عُـلاَكَـا
يَـا مُنْبِـتَ ٱلأَزْهَـارِ عَـاطِـرَةَ ٱلشَّـذَا   هَـٰـذَا ٱلشَّـذَا ٱلْفَـوَّاحُ نَفْـحُ شَـذَاكَـا
يَـا مُجْـرِيَ ٱلأَنْهَـارِ عَـاذِبَـةَ ٱلنَّـدَى   مَـا خَـابَ يَـوْمـاً مَـنْ دَعَـا وَرَجَـاكَـا
رَبَّـاهُ قَـدْ أَفْلَـتُّ مِـنْ أَسْـرِ ٱلْهَـوَى   وَٱسْتَقْبَـلَ ٱلْقَلْـبُ ٱلْخَلِـيُّ هَـوَاكَـا
وَتَـرَكْـتُ أُنْسِـي بِـٱلْحَيَـاةِ وَلَهْـوِهَـا   وَلَقِيـتُ كُـلَّ ٱلأُنْـسِ فِـي نَجْـوَاكَـا
وَنَسِيـتُ حُبِّـي وَٱعْتَـزَلْـتُ أَحِبَّتِـي   وَنَسِيـتُ نَفْسِـي خَـوْفَ أَنْ أَنْسَـاكَـا
أَنَـا كُنْـتُ ـ يَـا رَبِّـي ـ أَسِيـرَ غِشَـاوَةٍ   رَانَـتْ عَلَـىٰ قَلْبِـي فَضَـلَّ سَنَـاكَـا
وَٱلْيَـوْمَ هَـٰأَنَـذَا مَسَحْـتُ غِشَـاوَتِـي   وَبَـدَأْتُ بِـٱلْقَلْـبِ ٱلْبَصِيـرِ أَرَاكَـا
يَـا غَـافِـرَ ٱلـذَّنْـبِ ٱلْعَظِيـمِ وَقَـابِـلاً   لِلتَّـوْبِ قَلْـبٌ تَـائِـبٌ نَـاجَـاكَـا
أَتَـــرُدُّه وَتَـــرُدُّ صَـــادِقَ تَـــوْبَـــةٍ   حَـاشَـاكَ تَـرْفُـضُ تَـائِبـاً حَـاشَـاكَـا

* * *

في بلاط العظمة :

مَعَ ٱللهِ فِي ٱلْقَلْبِ حِينَ ٱنْكَسَرْ — مَعَ ٱللهِ فِي ٱلدَّمْعِ لَمَّا ٱنْهَمَرْ
مَعَ ٱللهِ فِي ٱلرُّوحِ فَوْقَ ٱلسَّمَا — مَعَ ٱللهِ فِي ٱلْجِسْمِ لَمَّا عَثَرْ
مَعَ ٱللهِ فِي نَسَمَاتِ ٱلصَّبَاحْ — وَعِنْدَ ٱلْمَسَا فِي ظِلَالِ ٱلْقَمَرْ
مَعَ ٱللهِ فِي جَارِيَاتِ ٱلرِّيَاحْ — تُثِيرُ ٱلسَّحَابَ فَيَهْمِي ٱلْمَطَرْ
فَتَصْحُو ٱلْحَيَاةُ وَيَرْبُو ٱلنَّبَاتُ — وَتَزْهُو ٱلزُّهُورُ وَيَحْلُو ٱلثَّمَرْ
مَعَ ٱللهِ فِي ٱلْجُرْحِ لَمَّا ٱنْمَحَى — مَعَ ٱللهِ فِي ٱلْعَظْمِ لَمَّا ٱنْجَبَرْ
مَعَ ٱللهِ فِي ٱلْكَرْبِ لَمَّا ٱنْجَلَى — مَعَ ٱللهِ فِي ٱلْهَمِّ لَمَّا ٱنْدَثَرْ
مَعَ ٱللهِ فِي سَكَنَاتِ ٱلْفُؤَادْ — وَتَسْلِيمِهِ بِٱلْقَضَا وَٱلْقَدَرْ
مَعَ ٱللهِ حِينَ يَثُورُ ٱلضَّمِيرُ — وَتَصْحُو ٱلْبَصِيرَةُ يَصْحُو ٱلْبَصَرْ

* * *

أنا العبْدُ :

كُلُّ جَهْدِي لَيْسَ يُجْدِي — إِنْ أَكُنْ يَا رَبِّ وَحْدِي
كُلُّ أَفْرَاحِ حَيَاتِي — كُلُّ أَحْزَانِي وَسُهْدِي
وَسُكُونِي وَشُجُونِي — وَٱضْطِرَابِي حِينَ بُعْدِي
وَصَلَاتِي وَحَيَاتِي — وَمَمَاتِي يَوْمَ لَحْدِي
كُلُّ فِكْرٍ كُلُّ شِعْرٍ — كُلُّ بَوْحٍ كَانَ عِنْدِي
كُلُّ هَٰذَا يَا إِلَٰهِي — سَاجِدٌ مُذْ قُلْتَ : (عَبْدِي)

* * *

لك الحمـد

لَكَ ٱلْحَمْدُ مَهْمَا ٱسْتَطَالَ ٱلْبَلاَءْ
وَمَهْمَا ٱسْتَبَدَّ ٱلأَلَمْ
لَكَ ٱلْحَمْدُ أَنَّ ٱلرَّزَايَا عَطَاءْ
وَأَنَّ ٱلْمُصِيبَاتِ بَعْضُ ٱلْكَرَمْ
أَلَمْ تُعْطِنِي أَنْتَ هَـٰذَا ٱلصَّبَـاحْ ؟
وَأَعْطَيْتَنِي أَنْتَ هَـٰذَا ٱلسَّـحَرْ ؟
فَهَلْ تَشْكُرُ ٱلأَرْضُ قَطْرَ ٱلْمَطَرْ ؟
وَتَجْزَعُ إِنْ لَمْ يَجِدْهَا ٱلْغَمَام ؟
شُهُورٌ طِوَالٌ وَهَـٰذِي ٱلْجِرَاحْ
تُمَزِّقُ جَنْبَيَّ مِثْلَ ٱلْمُدَى
وَلاَ يَهْدَأُ ٱلدَّاءُ عِنْدَ ٱلصَّبَاحْ
وَلاَ يَمْسَحُ ٱللَّيْلُ أَوْجَاعَه بِٱلرَّدَى
وَلَكِنَّ أَيُّوبَ إِنْ صَاحَ صَاحْ
لَكَ ٱلْحَمْدُ أَنَّ ٱلرَّزَايَا نَدَى
وَأَنَّ ٱلْجِرَاحَ هَدَايَا ٱلْحَبِيبْ
أَضُمُّ إِلَى ٱلصَّدْرِ بَاقَاتِهَا
هَدَايَاكَ فِي خَافِقِي لاَ تَغِيبْ
هَدَايَاكَ مَقْبُولَةٌ هَاتِهَا
أَشُدُّ جِرَاحِي وَأَهْتِفُ بِٱلْعَائِدِينْ
أَلاَ فَٱنْظُرُوا وَٱحْسُدُونِي

فَهَـٰذِي هَدَايَا حَبِيبِي
وَإِنْ مَسَّتِ ٱلنَّارُ حُرَّ ٱلْجَبِينْ
تَوَهَّمْتُهَا قُبْلَةً مِنْكَ مَجْدُولَةً مِنْ لَهِيبْ
لَكَ ٱلْحَمْدُ يَا رَامِياً بِٱلْقَدَرْ
وَيَا كَاتِباً بَعْدَ ذَاكَ ٱلشِّفَاءْ

* * *

سبحان الملك الحقِّ :

سُبْحَانَ مَنْ يُعْطِي ٱلْمُنَىٰ بِخَوَاطِرٍ ... فِي ٱلنَّفْسِ لَمْ يَنْطِقْ بِهِنَّ لِسَانُ
سُبْحَانَ مَنْ لاَ شَيْءَ يَحْجُبُ عِلْمَهُ ... فَٱلسِّرُّ أَجْمَعُ عِنْدَهُ إِعْلاَنُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لاَ يَزَالُ مُسَبَّحاً ... أَبَداً وَلَيْسَ لِغَيْرِهِ ٱلسُّبْحَانُ
سُبْحَانَ مَنْ تَجْرِي قَضَايَاهُ عَلَى ... مَا شَاءَ مِنْهَا غَائِبٌ وَعِيَانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لاَ يَزَالُ وَرِزْقُهُ ... لِلْعَالَمِينَ بِهِ عَلَيْهِ ضَمَانُ
سُبْحَانَ مَنْ فِي ذِكْرِهِ طُرُقُ ٱلرِّضَا ... مِنْهُ وَفِيهِ ٱلرَّوْحُ وَٱلرَّيْحَانُ
مَلِكٌ عَزِيزٌ لاَ يُفَارِقُ عِزَّهُ ... يُعْصَىٰ وَيُرْجَىٰ عِنْدَهُ ٱلْغُفْرَانُ
مَلِكٌ لَهُ ظَهْرُ ٱلْفَضَاءِ وَبَطْنُهُ ... لَمْ تُبْلِ جِدَّةَ مُلْكِهِ ٱلأَزْمَانُ
مَلِكٌ هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي مِنْ حِلْمِهِ ... يُعْصَىٰ بِحُسْنِ بَلاَئِهِ وَيُخَانُ
يَبْلَىٰ لِكُلِّ مُسَلْطَنٍ سُلْطَانُهُ ... وَٱللهُ لاَ يَبْلَىٰ لَهُ سُلْطَانُ

* * *

سبحان ذي الجلال :

جَلاَلُكَ يَا مُهَيْمِنُ لاَ يَبِيدُ ... وَمُلْكُكَ دَائِمٌ أَبَداً جَدِيدُ
وَحُكْمُكَ نَافِذٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ ... وَلَيْسَ يَكُونُ إِلاَّ مَا تُرِيدُ

ذُنُـوبِـي لاَ تَضُـرُّكَ يَـا إِلَـٰهِـي وَعَفْـوُكَ نَـافِـعٌ وَبِـهِ تَجُـودُ
فَهَبْهَـا لِـي وَإِنْ كَثُـرَتْ وَجَلَّـتْ فَـأَنْـتَ ٱللهُ تَحْكُـمُ مَـا تُـرِيـدُ
فَنِعْـمَ ٱلـرَّبُّ مَـوْلاَنَـا وَإِنَّـا لَنَعْلَـمُ أَنَّنَـا بِئْـسَ ٱلْعَبِيـدُ
وَيُنْقَـصُ عُمْـرُنَـا فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ وَلاَ زَالَـتْ خَطَـايَـانَـا تَـزِيـدُ
قَصَـدْتُ إِلَـى ٱلْمُلُـوكِ فَكُـلُّ بَـابٍ عَلَيْـهِ حَـاجِـبٌ فَـظٌّ شَـدِيـدُ
وَبَـابُـكَ مَعْـدِنٌ لِلْجُـودِ يَـا مَـنْ إِلَيْـهِ يَقْصِـدُ ٱلْعَبْـدُ ٱلطَّـرِيـدُ

* * *

تَعالىٰ وتقدَّسَ :

قُـلْ لِلْـوَلِيدِ بَكَـىٰ وَأَجْهَشَ بِـٱلْبُكَـا لَـدَى ٱلْـوِلاَدَةِ مَـا ٱلَّـذِي أَبْكَـاكَـا
وَإِذَا تَـرَى ٱلثُّعبَـانَ يَنْفُـثُ سُمَّـهُ فَـٱسْأَلْـهُ مَـنْ ذَا بِـٱلسُّمُـوم حَشَـاكَـا
وَٱسْأَلْـهُ كَيْـفَ تَعِيشُ يَـا ثُعْبَـانُ أَوْ تَحْيَـا وَهَـٰذَا ٱلسُّـمُّ يَمْـلأَ فَـاكَـا
وَٱسْأَلْ بُطُونَ ٱلنَّحْلِ كَيْفَ تَقَاطَرَتْ شَهْـداً وَقُـلْ لِلْشَّهْـدِ مَـنْ حَـلاَّكَـا
بَـلْ سَائِلِ ٱللَّبَنَ ٱلْمُصَفَّىٰ كَانَ بَيْـــنَ دَمٍ وَفَـرْثٍ مَـا ٱلَّـذِي صَفَّـاكَـا
وَإِذَا رَأَيْـتَ ٱلْبَـدْرَ يَسْـرِي نَـاشِـراً أَنْـوَارَهُ فَـٱسْأَلْـهُ مَـنْ أَسْـرَاكَـا
وَٱسْأَلْ شُعَاعَ ٱلشَّمْسِ يَدْنُو وَهْيَ أَبْـــعَـدُ كُـلِّ شَـيْءٍ مَـا ٱلَّـذِي أَدْنَـاكَـا
يَـا أَيُّهَـا ٱلإِنْسَـانُ مَهْـلاً مَـا ٱلَّـذِي بِـٱللهِ جَـلَّ جَـلاَلُـهُ أَغْـرَاكَـا ؟

* * *

الواحد الأحد

التوحيد هو حق الله على العبيد ، وهو أول ما دعا إليه الرسل ، وبه كل كتاب نزل .

وهو أصل الأصول ، والطريق للوصول ، وبه عُرف المعبود ، وعمر الوجود ، ولأجله أعدت الجنة والنار ، وسُلّ السيف البتار ، وقوتل الكفار ، ولإقامته في الأرض دعت الأنبياء ، وعلمت العلماء ، وقتل الشهداء .

وهو أول مطلوب ، وأعظم محبوب .

وهو أشرف المقاصد ، وأعذب الموارد ، وأجل الأعمال ، وأحسن الأقوال .

وهو أول الأبواب ، وبداية الكتاب ، وأعظم القضايا ، وأهم الوصايا ، وخير زاد ، يحمله العباد ، ليوم التناد .

وهو قرة عيون الموحدين ، وبهجة صدور العابدين ، وهو غاية الآمال ، وأنبل الخصال ، بل هو أعظم الكفارات ، وأرفع الدرجات ، وأكبر الحسنات ، وهو منشور الولاية ، وتاج الرعاية ، والبداية والنهاية .

وهو الإكسير الذي إذا وضع علىٰ جبال الخطايا . . أصبحت تذوب ، وصارت حسنات بعد أن كانت من الذنوب ، وعلىٰ هٰذا حديث : « يا بن آدم ؛ لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً . . لأتيتك بقرابها مغفرة » .

وهو الذي هز في طرفة عين قلوب السحرة ، فقالوا بعزم ماض : (اقض ما أنت قاض) ، والمرأة التي سقت الكلب ، فغفر لها الذنب ، كان معها توحيد الرب ، والرجل الذي قتل مئة رجل ، وذهب إلى القرية علىٰ عجل ، فأدركه الأجل ، غفر له بالتوحيد عز وجل .

والتوحيد كنـز جليل ، في قلب الخليل ، فقال لما شاهد الكرب الثقيل : (حسبنا الله ونعم الوكيل) .

ولما قال الصدّيق في الغار لسيد الأبرار : لو نظر أحدهم.. لرآنا ولسمعنا ، قال : ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ، إنما قال ذلك بلسان الموحد ، وقد سدد بتوفيق الله وأيد .

وما فلق الله البحر للكليم ، إلا لأنه صاحب توحيد عظيم ، ونهج كريم .

ولو وضعت السماوات والأرض في كفة الميزان ، و(لا إلـٰه إلا الله) في كفة.. لكان لها الرجحان ، ولو كانت في حلقة حديد.. لفصمتها ، أو في صخرة.. لفجّرتها .

و(لا إلـٰه إلا الله) مفتاح الجنان ، وله أسنان ، من الواجبات والأركان ، صاحبها لا يخلد في النار ، ولا يلحق بالكفار .

وقد قالوا لأحد العلماء وقد سجن ، وفي سبيل هـٰذه الكلمة ذاق المحن : قل كلمة التوحيد ، قال : من أجلها وضعت في الحديد .

وقالوا لأحد الأولياء وقد رفع علىٰ خشبة الموت ، وقرب منه الفوت : قل : (لا إلـٰه إلا الله) ولا تغفل ، قال : من أجلها أقتل .

وسمع أحد الصالحين رجلاً يقول : (لا إلـٰه إلا الله) ومد بها صوته فبكىٰ .

وسمع أحد العلماء رجلاً يقول : (لا إلـه إلا الله) ، فقال : صدقت وبالحق نطقت .

فيا أيها العباد ؛ خذوا من التوحيد قطرة ، وضعوه على الفطرة ، وولّوا وجوهكم شطره .

ويا من أثقله الهم ، وأحاط به الغم ، وهزه الألم الجم ؛ قل : (لا إلـه إلا الله) .

ويا من أثقلته الديون ، أو غيبته السجون ، وبات وهو محزون ؛ قل : (لا إلـه إلا الله) .

ويا من اشتد به الكرب ، وعلاه الخطب ؛ اذكر الرب ، وقل : (لا إلـه إلا الله) .

اقرأها بعين الروح ، قبل أن تقرأها بعينك في اللوح ، واكتبها في سويداء قلبك ؛ لتحملها إلىٰ ربك ، وتتخلص من ذنبك .

ولما قيل لفرعون : قل : (لا إلـه إلا الله) . . تلعثم الحمار وتعثر ، فدس أنفه في الطين وتدثر .

وقيل لأبي لهب : قل : (لا إلـه إلا الله) ، فقال الخسيس : أبىٰ عليَّ الجليس ، والأخ الرئيس إبليس .

من يأخذ تعاليمه من باريس ، حشر مع شيخه إبليس .

يا مسكين ؛ تتعلم حروف الهجاء من بكين ، وتهجر رسالةً نزل بها الروح الأمين ، علىٰ سيد المرسلين ، من رب العالمين .

يرضع الوليد حليب التوحيد ، حتىٰ يأتيه الحليب الصناعي من مدريد ، ليرتد المريد .

صوت التوحيد يرتفع علىٰ كل صوت ، وقوته خير من كل قوت ، لخصه أبو بكر فقال : من كان يعبد محمداً . . فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله . . فإن الله حي لا يموت .

لولا أن كلمة (أَحد) في قلب بلال مثل جبل أُحد . . ما صمد .

التوحيد له كتاب ، وله قلم جذّاب ، ومداد جميل ، وكاتب جليل ؛ فكتابه : الكون وما فيه ، وقلمه : قلبك النبيه ، ومداده : دمعك المترقرق ، والكاتب : إيمانك المتدفق .

التوحيد له رسالة أبدية ، ودعوة سرمدية ، ولأصحابه إلىٰ مستقرهم ممر ، وبعد مرورهم مستقر ؛ فرسالة التوحيد : إفراد الباري بالألوهية والربوبية ، ودعوته : اتباع سيد البشرية ورسول الإنسانية ، وممر أصحابه : الصراط المستقيم ، ومستقرهم : جنات النعيم .

للتوحيد منبر ، ومخبر ومظهر ، ومسك وعنبر ؛ فمنبره : القلب إذا أخلص للرب ، ومخبره : النيات الصالحات ، ومظهره : عمل بالأركان ، وخدمة للديان ، ومسكه : الدعاء والأذكار ، وعنبره : التوبة والاستغفار .

للتوحيد عين وبستان ، وحرس وسلطان ، وسيف وميدان ؛ فعينه : النصوص الواضحة ، وبستانه : الأعمال الصالحة ، وحرسه : الخوف والرجاء ، وسلطانه : واعظ الله في القلب صباح مساء ، وسيفه : الجهاد ، وميدانه : حركات العباد .

وللتوحيد قضاة وشهود ، وأعلام وجنود ، وحدود وقيود ؛ فقضاته : الرسل الكرام ، وشهوده : العلماء الأعلام ، وأعلامه : شعائر الدين ، وجنوده : فيلق من الموحدين ، وحدوده : ما جاء به الخبر ، وصح به الأثر ،

وقيوده : ما ورد من شروط ، للتوحيد المضبوط .

من دعائم التوحيد : عدم صرف شيء من العبادة لغير المعبود ، وتحريم تقديم شيء من لوازم الألوهية لغير الله مما في الوجود ، وركيزته : إخلاص ليس فيه رياء ، وعلامته : إخبات ليس معه ادعاء .

* * *

معجزة القرآن

قلت في مقدمة كتابي « التفسير الميسر » :

هٰذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، إنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنـزيل من حكيمٍ حميد .

إنه معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم الكبرى الخالدة علىٰ مر الدهر .

إنه الهدىٰ والرحمة والنور ، والشفاء لما في الصدور ، إنه الكتاب المبارك المجيد .

إنه الكتاب الذي لا ريب فيه ولا اختلاف ولا تناقض ، إنه الكتاب الذي أُحكِمت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير .

إنه الكتاب الذي هيمن علىٰ كل الكتب ، ونسخ ما قبله من الشرائع .

إنه الكتاب الذي بيّن ما أخفاه أهل الكتاب ، وأظهر ما كتمه أهل الزور ، وهدم ما شيَّده المشركون ، ودفع ما زخرفه المبطلون .

إنه حجة الله علىٰ خلقه ، فيه خبر ما قبلنا ، ونبأ ما بعدنا ، وحكم ما بين أيدينا .

هو الجد ليس بالهزل ، حقٌ لا باطل فيه ، وصدق لا كذب يعتريه ، ما كان حديثًا يُفترىٰ ، بل هو أصدق الحديث ، وأحسن القصص ، وأفضل المواعظ ، وأجمل الأخبار ، فيه الصدق في الخبر ، والعدل في الحكم ، والبيان الشافي ، والجواب الكافي ، أنيس الجليس ، وربيع القلب ، ومزيل

الهموم ، ومذهب الغموم ، ومجلي الأحزان ، وصيقل الأذهان ، يُذهب الشك ، يزيل الوساوس ، يغرس اليقين ، ويقوي الإيمان .

تلاوته عبادة ، وتدبره علم ، والعمل به نجاة ، والتحاكم إليه فوز ، والاستشفاء به عافية ، لا يُمل علىٰ كثرة الترداد ، ولا يُسأم مع التكرار ، غض طري ، له حلاوة ، وعليه طلاوة ، يفيض حكمة ، ويشع نوراً ، ويسطع برهانًا ، رفيق الغربة ، وطارد الوحشة ، فيه العوض من كل أحد ، والعزاء من كل مفقود ، والسلوة من كل ذاهب .

تُعمر به الأوقات ، وترفع به الدرجات ، وتتضاعف بتلاوته الحسنات ، وتُمحىٰ بقراءته السيئات .

غرقت في بحار علومه أفكار العلماء ، وأُفحم في ميدان سباقه الحكماء ، واندهل لروعة بيانه الشعراء ، وأسكت بجلال خطابه العرب العرباء .

عجب منه الجن ، واندهش منه الإنس ، ورُميت عند نزوله الشياطين .

لو خُوطب به الجبل . . لتصدع ، ولو كُلِّم به الصخر . . لتفجَّع ، ولو أُلقي على الحديد . . لتقطَّع .

فيه العبرة والعظة ، والرشد والنصيحة ، والقصة والمثل ، والخبر والشاهد .

بيان وبرهان ، هدىٰ وفرقان ، رحمة وإيمان ، شافع مُشفَّع ، وناطق مُصدَّق .

خُتِمت به الكتب ، وصُدِّرت به الخطب ، وبُنيت عليه الأحكام ، وقام عليه الإسلام ، وتألَّفت عليه القلوب ، ونقض بنيان الشرك ، وهدم به صرح الباطل .

هو شرف الأمة ، ووثيقة الملة ، ودليل الهداية ، وسبيل الفلاح ، وباب الفضيلة ، وحبل العز ، ومفتاح السعادة .

أشرق بيانه فكسفت شموس البلغاء ، وقام سوق فصاحته فكسدت أسواق الأدباء .

نزع جلباب الباطل عن وجوه الملاحدة ، وخلع رداء الزور عن أكتاف الجبابرة ، أرغم بحجته أنوف الضلال ، ودمغ بصدقه رؤوس الجهّال ، كشف الزيف ، ورفع الحيف ، محفوظ من الزيادة والنقصان ، محروس من التبديل والتحريف ، معصوم من الزيغ والهوىٰ ، مكتوب في اللوح المحفوظ ، مسطَّر في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهَّرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة .

فمن أراد الفوز والنجاة . . فعليه بالقرآن تلاوةً وعملاً ؛ ليصل إلىٰ برّ الأمان ، ونعيم الجنان ، في جوار الرحمـٰن ، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ .

ومن أراد السعادة والفلاح . . فعليه بالقرآن اهتداءً واتباعاً ؛ لينعم بقرة العين ، وراحة الروح ، وبهجة النفس ، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ .

ومن أراد العزة والسمو والمجد . . فعليه بالقرآن اقتداءً وامتثالاً ؛ ليحصل علىٰ تاج القبول ، ووسام الشرف ، ومرتبة السيادة والقيادة ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ .

ومن أراد العلم والمعرفة . . فعليه بالقرآن تفقهاً وتدبراً ؛ لينجلي عن بصيرته كل جهل ، ويزول عن فهمه كل غبش ، ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ .

هـٰذا وقد كنت حريصاً منذ أعوام عديدة على العثور علىٰ تفسير سهل ،

يجلو لي المعنى المباشر الظاهر من الآية في إيجاز ، فقمتُ بمصاحبة كثير من التفاسير ، فوجدتُ كل تفسير أحسن في باب ، وأغفل باباً :

فمنهم من قصد التفسير بالمأثور ؛ فأكثر من الأسانيد ، وتكرار الروايات ، فذكر الحديث الضعيف بل الواهي ، فطال الطريق على القارى ، وتشعبت به السبل .

ومنهم من قصد البلاغة والبيان ؛ فأكثر من ذكر أسرار البيان وإعجاز القرآن ، مما قد يكون مقصودًا من الآية أو غير مقصود .

ومنهم من قصد الأحكام ؛ فأكثر من ذكر مسائل الفقه ، وآراء العلماء ، حتىٰ نقل كثيراً من كتب الفقه في تفسيره .

ومنهم من ملأ تفسيره بعلوم أخرىٰ ليست مقصوده ، لكن أقحمها إقحاماً عند كل إشارة ، فذكر في تفسيره الطب ، والكيمياء ، والهندسة ، وغيرها من العلوم .

فكنتُ أبحث عن تفسير آخر ، تفسير يكشف لي المعنىٰ من أول نظرة ، تفسير يرشدني إلى المراد من الآية ، تفسير يدلني على المقصود ، فسألتُ الله العون والتوفيق علىٰ إخراج تفسير ينتفع به كل قارىء لكتاب الله ؛ فمن يطالعه يفهم معنى الآية من أول مرة في يسر وسهولة ، يعينه علىٰ معرفة المقاصد والاطلاع على الأسرار ـ وهٰذا المقصود من تدبر القرآن ـ ثم الانطلاق إلى العمل بالقرآن في النفس والحياة ، وتحكيمه علىٰ كل تصرف من تصرفات المسلم ، ومرافقته في السفر الطويل إلىٰ جنات النعيم ، ومصاحبته في الرحلة الشاقة إلىٰ يوم الدين ، وحمل هدايته للعالمين ، والقيام بحقوقه علىٰ أتم وجه ؛ ليكون قارئه إنساناً سوياً صالحاً ومسلماً مثالياً ، يسعد في الدارين ،

ويفوز بالحسنيين بحياة كريمة راشدة ، وعاقبة طيبة سعيدة في جوار رب كريم .

وهٰذا تفسير يسير سهل قريب ، قدمتُ فيه المعاني بأسلوب مفهوم ، ولغة واضحة ، فلا أذكر فيه الآيات المتشابهة بل أبقيها في مواضعها ، وكذلك لا أورد أحاديث ولا آثاراً إلا فيما ندر باختصار ، وقد أعرضتُ عن ذكر الأقوال والخلافيات ، وعمدتُ إلى الراجح والظاهر من الآية ، ولم أورد فيه شواهد شعرية ، ولم أبحث مسائل نحوية ، ولا قضايا لغوية ، ولا وجوه قراءات ، ولا إسرائيليات ، ولا نقولات عن العلماء ، ولا استطرادات ، وإنما اقتصرت علىٰ زبدة القول ، وخلاصة الكلام .

وربما أذكر بعض الحِكَم واللطائف والفوائد والأسرار إذا وُجدت بإيجاز .

وقد التزمتُ منهج السلف أهل العلم والإيمان ، وجانبتُ مذاهب المخالفين لهم .

ولأن القرآن كتاب هداية ورشد ، حرصتُ علىٰ بيان هٰذا الهدىٰ ، فاطرحت الأقوال الغريبة والشاذة والضعيفة والبعيدة ، وحرصتُ على القول الصحيح الثابت المشهور .

أسأل الله الحي القيوم أن ينفعني بهٰذا التفسير ، وينفع به من طالعه ، أو سمعه ، أو طبعه ، أو وزعه ، ويجعله سبباً لي ولهم في نيل رضوانه ، والفوز بسكنىٰ جنانه ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

من عائض القرنيّ إلى الرّئيس نيلسون مانديلا

تحية طيبة أيها الرئيس العظيم :

أنا أحد الملايين في مشارق الأرض ومغاربها ، الذين قرؤوا سيرتك ، وعرفوا جهادك ، وأُعجبوا بصمودك ، وتعجَّبوا من تضحيتك واستبسالك في سبيل مبدئك ، ولأجل حريتك وحرية شعبك ، حتىٰ صرت نجماً في أفق الحرية ، وزعيماً عالميّاً في مدرسة النضال ، ومنظِّراً عبقرياً في دستور حقوق الإنسان .

لقد أخذ الناس منك قصة الكفاح ، واستفادوا منك رواية المجد وأنشودة الإصرار والتحدي ، فصرتَ أنت أباً لكثير من المستضعفين الذين سُلبوا حقوقهم ، واضطُهدوا في ديارهم ، وحرمهم الاستبدادُ من العيش الكريم ، فرأوا فيك مثلاً حيّاً ، وقدوةً حسنةً في الصبر والإصرار والاستمرار ، ورفض الظلم ، ومواصلة البذل والفداء ، حتىٰ تُنال الحقوق .

أيها الرئيس العظيم :

إن الإسلام ـ دين الله الحق ـ دينٌ عظيم ، يحب العظماء ، ويحترم المبدعين ، ويحيّي الشرفاء ، وأنت أحدهم .

إنه دينُ المساواة ؛ ساوىٰ بين عمر العربي ، وبلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي .

إنه دينٌ يرفض الظلم ، ويُحرّم الاستبداد ، ويُلغي فوارق اللون والجنس

واللغة ، يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ .

أيها الرئيس العظيم :

إن الإسلام يحتفي بمثلك من العظماء ؛ لأنه دين يقدِّر الفضيلة ، ويعظِّم الصبر ، ويحثُّ على العدل ، وينشد السلام ، وينشر الرحمة ، ويدعو إلى الإخاء .

أيها الرئيس العظيم :

لقد حصلتَ على المجد الدنيوي ، ونلتَ الشرف العالمي ، وأحرزتَ وسام التضحية ، ولبست تاج الحرية ، فأضفْ إلىٰ ذلك : الظفر بطاعة الله وبالإيمان به ، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون ذلك إلا بالإسلام ، فأسلمْ تسلم ، أسلمْ تنلْ العز في الدنيا والآخرة ، والفوز في الأولىٰ والثانية ، والنجاة من عذاب الله .

أسلمْ ـ أيها الرئيس العظيم ـ لتحييك الأرض والسماء ، ويرحِّبَ بك مليارٌ ومئتا مليون مسلم ، وتُفتَّح لك أبواب الجنة .

أيها الرئيس العظيم :

إنك مكسبٌ للإسلام ، ورصيدٌ للمسلمين ، وما أجملها أن تنطلق من فمك كلمة الحق والعدل والسلام والحرية : (لا إلـه إلا الله محمد رسول الله) ، وهي أصدق جملة أنزلها الله على الإنسان ، وهي سرُّ سعادة الإنسان ونجاته وفرحه ونصره .

أيها الرئيس العظيم :

كلما قابلتُ في بلاد الإسلام علماء وزعماء وأدباء وحكماء . . قالوا : ليت (نيلسون مانديلا) مسلمٌ ، فأرجوك وآملُ منك أن تعلنها قويةً مدويةً خالدةً

(لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله) ، حينها سوف يصفِّق لك عبادُ الله في القارات الست ، وتحييك مكة ، وتفتح لك الكعبة أبوابها ، وتشيد منابر المسلمين باسمك الجميل .

أنت صبرت في الزنزانة سبعاً وعشرين سنة حتىٰ كسرت القيد ، وانتصرتَ على الظلم ، وسحقت الطاغوت ، فسطِّرْ بإسلامك ملحمةً من الإيمان ، وقصةً من الشجاعة ، وصورةً رائعةً من صور البطولة .

أيها الرئيس العظيم :

والله ؛ لقد وجدنا في الإسلام ـ نحن المسلمين ـ قيمة الإنسان وكرامته ، وذقنا حلاوة الإيمان ولذة الطاعة ، ومتعة العبودية لله ، وشرف السجود له ، ومجد اتباع رسوله ، ولأنك عزيز علينا ، أثير في نفوسنا ـ لتاريخك المشرق ـ فنحب أن تشاركنا هـٰذه الحياة السعيدة في ظل الإسلام ، والفرصةَ الغامرةَ في رحاب الدين الخالد .

أيها الرئيس العظيم :

إن الـمُثل العليا التي تدعو لها سوف تجدها مجتمعةً في الإسلام ، والرحمة التي يخفق قلبك بها سوف تلمسها في الإسلام ، والعدل الذي تدعو إليه سوف تسعد به في الإسلام .

إن الإسلام يحب الصابرين وأنت صابر ، ويحترم الأذكياء وأنت ذكي ، ويبجِّل العقلاء الأسوياء وأنت عاقل سوي ، ويحتفي بالشجعان وأنت شجاع .

أيها الرئيس العظيم :

لقد عشتُ معك أياماً جميلة عبر مذكّراتك : « رحلتي الطويلة من أجل الحرية » ، فوجدتُ ما بهرني من عظمتك وصبرك وبسالتك ، فقلت : ليت

هـٰذا الإنسان الفاضل الألمعي مسلم ، ووالله ؛ لا أجد ديناً يستأهلك وتستأهله غير الإسلام ، ولا أعرف مبدأً يكرم مثلك إلا الإسلام ؛ لأنه دين الفطرة ، يشرح الصدر ، ويخاطب العقل ، ويهذِّب النفس ، ويزكي الأخلاق ، ويكرِّم الإنسان ، ويعمر الكون .

أيها الرئيس العظيم :

أنا أخاطبك من مكة ، من جوار الكعبة ؛ حيث نزل القرآن ، وبُعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وأشرقت شمس الرسالة ، وكُسر الصنم ، وحُطِّم الطاغوت ، وأُعلنت حقوق الإنسان ، وأُلغي الاستبداد ، ونُشر العدل والسلام .

يقول ربنا وربك ـ جل في علاه ـ : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ .

أيها الرئيس العظيم :

إن الحياة قصيرة متعبة ، فما بالك إذا كانت حياة مثلك من العظماء ؛ إذ قضيت ما يقارب النصف من عمرك مظلوماً مسجوناً ، وهناك حياة الأبد والخلود في حياة النعيم التي ينالها المؤمنون بالله المتّبعون لرسله ، وأرجو ألا تفوتك هـٰذه السعادة والفوز ، وكما يقول الفيلسوف الشهير ديكارت : (إن الحياة مسرحية رأينا المشهد الأول ، مشهد الظالم والمظلوم ، والغالب والمغلوب ، والقوي والضعيف ، فأين المشهد الثاني الذي يكون فيه العدل ؟!) ، فأجابه علماء المسلمين بقولهم : (المشهد الثاني هو يوم الحساب في الآخرة ، يوم تُنصب محكمة العدل ؛ إذ لا حاكم إلا الله ؛ ليوفِّي كلَّ نفسٍ بما كسبت ، ويحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون) .

وفي الختام أسعد بأن أهديك كتابي « لا تحزن » :(DON'T BE SAD) لعلك تجد فيه إجماع العلماء والحكماء العباقرة علىٰ أن السعادة في الإسلام .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يشرح صدرك ـ أيها الرئيس ـ للإسلام .

وتقبل تحيات المسلمين رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً في كل أصقاع الأرض .

وتقبل تحياتي .

الدكتور عائض عبد الله القرني

* * *

الرّسالة الهزليّة

هٰذه الرسالة بعث بها ابن زيدون علىٰ لسان ولادة بنت المستكفي لابن عبدوس الذي كان ينافسه في حبها .

أما بعد : أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر في ذيل اغتراره ، الأعمىٰ عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب على الشراب ، المتهافت تهافت الفراش في الشهاب ؛ فإن العجب أكذب ، ومعرفة المرء نفسه أصوب ، وإنك راسلتني مستهدياً من صلتي ما صفرت منه أيدي أمثالك ، متصدياً من خلّتي ما قُرعت دونه أنوف أشكالك ، مرسلاً خليلتك مرتادة ، مستعملاً عشيقتك قوادة ، كاذباً نفسك أنك ستنزل عنها إلي ، وتخلف بعدها علي .

وَلَسْتَ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِٱلنَّائِلِ

ولا شك أنها قلتك إذ لم تضن بك ، وملتك إذ لم تغَر عليك ؛ فإنها أعذرت في السفارة لك ، وما قصرت في النيابة عنك ، زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه ، والإنسانية اسم أنت جسمه وهيولاه ، قاطعة أنك انفردتَ بالجمال ، واستأثرت بالكمال ، واستعليت في مراتب الجلال ، واستوليت علىٰ محاسن الخلال ، حتىٰ خلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه ، وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه .

وأن قارون أصاب بعض ما كنزت ، والنّطِفَ عثر علىٰ فضل ما ركزت ،

وكسرىٰ حمل غاشيتك ، وقيصر رعىٰ ماشيتك ، والإسكندر قتل داريوس في طاعتك ، وأردشير جاهد ملوك الطوائف لخروجهم عن جماعتك ، والضحّاك استدعىٰ مسالمتك ، وجذيمة الأبرش تمنىٰ منادمتك ، وشيرين قد نافست بوران فيك ، وبلقيس غايرت الزباء عليك ، وأن مالك بن نويرة إنما ردف لك ، وعروة بن جعفر إنما رحل إليك ، وكليب بن ربيعة إنما حمى المرعىٰ بعزتك ، وجساساً إنما قتله بأنفتك ، ومهلهلاً إنما طلب ثأره بهمتك ، والسموأل إنما وفىٰ عن عهدك ، والأحنف إنما احتبىٰ في بردك ، وحاتماً إنما جاد بوفرك ، ولقي الأضياف ببشرك ، وزيد بن مهلهل إنما ركب بفخذيك ، والسُّليك ابن السُّلَكة إنما عدا علىٰ رجليك ، وعامر بن مالك إنما لاعب الأسنة بيديك ، وقيس بن زهير إنما استعان بدهائك ، وإياس بن معاوية إنما استضاء بمصباح ذكائك ، وسحبان إنما تكلم بلسانك ، وعمرو بن الأهتم إنما سحر ببيانك .

وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك ، والحمالات بين عبس وذبيان أسندت إلىٰ كفالتك ، وأن احتيال هَرِم بن سنان لعلقمة وعامر حتىٰ رضيا كان عن إشارتك ، وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع عن إرادتك .

وأن الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك ، وقتيبة فتح ما وراء النهر بسعدك ، والمهلب أوهن شوكة الأزارقة بأيدك ، وفرق ذات بينهم بكيدك .

وأن هرمس أعطىٰ بلينوس ما أخذ منك ، وأفلاطون أورد علىٰ أرسطاليس ما نقل عنك ، وبطليموس سوى الإسطرلاب بتدبيرك ، وصور الكرة علىٰ تقديرك ، وأبقراط علم العلل والأمراض بلطف حسك ، وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك ، وكلاهما قلدك في العلاج ، وسألك عن

المزاج ، واستوصفك تركيب الأعضاء ، واستشارك في الداء والدواء .

وأنك نهجت لأبي معشر طريق القضاء ، وأظهرت جابر بن حيان علىٰ سر الكيمياء ، وأعطيت النظّام أصلاً أدرك به الحقائق ، وجعلت للكندي رسماً استخرج به الدقائق .

وأن صناعة الألحان اختراعك ، وتأليف الأوتار والأنقار توليدك وابتداعك .

وأن عبد الحميد بن يحيىٰ باري أقلامك ، وسهل بن هارون مدون كلامك ، وعمرو بن بحر مستمليك ، ومالك بن أنس مستفتيك .

وأنك الذي أقام البراهين ، ووضع القوانين ، وحد الماهية ، وبين الكيفية والكمية ، وناظر في الجوهر والعَرَض ، وميّز الصحة من المرض ، وفك المعمّىٰ ، وفصل بين الاسم والمسمىٰ ، وضرب وقسم ، وعدل وقوّم ، وصنف الأسماء والأفعال ، وبوب الظرف والحال ، وبنىٰ وأعرب ، ونفىٰ وتعجب ، ووصل وقطع ، وثنّىٰ وجمع ، وأظهر وأضمر ، واستفهم وأخبر ، وأهمل وقيّد ، وأرسل وأسند ، وبحث ونظر ، وتصفّح الأديان ، ورجّح بين مذهبي ماني وغيلان ، وأشار بذبح الجعد ، وقَتْلِ بشار بن برد .

وأنك لو شئت خرقت العادات ، وخالفت المعهودات ، فأحلت البحار عذبة ، وأعدت السّلام رطبة ، ونقلت غداً فصار أمساً ، وزدت في العناصر فكانت خمساً ، وأنك المقول فيه : « كلّ الصيد في جوف الفرا » .

وَلَيْـسَ عَلَـىٰ ٱللهِ بِمُسْتَنْكَـرٍ　　　أَنْ يَجْمَـعَ ٱلْعَـالَـمَ فِـي وَاحِـدِ

والمعنيَّ بقول أبي تمام :

فَلَـوْ صَـوَّرْتَ نَفْسَـكَ لَـمْ تَـزِدْهَـا　　　عَلَـىٰ مَـا فِيـكَ مِـنْ كَـرَمِ ٱلطِّبَـاعِ

والمرادَ بقول أبي الطيب :

ذُكِـرَ ٱلأَنَـامُ لَنَـا فَكَـانَ قَصِيـدَةً   كُنْتَ ٱلْبَدِيعَ ٱلْفَرْدَ مِنْ أَبْيَاتِهَا

فكدمت في غير مكدم ، واستسمنت ذا ورم ، ونفخت في غير ضرم ، ولم تجد لرمح مهزا ، ولا لشفرة محزا ، بل رضيت من الغنيمة بالإياب ، وتمنيت الرجوع بخُفّي حنين ؛ لأني قلت :

* لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ ٱلثَّعَالِبُ *

وأنشدت :

عَلَىٰ أَنَّهَا ٱلأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا   عَجَائِبَ ، حَتَّىٰ لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

ونخرت وكفرت ، وعبست وبسرت ، وأبدأت وأعدت ، وأبرقت وأرعدت .

* هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي *

ولولا أن للجوار ذمة ، وللضيافة حرمة.. لكان الجواب في قذال الدّمُستقِ ، والنعل حاضرة إن عادت العقرب ، والعقوبة ممكنة إن أصر المذنب .

وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ، ملؤها حبيبها ، حسنٌ فيها من تود ، وكانت إنما حلّتك بحُلاك ، ووسمتك بسيماك ، ولم تعرك شهادة ، ولا تكلفت لك زيادة ، بل صدقت سنٍّ بكرها فيما ذكرتهُ عنكَ ، ووضعتِ الهِناءَ مواضع النقَبِ بما نسَبتهُ إليك ، ولم تكن كاذبةً فيما أثنت به عليك ، فالمعيدي تسمع به خير من أن تراه .

هجين القذال ، أرعن السبال ، طويل العنق والعلاوةِ ، مُفرط الحمق والغباوة ، جافي الطبع ، سيىء الإجابة والسمع ، بغيض الهيئة ، سخيف

الذهاب والجيئة ، ظاهر الوسواس ، منتن الأنفاس ، كثير المعايب ، مشهور المثالب ، كلامكَ تمتمة ، وحديثُك غمغمة ، وبينك فهفهة ، وضحكك قهقهة ، ومشيُك هرولة ، وغناك مسألة ، ودينُك زندقة ، وعلمُك مخرقة .

مَسَاوٍ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى ٱلْغَوَانِي   لَمَا أُمْهِرْنَ إِلاَّ بِٱلطَّلاَقِ

حتىٰ إن باقلاً موصوفٌ بالبلاغة إذا قرن بك ، وهَبَنَّقة مستحق لاسم العقل إذا أضيف إليك ، وطُويساً مأثور عن يمن الطائر إذا قيس عليك ، فوجودك عدم ، والاغتباط بك ندم ، والخيبة منك ظفر ، وجنة الدنيا معك سقر .

كيف رأيت لؤمك لكرمي كِفاء ، وَضَعَتَكَ لشرفي وفاء ، وأني جهلت أن الأشياء إنما تنجذب إلىٰ أشكالها ، والطير إنما تقع علىٰ أُلاّفها ، وهلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، وشعرت أن المؤمن والكافر لا يتقاربان ، وقلت : الخبيث والطيّب لا يستويان ، وتمثلت :

أَيُّهَا ٱلْمُنْكِحُ ٱلثُّرَيَّا سُهَيْلاً   عَمْرَكَ ٱللهُ ، كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟!

وذكرتَ أني عِلقٌ لا يباع فيمن زاد ، وطائرٌ لا يصيده من أراد ، وغرض لا يصيبه إلا من أجاد ، ما أحسبك إلا كنت قد تهيّأت للتهنئة ، وترشحت للترفئة ، ولولا أن جرح العجماء جُبار . . للقيت من الكواعب ما لاقىٰ يسار ، فما هم إلا بدون ما هممت به ، ولا تعرض إلا لأيسر ما تعرضت .

أين ادعاؤك رواية الأشعار ، وتعاطيك حفظ السير والأخبار ، أما ثاب لك قول الشاعر :

بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ   وَتُنْكَحُ فِي أَكْفَائِهَا ٱلْحَبَطَاتُ

وهلا عشّيت ولم تغتر! وما أشك أنك تكون وافد البراجم ، أو ترجع بصحبة المتلمس ، أو أفعل بك ما فعله عقيل بن عُلَّفَة بالجهني حين أتاه

خاطباً ، فدهن استه بزيت ، وأدناه من قرية النمل .

ومتىٰ كثر تلاقينا ، واتصل ترائينا ، فيدعوني إليك ما دعا ابنة الخس إلىٰ عبدها من طول السواد ، وقرب الوساد!

وهل فقَدتُ الأراقم فأنكح في جنبٍ ؟! أو عَضَلَني همام بن مرة فأقول : زوج من عود ، خير من قعود ؟!

ولعمري لو بلغت هٰذا المبلغ . . لارتفعت عن هٰذه الحِطة ، ولا رضيت بهٰذه الخطة ، فالنار ولا العار ، والمنية ولا الدنية ، والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها .

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِيَ مَنْكَحٌ وَفِتْيَـانِ هِـزَّانَ ٱلطِّـوَالِ ٱلْغَـرَانِقَـةْ

ما كنت لأتخطى المسك إلى الرماد ، ولا أمتطي الثور بعد الجواد ، فإنما يتيمّم من لم يجد ماء ، ويرعى الهشيمَ من عدِمَ الجميم ، ويركب الصعب من لا ذلول له ، ولعلك إنما غرك من علمت صبوتي إليه ، وشَهِدت مساعفتي له ، من أقمار العصر ، وريحان المصر ، الذين همُ الكواكب عُلُوّ هممٍ ، والرياضُ طيب شيم .

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ: لاَقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي

فحنَّ قدح ليس منها ، ما أنت وهم ؟ وأين تقع منهم ؟ وهل أنت إلا (واو) عمرو فيهم ، وكالوشيظة في العظم بينهم ؟! وإن كنت إنما بلغت قعر تابوتك ، وتجافيت عن بعض قوتك ، وعطرت أردانك ، وجررت همیانك ، واختلت في مشيتك ، وحذفت فضول لحيتك ، وأصلحت شاربك ، ومططت حاجبك ، ورفعت خط عذارك ، واستأنفت عقد إزارك ؛ رجاء الاكتنان فيهم ، وطمعاً في الاعتداد منهم ، فظننت عجزاً ، وأخطأت استك الحفرة .

والله ؛ لو كساك مُحرق البردين ، وحلّتك مارية بالقرطين ، وقلدك عمرو الصمصامة ، وحملك الحارث على النعامة . . ما شككت فيك ، ولا سترت إياك ، ولا كنتَ إلا ذاك .

وهبك ساميتهم في ذروة المجد والحسب ، وجاريتهم في غاية الظرف والأدب ، ليس تأوي إلىٰ بيت قعيدته لكاع ؛ إذ كلهم عزب خالي الذراع! وأين من انفرد به ممن لا أغلب إلا على الأقل الأخس منه! وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة ، والشهوة الوافرة ، والنفس المصروفة إلي ، واللذة الموقوفة علي ، وبين آخر قد نضب غديره ، ونزحت بيره ، وذهب نشاطه ، ولم يبق إلا ضراطه!

وهل يجتمع لي فيك إلا الحَشَف وسوء الكِيلة ، ويقترن علي فيك بك إلا الغدة والموت في بيت سلولية ؟!

تَعَالَى ٱللهُ يَا سَلْمُ بْنَ عَمْرٍو ... أَذَلَّ ٱلْحِرْصُ أَعْنَاقَ ٱلرِّجَالِ

ما كان أخلقك بأن تقدر بذراعك ، وتربع علىٰ ضلعك ، ولا تكن براقش الدالة علىٰ أهلها ، وعنز السوء المستثيرة لحتفها ، فما أراك إلا سقط العشاء بك علىٰ سرحان ، وبك لا بظبي أعفر ، أعذرت إن أغنيت شيّا ، وأسمعت لو ناديت حيّا .

إِنَّ ٱلْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي ٱلْحِلْمِ ... وَٱلشَّيْءَ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يُنْمِي

وإن بادرت بالندامة ، ورجعت علىٰ نفسك بالملامة . . كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك ، وإن قلت : « جعجعة بلا طحن » ، و« رب صلف تحت الراعدة » ، وأنشدت :

لاَ يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ ... قَوْلٌ تُغَلِّظُهُ وَإِنْ جَرَحَا

فعدت لما نهيت عنه ، وراجعت ما استعفيت منه . . بعثتُ من يزعجك إلى الخضراء دفعا ، ويستحثك نحوها وكزاً وصفعا .

فإذا صرت إليها . . عبث أكاروها بك ، وتسلط نواطيرها عليك ، فمن قرعة معوجة تقوم في قفاك ، ومن فجلة منتنة يرمىٰ بها تحت خصاك ، ذلك بما قدمت يداك ؛ لتذوق وبال أمرك ، وترىٰ ميزان قدرك .

فَمَــنْ جَهِلَــتْ نَفْسُــهُ قَــدْرَهُ رَأَىٰ غَيْـرُهُ مِنْــهُ مَــا لاَ يَــرَى

* * *

عاصمة الدّنيا

قال الراوي: قد أظهرت لنا يقين الحديث وشكّهْ ، فحدثنا عن مكّة ، قلنا: مكة هي المهبط ، والمسقط ، والمربط ، والأوسط ؛ فهي مهبط القرآن ، ومسقط ميلاد سيد ولد عدنان ، ومربط خيول أهل الإيمان ، وأوسط البلدان .

مكة قلب المعمورة ، على الحسن مقصورة ، وفي حجال المجد مستورة ، أذن بها الخليل ، وسُحق بها أصحاب الفيل ، بالطير الأبابيل ، اختارها علام الغيوب ، فهي مهوى القلوب ، وملتقى الدروب ، وقبلة الشعوب ، هي أرض ميلاد الرسالة والرسول ، كان لجبريل بها صعود ونزول ، منها ارتفع الإعلان والأذان والقرآن والبيان ، أذّن منها بلال بن رباح ، وسُلت فيها السيوف ، وامتشقت الرماح ، وأُعلن فيها التوحيد ، وهو حق الله على العبيد ، وهي أول أرض استقبلت الإسلام ، وحطمت الأصنام .

بها بيت الملك الأجل ، والكعبة التي طاف بها الرسل ، سوادها من سواد المقل ، وهي أرض السلام ، وقِبلة الأنام ، يَفِدُ إليها المحبون ، علىٰ رواحلهم يخبون ، ويتّجه إليها المصلون ، ويقصدها المهلّون .

فهي قبلة القلوب ، وأمنية الشعوب ، وراحة الأرواح ومنطلق الإصلاح ، علىٰ ثراها نزلت الهداية ، ومن رباها كانت البداية ، علىٰ رمالها مُزقت الطغاة ، وعلىٰ ترابها سُحقت البغاة ، ومن جبالها هبت نسائم الحريّة ، ومن وِهادها كان فجر الإنسانية .

علىٰ بساط مكة ولد العرفان ، وأكرم الضيفان ، ومن مغانيها رضع الشجعان ، وفي بطحائها هاشم وابن جُدعان .

في مكة تثور شجون الحب ، وتضِجّ بلابل القلب ، فيها التأريخ يتكلّم ، والدهر يتبسّم ، والذكريات تتداعىٰ ، والأمنيات تُقبل تِباعاً ، هنا غمغمات السيول ، وصهيل الخيول ، وتنحنح السادات ، وتزاحم القادات ، إقبال وفود ، وانطلاق جنود ، وتزاحم حشود ، وارتفاع بنود ، هدىٰ وضلالة ، علم وجهالة ، وهنا كرم وبسالة ، وَحْيٌ ورسالة ، عالم يمور بالعبر ، ديوان يزخر بالسير ، دفتر للعظماء ، سجل للشرفاء .

في مكة رؤوس بالأنفة متزاحمة ، وجيوش للثأر متلاطمة ، أفكار وحضارات ، ونواد ومحاضرات ، سير وسمر ، في ضوء القمر ، أنباء وأخبار ، قصص وأشعار ، حتىٰ كان النبأ العظيم ، وهو الرسول الكريم ، فيصغر بعده كل خبر ، وينسىٰ من جاء ومن غبر ، فهو أعظم أثر ، جاءت به السير .

يوم بُعِث استدار له الزمان ، وأنصَت له الثقلان ، وتشاغلت به الأقلام ، ورحبت به الأيام ، وأنصت له الأنام ، فهو ابن مكة البار ، وبطلها المغوار ، ورسولها المختار .

إذا أقبلت على البلد الحرام . . فتذكّر ذاك الإمام ، عليه الصلاة والسلام .

مكة تذكرك البأساء والنعماء ، والنور والظلماء ، والسعادة والشقاء .

مكة كتاب مفتوح ، وسِفْر مشروح ، يجمع بين أحاديث النجاة والخسران ، والكفر والإيمان ، والعدل والطغيان .

تذكرك مكة الشرك الكالح ، والجهل الفاضح ، والوهج اللافح ، يوم

كانت الأوثان تُقدَّس ، والأصنام تؤسس ، تسجد لها النفوس الخاوية ، والعقول الجافية ، يوم غاب الرشد ، وأَفَلَ السعد ، وغرب الميثاق والعهد ، يوم كان الإنسان كالبهيمة ، بلا قيمة ، والقلب في شباك الجريمة ، وفي ظلمات وخيمة .

وتذكرك مكة يوم انفجر الفجر ، وارتفع الذكر ، ومُحِق الكفر ، يوم أنصتت الدنيا بأُذن سميعة ، وأقبل الدهر بخطاً سريعة ، وانتفض الكون للكلمة الخالدة ، واهتز العالم بالدعوة الراشدة ، لا إلـه إلا الله ، لا معبود بحق سوى الله ، لا بقاء إلا لله .

وتذكرك مكة بالوحي وهو يتنـزّل ، والقرآن وهو يُرتّل ، وجبريل الروح ، يغدو ويروح ، وباب الرحمة المفتوح ، والعطاء الرباني الممنوح .

فيا لها من ذكريات يهتز لها الجسم ذرة ذرة ، ويقوم لها الرأس شعرة شعرة .

ويا لها من صيحة دوّت في العالم فاستيقظ بها كل نائم ، واهتدىٰ بها كل هائم .

ويا له من خبر طرق الكون فَصَحَا ، ومَحق الشرك ومحا .

توقف الزمان منصتاً ، وسُلَّ سيف الجهاد مصلتاً .

التعبير يخون ، والنفس فيها شجون ، والذاكرة بالصور موّارة ، ونور الحديث قد نصب في القلب منارة .

إذا ذكرت مكة ذُكر غار حراء ، والشريعة الغراء ، والوحي والإسراء ، فكأنّ التأريخ حضر ، وكأنّ الزمان اختصر ، وكأنّ الدنيا كلها في مكة محصورة ، وكأنّ الأيام في أجفان مكة مقصورة .

مكة ملاعب الصبا والشباب ، لصاحب السنة والكتاب ، فيها مسقط رأسه ، وفضاء أنفاسه ، فيها مراتعه ، ومرابعه ، ومهاجعه .

كيف نعبر عن أشواقنا ، وقد سافر حبه في أعماقنا ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أملنا المنشود ، ومجدنا المحمود .

وعلىٰ رمضاء مكة ثأر وجراح ، وعويل وصياح ، حيث عُذب بلال بن رباح ، أما تقرأ على الرمضاء ، ما كتبته الدموع والدماء ، يقرؤها كل عالم وجاهل ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ، تفجّعٌ صارخ يصعد إلى السماء ، وصيحاتٌ ثائرة تشق الظلماء ، أحدٌ أحد ، فرد صمد ، علىٰ رغم من كفر وجحد ، تطلق هـٰذه القذائف حنجرةُ بلال ، فتهتز بها الجبال ، وتنتفض منها التلال .

وعلىٰ جبين مكة قبلات المحبين ، وفي جوفها زجل المسبحين ، وفي عينيها آية للسائلين ، مكة أم الخلفاء الراشدين ، مكة بلد العابدين ، وميدان المجاهدين، وعرين الفاتحين، وجامع الموحدين، ومدرسة الحكام العادلين.

إذا قربت من مكة . . فتهيّأ للدخول ، واستعد للنـزول ، والبس الإحرام ، عند عناق البيت الحرام ؛ لأنك سوف تلج بيت الديَّان ، ومحط العرفان ، ودار الرضوان .

هنا المسلك الأرشد ، والمحل الأسعد ، والحجر الأسود ، هنا المقام الكريم ، والمطاف العظيم ، وزمزم والحطيم .

هنا العابدون والساجدون ، والعاكفون ، والقائمون ، والمستغفرون .

هنا تسكب العبرات ، وتهمل الدمعات ، وتنبعث الآهات ، وتصعد الزفرات .

هنا تُغسل النفس من الأدران ، ويتخلّص القلب من الأحزان ، وتنطلق الروح من العصيان .

هنا ترمى الجمرات ، وتحط الغدرات ، وتخلع الفجرات ، وتغسل السيئات .

هنا يتجرد من الثياب ، ويتهيأ للحساب ، فحبذا هٰذه الرحاب ، وطوبىٰ لهٰذه الشعاب .

هنا تناخ المطايا ، وتُحطّ الخطايا ، وتكثر العطايا .

هنا السرور قد تم ، والشمل قد التم ، وذهب الهم والغم .

* * *

دار الهجرة

لما وصلنا المدينة ، والنفس لمن في الروضة مدينة . . قلت : سلام يا طيبة ، لما رأيناك . . ذهبت الخيبة ، لحبك أيتها الدار ، سال الدمع المدرار .

لمن ندخر الشجون ، لمن نخبىء الدمع الهتون ، هٰذا وقت البكاء يا محب ، هٰذه لحظة الشوق يا قلب .

المدينة تنفي خبثها ، وينصع طيبها ، ويطمئن ساكنها ، ويرتاح حبيبها .

إذا أتيت طيبة . . فأعط قلبك من التذكر نصيبه ، هنا المحراب ، حيث كان يصلي فيه من أُنزل عليه الكتاب ، هنا المنبر ، فتذكّر يوم كان يرقاه صاحب الجبين الأزهر ، هنا المسجد ، فالشوق يتجدد ، إذا علم أنه مصلىٰ محمد ، هنا الروضة الخضراء ، يرقد بها من جاء بالشريعة الغراء ، هنا أُحُد جبل يحبنا ونحبه ، وهنا قباء يؤنسنا قربه .

المدينة هي محط موكب النبوة ، وبها كان للإسلام قوة ، منها سطعت شمس السُنّة ، وفيها تمت المنة ، وهي المدينة التي نصرت المختار ، بسيوف الأنصار ، بها حكم الشيخان ، وولد السبطان ، وعاش السعدان ، وترعرع الزيدان ، وأنشد الشاعران ، كعب وحسّان .

إذا دخلت المدينة . . فتذكر صاحب الملّة السمحاء ، والطريقة البيضاء ، هنا مسكنه ومنامه ، وممشاه وقيامه ، ورمحه وحسامه ، وشرابه وطعامه .

من المدينة خرج لبدر بجنوده ، وزحف إلىٰ أحد في حشوده ، ومن المدينة بعث للملوك رسائله ، وعلم الناس فضائله .

هي بيت ضيافته ، ودار خلافته ، في كل مكان منها له ذكريات ، وفي كل موضع له علامات .

المدينة تذكرك ببكاء أبي بكر في الصلاة ، وورعه وتقواه ، لو وضع الصخر علىٰ بساطه . . لكاد أن يذوب ، ولو زجر الشيطان بنصحه . . لأوشك أن يتوب .

جمع الفضائل كأنه يسوقها بعصاه ، وحبٌّ له في القلوب ، فلو أشار للجيش هيا إلى الموت . . لما عصاه .

والمدينة تذكّرك بالدولة العُمرية ، وتلك المناقب الأثرية ، عدل صار في العالم قصة ، وترك في حلق كل جبار غُصة ، وزهد يقول له الزهد : لا نستطيع معك صبرا ، وورع يقول له القلب : لا نعصي لك أمرا .

عمر بن الخطاب ، سَلْ عنه المحراب ، بكاء فيه وتفجّع ، ونحيب وتوجّع . وإذا بصاحب هٰذه الدموع الآسرة ، يهز بهيبته القياصرة والأكاسرة ، معه بردة مرقعة ، وحذاء مقطّعة ، ثم تخفق قلوب الملوك علىٰ وقع حذائه ، وينام العدل علىٰ طرف ردائه .

والمدينة تذكّرك بالوقفات الإيمانية ، في الحشايا العثمانية ، والمعاهد العفانية ، طُهْر يغتسل في نهره ماء الغمام ، وحياء يصيد بوداعته وُرق الحمام ، وسخاء تُضرب به الأمثال ، وتَعجز عن مجاراته الرجال .

والمدينة تذكّرك بسيف الله المنتضىٰ ، وعبده المرتضىٰ ، علي بن أبي طالب أبي الحسن ، الخطيب اللسن ، ناصر الدين والسنن ، بطل الأبطال

حيدرة ، هازم الكفرة ، وصاحب السيرة العطرة .

إذا قالت روما : عندنا من الملاحم فصول ، وقالت باريس : عندنا ديغول ، وقالت لندن : عندنا العالم المأهول. . فإن المدينة تقول : عندنا الرسول .

حي دار الهجرة ، وميدان النصرة ، وأرض الشهداء ، وجامعة العلماء .

في ثرى المدينة سيد الشهداء ، حمزة المقدام ، وغسيل الملائكة الكرام ، ومن كلَّمه الرحمـٰن ، وحفظة القرآن ، وزيد بن ثابت إمام الفرائض ، وحسّان بن ثابت شاعر الردود والنقائض ، وأُبي بن كعب صاحب الذكر الحكيم ، وفيها من اهتز له العرش العظيم .

في المدينة ذكرىٰ أبي ذر ، وهو يقول الحق المُر ، يدفع الباطل بزنده ، ويرد الدنيا بزهده ، وفيها ذكرىٰ بلال وهو يرسل صوته في سماء الوحدانية ، وفضاء العبودية ، ومعناه : تعالوا إلىٰ ربكم أيها العباد ، وذروا الجاه والأموال والأولاد .

وذكرىٰ أنس بن مالك خادم رسولنا ، كلما قيل : من لهـٰذا العمل ؟ قال : أنا ، فينال بشرف خدمة المعصوم ، ما لا يناله أشراف أهل الدنيا لجلالة المخدوم .

وذكرىٰ سعيد بن المسيَّب ، الولي المقرَّب ، ينهل الناس من مورد علمه ، ويعب العباد من نهر فهمه .

وذكرىٰ مالك بن أنس ، إذا تربع علىٰ كرسي العلم وجلس. . فكأن مجد الدنيا اختصر في تلك الساعة ، يوم تجتمع عظمة العلم وعظمة الطاعة .

وأعظم منقبة للمدينة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكن في

سويداء قلبها ، ويستولي علىٰ حبِّها ، وهـٰذا سر مكانتها وقربها .

يكفي المدينة فخراً ، أن أجلّ البشر ، وسيد البدو والحضر ، شرب ماءها ، واستنشق هواءها ، وارتدىٰ سماءها ، وصافح ضياءها .

يكفي المدينة جلالة علىٰ مدن المعمورة ، تلك المناقب المأثورة ، وأجلّها مشي الحبيب علىٰ ثراها ، وتنقله بين قراها .

كلما طافت عينك علىٰ رباعها ، وهام قلبك في بقاعها . . ناداك منادي الذكريات ، يقول للأحياء والأموات : هنا محمد سجد ، هنا محمد قعد ، هنا محمد رقد ، جلس في هـٰذا المكان ، عبر هـٰذه الوديان ، هرول في هـٰذا الميدان، نظر إلىٰ هـٰذه الجبال، رقىٰ هـٰذه التلال، شرب من هـٰذا الماء الزلال، زار هـٰذه الدار ، نام تحت هـٰذه الأشجار ، مضىٰ من فوق هـٰذه الأحجار .

يا أيتها النخيل الباسقات ؛ ربما مر بكن صاحب المعجزات ، والصفات الباهرات ، فهل من حديث يستفاد ، وهل من ذكريات تعاد ؟

إن كنت تمدح المدينة بسمو قصورها ، وارتفاع دورها ، وعظمة جبالها ، وكثرة تلالها . . فقد غلطت في الثناء ، وقصّرت في واجب الوفاء .

إن للمدينة أسراراً ، وإن لها أخباراً .

المدينة تخاطب القلوب قبل العيون ، وتستثير الدفين من الشجون ؛ لأن ترابها يحتفظ في ذاكرته بمشاهد تذوب لها الأرواح ، ولا يمحوها مرور الرياح .

علىٰ ترابها آثار أقدام المختار ، وبصمات تنقله في تلك الديار ، وعلىٰ ثراها دموع الأبرار ، ودماء الأخيار ، وفي سمائها تسبيحات المهاجرين والأنصار .

للمدينة صفحتان : صفحة الفرح ، وصفحة الأحزان .

فصفحة الفرح بها معالم النبوة الطاهرة ، وتلك الانتصارات الباهرة ، نفرح إذا ذكرنا بركات الرسالة ، ومواقف التضحيات والبسالة .

ونفرح إذا عشنا المعاني الإيمانية ، والنفحات الروحانية ، والمشاهد القرآنية .

ونفرح إذا تذكرنا كيف انتصر الحق المبين ، ودفع الباطل المهين ، وكيف استقبلت تلك القلوب أنوار الهداية ، وكيف انتهى الكفر إلىٰ غير رجعة هٰذه النهاية .

ولكننا نحزن يوم فارق الحياة أكرم الأحياء ، ويوم انتقل إلىٰ دار البقاء أجلُّ الأتقياء .

ونحزن لموت الصدّيق ، صاحب العهد الوثيق .

ونحزن إذا ذكرنا عمر الفاروق وهو بالخنجر يمزّق ، ودمه علىٰ ثيابه يتدفق .

ونحزن يوم ذُبح عثمان ، بسكين العدوان .

نحزن إذا ذكرنا ذهاب ذاك الجيل القرآني الفريد ، وذاك القرن المبارك المجيد ، وتلك الطائفة الزاكية الراشدة ، وتلك الجماعة الخيّرة القائدة .

فصلى الله وسلم علىٰ من تشرّفت به تلك الأرض ، صاحب المقام المحمود يوم العرض .

عليه الصلاة والسلام ، ما هب نسيم الأسحار ، وسرىٰ حديث السمار .

عليه الصلاة والسلام ، ما تمتم ماء ، وهبّ هواء ، وشعّ ضياء ، وارتفع سناء .

عليه الصلاة والسلام ، ما حنّ إلف ، وأومأ طرف ، وما ذرّ شارق ، وما لمع بارق ، وما دام سعد ، ودوىٰ رعد ، وحل وعد ، وحفظ عهد .

عليه الصلاة والسلام ، ما خط قلم ، وزال ألم ، ودامت نعم ، وزالت نقم ، وعلىٰ آله وصحبه الكرام ، ما دام في الأرض إسلام ، والسلام .

* * *

في ظلال القرآن

قال سيد قطب في مقدمة كتابه « في ظلال القرآن » :

الحياة في ظلال القرآن نعمة ، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها ، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه .

والحمد لله ؛ لقد منَّ علي بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان ، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي ، ذقت فيها هـٰذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه .

لقد عشت أسمع الله سبحانه يتحدث إلي بهـٰذا القرآن ، أنا العبد القليل الصغير ، أي تكريم للإنسان هـٰذا التكريم العلوي الجليل ؟ أي رفعة للعمر يرفعها هـٰذا التنزيل ؟ أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم ؟

وعشت ـ في ظلال القرآن ـ أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض ، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة ، أنظر إلىٰ تعاجب أهل هـٰذه الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال ، وتصورات الأطفال ، واهتمامات الأطفال ، كما ينظر الكبير إلىٰ عبث الأطفال ، ومحاولات الأطفال ، ولثغة الأطفال ، وأعجب ما بال هـٰذا الناس؟! ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة ، ولا يسمعون النداء العلوي الجليل ، النداء الذي يرفع العمر ويباركه ويزكيه ؟

عشت أتملىٰ ـ في ظلال القرآن ـ ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود ، لغاية الوجود كله ، وغاية الوجود الإنساني ، وأقيس إليه تصورات

الجاهلية التي تعيش فيها البشرية ، في شرق وغرب ، وفي شمال وجنوب ،وأسأل :كيف تعيش البشرية في المستنقع الآسن ، وفي الدرك الهابط ، وفي الظلام البهيم ، وعندها ذلك المرتع الزكي ، وذلك المرتقى العالي ، وذلك النور الوضيء ؟!

وعشت ـ في ظلال القرآن ـ أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها الله ، وحركة هـٰذا الكون الذي أبدعه الله ، ثم أنظر فأرى التخبط الذي تعانيه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية ، والتصادم بين التعاليم الفاسدة الشريرة التي تملىٰ عليها ، وبين فطرتها التي فطرها الله عليها ، وأقول في نفسي : أي شيطان لئيم هـٰذا الذي يقود خطاها إلىٰ هـٰذا الجحيم ؟ يا حسرة على العباد!

وعشت ـ في ظلال القرآن ـ أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود ، أكبر في حقيقته ، وأكبر في تعدد جوانبه ، إنه عالم الغيب والشهادة لا عالم الشهادة وحده، وإنه الدنيا والآخرة ، لا هـٰذه الدنيا وحدها ، والنشأة الإنسانية ممتدة في شعاب هـٰذا المدى المتطاول كله إنما هو قسط من ذلك النصيب ، وما يفوته هنا من الجزاء لا يفوته هناك ، فلا ظلم ولا بخس ولا ضياع ، علىٰ أن المرحلة التي يقطعها علىٰ ظهر هـٰذا الكوكب إنما هي رحلة في كون حي مأنوس ، وعالم صديق ودود ؛ كون ذي روح تتلقىٰ وتستجيب ، وتتجه إلى الخالق الواحد الذي تتجه إليه روح المؤمن في خشوع : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ ، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾، أيُّ راحة ، وأي سعة ، وأي أنس، وأي ثقة يفيضها على القلب هـٰذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح ؟!

وعشت ـ في ظلال القرآن ـ أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد ، إنه إنسان بنفخة من روح الله : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ ، وهو بهٰذه النفخة مستخلف في الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، ومسخر له كل ما في الأرض : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ، ولأن الإنسان بهٰذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله الآصرة التي يتجمع عليها البشر هي الآصرة المستمدة من النفخة الإلهية الكريمة ، جعلها آصرة العقيدة في الله ، فعقيدة المؤمن هي وطنه ، وهي قومه ، وهي أهله ، ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها ، لا علىٰ أمثال ما تتجمع عليه البهائم من كلأ ومرعىٰ وقطيع وسياج .

والمؤمن ذو نسب عريق ، ضارب في شعاب الزمان ، إنه واحد من ذلك الموكب الكريم ، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم : نوح ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ، ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

هٰذا الموكب الكريم ، الممتد في شعاب الزمان من قديم ، يواجه ـ كما يتجلىٰ في ظلال القرآن ـ مواقف متشابهة ، وأزمات متشابهة ، وتجارب متشابهة علىٰ تطاول العصور ، وكر الدهور ، وتغير المكان ، وتعدد الأقوام ، يواجه الضلال والعمىٰ ، والطغيان والهوىٰ ، والاضطهاد والبغي ، والتهديد والتشريد .

ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو ، مطمئن الضمير ، واثقاً من نصر الله ، متعلقاً بالرجاء فيه ، متوقعاً في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ

إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ .

موقف واحد ، وتجربة واحدة ، وتهديد واحد ، ويقين واحد ، ووعد واحد للموكب الكريم ، وعاقبة واحدة ينتظرها المؤمنون في نهاية المطاف ، وهم يتلقون الاضطهاد والتهديد والوعيد .

الحياة في ظلال القرآن

وفي ظلال القرآن تعلمت أنه لا مكان في هٰذا الوجود للمصادفة العمياء ، ولا للفلتة العارضة : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ ، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ ، وكل أمر لحكمة ، ولكن حكمة الغيب العميقة قد لا تتكشف للنظرة الإنسانية القصيرة : ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ .

والأسباب التي تعارف عليها الناس قد تتبعها آثارها وقد لا تتبعها ، والمقدمات التي يراها الناس حتمية قد تعقبها نتائجها وقد لا تعقبها ؛ ذلك أنه ليست الأسباب والمقدمات هي التي تنشىء الآثار والنتائج ، وإنما هي الإرادة الطليقة التي تنشىء الآثار والنتائج كما تنشىء الأسباب والمقدمات سواء : ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ ، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ، والمؤمن يأخذ بالأسباب لأنه مأمور بالأخذ بها ، والله هو الذي يقدر آثارها ونتائجها ، والاطمئنان إلىٰ رحمة الله وعدله وإلىٰ حكمته وعلمه هو وحده الملاذ الأمين ، والنجوة من الهواجس والوساوس : ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم

بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

ومن ثم عشت ـ في ظلال القرآن ـ هادىء النفس ، مطمئن السريرة ، قرير الضمير ، عشت أرىٰ يد الله في كل حادث وفي كل أمر ، عشت في كنف الله وفي رعايته ، عشت أستشعر إيجابية صفاته تعالىٰ وفاعليتها ، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ ، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ ، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ ، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ ، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ .

إن الوجود ليس متروكاً لقوانين آلية صماء عمياء ؛ فهناك دائماً وراء السنن الإرادة المدبرة ، والمشيئة المطلقة ، والله يخلق ما يشاء ويختار ، كذلك تعلمت أن يد الله تعمل ، ولكنها تعمل بطريقتها الخاصة ، وأنه ليس لنا أن نستعجلها ، ولا أن نقترح على الله شيئاً .

فالمنهج الإلهي ـ كما يبدو في ظلال القرآن ـ موضوع ليعمل في كل بيئة ، وفي كل مرحلة من مراحل النشأة الإنسانية ، وفي كل حالة من حالات النفس البشرية الواحدة ، وهو موضوع لهٰذا الإنسان الذي يعيش في هٰذه الأرض ، آخذ في الاعتبار فطرة هٰذا الإنسان وطاقاته واستعداداته ، وقوته وضعفه ، وحالاته المتغيرة التي تعتريه ، إن ظنه لا يسوء بهٰذا الكائن فيحتقر دوره في الأرض ، أو يهدر قيمته في صورة من صور حياته ، سواء وهو فرد أو وهو عضو في جماعة ، كذلك هو لا يهيم مع الخيال فيرفع هٰذا الكائن فوق قدره

وفوق طاقته وفوق مهمته التي أنشأه الله لها يوم أنشأه ، ولا يفترض في كلتا الحالتين أن مقومات فطرته سطحية تنشأ بقانون ، أو تكشط بجرة قلم .

الإنسان هو هٰذا الكائن بعينه ، بفطرته وميوله واستعداداته ، يأخذ المنهج الإلهي بيده ليرتفع به إلىٰ أقصىٰ درجات الكمال المقدر له بحسب تكوينه ووظيفته ، ويحترم ذاته وفطرته ومقوماته ، وهو يقوده في طريق الكمال الصاعد إلى الله .

ومن ثَم فإن المنهج الإلهي موضوع للمدى الطويل ـ الذي يعلمه خالق هٰذا الإنسان ومنزل هٰذا القرآن ـ ومن ثم لم يكن معتسفاً ولا عجولاً في تحقيق غاياته العليا من هٰذا المنهج ، إن المدىٰ أمامه ممتد فسيح ، لا يحده عمر فرد ، ولا تستحثه رغبة فان ، يخشىٰ أن يعجله الموت عن تحقيق غايته البعيدة ؛ كما يقع لأصحاب المذاهب الأرضية الذين يعتسفون الأمر كله في جيل واحد ، ويتخطون الفطرة المتزنة الخطا ؛ لأنهم لا يصبرون على الخطو المتزن! وفي الطريق العسوف التي يسلكونها تقوم المجازر ، وتسيل الدماء ، وتتحطم القيم ، وتضطرب الأمور ، ثم يتحطمون هم في النهاية ، وتتحطم مذاهبهم المصطنعة تحت مطارق الفطرة التي لا تصمد لها المذاهب المعتسفة!

فأما الإسلام . . فيسير هيناً ليناً مع الفطرة ، يدفعها من هنا ، ويردعها من هناك ، ويقومها حين تميل ، ولكنه لا يكسرها ولا يحطمها ، إنه يصبر عليها صبر العارف البصير الواثق من الغاية المرسومة ، والذي لا يتم في هٰذه الجولة يتم في الجولة الثانية أو الثالثة أو العاشرة أو المئة أو الألف ؛ فالزمن ممتد ، والغاية واضحة ، والطريق إلى الهدف الكبير طويل .

وكما تنبت الشجرة الباسقة ، وتضرب بجذورها في التربة ، وتتطاول

فروعها وتتشابك.. كذلك ينبت الإسلام ويمتد في بطء وعلىٰ هينة وفي طمأنينة ، ثم يكون دائماً ما يريده الله أن يكون ، والزرعة قد تسقىٰ عليها الرمال ، وقد يأكل بعضها الدود ، وقد يحرقها الظمأ ، وقد يغرقها الري ، ولكن الزارع البصير يعلم أنها زرعة للبقاء والنماء ، وأنها ستغالب الآفات كلها على المدى الطويل ؛ فلا يعتسف ولا يقلق ، ولا يحاول إنضاجها بغير وسائل الفطرة الهادئة المتزنة ، السمحة الودود ، إنه المنهج الإلهي في الوجود كله ، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ .

والحق في منهج الله أصيل في بناء هـٰذا الوجود ، ليس فلتة عابرة ، ولا مصادفة غير مقصودة ، إن الله سبحانه هو الحق ، ومن وجوده تعالىٰ يستمد كل موجود وجوده : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ، وقد خلق الله هـٰذا الكون بالحق لا يتلبس بخلقه الباطل : ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ .

والحق هو قوام هـٰذا الوجود ، فإذا حاد عنه.. فسد وهلك : ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ ، ومن ثم فلا بد للحق أن يظهر ، ولا بد للباطل أن يزهق ، ومهما تكن الظواهر غير هـٰذا.. فإن مصيرها إلىٰ تكشف صريح : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ .

* * *

وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين

ما مر من قديم الزمان ، مُلْك كملك سليمان ؛ فقد عُلِّم منطق الطير بلا ترجمان ، وقد اجتمعت في غيبته الحيوانات والطيور ، في يوم فرح وسرور ، وهناء وحبور ، فقالت البهائم للأسد : أيها الأمير ؛ اجلس على السرير ؛ فإنك أبونا الكبير ، فتربع جالساً ، ثم سكت عابساً ، فخاف الجميع ، وأصبحوا في موقف فظيع .

فقام الحمار ، أبو المغوار ، فقال : يا حيدرة ؛ سكوتك ما أنكره !

فقال الأسد : يا حمار البلد ، يا رمز الجلد ، سكتُّ ؛ لأن الثعلب غاب ، وقسماً لو حضر . . لأغرزن في رأسه الناب .

فقام الذئب يتكلم وهو خطيب مصيب ، فقال للأسد : يا أبا أسامة ؛ إن الثعلب قليل الكرامة ، عديم الشهامة ، فليتك تورده الندامة ، فهو لا يستحق السلامة .

وكان أحد التيوس مع الجلوس ، فانسل إلى الثعلب ، فوجده يلعب ، فقال : انتبه أيها الصديق ، فالكمين في الطريق ، إن الأسد يتوعدك بالذبح ، فاجتهد معه في الصلح .

فقال الثعلب : فمن الذي دهاني عنده ، وغيّر عليَّ وده ؟

قال التيس : هو عدوك وعدوي ، الذي في وادٍ يدوي ، هو الذئب الغادر ، صاحب الخيانة الفاجر .

قال الثعلب : أنا الداهية الدهياء ، لأنثرن لحمه في العراء .

فلما حضر الثعلب إلى الأسد ، ودخل مجلسه وقعد . . قال أبو أسامة ، والثعلب أمامه : ما لكَ تأخرت يا بليد ؟ تالله إن الموت أقرب إليك من حبل الوريد .

قال الثعلب : مهلاً أبا أسامة ، أبقاك الله للزعامة ، سمعت أنك مريض ، فذهبت إلى البلد العريض ، ألتمس لك دواء ، جعله الله لك شفاء .

قال : أحسنت ، وسهلت عليّ الأمر وهونت ، فماذا وجدت ؟

قال : وجدت أن علاجك في كبد الذئب مع حفنة من زبيب .

فقال الأسد للذئب : أمرك عجيب ، وشأنك غريب ، علاجي لديك ، وقد سبق أن شكوت عليك ؟

فلما دنا الذئب واقترب . . سحبه الأسد فانسحب ، فخلع رأسه ، وقطع أنفاسه ، ثم سلخ لبده ، وأخرج كبده .

فصاح الغراب ، وهو فوق بعض الأخشاب : يا أبا أسامة ؛ ما تترك الظلم والغشامة .

فرد عليه الأسد : اسكت سَدّ الله فاك ، أنسيت أنك قتلت أخاك ، ودفنته في تراب ، ما أقبحك من غراب ، وتالله لأقتلنك مع الهدهد .

قال الهدهد : يا ظلوم يا غشوم يا مشؤوم ؛ أنا الذي دل علىٰ بلقيس يا خسيس ، وجئت سليمان ملك الإنس والجان ، بنبأ من سبأ ، وحملت الرسالة في بسالة ، ودعوت للتوحيد ، وهو حق الله على العبيد ، فبلقيس أسلمت بسببي ، وحسبي معروف ونسبي .

فأعرض أبو أسامة ، وقطع كلامه ، وإذا بحية لها فحيح ، أقبلت تصيح ،

قد ذبل شعر رأسها وشاب ، وما بقي لها إلا ناب .

فقال الأسد : من بالباب ؟

قالت الحية : أنا أم الجلباب .

فقال : ما اسمك يا حية ، وما معك من قضية .

قالت : اسمي لس ، وخبري علىٰ ظاهر فقس ، أنا كنت أسكن في قرية من قرىٰ فلسطين ، رأسي في الماء ، وذنبي في الطين ، فعصىٰ أهل القرية خالقهم ، وكفروا رازقهم ، فساقني إليهم ، وسلطني عليهم ، فقذفت في بيرهم من سمي زعافاً ، فماتوا آلافاً ، وهلكوا أصنافاً ، وردم الله عليهم القرية ؛ لأنهم أهل فرية .

فلما ملك سليمان . . اختفت القرية عن العيان ، فأراد أن يرى القرية رأي العين ، فاستدعى الرياح في ذلك الحين .

فقال للريح الشمالية : هبي قوية ، وأخرجي لنا تلك البئر المطوية ، والقرية المنسية .

قالت : يا نبي الله ؛ أنا أضعف من ذلك بكثير ، أنا خلقني ربي لتلقيح الثمار ، بقدرة القدير .

فقال للغربية : أنت ما زلت فتية ، فهبي علىٰ هـٰذه الدار ؛ لنرىٰ ما تحتها من الآثار .

قالت : يا نبي الله ؛ أنا خلقني ربي لتلطيف الهواء ، وتبريد الماء ، ولكن عليك بالدبور ؛ فإنها التي أهلكت كل كفور .

فقال سليمان : أيتها الدبور ؛ بأسك مشهور ، وبطشك مذكور ، فأخرجي لنا القرية المنكوبة ؛ لنرىٰ كل أعجوبة ، فهبت ولها هرير ، وزلزلة وصرير ،

فاقتلعت التراب والحجر ، ونسفت الشجر ، حتىٰ خرجت القرية واضحة المعالم ، كل شيء فيها قائم ، فوجد الحية في البئر ، بناب واحد صغير ، فسمى القرية باسم البئر وناب الحية ، فصار اسمها (نابلس) كما في السيرة المرويّة .

فقال الأسد للحمامة : يا أم يمامة ؛ حدثينا عن ملك سليمان ، فلن يملك أحد مثله إلىٰ يوم القيامة ، قالت : حباً وكرامة ، يا أيها الهزبر ؛ ليس الخَبَر كالـخُبْر ، اعلم أنه ما أصبح يُفرح بالملك بعد سليمان ؛ لما أعطاه الله من الملك والسلطان ، ملك الإنس والجان ، والطير والحيوان ، وكلم الوحوش بلا ترجمان ، بنيت له القصور من القوارير ، ونحتت له من الجبال المقاصير ، وخزنت له في البحر القناطير ، وسخر الله له الرياح ، تحمله كل صباح ، فملكه فوق ما يصفه الواصفون ، ولا يعلم ذلك إلا العارفون .

ثم مرت النملة تقفز قفزاً ، وتهمز همزاً ، وهي تقول : أما علمتم بخبري المنقول ؟ أنا التي كلمها سليمان ، وأعطاها الأمان ، وسجلت قصتي في القرآن ، أما قلت للنمل : ادخلوا مساكنكم ، واحفظوا أماكنكم .

ثم مر الكلب ، رمز السلب والنهب ، فقال : يا جماعة ؛ اسمعوا مني ساعة ، فأنا مقصود بالمدح والهجاء ، وما زالت الأشراف تهجو وتمدح كما ذكر صاحب الإنشاء ، فأنا أصيد الصيد ، وأقيده بقيد ، وحفظي للبيت سديد ، وبأسي لصاحبي شديد ، لكنني دائماً بخس محدث ، كما ورد إن تحمل عليه يلهث ، فلي إصابات وغلطات ، والحسنات يذهبن السيئات ، فلا تظنوا أني آية في الخساسة ، ومضرب المثل في النجاسة ، بل هناك أنجس

مني ـ وهٰذه فائدة خذها عني ـ من ترك العمل بلا علم ، وأعرض عن التقوىٰ بعد الفهم ، وأسرف في الظلم .

ثم انفض المجلس وقد امتلأت بالأنس الأنفس .

واعلم أيها الملهم : أن سليمان أعظم من ملك من بني الإنسان ، وصاحب أقصر رسالة في الحديث والقديم : ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ .

* * *

وصــايا

وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

أوصىٰ أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب رحمه الله حين استخلفه فقال : إني مستخلفك ، وأوصيك بتقوى الله يا عمر ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل .

واعلم أنه لا تقبل نافلة حتىٰ تؤدى الفريضة ، وأنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق ، ويحقُّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا ، ويحقُّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً .

إن الله جل ذكره ذكر أهل الجنة بحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم . . فقل : إني لأخاف ألا أكون من هـٰؤلاء ، وذكر أهل النار بسوء أعمالهم ، فإذا ذكرتهم . . فقل : إني لأرجو ألا أكون من هـٰؤلاء .

وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ؛ ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنىٰ على الله غير الحق ، ولا يُلقي بيده إلى التهلكة ، فإن حفظت وصيتي . . فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت ، ولست بمعجزه .

وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته عبد الله بن عمر فقال : أي بني ؛ إذا قام الخليفة بعدي . . فائته ، فقل : إن عمر يقرأ عليك السلام ،

ويوصيك بتقوى الله لا شريك له ، ويوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ؛ أن تعرف لهم سابقتهم ، ويوصيك بالأنصار خيراً ؛ أن تقبل من محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم ، ويوصيك بأهل الأمصار خيراً ؛ فإنهم غيظ العدو ، وجباة الفيء ، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم ، ويوصيك بأهل البادية خيراً ؛ فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام ؛ أن تأخذ من حواشي أموالهم فترد علىٰ فقرائهم ، ويوصيك بأهل الذمة خيراً ؛ أن تقاتل من ورائهم ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم .

وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

قال جندب : دخلت علىٰ علي بن أبي طالب أسأل عنه حين ضربه ابن ملجم لعنه الله ، فقمت ولم أجلس لمكان ابنة له دخلت عليه وهي مستترة ، فدعا الحسن والحسين رحمهما الله فقال : إني أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا علىٰ شيء منها زوي عنكما ، قولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعينا الضالع ، واصنعا للآخرة ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم .

ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال له : فهمت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، قال : أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، وتزيين أمرهما ، ولا تقطع أمراً دونهما ، ثم قال : وأوصيكما به ؛ فإنه شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباه كان يحبه فأحباه .

وقال جندب بن عبد الله لما حضرته الوفاة : أوصيكم بتقوى الله وبالقرآن ؛ فإنه نور الليل المظلم ، وهدي النهار ، فاعلموا واعملوا به علىٰ ما كان من

جهد وفاقة ، فإن عظم بلاء . . فقدم مالك دون نفسك ، فإن جاوز البلاء . . فقدم مالك ونفسك دون دينك ، واعلم أن المحروب من حرب دينه ، والمسلوب من سلب دينه ، واعلم أنه لا غنىٰ بعد النار ، ولا فقر بعد الجنة ، وأن النار لا يفك أسيرها ، ولا يستغني فقيرها .

ولما حضرت الوفاة عمر بن هبيرة . . جزع وجعل يقول : لله در البغلات المسرجات الواقفات بأبواب السلطان ، والله ؛ لوددت أني كنت راعي إبل مئة لرجل سيِّىء الملكة .

ولما احتضر إبراهيم بن يزيد النخعي . . جزع جزعاً شديداً ، وجعل يقول : نفسي أعز الأنفس علي ، فقيل له : يا أبا عمران ؛ أتجزع هـٰذا الجزع من الموت ؟ فقال : وأي غرر أعظم مما أنا فيه ، إنما أتوقع رسولاً من ربي إما بجنة وإما بنار .

* * *

لا بُدّ من صنعاء

دخلنا صنعاء ، بعد ما قرأنا الدعاء ، فقال أهل اليمن : أنت من ؟ قلت : النسبة أزدية ، والملّة محمّدية ، قالوا : انزل غير بئيس ، ولا تعيس ؛ فإن منكم القرني أويس ، قلنا : كفاكم قول من جاء بالشرائع الإيمانية ، حيث يقول : « الإيمان يمان ، والحكمة يمانية » ، قالوا : صلى الله عليه وسلم كلما فاح ورد ، وثار وجد ، وتلي حمد ، وحلّ سعد ، قلنا : كيف الحال ؟ يا معاشر الأقيال ، يا أهل الخطب الطوال ، ويا أصحاب البديهة والارتجال ، ويا رواد الأشعار والأزجال .

وقد قيلت فيكم المدائح ، التي سالت بها القرائح ، وحفظها عنكم التأريخ ، فوصل بها مجدكم المريخ ، أنسيتم ما ذكره في مدحكم الهمداني ، وما سجله في مجدكم صاحب الديباج الخسرواني ، أليس ينسب إليكم السيف الهندواني ، وسمي باسمكم ركن البيت اليماني ، وسهيل أحد النجوم الدواني ، ومنكم محدث العصر الأمير الصنعاني ، والعلامة الرباني الإمام الشوكاني ، وتاج العلماء الكوكباني ، وسيد الأولياء أبو إدريس الخولاني ، ومفتي الديار العلامة العمراني ، وابن الديبع الشيباني ، وشيخ الشيوخ الأرياني ، والقاضي أحمد الحضراني ، وخطيب الخطباء البيحاني ، وأستاذ الإعجاز الزنداني ؟!

وقد أثنىٰ عليكم شيخ الإسلام ابن تيمية الحرَّاني ، لما شرح حديث :

« الإيمان يماني » ، ومجّدكم ابن رجب بالفقه في المعاني ، وحسبكم مدح الرسول العدناني ؛ فإنه خصّكم بعلم الحكمة في المثاني .

ومنكم شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسّان ، وملك العرب النعمان ، وخطيب الدنيا سحبان ، ومنكم سيف بن ذي يزن في غمدان .

منكم الأوس والخزرج ، والملكان الحارث والأعرج ، وعمر بن معدي كرب المقدام المدجج ، ومنكم الملكة بلقيس ، وأسماء بنت عميس ، وأبو موسىٰ عبد الله بن قيس ، وعلىٰ ألسنتكم تسيل القوافي ، وفي ضيافتكم تشبع العوافي ، بديهتكم سريعة ، وذاكرتكم بديعة ، وفيكم الفصاحة والصباحة ، والسماحة والملاحة ، ودعا لكم المعصوم فقال : « اللهم ؛ بارك لنا في يمننا » ، وأقول : ووفق أهل صنعانا وعدننا .

وقد ذكر الذهبي في « النبلاء » ، في سيرة همام بن منبه أحد العلماء : أن رجلاً من قريش ، صاحب سفاهة وطيش ، قال لأحد أهل اليمن ، واليمني ثقة مؤتمن : ما فعلت عجوزكم ؟ قال : عجوزنا بلقيس أسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، وعجوزكم يا قرشي حمَّالة الحطب دخلت النار مع الداخلين ، فغلب القرشيَّ وأفحمه ، وفي كل كرب أقحمه .

وقد رفعتم رؤوس العرب ، لما انتصر سيف بن ذي يزن وغلب ، علىٰ أبرهة حامل الكذب ، فزارتكم الوفود بما فيهم عبد المطلب ، فأشاد بكم أمية بن أبي الصلت في لامية عصماء ، أبهىٰ من نجوم السماء .

وأطعتم معاذ بن جبل ، ورفعتموه في المحل الأجل ، ونصرتم علي بن أبي طالب ، صاحب المناقب والمواهب ، وقتلتم الكذاب الأسود العنسي ، فصار في التأريخ المنسي .

ومنكم المقدام يوم القادسية ، الذي سحق الجموع الفارسية .

وأنتم أرق الأمة قلوباً ، وأقلها عيوباً ، وأطهرها جنوباً ، وفيكم سكينة ووقار ، وفقه واعتبار .

ومنكم أولياء وأبرار ، وكفاكم أن منكم الأنصار ، مع تواضع فيكم وانكسار ، ومنكم مؤلف « الأزهار » ، وصاحب « السيل الجرَّار » ، ومدبج الغطمطم التيّار ، ومنكم المحقق الشهير ، والمجتهد الكبير ، أعني ابن الوزير ، صاحب « العواصم والقواصم » و« الروض الباسم » .

خطيبكم إذا تكلم . . بز الخطباء ، وأسرها وسحرها ، فإما منّاً بعد وإما فداء ، وشاعركم إذا حضر . . غلب الشعراء ، وصارت أفئدتهم من الذهول هواء ، الضاد بأرضكم ميلادها ، والعروبة عندكم أولادها ، والحميريّة أنتم أحفادها .

عندكم الجبال ، والجمال ، والسحر الحلال ، والبلاغة في الأقوال ، مع سلامة صدور ، وبعد عن الكبر والغرور ، وخفة أرواح ، ودعابة ومزاح ، وقدرة على الحفظ ، وسبك اللفظ ، وجودة خاطر ، بكل لذيذ عاطر ، مع بسمة وبشاشة ، ونفوس بالحب جيّاشة .

عانقت جبالكم السحاب ، واحتضن شجركم الضباب ، وقبل ريحانكم التراب ، ونادت غدرانكم : ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ ، كأن بُنَّكم إذا مُزج بالهيل ، وخلط بالزنجبيل . . فيض من السلسبيل ، كأنه يقول للشاربين : جئتكم من سبإٍ بنبإٍ يقين ، وبأرضكم الأقحوان ، يضاحك الريحان ، وبلبل البستان ، كأنه يتكلم بلسان ، في كل صباح يصيح ، كأنه خطيب فصيح ، من دخل روضكم ظن أنه في إيوان كسرىٰ ، يسري به النسيم ، فسبحان من أسرىٰ .

طَلْع الزهر بها كأنه جُمان ، ولو سار بأرضها سليمان. . لسار بترجمان ، تباكرها الصبا الشمالية ، لا شرقية ولا غربية ، فيا أنصار الرسالة في قديم الزمان ، أنتم أنصارها الآن ، فعضوا على التوحيد بالنواجذ ، فأنتم الأبطال الجهابذ ، وانصروا سنة المختار ، في تلك الديار ، وانهجوا نهج السلف ؛ فإنكم نعم الخلف ، وارفعوا للملة العلم ؛ فمن يشابه أَبَاهُ فما ظلم ، ففيكم علماء وعباد ، ولكم نوافل وأوراد ، وتديُّنكُم سريع ، وفهمكم بديع .

سلام علىٰ شوكان ، ورحمة الله علىٰ إريان ، وبركاته علىٰ كوكبان ، ومغفرته علىٰ عمران، وتحياته علىٰ خولان ، وفضله علىٰ همدان ؛ لأن التفسير الصحيح شوكاني ، والشعر المليح إرياني ، والخطاب الفصيح كوكباني ، والعقل الرجيح عمراني، والوجه الصبيح خولاني ، والكف السميح همداني .

وصرف الله النقم ، عن جبل نُقُم ؛ لأنه أنتج لنا ابن الوزير ، صاحب التحبير والتحرير .

اليمن مشتق من الإيمان ؛ لأنهم صدّقوا بالرسالة ، وأظهروا البسالة ، وأكرموا رسول الرسول ، وقابلوه بالقبول ، وجمعوا بين المعقول والمنقول .

واليمن مشتق من اليُمْن ؛ لأنه كان ميموناً بجنوده ، معيناً بحشوده .

واليمن مشتق من الأمانة ؛ لأن أهلها رجاله ، فدوا الملة بالنفوس ، وقدموا للشريعة الرؤوس .

واليمن مشتق من اليمين ، فهم ميمنة كتائب الجهاد ، ساعة الجلاد ، بالسيوف الحداد .

إذا رأيت من ينتقص اليمن. . فاعلم أنه يستحق التوبيخ ؛ لأنه يجهل

روى الطبراني ، عن الرسول العدناني ، في مدح المدد اليماني : « إن نفس ربكم من اليمن » ؛ لأنهم أهل نجدة وفطن .

اليمن بلد الأقيال ، والجبال ، والجمال ، والجلال .

فالأقيال : طردوا الأحابيش ، وهزموا كل جيش ، والجبال : صدّت الغزاة المحاربين ، ودمّرت الإنجليز الكاذبين ، والجمال : رسائل سحر من الطبيعة ، في حجاب الشريعة ، والجلال : إيمان في قوة ، وعلم مع فتوّة .

تعانَق في اليمن التأريخ والجغرافيا ، عناقاً كافياً شافياً ، وتصافح بها الفقه والحديث ، والقديم والحديث .

إذا سال علىٰ « حدائق الأزهار » « السيل الجرار » . . ظهر لك أهل التقليد وحملة الآثار ، وإذا أردت الدليل ، علىٰ فضل هـٰذا البلد الجليل . . فعليك بـ« الإكليل » .

واعلم أنني ما أسرفت في المديح بل قصرت ، وما طولت في الثناء بل اختصرت ، وكفىٰ لأهل اليمن مدح المصطفىٰ ، وإنما أردنا أن نكتب في ديوان الوفاء ، وفي سجل الصفاء .

* * *

أقوال

في كتاب « الكشكول » للبهاء العاملي :

قال هَرِم بن حيان : أتيت أويس القرني ، فقال لي : ما جاء بك ؟ فقلت : جئت لآنس بك ، فقال أويس : ما كنت أرىٰ أحداً يعرف ربه فيأنس بغيره .

وقال بعض التجار : مررت ببلاد المغرب علىٰ طبيب والمرضىٰ بين يديه وهو يصف لهم علاجهم ، فتقدمت إليه وقلت : عالِج مرضي يرحمك الله ، فتأملَ في وجهي ساعة ثم قال : خذ عرق الفقر ، وورق الصبر ، مع إهليلج التواضع ، واجمع الكل في إناء اليقين ، وصب عليه ماء الخشية ، وأوقد تحته نار الحزن ، ثم صفه بمصفاة المراقبة في جام الرضا ، وامزجه بشراب التوكل ، وتناوله بكف الصدق ، واشربه بكأس الاستغفار ، وتمضمض بعده بماء الورع ، واحتم عن الحرص والطمع ؛ فإن الله يشفيك إن شاء .

تُنافِسُ فِي ٱلدُّنْيَا غُرُوراً وَإِنَّمَا ... قُصَارَىٰ غِنَاهَا أَنْ يَعُودَ إِلَى ٱلْفَقْرِ

وَإِنَّا لَفِي ٱلدُّنْيَا كَرَكْبِ سَفِينَةٍ ... نَظُنُّ وُقُوفاً وَٱلزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي

قال بعض العباد : خرجت يوماً إلى المقابر ، فرأيت البهلول ، فقلت : ما تصنع هنا ؟ قال : أجالس قوماً لا يؤذوني ، وإن غفلت عن الآخرة . . يذكروني ، وإن غبت . . لم يغتابوني .

وقيل لبعض المجانين وقد أقبل من المقبرة : من أين جئت ؟ فقال : من

هـٰذه القافلة النازلة ، قيل : ماذا قلت لهم ؟ قال : قلت لهم : متىٰ ترحلون ؟ فقالوا : حين تقدمون .

كان بعض أهل الكمال يقول : إذا رأيت الليل مقبلاً . . فرحت ، وأقول : أخلو بربي ، وإذا رأيت الصبح قريباً . . استوحشت ؛ كراهة لقاء من يشغلني عن ربي .

قال أبو الربيع الزاهد لداوود الطائي : عظني ، فقال : صُمْ عن الدنيا ، واجعل فطرك على الآخرة ، وفِرَّ من الناس فرارك من الأسد .

وكان بعض أصحاب الحال يقول : يا إخوان الصفا ؛ هـٰذا زمن السكوت ، وملازمة البيوت ، وذكر الحي الذي لا يموت .

وكان الفضيل يقول : إني لأجد للرجل عندي يداً إذا لقيني ألا يسلم علي .

وقال أبو سليمان الداراني : بينما الربيع بن خثيم جالس علىٰ باب داره ، إذ جاءه حجر فصك وجهه فشجه ، فجعل يمسح الدم عن جبهته ويقول : لقد وعُظت يا ربيع ، فقام ودخل داره ، ولم يخرج حتىٰ أخرجت جنازته .

وقال بعض العرفاء : أَقِلَّ من معرفة الناس ؛ فإنك لا تدري حالك يوم القيامة ، فإن تكن فضيحة . . كان من يعرفك قليلاً .

وكانت الرباب بنت امرىء القيس إحدىٰ زوجات الحسين بن علي رضي الله عنه ، وشهدت معه الطف ، وولدت منه سكينة ، ولما رجعت إلى المدينة . . خطبها أشراف قريش ، فأبت وقالت : لا يكون لي حمو بعد ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقيت بعده لم يظلها سقف ، حتىٰ ماتت كمداً عليه .

وقيل للفضيل : إن ابنك يقول : قد وددت أني في مكان أرى الناس

ولا يروني ، فبكى الفضيل وقال : يا ويح ابني ؛ أفلا أتمها : لا أراهم ولا يروني .

وقال العارف الكاشي عند قوله تعالىٰ : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ : كل فعل يُقرِّب صاحبه من الله فهو بر ، ولا يحصل التقرب إليه إلا بالتبري عما سواه ؛ فمن أحب شيئاً . . فقد حجب عن الله تعالىٰ ، وأشرك شركاً خفياً ؛ لتعلق محبته بغير الله سبحانه ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ ، وآثر به نفسه على الله ، فقد بعد من الله بثلاثة أوجه ، فإن آثر الله به علىٰ نفسه وتصدق به وأخرجه من يده . . فقد زال البعد ، وحصل القرب ، وإلا . . بقي محجوباً ، وإن أنفق من غيره أضعافه . . فما نال براً ؛ لعلمه تعالىٰ بما ينفق واحتجابه بغيره .

* * *

هل تعلم له سميًّا ؟

الله رحيم لطيف ، الله بيده الأمر والتصريف ، الله أعرف المعارف ، لا يحتاج إلىٰ تعريف ، لا إلـٰه إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، ولا نرجو سواه ، عظيم السلطان والجاه ، أفلح من دعاه ، وسعد من رجاه ، وفاز من تولاه .

سبحان من خلق وهدىٰ ، ولم يخلق الخلق سدىٰ ، عظم سلطانه ، وارتفع ميزانه ، وجمل إحسانه ، وكثر امتنانه .

علام الغيوب ، غفار الذنوب ، ستار العيوب ، كاشف الكروب ، ميسر الخطوب ، مقدر المكتوب .

عظمت بركاته ، حسنت صفاته ، بهرت آياته ، أعجزت بيناته ، أفحمت معجزاته ، جلت أسماؤه ، عمت آلاؤه ، امتلأت بحمده أرضه وسماؤه ، كثرت نعماؤه ، حسن بلاؤه .

ما أحسن قيله! ما أجمل تفصيله! ما أبهىٰ تنـزيله! ما أسرع تسهيله! ليس إلا الخضوع له وسيلة ، وليس لما يقضيه حيلة .

يسقي ويطعم ، يقضي ويحكم ، ينسخ ويبرم ، يقصم ويفصم ، يهين ويكرم ، يروي ويشبع ، يصل ويقطع ، يعطي ويمنع ، يخفض ويرفع ، يرىٰ ويسمع ، ينصر ويقمع .

وليّه مأجور ، والسعي إليه مبرور ، والعمل له مشكور ، وحزبه منصور ،

وعدوه مدحور ، وخصمه مبتور ، يسحق الطغاة ، يمحق العصاة ، يدمر العتاة ، يمزق من عاداه .

من انتصر به . . ما ذل ، ومن اهتدىٰ بهداه . . ما ضل ، ومن اتقاه . . ما ذل ، ومن طلب غناه . . ما قل ، له الكبرياء والجبروت عز وجل .

تم كمالهُ ، حسن جماله ، تقدس جلاله ، كرمت أفعاله ، أصابت أقواله ، نصر أولياءه ، خذل أعداءه ، قرّب أحباءه .

اطلع فستر ، علم فغفر ، حلم بعد أن قدر ، زاد من شكر ، ذكر من ذكر ، قصم من كفر .

لو أن الأقلام هي الشجر ، والمداد هو المطر ، والكتبة هم البشر ، ثم أثنىٰ عليه بالمدح من شكر . . لما بلغوا ذرة مما يستحقه جل في علاه وقهر .

اعمر جَنانك بحبه ، أصلح زمانك بقربه ، اشغل لسانك بمديحه ، احفظ وقتك بتسبيحه .

العزيز من حماه ، المحظوظ من اجتباه ، الغني من أغناه ، السعيد من تولاه ، المحفوظ من رعاه .

أرسل الرسل ، أفنى الدول ، هدى السبل ، أبرم الحيل ، غفر الزلل ، شفى العلل ، ستر الخلل .

في حبك عُذب بلال بن رباح ، وفي سبيلك هانت الجراح ، لدىٰ أبي عبيدة بن الجراح ، ومن أجلك عرض مصعب صدره للرماح ، ولإعلاء كلمتك قطعت يدا جعفر ، وتجندل على التراب وتعفر ، ومزق عكرمة في حرب بني الأصفر .

أحبك حنظلة فترك عرسه ، وأهدىٰ رأسه ، وقدّم نفسه .

وأحبك سعد بن معاذ فاستعذب فيك البلاء ، وجرت منه الدماء ، وشيعته الملائكة الكرماء ، واهتز له العرش من فوق السماء .

وأحبك حمزة سيد الشهداء ، فصال في الهيجاء ، ونازل الأعداء ، ثم سلم روحه ثمناً للجنة هاء وهاء .

من أجلك سهرت عيون المتهجدين ، وتعبت أقدام العابدين ، وانحنت ظهور الساجدين ، وحلقت رؤوس الحجاج والمعتمرين ، وجاعت بطون الصائمين ، وطارت نفوس المجاهدين .

أقلام العلماء ، تكتب فيه الثناء ، صباح مساء ، الرماح في ساحة الجهاد ، والسيوف الحداد ، ترفع اسمه علىٰ رؤوس الأشهاد ، جل عن الأنداد والأضداد .

للمساجد دوي بذكره ، للطيور تغريد بشكره ، وللملائكة نزول بأمره ، حارت الأفكار في علو قدره ، وتمام قهره .

من أجلك هاجر أبو بكر الصديق وترك عياله ، ولمرضاتك أنفق أمواله وأعماله .

وفي محبتك قتل الفاروق ومزق ، وفي سبيلك دمه تدفق ، ومن خشيتك دمعه ترقرق .

ودفع عثمان أمواله لترضىٰ ، فما ترك مالاً ولا أرضاً ، جعلها عندك قرضاً .

وقدَّم عليٌّ رأسه لمرضاتك في المسجد وهو يتهجد ، وفي بيتك يتعبد فما تردد .

تفردت بالبقاء ، وكتبت علىٰ غيرك الفناء ، لك العزة والكبرياء ، ولك أجلّ الصفات ، وأحسن الأسماء .

أنت عالم الغيب ، البريء من كل عيب ، تكتب المقدور ، وتعلم ما في الصدور ، وتبعثر ما في القبور ، وأنت الحاكم يوم النشور .

ملكك عظيم ، جنابك كريم ، نهجك قويم ، أخذك أليم ، وأنت الرحيم الحليم الكريم .

من الذي سألك فما أعطيته ؟ والذي دعاك فما لبيته ؟ ومن الذي استنصرك فما نصرته ؟ ومن الذي حاربك فما خذلته ؟

لا عيب في أسمائك ؛ لأنها حسنىٰ ، لا نقص في صفاتك ؛ لأنها عليا .

حي لا تموت ، حاضر لا تفوت ، لا تحتاج إلى القوت ، لك الكبرياء والجبروت ، والعزة والملكوت .

كسرت ظهور الأكاسرة ، قصّرت آمال القياصرة ، هدمت معاقل الجبابرة ، وأرديتهم في الحافرة .

من أطاعك . . أكرمته ، ومن خالفك . . أدّبته ، ومن عاداك . . سحقته ، ومن نادّك . . محقته ، ومن صادّك . . مزّقته .

تصمد إليك الكائنات ، تعنو إليك المخلوقات ، تجيب الدعوات ، بشتى اللغات ، وبمختلف اللهجات ، علىٰ تعدد الحاجات ، تفرّج الكربات ، تظهر الآيات ، تعلم النيات ، وتظهر الخفيات ، تحيي الأموات .

دعاك الخليل وقد وضع في المنجنيق ، وأوشك على الحريق ، ولم يكن لسواك طريق ، فلما قال : حسبنا الله ونعم الوكيل . . صارت النار عليه برداً وسلاماً في ظل ظليل ، بقدرتك يا جليل .

وفلقت البحر للكليم ، وقد فر من فرعون الأثيم ، فمهدت له في الماء الطريق المستقيم .

ودعاك المختار في الغار ، لمّا أحاط به الكفار ، فحميته من الأشرار ، وحفظته من الفجار .

قريب تجيب كل حبيب .

* * *

أخلاق العلماء

وفي كتاب « أدب الدنيا والدين » :

فأما ما يجب أن يكون عليه العلماء من الأخلاق التي بهم أليق ، ولهم ألزم . . فالتواضع ، ومجانبة العجب ؛ لأن التواضع عطوف ، والعجب منفر .

وهو بكل أحد قبيح ، وبالعلماء أقبح ؛ لأن الناس بهم يقتدون ، وكثيراً ما يداخلهم الإعجاب ؛ لتوحدهم بفضيلة العلم .

ولو أنهم نظروا حق النظر ، وعملوا بموجب العلم . . لكان التواضع بهم أولىٰ ، ومجانبة العجب بهم أحرىٰ ؛ لأن العجب نقص ينافي الفضل ، لا سيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ العُجْبَ ليأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ » .

فلا يفي ما أدركوه من فضيلة العلم بما لحقهم من نقص العجب .

وقد روىٰ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« قليل العلم خير من كثير العبادة ، وكفىٰ بالمرء علماً إذا عبد الله عز وجل ، وكفىٰ بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم ، وتواضعوا لمن تعلمون ، وليتواضع لكم من تعلمونه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ؛ فلا يقوم علمكم بجهلكم) .

وقال بعض السلف : من تكبر بعلمه وترفع . . وضعه الله به ، ومن تواضع بعلمه . . رفعه به .

وعلّة إعجابهم : انصراف نظرهم إلىٰ كثرةِ مَن دونهم من الجهال ، وانصراف نظرهم عمّن فوقهم من العلماء ؛ فإنه ليس متناه في العلم إلا وسيجد من هو أعلم منه ؛ إذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر .

قال الله تعالىٰ : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ ؛ يعني : في العلم ، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ، قال أهل التأويل : فوق كل ذي علم مَن هو أعلم منه ، حتىٰ ينتهي ذلك إلى الله تعالىٰ .

وقيل لبعض الحكماء : من يعرف كل العلم ؟ قال : كل الناس .

وقال الشعبي : ما رأيت مثلي ، وما أشاء أن ألقىٰ رجلاً أعلم مني إلا لقيته .

لم يذكر الشعبي هٰذا القول تفضيلاً لنفسه فيستقبح منه ، وإنما ذكره تعظيماً للعلم عن أن يحاط به .

فينبغي لمن علم أن ينظر إلىٰ نفسه بتقصير ما قصر فيه ؛ ليسلم من عجب ما أدرك منه .

وقد قيل في منثور الحكم : إذا علمت . . فلا تفكر في كثرة مَن دونك من الجهال ، ولكن انظر إلىٰ مَن فوقك من العلماء .

وأنشدت لابن العميد :

مَنْ شَاءَ عَيْشاً هَنِيئاً يَسْتَفِيدُ بِهِ ... فِي دِينِهِ ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالاَ
فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَىٰ مَنْ فَوْقَهُ أَدَبَا ... وَلْيَنْظُرَنَّ إِلَىٰ مَنْ دُونَهُ مَالاَ

وقلما تجد بالعلم معجباً ، وبما أدرك مفتخراً ، إلا من كان فيه مقلاً

ومقصراً ؛ لأنه قد يجهل قدره ، ويحسب أنه نال بالدخول فيه أكثره .

فأما من كان فيه متوجهاً ، ومنه مستكثراً . . فهو يعلم مِن بُعْد غايته ، والعجز عن إدراك نهايته ، ما يصدّه عن العجب به .

وقد قال الشعبي : العلم ثلاثة أشبار ، فمن نال منه شبراً . . شمخ بأنفه ، وظن أنه ناله ، ومن نال الشبر الثاني . . صغرت إليه نفسه ، وعلم أنه لم ينله ، وأما الشبر الثالث . . فهيهات لا يناله أحد أبداً .

* * *

في وصف العيش وما تتمنّاه النفس

وفي كتاب « بهجة الجالس وأنس المجالس » لابن عبد البر :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافىً في جسمه ، معه قوت يومه . . فكأنّما حيزت له الدنيا » .

كان عمر بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب :

اَلْمَرْءُ سَاعٍ لأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ   وَٱلْعَيْشُ شُحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ

قال زيادٌ لجلسائه : من أغبط الناس عيشاً ؟ قالوا : الأمير وجلساؤه ، فقال : ما صنعتم شيئاً ، إنّ لأعواد المنابر هيبة ، وإنّ لفرع لجام البريد لفزعة ، ولكن أغبط النّاس عندي : رجل له دارٌ لا يجري عليه كراؤها ، وله زوجة صالحة ، قد رضيته ورضيها ، فهما راضيان بعيشهما ، لا يعرفنا ولا نعرفه ؛ فإنّه إن عرفنا وعرفناه . . أتعبْنا ليله ونهاره ، وأفسدْنا دينه ودنياه .

قال عمر : لما فتح الله علىٰ رسوله بني النضير وغيرها . . كان يتخذ منها لنفسه وعياله قوت سنة ، ثم يجعل الباقي في الكراع والسّلاح في سبيل الله .

وقال سليمان : إذا أحرزتِ النفس قوتها . . اطمأنت .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « إذا تمنّىٰ أحدكم . . فليكثر ؛ فإنّما يسأل ربّه » .

وليس في هٰذا معارضة لقول الله : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ؛ لأن معنىٰ هٰذا عند العلماء : أن يتمنّى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه ؛ ليصرفه الله عنه إليه ، فذلك التمنّي المكروه .

قال محمد بن سيرين : نُهيتم عن الأمانيّ ، ودُللتم علىٰ ما هو خير منها لكم ، سلوا الله من فضله .

وقد ذكرنا في كتاب « التمهيد » معنىٰ قوله عليه والسلام : « لا يتمنينّ أحدكم الموت لضرٍّ نزل به » ، عند قوله عليه السلام : « لا تقوم الساعة حتىٰ يمرّ الرجل بقبر أخيه فيقول : يا ليتني مكانه » .

قال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيلي : ما بقي من لذاتك ؟ قال : جليس يقصر به طول ليلي ، وزائر أشتهي من أجله طول السهر .

وقال غيره : زائر أشتهي به طول السهر ، ودابة أشتهي من أجلها طول السفر .

قال مسلمة بن عبد الملك : العيش في ثلاثٍ : سعة المنزل ، وموافقة المرأة ، وكثرة الخدم .

قال عباية الجعفيّ : ما يسرُّني بنصيبي من التمني حمر النَّعم .

قال عبد الرحمـٰن ابن أم الحكم : لذة العيش في زحف الأحرار إلىٰ طعامك ، وبذل الأشراف وجوههم إليك فيما تجد السبيل إليه ، وقول المنادي : الصلاة أيها الأمير .

قال قتيبة بن مسلم لوكيع بن أبي سود : ما السرور ؟ قال : لواءٌ منشور ، وجلوسٌ على السّرير ، والسّلام عليك أيّها الأمير .

قيل لأمّ البنين : ما أحسن شيءٍ رأيت ؟ قالت : نعم الله مقبلةً عليّ .

سأل قتيبة رجلاً : ما السّرور ؟ قال : الولد الصالح ، والمال الواسع .

قال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ : لذّة العيش : ظفرك بمن تحبّ بعد امتناع ، ولذة لا توجب عليك إثماً ، وحقٌّ وافق هوىً .

قيل لأبي حازم : ما اللّذة ؟ قال : الموافقة ، ولا أنيس كالصاحب المواتي .

* * *

في بيتك ملك

اجعل الذكر قوتاً ، والعلم ياقوتاً ، واغتنم راحة البال في طاعة ذي الجلال ، واجتنب خلطة العوام ؛ فإنهم هوام ، ومن بذّر في صرف الأيام . . صار كالمسكين علىٰ موائد اللئام .

كان بعض السلف لا يخرج إلا لجماعة أو جمعة ، وكان يستر العبادة خوفاً من الرياء والسمعة ؛ لأن من مكّن الناس من نفسه . . داسوه ؛ فإن الناس لو مُكّنوا من جبلٍ . . دكوه ، ولو ازدحموا علىٰ باب حديد . . لفكّوه .

لا تغترَّ بجلبة الناس وقت الرخاء ؛ فإنهم أسباب البلاء ، فهم ذُباب طمع ، وبعوض جشع ، يطمعون إذا بارق المال لمع ، ويُقبلون إذا نجم الدنيا سطع ، فإذا وقعت في المصائب ، وضرَّستك النوائب . . خلعوا بينك وبينهم العهد ، وأخلفوا الوعد ، وادَّعوا قدم الجفاء ، خسةً وقلة وفاء ؛ لأنه نُسخ الصفاء ، وعلى المروءة العفاء .

لا يحملك معرفة ضعف الناس وعجزهم على الإساءة إليهم ، أو هضم حقوقهم ، بل خفِ الله في الناس ولا تخفِ الناس ، وارجُ الله في الناس ولا ترجُ الناس ، وأنزل الناس منـزلة الأموات ؛ فإن الأموات أموات غير أحياء ، فهم لا يَصِلون ولا يقطعون ، ولا يضرون ولا ينفعون ، ولا يضعون ولا يرفعون ، فوالله ؛ لا يخفض ولا يرفع ، ولا يضر ولا ينفع ، ولا يصل ولا يقطع إلا الله .

واعلم أنك في بيتك ملك ، وكأنك في العز كالمشتري في الفلك ، فإنك

في بيتك سلطان ، فأنت ككسرىٰ في الإيوان ، أو الوزير في الديوان .

قال أحد العلماء كما في كتاب « إدام القوت » : لو تشفعت في كافر أو في أحد أبنائي . . لرجوت الإجابة للكافر ؛ لأن المخامرة تذهب الاحترام .

في الخلطة تذيب قلبك برؤية متكبّر ، والتعرض لعتو متجبّر ، وفي العزلة قدرك أكبر ؛ لأنك في حرز الصون ، كاللؤلؤ المكنون ، والدّر المخزون ، وأهيب الناس من لا تراه العيون .

والرسول اعتزل في الغار ، فجاءه جبريل بالوحي العظيم ، واعتزلت مريم ، فأتت بعيسى النبي الكريم .

كن عصامياً كالأصمعي والزم صومعتك ، فما يعصم من الفتن إلا من اتبع المعصوم .

أبو مسلم تكبر وتجبّر ، وخالط أبا جعفر ، فبقر بطنه بالخنجر .

واعتزل الثورة والثوار سفيان الثوري ، فثار له القبول في القلوب .

وخالط البرامكة الرشيد ، فبرك علىٰ صدورهم ، ووضع ركبته في رقابهم ، واعتزله الفضيل بن عياض ، فعوضه الله بفضله عن كل فضل ، وفي الله عوض من كل نذل .

مد رجلك في بيتك ، ولا تمد يدك في بيت غيرك ، فإن من يمد رجله لا يمد يده ، وشمَّ وردة العزة في العزلة ، ولا تنسَ إلياذة :

(ٱعْتَزِلْ ذِكْرَ ٱلأَغَانِي)

واسمع ابن الوردي ينادي في كل ناد ، ويصيح في كل واد ، لمن مدّ الأيادي للأعادي :

أَنَــا لاَ أَرْغَــبُ تقْبِيــلَ يَــدِ   قَطْعُهَـا أَحْسَـنُ مِـنْ تِلْـكَ ٱلْقُبَـلْ

خير جليس

عليك بالكتاب ؛ فإنه خير الأصحاب ، وهو روح المؤانسة ، وقوت المجالسة ، أقسم الله بالكتاب المسطور ، في رق منشور ؛ لأن الكتاب كنز الإفادة ، وعنوان السعادة .

وهو أمين لا يخون ، وعزيز لا يهون ، إن حملته في النادي . . شرفك ، وإن جهلت أحداً . . عرفك ، يقوي جنانك ، ويبسط لسانك ، بالكتاب يجلس الصعلوك ، علىٰ كراسي الملوك ، يقوّم الزلل ، ويسد الخلل ، ويطرد الملل ، ويشفي العلل ، يحفظ الأخبار ، ويروي الأشعار ، ويكتم الأسرار ، ويبهج الأبرار .

وهو أشرف لك من المال ، وأطوع لك من الرجال ، وأنسىٰ عندك من العيال ، وبه تقارب الكمال .

والكتاب إذا خان الصديقُ . . وفىٰ ، وإذا تكدر الزمان . . صفا ، ينسيك جحود الجاحد ، وحسد الحاسد ، وضغينة الحاقد .

خليل ما أملحه ، وصاحب ما أصلحه ، وصامت ما أفصحه ، يُقرأ في كل زمان ، ويُطالع في كل مكان ، على اختلاف الأفكار ، وتباعد الأمصار .

بشير ونذير ، ونديم وسمير ، إذا وعظ . . أبكاك ، وإن حدث . . أشجاك ، وإذا فرح . . أضحكك ، وإذا بشّر . . أفرحك ، سليم من العيب ، يُحمل في الجيب ، لا يشرب ولا يأكل ، ولا يغضب ولا يجهل ، إن

هجرته . . حفظ ودك ، وإن طلبته . . صار عندك .

يغنيك عن الأرحام والأحباب والأصحاب ، فخير جليس في الأنام كتاب .

يقودك إلى الكرامة ، ويبعدك من الندامة ، ويطرد عنك السآمة .

هو نسب ما أشرفه ، وهو بوابة المعرفة ، وخلاصة الفلسفة .

يصلك بأساطين التفسير ، من كل عالم نحرير ، وإمام شهير ، ومحقق بصير .

ويحضر لك المحدثين ، أهل الرواية الصادقين ، والدراية العارفين ، وجهابذة النقل الواعين .

ويجمع لك الفقهاء ، رواد الشريعة الغراء ، وأرباب الفهم الأذكياء .

ويتحفك بقصيد الشعراء ، ونتاج الأدباء ، وبيان البلغاء ، وإنشاء الفصحاء .

جزى الله الكتاب ، أفضل ثواب ، فقد أغناك عن البخلاء ، وكفاك الثقلاء ، وأجلسك مع النبلاء ، وعرّفك بالفضلاء ، يوفي لك الكيل ، ويقصّر عليك الليل ، هو تاجك في كل ناد ، وأنيسك في كل واد ، وهو سلوة الحاضر والباد ، وخير ما أنتجه العباد .

اصرف له أثمن الأوقات ، وأنفق عليه أعظم الهبات ، ولا تطع فيه أهل الشهوات .

هو الذي حبّب إليك الزمان ، وأجلسك في صدر المكان .

قال القط : يا أيها البط ؛ اخرج من الشط ، فالتفت إليه ، ورد عليه وقال : يا سيد الجهاد ؛ لو كنت من القراء . . لما أعظمت الافتراء ، أما طالعت في كتاب « الهجرتين » : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

ليس المجد حلياً وآنية ، ولا دفّاً وغانية ، ولا قطوفاً دانية .

وليست السعادة كنزاً ، وبنزاً ، وبزاً ، وجنزاً ، ورزاً ، وقزاً ، فهٰذا ليس عزاً .

وليس السؤدد بنوداً ، وجنوداً ، وحشوداً ، ووفوداً .

لكن المجد والسعادة ، والشرف والسيادة ، علم أصيل ، وبرهان ودليل ، وكتاب جليل ، يغنيك عن كل خليل .

❊ ❊ ❊

يمهل ولا يهمل

وفي كتاب « صيد الخاطر » لابن الجوزي :

سبحان الملك العظيم ، الذي من عرفه.. خافه ، ومن أمن مكره.. قط ما عرفه .

لقد تأملت أمراً عظيماً ، أنه عز وجل يمهل حتىٰ كأنه يهمل ، فترىٰ أيدي العصاة مطلقة كأنه لا مانع .

فإذا زاد الانبساط ، ولم ترعو العقول.. أَخَذ أَخْذ جبار .

وإنما كان ذلك الإمهال ؛ ليبلو صبر الصابر ، وليملي في الإمهال للظالم ، فيثبت هـٰذا علىٰ صبره ، ويجزي هـٰذا بقبيح فعله .

مع أن هنالك من الحلم في طي ذلك ما لا نعلمه .

فإذا أخذ عقوبة.. رأيت علىٰ كل غلطة تبعة .

وربما جمعت فضربت العاصي بالحجر الدامغ .

وربما خفي على الناس سبب عقوبته فقيل : فلان من أهل الخير ، فما وجه ما جرىٰ له ؟ .

فيقول القدر : حدود لذنوب خفية صار استيفاؤها ظاهراً .

فسبحان من ظهر حتىٰ لا خفاء به ، واستتر حتىٰ كأنه لا يعرف .

وأمهل حتىٰ طمع في مسامحته ، وناقش حتىٰ تحيرت العقول من مؤاخذته ، لا حول ولا قوة إلا بالله .

تأملت العلم والميل إليه والتشاغل به ، فإذا هو يقوي القلب قوة تميل به إلىٰ نوع قساوة .

ولولا قوة القلب ، وطول الأمل . . لم يقع التشاغل به .

فإني أكتب الحديث أرجو أن أرويه ، وأبتدىء بالتصنيف أرجو أن أتمه ، فإذا تأملت باب المعاملات . . قل الأمل ، ورق القلب ، وجاءت الدموع ، وطابت المناجاة ، وغشيت السكينة ، وصرت كأني في مقام المراقبة .

إلا أن العلم أفضل وأقوىٰ حجة ، وأعلىٰ رتبة ، وإن حدث منه ما شكوت منه .

والمعاملة وإن كثرت الفوائد التي أشرت إليها منها ؛ فإنها قريبة إلىٰ أحوال الجبان الكسلان ، الذي قد اقتنع بصلاح نفسه عن هداية غيره ، وانفرد بعزلته عن اجتذاب الخلق إلىٰ ربهم .

فالصواب : العكوف على العلم مع تلذيع النفس بأسباب المرققات تلذيعاً لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم .

فإني لأكره لنفسي من جهة ضعف قلبي ورقته أن أكثر زيارة القبور ، وأن أحضر المحتضرين ؛ لأن ذلك يؤثر في فكري ، ويخرجني من حيز المتشاغلين بالعلم إلىٰ مقام الفكر في الموت ، ولا أنتفع بنفسي مدة .

وفصل الخطاب في هـٰذا : أنه ينبغي أن يقاوم المرض بضده .

فمن كان قلبه قاسياً شديد القسوة ، وليس عنده من المراقبة ما يكفه عن الخطأ . . قاوم ذلك بذكر الموت ، ومحاضرة المحتضرين .

فأما من قلبه شديد الرقة . . فيكفيه ما به ، بل ينبغي له أن يتشاغل بما ينسيه ذلك ؛ لينتفع بعيشه ، وليفهم ما يفتي به .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح ويسابق عائشة رضي الله عنها ، ويتلطف بنفسه ؛ فمن سار سيرته عليه الصلاة والسلام. . فهم من مضمونها ما قلته من ضرورة التلطف بالنفس .

* * *

الفرج بعد الشدّة

قال لقيط بن زرارة التميمي :

قَدْ عِشْتُ فِي ٱلنَّاسِ أَطْوَاراً عَلَىٰ خُلُقٍ شَتَّىٰ وَقَاسَيْتُ فِيهَا ٱللِّينَ وَٱلْقُطَعَا
كُـلاًّ لَبِسْـتُ فَـلاَ ٱلنَّعْمَـاءُ تُبْطِـرُنِـي وَلاَ تَخَشَّعْـتُ مِـنْ لأْوَائِهَـا جَـزَعَـا
لاَ يَمْلأُ ٱلْهَوْلُ صَدْرِي قَبْلَ وَقْعَتِهِ وَلاَ أَضِيـقُ بِـهِ ذَرْعـاً إِذَا وَقَعَـا
مَـا سُـدَّ لِـي مَطْلَـعٌ ضَـاقَـتْ ثَنِيَّتُـهُ إِلاَّ وَجَـدْتُ وَرَاءَ ٱلضِّيـقِ مُتَّسَعَـا

* * *

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

وَإِنِّي صَبَرْتُ ٱلنَّفْسَ بَعْدَ ٱبْنِ عَنْبَسٍ وَقَـدْ لَـجَّ مِـنْ مَـاءِ ٱلشُّؤُونِ لُجُـوجُ
لأُحْسَـبَ جَلْـداً أَوْ لِيَسْتَـاءَ حَـاسِـدٌ وَلِلشَّـرِّ بَعْـدَ ٱلْقَـارِعَـاتِ فُـرُوجُ

* * *

وقال أبو دهبل الجمحي من قصيدة :

وَإِنِّـي لَمَحْجُـوبٌ غَـدَاةَ أَزُورُهَـا وَكُنْـتُ إِذَا مَـا جِئْتُهَـا لاَ أُعَـرَّجُ
عَسَـىٰ كُـرْبَـةٌ أَمْسَيْـتُ فِيهَـا مُقِيمَـةً يَكُـونُ لَنَـا مِنْهَـا نَجَـاءٌ وَمَخْـرَجُ
فَيُكْبَـتُ أَعْـدَاءٌ وَيُجْـذَلُ آلِـفٌ لَـهُ كَبِـدٌ مِـنْ لَـوْعَـةِ ٱلْبَيْـنِ تَلْعَـجُ

* * *

وقال حارثة بن بدر الغداني :

وَقُـلْ لِلْفُـؤَادِ إِنْ نَـزَا بِـكَ نَـزْوَةً مِنَ ٱلْهَمِّ : أَفْرِخْ ، أَكْثَرُ ٱلرَّوْعِ بَاطِلُهْ

وقال الشاعر :

إِذَا مَذْهَبٌ سُدَّتْ عَلَيْكَ فُرُوجُهُ   فَإِنَّكَ لاَقٍ لاَ مَحَالَةَ مَذْهَبَا
وَلاَ تَجْعَلَنْ كَرْبَ ٱلْخُطُوبِ إِذَا عَرَتْ   عَلَيْكَ رِتَاجاً لاَ يَزَالُ مُضَبَّبَا
وَكُنْ رَجُلاً جَلْداً إِذَا مَا تَقَلَّبَتْ   بِهِ صَيْرَفِيَّاتُ ٱلأُمُورِ تَقَلَّبَا

* * *

وقال الشاعر :

فَمَا نُوَبُ ٱلْحَوَادِثِ بَاقِيَاتٌ   وَلاَ ٱلْبُؤْسَىٰ تَدُومُ وَلاَ ٱلنَّعِيمُ
كَمَا يَمْضِي سُرُورُكَ وَهْوَ جَمٌّ   كَذَلِكَ مَا يَسُوءُكَ لاَ يَدُومُ
فَلاَ تَهْلِكْ عَلَىٰ مَا فَاتَ وَجْداً   وَلاَ تُفْرِدْكَ بِٱلأَسَفِ ٱلْهُمُومُ

* * *

وقال كثير عزة :

تُحَدِّثُ مَنْ لاَقَيْتَ أَنَّكَ عَائِذٌ   بَلِ ٱلْعَائِذُ ٱلْمَظْلُومُ فِي سِجْنِ عَارِمِ
وَمَا رَوْنَقُ ٱلدُّنْيَا بِبَاقٍ لأَهْلِهَا   وَمَا شِدَّةُ ٱلدُّنْيَا بِضَرْبَةِ لاَزِمِ
لِهَٰذَا وَهَٰذَا مُدَّةٌ سَوْفَ تَنْقَضِي   وَيُصْبِحُ مَا لاَقَيْتَهُ حُلْمَ حَالِمِ

* * *

وقال الحسين بن مطير الأسدي :

إِذَا يَسَّرَ ٱللهُ ٱلأُمُورَ تَيَسَّرَتْ   وَلاَنَتْ قِوَاهَا وَٱسْتَقَادَ عَسِيرُهَا
فَكَمْ طَامِعٍ فِي حَاجَةٍ لاَ يَنَالُهَا   وَكَمْ آيِسٍ مِنْهَا أَتَاهُ بَشِيرُهَا
وَكَمْ خَائِفٍ صَارَ ٱلْمُخِيفَ وَمُقْتِرٍ   تَمَوَّلَ وَٱلأَحْدَاثُ يَحْلُو مَرِيرُهَا
وَقَدْ تَغْدِرُ ٱلدُّنْيَا فَيُمْسِي غَنِيُّهَا   فَقِيراً وَيَغْنَىٰ بَعْدَ عُسْرٍ فَقِيرُهَا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ تَكَدُّرِ عِيشَةٍ   وَأُخْرَىٰ صَفَا بَعْدَ ٱنْكِدَارٍ غَدِيرُهَا

وقال الشاعر :

إِلَى ٱللهِ كُلُّ ٱلأَمْرِ فِي ٱلْخَلْقِ كُلِّهِ وَلَيْسَ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِ شَيْءٌ مِنَ ٱلأَمْرِ
إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ ٱلدَّهْرِ كُلَّ مَا تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتْبِي عَلَى ٱلدَّهْرِ
وَوَسَّعَ صَدْرِي لِلأَذَىٰ كَثْرَةُ ٱلأَذَى وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَاناً يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ ٱلنَّاسِ رَاجِياً لِحُسْنِ صَنِيعِ ٱللهِ مِنْ حَيْثُ لاَ أَدْرِي

* * *

وقال دعبل الخزاعي :

فَلَوْلاَ ٱلَّذِي أَرْجُوهُ فِي ٱلْيَوْمِ أَوْ غَدِ تَقَطَّعَ قَلْبِي إِثْرَهُمْ حَسَرَاتِ
فَيَا نَفْسُ طِيبِي ، ثُمَّ يَا نَفْسُ أَبْشِرِي فَغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ مَا هُوَ آتِ
وَلاَ تَجْزَعِي مِنْ دَوْلَةِ ٱلْجَوْرِ إِنَّنِي كَأَنِّي بِهَا قَدْ آذَنَتْ بِشَتَاتِ
عَسَى ٱللهُ أَنْ يَرْتَاحَ لِلْخَلْقِ إِنَّهُ إِلَىٰ كُلِّ حَيٍّ دَائِمُ ٱللَّحَظَاتِ

* * *

وقال علي بن الجهم :

غِيَرُ ٱللَّيَالِي بَادِيَاتٌ عُوَّدُ وَٱلْمَالُ عَارِيَةٌ يُفَادُ وَيَنْفَدُ
وَلِكُلِّ حَالٍ مُعْقِبٌ وَلَرُبَّمَا أَجْلَىٰ لَكَ ٱلْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ
لاَ يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ خَطْبٌ رَمَاكَ بِهِ ٱلزَّمَانُ ٱلأَنْكَدُ
صَبْراً فَإِنَّ ٱلْيَوْمَ يَتْبَعُهُ غَدٌ وَيَدُ ٱلْخَلِيفَةِ لاَ تُطَاوِلُهَا يَدُ
كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ ٱلرَّدَى فَنَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَٱلْعُوَّدُ

* * *

وقال عبد الله بن معاوية :

لاَ تَعْجَلَنَّ فَرُبَّمَا عَجِلَ ٱلْفَتَىٰ فِيمَا يَضُرُّهْ

وَٱلْعَيْشُ أَحْلَىٰ مَا يَعُو	دُ عَلَىٰ حَلاَوَتِهِ مُمِرُّهْ
وَلَرُبَّمَا كَرِهَ ٱلْفَتَى	أَمْراً عَوَاقِبُهُ تَسُرُّهْ

* * *

وقال الشاعر :

إِذَا ٱلْحَادِثَاتُ بَلَغْنَ ٱلْمَدَى	وَكَادَتْ تَذُوبُ لَهُنَّ ٱلْمُهَجْ
وَجَلَّ ٱلْبَلاَءُ وَقَلَّ ٱلْعَزَاءُ	فَعِنْدَ ٱلتَّنَاهِي يَكُونُ ٱلْفَرَجْ

* * *

وقال علي بن جبلة :

عَسَىٰ فَرَجٌ يَكُونُ عَسَى	نُعَلِّلُ نَفْسَنَا بِعَسَى
فَلاَ تَقْنَطْ وَإِنْ لاَقَيْـ	ـتَ هَمّاً يَقْبِضُ ٱلنَّفَسَا
فَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ ٱلْمَرْ	ءُ مِنْ فَرَجٍ إِذَا يَئِسَا

* * *

وقال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي ٱلْفَتَىٰ كَيْفَ يَتَّقِي	نَوَائِبَ هَـٰذَا ٱلدَّهْرِ أَمْ كَيْفَ يَحْذَرُ
يَرَى ٱلشَّيْءَ مِمَّا يَتَّقِي فَيَخَافُهُ	وَمَا لاَ يَرَىٰ مِمَّا يَقِي ٱللهُ أَكْثَرُ

* * *

وقال الشاعر :

فَلاَ تَحْسَبَنْ سِجْنَ ٱلْيَمَامَةِ دَائِماً	كَمَا لَمْ يَدُمْ عَيْشٌ بِسَفْحِ ثَبِيرِ

* * *

وقال الشاعر :

اَلْهَمُّ فَضْلٌ وَٱلْقَضَاءُ مُغَالِبٌ	وَصُرُوفُ أَيَّامِ ٱلْفَتَىٰ تَتَقَلَّبُ

وَٱلْبُـؤْسُ يَتْبَعُـــهُ ٱلنَّعِيــمُ وَرُبَّمَــا لاَقَيْـتَ مَـا تَـرْجُـوهُ فِيمَـا تَـرْهَـبُ
لاَ تَيْـأَسَـنَّ وَإِنْ تَضَـايَـقَ مَـذْهَـبٌ فِيمَـــا تُحَـــاوِلُ أَوْ تَعَـــذَّرَ مَطْلَـــبُ
وَٱنْظُـرْ إِلَـىٰ عُقْبَـى ٱلأُمُـورِ فَعِنْـدَهَـا لِلهِ عَـــادَةُ فَـــرْجَــةٍ تَتَـــرَقَّـــبُ

* * *

وقال الشاعر :

أَدْرِجِ ٱلأَيَّـــــامَ تَنْـــــدَرِجِ وَبُيُـــوتَ ٱلْهَـــمِّ لاَ تَلِـــجِ
رُبَّ أَمْـــرٍ عَـــزَّ مَطْلَبُــــهُ هَـــوَّنَتْـــهُ سَـــاعَـــةُ ٱلْفَـــرَجِ

* * *

وقال الشاعر :

إِذَا ٱشْتَمَلَـتْ عَلَـى ٱلْيَـأْسِ ٱلْقُلُـوبُ وَضَـاقَ لِمَـا بِـهِ ٱلصَّـدْرُ ٱلـرَّحِيـبُ
وَأَوْطَنَـتِ ٱلْمَكَـارِهُ وَٱطْمَـأَنَّـتْ وَأَرْسَـتْ فِـي أَمَـاكِنِهَـا ٱلْخُطُـوبُ
وَلَـمْ تَـرَ لِانْكِشَـافِ ٱلضّـرِّ وَجْهـاً وَلاَ أَغْنَـــىٰ بِحِيلَتِـــهِ ٱلأَرِيـــبُ
أَتَـاكَ عَلَـىٰ قُنُـوطِـكَ مِنْـهُ غَـوْثٌ يَمُـنُّ بِـهِ ٱلْقَـرِيـبُ ٱلْمُسْتَجِيـبُ
وَكُـلُّ ٱلْحَـادِثَـاتِ وَإِنْ تَنَـاهَـتْ فَمَـوْصُـولٌ بِهَـا فَـرَجٌ قَـرِيـبُ

* * *

وقال الشاعر :

صَبَـرْتُ عَلَـى ٱللَّـذَّاتِ لَمَّـا تَـوَلَّـتِ وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي ٱلصَّبْرَ حَتَّى ٱسْتَمَرَّتِ
وَكَانَتْ عَلَى ٱلأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى ٱلذُّلِّ ذَلَّتِ
فَقُلْتُ لَهَا : يَا نَفْسُ عِيشِي كَرِيمَةً لَقَـدْ كَـانَـتِ ٱلـدُّنْيَـا لَنَـا ثُـمَّ وَلَّـتِ
وَمَا ٱلنَّفْسُ إِلاَّ حَيْثُ يَجْعَلُهَا ٱلْفَتَى فَـإِنْ أُطْمِعَـتْ تَـاقَـتْ وَإِلاَّ تَسَلَّـتِ
فَكَـمْ غَمْـرَةٍ دَافَعْتُهَـا بَعْـدَ غَمْـرَةٍ تَجَـرَّعْتُهَـا بِـٱلصَّبْـرِ حَتَّـىٰ تَـوَلَّـتِ

وقال سعيد بن حميد الكاتب :

لاَ تَعْتِبَنَّ عَلَى ٱلنَّوَائِبْ ... فَٱلدَّهْرُ يُرْغِمُ كُلَّ عَاتِبْ
وَٱصْبِرْ عَلَىٰ حَدَثَانِهِ ... إِنَّ ٱلأُمُورَ لَهَا عَوَاقِبْ
مَا كُلُّ مَنْ أَنْكَرْتَهُ ... وَرَأَيْتَ جَفْوَتَهُ تُعَاتِبْ
وَلِكُلِّ صَافِيَةٍ قَذًى ... وَلِكُلِّ خَالِصَةٍ شَوَائِبْ
وَٱلدَّهْرُ أَوْلَىٰ مَا صَبَرْ ... تَ لَهُ عَلَىٰ رَنْقِ ٱلْمَشَارِبْ
كَمْ نِعْمَةٍ مَطْوِيَّةٍ ... لَكَ بَيْنَ أَثْنَاءِ ٱلنَّوَائِبْ
وَمَسَرَّةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ ... مِنْ حَيْثُ تُنْتَظَرُ ٱلْمَصَائِبْ

* * *

وقال محمد بن يسير :

إِنَّ ٱلأُمُورَ إِذَا ٱنْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَٱلصَّبْرُ يَفْرِجُ مِنْهَا كُلَّ مَا ٱرْتَتَجَا
لاَ تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إِذَا ٱسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَىٰ فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي ٱلصَّبْرِ أَنْ يَحْظَىٰ بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ ٱلْقَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

* * *

ساس يسوس

ما لك في ديار السياسة تجوس ؟ اهرب من ساس يسوس ، أما علمت أن وجهها منحوس ، ورأسها منكوس ، وهي التي قطعت الرؤوس ، وأزهقت النفوس ، وضيّعت الفلوس ، وحملت الناس على اليمين الغموس ، طريقها معكوس ، وعلىٰ جبينها عبوس ، سودت الطروس ، وكسرت التروس ، وخلعت الضروس .

كسفت من أجلها شموس ، وفتحت بظلمها حبوس ، وقطعت بجورها غروس ، كانت الدنيا قبلها عروس ، وهي التي عطلت الناموس ، وأباحت المحرمات للمجوس .

عقرت هارون الرشيد في طرطوس ، وقتلت محمد بن حميد في طوس ، واجتاح بها ديار الإسلام أهل البوق والناقوس ، إذا أقبلت . . تدوس ، وإذا أدبرت . . تحوس ، بذريعتها لعب الأمريكان في العالم والرُّوس ، تدبّ في القلوب كالسوس ، وتختفي في العقول كالجاسوس ، عاشقها يتخبطه الشيطان كأنه ممسوس .

أشار إليها الحسين فخطفت راسه ، ومازحها الحجاج فخلعت أضراسه ، وداعبها أبو مسلم فأحرقت لباسَه ، وزارها مصعب فقتلته وحراسه ، وأحبها يزيد فقطعت أنفاسه ، وصافحها المختار فمزقت أحلاسه ، وأحبها المهلب فاقتلعت أساسه ، وعشقها المتوكل فسلطت عليه جُلاّسه ، وشربها القاهر

فكسرت عليه كاسه ، وعانقها ابن الزيات فأحرقت قرطاسه ، وجالسها ابن المقفع فأبطلت قياسه ، كم من ذكي ضيعت مراسه ، وكم من غبي أخرجت وسواسه .

السياسة بالنفاق نجاسة ، وبالغباء تياسة ، وبالغدر تعاسة ، وبالجور خساسة ، وبالظلم شراسة .

اجتنبها أهل الكياسة ، ومات في حبها أهل الرياسة ، بذلوا في حبها الدين والحماسة ، وما حصلوا إلا على التعاسة ، تقاتلوا عليها حسداً ونفاسة ، قُتل البرامكة لأجلها بحجة عباس وعباسة ، فأصبحوا بعد الملك خبراً في كرّاسة ، وبعد الوزارة دفتراً علىٰ ماصة ، هي الوسواسة الخناسة ، تذهب بالنجابة والكياسة ، وكم من شجاع أذهبت باسه ، وعقرت أفراسه ، أهلها يُسمّون ساسة ، كل منهم قد حمل علىٰ أخيه فاسه .

سعيد النورسي ، بالسياسة نسي .

لينين واستالين ، قَتلوا بالسياسة الملايين ، فكتبوا في تاريخ الملاعين .

هولاكو الغازي ، وهتلر النازي ، قَتلوا باسم السياسة الإنسانية ، فأصبحوا في الخانة المنسية .

كسر كسرىٰ بالسياسة ظهور أهل فارس ، فقيل له : لم فعلت ذلك ؟ فقال : ساس يسوس فهو سائس .

وقصّر قيصر بالسياسة أعناق الروم ، فقيل له : لم هـٰذا الصنيع يا محروم ؟ فقال : أردت إصلاح البلاد ، ورحمة العباد .

بقنابل سياسة العميان ، دمرت اليابان ، وقتل الصرب الألبان ، واحتل

الروس الأفغان ، وجلد المستضعفين شاه إيران ، واعتدى الألمان على الجيران . لكن ذكر كل كافر بربه ، آية : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ .

وكل ما سبق حديثٌ عن السياسة الفاجرة الكافرة ، الساحرة الساخرة .

وهي السياسة البدعيّة ، القائمة علىٰ ظلم الرعيّة ، وإهدار الحقوق المرعيّة ، من رأسمالية ، وبعثية ، ونازية ، وشيوعية ، وصان الله من ذلك السياسة الشرعية ؛ لأن السياسة الشرعية رحمة بالبشر ، واتباع للأثر ، ومحاربة مَن كفر ، وردع مَن فجر ، وهي التي علىٰ دستور عمر .

إمام السياسة الشرعية الرسول ، أعدل العدول ، وأفقه الناس في المنقول والمعقول .

وصاحبه الصديق ، بالأمة رفيق ، له عهد مع العدل وثيق ، وقلب من التقىٰ رقيق .

وتلميذه عمر الذي كان وهو خليفة يئن من الجوع ، ويلبس المرقوع ، وتغلبه الدموع ، أولـئك هم الناس ، وبهم يضرب القياس ، ويحل الأمن ويدفع الباس .

وليس لمن خالفهم إلا الإفلاس ، والابتئاس ، والإتعاس ، ليت السيوف الحداد ، لا تعاون أهل الفساد ، في ظلم العباد ، فبسياسة الجور والعناد ، قتل الحسين بسيف ابن زياد .

بأيّ سياسة يُكرم جهلة الأنباط ، وتدفع الجوائز لأهل الانحطاط ، ويُجلد أحمد ابن حنبل بالسياط ، على البلاط ؟!

بأيّ سياسة يتولى الوليد بن يزيد ، وهو الرعديد ، البليد ، المريد ؟! وهو الذي فتح المصحف فوجد فيه : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ غنته

الجارية وهو في السكر والنكر ، شارد الفكر ، ذاهب الذكر ، تارك الشكر ، فقال من الطرب : إلىٰ أين أطير ؟ قال العلماء : طر إلى السعير يا عير ، ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ .

بأي سياسة يصبح الحجاج الوزير ، صاحب الدف والزير ، ليقتل ابن الزبير ، بلا قصاص ولا تعزير ؟!

بأي سياسة يُذبح سعيد بن جبير ، العالم النحرير ، والمحدث الشهير ، وتعطى الجوائز لزرياب، وتخلع عليه الثياب، والعلماء يُدفعون عند الأبواب؟!

لو أن المأمون فقه سنة الرسول الأمين ، ولو أن المعتصم درس سنة المعصوم.. لما عذبوا أحمد ابن حنبل ، سَميّ أحمد النبي المبجل ؛ لأن أحمد بن أبي دؤاد ، أشغلهم عن الإسناد ، بأقوال أهل الفساد ، وبنقولات فلاسفة بغداد ، وجهلة السواد .

يا لها من سياسة خربانة ، تكرم الزنديق وأعوانه ، وتضع ابن تيمية في زنزانة ، وتحجب عنه إخوانه ، بالسياسة تغزو العالم المزدكية ، وتحكم بغداد الأسرة البرمكية ، ويقتل ذو النفس الزكيّة .

بأي سياسة خرج التتار ، بكل بتار ، فخربوا الديار ، وقتلوا الصالحين الأبرار ، وهدموا كل مسجد ودار ؟!

براءة من الله ورسوله إلىٰ سِياد بري ؛ لأنه على الدماء جري ، شنق علماء المالكية ، والشنق عند مالك حرام بالكليّة .

دستم من رستم ، مع هليا مريام منجستم ، يا كم تنجستم ، وغرتكم الأماني وتربصتم .

بأي سياسة سمى الشيوعيون أنفسهم بالرفاق ، وهم أهل النفاق ، والشقاق ، وسوء الأخلاق ؟!

كنّىٰ أبو جعفر الخراسانيَّ أبا مسلم، فلما ذبحه . . قال : مت يا أبا مجرم .

أبو مسلم تبختر ، وتكبر ، وتجبر ، فبقر بطنه أبو جعفر ، بالخنجر ، فسحب بعد الملك في السلك وجرجر .

ما شاء الله يجلس الخليفة في بغداد ، على الوساد ، ويصفق له العباد ، ويحرسه الأجناد ، فتغنيه الجارية بصوت جميل ، وشَعْرها يميل ، فيقع الخليفة في الطرب ، فيصبّ على الجارية الذهب ، وأحمد ابن حنبل مسجون في الحق بلا سبب .

يجلس الخليفة العباسي ، على الكرسي ، ويقول : يا ناس ؛ قبّلوا راسي ، وامسحوا مداسي ، وقربوا قرطاسي .

فيقوم شاعر طرطور ، منافق مدحور ، فيقول : ما خلق الله مثلك أيها الخليفة ، فأنت صاحب الأخلاق الشريفة ، والمعاني اللطيفة ، والأمجاد المنيفة ، فيقول الخليفة : يا غلام ؛ أعطه ألف دينار ، واكتبوه من خدم الدار ، فشِعْره تاج الأشعار ، هـٰذا وسفيان الثوري عالم الديار ، وزاهد الأمصار ، لا يجد كسرة خبز طيلة النهار .

بأي سياسة يشرد الشعب المسلم من فلسطين على الفور ، بوعد بلفور ، وقلوبه على الظلم تفور ، والعالم الإسلامي بارد جامد هامد ، جاحد شارد خامد ، لا يثور كأنه مخمور أو مغرور ، أو مسحور ، ويحتل فلسطين اليهود ، إخوان القرود ، بلا حدود ، ولا قيود ، ولا شهود ؟! .

* * *

تعريف السّلف للسّنّة ووصيّتهم بلزومها

وفي كتاب « الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع » للسيوطي :

وصية سفيان الثوري :

قال سفيان الثوري رحمه الله : أما بعد ، عفانا الله وإياك من سخطه ، وأعاذنا من النار برحمته ، أوصيك بتقوى الله ، واحذر عقابه ، وأن تجهل بعد إذا علمت فتهلك ، ولا تهلك بعد إذا وضح لك ، وتغتر بأهل الباطل بطلبهم الدنيا ، وحرصهم عليها ، وجمعهم إياها ؛ فإن القول فيها شديد ، والخطر عظيم ، والأجل قريب ، وكأن قد كان ما تحذر .

فتفرغ ، وفرغ قلبك ، ثم الجد الجد ، والوحاء الوحاء ، الهرب الهرب ؛ فارتحل إلى الآخرة قبل أن يُرحل بك ، واستقبل رسل ربك بما تحب أن تُستقبل به ، وانكمش في أمورك ، واشدد مئزرك ، وقدم جَهازك من قبل أن يُقضىٰ قضاؤك ، ويُحال بينك وبين ما تريد ؛ فقد وعظتك بما وعظت به نفسي ، والتوفيق من الله .

ومفتاح التوفيق الدعاء والتضرع والاستكانة والندامة علىٰ ما فرطت في أمرك ، ولا تضيع حقك من هـٰذه الأيام والليالي .

أسأل الله الذي منَّ علينا بمعرفته ألا يكلنا وإياكم إلىٰ أنفسنا ، وأن يتولىٰ منا ومنكم ما تولىٰ من أوليائه وأحبابه برحمته ؛ إنه علىٰ كل شيء قدير .

وقال رحمة الله عليه : السنة سنتان : سنة أخذها هدىً وتركها ضلالة ،

وسنة أخذها هدىً وتركها ليس بضلالة .

وإن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يقبل نافلة حتىٰ تؤدى الفريضة ، وإن العبد يحاسب يوم القيامة بالفرائض ؛ فإن جاء بها تامة أو لم يفردها كاملة . . ألحق بها النوافل حتىٰ يكمل بها ، وأول الفرائض الانتهاء عن المحارم والمظالم ؛ فإن الله تعالىٰ يقول في كتابه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾ ، فنعم والله ما وعظ به ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ، وإنما عنىٰ : اتقوا الله في المظالم أن تنالوها فتنفقوها في أعمال البر .

وقال رحمه الله : وأحسن سريرتك . . يحسن الله علانيتك ، وأصلح فيما بينك وبين الله . . يصلح الله فيما بينك وبين الناس ، واعمل لآخرتك . . يكفك الله أمر دنياك ، وبع دنياك بآخرتك . . تربحهما جميعاً ، ولا تخافن إلا ذنبك ، ولا تستنكف أن تعمل لآخرتك ما ينفعك ، ولا تستحي أن تتعلم العلم ، واعمل ما ينفعك في آخرتك ؛ فإن العمل عليك فريضة واجبة ، وإنما فضل العلم ؛ ليتقىٰ به .

وقال : إنما العلم خشية الله تعالىٰ .

وسئل رحمه الله : بم عرفت ربك ؟ فقال : بفسخ العزائم ، ومنع الهمة .

وقال : الصلاة والزكاة من الإيمان ، والإيمان يزيد وينقص ، والناس عندنا مسؤولون ، والإيمان يتفاضل .

وقال الوليد بن مسلم : سألت سفيان ومالكاً والأوزاعي عن أحاديث الصفات ، فقالوا : نؤمن بها ، وتمضي كما جاءت ، ولا نفسرها .

وقال لشعيب : اكتب بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، الإيمان قول ، ولا يصح قول إلا بعمل ، ولا يصح قول وعمل إلا بنية ، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بإصابة السنة .

قلت : وما السنة ؟

قال : تقديم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ثم قال : ولا ينفعك ما كُتب حتىٰ تُقدّم عثمان ، ولا ينفعك ما كُتب حتىٰ تشهد للعشرة بالجنة ، ولا ينفعك ما كُتب حتىٰ ترى المسح على الخفين ، وأنه آثر عندك من غسل الرجلين ، ولا ينفعك ما كُتب حتىٰ تؤمن بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك .

ثم قال : ولا ينفعك ما كُتب حتىٰ تصلي الصلاة خلف كل برّ وفاجر .

قلت : في سائر الصلوات ؟

قال : في الجمعة والعيدين .

ثم قال : وأن تشهد بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، من قال غير هـٰذا . . فهو كافر ، والإيمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

* * *

البشاشة بالإخوان والصبر على تألف قلوب ذوي الأضغان

وفي كتاب « الموشى » للوشاء :

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وروي عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأس العقل بعد الإيمان : التودد إلى الناس » .

وسئل الحسن عن حسن الخلق ، فقال : الكرم ، والبذلة ، والتودد إلى الناس .

وروينا عن جرير بن عبد الله البجلي قال : ما حجبني رسول الله منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي .

وقال المنصور : إذا أحببت المحمدة من الناس بلا مؤونة . . فٱلْقَهُم ببشر حسن .

وروي عن كعب الأحبار قال : مكتوب في التوراة : ليكن وجهك سبطاً . . تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة .

وأنشدني أبو علي العنزي :

اِلْقَ بِٱلْبِشْرِ مَنْ لَقِيتَ مِنَ ٱلنَّا ... سِ جَمِيعاً ، وَلاَقِهِمْ بِٱلطَّلاَقَةْ
تَجْنِ مِنْهُمْ بِهِ جَنِيَّ ثِمَارٍ ... طَيِّبٌ طَعْمُهُ ، لَذِيذُ ٱلْمَذَاقَةْ
وَدَعِ ٱلتِّيهَ وَٱلْعُبُوسَ عَنِ ٱلنَّا ... سِ ؛ فَإِنَّ ٱلْعُبُوسَ رَأْسُ ٱلْحَمَاقَةْ
كُلَّمَا شِئْتَ أَنْ تُعَادِيَ عَادَيْـ ... ـتَ صَدِيقاً ، وَقَدْ تَعِزّ ٱلصَّدَاقَةْ

وأنشدني لبعض بني طيء :

خَالِقِ ٱلنَّاسَ بِخُلْقٍ وَاسِعٍ ... لاَ تَكُنْ كَلْباً عَلَى ٱلنَّاسِ يَهِرّ
وَٱلْقَهُمْ مِنْكَ بِبِشْرٍ ثُمَّ كُنْ ... لِلَّذِي تَسْمَعُ مِنْهُمْ مُغْتَفِرْ

وقال أبو العتاهية :

وَأَلِنْ جَنَاحَكَ تَعْتَقِدْ ... فِي ٱلنَّاسِ مَحْمَدَةً بِلِينِهْ
فَلَرُبَّمَا ٱحْتَقَرَ ٱلْفَتَى ... مَنْ لَيْسَ فِي شَرَفٍ بِدُونِهْ

وكان يقال : أول المروة : طلاقة الوجه ، والثانية : التودد إلى الناس ، والثالثة : قضاء حوائج الناس .

وروي : أن أعرابياً قال : يا رسول الله ؛ إنا من أهل البادية ، فنحب أن تعلمنا عملاً لعل الله أن ينفعنا به ، قال : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستقي ، وأن تكلم أخاك ووجهك إليه منطلق » .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم ببسط الوجه ، والخلق الحسن » .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تمام تحياتكم المصافحة » .

وقال الحسن البصري : المصافحة تزيد في المودة .

وروىٰ مجاهد عن معاذ قال : إن المسلمين إذا التقيا ، فضحك كل واحد

منهما في وجه صاحبه ، ثم أخذ بيده . . تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر .

واعلم أنه إذا صلحت النيات ، وخلصت السريرات . . صلحت أصفية المودة ، وثبتت المحبة ، واتفقت القلوب ، واغتفرت الذنوب ؛ وإذا فسدت النيات ، وخبثت السريرات . . بطل خالص الإخاء ، وانحلت عُرى المودة والصفاء .

* * *

أنا سُنّيّ حُسينيّ

أنا سُنيّ حسينيّ ، جعلت ترحمي عليه مكان أنيني ، أنا أحب السبطين ، لكني أقدم الشيخين ، ليس من لوازم حب الشمس أن تكره القمر ، وموالاة الحسن والحسين يقتضي موالاة أبي بكر وعمر ؛ لأنه يحبهم ويحبونه ، ويحترمهم ويحترمونه .

قاتل الله عبيد الله بن زياد ، يحرّج علىٰ رؤوس العظماء في سوق المزاد .

الحسين لا يمجد بضريح ، ولا بالإسراف في المديح ، لكننا نصْدق في حبه إذا اتبعنا جَدَّه ، وحملنا وُدَّه ، وليس بأن نعكف عنده .

بعض الناس ذبابة ، يجفو القرابة ، ويسب الصحابة .

عظماؤنا ما بين مقتول ومذبوح ، ومسجون ومبطوح ، ومضروب ومجروح .

يا صاحب الفطن ، تريد أن تدخل الجنة بلا ثمن .

يا من يريدون الغروس والعروس ؛ ابذلوا النفوس ، وقدموا الرؤوس .

تريد شراء الجنة بصاع من شعير ، وهو لا يكفي علوفاً للعير ، ولا فطوراً للبعير .

إذا ناداك المسكين . . كأنه طعنك بسكين ، وأنت تتمنىٰ على الله الأماني ، وتشتاق لمثل تلك المغاني !

أنت من سنين ، تبكي على الحسين ، من يحب الحسين بن علي ، فليطع الولي ، هـٰذا هو الحب الجلي .

أنت مثل شيخ فزارة ، حينما قطع أزراره ، قالوا : ما لك ؟ قال : أفدي بها أخي أبا عمارة .

أنا أعلن صرخة الاحتجاج ، ضد ابن زياد والحجاج ، يا أرض الظالمين ؛ ابلعي ماءك ، ويا ميادين السفاحين ؛ اشربي دماءك .

آه ما أطوله من يوم للقتلة ، إذا جاء المقتول ومن قتله ، في يوم لا يكون الحاكم فيه إلا الواحد ، ولا مُلك إلا للماجد ، وقد خاب فيه الجاحد المعاند .

الحسين شهيد ، علىٰ رغم أنف العنيد ، ما قَتل وما نَهب ، وما ظَلم وما سَلب .

وقد أخطأ ابن خلدون حينما نقل أن الحسين قتل بسيف الشريعة ، وهـٰذا النقل من الأمور الشنيعة ، بل قال شيخ الإسلام ، علم الأعلام : قُتل الحسين بسيف الظلم والعدوان ، وقتله مصيبة يؤجر عليها من استرجع من أهل الإيمان : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وإنا لرسوله عند المصائب لتابعون .

إن كان قَتْل الحسين من العدل . . فقد ألغىٰ مدلول النقل والعقل ، وما عاد في الدنيا ظلم ، وما بقي في الأرض إثم ، وإذا احتاج إثبات النهار إلىٰ كلام . . فقل : على الدنيا السلام .

في كربلاء ، كرب وبلاء ، علىٰ ثراها قلب ذكي ، ودم زكي .

الحسين ليس بحاجة إلىٰ مآتم وولائم ، تزيد الأمة هزائم إلىٰ هزائم .

الحسين علىٰ نهج جده محمد ، وعلىٰ مذهب أبيه المسدد ، تقوىٰ تمنع من

الانحراف ، وعَدْل يحمل على الإنصاف .

ولو أن الحسين صاحب دنيا . . لما بكينا ، ولو أنه طالب جاه . . لما اشتكينا ، لكنّه من البيت الطاهر ، صاحب النسب الباهر ، أمانته رصينة ، وأخلاقه حصينة .

صح الخبر في السنة : « أن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة » ، فإذا قتل السيد . . فكيف حال المسود ، وضحية الحاسد هو المحسود ، وقال جدهما المعصوم : « هما ريحانتاي من الدنيا » ، فهم بهٰذه التزكية في الدرجة العليا ، والريحانة تشم ولا تقطع ، وتمسح ولا تقلع .

جاؤوا بالرأس إلى ابن زياد في العراق ، والدم مهراق ، ثم لم تبكِ للظلمة عيون ، ولم تتحرك شجون ، وهٰذا برهان علىٰ أن قلوب الظلمة كالحجارة ، وأن نفوسهم ملئت بالمرارة .

لما أغمد سيف الجهاد . . سَلّه ابن زياد ، على العلماء والعباد .

لو كانت الأمة شاركت في قتل الحسين . . لكانت ظالمة ، ولو رضيت بذلك . . لأصبحت آثمة .

وقعت الأمة بين فكي زياد ويزيد ، يدوسان الجماجم ويقولان : هل من مزيد ، وتصفق لهما أراذل العبيد .

ليل الحسين صلاة وخشوع وبكاء ، وليلهم رقص وطرب وغناء ، نهار الحسين تلاوة وذكر وصيام ، ونهارهم لهو وعشق وغرام ، ولهٰذا وقع الخلاف وعدم الإنصاف .

يا أهل العقول ؛ إنَّ قتل سبط الرسول ، وابن البتول ، أمر مهول ، فلا تخبروا أعداء الملة ، بهٰذه الزلة ؛ فإنها للأمة ذِلة .

الحسين ليس بحاجة إلىٰ وضع أشعار ، ولكن إلىٰ رفع شعار ، دعنا من ترديد القصيد ، والتباكي بالنشيد ، ولكن تابع الحسين في تجريد التوحيد ، وتوقير الشيخين أهل الرأي الرشيد .

العظماء يُقتلون بالسيف أعزاء ، والظلَمة يموتون علىٰ فرشهم أذلاء جبناء ، فالعظيم قتل بتذكية شرعية ، والجبان مات ميتة بدعية ، ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ .

فاتت الحسين الشهادة في بدر ؛ لأنه كان صغيراً ، فعوضه الله بها في صحراء العراق كبيراً .

الرجل يريد أن يكتب اسمه بدم ، وهو يحب البيع لا السَّلم ، ومن يشابه أباه فما ظلم .

الذين ينوحون على الحسين ويقولون : قتل وهو مظلوم ، قلنا : هـٰذا أمر معلوم ، ولكن كفاكم بالنياحة جهلاً ؛ فهل كان قتل عمر وعثمان وعلي عدلاً ؟

النياحة في الدين غير مباحة ؛ لأنها مخالفة للمأمور ، وفعل للمحظور ، وتسخط بالمقدور .

لو لم يقتل الحسين . . لمات ، أفتنوحون عليه وقد كسب عز الحياة ، وسعادة الوفاة ؟!

من أحب الحسين . . فليفعل فعله في حفظ الدين ، وكراهية الظالمين ، وحب المساكين .

قتل الحسين دليل علىٰ عظمة الإسلام ؛ لأن مهره رؤوس تقطع ، وأرواح تدفع ، وضريبته دم يسيل ، ورأس في سبيل الله يميل .

الإسلام كالأسد همته ليست سخيفة ، ولذلك لا يأكل الجيفة ، لعظمة الشمس أصابها الخسوف ، ولجلالة القمر رمي بالكسوف ، والعظماء غرض للحتوف .

رحم الله السبطين ، الحسن والحسين ، وعلياً وفاطمة ؛ فقد أكرموا الدين .

والصلاة والسلام علىٰ خاتم المرسلين ، وآله وصحبه أجمعين .

* * *

إبراهيم بن طلحة والحجّاج

وفي كتاب « الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي » للمعافى بن زكريا :

لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين ، بعد قتل عبد الله بن الزبير . . استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله ، وقرّبه في المنزلة ، فلم يزل علىٰ حاله عنده ، حتىٰ خرج إلىٰ عبد الملك زائراً له ، فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئاً ، فلما حضر باب عبد الملك . . حضر به معه ، فدخل علىٰ عبد الملك ، فلم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال : قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز ، لم أدع له ـ والله ـ فيها نظيراً في كمال المروءة والأدب والديانة ، ومن الستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة ، مع القرابة ووجوب الحق ؛ إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله .

وقد أحضرته بابك ؛ لتسهل عليه إذنك ، وتلقاه ببشرك ، وتفعل ما تفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه .

فقال عبد الملك : ذكرتنا حقاً واجباً ، ورحماً قريباً ، يا غلام ؛ ائذن لإبراهيم بن طلحة ، فلما دخل عليه . . قربه حتىٰ أجلسه علىٰ فرشه ، ثم قال له : يا بن طلحة ؛ إن أبا محمد أذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب ، مع قرابة الرحم ، ووجوب الحق ، فلا تدعن حاجة في خاص أمرك ولا عامته إلا ذكرتها .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن أَولى الأمور أن تُفتتح بها حوائج ، وترجىٰ بها الزلف ، ما كان لله عز وجل رضاً ، ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم أداء ، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة ، وإن عندي نصيحة لا أجد بُداً من ذكرها ، ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال ، فأخلني . . تَرِد عليك نصيحتي .

قال : دون أبي محمد ؟

قال : نعم .

قال : قم يا حجاج ، فلما جاوز الستر قال : قل يا بن طلحة نصيحتك .

قال : الله ، أمير المؤمنين أمير المؤمنين .

قال : الله .

قال : إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه ، وتعترسه وتعجرفه ، وبعده عن الحق ، وركونه إلى الباطل ، فوليته الحرمين ، وفيهما من فيهما ، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار ، والموالي المنتسبة الأخيار ، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء الصحابة ، يسومهم الخسف ، ويقودهم بالعسف ، ويحكم فيهم بغير السنة ، ويطؤهم بطغام أهل الشام ، ورعاع لا روية لهم في إقامة حق ، ولا إزاحة باطل ، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك ، وفيما بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلصك إذا جاثاك للخصومة في أمته ، أما والله ؛ لا تنجو إلا بحجة تقيمن لك النجاة ، فأبق علىٰ نفسك أو دع ؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته » .

فاستوىٰ عبد الملك جالساً وكان متكئاً ، فقال : كذبت ـ لعمر الله ـ ومنت ولؤمت فيما جئت به ، قد ظن بك الحجاج ما لم يجد فيك ، وربما ظن الخير

بغير أهله ، قم فأنت الكاذب المائن الحاسد .

قال : فقمت والله ما أبصر طريقاً ، فلما خلفت الستر . . لحقني لاحق من قبله ، فقال للحاجب : احبس هـٰذا ، أدخل أبا محمد ـ للحجاج ـ فلبثت ملياً لا أشك أنهما في أمري ، ثم خرج الآذن فقال : قم يا بن طلحة فادخل ، فلما كشف لي الستر . . لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج ، فاعتنقني وقبل ما بين عيني ، ثم قال : إذا جزى الله المتحابين بفضل تواصلهم . . فجزاك الله أفضل ما جزىٰ به أخاً ، فوالله ؛ لئن سلمت لك . . لأرفعن ناظرك ، ولأعلين كعبك ، ولأتبعن الرجال غبار قدمك ، قال : فقلت : يهزأ بي .

فلما وصلت إلىٰ عبد الملك . . أدناني حتىٰ أجلسني مجلسي الأول ، ثم قال : يا بن طلحة ؛ لعل أحداً من الناس شاركك في نصيحتك ؟ قال : قلت : لا ، والله ، ولا أعلم أحداً كان أظهر عندي معروفاً ولا أوضح يداً من الحجاج ، ولو كنت محابياً أحداً بديني . . لكان هو ، ولكن آثرت الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه والمسلمين .

فقال : قد علمت أنك آثرت الله عز وجل ، ولو أردت الدنيا . . لكان لك بالحجاج أمل ، وقد أزلت الحجاج عن الحرمين ؛ لما كرهت من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استصغاراً لهما ، ووليته العراقين ؛ لما هنا من الأمور التي لا يرحضها إلا مثله ، وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له عليهما ؛ استزادة له ؛ ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني إليك أجر نصيحتك ، فاخرج معه ؛ فإنك غير ذام صحبته مع تقريظه إياك ويدك عنده .

قال : فخرجت علىٰ هـٰذه الجملة .

* * *

هنا القاهرة

يا مصر ؛ أنتِ كوكبة العصر ، وكتيبة النصر ، وإيوان القصر ، أنتِ أم الحضارة ، ورائدة المهارة ، ومنطلق الجدارة ، وبيت الإمارة ، ومقر السفارة ، ومهبط الوزارة .

من أين نبدأ يا مصر الكلام ؟ وكيف نلقي عليكِ السلام ، قبل وقفة الاحترام ؟! لأن في عينيكِ الأيام ، والأعلام ، والأقلام ، والأعوام .

يا مصر أنتِ صاحبة القبول والجاه ، كم من قلب فيكِ شجاه ما شجاه ؟! ونحن جئنا ببضاعة مزجاة .

يا ركب المحبين أينما حللتم وارتحلتم ، وذهبتم وأقبلتم ، اهبطوا مصر ؛ فإن لكم ما سألتم .

يا أرض العز ، يا قاهرة المعز ، يا بلاد العِلم والقطن والبز .

سلام عليكِ يا أرض النيل ، ويا أم الجيل ، الحب لكِ أرض ، والجمال سقف ، والمجد لكِ وقف .

ويا داخل مصر منك ألف ، ما أحسن الجفن والجيد والكف .

التقى الطيب والكافور في مصر ، لما التقىٰ أبو الطيب وكافور في القصر .

قبل أن يدخل جوهر الصقلي مصر كان عبداً مملوكاً ، فلما دخلها. . صار يحكم ملوكاً .

قل للأخيار المكرمين ، الوافدين إليها مغرمين ، والقادمين عليها مسلمين : ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ .

في مصر تعانقت القلوب ، وتصافح المحب والمحبوب ، والتقىٰ يوسف بيعقوب ، فصفق الدهر ليوسف منشداً ، وغنى الزمان له مغرّداً ، وخروا له سجداً .

في مصر ترعرع الشعر ، وسال القلم البليغ بالسحر ، فكان الفضاء لكتاب مصر صفحة بيضاء ، يكتب كل ما يشاء ، فصارت العقول في ذهول ، من روعة المنقول والمعقول ، وأذعنت القلوب في قبول ، ترحب بالشاعر المصقع ، والقلم المبدع ، والرأي المقنع .

في مصر القافية السائرة ، والجملة الساحرة ، والمقالة الآسرة ، والفكرة العاطرة .

عالم من الجنود ، والبنود ، والوفود .

دنيا للقادة ، والسادة ، أهل الإفادة ، والإجادة ، والرفادة .

ديوان للكتاب ، والحساب ، والأصحاب ، والأحباب .

محراب للعباد ، والزهاد ، والأمجاد ، والرواد ، علماء ، وحكماء ، وكرماء ، وحلماء ، وشعراء ، وأدباء ، وأطباء ، وخطباء ، ونجباء ، وأذكياء ، وأولياء ، وأصفياء ، وأوفياء .

هنا الدهر يكتب من ذكرياته فنوناً، هنا التاريخ يبث من صدره شجوناً، هنا الجمال يسكب من إنائه فنوناً، هنا خطى الزمان تتسارع، والحضارات تتصارع، والأهرام تقص علينا خبر الأيام ، وأحاديث الأقوام ، وما فعلته الأعوام .

هنا سُحق الطغيان ، ومُزق جنود الشيطان ، ودُمر فرعون وهامان ،

وأُحرقت وثيقة الزور والبهتان ، وارتفعت ملة الرحمان .

هنا عمرو بن العاص ، رحب به العوام والخواص ، وفرّ الظلم في قدومه وغاص .

هنا تكتب الدموع على الخدود رسائل الأموات إلى الأحياء ، وخطاب الأرض المفتوح إلى السماء ، وهنا تلتقي الظلماء والضياء ، والظمأ والماء ، والصفاء والوفاء ، ويتعانق الضحك والبكاء ، والفراق واللقاء ؛ لتصبح الحياة في مصر مهرجاناً لآلاف الصور والمشاهد ، والذكريات مساجد ، ومعابد ، ومعاهد ، وجامعات ، وكليات ، وشركات ، وأمسيات ، ومحاضرات ، وندوات ، ولقاءات ، ومحاورات ، ومعاهدات .

صباح الخير يا أرض الكنانة ، وناصرة الديانة ، وحاملة التاريخ بأمانة ، وحافظة عهد الإسلام في صيانة ، وراعية الجمال في رزانة .

أدب خلاّب ، وجمال سلاّب ، وسحر جذّاب ، وذكاء وثّاب ، وظل مستطاب ، وأمانٍ عذاب .

نهر يتدفّق ، وحسن يترفّـق ، ودموع ترقرق ، وزهور تتفتق ، وأكمام تتشقق ، ومقاصد تتحقق .

وجد الإسلام فيكم يا أهل مصر أعيادَه ، كنتم يوم الفتوح أجناده ، وكنتم مدده عام الرمادة ، وأحرقتم العدوان الثلاثي وأسياده ، وحطمتم خط بارليف وعتاده ، وكنتم يوم العبور آساده وقُوّاده ، فتفضلوا الشكر والإشادة ، وخذوا من القلب حُبّه ووِداده .

منكم أمير الشعراء ، وكبير البلغاء ، وشيخ الفصحاء ، وسيد الخطباء ، وأستاذ النجباء ، وأكبر الأطباء .

يسلك العقل في مصر سبيله ، ويحفظ الفؤاد من مصر نيله ، وتعيد الذاكرة في مصر قصة ألف ليلة وليلة .

في مصر لطف الهواء ، وطيب الغذاء ، ونفع الدواء ، وصفاء الماء .

سلام علىٰ مصر في الآخرين ؛ لأنها كانت خزانة المسلمين ، ومدد المجاهدين ، وسلة الخبز للجائعين ، ومقبرة المستعمرين ، أهلك الله أعداءها ثم قال : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ .

بوركتِ يا أرض السنابل ، ويا روض الجداول ، ويا بلاد الخمائل ، لكِ في قلوبنا من الحب رسائل ، ومن الود مسائل .

لله أنت يا مصر ، بَنُوك أهل سعة في الحفظ ، وفصاحة في اللفظ ، منهم سادات القرّاء ، وأئمة الفقهاء .

إذا قرأ منهم القاري كلام الباري . . تكاد تميد السواري ، وينسكب مع ندىٰ صوته الدمع الجاري .

وإذا خطب فيهم الخطيب ، بذاك الكلام العجيب . . سمعت البكاء والنحيب .

مصر بلد الحديث المحبّر ، والحرف المسطر ، والروض المعطر .

سقاها الله الغيث المدرار ، وحماها من الأخطار ، وصانها من لوثة الأشرار .

* * *

يؤتى أجره مرتين

وفي كتاب « مطلع البدرين فيمن يؤتىٰ أجره مرتين » للسيوطي :

حديث القرآن فيمن يؤتي أجره مرتين :

قال الله تعالىٰ مخاطباً أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ .

* * *

ثلاثة لهم أجران :

وأخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لهم أجران ـ وفي لفظ : يؤتون أجرهم مرتين ـ : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به، واتبعه، وصدقه. . فله أجران ، وعبد مملوك أدىٰ حق الله تعالىٰ ، وحق سيده. . فله أجران ، ورجل كانت له أمة ، فأدبها فأحسن أدبها ، ثم أعتقها وتزوجها. . فله أجران » .

جزاء من أسلم من أهل الكتاب :

وأخرج الطبراني في « الكبير » عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب عام حجة الوداع : « من أسلم من أهل الكتابين . . فله أجره مرتين ، ومن أسلم من المشركين . . فله أجره » .

* * *

أربعة يؤتون أجرهم مرتين :

وأخرج أيضاً عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة يؤتون أجرهم مرتين : أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم من أهل الكتاب ، ورجل كانت عنده أمة فأعتقها ثم تزوجها ، وعبد مملوك أدىٰ حق الله وحق سادته) .

* * *

جزاء العبد إذا نصح لسيده :

وأخرج الشيخان عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد إذا نصح لسيده ، وأحسن عبادة ربه . . فله أجره مرتين » .

وأخرجا عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للعبد المملوك الصالح أجران » .

* * *

جزاء أهل القرآن :

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأه وهو عليه شاق . . له أجران » .

وأخرج الدارمي في « مسنده » عن وهب الذماري قال : (من آتاه الله القرآن فقام به آناء الليل ، وآناء النهار ، وعمل بما فيه ، ومات على الطاعة . . بعثه الله يوم القيامة مع السفرة والأحكام ـ والسفرة : الملائكة ، والأحكام : الأنبياء ـ قال : ومن كان عليه حريصاً وهو يتفلّت منه ، وهو لا يدعه . . أوتي أجره مرتين) .

* * *

جزاء الحاكم المجتهد :

وأخرج البخاري وأبو داوود عن عمرو بن العاص ، وأبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب . . فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطاء . . فله أجر » .

وأخرج البيهقي في « الشعب » من طريق عبد الرزاق عن معمر عن موسى بن إبراهيم عن رجل من آل أبي ربيعة أنه بلغه : أن أبا بكر حين استخلف . . قعد في بيته حزيناً ، فدخل عليه عمر ، فأقبل علىٰ عمر يلومه ، فقال : أنت كلفتني هٰذا ؟ وشكىٰ إليه الحكم بين الناس ، فقال عمر : أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الوالي إذا اجتهد فأصاب الحق . . فله أجران ، وإذا أخطأ . . فله أجر واحد » .

* * *

جزاء الصدقة على الأقارب :

وأخرج الشيخان عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت : جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا امرأة من الأنصار حاجتها حاجة ، فخرج علينا بلال ، فقلنا له : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب ؛

تسألانك : تجزىء الصدقة عنهما علىٰ أزواجهما ، وعلىٰ أيتام في حجرهما ؟ فدخل بلال فسأله فقال : « لهما أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة » .

وأخرج الطبراني في « الكبير » عن أبي أمامة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الصدقة علىٰ ذي قرابة يضعف أجرها مرتين » .

وأخرج في « الأوسط » عن ابن مسعود : أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم : هل لها من الأجر في زوجها ، وأيتام في حجرها وهم بنو أخيها أن تجعل صدقتها فيهم ؟ فقال : « نعم ، لها أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة » .

وأخرج عن جمرة بنت قحافة قالت : قلت : يا رسول الله ؛ زوجي محتاج ؛ فهل يجوز أن أعود عليه ؟ قال : « نعم ، لك أجران » .

* * *

فِـــرّ إلى نفسك

والله لو برزت للناس بتاج مشلشل ، في همة تشرشل ، ولو فرشت للناس بالذهب الأسفلت ، في مجد روزفلت . . لقلبوا مدحك قدحاً ، وجدك مزحاً ، وكدّروا صفوك مساءً وصبحاً .

اشرب من دنان عزلتك كما دوّن دانتي في روما مقالته : العزلة في الدار مملكة الأفكار . وفي دفاتر فلوتير : إن حسن التفكير في البعد عن الكثير .

لو كان لي كرّة . . لاعتزلت الناس بالمرة ، فخُلطتُهم تُذهِب المسرّة ، ولكن الحمد لله عرفنا الاختلاط وضرّه ، والاجتماع وشرّه ، وعذرنا قول ابن مطيع لله درّه :

أَنَـا ٱلَّـذِي فَـرَرْتُ يَـوْمَ ٱلْحَـرَّهْ وَٱلشَّيْـــخُ لاَ يَفِـــرُّ إِلاَّ مَـــرَّهْ

سكن في الكوخ طاغور ، فأنشد على الفور : يا أهل الدور والقصور ؛ أنا أسعد منكم ، سعادتكم بجواهر البحور ، ودر النحور ، وسعادتي بفرائد المعارف ، وقلائد المصاحف ، نحن عبيد الله ، وأنتم عبيد الدينار الذي يؤدي إلى النار .

أحب المتنبي الشهرة ، فباع قريضه ، وترك الفريضة ، وسافر في آماله العريضة ، فصار خويضة .

إذا احتجب القمر بالخسوف . . قام الناس يصلون في صفوف ، والكل يبكي بكاء الملهوف ؛ لأن الغائب مقدَّر ، والمحجوب موقَّر ، فلا تبذل وجهك لكل سفيه ، فيصيبك من رماد الجهل سوافيه ، وما فيه يكفيه .

صفق المجد لابن مقلة وانبسط ، ففرح واغتبط ، وجمع حوله الشرط ، فَعُزِلَ وسقط ، ثم قطعوا يمينه ، وأبكوا عينه ، وداسوا جبينه .

من خالط الأشرار . . انتكس وارتكس ، ومن رافق الفجار . . تعس .

لم تحمد سيرة ابن الزيات ؛ لأنه صب الزيت على النار بإيذاء أحمد ، وزيت أحمد سني يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ، فوضع ابن الزيات في فرن ، فاشتعل بنار الخلاص ؛ والجروح قصاص .

لما رأىٰ سعدٌ العقوق . . خرج إلى العقيق ، فذبح على الخلاص من الدنيا عقيقة ؛ حمداً لله علىٰ سلامته من شر ابنه العاق .

رفض عمر بن سعد بن أبي وقاص عزلة والده وخالط المسيئين ، وتورط في قتل الحسين ، زرع مع ابن زياد حنظلة البغي بعد قطع ريحانة الرسول .

لو كان لابن بقية بقايا من عقل التقية . . لما أركبه عضد الدولة منبر الصلب ، ليقول فيه ابن الأنباري :

عُلُوٌّ فِـي ٱلْحَيَاةِ وَفِي ٱلْمَمَاتِ

وفي مذكرات كونفوشيوس : الناس عبيد الفلوس ، لهم نبيب على المال كنبيب التيوس .

وعلىٰ ذكر النبيب ، يقول حسان الشاعر المصيب ، وهو من باب التأديب والتهذيب والتأنيب ، لمن اهتمّ بكلام العوام ، الهوام السوام ، عُبّاد الحطام :

مَـا أُبَـالِـي أَنَـبَّ بِـٱلْحُـزْنِ تَيْـسٌ ... أَمْ لَحَـانِـي بِظَهْـرِ غَيْـبٍ لَئِـيـمُ

يا من خاف من الناس القصف والسيف والخسف ؛ فِر إلىٰ غار العزلة واقرأ : ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ .

* * *

ودمعٌ لا يُكفكَف يا دمشق

السلامُ عليك يا أرض شيخ الإسلام ، ورحمة الملك العلاَّم ، أيها الحضور الكرام ، في دمشق الشام .

يا دمشق ؛ ماذا تكتب الأقلام ، وكيف يرتّب الكلام ، وماذا نقول في البداية والختام ؟!

في دمشق الذكريات العلمية ، والوقفات الإسلامية ، والمآثر الأمويّة .

وفيها يرقد ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية .

وفي دمشق حلقات الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية .

يحق لحسان أن ينوح علىٰ تلك الأوطان ، ويسكب عليها الأشجان .

تذكرك دمشق بمعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، وبني غسان ، والشعر والبيان ، والمجالس الحسان .

دمشق سماء زرقاء ، وروضة خضراء ، وقصيدة عصماء ، وظل وماء ، وعلوّ وسناء ، وهمة شماء .

ما أبقىٰ لنا الشوق بقية ، لما سمعنا تلك القصيدة الشوقية ، في الروابي الدمشقية .

في دمشق أكباد تخفق ، وأوراق تصفق ، ونهر يتدفق ، ودمع يترقرق ، وزهر يتشقق .

دخلنا دمشق فاتحين ، وصعدنا رباها مسبحين ، فدمشق في ضمائرنا كل

حين ، وهي غنية عن مدح المادحين ، ولا يضرها قدْح القادحين .

آه يا دمشق ؛ كم في ثراك من عابد ، كم في جوفك من زاهد ، كم في بطنك من مجاهد ، كم في حشاك من ساجد ؟!

أنت يا دمشق سفر خلود، وبيت جود، منك تهب الجنود، وتحمل البنود.

يُصنع علىٰ ثراك الأحرار ، ويُسحق علىٰ ترابك الاستعمار ، ويُحبّك يا دمشق الأخيار ، فأنت نعم الدار .

تقطع إليك من القلوب التذاكر ، من زارك.. عاد وهو شاكر ، ولأيامك ذاكر ، يكفيك « تاريخ ابن عساكر » ، صانك الله من كل كافر .

في دمشق روضة العلماء ، وزهد الأولياء ، وسحر الشعراء ، وحكمة أبي الدرداء ، وجفان الكرماء .

في دمشق عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد ، والملك الزاهد ، والولي العابد ، يطارد الظلم والظالمين ، ويحارب الإثم والآثمين ، فيذكر الناس بالخلفاء الراشدين ، ويعيد للإسلام جماله في عيون الناظرين .

في دمشق براعة ابن كثير ، وعبقرية ابن الأثير ، وتحقيق النووي ، وفطنة ابن عبد القوي .

يكفيك أيها الشام السعيد ، أن فيك القائد الفريد ، والبطل السديد ، خالد بن الوليد ، سيف الله الهمام ، كاسر كل حسام ، أغمد في الشام ، السلام عليك يا أبا سليمان ، يا قائد كتيبة الإيمان ، ويا رمز كتيبة الرحمـٰن .

صحح الألباني ، المحدث الرباني ، أحاديث في فضل تلك المغاني .

وأول أبيات في « الأغاني » ، لأبي الفرج الأصبهاني ، في وصف دمشق وتلك المباني .

وقد نسي ابن كثير نفسه ، وملأ بالمدح طرسه ، لما تحدث عن دمشق ، فقلمه بالثناء سبق ، وبالإطراء دفق ، وحار الحكماء في وصف دمشق وطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، واعتدال أجوائها ، وذكاء علمائها ، وبلاغة خطبائها ، وتقدم شعرائها ، وعدل أمرائها ، وجمال نسائها ، حتىٰ إن بعض العلماء ذكر أن دمشق أم البلدان ، وأنها في الدنيا جنة الجنان .

دخل دمشق الصحابة ، كأنهم وبل سحابة ، أو أُسد غابة ، فلقيتهم بالأحضان ، وفرشت لهم الأجفان ، فعاشوا علىٰ روابيها كالتيجان .

في دمشق فنون وشجون ، وعيون ومتون ، وسهول وحزون ، وتين وزيتون .

دمشق جديدة كل يوم ، وهي حسناء في أعين القوم ، وقد بكىٰ من فراقها ملك الروم .

إذا دخلت دمشق تتمايل أمامك السنابل ، وتتراقص في ناظريك الخمائل ، وتصفق لقدومك الجداول ، وترحب بطلعتك القبائل .

دمشق أعيادها يوميّة ، وأعلامها أمويّة ، وأطيافها سماوية ، وبسيوف أهلها محميّة .

دمشق في الحسن مفرطة ، وبجواهر الجمال مقرطة ، وفي الطقس متوسطة .

الجمال دمشقي ؛ لأنه لا بد له من روضة فيحاء ، وخميلة غناء ، وحبة خضراء ، وظل وماء .

والحب دمشقي ؛ لأنه لا بد له من أشواق مسعفة ، وأحاسيس مرهفة ، وألمعية ومعرفة .

كُتب في دمشق « تاريخ الرجال » ، وسُطر في دمشق « تهذيب الكمال » ، وألف الذهبي في دمشق « ميزان الاعتدال » ، واحتسب ابن تيمية في دمشق الرد علىٰ أهل الضلال ، وأرسل لنا المتنبي من الشام تلك القصائد الطوال ، وذاك السحر الحلال .

في دمشق رسائل الياسمين ، ودفاتر اليقطين ، ومؤلفات النسرين ، للحمام بها رنين ، وللعندليب بها حنين ، كأنها تقول : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ .

ليس لدمشق الشام دين غير الإسلام .

فطرت دمشق على الإيمان ، ولذلك طردت الرومان ، ورحبت بحملة القرآن .

ليس لقيصر الروم في دمشق قرار ، ولذلك ولى الأدبار ، ولاذ بالفرار ؛ لأن الدار دار المختار ، والمهاجرين والأنصار .

في الشام يرقد سيف الدولة الملك الهمام ، وابن نباتة خطيب الأنام ، وابن قدامة تاج الأعلام ، وأبو فراس الحمداني الشاعر المقدام .

وفي دمشق سكن الزهري المحدث الشهير ، والأوزاعي العالم النحرير ، والبرزالي المؤرخ الكبير ، والسبكي القاضي الخطير .

أتانا من دمشق كتاب « رياض الصالحين » ، وكتاب « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ، وكتاب « عمدة الطالبين » ، وكتاب « مدارج السالكين » ، وكتاب « أعلام الموقعين » .

فسلام علىٰ دمشق في الآخرين .

* * *

وفي كتاب « الكامل » للمبرد :

كلمة أبي بكر في مرضه لعبد الرحمـٰن بن عوف :

قال أبو العباس : ومما يؤثر من حكيم الأخبار ، وبارع الآداب ، ما حدثنا به عن عبد الرحمـٰن بن عوف وهو أنه قال : دخلت يوماً علىٰ أبي بكر الصديق رحمة الله عليه في علته التي مات فيها ، فقلت له : أراك بارئاً يا خليفة رسول الله .

فقال : أما إني علىٰ ذلك لشديد الوجع ، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي ؛ إني وليت أموركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه ، والله ؛ لتتخذن نضائد الديباج ، وستور الحرير ، ولتألمن النوم على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم النوم علىٰ حسك السعدان ، والذي نفسي بيده ؛ لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد.. خير له من أن يخوض غمرات الدنيا .

يا هادي الطريق جرت ، إنما هو والله الفجر ، أو البحر .

فقلت : خفض عليك يا خليفة رسول الله ؛ فإن هـٰذا يهيضك إلىٰ ما بك ، فوالله ما زلت صالحاً مصلحاً ، لا تأس علىٰ شيء فاتك من أمر الدنيا ، ولقد تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً .

* * *

عهد أبي بكر بالخلافة إلىٰ عمر :

ومما روي لنا عنه رضي الله عنه حيث عهد عند موته وهو :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هٰذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا ، وأول عهده بالآخرة ، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ، ويتقي فيها الفاجر .

إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن بر وعدل . . فذلك علمي به ، ورأيي فيه ، وإن جار وبدل . . فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرىء ما اكتسب ، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ .

* * *

رسالة عمر بن الخطاب لأبي موسىٰ في القضاء :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلىٰ عبد الله بن قيس .

سلام عليك ، أما بعد :

فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلي إليك ؛ فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له .

آسِ بين الناس بوجهك ، وعدلك ، ومجلسك ، حتىٰ لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة علىٰ من ادعىٰ ، واليمين علىٰ من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحاً أحل حراماً ، أو حرم حلالاً .

لا يمنعنك قضاءٌ قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ،

أن ترجع إلى الحق ؛ فإن الحق قديمٌ ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل .

الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنةٍ ، ثم اعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلىٰ أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعىٰ حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليها ، فإن أحضر بينته . . أخذت له بحقه ، وإلا . . استحللت عليه القضية ؛ فإنه أنفىٰ للشك ، وأجلىٰ للعمىٰ .

المسلمون عدولٌ بعضهم علىٰ بعض إلا مجلوداً في حدّ ، ومجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنيناً في ولاء أو نسب ؛ فإن الله تولىٰ منكم السرائر ، ودرأ بالبينات والأيمان .

وإياك والغلق والضجر ، والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات ؛ فإن الحق في مواطن الحق ليعظم الله به الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته ، وأقبل علىٰ نفسه . . كفاه الله بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه . . شانه الله ، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام .

* * *

الإمام المعصوم

ما أحسن الاسم والمسمَّىٰ ، وهو النبي العظيم في سورة عمّ ، إذا ذكرته . . هلت الدموع السواكب ، وإذا تذكرته . . أقبلت الذكريات من كل جانب .

المتعبد في غار حراء ، صاحب الشريعة الغراء ، والملة السمحاء ، والحنيفية البيضاء ، وصاحب الشفاعة والإسراء .

له المقام المحمود ، واللواء المعقود ، والحوض المورود .

هو المذكور في التوراة والإنجيل ، وصاحب الغرة والتحجيل ، والمؤيد بجبريل .

خاتم الأنبياء ، وصاحب صفوة الأولياء .

إمام الصالحين ، وقدوة المفلحين ، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ .

تُنْظم في مدحه الأشعار ، وتُدبّج فيه المقامات الكبار ، وتنقل في الثناء عليه السير والأخبار ، ثم يبقىٰ كنزاً محفوظاً لا يوفّيه حقه الكلام ، وعلماً شامخاً لا تُنصفه الأقلام .

إذا تحدّثنا عن غيره . . عصرنا الذكريات ، وبحثنا عن الكلمات ، وإذا تحدّثنا عنه . . تدفق الخاطر ، بكلّ حديث عاطر ، وجاش الفؤاد ، بالحب والوداد ، ونسيت النفس همومها ، وأغفلت الروح غمومها ، وسبح العقل في ملكوت الحب ، وطاف القلب بكعبة القرب .

هو الرمز لكل فضيلة ، وهو قبة الفلك لكل خصال جميلة ، وهو ذروة سنام المجد لكل خلال جليلة .

مرحباً بالحبيب ، والأريب ، والنجيب ، الذي إذا تحدثت عنه.. تزاحمت الذكريات ، وتسابقت المشاهد والمقالات .

صلى الله علىٰ ذاك القدوة ما أحلاه ، وسلم الله ذاك الوجه ما أبهاه ، وبارك الله علىٰ ذاك الأسوة ما أكمله وأعلاه .

علّم الأمة الصدق وكانت في صحراء الكذب هائمة ، وأرشدها إلى الحق وكانت في ظلمات الباطل عائمة ، وقادها إلى النور وكانت في دياجير الزور قائمة .

كانت الأمة قبله في سبات عميق ، وفي حضيض من الجهل سحيق ، فبعثه الله علىٰ فترة من المرسلين ، وانقطاع من النبيين ، فأقام الله به الميزان ، وأنزل عليه القرآن ، وفرق به الكفر والبهتان ، وحُطمت به الأوثان والصلبان .

للأمم رموز يخطئون ويصيبون ، ويسدّدون ويغلطون ، لكن رسولنا صلى الله عليه وسلم معصوم من الزلل ، محفوظ من الخلل ، سليم من العلل ، عُصم قلبه من الزيغ والهوىٰ ، فما ضل أبداً وما غوىٰ ، إنْ هو إلا وحي يوحىٰ .

للشعوب قادات لكنهم ليسوا بمعصومين ، ولهم سادات لكنهم ليسوا بالنبوة موسومين ، أما قائدنا وسيدنا.. فمعصوم من الانحراف ، محفوف بالعناية والألطاف .

قصارىٰ ما يطلبه سادات الدنيا قصور مشيّدة ، وعساكر ترفع الولاء مؤيّدة ، وخيول مسوّمة في ملكهم مقيّدة ، وقناطير مقنطرة في خزائنهم مخلّدة ، وخدم في راحتهم معبّدة .

أما محمّد عليه الصلاة والسلام. . فغاية مطلوبه ، ونهاية مرغوبه : أن يُعبد الله فلا يشرك معه أحد ؛ لأنه فرد صمد ،لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

يسكن بيتاً من الطين ، وأتباعه يجتاحون قصور كسرىٰ وقيصر فاتحين ، يلبس القميص المرقوع ، ويربط علىٰ بطنه حجرين من الجوع ، والمدائن تفتح بدعوته ، والخزائن تقسم لأمته .

ماذا أقول في النبي الرسول ؟ هل أقول للبدر : حييت يا قمر السماء ؟ أم أقول للشمس : أهلاً يا كاشفة الظلماء ؟ أم أقول للسحاب : سلمت يا حامل الماء ؟

اسلك معه حيثما سلك ؛ فإن سنته سفينة نوح ، من ركب فيها. . نجا ، ومن تخلف عنها. . هلك ، نزل بزُّ رسالته في غار حراء ، وبيع في المدينة ، وفصل في بدر ، فلبسه كل مؤمن ، فيا سعادة من لبس ، ويا خسارة من خلعه فقد تعس وانتكس .

إذا لم يكن الماء من نهر رسالته. . فلا تشرب ، وإذا لم يكن الفرس مسوَّماً علىٰ علامته. . فلا تركب ، بلال بن رباح صار باتباعه سيداً بلا نسب ، وماجداً بلا حسب ، وغنيّاً بلا فضة ولا ذهب ، أبو لهب عمه لما عصاه. . خسر وتبّ ، سيصلىٰ ناراً ذات لهب .

وإنك لتهدي إلىٰ صراط مستقيم ، وإنك لعلىٰ خلق عظيم ، وإنك لعلىٰ نهج قويم ، ما ضلّ ، وما زلّ ، وما ذلّ ، وما غلّ ، وما ملّ ، وما كلّ ؛ فما ضلّ ؛ لأن الله هاديه ، وجبريل يكلمه ويناديه ، وما زلّ ؛ لأن العصمة ترعاه ، والله أيده وهداه ، وما ذلّ ؛ لأن النصر حليفه ، والفوز رديفه ،

وما غلّ ؛ لأنه صاحب أمانة ، وصيانة ، وديانة ، وما ملّ ؛ لأنه أُعطي الصبر ، وشُرح له الصدر ، وما كلّ ؛ لأن له عزيمة ، وهمة كريمة ، ونفساً طاهرة مستقيمة .

صلى الله عليه وسلم ما كان أشرح صدره ، وأرفع ذكره ، وأعظم قدره ، وأنفذ أمره ، وأعلىٰ شرفه ، وأربح صفقة من آمن به وعرفه ، مع سعة الفناء ، وعظم الإناء ، وكرم الإباء ، فهو محمد الممجد ، كريم المحتد ، سخي اليد ، كأن الألسنة والقلوب ريضت علىٰ حبه ، وأنست بقربه ، فما تنعقد إلا علىٰ وده .

إن للفطر السليمة، والقلوب المستقيمة، حباً لمنهاجه، ورغبة عارمة لسلوك فجاجه ، فهو القدوة الإمام ، الذي يهدىٰ به من اتبع رضوانه سبل السلام .

صلى الله عليه وسلم علم اللسان الذكر ، والقلب الشكر ، والجسد الصبر ، والنفس الطهر ، وعلم القادة الإنصاف ، والرعية العفاف ، وحبب للناس عيش الكفاف .

صبر على الفقر ؛ لأنه عاش فقيراً ، وصبر علىٰ جموع الغنىٰ ؛ لأنه ملك ملكاً كبيراً .

بعث بالرسالة، وحكم بالعدالة، وعلم من الجهالة، وهدىٰ من الضلالة .

ارتقىٰ في درجات الكمال حتىٰ بلغ الوسيلة ، وصعد في سلّم الفضل حتىٰ حاز كل فضيلة .

هٰذا هو النور المبارك يا من أبصر ، هٰذا هو الحجة القائمة يا من أدبر ، هٰذا الذي أنذر وأعذر ، وبشر وحذر ، وسهل ويسر .

كانت الشهادة صعبة فسهّلها من أتباعه مصعب ، فصار كل بطل بعده

إلىٰ حياضه يرغب ، ومن مورده يشرب .

وكان الكذب قبله في كل طريق ، فأباده بالتصديق ، من طلابه أبو بكر الصديق .

وكان الظلم قبل أن يبعث متراكماً كالسحاب ، فزحزحه بالعدل من تلاميذه عمر بن الخطاب .

وهو الذي ربىٰ عثمان ذا النورين ، وصاحب البيعتين ، واليمين والمتصدق بكل ماله مرتين .

وهو إمام علي حيدرة ، فكم من كافر عفره ، وكم من محارب نحره ، وكم من لواء للباطل كسره؟! كأن المشركين أمامه حمر مستنفرة ، فرت من قسورة .

كانت الدنيا في بلابل الفتنة نائمة ، في خسارة لا تعرف الربح ، وفي اللهو هائمة ، فأذّن بلال بن رباح ، بحيَّ على الفلاح ، فاهتزت القلوب ، بتوحيد علاّم الغيوب ، فطارت المهج تطلب الشهادة ، وسبحت الأرواح في محراب العبادة ، وشهدت المعمورة لهم بالسيادة .

أرسله الله على الظلماء كشمس النهار ، وعلى الظمأ كالغيث المدرار ، فهز بسيوفه رؤوس المشركين هزّاً ؛ لأن في الرؤوس مسامير اللات والعزىٰ .

عظمت بدعوته المنن ، فإرساله إلينا أعظم منّة ، وأحيا الله برسالته السنن ، فأعظم طريق للنجاة اتباع تلك السنة .

تعلم اليهود العلم فعطلوه عن العمل ، ووقعوا في الزيغ والزلل ، وعمل النصارىٰ بضلال ، فعملهم عليهم وبال ، وبعث عليه الصلاة والسلام بالعلم المفيد ، والعلم الصالح الرشيد .

* * *

الكُتّاب والبلغاء

وفي كتاب « التمثيل والمحاضرة » للثعالبي :

القلم أحد اللسانين .

عقول الرجال تحت أسنة أقلامها .

صورة الخط في الأبصار سوادٌ ، وفي البصائر بياضٌ .

بِنَوْء الأقلام تصوب غيث الحكمة .

القلم صائغ الكلام ، يفرغ ما يجمعه القلب ، ويصوغ ما يسبكه اللب .

المأمون : لله در القلم ؛ كيف يحوك وشي المملكة .

جعفر بن يحيىٰ : لم أر باكياً أحسن تبسماً من القلم .

إقليدس : الخط هندسةٌ روحانية ، وإن ظهرت بآلةٍ جثمانية .

أفلاطون : الخط عقال العقل .

قيل لنصر بن سيار : فلان لا يكتب ، فقال : تلك الزّمانة الخفية .

المبرد : رداءة الخط زمانة الأدب .

ثمامة بن أشرس : ما أَثْرَتْه الأقلام ، لم تطمع في دروسه الأيام .

غيره : الكتّاب ساسة الملك ، وعمّار المملكة ، وخزنة الأموال .

بالأقلام تدبر الأقاليم .

الكاتب من إذا أخذ طوماراً . . ملاه ، وإن اقتصر علىٰ شبرٍ . . كفاه .

عقل الكاتب في قلمه .

جواب الجواب من الخطط الصعاب .

المتصفح للكتاب أبصر بمواضع الخلل فيه من منشئه .

كتاب المرء عنوان عقله ، ولسان فضله .

إبراهيم بن العباس : النقط الكثير في الكتاب استغباءٌ للمكاتب ، والتخطيط الكثير استخفافٌ به .

غيره : الكتّاب جهابذة الكلام .

من قرأ سطراً من كتاب قد ضُرب عليه .. فقد خان ؛ لأن الخط يخزن ما تحته .

ابن المعتز : القلم مجهزٌ لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح باب بستان .

غيره : الخط نصف الكتابة .

الأقلام مطايا الأوهام .

الدواة من أنفع الأدوات ، والحبر أجدىٰ من التبر .

صرير الأقلام كصليل الحسام .

الكلام الفائق بالخط الرائق نزهة القلب ، وفاكهة النفس ، وريحانة الروح .

البليغ : من يحوك الكلام علىٰ حسب الأماني ، ويخيط الألفاظ علىٰ قدود المعاني .

أبو الفتح البستي :

إِذَا أَقْسَمَ ٱلأَبْطَالُ يَوْماً بِسَيْفِهِمْ   وَعَدُّوهُ مِمَّا يُكْسِبُ ٱلْمَجْدَ وَٱلْكَرَمْ
كَفَىٰ قَلَمُ ٱلْكُتَّابِ مَجْداً وَرِفْعَةً   مَدَى ٱلدَّهْرِ أَنَّ ٱللهَ أَقْسَمَ بِٱلْقَلَمْ

سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، وروض القلوب .

غيره : الكلام الحسن من مصائد القلوب .

أبو عبيد الله وزير المهدي : البلاغة ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة .

غيره : أبلغ الكلام ما سابق معناه لفظه .

البلاغة ما أشار إليه البحتري حيث قال :

وَرَكِبْنَ ٱللَّفْظَ ٱلْقَرِيبَ فَأَدْرَكْـــنَ بِهِ غَايَةَ ٱلْمَرَامِ ٱلْبَعِيدِ

وخير الكلام ما كان لفظه فحلاً ، ومعناه بكراً .

ابن المعتز : البلاغة أن تبلغ المعنىٰ ، ولم تُطل سفر الكلام .

خير الكلام ما أسفر عن الحاجة .

البلاغة : ما صعب على التعاطي ، وسهل على الفطنة .

وأبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ، ويؤيس مصنعه .

أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقلّ مجازه ، وكثر إعجازه ، وناسبت صدوره أعجازه .

البليغ من يجتني من الألفاظ أنوارها ، ويجتني من المعاني ثمارها .

الأدب أحد المنصبين .

الأدب لقاح العقول وغذاؤها .

لا غربة علىٰ أديب .

الأدب يشحذ الفطن .

ابن المعتز : لست تَعدِم من الأديب كرماً من طبعه ، أو تكرماً من أدبه .

الأدب صورة العقل ، فحسن عقلك كيف شئت .

من زاد أدبه علىٰ عقله . . كان كالراعي الضعيف مع غنمٍ كثيرة .

العقل بلا أدبٍ كالشجرة العاقرة ، ومع الأدب كالشجرة المثمرة .

الأدب بين أهله نسب .

الأدب صنو الأديب .

الأدب وسيلة إلىٰ كل فضيلة ، وذريعة إلىٰ كل شريعة .

الأديب لا يجالس من لا يجانس .

قيدوا العلم بالكتابة .

إعجام الخط يمنع من استعجامه ، وشكله يؤمن من إشكاله .

الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة .

اكتبوا الكتب لأواخر أعماركم .

ما حفظ فر ، وما كتب قر .

إن هـٰذه الآداب شوارد ، فاجعلوا الكتب لها أزمّة .

المذاكرة صيقل العقل .

الكتب بساتين العقلاء .

وخير جليسٍ في الزمان كتاب

علمٌ لا يعبر معك الوادي لا يعمر بك النادي .

بزرجمهر : الكتب أصداف الحكم ، تنشق عن جواهر الكلم .

إنفاق الفضة علىٰ كتب الآداب ، يخلف عليك ذهب الألباب .

الجاحظ : الكتاب وعاءٌ ملىء علماً ، وظرفٌ حشي ظرفاً .

بستانٌ يحمل في ردنٍ ، وروضة تقلب في حجر ، ينطق عن الموتىٰ ، ويترجم عن الأحياء .

من صنّف كتاباً . . فقد استهدف ؛ فإن أحسن . . فقد استعطف ، وإن أساء . . فقد استقذف .

النُّتَفُ من الأدب قراضات الذهب .

لا تأمننّ قارئاً علىٰ صحيفة ، ولا امرأةً علىٰ عطر .

الأدب كالسيف ، والمذاكرة كالمسنّ .

منصور الفقيه :

قَالُوا: خُذِ ٱلْعَيْنَ مِنْ كُلٍّ، فَقُلْتُ لَهُمْ: فِي ٱلْعَيْنِ نَصْلٌ ، وَلَكِنْ نَاظِرُ ٱلْعَيْنِ
حَرْفَيْنِ مِنْ أَلْفِ طُومَارٍ مُسَوَّدَةٍ وَرُبَّمَا لَمْ نَجِدْ فِي ٱلأَلْفِ حَرْفَيْنِ

وله :

وَمِنَ ٱلْبَلْوَى ٱلَّتِي لَيْسَ لَهَا فِي ٱلنَّاسِ كُنْهُ
أَنَّ مَنْ يُحْسِنُ شَيْئاً يَدَّعِي أَكْثَرَ مِنْهُ

دلّ علىٰ عاقلٍ اختياره .

تقلّل من الأدب ؛ لتحفظ ، وتكثّر منه ؛ لتعلم .

اجعل ما في كتبك رأس مالك ، وما في قلبك النفقة .

* * *

ترويح القلوب مطلوب مرغوب

وفي « أخبار الحمقىٰ والمغفلين » :

عن حنظلة الكاتب : أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الجنة والنار ، وكنا كأنا رأينا رأي عين ، فخرجت يوماً ، فأتيت أهلي فضحكت معهم ، فوقع في نفسي شيء ، فلقيت أبا بكر فقلت : إني قد نافقت ، قال : وما ذاك ؟ قلت : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر الجنة والنار ، فكنا كأنا رأينا رأي عين ، فأتيت أهلي فضحكت معهم .

فقال أبو بكر : إنا لنفعل ذلك ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : « يا حنظلة ؛ لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي . . لصافحتكم الملائكة علىٰ فرشكم وفي الطريق ، يا حنظلة ؛ ساعة وساعة » .

وقال علي بن أبي طالب : روّحوا القلوب واطلبوا لها طرف الحكمة ؛ فإنها تملّ كما تملّ الأبدان .

وقال أيضاً : إن هٰذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان ، فالتمسوا لها من الحكمة طرفاً .

وعن أسامة بن زيد قال : روّحوا القلوب تعِ الذكر .

وعن الحسن قال : إن هٰذه القلوب تحيىٰ وتموت ، فإذا حييت . . فاحملوها على النافلة ، وإذا ماتت . . فاحملوها على الفريضة .

وعن الزهري قال : كان رجل يجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدّثهم ، فإذا كثروا وثقل عليهم الحديث.. قال : إن الأذن مجاجة ، وإن القلوب حمضة ، فهاتوا من أشعاركم وأحاديثكم .

وقال أبو الدرداء : إني لأستجم نفسي ببعض الباطل ؛ كراهية أن أحمل عليها من الحق ما يَكِلّها .

وعن محمد بن إسحاق قال : كان ابن عباس إذا جلس مع أصحابه.. حدثهم ساعة ، ثم قال : حمضونا ، فيأخذ في أحاديث العرب ، ثم يعود يفعل ذلك مراراً .

وعن الزهري : أنه كان يقول لأصحابه : هاتوا من أشعاركم ، هاتوا من حديثكم ؛ فإن الأذن مجة ، والقلب حمض .

وقال ابن إسحاق : كان الزهري يحدث ثم يقول : هاتوا من ظرفكم ، هاتوا من أشعاركم ، أفيضوا في بعض ما يخفف عليكم ، وتأنس به طباعكم ؛ فإن الأذن مجاجة ، والقلب ذو تقلب .

وعن مالك بن دينار قال : كان الرجل ممن كان قبلكم إذا ثقل عليه الحديث.. قال : إن الأذن مجاجة ، والقلب حمض ، فهاتوا من ظرف الأخبار .

عن ابن زيد قال : قال لي أبي : إنْ كان عطاء بن يسار ليحدّثنا أنا وأبا حازم حتىٰ يُبكينا ، ثم يحدّثنا حتىٰ يضحكنا ، ثم يقول : مرة هٰكذا ، ومرة هٰكذا .

ووُصف رجل من النساك عند عبيد الله ابن عائشة ، فقالوا : هو جَدّ كلُّه ، فقال : لقد أضاق علىٰ نفسه المرعىٰ ، وقصر طول النهىٰ ، ولو فككها

بالانتقال من حال إلىٰ حال . . لتنفس عنها ضيق العقدة ، وراجع الجد بنشاط وحدة .

وعن الأصمعي قال : سمعت الرشيد يقول : النوادر تشحذ الأذهان ، وتفتق الآذان .

* * *

سلامٌ على بغداد

اجتمع أربعة أدباء ، نجباء خطباء ، فتعاهدوا ، وتعاقدوا ، وتواعدوا ، علىٰ أن يصفوا بغداد ، دار الأمجاد ، وبيت الأجواد ، وكوكبة البلاد .

فالأول : عليه وصف علمائها ، وفقهائها .

والثاني : يصف خلفاءها وأمراءها .

والثالث : يصف شعراءها وأدباءها .

والرابع : يصف أرضها ، وسماءها ، وماءها ، وهواءها ، وبهاءها .

فبدأ **الأول** ويُدعىٰ أبا قتادة ، وهو صاحب ذكاء وإجادة ، وعلم وإفادة ، فقال :

والله ؛ لو كتبت بدمع العيون ، علىٰ صفحات الجفون . . ما أنصفت بغداد علىٰ مداد القرون ، لكن سوف أصف ما كان فيها من علم وعلماء ، بلغ مجدهم الجوزاء .

ولكن أقول بعد الصلاة والسلام على الرسول : اعلم أن من بغداد أشرقت شمس الرواية ، وبزغ فجر الدراية ، كانت في العلوم آية ، وفي الفنون غاية .

فكان بها أهل الحديث ، ولم يكن بها بعثيّ خبيث .

ولك أن تتخيل مجلس أحمد ابن حنبل ، عمائم بيضاء ، وهمة قعساء ، وسكينة وحياء .

إذا قال أحمد : حدّثنا أو أخبرنا . . أطرقت الرؤوس ، وخشعت النفوس ، وتفتحت أبواب السماوات ، وتنـزلت الرحمات .

ثم تذهب إلىٰ مجلس فيه طائفة من الخاشعين ، فتجد وسطهم يحيى بن معين ، يحدث عن رسول رب العالمين ، يجرّح ويُعدّل ، ويُجْمِل ويُفصّل ، كأنه ميزان منـزل .

ولله كم من ذكريات تشجيني ، إذا ذكرت علي بن المديني ، ذاك البطل ، إمام العلل ، السليم من الزلل ، فتراه يفتش الأسانيد ، وينخل المسانيد ، بفهم دقيق ، وعلم وتحقيق ، يعرف العلة في المسند المستقيم ، كما يعرف الطبيبُ السقيم .

ولا تنس البخاري ، الضياء الساري ، والنهر الجاري ، قيّد الألفاظ ، وأفحم الحفاظ ، إن شكّ في حديث . . علّقه ، وإن طال متنه . . فَرّقه ، وإن لقي كاذباً . . مزّقه ، هو السيف الحاسم لسنة أبي القاسم ، اقرأ تبويبه ، افهم ترتيبه ؛ لترىٰ كل عجيبة .

بغداد تشرفت بالسفيانين ؛ الثوري وابن عيينة ، وأصبحت بالعلماء أجمل مدينة .

وهي مدينة الكرخي معروف ، والإمام الشافعي المعروف .

من بغداد أصحاب الصحاح والسنن ، وأهل الذكاء والفطن .

وهي للحديث دار الضرب والصلب ؛ بها تضرب الموضوعات للوضاعين ، ولكن تصلب الكذّابين علىٰ خشب السلطان المتين .

قال بعضهم : من لم يدخل بغداد . . لم يدخل الحياة الدنيا ، ومن لم يشاهد حسنها . . ما شاهد النجوم العليا .

فقام الثاني يصف الخلفاء والأمراء ، الذين ملؤوا الدنيا بالعطاء والسخاء ، فقال :

هٰذه مدينة السفاح ، الذي خضب السيوف والرماح ، فهو لكل مجرم بطاح ، ولكل عدو نطاح .

هٰذه مدينة المنصور ، صاحب الدور والقصور ، الداهية الجسور ، والأسد الهصور .

هٰذه مدينة الرشيد ، صاحب القصر المشيد ، والمجد الفريد ، والصيت البعيد .

هٰذه مدينة المأمون ، صاحب الفنون ، وجامع المتون ، ولكنه بالفلسفة مفتون .

هٰذه مدينة المعتصم المغوار ، الذي أوطأ خيل الكفار ، وأورد نحورهم كل بتار .

ثم قام الثالث يصف الأدباء ، ويثني على الخطباء ، فقال :

في بغداد أكبر ناد ، للشعراء الأجواد ، إذا شرب الشاعر من ماء الفرات . . أتىٰ بالمعجزات ، وخلب الألباب بالأبيات ، سَمِّ لي شاعراً ما دخل بغداد ، اذكر لي أديباً ما تشرف بتلك البلاد .

من بغداد أبو تمام ، والبحتري الهمام ، وترنح بها المتنبي بعض عام .

سجل بها ابن الرومي رواياته ، وأبدع إلياذاته ، وأروع أبياته .

وفي بغداد أبو العتاهية ، الشاعر الداهية ، منذر القلوب اللاهية ، وصاحب الرسائل الباهية ، الآمرة الناهية .

وهي أرض بشار ، ناسج أجمل الأشعار .

من بغداد انطلقت في البحار والبراري ، رائعة ابن الأنباري :

عُلُوٌّ فِي ٱلْحَيَاةِ وَفِي ٱلْمَمَاتِ

من بغداد استمع الدهر في عجب ، لدويّ :

ٱلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ

بغداد مهرجان أدبي كبير ، لكل أديب نحرير ، فيها شعر ونثر ، وحصباء ودر ، جد وهزل ، وحب وغزل ، كأن التاريخ كله في بغداد اجتمع ، وكأن الدهر لصوتها يستمع . وكأن ضوء الشمس من بغداد يرتفع .

فقام **الرابع** فقال :

كأن الأرض أخذت من بغداد جمالها ، أفدي بنفسي سهلها وجبالها .

دجلة له خرير ، والفرات له هدير ، والنسيم به له زئير .

كأن الهواء سرق من المسك أريجه ، وكأن الماء أخذ من العاشق نشيجه .

تغار من زهر بغداد الزهراء ، وتحمرّ خجلاً من حسن بغداد وجنتي الحمراء .

كأنّ السحاب في سماء بغداد مع الشفق خِضاب ، وكأنّ بريق الفجر في مشارف بغداد ذهب مُذاب .

كأنّ وجه بغداد مشرق ، قبل ميشيل عفلق ، فلما دخلها الرفاق ، وحزب النفاق . . كتب علىٰ بغداد الشقاء والإخفاق .

أظن بغداد أصابها عين ، أو دخلها لعين ، ما لها قتلت المبدعين ، وطردت اللامعين !

وأنا عاتب علىٰ بغداد ، والعتاب لا يغير الوداد ؛ لأنه جُلد بها أحمد ، وقُتل بها أحمد ، وأُكرم بها أحمد ؛ فجُلد بها أحمد ابن حنبل ، الإمام

المبجل ، وقُتل بها أحمد بن نصر الخزاعي ، الإمام الواعي ، وهو إلى الحق داعٍ ، وإلى البِرّ ساعٍ ، وأُكرم بها أحمد بن أبي دؤاد ، داعية البدعة والعناد ، والفتنة والفساد .

لكن بغداد لها حسنات يُذهبن السيئات ، ونهر الفرات ودجلة يطهران من الحدث ، وإذا بلغ الماء قلتين . . لم يحمل الخبث .

* * *

في المشورة

وفي « العقد الفريد » لابن عبد ربه :

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما ندم من استشار ، ولا خاب من استخار .

وقد أمر الله تبارك وتعالىٰ نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه في الرأي والحزم ، فقال : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ .

ولما همّت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم.. استشاروا عثمان بن أبي العاص ، وكان مطاعاً فيهم ، فقال لهم : لا تكونوا آخر العرب إسلاماً ، وأولهم ارتداداً . فنفعهم الله برأيه .

وسئل بعض الحكماء : أي الأمور أشدّ تأييداً للفتىٰ ، وأيها أشدّ إضراراً به ؟ فقال : أشدّها تأييداً له ثلاثة : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن التثبت ، وأشدها إضراراً به ثلاثة أشياء : الاستبداد ، والتهاون ، والعجلة .

وأشار حكيم علىٰ حكيم برأي فقبله منه ، فقال له : لقد قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذي يخلط حلو كلامه بمره ، وسهله بوعره ، ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره ، وقد وعيت النصح وقبلته ؛ إذ كان مصدره من عند من لا يُشك في مودته ، وصفاء غيبه ، ونصح جيبه ؛ وما زلت بحمد الله إلى الخير طريقاً واضحاً ، ومناراً بيناً .

وكان عبد الله بن وهب الراسي يقول : إياكم والرأي الفطير ، وكان يستعيذ بالله من الرأي الدَّبَرِي .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : رأي الشيخ خير من مشهد الغلام .

وأوصى ابن هبيرة ولده فقال : لا تكن أول مشير ، وإياك والهوىٰ والرأي الفطير ، ولا تشيرن علىٰ مستبد ، ولا علىٰ وغد ، ولا علىٰ متلون ولا لجوج ، وخف الله في موافقة هوى المستشير ؛ فإن النماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة .

وكان عامر بن الظَّرِب حاكم العرب يقول : دعوا الرأي يغب حتىٰ يختمر ، وإياكم والرأي الفطير . يريد : الأناة في الرأي ، والتثبت فيه .

ومن أمثالهم في هٰذا قولهم : لا رأي لمن لا يطاع .

وكان المهلب يقول : إن من البلية أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره .

العتبي قال : قيل لرجل من عبس : ما أكثر صوابكم! قال : نحن ألف رجل ، وفينا حازم واحد ، فنحن نشاوره ، فكأنا ألف حازم .

وقال الشاعر :

اَلـرَّأْيُ كَـاَللَّيْـلِ مُسْـوَدٌّ جَـوَانِبُـهُ ... وَٱللَّيْـلُ لاَ يَنْجَلِـي إِلاَّ بِـإِصْبَـاحِ
فَٱضْمُمْ مَصَابِيحَ آرَاءِ ٱلرِّجَالِ إِلَى ... مِصْبَاحِ رَأْيِكَ تَزْدَدْ ضَوْءَ مِصْبَاحِ

العتبي قال : أخبرني من رأىٰ عبد الله بن عبد الأعلىٰ ، وهو أول داخل على الخليفة وآخر خارج من عنده ، قال : ثم رأيته وإنه ليتقىٰ كما يتقى البعير الأجرب ، فقال لي : يا أخا العراق ؛ اتهمنا القوم في سريرتنا ، ولم يقبلوا منا علانيتنا ، ومن ورائهم وورائنا حكم عدل .

ومن أحسن ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل : قول سبيع لأهل اليمامة بعد

إيقاع خالد بهم : يا بني حنيفة ؛ بعداً لكم كما بعدت عاد وثمود ، أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه ، كأني أسمع جرسه وأبصر غيبه ، ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة ، وإني لما رأيتكم تتهمون النصيح ، وتسفهون الحليم . . استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء ، والله ؛ ما منعكم الله التوبة ، ولا أخذكم علىٰ غرة ، ولقد أمهلكم حتىٰ مل الواعظ ، ووهن الموعوظ ، وكنتم كأنما يعنىٰ بما أنتم فيه غيركم ، فأصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق ، ومن نصيحتي الندامة ، وأصبح في يدي من هلاككم البكاء ، ومن ذلكم الجزع ، وأصبح ما فات غير مردود ، وما بقي غير مأمون .

وقال القطامي في هـٰذا المعنىٰ :

وَمَعْصِيَـةُ ٱلشَّفِيـقِ عَلَيْـكَ مِمَّـا　　　تَـزِيـدُكَ مَـرَّةً مِنْـهُ ٱسْتِمَـاعَـا
وَخَيْـرُ ٱلأَمْـرِ مَـا ٱسْتَقْبَلْـتَ مِنْـهُ　　　وَلَيْـسَ بِـأَنْ تَتَبَّعَـهُ ٱتِّبَـاعَـا
كَـذَاكَ وَمَـا رَأَيْـتُ ٱلنَّـاسَ إِلاَّ　　　إِلَـىٰ مَـا جَرَّ غَـاوِيَهُـمْ سِـرَاعَـا
تَـرَاهُـمْ يَغْمِـزُونَ مَـنِ ٱسْتَـرَكُّـوا　　　وَيَجْتَنِبُـونَ مَـنْ صَـدَقَ ٱلْمِصَـاعَـا

وينشد في الرأي بعد فوته :

وَعَاجِزُ ٱلرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ　　　حَتَّىٰ إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ ٱلْقَدَرَا

ومن قولنا في هـٰذا المعنىٰ :

فَلَئِنْ سَمِعْتَ نَصِيحَتِي وَعَصَيْتَهَا　　　مَـا كُنْـتُ أَوَّلَ نَـاصِـحٍ مَعْصِـي

وقال حبيب في بني تغلب عند إيقاع مالك بن طوق بهم :

لَمْ يَأْلُكُمْ مَالِكٌ صَفْحاً وَمَغْفِرَةً　　　لَوْ كَانَ يَنْفُخُ قَيْنُ ٱلْحَيِّ فِي فَحَمِ

* * *

الرّجل الصّاعقة

قال الراوي : نراك متيَّماً بابن تيميّة ، تذكره باليوميّة ، ولك إليه ميل وحميّة ؟

فقال : ليس عروس إلا بمهر ، وحديثنا عن ابن تيميّة غدوّه شهر ورواحه شهر ، وحسبك أنه عالم الدهر ، ألّف الواسطيّة فذُبت في حبها ، ودبّج الحمويّة فتذوّقت من لبِّها ، وجمع التدمريّة تدمّر كل شيء بأمر ربها ، آه يا أحمد ابن تيمية ، يا من اهتدىٰ بسميِّه ، فنصر السنة وهزم الجهميّة ، بذل للطالبين بحره ، وعرّض للسيوف نحره .

ابن تيمية بطل ، هزّ الدول ، وأتْبع القول العمل .

ابن تيمية للشريعة ابنٌ بارّ ، هجر الدرهم والدينار ، وهو لأعداء الملة سيف بتّار .

جنته في صدره ؛ لأنه وحيد عصره ، وفريد دهره .

وقتله شهادة ؛ لأنه مجتهد في العبادة ، كثير الإفادة .

أرهب عبدة الأصنام ، وأذل خصوم الإسلام ، وسلّ علىٰ كل ملحد الحسام .

كلامه شهب ، وردوده لهب ، وألفاظه ذهب .

تعطّل به سوق الباطل وكسد ، وخافه كل من عصىٰ وفسد ؛ لأن قلبه قلب أسد .

الرجل موحد ، متعبد ، متهجد ، متفرد ، مجدد ، زاهد ، عابد ، ساجد ، ماجد ، حامد ، رائد ، مجاهد .

كم أزال من بدع ، وأظهر من ورع ، وكم من ملحد قمع .

سيفه على الضلال مسنون ، وقلبه عن حب الدنيا مسجون ، وهو صاحب فنون ، ومتون ، وشجون .

سارت في الآفاق أخباره ، طارت في البقاع أشعاره ، كثر في الحق أنصاره .

هو مدرسة الاعتدال ، وجامعة الاستقلال ، ورمز النضال .

لا يهاب ، ولا يرتاب ، ولا يغتاب .

ابن تيمية فريد ، لا يخضع للتقليد ، وما هو ببليد ، ولكنه عبقري رشيد .

لكلامه حلاوة ، وعلىٰ كتبه طلاوة .

نصر المعصوم ، وأفحم الخصوم .

الرجل رجل كفاح ، وإمام إصلاح .

مناضل يحب المناضلين ، ويحارب المغضوب عليهم والضالين .

همة وثّابة ، وذاكرة خلاّبة ، وأفكار جذّابة .

هو إمام التحرير والتحبير والتنوير ، ليس بجامد ولا جاحد ، ولكنه علامة صامد ، مجاهد ، عابد .

أخذ بالعزائم وتورّع في الرّخص ، وتجرع من أجل الإسلام الغصص .

هـٰذا الإمام كأنه بكل فضل مخصوص ، أعاد الأمة للنصوص ، وأراحنا من ضلال صاحب « الفصوص » .

مرة يهيل التراب على القدريّة ، وأخرىٰ يلقي الموت على النصيرية .

سَجَن الاعتزال ، في زنزانة الإهمال ، خرج على التتار بالنار ، وحضر ذاك العراك ، فأذاق هولاكو الهلاك ، الرجل منصور ، وخصمه مقهور .

ترك المطاعم الشهيّة ، والمراكب الوطيّة ، والمناظر البهيّة .

له مع القرآن سمر ، ومع الذكر سهر ، وله جلسةٌ في السحر .

صرامة في الحق ، وإصرار على الصدق ، وعلم في رفق .

زهـد : فكأن الذهب تراب ، والجواهر أخشاب ، والدنيا خراب .

شجاعة : فكأن الموت عطية ، والهلاك مطيّة ، والمنيّة هديّة .

علـم : فكأن البحر زخر ، والمحيط انفجر ، والغيث انهمر .

تواضع : فهو أرق من النسيم ، رحيم بالمسكين واليتيم .

هٰذا الإمام جاد وليس بهازل ، وعن مبدئه لا يتنازل ، ولهٰذا سكن أعلى المنازل .

أخلاق طاهرة ، وسنة عليه ظاهرة ، وهمة بين جنبيه باهرة .

ما هٰذا العمق والتأصيل ، واتباع الدليل ، وغزارة التحصيل ؟

لو أن ابن تيمية مبتدع . . ما فهمناه ، ولو انصرف للدنيا . . لاتهمناه ، لكن الرجل صاحب سنة ، يريد الجنة .

له عقل صحيح ، ولسان فصيح .

يفلج الخصوم بالحجة ، ويدل الناس على المحجة .

نِعم الله عليه تامّة ، ثم هو رجل عامّة .

علامة الصدق في العالِم : العزوف عن الدنايا ، وعدم الخوف من المنايا ، وجمع السجايا ، وكذلك كان ابن تيمية .

ودليل فلاح العالِم : لزوم أحسن طريقة ، والغوص على الحقيقة ، وحب

الخليقة ، وكذلك كان ابن تيمية .

وبرهان رفعة العالِم : خشية الملك العلاّم ، وزُهد في الحطام ، ورِفق بالأنام ، وتعليم للعوام ، وكذلك كان ابن تيمية .

ابن تيمية تفنن في العلوم ، ودفع الخصوم ، ولم يتعلق بالرسوم .

ليس العلم عند ابن تيمية جبّة مدوّرة ، ولا عمامة مكوّرة ، ولا هيئة مصوّرة ، بل العلم تقىٰ عميق ، ودليل بتحقيق ، وفهم دقيق .

وليست المنزلة عند ابن تيمية مراتب ومناصب وتكالب ، بل تضحية وجهاد ، ونفع للعباد ، وإصلاح للبلاد .

سفينة علمه لعباب الجهل ماخرة ، فآتاه الله ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

معالم علم الرجل : فهم للسور ، واتباع للأثر ، وجمع للدرر ، وإيمان بالقدر ، وجهاد لمن كفر ، جعله الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

ليس بقليل علم ؛ فهو يغرف من معين ، ولم يتزوج ؛ فهو خاطب الحور العين .

بطح البطائحية ، وجعل المعطلة ضحية .

مزق الزنادقة ، وأغرق بالحجج كل فرقة مارقة .

صار كالحاصب ، والعذاب الواصب ، على النواصب ، وأبرم الردود والنقائض ، للروافض .

كسر ظهور النصيرية في كسروان ، وأبطل خرافات الجهل بالقرآن ، وحل ألغاز الحلولية ، ورد كيد الاتحادية ، حفر لحداً للملاحدة ، وأخذ كل واحد منهم علىٰ حدة .

ذاكرته أصابها وابل الرسالة ، وهمته جمعت الحكمة والبسالة ، وذاكرته حملت البراعة والجزالة .

يشفي بعلمه الجهل ، ويعم سيله الجبل والسهل ، ويروي بفتواه الجموع الوافدة ، ويخطب في الجموع الحاشدة .

يفسر الآية في أشهر ، فينفجر منه أنهر .

له صولات وجولات ، وعزمات ، وثبات ، وإخبات .

واجه المغول في شقحب ، فذكرنا قصة علي ومرحب ، عجب بعضهم من شجاعته في تلك المشاهد ، وقال عنه : في الليل أحسنُ عابد ، وفي النهار أشجعُ مجاهد .

إذا تكلم. . قالوا : القرآن بين عينيه ، والسنة كلها لديه ، والحكمة تتنزل عليه ، له كلام خالد ، ولفظ شارد .

يقول : كل أرض لا تشرق عليها شمس الرسالة فهي أرض ملعونة ، وكل نفس لا تنتصر على الهوىٰ فهي نفس مسجونة ، وكل مهجة لا تبصر الحق فهي مهجة مغبونة .

ويقول : المعاصي تمنع القلب من الجولان في فضاء التوحيد ، وتحبس النفس عن محبة الرحيم الودود .

هـٰذا الإمام بالحق يقول ، وله قبول ، جمع بين المنقول والمعقول .

له قريحة حيّة ، لا تقبل زيف القوانين الأرضيّة .

معه حجة ناطقة ، ونيّة صادقة ، ونفس للحق عاشقة .

نفس تعاف الذل لغير الله حتىٰ كأنه الكفر ، ويد بيضاء بالعطاء ومن وسخ الدنيا صفر .

رجل للملّة مديون ، وعمره للشرع مرهون ، وقلبه عن الدنيا مسجون ، وله عند ربه أجر غير ممنون .

هٰذا الشيخ ليس بالمتكلف ، ولا للنصوص بالمتعسّف ، عنده صفاء ذهن يغوص على الحقائق ، وقوة خاطر يدرك الدقائق .

رد علىٰ أهل التصوف ، ونهاهم عن الانحراف والتكلف ، وألزم النواصب حب القرابة ، واحترام الصحابة ، وأنكر على الرافضة الغلو والشطط ، وبيّن لهم الخطأ والغلط .

وله الكلمة البديعة ؛ إذ يقول : لا يسع أحد مهما كان أن يخرج عن الشريعة .

ويقول : ليس أحد يدور معه الحق حيثما دار ، غير النبي المختار صلى الله عليه وسلم .

وهو القائل : كل يوم وأنا أجدد إسلامي ، وأكثر لنفسي اتهامي .

وكان يرىٰ أنه لا يسع أي أحد الخروج على الشريعة ، وأن الأحوال والأقوال والأفعال المخالفة لها إنما هي أمور شنيعة .

ويقول في المنطق ، وهو قول عارف محقق : لا ينتفع به البليد ، ولا يحتاج إليه الذكي الرشيد .

وهو لحم جمل غث علىٰ رأس جبل ، لا سهل فيرتقىٰ ولا سمين فينتقل .

والرجل له حسّاد ؛ لأنه تفرد وساد ، وجاهد لإصلاح كل فساد .

وهو صاحب أحوال عجيبة ، وآراءٍ مصيبة ، وله مقامات جليلة ، ومذاهب جميلة .

حلم عمن حسده ، وأكرم من قصده .

خاطب السلطان بأثبت جنان ، وأفصح لسان ، وطالبه بحمل الناس على السنة النبويّة ، والأخلاق المحمديّة ، وشفع لأهل الحاجات ، وأرباب الضرورات .

* * *

مدح الكتب

وفي كتاب « الحيوان » للجاحظ :

ثم لم أرَكَ رضِيتَ بالطعن علىٰ كلِّ كتاب لي بعينه ، حتَّىٰ تجاوزتَ ذلك إلىٰ أَنْ عبت وضْعَ الكتبِ كيفما دارت بها الحالُ ، وكيفَ تصرفَتْ بها الوجوه ، وقد كنتُ أعجَب من عيبك البعضَ بلا علم ، حتَّىٰ عِبتَ الكلَّ بلا علْم ، ثم تجاوزْت ذلك إلى التشنيع ، ثم تجاوزتَ ذلك إلىٰ نصب الحربِ فعبتَ الكِتَابَ ؛ ونعم الذخر والعُقدة هو ، ونعم الجليس والعُدَّة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس لساعة الوحدة ، ونعم المعرفةُ ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخِيل ، ونعم الوزير والنزيل .

والكتاب وعاءٌ مُلِيءَ علماً ، وَظَرْفٌ حُشِي ظَرْفاً ، وإناءٌ شُحِن مُزَاحاً وجِدّاً ؛ إنْ شئتَ . . كان أبيَنَ من سَحْبانِ وائل ، وإن شئت . . كان أعيا من باقِل ، وإن شئتَ . . ضَحِكْتَ مِنْ نوادِرِهِ ، وإن شئتَ . . عَجِبتَ من غرائبِ فرائِده ، وإن شئتَ . . ألهتْك طرائفُه ، وإن شئتَ . . أشجَتْك مواعِظُه .

وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظٍ مُلْهٍ ، وبزاجرٍ مُغرٍ ، وبناسكٍ فاتِك ، وبناطقٍ أخرسَ ، وببارِدٍ حارّ ، وفي البارد الحارِّ يقولُ الحسنُ بن هانيء :

قُـلْ لِـزُهَيْـرٍ إِذَا ٱنْتَحَـىٰ وَشَـدَا ... أَقْلِـلْ أَوَ ٱكْثِـرْ فَـأَنْـتَ مِهْـذَارُ
سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ ٱلْبُرُودَةِ حَتَّى ... صِـرْتَ عِنْـدِي كَـأَنَّـكَ ٱلنَّـارُ
لاَ يَعجَبِ ٱلسَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي ... كَـذَلِـكَ ٱلثَّلْـجُ بَـارِدٌ حَـارُ

ومَنْ لكَ بطبيب أعرابيّ ، وَمَنْ لَكَ برُوميٍّ هِنْدِيّ ، وبفارسي يُونَانيّ ، وبقَدِيمٍ مولَّد ، وبميِّتٍ ممتَّع ، وَمَنْ لَكَ بشيءٍ يَجْمَعُ لَكَ الأَوَّلَ والآخِر ، والناقص والوافر ، والخفيَّ والظاهر ، والشاهدَ والغائبَ ، والرفيعَ والوضيع ، والغَثَّ والسمين ، والشِّكْلَ وخِلافَه ، والجِنسَ وضدَّه .

وبعد : فمتىٰ رأيتَ بستاناً يُحمَل في رُدْن ، وروضةً تُقَلُّ في حِجْرٍ ، وناطقاً ينطِق عن الموتَىٰ ، ويُترجمُ عن الأحياء .

وَمَنْ لك بمؤنس لا ينام إلاّ بنومِك ، ولا ينطق إلاّ بما تهوَىٰ ؛ آمَنُ مِنَ الأرض ، وأكتمُ للسرِّ من صاحب السرِّ ، وأحفَظُ للوديعةِ من أرباب الوديعة ، وأحفَظ لما استُحْفِظَ من الآدميِّين ، ومن الأعْرَابِ المعرِبين ، بل مِنَ الصِّبيانِ قبلَ اعتراضِ الاشتغال ، ومن العُميانِ قبلَ التمتُّع بتمييز الأشخاص ، حينَ العنايةُ تامَّةٌ لم تنقص ، والأذهانُ فارغةٌ لم تنقَسِم ، والإرادَةُ وافرةٌ لم تتشعَّب ، والطِّينَةُ ليِّنة ، فهي أقبلُ ما تكون للطبائع ، والقضيبُ رطبٌ ، فهو أقربُ ما يكون من العُلوق ، حينَ هٰذه الخصالُ لم يَخْلُق جديدُها ، ولم يُوهَنْ غَرْبُهَا ، ولم تتفرَّق قُواها ، وكانت كما قال الشاعر :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْباً خَالِياً فَتَمَكَّنَا

وقال عَبْدة بن الطَّبيب :

لاَ تَأْمَنُوا قَوْماً يَشِبُّ صَبِيُّهُمْ ... بَيْنَ ٱلْقَوَابِلِ بِٱلْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ

ومن كلامهم : التعلُّمُ في الصِّغَر كالنقشِ في الحجر ، وقد قال جِرَانُ العَودِ :

تُرِكْنَ بِرِجْلَةِ ٱلرَّوْحَاءِ حَتَّى ... تنكَّرَتِ ٱلدِّيَارُ عَلَى ٱلْبَصِيرِ
كَوَحْيٍ فِي ٱلْحِجَارَةِ أَوْ وُشُومٍ ... بِأَيْدِي ٱلرُّومِ بَاقِيَةِ ٱلنَّؤُورِ

وقال آخر ، وهو صالحُ بن عبد القُدُّوس :

وَإِنَّ مَـنْ أَدَّبْتَـهُ فِـي ٱلصِّبَـا   كَٱلْعُودِ يُسْقَى ٱلْمَاءَ فِي غَرْسِهِ
حَتَّـىٰ تَـرَاهُ مُـورِقـاً نَـاضِـراً   بَعْـدَ ٱلَّـذِي قَـدْ كَـانَ فِي يُبْسِـهِ

وقال آخر :

يُقَـوِّمُ مِـنْ مَيـلِ ٱلْغُـلاَمِ ٱلْمُـؤَدِّبُ   وَلاَ يَنْفَعُ ٱلتَّأْدِيبُ وَٱلرَّأْسُ أَشْيَبُ

وقال آخر :

وَتَلُومُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ   وَمِـنَ ٱلْعَنَـاءِ رِيَـاضَـةُ ٱلْهَـرِمِ

وقد قالَ ذو الرُّمَّةِ لعيسى بن عمر : اكتبْ شِعري ؛ فالكتابُ أحبُّ إليَّ من الحفظ ؛ لأنّ الأعرابيَّ ينسى الكلمةَ وقد سهر في طلبها ليلَته ، فيضَعُ في موضعها كلمةً في وزنها ، ثم يُنشِدها الناسَ ، والكتاب لا يَنْسَىٰ ولا يُبدِّلُ كلاماً بكلام .

وعبتَ الكتابَ ، ولا أعلَمُ جاراً أبرَّ ، ولا خَليطاً أنصفَ ، ولا رفيقاً أطوعَ ، ولا معلِّماً أخضعَ ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، ولا أقلَّ جِنَايَةً ، ولا أقلَّ إمْلالاً وإبراماً ، ولا أحفَلَ أخلاقاً ، ولا أقلَّ خِلافاً وإجراماً ، ولا أقلَّ غِيبةً ، ولا أبعدَ من عَضِيهة ، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرُّفاً ، ولا أقلَّ تصلُّفاً وتكلُّفاً ، ولا أبعَدَ مِن مِراءٍ ، ولا أتْرَكَ لشَغَب ، ولا أزهَدَ في جدالٍ ، ولا أكفَّ عن قتالٍ . . من كتاب .

ولا أعلَمُ قريناً أحسنَ موَافاةً ، ولا أعجَل مكافأة ، ولا أحضَرَ مَعُونةً ، ولا أخفَّ مؤونة ، ولا شجرةً أطولَ عمراً ، ولا أجمعَ أمراً ، ولا أطيَبَ ثمرةً ، ولا أقرَبَ مُجتَنىً ، ولا أسرَعَ إدراكاً ، ولا أوجَدَ في كلّ إبَّانٍ . . من كتاب .

ولا أعلَمُ نِتاجاً في حَدَاثةِ سنِّه ، وقُرْب ميلادِه ، ورُخْص ثمنه ، وإمكانِ وُجوده ، يجمَعُ من التدابيرِ العجيبَة ، والعلومِ الغريبة ، ومن آثارِ العقولِ الصحيحة ، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفة ، ومِنَ الحِكَم الرفيعة ، والمذاهب القوِيمة ، والتجارِبِ الحكيمة ، ومِنَ الإخبارِ عن القرون الماضية ، والبلادِ المتنازِحة ، والأمثالِ السائرة ، والأمم البائدة ، ما يجمَعُ لك الكتابُ .

قال الله عزّ وجلّ لنبيّه عليه الصلاة والسلام : ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴾ فوَصَفَ نَفْسَهُ تبارك وتعالىٰ ، بأنْ علَّمَ بالقَلم ، كما وصف نفسَه بالكرَم ، واعتدَّ بذلك في نِعَمه العِظام ، وفي أيادِيه الجِسام ، وقد قالوا : القَلَمُ أحدُ اللسانَين ، وقالوا : كلُّ مَنْ عَرَف النِّعمةَ في بَيان اللسانِ ، كان بفضل النِّعمة في بيانِ القلم أعرَف ، ثمَّ جَعَلَ هٰذا الأمرَ قرآناً ، ثمَّ جعلَه في أوَّل التنزيل ، ومستَفْتَح الكتاب .

* * *

السحر الحلال

في يوم مشرق الطلعات، أهدىٰ لي أحد الأصدقاء وأنا في الكويت كتاب: « العود الهندي » للعلامة عبد الرحمـٰن بن عبيد الله السقاف ، فأخذت الكتاب وأنا في طريقي إلى المطار أتصفحه ، فأَسَرَني بسحره ، وسحرني بأسره ، وبهرني بنوره ، وأبهجني بجماله ، حتىٰ صرت في صالة المطار في شبه ذهول ؛ كأنني خرجت من عالمي لا أحس بأحد بجانبي ، ولا أدري أين أنا .

وكلما قلبت منه صفحة . . زادني نشوة وطرباً ، وملأني روعة وعجباً ، فما تركت المجلد الأول من يدي حتىٰ ختمته .

ثم أتممت الكتاب وأعدت النظر فيه أفليه ، أترنّم به ، أذوقه ، أشمه ، أحتسيه ، أرفع عقيرتي بأبياته ، أبكي مع المؤلف وأضحك معه ، أسافر في زورق إبداعه ، أعجب من اطلاعه ، وحسن سبكه ، وجميل صياغته ، ولطيف إشارته ، وعذوبة عبارته ، ورقة طبعه ، وسيلان ذهنه ، وحضور ذاكرته ، وبراعة استدلاله ، وقوة انتزاعه ، وسلامة فطرته ، وصفاء مشربه .

ثم هو مشبوب العاطفة ، جيّاش الفؤاد ، غزير الدمعة ، خفيف الروح ، ذو ذاكرة وقّادة ، وطبيعة منقادة ، يصيب المرمىٰ ، ويجيد التصويب ، مع علم غزير ، ومادة حاضرة .

فهو علامة ، فقيه ، محدِّث ، مفسّر ، أديب ، شاعر ، ينظم عقود جواهره

بآية محكمة ، أو حديث صحيح ، أو بيت لطيف ، أو فائدة شرود ، أو قصة موحية ، أو حكاية مشجية ، أو مثل سائر . فهو يتأنّق بك في روضات ممرعات دمثات ، وينـزل بك في حدائق ذات بهجة من نصوص مشرقة ، ومحفوظات نافعة ، وقد أحضر روحه ، وسكب مع قلمه نبوغه ، وأفرغ شآبيب عبقريته مع براعته ، وكأني به وهو يكتب هـٰذا السفر في وهاد حضرموت قد ودّع نومه ، وفارق كراه ، وتصدّق على النجوم بنعاس أجفانه ، وتخيلت أن دمعه مازج حبره ، وأن ضحكه صادق صريف أقلامه ، وأن تبسمه شابه بياض أوراقه ، فلله هو كيف استطاع أن يقتحم معاقل قلوبنا ، وأن يستولي علىٰ ثكنات نفوسنا ، ولكن صدق المعصوم صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » .

عشت مع السقاف في « عوده الهندي » ، فنسيت كل كتاب أدبي أو ديوان شعري قرأته ، مع العلم أنني من الصِّبا وأنا أبدي وأعيد في الموسوعات الأدبية ، حتىٰ صرت بمعالمها أهدىٰ من سرب القطا إلىٰ عشه ، فلما طالعت « العود الهندي ». . صحتُ :

مَحَا حُبُّهَا حُبَّ ٱلأُلَىٰ كُنَّ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ مَحَلاًّ لَمْ يَكُنْ حُلَّ مِنْ قَبْلُ

وقلت : الآن يحق للحضارم خاصة والعرب عامة أن يفاخروا بهـٰذا الكتاب ، وقلت في نفسي : ليت السقاف صبر وأكمل لنا عشر مجلدات علىٰ نفس السياق وعين هـٰذا المساق ، لكن يظهر أنه أدرك مشهد : ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ ، فغفر الله له وأكرم نزله .

ولو طالعت مجلداتي من « العود الهندي ». . لوجدتها قد تفصّمت عراها ، ونحلت أوراقها من كثرة التقليب والتفتيش ، وقد ساعدني السقاف

على استخراج زفرات الحنين المدفونة في جوانحي ، واستنـزاف بقايا من دموع غائرة في محاجري :

قَدْ كُنْتُ أُشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَىٰ بَصَرِي فَٱلْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا

كنت أحدث الناس في المجالس عن الكتاب ، وأسره وسحره ، وسطوعه ولموعه ، وشوارده وفوائده ، فلا أجد إلا الواحد أو الاثنين يفهمني ؛ لكثافة الطبع ، وثخانة الخاطر ، وثقالة الدم ، والانهماك في الماديات ؛ من مطعم ومشرب وملبس ومركب ، حتىٰ صار العقل كتلة من الفول السوداني المدمّس ، المثلج تحت درجة الصفر ؛ لسقوط الهمم ، وبرود العزائم ، وجمود القرائح ، وخمود الذاكرة ، ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ .

مَا فِي ٱلْخِيَامِ أَخُو وَجْدٍ نُطَارِحُهُ حَدِيثَ نَجْدٍ وَلاَ خِلٌّ نُجَارِيهِ

ولقد أمتعني السقاف بدعاباته ، وفيض تعليقاته ؛ فمرة يثني علىٰ صاحبه المتنبي ويسيل قلمه معجباً بهـٰذا النبوغ حتىٰ يسأل الله أن يتجاوز عنه لحكمته وبراعته ، ثم يعود عليه بالذم صادقاً لهزال بعض أبياته ، ولكن بصدمات كهربائية لاذعة ؛ كقوله : هـٰذه الأبيات لا تحصل إلا بخذلان من الله ، وكقوله : هـٰذه الأبيات من رقى الشيطان وتمائم إبليس .

والسقاف مدرسة في الذائقة الجمالية الأدبية ، فحسبك به معرفة لجزل القول ، وناصع الكلام ، وخالص الحديث ، بل هو إمام في النقد الأدبي ، وهو كاتب ساحر إذا أراد ، وراوية ملهم ، وقاص مُشْجٍ ، وشاعر لا يُشق له غبار ، مع حفظه لناموس الشريعة ، وهيبة الملة ، ومقام الدين ، وهـٰذا الذي فاق به علىٰ كل الأدباء ، ولا أدري كيف استطاع أن يؤلف بين القرين وقرينه من الشواهد ، فهو ينشر أمامك المصادر ، ويعزو إليها في الغالب ، وعنده ملكة

الاصطفاء ، وموهبة الاختيار ، فلا تقع عينه إلا على الأجل الأجمل ، ولا يصطفي إلا الغالي النفيس .

ويا له من مؤلف موهوب يضع الآية بجانب الأثر ، والبيت في صف المثل ، والقصة تلو القصيدة ، ولن تمل مع السقاف أبداً ؛ لأنه لا يتركك تمل ؛ إذ يشجيك ، ويبكيك ، ويضحكك ، ويسبيك ، ويقص عليك ، وينعشك ، ويهزّك ، ويطربك .

وكلما سافرت معه في هـٰذا الكتاب الماتع ، الذائع ، الرائع ، الشائع . . صحتُ : أين أهل الأدب الهزيل والشعر الهش والقول الساقط من هـٰذا الفيض الوجداني والسحر الأدبي ؟!

وأين دعاة الهذيان من مملكة الإبداع ، وإيوان الإقناع ، وبهجة الخاطر الذي فتح لنا السقاف آفاقه ، وسكب فيه ترياقه ، وألهبنا بأشواقه وإشراقه ؟! وليت أهل العلم والفقه والفتيا يرطّبون مشاعرهم بهـٰذه النفحات الأدبية ؛ ليعذب قولهم ، وتجمل عباراتهم ، كما كان ابن عباس والشعبي والشافعي وغيرهم من علماء الأمة ، حيث يذوب كلامهم رقة وعذوبة ، وحلاوة وطلاوة .

إنني أرشح كتاب : « العود الهندي » للسقاف منهجاً دراسيّاً في الأدب ، وموردأ عذباً في النوادي والجامعات والمدارس ، ونهراً صافياً لروّاد البيان ، ورموز الفصاحة ، وصنّاع الحرف الجميل : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ .

وسوف أجعل كتاب « العود الهندي » بمشيئة الله مادتي في دروس الأدب والشعر ؛ لأنني وجدت فيه ضالتي بعد ثلاثين سنة من الترحال في شعاب

الأدب ، وأودية الشعر : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾ .

ومن حسن الطالع أن السقاف حضرمي ، والمتنبي كندي حضرمي ، وصاحب الدار حضرمي : ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ .

وقد فاح طيب « العود الهندي » ، في إيوان أبي الطيب الكندي ، وهٰذا ما ميّزه عندي :

يَكُونُ أُجَاجاً دُونَكُمْ فَإِذَا ٱنْتَهَى ... إِلَيْكُـمْ تَلَقَّـىٰ طِيبَكُـمْ فَيَطِيـبُ

لقد فهم السقاف معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم الخالدة القرآن الكريم ، وأنّ مِن أعظم معالمه البيان الآسر الذي أذعنت لفصاحته العرب العرباء ، وسلّمت لبلاغته فحول الشعراء ؛ فإنه دمغ رؤوس الضلالة بهيبة جلاله ، وأفحم أساطين القول بسيلٍ عرمرم من الخطاب المعجز ، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ .

ولقد عرف السقاف أن الأدب الخلاّب ، والشعر الجذّاب ، أرفع مزايا العرب أمةِ اللفظ الساحر ، والقول الآسر ، أهلِ سوق عكاظ ، وخطباء النوادي ، وفصحاء الحواضر والبوادي ، فأفرغ علينا من ذاكرته الموحية ، وقلمه البارع ، ما ملأ قلوبنا رضاً ، ونفوسنا سروراً ، وضمائرنا نوراً .

ولله دَرُّ الحضارم لا يرضون إلا بالنجومية حتىٰ في التأليف ، كما قال المتنبي الكندي الحضرمي :

إِذَا غَـامَـرْتَ فِـي شَـرَفٍ مَـرُومِ ... فَـلا تَقْنَـعْ بِمَـا دُونَ ٱلنُّجُـومِ

رحم الله السقاف ، وجمعنا به في جنات النعيم

* * *

رجعتُ لنفسي فاتّهمتُ حصاتي

حافظ إبراهيم

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَٱتَّهَمْتُ حَصَاتِي ... وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَٱحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي ٱلشَّبَابِ وَلَيْتَنِي ... عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِدَاتِي
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي ... رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي
وَسِعْتُ كِتَابَ ٱللهِ لَفْظاً وَغَايَةً ... وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ ٱلْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ ... وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ
أَنَا ٱلْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ ٱلدُّرُّ كَامِنٌ ... فَهَلْ سَأَلُوا ٱلْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي
فَيَا وَيْحَكُمْ أَبْلَىٰ وَتَبْلَىٰ مَحَاسِنِي ... وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ ٱلدَّوَاءُ أُسَاتِي
فَلاَ تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي ... أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي
أَرَىٰ لِرِجَالِ ٱلْغَرْبِ عِزّاً وَمَنْعَةً ... وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِٱلْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّناً ... فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِٱلْكَلِمَاتِ
أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ ٱلْغَرْبِ نَاعِبٌ ... يُنَادِي بِوَأْدِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي
وَلَوْ تَزْجُرُونَ ٱلطَّيْرَ يَوْماً عَلِمْتُمُ ... بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ
سَقَى ٱللهُ فِي بَطْنِ ٱلْجَزِيرَةِ أَعْظُماً ... يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
حَفِظْنَ وِدَادِي فِي ٱلْبِلَىٰ وَحَفِظْتُهُ ... لَهُنَّ بِقَلْبٍ دَائِمِ ٱلْحَسَرَاتِ
وَفَاخَرْتُ أَهْلَ ٱلْغَرْبِ وَٱلشَّرْقُ مُطْرِقٌ ... حَيَاءً بِتِلْكَ ٱلأَعْظُمِ ٱلنَّخِرَاتِ
أَرَىٰ كُلَّ يَوْمٍ بِٱلْجَرَائِدِ مَزْلَقاً ... مِنَ ٱلْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أَنَاةِ
وَأَسْمَعُ لِلْكُتَّابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً ... فَأَعْلَمُ أَنَّ ٱلصَّائِحِينَ نُعَاتِي

أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي عَفَا ٱللهُ عَنْهُمُ إِلَىٰ لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةِ
سَرَتْ لُوثَةُ ٱلإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لُعَابُ ٱلأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتِ
فَجَاءَتْ كَثَوْبٍ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً مُشَكَّلَةَ ٱلأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ
إِلَىٰ مَعْشَرِ ٱلْكُتَّابِ وَٱلْجَمْعُ حَافِلٌ بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَاتِي
فَإِمَّا حَيَاةٌ تَبْعَثُ ٱلْمَيْتَ فِي ٱلْبِلَى وَتُنْبِتُ فِي تِلْكَ ٱلرُّمُوسِ رُفَاتِي
وَإِمَّا مَمَاتٌ لاَ قِيَامَةَ بَعْدَهُ مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسْ بِمَمَاتِ

* * *

أراكَ عصيّ الدمع شيمتك الصبر

أبو فراس الحمداني

أَرَاكَ عَصِيَّ ٱلدَّمْعِ شِيمَتُكَ ٱلصَّبْرُ   أَمَا لِلْهَوَىٰ نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلاَ أَمْرُ ؟
بَلَىٰ ، أَنَا مُشْتَاقٌ ، وَعِنْدِيَ لَوْعَةٌ   وَلَكِنَّ مِثْلِي لاَ يُذَاعُ لَهُ سِرُّ!
إِذَا ٱللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ ٱلْهَوَى   وَأَذْلَلْتُ دَمْعاً مِنْ خَلاَئِقِهِ ٱلْكِبْرُ
تَكَادُ تُضِيءُ ٱلنَّارُ بَيْنَ جَوَانِحِي   إِذَا هِيَ أَذْكَتْهَا ٱلصَّبَابَةُ وَٱلْفِكْرُ
مُعَلِّلَتِي بِٱلْوَصْلِ وَٱلْمَوْتُ دُونَهُ   إِذَا مِتُّ ظَمْآناً فَلاَ نَزَلَ ٱلْقَطْرُ!
حَفِظْتُ وَضَيَّعْتِ ٱلْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا   وَأَحْسَنُ مِنْ بَعْضِ ٱلْوَفَاءِ لَكِ ٱلْعُذْرُ
وَمَا هَٰذِهِ ٱلأَيَّامُ إِلاَّ صَحَائِفٌ   لأَحْرُفِهَا ، مِنْ كَفِّ كَاتِبِهَا ، بَشْرُ
بِنَفْسِي مِنَ ٱلْغَادِينَ فِي ٱلْحَيِّ غَادَةً   هَوَايَ لَهَا ذَنْبٌ ، وَبَهْجَتُهَا عُذْرُ
تَرُوغُ إِلَى ٱلْوَاشِينَ فِيَّ ، وَإِنَّ لِي   لأُذْناً بِهَا عَنْ كُلِّ وَاشِيَةٍ وَقْرُ
بَدَوْتُ ، وَأَهْلِي حَاضِرُونَ ، لأَنَّنِي   أَرَىٰ أَنَّ دَاراً لَسْتِ مِنْ أَهْلِهَا قَفْرُ
وَحَارَبْتُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ ، وَإِنَّهُمْ   وَإِيَّايَ ، لَوْلاَ حُبُّكِ ، ٱلْمَاءُ وَٱلْخَمْرُ
فَإِنْ يَكُ مَا قَالَ ٱلْوُشَاةُ وَلَمْ يَكُنْ   فَقَدْ يَهْدِمُ ٱلإِيمَانُ مَا شَيَّدَ ٱلْكُفْرُ
وَفَيْتُ ، وَفِي بَعْضِ ٱلْوَفَاءِ مَذَلَّةٌ   لإِنْسَانَةٍ فِي ٱلْحَيِّ شِيمَتُهَا ٱلْغَدْرُ
وَقُورٌ ، وَرَيْعَانُ ٱلصِّبَا يَسْتَفِزُّهَا   فَتَأْرَنُ ، أَحْيَاناً ، كَمَا أَرِنَ ٱلْمُهْرُ
تُسَائِلُنِي : مَنْ أَنْتَ ؟ وَهْيَ عَلِيمَةٌ   وَهَلْ بِفَتَىً مِثْلِي عَلَىٰ حَالِهِ نُكْرُ ؟
فَقُلْتُ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا ٱلْهَوَىٰ   قَتِيلُكِ! قَالَتْ : أَيُّهُمْ ؟ فَهُمُ كُثْرُ
فَقُلْتُ لَهَا : لَوْ شِئْتِ لَمْ تَتَعَنَّتِي   وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي وَعِنْدَكِ بِي خُبْرُ!

فَقَالَتْ : لَقَدْ أَزْرَىٰ بِكَ ٱلدَّهْرُ بَعْدَنَا ... فَقُلْتُ : مَعَاذَ ٱللهِ بَلْ أَنْتِ لاَ ٱلدَّهْرُ
وَمَا كَانَ لِلأَحْزَانِ ، لَوْلاَكِ ، مَسْلَكٌ ... إِلَى ٱلْقَلْبِ ؛ لَكِنَّ ٱلْهَوَىٰ لِلْبِلَىٰ جِسْرُ
وَتَهْلِكُ بَيْنَ ٱلْهَزْلِ وَٱلْجِدِّ مُهْجَةٌ ... إِذَا مَا عَدَاهَا ٱلْبَيْنُ عَذَّبَهَا ٱلْهَجْرُ
فَأَيْقَنْتُ أَنْ لاَ عِزَّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ ... وَأَنَّ يَدِي مِمَّا عَلِقْتُ بِهِ صِفْرُ
وَقَلَّبْتُ أَمْرِي لاَ أَرَىٰ لِيَ رَاحَةً ... إِذَا ٱلْبَيْنُ أَنْسَانِي أَلَحَّ بِيَ ٱلْهَجْرُ
فَعُدْتُ إِلَىٰ حُكْمِ ٱلزَّمَانِ وَحُكْمِهَا ، ... لَهَا ٱلذَّنْبُ لاَ تُجْزَىٰ بِهِ وَلِيَ ٱلْعُذْرُ
كَأَنِّي أُنَادِي دُونَ مَيْثَاءَ ظَبْيَةً ... عَلَىٰ شَرَفٍ ظَمْيَاءَ جَلَّلَهَا ٱلذُّعْرُ
تَجَفَّلُ حِيناً ، ثُمَّ تَرْنُو كَأَنَّهَا ... تُنَادِي طَلاً بِٱلْوَادِ أَعْجَزَهُ ٱلْحُضْرُ
فَلاَ تُنْكِرِينِي ، يَا بْنَةَ ٱلْعَمِّ ، إِنَّهُ ... لَيَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتِهِ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرُ
وَلاَ تُنْكِرِينِي ، إِنَّنِي غَيْرُ مُنْكَرٍ ... إِذَا زَلَّتِ ٱلأَقْدَامُ ، وَٱسْتُنْزِلَ ٱلنَّصْرُ
وَإِنِّي لَجَرَّارٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ ... مُعَوَّدَةٍ أَلاَّ يُخِلَّ بِهَا ٱلنَّصْرُ
وَإِنِّي لَنَزَّالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ ... كَثِيرٌ إِلَىٰ نُزَّالِهَا ٱلنَّظَرُ ٱلشَّزْرُ
فَأَظْمَأُ حَتَّىٰ تَرْتَوِي ٱلْبِيضُ وَٱلْقَنَا ... وَأَسْغَبُ حَتَّىٰ يَشْبَعَ ٱلذِّئْبُ وَٱلنَّسْرُ
وَلاَ أُصْبِحُ ٱلْحَيَّ ٱلْخَلُوفَ بِغَارَةٍ ... وَلاَ ٱلْجَيْشَ مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِيَ ٱلنُّذْرُ
وَيَا رُبَّ دَارٍ لَمْ تُخِفْنِي مَنِيعَةٍ ... طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِٱلرَّدَىٰ ، أَنَا وَٱلْفَجْرُ
وَحَيٍّ رَدَدْتُ ٱلْخَيْلَ حَتَّىٰ مَلَكْتُهُ ... هَزِيماً وَرَدَّتْنِي ٱلْبَرَاقِعُ وَٱلْخُمْرُ
وَسَاحِبَةِ ٱلأَذْيَالِ نَحْوِي ، لَقِيتُهَا ... فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي ٱللِّقَاءِ وَلاَ وَعْرُ
وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ ٱلْجَيْشُ كُلَّهُ ... وَرُحْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لأَبْيَاتِهَا سِتْرُ
وَلاَ رَاحَ يُطْغِينِي بِأَثْوَابِهِ ٱلْغِنَىٰ ، ... وَلاَ بَاتَ يُثْنِينِي عَنِ ٱلْكَرَمِ ٱلْفَقْرُ
وَمَا حَاجَتِي بِٱلْمَالِ أَبْغِي وُفُورَهُ ... إِذَا لَمْ أَفِرْ عِرْضِي فَلاَ وَفَرَ ٱلْوَفْرُ
أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ لَدَى ٱلْوَغَى ... وَلاَ فَرَسِي مُهْرٌ ، وَلاَ رَبُّهُ غَمْرُ

وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱمْرِىءٍ فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلاَ بَحْرُ
وَقَالَ أُصَيْحَابِي : ٱلْفِرَارُ أَوِ ٱلرَّدَى ؟ فَقُلْتُ : هُمَا أَمْرَانِ ، أَحْلاَهُمَا مُرُّ
وَلَكِنَّنِي أَمْضِي لِمَا لاَ يَعِيبُنِي وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَينِ خَيْرُهُمَا ٱلأَسْرُ
يَقُولُونَ لِي : بِعْتَ ٱلسَّلاَمَةَ بِٱلرَّدَىٰ ، فَقُلْتُ : أَمَا وَٱللهِ ، مَا نَالَنِي خُسْرُ
وَهَلْ يَتَجَافَىٰ عَنِّيَ ٱلْمَوْتُ سَاعَةً إِذَا مَا تَجَافَىٰ عَنِّيَ ٱلأَسْرُ وَٱلضُّرُّ ؟
هُوَ ٱلْمَوْتُ ، فَٱخْتَرْ مَا عَلاَ لَكَ ذِكْرُهُ فَلَمْ يَمُتِ ٱلإِنْسَانُ مَا حَيِيَ ٱلذِّكْرُ
وَلاَ خَيْرَ فِي دَفْعِ ٱلرَّدَىٰ بِمَذَلَّةٍ كَمَا رَدَّهَا يَوْماً ، بِسَوْءَتِهِ عَمْرُو
يَمُنُّونَ أَنْ خَلَّوا ثِيَابِي ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمُ حُمْرُ
وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمُ ٱنْدَقَّ نَصْلُهُ وَأَعْقَابُ رُمْحٍ فِيهِمُ حُطِّمَ ٱلصَّدْرُ
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ وَفِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ ٱلْبَدْرُ
فَإِنْ عِشْتُ فَٱلطَّعْنُ ٱلَّذِي يَعْرِفُونَهُ وَتِلْكَ ٱلْقَنَا وَٱلْبِيضُ وَٱلضُّمَّرُ ٱلشُّقْرُ
وَإِنْ مِتُّ فَٱلإِنْسَانُ لاَ بُدَّ مَيِّتٌ وَإِنْ طَالَتِ ٱلأَيَّامُ ، وَٱنْفَسَحَ ٱلْعُمْرُ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ ٱكْتَفَوْا بِهِ وَمَا كَانَ يَغْلُو ٱلتِّبْرُ لَوْ نَفَقَ ٱلصُّفْرُ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ تَوَسُّطَ عِنْدَنَا لَنَا ٱلصَّدْرُ دُونَ ٱلْعَالَمِينَ أَوِ ٱلْقَبْرُ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي ٱلْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ ٱلْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا ٱلْمَهْرُ
أَعَزُّ بَنِي ٱلدُّنْيَا وَأَعْلَىٰ ذَوِي ٱلْعُلاَ وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ ٱلتُّرَابِ وَلاَ فَخْرُ

* * *

زيادة المرء في دنياه نقصان

أبو الفتح البستي

زِيَادَةُ ٱلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ ... وَرِبْحُهُ غَيْرَ مَحْضِ ٱلْخَيْرِ خُسْرَانُ
وَكُلُّ وُجْدَانِ حَظٍّ لاَ ثَبَاتَ لَهُ ... فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي ٱلتَّحْقِيقِ فُقْدَانُ
يَا عَامِراً لِخَرَابِ ٱلدَّارِ مُجْتَهِداً ... بِٱللهِ هَلْ لِخَرَابِ ٱلْعُمْرِ عُمْرَانُ ؟
وَيَا حَرِيصاً عَلَى ٱلأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا ... أُنْسِيتَ أَنَّ سُرُورَ ٱلْمَالِ أَحْزَانُ ؟
زَعِ ٱلْفُؤَادَ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ... فَصَفْوُهَا كَدَرٌ وَٱلْوَصْلُ هِجْرَانُ
وَأَرْعِ سَمْعَكَ أَمْثَالاً أُفَصِّلُهَا ... كَمَا يُفَصَّلُ يَاقُوتٌ وَمُرْجَانُ
أَحْسِنْ إِلَى ٱلنَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ ... فَطَالَمَا ٱسْتَعْبَدَ ٱلإِنْسَانَ إِحْسَانُ
يَا خَادِمَ ٱلْجِسْمِ كَمْ تَشْقَىٰ بِخِدْمَتِهِ ... أَتَطْلُبُ ٱلرِّبْحَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ ؟!
أَقْبِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ وَٱسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فَأَنْتَ بِٱلنَّفْسِ لاَ بِٱلْجِسْمِ إِنْسَانُ
وَإِنْ أَسَاءَ مُسِيءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي ... عُرُوضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وَغُفْرَانُ
وَكُنْ عَلَى ٱلدَّهْرِ مِعْوَاناً لِذِي أَمَلٍ ... يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ ٱلْحُرَّ مِعْوَانُ
وَٱشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ ٱللهِ مُعْتَصِماً ... فَإِنَّهُ ٱلرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
مَنْ يَتَّقِ ٱللهَ يُحْمَدْ فِي عَوَاقِبِهِ ... وَيَكْفِهِ شَرَّ مَنْ عَزُّوا وَمَنْ هَانُوا
مَنِ ٱسْتَعَانَ بِغَيْرِ ٱللهِ فِي طَلَبٍ ... فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخُذْلاَنُ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَّاعاً فَلَيْسَ لَهُ ... عَلَى ٱلْحَقِيقَةِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانُ
مَنْ جَادَ بِٱلْمَالِ مَالَ ٱلنَّاسُ قَاطِبَةً ... إِلَيْهِ وَٱلْمَالُ لِلإِنْسَانِ فَتَّانُ
مَنْ سَالَمَ ٱلنَّاسَ يَسْلَمْ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ... وَعَاشَ وَهْوَ قَرِيرُ ٱلْعَيْنِ جَذْلاَنُ

مَنْ كَانَ لِلعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا وَمَا عَلَىٰ نَفْسِهِ لِلْحِرْصِ سُلْطَانُ
مَنْ مَدَّ طَرْفاً لِفَرْطِ ٱلْجَهْلِ نَحْوَ هَوَىً أَغْضَىٰ عَلَى ٱلْحَقِّ يَوْماً وَهْوَ خَزْيَانُ
مَنْ عَاشَرَ ٱلنَّاسَ لاَقَىٰ مِنْهُمُ نَصَباً لأَنَّ سَوْسَهُمُ بَغْيٌ وَعُدْوَانُ
وَمَنْ يُفَتِّشْ عَنِ ٱلإِخْوَانِ يَقْلَهُمُ فَجُلُّ إِخْوَانِ هَـٰذَا ٱلْعَصْرِ خَوَّانُ
مَنِ ٱسْتَشَارِ صُرُوفَ ٱلدَّهْرِ قَامَ لَهُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ طَبْعِ ٱلدَّهْرِ بُرْهَانُ
مَنْ يَزْرَعِ ٱلشَّرَّ يَحْصُدْ فِي عَوَاقِبِهِ نَدَامَةً وَلِحَصْدِ ٱلزَّرْعِ إِبَّانُ
مَنِ ٱسْتَنَامِ إِلَى ٱلأَشْرَارِ نَامَ وَفِي قَمِيصِهِ مِنْهُمُ صِلٌّ وَثُعْبَانُ
كُنْ رَيِّقَ ٱلْبِشْرِ إِنَّ ٱلْحُرَّ هِمَّتُهُ صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا ٱلْبِشْرُ عُنْوَانُ
وَرَافِقِ ٱلرِّفْقَ فِي كُلِّ ٱلأُمُورِ فَلَمْ يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُمْهُ إِنْسَانُ
وَلاَ يَغُرَّنْكَ حَظٌّ جَرَّهُ خَرَقٌ فَٱلْخُرْقُ هَدْمٌ وَرِفْقُ ٱلْمَرْءِ بُنْيَانُ
أَحْسِنْ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ فَلَنْ يَدُومَ عَلَى ٱلإِحْسَانِ إِمْكَانُ
فَٱلرَّوْضُ يَزْدَانُ بِٱلأَنْوَارِ فَاغِمَةً وَٱلْحُرُّ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ يَزْدَانُ
صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ لاَ تَهْتِكْ غَلاَلَتَهُ فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ ٱلْوَجْهِ صَوَّانُ
فَإِنْ لَقِيتَ عَدُوّاً فَٱلْقَهُ أَبَداً وَٱلْوَجْهُ بِٱلْبِشْرِ وَٱلإِشْرَاقِ غَضَّانُ
دَعِ ٱلتَّكَاسُلَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِٱلْخَيْرَاتِ كَسْلاَنُ
لاَ ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَعْرَىٰ مِنْ تُقَىً وَنُهَىً وَإِنْ أَظَلَّتْهُ أَوْرَاقٌ وَأَفْنَانُ
وَٱلنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَالَتْهُ دَوْلَتُهُ وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
(سَحْبَانُ) مِنْ غَيْرِ مَالٍ (بَاقِلٌ) حَصِرٌ وَ(بَاقِلٌ) فِي ثَرَاءِ ٱلْمَالِ (سَحْبَانُ)
لاَ تُودِعِ ٱلسِّرَّ وَشَّاءً يَبُوحُ بِهِ فَمَا رَعَىٰ غَنَماً فِي ٱلدَّوِّ سِرْحَانُ
لاَ تَحْسَبِ ٱلنَّاسَ طَبْعاً وَاحِداً فَلَهُمْ غَرَائِزٌ لَسْتَ تُحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ
مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَّاءٍ لِوَارِدِهِ نَعَمْ وَلاَ كُلُّ نَبْتٍ فَهْوَ سَعْدَانُ

لاَ تَخْدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ فَالْبِرُّ يَخْدِشُهُ مَطْلٌ وَلَيَّانُ
لاَ تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَقِظٍ قَدِ اسْتَوَىٰ فِيهِ إِسْرَارٌ وَإِعْلاَنُ
فَلِلتَّدَابِيرِ فُرْسَانٌ إِذَا رَكَضُوا فِيهَا أَبَرُّوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
وَلِلأُمُورِ مَوَاقِيتٌ مُقَدَّرَةٌ وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
فَلاَ تَكُنْ عَجِلاً بِالأَمْرِ تَطْلُبُهُ فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ النُّضْجِ بُحْرَانُ
كَفَىٰ مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوَزٍ فَفِيهِ لِلْحُرِّ إِنْ حَقَّقْتَ غُنْيَانُ
وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ وَصَاحِبُ الْحِرْصِ إِنْ أَثْرَىٰ فَغَضْبَانُ
حَسْبُ الْفَتَىٰ عَقْلُهُ خِلاً يُعَاشِرُهُ إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانٌ وَخُلاَّنُ
هُمَا رَضِيعَا لِبَانٍ : حِكْمَةٌ وَتُقىً وَسَاكِنَا وَطَنٍ : مَالٌ وَطُغْيَانُ
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنٌ فَلَهُ وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الأَرْضِ أَوْطَانُ
يَا ظَالِماً فَرِحاً بِالْعِزِّ سَاعَدَهُ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ
مَا اسْتَمْرَأَ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ وَهَلْ يَلَذُّ مَذَاقُ وَهْوَ خُطْبَانُ
يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمَرْضِيُّ سِيرَتُهُ أَبْشِرْ فَأَنْتَ بِغَيْرِ الْمَاءِ رَيَّانُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لُجَجٍ فَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لاَ شَكَّ ظَمْآنُ
لاَ تَحْسَبَنَّ سُرُوراً دَائِماً أَبَداً مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأْلَفُهُ فَاطْلُبْ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ
وَإِنْ نَبَتْ بِكَ أَوْطَانٌ نَشَأْتَ بِهَا فَارْحَلْ فَكُلُّ بِلاَدِ اللهِ أَوْطَانُ
يَا رَافِلاً فِي الشَّبَابِ الرَّحْبِ مُنْتَشِياً مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ ؟
لاَ تَغْتَرِرْ بِشَبَابٍ رَائِقٍ نَضِرٍ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي اللَّذَّاتِ إِمْعَانُ
هَبِ الشَّبِيبَةَ تُبْدِي عُذْرَ صَاحِبِهَا مَا عُذْرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ ؟!

كُـلُّ ٱلـذُّنُـوبِ فَـإِنَّ ٱللهَ يَغْفِـرُهَـا   إِنْ شَيَّـعَ ٱلْمَـرْءَ إِخْـلَاصٌ وَإِيمَـانُ
وَكُـلُّ كَسْـرٍ فَـإِنَّ ٱلـدِّيـنَ يَجْبُـرُهُ   وَمَـا لِكَسْـرِ قَنَـاةِ ٱلـدِّيـنِ جُبْـرَانُ
خُـذْهَـا سَـوَائِـرَ أَمْثَـالٍ مُهَـذَّبَـةً   فِيهَـا لِمَـنْ يَبْتَغِـي ٱلتِّبْيَـانَ تِبْيَـانُ
مَا ضَرَّ حَسَّانَهَا ـ وَٱلطَّبْعُ صَائِغُهَا ـ   إِنْ لَمْ يَصُغْهَا قَرِيعُ ٱلشِّعْرِ (حَسَّانُ)

* * *

في العزلة النافعة

وفي كتاب « صيد الخاطر » :

ما أعرف نفعاً كالعزلة عن الخلق ، خصوصاً للعالم والزاهد ؛ فإنك لا تكاد ترىٰ إلا شامتاً بنكبة ، أو حسوداً علىٰ نعمة ، أو من يأخذ عليك غلطاتك.

فيا للعزلة ما ألذها ، سلمت من كدر غيبة ، وآفات تصنّع ، وأحوال المداجاة ، وتضييع الوقت .

ثم خلا فيها القلب بالفكر ، بعد ما كان مشغولاً عنه بالمخالطة ، فدبر أمر دنياه وآخرته ، فمثله كمثل الحِمية يخلو فيها المعي بالأخلاط فيذيبها .

وما رأيتها مثل ما يصنع المخالط ؛ لأنه يرىٰ حالته الحاضرة من لقاء الناس وكلامهم ، فيشتغل بها عما بين يديه ، فمثله كمثل رجل يريد سفراً قد أزف ، فجالس أقواماً فشغلوه بالحديث حتىٰ ضرب البوق وما تزود .

فلو لم يكن في العزلة إلا التفكير في زاد الرحيل ، والسلامة من شر المخالطة . . كفىٰ .

ثم لا عزلة على الحقيقة إلا للعالم والزاهد ؛ فإنهما يعلمان مقصود العزلة وإن كانا لا في عزلة .

أما العالم . . فعلمه مؤنسه ، وكتبه محدثه ، والنظر في سير السلف مقومه ، والتفكر في حوادث الزمان السابق فرجته .

فإن ترقىٰ بعلمه إلىٰ مقام المعرفة الكاملة للخالق سبحانه ، وتشبث بأذيال

محبته . . تضاعفت لذاته ، واشتغل به عن الأكوان وما فيها ، فخلا بحبيبه وعمل معه بمقتضىٰ علمه .

وكذلك الزاهد ؛ تعبده أنيسه ، ومعبوده جليسه ، فإن كشف لبصره عن المعمول معه . . غاب عن الخلق ، وغابوا عنه .

إنما اعتزلا ما يؤذي ، فهما في الوحدة بين جماعة ، فهـٰذان رجلان قد سلما من شر الخلق ، وسلم الخلق من شرورهما ، بل هما قدوة للمتعبدين وعلم للسالكين ، ينتفع بكلامهما السامع ، وتُجري موعظتهما المدامع ، وتنتشر هيبتهما في المجامع .

فمن أراد أن يتشبه بأحدهما . . فليصابر الخلوة وإن كرهها ؛ ليثمر له الصبر العسل .

وأعوذ بالله من عالم مخالط للعالم ، خصوصاً لأرباب المال والسلاطين ، يجتلب ويجتلب ، ويختلب ويختلب ، فما يحصل له شيء من الدنيا إلا وقد ذهب من دينه أمثاله .

ثم أين الأنفة من الذل للفساق ؟

فالذي لا يبالي بذلك هو الذي لا يذوق طعم العلم ، ولا يدري ما المراد به ، وكأنه به وقد وقع في بادية جرز وقفر وأمل مهلك في تلك البراري .

وكذلك المتزهد إذا خالط وخلط . . فإنه يخرج إلى الرياء والتصنع والنفاق ، فيفوته الحظان ، لا الدنيا ونعيمها تحصل له ولا الآخرة .

فنسأل الله عز وجل خلوة حلوة ، وعزلة عن الشر لذيذة ، يستصلحنا فيها لمناجاته ، ويلهم كلاً منا طلب نجاته ، إنه قريب مجيب .

* * *

أمّ المقامات

قد جمعت بين ثقة الزبيدي بالصمصامة ، والحارث بالنعامة ، وحملت فتك البراض ، وناديت : اقضِ ما أنت قاضٍ ، فصرت في العزلة أعز من قوس حاجب ، وأشهر من نار غالب ، خليلي كليل النابغة ، وروحي كفؤاد أم موسىٰ فارغة ، وصبرت كحسان عند ابن مارية ، وناديت نفسي نداء عمر لسارية ، فصرت كقاف رؤبة في السكون ، وكتأبَّط شَرّاً في الكمون ، وتذكرت بالوحدة وحدة الكليم في التابوت ، ويونس في بطن الحوت ، وصرت أرى المخايط كابن الزيات في التنّور ، والعُمَري بن الصّور ، وصرت في البعد عن الناس كتبّع في حمير ، وعبد المؤمن بن علي في البربر ، وكان قلمي بالتعليم كف تميم ، وفكري بالفهم دعم اليتيم ، فصرت أعزَّ من هانىء يوم ذي قار ، وأنشدت : يا ليلة الغار ، وعاد الشيطان أحقر من هانوتو وريِنان ، لما رتلت القرآن .

وصرت أروح من الحطيئة عند ابن شماس ، وأعظم همة من عباس بن فرناس ، وشكرت كثير شكر طفيل لبني جعفر ، وأثنيت علىٰ يراعي ثناء عمرو بن العاص علىٰ بني الأصفر ، ونجوت من الحساد مثلما نجا معاوية من بني مراد ، بعد ما فتكت بيَ الليالي ، فتك ابن ملجم بإمام المعالي ، وكم داهمتني دهياء بارجة ، مداهمة الخارجي لخارجة ، ولم تُبقِ مني الخطوب بقية ، مثلما لم يبقِ عضد الدولة ابن بقية .

ولم أعتب علىٰ أهل العصر ، كما عتب الحريري على الدهر ، بل جعلت العلم نهري ، وأنشدت مع الأبيوردي :

تنكَّــرَ لِــي دَهْــرِي ....

وقاتلت الزمان بسلاحه ، وغنيت مع أبي المظفر :

تَسَتَّرْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ

ثم زرت اليمن ، وتذكرت سيف ذي يزن والياذة :

تِلْكَ ٱلْمَكَارِمُ لاَ قَعْبَانِ مِنْ لَبَنِ

وتمثلت بما قاله الأعشىٰ في الأسود ، لا بما قاله كثير في عبد الملك المطرّد .

وحثثت للمجد وجداني ، حث الأرياني لشعبه ضد الاحتلال البريطاني .

ولم أقبّل في الدنيا يداً ولو زاد ودّي ، عملاً ببيت ابن الوردي .

وخالفت ما فعل عند المعزّ عمارة ، وما فعل ابن الجصاص بابن الفرات في الطيارة .

وعرفت أن الجمع بين الدين والدنيا كالجمع بين سهيل والثريا ، علىٰ مذهب ابن ربيعة ، وله وجه في الشريعة ، وقد قلت لمن أراد أن يجمع المال والعلم من إخواني :

رَفِيقُـكَ قَيْسِـيٌّ وَأَنْـتَ يَمَـانِـي

قال جابـر : كنا نعزل والقرآن ينزل ، فقلـت : من لي بمثل تلك الهمم :

يَـا بَيْـتَ عَـاتِكَـةَ ٱلَّـذِي أَتَعَـزَّلُ

يا أبا تمام أفق ؛ فأنت تصرخ في واد ، لما ذكرت محاسن أحمد بن أبي دؤاد .

ولكن كفر لك هٰذا الهذيان قولك :

ثَــوَىٰ طَــاهِــرُ ٱلأَرْدَانِ

* * *

لأهل الهمم

السلام علىٰ أهل الهمم ، فهم صفوة الأمم ، وأهل المجد والكرم ، طارت بهم أرواحهم إلىٰ مراقي الصعود ، ومطالع السعود ، ومراتب الخلود ، ومن أراد المعالي . . هان عليه كل همّ ؛ لأنه لولا المشقة . . ساد الناس كلهم ، ونصوص الوحي تناديك ، سارع ولا تلبث بناديك ، وسابق ولا تمكث بواديك ، أُمية بن خلف ، لما جلس مع الخلف . . أدركه التلف ، ولما سمع بلال بن رباح ، حي على الفلاح . . أصبح من أهل الصلاح .

اطلب الأعلىٰ دائماً وما عليك ؛ فإن موسىٰ لما اختصه الله بالكلام . . قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ .

المجد ما يأتي هبة ، لكنه يحصل بالمناهبة .

لمَّا تعلمت الصيدَ الكلاب . . أبيح صيدها بنص الكتاب ، ولما حمل الهدهد الرسالة . . ذُكر في (سورة النمل) بالبسالة .

نجحت النملة بالمثابرة ، وطول المصابرة .

تريد المجد ولا تَجِدّ ؟! تخطب المعالي ، وتنام الليالي ؟!

ترجو الجنة ، وتفرّط في السنّة ؟!

قام رسولنا صلى الله عليه وسلم حتىٰ تفطّرت قدماه ، وربط الحجر علىٰ بطنه من الجوع وهو العبد الأوّاه ، وأدميت عقباه بالحجارة ، وخاض بنفسه كل غارة .

يُدعىٰ أبو بكر من الأبواب الثمانية ؛ لأن قلبه معلق بربه كل ثانية ، صرف للدين أقواله ، وأصلح بالهدىٰ أفعاله ، وأقام بالحق أحواله ، وأنفق في سبيل الله أمواله ، وهاجر وترك عياله .

لبس عمر المرقّع ، وتأوّه من ذكر الموت وتوجّع ، وأخذ الحيطة لدينه وتوقّع ، عدل وصدق وتهجد ، وسأل الله أن يستشهد ، فرزقه الله الشهادة في المسجد .

اخرج من سرداب الأماني ، يا أسير الأغاني ، انفض غبار الكسل ، واهجر من عذل ، فكل من سار على الدرب وصل .

نسيت الآيات ، وأخّرت الصلوات ، وأذهبتْ عمركَ السهرات ، وتريد الجنات ؟!

ويلك ، والله ؛ ما شبع النمل حتىٰ جدّ في الطلب ، وما ساد الأسد حتى افترس ووثب ، وما أصاب السهم حتىٰ خرج من القوس ، وما قطع السيف حتىٰ صار أحدّ من الموس .

الحمامة تبني عشها ، والحُمّرة تنقل قشها ، والعنكبوت يهندس البيوت ، والضب يحفر مغارة ، والجرادة تبني عمارة ، وأنت لك مدة ، ورأسك على المخدة ، في الحديث : « احرص علىٰ ما ينفعك » ؛ لأن ما ينفعك يرفعك ، « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ، بالقوة يبنى القصر المنيف ، وينال المجد الشريف .

صاحب الهمة ما يهمه الحرّ ، ولا يخيفه القرّ ، ولا يزعجه الضرّ ، ولا يقلقه المرّ ؛ لأنه تدرع بالصبر .

صاحب الهمة ، يسبق الأمة ، إلى القمة ، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ

﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ؛ لأنهم على الصالحات مدربون ، وللبر مجربون .

الثعلب يرضىٰ بالجيفة ، فكتب في آخر الصحيفة : لو أسرع الحمار مثل الحصان . . لكان من الهوان يُصان .

الشمس تجري ، والقمر يسري ، وأنت نائم لا تدري .

أنت أكول شروب ، لعوب طروب ، صاحب ذنوب .

لما تجرع الأحنف غصص الغضب . . صار حليم العرب ، ولما بذل روحه للموت عنترة . . شبهوه بقسورة ، ولمّا بذل حاتم ، طعامه لكل قادم ، وأنفق أمواله في المواسم . . صار مضرب المثل في الجود ، وقصة الكرم في السهول والنجود .

لما طار القمري . . قعد فوق الأغصان ، ولما مشى الجعلان . . بقي مع الديدان .

سافر العود من الهند . . فسُمي بالنَّدّ ، وأقام بأرضه الخشب . . فسماه الناس الحطب .

أديسون مكتشف الكهرباء ، قضىٰ عمره في اختراعه حتىٰ أذهل به الحكماء ، فلا نامت أعين الأغبياء .

مكتشف الذرة ، أجرىٰ عليها التجربة عشرة آلاف مرة .

عمي بعض المحدِّثين من كثرة الرواية ، فما كلَّ ولا ملَّ حتىٰ بلغ النهاية .

مشىٰ أحمد ابن حنبل من بغداد إلىٰ صنعاء ، وأنت تفتر في حفظ دعاء .

سافر أحدهم إلىٰ مصر ، غدوّه شهر ، ورواحه شهر ، في طلب حديث واحد ؛ ليدرك به المجد الخالد .

لولا المحنة . . ما دعي أحمد إمام السنة ، وصل بالجَلْد إلى المجد .

ووضع ابن تيمية في الزنزانة ، فبَزَّ بالعلم أقرانه .

واعلم أن الماء الراكد فاسد ؛ لأنه لم يسافر ويجاهد ، ولما جرى الماء.. صار مطلب الأحياء .

بقيت علىٰ سطح البحر الجيفة ؛ لأنها خفيفة ، وسافر الدر إلىٰ قاع البحر ، فوضع من التكريم على النحر .

يا كثير الرقاد ؛ أما لنومك نفاد ، سوف تدفع الثمن ، يا من غلبه الوسن .

تظن الحياة جلسة وكبسة ، ولبسةٌ وخلسة ، بل الحياة شرعة ودمعة ، وركعة ومحاربة بدعة .

الله أمرنا بالعمل ؛ لينظر عملنا ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ ، فالحياة عقيدة وجهاد ، وصبر وجلاد ، ونضال وكفاح ، وبر وفلاح .

لا مكان في الحياة للأكول الكسول ، ولا مقعد في حافلة الدنيا للمخذول .

ابدأ في طلب الأجر من الفجر ، قراءة وذكر ، أو دعاء وشكر ؛ لأنها لحظة انطلاق الطير من وكورها ، ولا تنس : « بارك الله لأمتي في بكورها » .

العالم في حركة ، كأنه شركة ، وقلبك خربة ، كأنك خشبة .

الطير يغرّد ، والقمري ينشد ، والماء يتمتم ، والهواء يهمهم ، والأسود تصول ، والبهائم تجول ، وأنت جثة على الفراش ، لا في أمر عبادة ولا معاش ، نائم هائم ، طروب لعوب ، كسول أكول .

استيقظ علىٰ نبرات الخطاب الشرعي ، ودعنا من وساوس الهاجس البدعي ؛ لأن الشريعة ، تدعو للهمة البديعة ، تقول لأتباعها : ﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ

أَصَابَهُمْ ﴾ ؛ لأنهم حملوا كتابهم ، وألقوا للعالم خطابهم ، فهداهم ربهم صوابهم .

وأهل السوالف ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ؛ لأن لهم في الضلالة سوابق ، فهم يتصيّدون كل مارق ، عن الحق آبق ، ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ ، فهَبُّوا وتركوا مضجعهم ، ولو أراد الله بهم خيراً .. لأغاثهم ، ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾ .

الفرس بهمته يعض لجامه ويلوك ، فركبه الملوك ، والحمار آثر المقام في الرباط ، فضرب بالسياط .

يقدم لك ابن جرير ، كتاب التفسير ، محققاً منقحاً ، مدبّجاً مصحّحاً ، ثم لا تصطفيه ، ولا تقرأ فيه .

ألّف ابن حجر « فتح الباري » في ثلاثين سنة ، فلله دره ما أجمل كتابه وأحسنه ، ثم تهمله في الرف ، كأنه دف ، مع الأسف .

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .

هٰذا الكافر مثابر ، كل يوم مغامر ، سيَّر في الأرض السيارة ، وأطار في السماء الطيارة ، جعل لغذائك ثلاجة ، ولمائك زجاجة ، وما لك عمل إلا أن تأكل وتشرب ، وتلهو وتلعب .

أنت تفتر والملائكة لا يفترون ، وتسأم العمل والمقربون لا يسأمون ، بم تدخل الجنة ؟! هل طعنت في ذات الله بالأسنة ؟ هل أوذيت في نصر السنة ؟

انفض عنك غبار الخمول ، يا كسول ، فبلال العزيمة أذّن في أذنك فهل تسمع ؟ وداعي الخير دعاك فلماذا لا تسرع ؟ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

ولا بد للهمم الملتهبة أن تنال مطلوبها ، ولا بد للعزائم المتوثبة أن تدرك مرغوبها ، سنة لا تتبدّل ، وقضية لا تتحوّل .

واعلم أن الهمة توقّد القلب ، واستسهال الصعب ، وركوب الخطب ، فالعذاب بالهمة عذب .

ومن عنده همة عارمة ، وعزيمة صارمة . . اقتحم بها أسوار المعالي ، وصار تاريخه قصة الليالي .

فقل للمتخلفين : اقعدوا مع الخالفين ؛ لأن المنازل العالية ، والأماني الغالية ، تحتاج إلىٰ همم موّارة ، وفتكات جبارة ؛ ليُنال المجد بجدارة .

وقل للكسول النائم ، والثقيل الهائم : امسح النوم من عينيك ، واطرد الكرىٰ من جفنيك ، فلن تنال من ماء العزة قطرة ، ولن ترىٰ من نور العلا خطرة ، حتىٰ تثب مع من وثب ، وتفعل ما يجب ، وتأتي بالسبب .

ألا فليهنأ أرباب الهمم ، بوصول القمم ، وليخسأ العاكفون علىٰ غفلاتهم في الحضيض ، فلن يشفع لهم عند ملكوت الفضل نومهم العريض ، وقل لهـٰؤلاء الراقدين : ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾ ، فهبّوا إلىٰ درجات الكمال نساءً ورجالاً ، ودربوا على الفضيلة أطفالاً ، وانفروا خفافاً وثقالاً .

* * *

فصبر جميل

الصبر قلعة حصينة لا يقتحمها جيش ، ولا يدخلها عدو ، والصبر جُنّة حصينة لا ينفذها سهم ، ولا يلجها نبل .

الصبر مجاهدة الإحباط ، ومراغمة الفشل ، ومنازلة الخطوب .

الصبر قبض على الجمر ، وستر للجرح ، وكتمان للمصيبة ، وتنسم للهواء .

الصبر زاد لا ينفد ، ومعين لا ينضب ، وصاحب لا يمل .

لا يُعالَج خور الطبيعة إلا بالصبر ، ولا يُضَمَّدُ جرح النفس إلا بالصبر .

إن الصبر مسلاة للهموم ، ومسرّة للمغموم ، وروح للمنهك ، وعزاء للمصاب .

إذا كان معك الصبر . . فلا عليك من عدَدِ العدو وعتاده، ولا مِنْ ناره وزناده، وتلقَّ الخطوب الكوالح وأنت ضاحك ، وصارع النكباتِ الدّهم وأنت باسم .

تنكَّرَ لِي خَصْمِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّنِي ... أَعِزٌّ وَأَحْدَاثُ ٱلزَّمَانِ تَهُونُ

فَبَاتَ يُرِينِي ٱلْخَصْمُ كَيْفَ عُتُوُّهُ ... وَبِتُّ أُرِيهِ ٱلصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ

من أضجَّت قلبه الأزمات . . فدواؤه الصبر ، ومن أدمت عينيه النكبات . . فضمادها الصبر .

تأتي الكربات ظلمات بعضها فوق بعض عاصفة ناسفة قاصفة ، فيأتي الصبر فيكشحها .

يتألف الحساد والشّامتون على المصاب المنكوب ، فيطوف عليهم طائف من الصبر ، فإذا هو يلقف ما يأفكون .

يومَ لا قريب يواسي ، ولا صديق يعزّي ، ولا صاحب يتفجّع ، ينوب الصبر عن الجميع ، ويتكلم بلسان الكل ، ويؤدِّي واجب الصحبة والقرابة .

والصبر الجميل لا شكوىٰ فيه ، فلا يخدش وجه محاسنه اعتراض ، ولا يلثم تاجه تسخط .

والصبر الجميل سكون للقضاء ، واطمئنان للعاقبة ، وانتظار للفرج ، واحتساب للأجر .

وقد يقعُ الصبرُ ولكن لا يكون جميلاً ، فلا يكتم صاحبه شكوىٰ ، ولا يُسِرُّ حديثاً ، ولا يدع معاتبَة .

الصبر غير الجميل : تحمّلٌ مع أنين ، وتجلّدٌ مع تكلّف ، وتصبّرٌ بلا تجمّل .

ولكن الصبر الجميل : هو حملُ المصيبة بصمت ، وتلقِّي الفاجعة بسكون ، وتقبُّل الصدمة برضاً .

لا يجد الشامت دليلاً على المصاب يُدانُ به ، ولا يرى الحاسد أثراً للنكبة على المنكوب فيرقصَ طَرَباً .

ومما يعين على الصّبر الجميل : اعتقاد فساد الحيلة في دفع القدَر ، وصحة العاقبة لمن احتسب وصبرَ ، والنظر فيما بقي من الخلف في النفس والولد والدين والمال ، ومشاهدة خيام أهل البلاء ، ومطالعة أدوية المصابين ، ففي كل وادٍ بنو سعد ، وما خلت جيبة من مصيبة ، ومع كل فرح ترح ، وعند الحَبْرة عبرة ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ .

ومن شاء أن يطالع دفتر الخليقةِ منذ النشأة ليرى النكبات تترىٰ ، والمصائب تتساقط ، ما بين مقتول ومخذول ، ومعزول ومبتول ، وما بين صائح ونائح وطائح ، وغريق وحريق وسحيق ، دول زالت ، ملوك ذلّت ، قصور هوَت ، جيوش أبيدت ، قرون سلفت ، حدائق ذبُلت ، دورٌ خلتْ ، مُهجٌ ذهبت ، ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ .

قال وزير شهير خطير كبير ، عُزِل ، ثم صُودِرَ ، ثم حُوسِبَ ، ثُمَّ سُجِنَ ، ثم قُتِل ، فلمَّا خرجوا به إلىٰ ساحة الإعدام . . تبسَّم ثم أنشد :

فَمَنْ كَانَ عَنِّي سَائِلاً بِشَمَاتَةٍ ... وَمَنْ كَانَ عَنِّي شَامِتاً غَيْرَ سَائِلِ
فَقَدْ أَظْهَرَتْ مِنِّي ٱلْخُطُوبُ ٱبْنَ حُرَّةٍ ... صَبُوراً عَلَىٰ أَهْوَالِ تِلْكَ ٱلزَّلَازِلِ

الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن لا رأسَ له . . لا جسدَ له ، ومن لا صبر له . . لا إيمان له .

هـٰذا شاعر يفجع بأبنائه السبعة يموتون مرة واحدة ، فيطعن سبع طعنات نجلاء ، ولكنّه يراجع الصبر ويثوب إلى الرشد ، ويترنّم :

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ ... أَنِّي لِرَيْبِ ٱلدَّهْرِ لاَ أَتَضَعْضَعُ

فهو الصمود والإصرار ، والإباء والتحدِّي للشامتين ، وإظهار التجمل والسرور بالمقدور ، والرضا بالقضاء ، والتسليم للعزيز الحكيم .

الطاعة لا بد لها من صبر ؛ لتكون تماماً على الذي أحسن ، فبالصبر يحسن أداؤها ، ويعظم إخلاصها ، ويتجلَّىٰ صدقها ، وبعدم الصبر تكون جسماً بلا روح ، وصورة بلا مضمون ، وألفاظاً بلا معانٍ .

المعصيةُ لا تُقاوَمُ إلا بالصبر ؛ لئلا تضعف النفس ، ويخور القلب ، وتقع الواقعة .

فبالصبر لا تجد المعصية إلى القلب سبيلاً ، ولا تقيم علىٰ خسّة الطبع دليلاً ، بل تعود المعصية من حيث أتت ، فينهزم شيطانُها المريد ، ويخسأ إبليسها العنيد .

وبعدم الصبر تقع النفس في وَضَر الخطيئة ، وتتدنّس الروح بأوحال الذنب ؛ لأن النفس هزمت في مصافّ المحاربة ، وأسرت في فيلق المطالبة .

المصيبة لا تواجَه إلا بصبر ؛ لتخفّ الوطأة ، وتسهل الرزيّة .

إذا عُدِمَ الصبر . . صارت المصيبة مصيبتين ، والنكبة نكبتين .

وإذا عدم الصبر . . زلزلت النفس زلزالها ، وصاح نذير الهلع : ما لها ؟!

وإذا حصل الصبر . . حلَّ الأجر ، ونبل الذكر ، وانشرح الصدر .

ويوم يحضر الصبر مع المصيبة ، تصبح الخسائر أرباحاً ، والمغارم مغانماً ، والأتراح أفراحاً .

من أراد الحياة بلا صبر . . فقد أرادها علىٰ غير طبيعتها ، ورآها علىٰ غير صورتها ، فهو مستظل بالخيال ، صاحب أوابد وأمثال ، فرَّ من اليقظة إلى المنام ، ومن الحقائق إلى الأحلام .

من عنده صبر فليَدَعِ الناس جانباً ، فقد حان نصرُه ؛ لأن النصر مع الصبر ، وقَرُبَ فرجه ؛ لأن الفرجَ مع الكربِ ، ودنا يُسْره ؛ لأنّ مع العسر يُسراً .

ورد الصبر في القرآن علىٰ أضرب : أتىٰ بصيغة الأمر ، والمدح له ، ومدح الصابرين ، وذكر أجرهم عند ربهم ، والإشادة بحسن فعلهم ، وذكر سلام الملائكة عليهم ، وصلوات الله ورحمته لهم ، وعرض أوصافهم ، فهم أهل حظ عظيم ، ومهتدون ، وفعلهم من عزم الأمور ، فهنيئاً لهم .

الصابر يعيش بصبره في نعيم ، والجازع يعيش بجزعه في جحيم ، سجن

الصَّابر جُنَّة ، وبليتُه عطيَّة ، ومحنته منحة ، وفقره غنىٰ ، ومرضُه عافية .

صبر آدم علىٰ مفارقة الوطن الأول من الجنة ، وصبر نوح علىٰ فقد الولد ، وصبر إبراهيم علىٰ مقام ذبح الابن ، وصبر يعقوب علىٰ فراق يوسف ، وصبر موسىٰ علىٰ أذى الطاغية ، وصبر داوود علىٰ مرارة الندم ، وصبر سليمان علىٰ فتنة الدنيا ، وصبر عيسىٰ علىٰ ألم الفقر .

وأما رسولنا صلى الله عليه وسلم . . فصبر عليها كلها ، وعاشها كلها ، وذاقها كلها ؛ ففاز بالمقامات كلها ؛ صبر علىٰ فراق الوطن ، ومراتع الفتوة ، وملاعب الصبا ، وربوع الشباب ، فترك الأهل والعشيرة ، والدار والمال .

وصبر علىٰ فقد الولد ، فسالت أرواح أبنائه بين يديه ، وقعقعت أنفسهم أمام ناظريه .

وصبر علىٰ ألم الأذىٰ ، فأوذي في المنهج والوطن ، والسمعة والخُلُق ، والرسالة والزوجة .

وصبر علىٰ شماتة العدو ، وتنكّر الصديق ، وعقوق القريب ، ونيل الحاسد ، وتشفِّي الحاقد ، وتألُّب الخصوم ، وتكالُبِ الأحزاب ، وتكاثُر المناوئين ، وصولة الباطل ، وقلّة الناصر .

وصبر علىٰ شظف العيش ، وجفاف الفقر ، ومضض الحاجة ، وقلّة ذات اليد ، وجدب النفقة ، وعوز المعيشة ، وحرارة الجوع ، ومرارة الفاقة .

وصبر علىٰ غلبة الخصم ، وقتل القريب ، وأسر الحبيب ، وتشريد الأصحاب ، والتنكيل بالأتباع ، والجراح في البدن ، وفزع التهديد والوعيد ، وقعقعة الغارات ، وأهوال الغزوات .

وصبر علىٰ بطر الأغنياء ، وزهو الكبراء ، وشراسة الأدعياء ، وجلافة

الأعراب ، وصلف الجهلة ، وسوء أدب الجفاة .

وصبر علىٰ خيانات اليهود ، ومراوغة المنافقين ، ومجابهة المشركين ، وبطء استجابة المدعوّين .

ثم صبر علىٰ فرح الفتح ، وسرور الانتصار ، وجلبة إقبال الدنيا ، وإذعان الملوك ، واستسلام الجبابرة ، ودخول الناس في دين الله أفواجاً .

صبر وهو يرى الكنوز تفرَّغ في أوعية الناس ، فلم يأخذ منها درهماً واحداً .

وصبر وهو يشاهد القناطير المقنطرة من الذهب والفضة يتقاسمها الناس ، ولم يحمل منها قطميراً .

صبر وهو يحوز قطعان الإبل والبقر والغنم كالآكام ، ثم يوزعها علىٰ مُسلمة الفتح ، ولم يظفر بجمل أو بقرة أو شاة .

وصبر علىٰ سكنىٰ بيت الطين ، وعلىٰ أكل الشعير ، وعلى افتراش الحصير ، وعلىٰ ركوب الحمار ، وعلىٰ لباس الصوف .

الأب مات ولم يره ، والأم توفيت ولم تتم رضاعه ، والجد فارق الدنيا ولم يحطه برعاية ، والعم ذهب وقت النضال ، وخديجة ودّعت يوم الحزن ، والابن سالت روحه يوم تمام الحب ، وعائشة تُرمىٰ ساعة كمال الأنس ، وحمزة يُقتل زمن المصاولة .

أنِسَ بالمدينة فنغَّصَ عليه المنافقون أُنسَه ، استبشرَ بالنصر في بدر فأسرعته غصة الألم في أُحد ، أزهر وجهه كالقمر ليلة البدر فشجّ بالسِّهام ، وتلألأت أسنانه كالبرد فكسرت ثنيتُه في المعركة ، سبقت ناقته الإبل فسبقها أعرابي علىٰ قعود .

ليبقىٰ أجره في الآخرة موفوراً ، وسعيُه عند ربِّه مشكوراً ، وليلقىٰ وليَّه ومعبوده مسروراً ، ليجتمع له الثواب كله ، أوَّله وآخِره ، قديمه وحديثه ، في مقعدِ صدقٍ عندَ مليكٍ مقتدر .

واستحقَّ ذلك ؛ لأنه صبر ، فله الزُلفىٰ ، وتمام الرفعة ، والوسيلة ، والفضيلة ، والمنازل الجليلة ؛ لأنه صبر .

وله المقام المحمود ، والحوض المورود ، واللواء المعقود ؛ لأنّه صبر .

وله الشفاعة ، والخطاب ، والقرب ، والحظوة ؛ لأنه صبر .

كذبوه ، شتموه ، سبّوه ، آذوه ، فنزل : ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ .

حاربوه ، نازلوه ، شرّدوه ، طاردوه ، قاتلوه ، فنزل : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ .

هجروه ، وأعرضوا عنه ، وصدُّوا عن سبيله ، ووقفوا في طريقه ، فنزل : ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا ﴾ .

طال عليه المدىٰ ، ترقّب النصر ، كثر العدو ، تزاحمت النكبات ، فنزل : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ .

ردَّ عليه قومه أقذع رد ، وأفظع جواب ، وأبشع خطاب ، وأقبح مواجهة ، فنزل : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ .

فصبر صلى الله عليه وسلم صبراً جميلاً في كل مقامات العبودية ، صبر في رضاه وغضبه ، وسلمه وحربه ، وغناه وفقره ، فصار إمام الصابرين ، وقدوة الشَّاكرين .

اللهم ؛ ثبِّتنا علىٰ سنته ، ووفقنا لسيرته ، وانصر بنا دعوته .

* * *

علامة العصر

للقلب من ذكره اهتزاز ، وللقصيد في مدحه ارتجاز ، تفرّد بالمكرمات وامتاز ، وحظي بحسن الثناء وفاز ؛ إنه **عبد العزيز بن باز** .

أوصلته الهمة ، إلىٰ إمامة الأمة ، وبلغته العزيمة المنـزلة الكريمة ، ودلته السنة ، طريق الجنة .

خلق أرق من النسيم ، وعلم أعذب من التسنيم ، كلامه يوشىٰ بالأثر ، كأنه در انتـثر .

ابن باز : اتباع لا ابتداع ، وقبولٌ عم البقاع ، وفضله كلمة إجماع ، مع اعتصام بالدليل ، واهتمام بالتأصيل ، وبراعة في التحصيل .

يشرفه تحقيق في النقل ، وسداد في العقل .

جُمع له مع كرم الطبيعة ، رسوخ في الشريعة .

هجر في طلب العلم الرقاد ، فحصل واستفاد ، وأخذ الرواية بالإسناد ، حتىٰ ترأّس وساد ، وعم علمه البلاد والعباد .

ابن باز : علىٰ نهج السلف ، بلا تنطع ولا صلف ، روح بالتقوىٰ طاهرة ، ونفس بالعلوم باهرة ، أعذب من ماء السحاب ، وأرق من دمع الأحباب .

ابن باز : في هـٰذا العصر إمام الغرباء ، وعالم الأولياء ، وزاهد العلماء .

تقلد ابن باز أرفع المناصب ، فكان آية في أداء الواجب .

حضرت له مجالس وموائد ، وحملت عنه فوائد ، وألقيت عليه قصائد ، ورويت عنه فرائد .

لما جاء خبر وفاة هٰذا الإمام . . تعثرت به الأفواه ، وتلعثمت به الشفاه ، وقال القلب : هٰذا خبر لا أقواه ، وقالت النفس : ما أشد هٰذا المصاب على القلب وما أقساه .

ابن باز : بَزَّ بعلمه الأعلام ، وأتعب بسيرته الأقلام ، وأهدىٰ عمره للإسلام ، وكَفَلَ بكرمه الأيتام .

لو رآه يحيى بن معين . . لقال : مرحباً بعلم الإسناد ، ولو أبصره حاتم الطائي . . لقال : أهلاً يا سيد الأجواد ، ولو لقيه الأحنف بن قيس . . لقال : منكم الحلم يستفاد .

ابن باز : بَزَّ الأقران ، بطاعة الرحمٰن ، وعلم السنة والقرآن ، وإكرام الضيفان ، واحترام الإخوان ، وبر الأقارب والجيران .

إن زرته . . غمرك بالإكرام ، وأتحفك بالاحترام ، وآنسك بطيب الكلام ، وضيّفك ألذ الطعام ، وعلّمك الآداب والأحكام ، فهو يجمع الجودين ، وبما تقوم الدنيا والدين .

ابن باز : أبو الدعاة ، وشيخ القضاة ، وناصح الولاة ، تحبه لتقواه ، وتحترمه لفتواه .

حاضر في الجامعات ، وتشرفت به المحاضرات ، وتعطرت بعلمه الندوات ، وطابت بلقائه الأمسيات ، وسعدت بوجوده الجلسات ، غنيّ في زيّ فقير ، وزاهد في موكب أمير ، ومفتٍ في منصب وزير ، حمل كل أمر خطير ، فكان نعم المشير ، وصاحب الرأي الفطير والخمير ، عليه بسمة في

وقار ، ولين في إصرار ، ودأب في استمرار .

السنة له شعار ، والصلاح له دثار ، وعليه من السكينة أنوار .

لم يكن لسانه كالمقراض للأعراض ، ولم يكن له ارتياض في جلب المال والأغراض .

ابن باز : نفع للخليقة ، وإدراك للحقيقة ، ولزوم الطريقة .

عدل في الأحكام وإنصاف ، وتواضع تعنو له الأشراف ، وكرم تشهد به الأضياف .

أثبت ابن باز أن العلم يشرّف من حمله ، وأن المال يسوّد من بذله .

ليس في قاموس ابن باز أن الجود يُفقِر ، بل صاحبه يُشكَر ، وبالخير يُذكَر .

تميز ابن باز بالتعمق في الأثر ، والغوص على الدرر ، مع تصحيح الخبر ، وصحة النظر .

ابتعد ابن باز عن شقشقة علماء الكلام ، وعقعقة الفلاسفة الطغام ، وتشدق أهل المنطق اللئام .

ولم يكن يسقط على السقطات ، ولا يلقط الغلطات ، بل كان يدفن المعائب ، ويذكر المناقب ، فملأ الله بمحبته القلوب ، وطار ذكره في الشعوب .

فالعلم عنده حديث وآية ، ونور وهداية ، وعمل لغاية ، واستعداد لنهاية ، أعرض عن مذاهب المبتدعة الضلال ، وأهل الدنيا الجهال ، وأساطين القيل والقال ، وهجر الجدال ، فسلم من همز الرجال .

ليس في مجلسه أرقام الأسعار ، ولا فضول الأخبار ، ولا غرائب

الأقطار ، ولا عجائب الأمصار ، وإنما كلام العزيز الغفار ، وحديث النبي المختار ، وما صح من آثار ، « كمثل حامل المسك ؛ إما أن تبتاع منه ، وإما أن يتحفك بطيبه » .

زهد ابن باز زهد متواضع ، لم يشر إليه بالأصابع ، ويعلن على الملأ في المجامع ؛ لأن الدنيا عنده أهون من أن يعظم الزهد فيها ، وأحقر من أن يمدح النظر إليها ، فكان زهده صامتاً ، وتواضعه ساكتاً .

خدمته ألسنة الخلق بإعلان الفضائل ، وأحبته قلوب الناس فوعت تلك الرسائل .

أفضل شيء في العالِم : مراقبة الجليل ، والعمل بالتنـزيل ، والاستعداد للرحيل ، والرضا بالقليل ، وكذلك كان ابن باز ، ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ .

وأحب شيء في الولي : المحافظة علىٰ تكبيرة الإحرام ، والكف عن الحرام ، والرحمة بالأنام ، وسلامة الصدر من حب الانتقام ، وطهارة الثوب من الآثام ، وكذلك كان ابن باز .

كانت دعوته حُسبة ، وعمله قُربة ، فصار إماماً في زمن الغُربة .

وأكرم شيء في الرجل : بسمة علىٰ محياه ، وصدقه في مسعاه ، وثباته في خطاه ، وإخلاصه في إعلانه ونجواه ، وكذلك كان ابن باز .

وأحسن شيء في الإنسان : طهارة الضمير ، والاستعلاء عن كل حقير ، واحترام الكبير ، ورحمة بالصغير ، وعطف على الفقير ، وكذلك كان ابن باز .

العلم ليس متوناً تحفظ ، ولا خطباً تلفظ ، ولكنه خشية وخشوع ،

وتواضع وخضوع ، واتباع في الأصول والفروع ، وكذلك كان ابن باز ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .

والعلم ليس شهادات تُعلّق ، ولا مناصب تُتسلّق ، ولا دنيا تُعشق ، ولكنه تقوىً ومراقبة ، وورع ومحاسبة ، وتنبيه للغافل ، وتعليم للجاهل ، وكذلك كان ابن باز .

عرفنا مِن العلماء مَن اشتهر بالخطابة ، والذكاء والنجابة ، وسرعة البديهة والإصابة ، وهٰذا أعظم ما يذكر به .

وعرفنا مِنَ العلماء مَن عندهم فهم ثاقب ، ونظر صائب ، وذهن يغوص على العجائب ، ثم ليس يذكر إلا بهٰذا .

وعرفنا مَن عنده حافظة قوية ، وفي صدره متون مروية ، وفي ذاكرته علوم محكية ، ثم هٰذا غاية ما عنده .

ولكن ابن باز حافظة بفهم ، وذاكرة بعلم ، وسداد في روية ، وثبات مع حسن طوية .

معه حجة ناطقة ، ونية صادقة .

بلغ ابن باز منـزلة لا يرفعه المدح ، ولا يضعه القدح ، فاستوىٰ عنده الثناء والهجاء ، ولم ينفعه مدح الأصدقاء ، وما ضره ذم الأعداء ؛ لأنه يعامل رب الأرض والسماء .

ليس في قاموس ابن باز تفصّح ولا تبجّح ولا تمدّح .

لا يحب الإطراء والمراء والإغراء ، لا يتزلف عنده برنين الدعاية ، ولا يتقرب لديه برخيص السعاية ؛ لأنه قد حقق الولاية .

ليس العلم عند ابن باز بالتفاصح ، والتمادح ، والزهو بالمشالح ،

والحرص على المصالح ، بل العلم لديه حمل الشريعة في إخبات ، وطلب الفائدة بإنصات ، والعمل بالحجة في ثبات .

العالم من عن الحرام كف ، وعن الشهوات عف ، وقال علىٰ غرور الدنيا : تف ، وكذلك كان ابن باز .

ابن باز من مدرسة التجديد ، وليس من أهل التقليد ، بل هو صاحب حجة ، سالك المحجة ، معتصم بالبرهان ، عالم برضا الرحمٰن ، ليس بمتعصب للمذهب ، بل يتبع الحق أينما وجد ، ولا يتجاوز الدليل إذا صح السند .

صحبت هٰذا الشيخ فلم أر فيه عجرفة المتطاولين ، ولا تخرص المتقوّلين ، ولا ترخص المتأولين ، ولا غرور الجاهلين ، بل دأب في تحصيل الفضيلة ، وحرص على الصفات الجليلة ، واتصف بالأخلاق الجميلة .

كان الشيخ يحترم الأئمة السالفين ، ولم يكن يجرّح المخالفين ، بل كان رفيقاً مما جعل الناس له مؤالفين .

* * *

وفي كتاب « الأخلاق والسير » لابن حزم :

لذة العاقل بتمييزه ، ولذة العالم بعلمه ، ولذة الحكيم بحكمته ، ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده . . أعظم من لذة الآكل بأكله ، والشارب بشربه ، والواطيء بوطئه ، والكاسب بكسبه ، واللاعب بلعبه ، والآمر بأمره .

وبرهان ذلك : أن الحكيم العاقل والعالم والعامل واجدون لسائر اللذات التي سمينا ، كما يجدها المنهمك فيها ، ويحسونها كما يحسها المقبل عليها ، وقد تركوها وأعرضوا عنها ، وآثروا طلب الفضائل عليها ، وإنما يحكم في الشيئين من عرفهما ، لا من عرف أحدهما ولم يعرف الآخر .

إذا تعقبت الأمور كلها . . فسدت عليك ، وانتهيت في آخر فكرتك باضمحلال جميع أحوال الدنيا ، إلىٰ أن الحقيقة إنما هي العمل للآخرة فقط ؛ لأن كل أمل ظفرت به فعقباه حزن ، إما بذهابه عنك ، وإما بذهابك عنه ، ولا بد من أحد هـٰذين الشيئين ، إلا العمل لله عز وجل ، فعقباه علىٰ كل حال سرور في عاجل وآجل ، أما العاجل . . فقلة الهم بما يهتم به الناس ، وإنك به معظم من الصديق والعدو ، وأما في الآجل . . فالجنة .

فاحرص علىٰ أن توصف بسلامة الجانب ، وتحفَّظ من أن توصف بالدهاء فيكثر المتحفظون منك ، حتىٰ ربما أضرّ ذلك بك ، وربما قتلك .

وطّن نفسك علىٰ ما تكره. . يقلّ همك إذا أتاك ، ويعظم سرورك ويتضاعف إذا أتاك ما تحب مما لم تكن قدرته .

إذا تكاثرت الهموم. . سقطت كلها .

الغادر يفي للمَجْدود ، والوفي يغدر بالمحدود ، والسعيد كل السعيد في دنياه من لم يضطره الزمان إلى اختبار الإخوان .

لا تفكر فيمن يؤذيك ؛ فإنك إن كنت مقبلاً. . فهو هالك ، وسعدك يكفيك ، وإن كنت مدبراً. . فكل أحد يؤذيك .

طوبىٰ لمن علم من عيوب نفسه أكثر مما يعلم الناس منها .

الصبر على الجفاء ينقسم ثلاثة أقسام : فصبر عمن يقدر عليك ولا تقدر عليه ، وصبر عمن تقدر عليه ولا يقدر عليك ، وصبر عمن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك .

فالأول : ذل ومهانة ، وليس من الفضائل ، والرأي لمن خشي ما هو أشد مما يصبر عليه : المتاركة والمباعدة .

والثاني : فضل وبر ، وهو الحلم على الحقيقة ، وهو الذي يوصف به الفضلاء .

والثالث : ينقسم قسمين : إما أن يكون الجفاء ممن لم يقع منه إلا علىٰ سبيل الغلط ويعلم قبح ما أتىٰ به ويندم عليه ، فالصبر عليه فضل وفرض ، وهو حلم على الحقيقة ، وأما من كان لا يدري مقدار نفسه ، ويظن أن لها حقاً يستطيل به ، فلا يندم علىٰ ما سلف منه. . فالصبر عليه ذل للصابر ، وإفساد للمصبور عليه ؛ لأنه يزيد استشراء ، والمقارضة له سخف ، والصواب إعلامه بأنه كان ممكناً أن ينتصر منه ، وأنه إنما ترك ذلك استرذالاً له فقط ، وصيانة عن

مراجعته ، ولا يزاد علىٰ ذلك . وأما جفاء السفلة . . فليس جزاؤه إلا النكال وحده .

من جالس الناس . . لم يعدم هماً يؤلم نفسه ، وإنما يندم عليه في معاده ، وغيظاً ينضج كبده ، وذلاً ينكس همته ، فما الظن بعد بمن خالطهم وداخلهم؟

والعز والراحة والسرور والسلامة في الانفراد عنهم ، ولكن اجعلهم كالنار تدفأ بها ، ولا تخالطها .

لو لم يكن في مجالسة الناس إلا عيبان . . لكفيا ، أحدهما : الاسترسال عند الأنس بالأسرار المهلكة القاتلة ، التي لولا المجالسة . . لم يبح بها البائح ، والثاني : مواقعة الغلبة المهلكة في الآخرة .

فلا سبيل إلى السلامة من هاتين البليتين إلا بالانفراد عن المجالسة جملة .

لا تحقر شيئاً من عمل غد أن تحققه بأن تعجله اليوم وإن قل ؛ فإن من قليل الأعمال يجتمع كثيرها ، وربما أعجز أمرها عند ذلك فيبطل الكل .

لا تحقر شيئاً مما ترجو به تثقيل ميزانك يوم البعث أن تعجله الآن وإن قل ؛ فإنه يحط عنك كثيراً لو اجتمع . . لقذف بك في النار .

الوجع والفقر والنكبة والخوف ، لا يحسُّ أذاها إلا من كان فيها ، ولا يعلمه من كان خارجاً عنها . وفساد الرأي والعار والإثم لا يعلم قبحها إلا من كان خارجاً عنها ، وليس يراه من كان داخلاً فيها .

الأمن والصحة والغنىٰ ، لا يعرف حقها إلا من كان خارجاً عنها ، وليس يعرف حقها من كان فيها . وجودة الرأي والفضائل وعمل الآخرة ، لا يعرف فضلها إلا من كان من أهلها ، ولا يعرفه من لم يكن من أهلها .

أول من يزهد في الغادر : من غدر له الغادر ، وأول من يمقت شاهد

الزور : من شهد له به ، وأول من تهون الزانية في عينه : الذي يزني بها .

ما رأينا شيئاً فسد فعاد إلىٰ صحته إلا بعد لأي ، فكيف بدماغ يتوالىٰ عليه فساد السكر كل ليلة ؟ وإن عقلاً زين لصاحبه تعجيل إفساده كل ليلة ، لعقل ينبغي أن يتهم .

الطريق تبرم ، والرزايا تكرم ، وكثرة المال ترغب ، وقلته تقنع .

* * *

نقوش على البيت الأبيض

قال الراوي : يا عائض ؛ دعنا من الردود والنقائض ، فإنا نرى الفجر وشيكا ، فحدثنا عن أمريكا .

قلت : الله المستعان ، وهو عظيم الإحسان ، ممدوح بكل لسان .

لقد سافرنا قبل مدّة ، من أبها إلىٰ جِدة ، في صحبةٍ بالصدق معروفون ، وبالخير موصوفون ، فكنا قرابة العشرة ، قاصدين بلاد الكفرة ، فلما ودّعنا البلاد ، وحملنا الزاد والمزاد . . أنشد شاعرنا بصوت جميل ، ودموعه تسيل :

سَقَى ٱللهُ أَرْضاً لاَمَسَ ٱلْوَحْيُ أَرْضَهَا

ثم مشينا مع الجموع السائرة ، حتىٰ ركبنا الطائرة ، فرأينا الكبتن ، كأن خده لبتن ، أحمر الوجنتين ، أزرق العينين ، فلما طرنا مقلعين ، وسافرنا مسرعين ، قاربنا السحاب ، وللطائرة أزيز وانتحاب ، فنظرنا إلى القمر المضاء ، وطالعنا كتاب الفضاء ، فبهرنا ذاك الصنيع ، والخلق البديع ؛ من شمس تسطع ، وقمر يلمع ، ونجوم زواهر ، وبحار زواخر ، الأرض مكوّرة ، والسماء مدوّرة ، والكون ليس عاطلاً ، فسبحانك ما خلقت هـٰذا باطلاً ، وسمعت للركاب تصدية ومكاء ، قلت : أين أنت يا بكاء ؟

فلما اقتربنا من تلك الولايات . . قرأنا بعض الآيات ، وأنشدنا شيئاً من الأبيات ، وهبطنا في مطار جون كندي ، ودثّرت من شدة البرد جسدي ، وأصبحنا من البرد في ثلاجة ، حين وصلنا ديار الخواجة ، وانتظرنا في صف

عريض ، بين سود وبيض ، والجوّ من أفعال أولـئك مريض .

ثم سمعنا أمريكياً يرطن ، يقول : هيّا إلىٰ واشنطن ، فغادرنا المحل والسكن ، وركبنا مع شركة بان أمركن ، فحززنا أجسامنا بالرباط حزّا ، وهزتنا الطائرة هزّا ؛ لأن قائدها أهوج ، قلبه مثلّج ، فكل راكب بالخوف مدجّج ، فكأنها من الركاب فاضية ، ونادىٰ بعضنا : يا ليتها كانت القاضية ، أما الأمريكان . . فما كأنّ شيئاً كان ، فهم في لهوهم يضحكون ، وإذا مروا بنا يتغامزون ، فما أدري ، والطائرة تجري ، هل تعجبوا من جزعنا ، وسخروا من فزعنا ، وأنكروا هلعنا ؟

فليتهم يعلمون ، وعن غيّهم يرجعون ، أن أجدادنا نحن أهل الجباه السمراء ، والغتر الحمراء ، كانوا بالتوحيد فاتحين ، وعلىٰ أمواج البحار سابحين ، قلوبهم مصاحف ، وبيوتهم للفضائل متاحف ، يحملون الأرواح على السراح ، إذا نادى المنادي : السلاح السلاح .

أما علمتم أنا أتباع محمد ، خير من تعبّد ، وصام وتهجّد ، ومنّا الخلفاء الأصفياء ، الأوفياء الشرفاء ، ومنّا العلماء الكرماء الحلماء ، والسادة أهل الإفادة ، والرفادة ، والوفادة .

نحن حملة المحابر ، وأصحاب الدفاتر ، وروّاد المنابر .

فضحكوا ساخرين ، والتفتوا لقوم آخرين ، وقالوا : قطعتْـكم الأماني ، وأشغلتْـكم الأغاني ، يا ضرّابة العود ، ويا رعاة القعود ، ليلكم طرب ، ونهاركم لعب ، يا بلاد الفنانين والفنانات ، والمغنين والمغنيات ، الأحياء منهم والأموات . . .

قلنا : كذبتم ورب المشارق والمغارب ، ولا يكتم الحق إلا كاذب ، أين

أنتم يوم فتحت لنا السماء ، وكتب تاريخَنا الحكماء ، يوم عشنا في العالم رحماء ، وحكمنا الدنيا حلماء ، وملأنا المعمورة علماء ؟

فقالوا : تلك أمة قد خلت ، وحقبة سلفت ، وقد نامت النعجة في مربض الأسد ، لما نسيتم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، أخذتم من الغرب قشوره ، وما صنعتم للعالم طبشورة ، وأخبار لعبكم ولهوكم منشورة .

قلنا : فاتكم الصواب ، وأخطأتم في الجواب ، فأنتم الذين تركوا العالم هشيماً ، أَمَا دمرتم نجزاكي وهيروشيما ، أهلكتم النسل والذرية ، بالقنابل الذرية ، حكمتم بلا شريعة ، وأحللتم المخالفات الفظيعة ، ونشرتم كل عادة خليعة ، هجرتم الذكر ، ونسيتم الشكر ، وأبحتم السكر .

فقال قائل منهم ، وتحدث كاتب عنهم ، فذكر لنا صناعتهم ، وشرح لنا بضاعتهم ، وقال : أَمَا ملأنا البر حتىٰ ضاق عنّا ، وحكمنا البحر بقوة منّا ، أما صنعنا الطيارة ، أما هندسنا السيارة ، أما سهلنا التلفون ، ويسرنا التلفزيون ، واستفدنا من ذبذبات الأمزون ، أما صنعنا للعين زجاجة ، وللطعام ثلاجة ، وللطفل درّاجة ، ضخّمنا بالميكروسكوب الهباء ، وأضأنا الليل بالكهرباء ، أجدنا الدفاع والهجوم ، وبلغنا بالاختراع النجوم ، هبطنا على القمر ، واكتشفنا الماس من الحجر .

قلنا : رفضتم الإيمان ، وهجرتم القرآن ، وأطعتم الشيطان ، هدمتم المساجد ، وشيدتم للفجور المعابد ، أنفقتم المليارات على البارات ، وعرضتم للناس الغانيات ، وملأتم المراقص بالمغنيات ، المخمور في شوارعكم يخور ، والكأس علىٰ رؤوسكم تدور ، الأبيض عندكم مقدس والأسود مقهور ، البنوك لديكم مرابية ، والأسواق في بلدكم لاهية ،

ومجالسكم لاغية ، ملحدون لا موحدون ، متفرقون لا متحدون ، ليس لديكم إسلام ، ولا صلاة ولا صيام ، ولا حلال ولا حرام ، شهواتكم وثّابة ، وألسنتكم كذابة ، كأنكم في غابة ، قتلت عندكم المبادىء في النوادي ، وفي كل يوم للرذيلة لديكم ألف منادٍ .

أين الاعتراف بالاقتراف ؟ أين الكفاف والعفاف ؟ غارقون في المادة ومن الفضيلة أجلاف ، لا وضوء ولا طهارة ، ولا مسجد ولا منارة ، بل أنتم أصحاب حانوت وخمّارة ، للدماء سفكتم ، وللأعراض هتكتم .

فقال : دعنا من الأشعار ، ولا تلصق بنا العار ، فما يرتفع الدخان إلا من النار ، أما تشاهدون تقدمنا ، أما ترون ، ما لكم لا تنظرون ؟! غزونا المريخ ، وأنتم تعيدوننا إلى التاريخ ، فماذا فعلتم في قديم الزمان ؟ تكلموا ولكم الأمان .

فقلنا : سبحان الملك القدوس ، ما أظلم هٰذه النفوس ، أليس علىٰ أرضنا الوحي هبط ، وفي ديارنا غيث الرسالة سقط ، ومنا عرفت الهداية فقط .

أليس منّا الصدّيق وعثمان ، وعمر وثوبان ، وعليّ وسلمان ، وبلال وحسّان ، منّا خالد المقدام ، والقعقاع الصمصام ، ومنّا همّام ، وأبو تمام ، ومنّا أويس ، والأحنف بن قيس ، وأسماء بنت عميس .

أما صفق لقدومنا الفرات والنيل ، وهلل لطلعتنا مضيق الدردنيل ، نحن أساتذة الأكراد والتركمان ، ومعلمو الإنجليز والألمان .

أما اندهش من عبقريتنا شارلمان ، وبسماحة الصّدّيق فتحنا الطريق ، بدرة الفاروق أدبنا أهل العقوق ، بصدق أبي ذر قلنا الحق وهو مرّ .

منّا الرشيد الذي تحدّى السحاب ، وملك من طنجة إلى البنجاب ، ومنّا المعتصم الذي فتح عمورية ، ونسخ الدولة الآشورية .

منّا السعدان والسعيدان ، والسفيانان ، والحمادان ، ومنّا البخاري ، وصاحب « فتح الباري » ، ومؤلف « لامع الدراري » ، وشارح « هدي الساري » .

بعثنا للعالم مبشرين ، وخرجنا للناس ميسرين ، أذقنا العباد طعم الحرية ، وأعتقنا العالم من المنظمات السرية ، أذنّا في الحمراء ، وصلينا في الزهراء ، ربطنا خيولنا علىٰ ضفاف اللوار ، وسجدنا علىٰ صحراء سنجار ، وتلونا القرآن علىٰ جبال قندهار ، رفعنا الإيمان في الهند ، ونشرنا المعرفة في السند ، أسرنا الجبابرة ثم أعتقناهم ، وملكنا الأكاسرة ثم أطلقناهم ، نكبّر فتسقط القلاع ، نؤذّن فتهتز التلاع ، نقرأ فتطرق الأسماع .

لبسنا الثياب المرقعة ، والأحذية المقطعة ، ففتحت لنا البلاد ، ورحب بنا العباد .

ليلنا قيام ، ونهارنا صيام ، في الدجىٰ رهبان ، وفي الميدان فرسان ، على المنابر سادة ، وفي المعارك قادة .

ساوينا بين الأمراء والفقراء ، والحقراء والكبراء ، أنصفنا الشاة من الذيب ، وعلّمنا الوحوش التهذيب .

نحن شموس العلوم، ونجوم الفهوم، ربطنا علىٰ بطوننا الحجارة من الجوع، وبللنا مواطن السجود بالدموع ، وكنّا في صلاتنا كالسواري من الخشوع .

نتوضأ فتتناثر منّا الخطايا ، نغنم فتسيل من أيادينا العطايا ، نرتل القرآن فتقف علىٰ أصواتنا المطايا .

نادىٰ منادينا ، علىٰ سنة هادينا : يا أيتها النفوس من الموت اشربي ، ويا خيل الله اركبي ، فجمّد الله لنا الماء ، وظلّل علينا الغمام في السماء .

منّا من اهتز لموته عرش الرحمـٰن ، ومنّا من كلّمه الله بلا ترجمان ، ومنّا من غسّلته الملائكة يوم التقى الجمعان ، لا نكذب ولو أنّ السيوف على الرؤوس ، ولا نسرق ولو أنّ الجوع يمزق النفوس ، اسمعوا ماذا قال كاتبكم وله منكم معجبون ، أعني جوستاف لوبون : ما عرف العالم فاتحاً أعدل من العرب ، فهم أهل الرحمة والحلم والأدب .

أمّا ما ذكرت من تخلفنا هـٰذه الأيام. . فهو لضعف تمسكنا بالإسلام ، ملأنا الكروش ، وشاهدنا الدشوش ، وزينا الرموش ، وجمعنا القروش .

اشتغلنا بالمراسلات ، وسهرنا مع المسلسلات ، فأصبحنا في سلاّت المهملات ، والخانات الفارغات .

أحببنا الكرسي ، وعشقنا التبسي ، وأدمنا البيبسي ، وتعلقنا بالتكسي .

نحن في الأسواق أمواج ، وفي الشوارع أفواج ، أموالنا في شراء الدجاج ، وأوقاتنا ذهبت في الحراج ، لما أتخمنا بالعصيدة. . ما أصبحنا ننظم القصيدة ، أصبح طالبنا أبله ؛ لأنه عاش مع الطبلة ، حفظنا متن التيس والتميس ، والكيس والكبيس ، أصبح نشاطنا بزفير وشهيق ، وتشجيع للفريق ، وللبواري هدير ونهيق .

لا يصلي الفجر منّا إلا قلة ، ولا يحفظ القرآن إلا ثلة ، ونقول : نحن أنصار الملة ، مع العلم أن الاهتمامات دلّة ، وفلّة ، وسلّة ، وشلّة .

كبارنا منهمكون في القيل والقال ، وحب المال ، إلا من رحم ذو الجلال ، وشبابنا كالأطفال في الروضة ، مشغولون بآخر موضة ، ولهم في

الملعب ضجيج وفوضة ، عقل أحدهم كأنه ريشة ، وسلوته السيجارة والشيشة .

فوالذي زين الشمس في ضحاها ، وجمّل القمر إذا تلاها ، وحسن النهار إذا جلاّها ؛ ما أصابنا التخلف ، وما دهانا التوقف ، إلا يوم عصينا رب العباد ، وتركنا الجهاد ، وكثر فينا الفساد .

كان مؤذننا بلال ، وملعبنا ميدان القتال ، وقصدنا ذا الجلال ، فما أصبح لنا طول ولا حول ؛ لأن همنا كمْ سجلنا من قول ، فيا للهول .

بالأمس كان شبابنا بالقرآن يفرح ، وللسنة يحفظ ويشرح ، واليوم أصبح يسرح ويمرح ، مع نجوم الفن والمسرح ، أما تنظر إلىٰ شعره إذا رصّه ، وجعل له قَصَّة ، ثم مسح شفتيه بالمكياج ، ومشىٰ وله ارتجاج ، فكيف لو رآه الحجّاج ؟ وما ترىٰ لو دُبِغ بكرباج ؟

فقالوا لنا : الآن حصحص الحق ، وبان الفرق ، وظهر الصدق .

فودّعناهم وكل واحد منهم كأنه فارة ، وذهبنا للسفارة .

* * *

أين هم ؟

وفي كتاب « الكبائر » للذهبي :

أين من حصن الحصون المشيدة واحترس ، وعمر الحدائق فبالغ وغرس ، ونصب لنفسه سرير العز وجلس ، وبلغ المنتهىٰ ورأى الملتمس ، وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس ؟! أزعجه ـ والله ـ هاذم اللذات واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به إلىٰ دار البلاء فانطمس ، وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس ، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب في خلس .

تَبْنِي وَتَجْمَعُ وَٱلآثَارُ تَنْدَرِسُ ... وَتَأْمَلُ ٱللُّبْثَ وَٱلأَعْمَارُ تُخْتَلَسُ
ذَا ٱللُّبِّ فَكِّرْ فَمَا فِي ٱلْعَيْشِ مِنْ طَمَعٍ ... لاَ بُدَّ مَا يَنْتَهِي أَمْرٌ وَيَنْعَكِسُ
أَيْنَ ٱلْمُلُوكَ وَأَبْنَاءُ ٱلْمُلُوكِ وَمَنْ ... كَانُوا إِذَا ٱلنَّاسُ قَامُوا هَيْبَةً جَلَسُوا
وَمَنْ سُيُوفُهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... تُخْشَىٰ وَدُونَهُمُ ٱلْحُجَّابُ وَٱلْحَرَسُ
أَضْحَوْا بِمَهْلَكَةٍ فِي وَسْطِ مَعْرَكَةٍ ... صَرْعَىٰ وَصَارُوا بِبَطْنِ ٱلأَرْضِ وَٱنْطَمَسُوا
وَعَمَّهُمْ حَدَثٌ وَضَمَّهُمْ جَدَثٌ ... بَاتُوا فَهُمْ جُثَثٌ فِي ٱلرَّمْسِ قَدْ حُبِسُوا
كَأَنَّهُمْ قَطُّ مَا كَانُوا وَمَا خُلِقُوا ... وَمَاتَ ذِكْرُهُمُ بَيْنَ ٱلْوَرَىٰ وَنُسُوا
وَٱللهِ لَوْ عَايَنَتْ عَيْنَاكَ مَا صَنَعَتْ ... أَيْدِي ٱلْبِلاَ بِهِمُ وَٱلدُّودُ يَفْتَرِسُ
لَعَايَنَتْ مَنْظَراً تَشْجَى ٱلْقُلُوبُ لَهُ ... وَأَبْصَرَتْ مُنْكَراً مِنْ دُونِهِ ٱلْبَلَسُ
مِنْ أَوْجُهٍ نَاضِرَاتٍ حَارَ نَاظِرُهَا ... فِي رَوْنَقِ ٱلْحُسْنِ مِنْهَا كَيْفَ يَنْطَمِسُ

وَأَعْظُـمٍ بَـالِيَـاتٍ مَـا بِهَـا رَمَـقٌ وَلَيْـسَ تبْقَـىٰ لِهَـٰذَا وَهْـيَ تُنْتَهَـسُ
وَأَلْسُـنٍ نَـاطِقَـاتٍ زَانَهَـا أَدَبٌ مَـا شَـأْنُهَـا شَـانَهَـا بِـٱلآفَـةِ ٱلْخَـرَسُ
حَتام يَا ذَا ٱلنُّهَىٰ لاَ تَرْعَوِي سَفَهاً وَدَمْـعُ عَيْنَيْـكَ لاَ يَهْمِـي وَيَنْبَجِـسُ

يا من يرحل في كل يوم مرحلة ، وكتابه قد حوىٰ حتى الخردلة ، ما ينتفع بالنذير والنذر متصلة ، ولا يصغي إلىٰ ناصح وقد عذله ، ودروعه مخرقة والسهام مرسله ، ونور الهدىٰ قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله ، وهو يؤمل البقا ويرىٰ مصير من قد أمله ، قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابة ووله ، كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة ، ونعم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله ، فيا عجباً من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة ، استيقن من غرور وبله ! ويحك يا هـٰذا من استدعاك وفتح منزله . . فقد أولاك لو علمت منزلة ، فبادر ما بقي من عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .

قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم ، إنما في غد ثبورهم ، ما نفعهم ما جمعوا ، إذا جاء محذروهم ، فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم : ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ ؟

أخذ المال إلىٰ دار ضرب العقاب ، فجعل في بودقة ليحمىٰ ليقوى العذاب ، فصفح صفائح كي يعم الكي الإهاب ، ثم جيء بمن عن الهدىٰ قد غاب ، يسعىٰ إلىٰ مكان لا مع قوم يسعىٰ نورهم .

إذا لقيهم الفقير . . لقي الأذىٰ ، فإن طلب منهم شيئاً . . طار منهم لهب الغضب كالجذاب ، فإن لطفوا به . . قالوا : أعنتكم ذا ، وسؤال هـٰذا لذا ، ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا ، ونسوا حكمة الخالق في غنىٰ ذا ، وفقر ذا .

واعجباً كم يلقاهم من غم إذا ضمتهم قبورهم ! ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ ، سيأخذها الوارث منهم من غير تعب ، ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ؟ ما اكتسب إلا أن الشوك له وللوارث الرطب .

أين حرص الجامعين ؟ أين عقولهم ؟ ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ .

لو رأيتهم في طبقات النار ، يتقلبون علىٰ جمرات الدرهم والدينار ، وقد غلت اليمين مع اليسار . . لما بخلوا مع الإيسار .

لو رأيتهم في الجحيم ، يسقون من الحميم ، وقد ضج صبورهم ، ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ .

كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع ؟ كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع ؟ كم أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع ؟ فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعاً أقرع ؟ فما هي عصىٰ موسىٰ ولا طورهم ، ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ .

* * *

جوزاء الاستغناء

واصنع في بيتك كوز السنّة كصنع الصنعاني ، وأزل شوك الهم بـ« نيل الشوكاني » ، واجلس علىٰ جوزاء الاستغناء عن الناس كما فعل الجرجاني ، وإذا مللت . . فأنشد :

مَغَانِي ٱلشِّعْبِ طِيباً فِي ٱلْمَغَانِي

وما أسعد من توسّد « المسند » للإمام أحمد ، وما آنس من جالس مسدد بن مسرهد ، وحادث « الكامل » للمبرّد ، ودرس أخبار عبد المؤمن الموحد ، وابن تيمية المُجدِّد!

واعتمد علىٰ رب العباد ، واعتبر بما حصل للمعتمد بن عبّاد ، ولا يشغلك شكسبير عن الشيخ الكبير محمد بن جرير ، أو العالم الخطير ابن كثير ، أو الجهبذ النحرير ابن الوزير ، فقد فاح بخور البخاري ، وحل لك الإشكال « فتح الباري » ، ودلّك في ليل الجهل « هدي الساري » .

واشتر جمل القناعة بهمة وثّابة كوثبة الأشتر يوم الجمل ، واطلب الولاية بالصفاء للولي كصفاء علي يوم صفين ، واعلم أن الدواء الفاتر في مصاحبة الدفاتر ، وأن السيف الباتر هو الحديث الصحيح المتواتر .

العالم إذا اعتزل . . اشتغل بما نزل ، فهو علىٰ حد الحديث : « دعها ؛ فإن معها سقاءها وحذاءها ، ترد الماء ، وترعى الشجر » .

لزم عطاء بن أبي رباح الحرم ثلاثين سنة ، فعاد بالعطاء الرابح ،

والسعي الناجح ، والعمل الصالح .

ومكث أبو طاهر السِّلفي ستين سنة في منارة الجامع يكرر ويؤلف ، ويحبِّر ويصنِّف .

وظن أعداء السرخسي أنه سيخر ، فوضعوه في السجن كالمربوط ، مع القيد والضغوط ، فألف كتاب « المبسوط » .

وترك ابن الأثير المالَ الكثير ، والذهب النثير ، والفراش الوثير ، فصنّف « جامع الأصول » الكتاب الرائع المثير .

كيف تكون وحدك والله يقول : « أنا جليس من ذكرني » ؟! فنِعم الأنيس والجليس ، ومن ترك ذكره . . فجليسه إبليس .

أمرض ابن سينا بشفائه الحسّاد ، وأذكى الغزالي بـ« إحيائه » الجمر في الرماد ، ومتع ابن القيم المسافرين إلى الله بـ« زاد المعاد » ، وجاب ابن بطوطة مع انفراده البلاد والوهاد ، ونزل كل واد .

أنت نطفة ، يكفيك غُرفة وغَرفة ، وقطفة ورشفة .

لِمَ امتطاؤك موج البحر تركبُه وأنت يكفيك منه غرفة الوشل

مخالطة الفجرة كسرة تورث الحسرة ، وملك كسرىٰ تغني عنه كِسرة .

العزلة مع المصحف الشريف ، والكوز والرغيف ، في إيوان نظيف ، ومجلس ظريف ، أهنأ من مجلس فيه صياح الرفاق ، بأسعار الأسواق ، وأخبار الآفاق .

نسأل الله خلوة حلوة ، مع عزٍّ في عزلة ، واجتهاد في انفراد ، وسياحة في راحة ، وصمتاً مع حفظ وقت .

* * *

متاع الغرور

قال سعيد بن أدهم : ركبت الأدهم ، وذهبت إلى السلطان أطلبه في درهم ، فوضع في رجلي الأدهم ، فمر بي الزاهد علي بن دينار ، وهو أحد الأبرار ، فقال لي : ما لك يا سعيد ، أراك في الحديد .

فقلت : والله الولي ؛ ما سرقت يا علي .

قال : فما الشأن ؟

قلت : أتيت السلطان ، أطلب الجود والإحسان ، فوضعني في هـٰذا الهوان .

فقال : أف عليك وتف ، ومن التراب استف ؛ تطلب السلطان ، وتنسى الرحمـٰن ، تسأل البخيل ، وتترك الجليل ، تباً لك ، أفي قلبك شك ؟ تأتي من أغلق بابه ، وأسدل حجابه ، وحرم أصحابه ، وتترك المعبود ، الذي ملأ العالم بالجود ، وأغدق على الخلق العطاء الممدود!

قلت : يا علي ؛ غلطت غلطة ، وسقطت سقطة ، وتورطت ورطة ، ووالله ؛ لئن فرّج الله عني ، وفك هـٰذا القيد مني . . لا آتي بشَرا ، ولو طلب مجيئي بِشِرا ، ولا أقصد الصعلوك ، بل أقصد ملك الملوك .

فلما أطلقني من الحبس ، وعادت إليّ النفس . . تركت باب الأمير ، ولزمت بيتي علىٰ خبز الشعير ، فعاد لي لبي ، وجعل الله غناي في قلبي ، فوالله ؛ إني أرى المترفين في حسرة ، وإن ملك كسرىٰ عندي ما يساوي كسرة .

فأنا بين المسجد والبيت أرضىٰ بالقوت ، لا مال يفوت ، ولا ولد يموت ، ليس عندي بنـز ، ولا كنـز ، ولا أرز ، ولكن عندي دين وعلم وعز .

فأنا أسعد من كسرىٰ أنوشروان ، إذا حف به الخدم في الإيوان ، وأنعم عيشاً من النعمان .

فأنا أسكن الكوخ ، وآكل العدس المطبوخ ، لا ألبس الجوخ ، ولا آكل الخبز المنفوخ .

ليس عندي دار ، ولا عقار ، ولا حمار ، ولا دينار .

أنام بلا هموم ، وأبيت بلا غموم ، لا أعرف عَدّ المال ، ولا شد الجمال ، ولا مبايعة الرجال ، لا أعرف الريال من القرش ، ولا أميّز بين الكتب والفرش ، معي قميص ، وبطن خميص ، لا أعرف الكبسة ولا الخبيص ، ما يأتيني في النوم كوابيس ، ولا أشعر في النهار بالهواجيس .

فأنا أسعد من رأيت ، وأنعم من لقيت .

معي كتاب ، أغناني عن الأصحاب ، وسلاني عن الأحباب .

معي ملحفة للمنام ، وجفنة للطعام ، وعصاً للقيام .

لا أخاف علىٰ نفسي العين ، ولا يطلبني أحد بدين ، ولا أُسأل : مال هـٰذا من أين ؟

فأنا خفيف الظهر ، دائم البشر ، قليل الوزر ، ما بعت ولا شريت ، ولا اكتريت ولا اقتنيت ، لا أخشىٰ سقوط بيت ، ولا ذهاب مَيْت .

نجوت من الضغط والسكر ؛ لأنني في غير الآخرة لا أتفكر ، في قلبي عيادة السعادة ، وفي صدري بنك السرور ، ومصرف الحبور ، وعندي علم وإيمان ونور علىٰ نور ، أَعجب من الفجار والتجار ، وأقول : ما هـٰذا

الشجار ؟ أتقتتلون علىٰ جيفة ، ما تساوي قطيفة ؟ سحقاً لعقولكم السخيفة .

أين كنوز قارون ؟ أين ما مضىٰ من القرون ؟ أين ما جمعوا ، وأودعوا ، وشيدوا وأبدعوا ؟ لا قصور ، لا دور ، لا أنهار ، لا أشجار ، ذهبت الأبدان والأرواح ، وبلي القفل والمفتاح ، فصدّقني ما عاش عيشتي هارون الرشيد ، ولا الكاتب عبد الحميد ، ولا الرئيس ابن العميد .

نفسي ـ والحمد لله ـ رضية ، وعيشتي هنية ، وقد نجوت من كل بلية ، فأنا لا طالب ، ولا مطلوب ، ولا أخشىٰ من كنز منهوب ، ولا من مال مسلوب ، ولا أقف على الأبواب ، ولا أتمرغ على العتاب ، وما قبّلت يد كذّاب ، طمعاً في طعام وشراب ، وما قلت للكلب : يا سيدي ، ويا عضدي ، ويا مؤيّدي .

وأحياناً أجلس أمام كوخي وسقفي السحاب ، ومخدتي صبرة من التراب ، وجليسي الكتاب ، فوالله ؛ إنني أطيب عيشاً من الناصر في الزهراء ، وسيف الدولة في حلب الشهباء ، ما استذلني متكبّر ، ولا مَنَّ علي متجبّر ، ولا نهرني متهوّر .

ثم إن هناك مصلحة لي في هـٰذا الزهد ، وهو السلامة من الجهد ، يوم تُنصب الموازين وتكشف البراهين ، فلن أقف طويلاً للقضاء ، كما يقف الأغنياء ، وكفاك بهـٰذا حسنة ؛ لحديث : « يدخل فقراء أمتي الجنة ، قبل الأغنياء بخمس مئة سنة » ، فيا له من مكسب رابح ، ومن ميزان راجح ، وما عندي مال في البنوك الربويّة ، ولا مساهمات عقارية ، ولا شركات استثمارية ، بل عندي أغلىٰ ، وأعلىٰ ؛ لأن البر لا يبلىٰ ، فإذا كنز الناس الدرهم والدينار . . كنزت الأذكار ، وعمل الأبرار .

وأنا أخذت بُغْض الدرهم ، من إبراهيم بن أدهم ، والزهد في الدينار ، من مالك بن دينار ، والورع عن العطاء ، من ابن أبي رباح عطاء ، وأخذت قلة الرغبة من الدنيا ، من ابن أبي الدنيا .

وقد رأيت القبور ، فإذا المعظّم بجانب المحتقر ، قد اجتمع بها المخبر ، والخبر ، وتغيرت بها تلك الصور ، فالـمَلِك في جوار المملوك ، والغَنِيُّ في حفرة الصعلوك ، والقَوِيُّ مع الضعيف ، والوضيع مع الشريف ، فبعد هٰذا المشهد ، أقسمت أن أزهد ، فلزمت المصحف والمسجد ، أتعبّد وأتهجّد ، وعلى المقابر أتردّد ، فعوضني ربي بالهمّ سروراً ، وبالحزن حبوراً ، وبظلمة الدنيا نوراً ، وقد هيّأت حنوطي وأكفاني ، وكفاني القليل كفاني .

وهٰذا والله عين العقل ، وموافقة النقل ، ونهج الصالحين من بعد ومن قبل ، فما للقوم كأنهم في نوم ؟ صرعتهم الشهوات ، وزلزلتهم الشبهات ، أحبوا التراب والخراب ، والثياب والشراب ، وزهدوا في الكتاب والثواب ، ونسوا الحساب والعقاب ، أنساهم القرش النعش ، في التهام وهرش ، ما تهزهم الرقائق ، ولا تردعهم الحقائق ، كلامهم في الأسعار والعمار والعقار ، وحديثهم عن الدرهم والدينار ، ما يذكرون الجنة ولا النار .

الجلوس معهم يميت القلب ، ويضاعف الذنب ، لكن الأعمىٰ لا يرى الصباح ، والميت لا يحس بالجراح ، ولكن الصخر لا يسمع الكلام ، وما لجرح بميت إيلام .

* * *

التوبة

وفي كتاب « اللطائف » لابن الجوزي :

يا مؤخر توبته بمطل التسويف ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ .

كنت تقول : إذا شبت . . تبت .

فهٰذي شهور الصيف عنا قد انقضت ، لو كان لسيف عن عزيمتك جوهرية . . لقيك موت الهوىٰ تحت ظبته .

كل يوم تضع قاعدة الإنابة ولكن علىٰ شفا جرف ، كلما صدقت لك في التوبة رغبة . . حملت عليها جنود الهوىٰ حملةً فانهزمت ، اِذبح حنجرة الهوىٰ بسكين العزيمة ، فما دام الهوىٰ حياً . . فلا تأمن من قلب قلبك .

اجعل بكاءك في الدجىٰ شفيعاً في الزلل ؛ فزند الشفيع توري نار النجاح .

اكتب بمداد الدمع حسن الظن إلىٰ من يحققه ، ولا تقنع في توبتك إلا بمكابدة حزن يعقوب أو بصبر يوسف عن الهوىٰ ، فإن لم تطق . . فبِذُلّ إخوته يوم ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ .

يا معشر الأقوام ؛ هـٰذه مشاعل القبول .

يا فارغ البيت من القوت ؛ هـٰذه أيام اللقاط .

يا مهجور كنعان ؛ متىٰ تجد ريح « يوسف » ؟

يا سجن مصر ؛ متىٰ يرى الملك سبع بقرات ؟

يا ابن يامين الفراق ؛ متىٰ تسمع نغمات ﴿ إِنِّيٓ أَنَاْ أَخُوكَ ﴾ ؟

يا دائم الزلل ؛ متىٰ تضع جبهة ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ ؟

اَلْيَوْمَ عَهْدُكُمُ فَأَيْنَ ٱلْمَوْعِدُ　　هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمِ عَهْدِكُمُ غَدُ

إذا وقعت عزيمة الصدق في قلب العبد التائب . . رضي الملك ، فأنسى الملك ما كتب ، وأوحىٰ إلى الأرض : اكتمي علىٰ عبدي .

قَتل رجل قبلكم مئة نفس ، ثم خرج تائباً ، فأدركه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فبعث الله ملكاً يحكم بينهم ، فقال : قيسوا ما بين القريتين ، وأوحىٰ إلىٰ هٰذه أن تباعدي ، وإلىٰ هٰذه أن تقربي ، فوجد أقرب إلىٰ قرية الخير بشبر ، فغفر له .

والحاكم والخصوم لا يعرفون سر ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ .

إذا صدق التائب . . أجبناه وأحييناه ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ ، يا معاشر التائبين ﴿ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ ، انظروا لمن عاهدتم ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ ، فإن زللتم من بعد التقويم . . فارجعوا إلىٰ دار المداراة ؛ « فإنّ الله لا يمل حتىٰ تملوا » .

عُودُوا إِلَى ٱلْوَصْلِ عُودُوا　　فَٱلْهَجْرُ صَعْبٌ شَدِيدُ
تَذَكَّرُونَا فَمَا　　عَهْدِي لَدَيْكُمْ بَعِيدُ
كُنَّا وَكُنْتُمْ قَرِيباً　　فَأَيْنَ تِلْكَ ٱلْعُهُودُ
هَلْ يَرْجِعُ ٱلْبَانُ يَوْماً　　أَمْ هَلْ تَعُودُ زَرُودُ

يا مقهوراً بغلبة النفس ، صل عليها بسوط العزيمة ؛ فإنها إن عرفت جِدك اِستأسرت لك ، وامنعها ملذوذ مباحها ؛ ليقع الاصطلاح علىٰ ترك الحرام ، فإذا صبرت علىٰ ترك المباح ، ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ .

الدنيا والشيطان خارجان عنك ، والنفس عدو مباطن ، ومن أدب الجهاد ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم ﴾ .

إِن مالَت إِلى الشَهوات . . فاكبحها بِلِجامِ التَّقوىٰ ، وإِن أعرضتْ عن الطاعات . . فسُقها بسوط المجاهدة ، وإن استحلت شراب التواني ، واستحسنت ثوب البطالة . . فصِح عليها بصوت العزم ، فإن رمقت نفسها بعين العجب . . فذكّرها خساسة الأصل ؛ فإنك والله ما لم تجد مرارة الدواء في حلقك . . لم تقدر علىٰ ذرة من العافية في بدنك ، وقد اجتمعت عندك جنود الهوىٰ في بيت النفس ، فأحكمت حصن البطالة ، فيا حزب التقىٰ جردوا سيوف العزائم ، وادخلوا عليهم الباب .

النفس مثل كلب السوء ، متىٰ شبع . . نام ، وإن جاع . . بصبص .

الحر يُلحىٰ والعصا للعبد .

كان أحد السلف إذا قهر بترك شهوته . . أقبل يهتز كالرامي إذا قرطس .

إذا قوي عزم المجاهدة . . لان له الأعداء بلا حرب .

لما قويت مجاهدة نبينا صلى الله عليه وسلم . . تعدت إلىٰ كل من تعدىٰ ، فأسلم شيطانه .

اللهم ؛ دلنا علىٰ قهر نفوسها التي هي أقرب أعدائنا إلينا ، وأكثرهم نكاية فينا .

يا هـٰذا ؛ بدل اهتمامك بك ، واسرق منك لك ، فالعمر قليل .

تظلم إلىٰ ربك منك ، واستنصر خالقك عليك ، يأمرك بالجِد ، وأنت على الضدّ .

تفر إلى الزحف ولكن لا إلىٰ فئة .

تطلب نيل العلىٰ وما ارتقيت درج المجاهدة !

أتروم الحصاد ولم تبذر ؟

لولا إيثار يوسف ﴿ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ . . ما خرج إلىٰ راحة ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا ﴾ .

رُب خفض تحت السرىٰ ، وغنىٰ من عنا ، ونضرة من شحوب .

لما قوم المؤمنون أنفسهم بالرياضة . . وقع عقد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ .

النفس لم تُرْضَ إذا لم تَرُضْ ؛ لأنها كلب عقور ، وإنما يُراد الصَّيُود لا العضوض .

ويحك ، الأعضاء كالسواقي ، والمياه النجسة في الثمرة .

أنت تستفتح النهار بإطلاق الجوارح في صيد اللهو ، فإذا حان حين الصلاة .. نعقت بها وليست مُعلّمة فلا تجيب .

هيهات أن يخشع طرف ما قوَّمه محتسب ﴿ يَغُضُّواْ ﴾ ، وأن يحضر قلب ما أزعجه تخويف ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ .

اَلنَّاسُ فِي ٱلْهَوَىٰ عَلَىٰ أَصْنَافِ
ذَا نَاقِضُ ٱلْعَهْدِ وَهَٰذَا وَافِ
هَيْهَاتَ فِي ٱلْكُدُورِ تبْغِي ٱلصَّافِي
مَا يَصْلحُ ٱلْحَضْرَةَ قَلْبٌ جَافِ

* * *

لبيكَ يا أقصى

زارنا رجل من فلسطين ، فجلس على الطين .

قلنا : اجلس على السرير .

قال : كيف أجلس على السرير ، والقدس أسير ، بأيدي إخوان القردة والخنازير ؟

قلنا : فهل عندك من القدس خطاب ؟

قال : معي من القدس سؤال يريد الجواب .

قلنا : ما هو السؤال ؟

قال : ينادي : أين الرجال ؟ أين أحفاد خالد وسعد وبلال ؟ يا حفاظ (سورة الأنفال) ؛ أين أبطال القتال ؟ أين أسود النـزال ؟

قلنا : هـٰؤلاء ماتوا من زمان ، وخلت منهم الأوطان ، وخَلَف من بعدهم خلْفٌ لهم همم ضعيفة ، واهتمامات سخيفة ، وأحلام خفيفة .

ثم سألنا حامل الرسالة : أين أهل البسالة ؟ أين الإباء ؟ لماذا تغير الأبناء عن الآباء ؟

قلنا : الآباء كانت بيوتهم المساجد ، ما بين راكع وساجد ، وخاشع وعابد ، وصائم ومجاهد .

والأبناء بيوتهم المقاهي ، ما بين مغنّ ولاهِ ، ومن بماله يباهي ، ومن وقع في الدواهي ، إلا مَن رحمه إلـٰهي .

ثم قلنا للرجل في عجل : سلم على القدس ، وقل : نفديك بالنفس ، متى العودة إلينا ، والسلام علينا ؟

قال : إذا عدتم إلى الله . . عدنا ، وإن بعدتم عنه . . بعدنا .

قلنا : لماذا عدت لعمر ؟

قال : لأنه صاحب أثر ، صادق في الخبر ، عادل في السير .

قلنا : ولماذا جئت مع صلاح الدين ؟ قال : لأنه بطل حطين ، وولي لرب العالمين ، وأحد العابدين المجاهدين .

قلنا : يا قدس ؛ هل من لقاء ؟

قال : إذا أطعتم رب الأرض والسماء ، وأخلصتم في الدعاء ، وتدربتم على الجهاد صباح مساء ، وتبتم من كل معصية وفحشاء .

قلنا : كيف حالك الآن ؟

قال : في هموم وأحزان ، وغموم وأشجان ، سجين في زنزانة الطغيان ، بعد ما فارقت أهل الإيمان ، وحملة القرآن .

ثم قال : أما ترون خدي شُوّه بالنجمة السداسيّة ، وداست علىٰ جبيني الدولة الإبليسية ، أين أحفاد مصعب بن عمير ، ينقذوننا من أبناء جولدا مائير ؟ أين أمثال عمر بن عبد العزيز ، يطلقوننا من قبضة بيريز ؟ أين عُبّاد الديّان ، يمسحون عن جبيني وشم ديّان ، أين طلاب عبد الله بن مسعود ، يطردون إخوان القرود ، ويفكون عن قدمي القيود ؟

والقدس تقول : أنا القدس السليبة ، كنت إلى الرسول حبيبة ، ومن قلب كل مؤمن قريبة ، وأنا الآن في بلاء ومصيبة ، وأحوال عجيبة .

فلسطين في قلوب المسلمين ، تناديهم من سنين ، وليس فيهم من قال :

لبيك جئنا فاتحين ، لكننا تعبنا من محبة أهل الإرجاء ، تمدّح وادعاء ، وفلسطين تصرخ صباح مساء .

إذا لم تكن هنا حمية إسلاميّة . . فأين النخوة العربية ؟

لو سمع عمر صرخة طفل مجهود . . أبوه مفقود ، وأخوه في القيود . . لجنَّد الجنود ، ولداس اليهود .

لو طرقت سمع المعتصم واأماه . . لضاقت أرضه وسماه ، ولقاد الكماة ، ولأخرج فلسطين من زنزانة الطغاة البغاة .

فلسطين تنادي حطين : هل عندك من صلاح الدين ؟ فإنا يا أختاه نئن في الحبس مرتهنين ، ولنا أنين .

خمسون عاما ، ونحن نرىٰ أيتاما ، ونشاهد أيامىٰ ، ونبصر آلاما ، ثم نتعامىٰ ، ولا يحرك فينا هـٰذا كله إبهاما .

من أراد أن يطلق القدس من الأسر وأن يفكّـه . . فليأخذ دستوره من مكّة .

القدس إسلامية ما ترطن ، ولا تنتظر النصر من واشنطن .

القدس تقلق ، إذا جئنا بجيش فيه ميشيل عفلق .

يحرر الأرض ، ويحمي العرض ، من أدى الفرض ، وخاف يوم العرض .

دونك مليار مسلم آيسين بائسين ، أمام من قيل فيهم : ﴿ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ .

ما يحرر فلسطين إلا طلاب العز بن عبد السلام ، وتلاميذ عز الدين القسام .

افهمها بالمكشوف ، ما يحرر فلسطين طلاب سخاروف ، ولا يردها لأهلها أهل الدفوف ، إنما تعود علىٰ أيدي من يصلي ويطوف ، ويجاهد في الصفوف .

يا شجر الغرقد ؛ جاء الموعد ، ليعود المسجد ، تحمي القرود ، وتخبّىء اليهود من الأسود ، كل الشجر بِوَادينا ، ينادينا ، إلا أنت تعادينا .

خمسون عاماً مؤتمرات أو مؤامرات ، ومشاورات أو مشاجرات ، ومناورات أو مهاترات .

الكل يطوف ، بمجلس الخوف ، ونحن وقوف في صفوف ، ننتظر ما يقول بوش وغورباتشوف .

خمسون عاماً ما أخبرتنا هيئة الأمم ، بمن ظلم ، وهدم الحرم ، وخان في القسم .

يا معشر العرب ؛ من أصابته مصيبة ، فلم يأخذ الحل من طيبة.. عاد بالخيبة ، وكان الفشل نصيبه .

فلسطين لا تعود بالكلام ، ولا بحفلات السلام ، ولكنها تعود بالحسام ، وبضرب الهام ، وتمريغ الباطل بالرغام .

فلسطين إسلامية النسب ، وليست عربيّة فحسب ، ولذلك كان صلاح الدين فاتح القدس من الأكراد ، والسلطان عبد الحميد ناصر فلسطين من الأتراك الأجواد ، وبعض العرب أيام الصليبيين باعوها في سوق المزاد .

لا تعود فلسطين عن طريق الملحدين ، ولا عن طريق الوحدويين ، وإنما تعود تحت رايات الموحدين .

هل تظن أن اليهودي العنيد ، والإسرائيلي المريد ، سوف يطرد بمؤتمر

مدريد ، كلا وعزةِ الحميد المجيد ، لا يزول إلا بكتائب التوحيد ، وأحفاد خالد بن الوليد .

يا فلسطين ؛ انتظري كتائبنا مع الصباحِ ، تنادي : حي على الفلاح ؛ ليعود الحق إلىٰ أصحابه ، والسيف إلىٰ نصابه ، ولتعود الوديعة إلىٰ واليها ، والطفلة إلىٰ أبيها ، والدار إلىٰ راعيها ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله القريب ، إنه سميع مجيب .

فلسطين غاب سلاطينها ، فأفلس طينها ، لا يطرد الغزاة من غزة إلا أهل العزة ، أطفال حيفا حفاة ، واليهود جفاة ، فهل من يلبي النداء ، ويقدم روحه فداء ؟

يا من أراد الجنة ، لا تُتْبِعْ ما أنفقت بالأذىٰ والمنّة ، وماذا عليك لو قتلتك اليهود ؟ فأنت شهيد ، البيع قد جرىٰ ، والله اشترىٰ ، ما هبط سوق القتال ، وقل : هيا إلى النـزال ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

* * *

طلب العلم

وفي كتاب « بداية الهداية » لأبي حامد الغزالي :

اعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم ، المظهر من نفسه صدق الرغبة ، وفرط التعطش إليه : أنك إن كنت تقصد بالعلم المنافسة ، والمباهاة ، والتقدم على الأقران ، واستمالة وجوه الناس إليك ، وجمع حطام الدنيا . . فأنت ساع في هدم دينك ، وإهلاك نفسك ، وبيع آخرتك بدنياك ؛ فصفقتك خاسرة ، وتجارتك بائرة ، ومعلمك معين لك علىٰ عصيانك ، وشريك لك في خسرانك ، وهو كبائع سيف لقاطع طريق ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « من أعان علىٰ معصية ولو بشطر كلمة . . كان شريكاً فيها » .

وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالىٰ من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية . . فأبشر ؛ فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيت ، وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت .

ولكن ينبغي لك أن تعلم قبل كل شيء : أن الهداية التي هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية ، وظاهر وباطن ، ولا وصول إلىٰ نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها ، ولا عثور علىٰ باطنها إلا بعد الوقوف علىٰ ظاهرها .

وهأنا مشير عليك بـ« بداية الهداية » ؛ لتجرب بها نفسك ، وتمتحن بها قلبك ، فإن صادفت قلبك إليها مائلاً ، ونفسك بها مطاوعة ، ولها قابلة . . فدونك التطلع إلى النهايات ، والتغلغل في بحار العلوم .

وإن صادفت قلبك عند مواجهتك إياها بها مسوفاً ، وبالعمل بمقتضاها مماطلاً . . فاعلم أن نفسك المائلة إلىٰ طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء ، وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ؛ ليُدلّيك بحبل غروره ، فيستدرجك بمكيدته إلىٰ غمرة الهلاك ، وقَصْدُه أن يروج عليك الشر في معرض الخير حتىٰ يلحقك ﴿ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ . وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء ، وما ورد فيه من الأخبار والآثار ، ويلهيك عن قوله صلى الله عليه وسلم : « من ازداد علماً ولم يزدد هدىً . . لم يزدد من الله إلا بعداً » .

فإياك يا مسكين أن تُذعن لتزويره فيُدلّيك بحبل غروره ، فويل للجاهل إذا لم يتعلم مرة واحدة ، وويل للعالم إذا لم يعمل بما علم ألف مرة .

واعلم أن الناس في طلب العلم علىٰ ثلاثة أحوال :

رجل طلب العلم ليتخذه زاده إلى المعاد ، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة ؛ فهٰذا من الفائزين .

ورجل طلبه ؛ ليستعين به علىٰ حياته العاجلة ، وينال به العز والجاه والمال ، وهو عالم بذلك ، مستشعر في قلبه ركاكة حاله وخسة مقصده ؛ فهٰذا من المخاطرين . فإن عاجله أجله قبل التوبة . . خيف عليه من سوء الخاتمة ، وبقي أمره في خطر المشيئة ، وإن وُفّق للتوبة قبل حلول الأجل ، وأضاف إلى العلم العمل ، وتدارك ما فرط فيه من الخلل . . التحق بالفائزين ؛ فإن « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان ؛ فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال ، والتفاخر بالجاه ، والتعزز بكثرة الأتباع ، يدخل بعلمه كل مدخل ؛

رجاء أن يقضي من الدنيا وطره ، وهو مع ذلك يضمر في نفسه أنه عند الله بمكانة ، لاتسامه بسمة العلماء ، وترسمه برسومهم في الزي والمنطق ، مع تكالبه على الدنيا ظاهراً وباطناً ؛ فهـٰذا من الهالكين ، ومن الحمقى المغرورين ؛ إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين ، وهو غافل عن قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ ، وهو ممن قال فيهم رسول الله : « أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال » ، فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ فقال : « علماء السوء » .

وهـٰذا لأن الدجال غايته الإضلال ، ومثل هـٰذا العالم وإن صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو دافع لهم إليها بأعماله وأحواله ، ولسان الحال أفصح من لسان المقال ، وطباع الناس إلى المساعدة في الأعمال أميل منها إلى المتابعة في الأقوال، فما أفسده هـٰذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله؛ إذ لا يستجرىء الجاهل على الرغبة في الدنيا إلا باستجراء العلماء ، فقد صار علمه سبباً لجرأة عباد الله علىٰ معاصيه ، ونفسه الجاهلة مذلةٌ مع ذلك تمنيه وترجيه ، وتدعوه إلىٰ أن يمن على الله بعلمه، وتُخيّل إليه نفسُه أنه خير من كثير من عباد الله .

فكن أيها الطالب من الفريق الأول ، واحذر أن تكون من الفريق الثاني ، فكم من مسوِّف عاجله الأجل قبل التوبة فخسر ، وإياك ثم إياك أن تكون من الفريق الثالث ، فتهلك هلاكاً لا يرجىٰ معه فلاحك ، ولا ينتظر صلاحك .

فإن قلت : فما «بداية الهداية» لأجرب بها نفسي ؟ فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوىٰ، ونهايتها باطنة التقوىٰ؛ فلا عاقبة إلا بالتقوىٰ ، ولا هداية إلا للمتقين.

والتقوىٰ : امتثال أوامر الله تعالىٰ ، واجتناب نواهيه .

* * *

حقيقة الصّبر وكلام النّاس فيه

وفي كتاب « عدة الصابرين » لابن قيم الجوزية :

هو خُلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يَحسُن ولا يَجمُل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها .

وسئل عنه الجنيد بن محمد فقال : (تجرع المرارة من غير تعبس) .

وقال ذو النون : (هو التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغنىٰ مع حلول الفقر بساحات المعيشة) .

وقيل : (الصبر : هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب) .

وقيل : (هو الغنىٰ في البلوىٰ بلا ظهور شكوىٰ) .

وقال أبو عثمان : (الصبار : هو الذي عود نفسه الهجوم على المكاره) .

وقيل : (الصبر : المقام على البلاء بحسن الصحة كالمقام مع العافية) ، ومعنىٰ هـٰذا : أن لله على العبد عبودية في عافيته وفي بلائه ، فعليه أن يُحسن صحبة العافية بالشكر ، وصحبة البلاء بالصبر .

وقال عمرو بن عثمان المكي : (الصبر : هو الثبات مع الله ، وتلقي بلائه بالرحب والدعة) ، ومعنىٰ هـٰذا : أنه يتلقى البلاء بصدر واسع لا يتعلق بالضيق والسخط والشكوىٰ .

وقال الخواص : (الصبر : الثبات علىٰ أحكام الكتاب والسنة) .

وقال رويم : (الصبر : ترك الشكوىٰ) فسّره بلازمه .

وقال غيره : (الصبر : هو الاستعانة بالله) .

وقال أبو علي : (الصبر كاسمه) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (الصبر : مطية لا تكبو) .

وقال أبو محمد الجريري : (الصبر : ألا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما) .

قلت : وهـٰذا غير مقدور ولا مأمور ، فقد ركب الله الطباع على التفريق بين الحالتين ، وإنما المقدور حبس النفس عن الجزع لا استواء الحالتين عند العبد ، وساحة العافية أوسع للعبد من ساعة الصبر ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء المشهور : « إن لم يكن بك غضب علي . . فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي » .

ولا يناقض هـٰذا قوله صلى الله عليه وسلم : « وما أُعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » ؛ فإن هـٰذا بعد نزول البلاء ليس للعبد أوسع من الصبر ، وأما قبله . . فالعافية أوسع له .

وقال أبو علي الدقاق : (حد الصبر : ألا يعترض على التقدير) ، فأما إظهار البلاء علىٰ غير وجه الشكوىٰ . . فلا ينافي الصبر ، قال الله تعالىٰ في قصة أيوب : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ﴾ مع قوله : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ .

قلت : فسر اللفظة بلازمها ، وأما قوله : (علىٰ غير وجه الشكوىٰ) . . **فالشكوىٰ نوعان** :

أحدهما : الشكوىٰ إلى الله ، فهـٰذا لا ينافي الصبر كما قال يعقوب : ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ مع قوله : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ، وقال أيوب : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ مع وصف الله له بالصبر .

وقال سيد الصابرين صلوات الله وسلامه عليه : « اللهم ؛ أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي . . . » إلخ .

وقال موسىٰ صلوات الله وسلامه عليه : (اللهم ؛ لك الحمد ، وإليك المشتكىٰ ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك) .

والنوع الثاني : شكوى المبتلي بلسان الحال أو المقال ، فهـٰذه لا تجامع الصبر ، بل تضاده وتبطله ، فالفرق بين شكواه والشكوىٰ إليه .

وقيل : (الصبر : شجاعة النفس) ، ومن هـٰهنا أخذ القائل قوله : (الشجاعة صبر ساعة) .

وقيل : (الصبر : ثبات القلب عند موارد الاضطراب) .

والصبر والجزع ضدان ، ولهـٰذا يقابل أحدهما بالآخر ، قال تعالىٰ عن أهل النار : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ ، والجزع قرين العجز وشقيقه ، والصبر قرين الكيس ومادته ، فلو سئل الجزع : مَن أبوك ؟ لقال : العجز ، ولو سئل الكيس : مَن أبوك ؟ لقال : الصبر .

والنفس مطية العبد التي يسير عليها إلى الجنة أو النار ، والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطية ، فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمام . . شردت في كل مذهب .

وحفظ من خطب الحجاج : (اقدعوا هـٰذه النفوس ؛ فإنها طلاعة إلىٰ كل سوء ، فرحم الله امرأً جعل لنفسه خطاماً وزماماً ، فقادها بخطامها إلىٰ طاعة الله ، وصرفها بزمامها عن معاصي الله ؛ فإن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر علىٰ عذابه) .

قلت : والنفس فيها قوتان : قوة الإقدام ، وقوة الإحجام ، فحقيقة الصبر : أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلىٰ ما ينفعه ، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره .

ومن الناس من تكون قوة صبره علىٰ فعل ما يندفع به وثباته عليه. . أقوىٰ من صبره عما يضره ، فيصبر علىٰ مشقة الطاعة ، ولا صبر له عن داعي هواه إلى ارتكاب ما نهي عنه .

ومنهم من لا صبر له علىٰ هـٰذا ولا علىٰ ذاك ، وأفضل الناس أصبرهم على النوعين ، فكثير من الناس يصبر علىٰ مكابدة قيام الليل في الحر والبرد ، وعلىٰ مشقة الصيام ، ولا يصبر عن نظرة محرمة ، وكثير من الناس يصبر عن النظر وعن الالتفات إلى الصور ، ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين ، بل هو أضعف شيء وأعجزه ، وأكثرُهم لا صبر له علىٰ واحد من الأمرين ، وأقلُّهم أصبرهم في الموضعين .

وقيل : (الصبر : ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الهوىٰ والشهوىٰ) ، ومعنىٰ هـٰذا : أن الطبع يتقاضىٰ ما يجب ، وباعث العقل والدين يمنع منه ، والحرب قائمة بينهما وهي سجال ، ومعرك هـٰذه الحرب قلب العبد والصبر والشجاعة والثبات .

* * *

كتاب الكون المفتوح

سبحان من له في كل شيء آية ، ليس لملكه نهاية ، وليس لعظمته غاية ، اقرأ آيات القدرة في صفحة الكون ، وطالع معجزة الخلق في الحركة والسكون ، في الليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس ، في السمك السارب ، في النمل الدائب .

في هالة النور تنشر رداء السناء ، في الفضاء ، في النهار يتماوج ، في البحر وهو هائج مائج ، في النحل يلثم الأزهار ، في الليل يعانق النهار ، في الدمع يترقرق ، في الدماء تتدفق ، في الزهر يتشقق .

في الدواب السائمة ، في الوحوش الهائمة ، في الطيور الحائمة ، في الحيتان العائمة ، في العود يشتد ، في الظل يمتد ، في الجبال ترتدي عمائم الثلوج ، في القمر يهرول في البروج ، في الشمس تتبرج سافرة على العالم ، في النبت ما بين نائم وقائم .

في الأسرار تكنزها الضمائر ، في الأخبار تختزنها السرائر .

في الصخور كأنها تنتظر خبراً من السماء فهي صامتة ، في الحجارة يكسرها الإنسان بفأسه وهي ساكتة ، في الفجر يطلق من عباءته النور ، في الأذهان بالأفكار تمور .

في الماء ينهمر من السماء ، ويغوص في الرمضاء ، يُقبِل بالخضرة والنماء ، ويدلف بالحياة للأحياء ، يهيج أحياناً ويهدر ، ويزحف

ويدمر ، لا تحدُّه الحدود ، ولا تردُّه السدود .

وعظمته سبحانه في خلق الإنسان ، وتركيبه في أحسن كيان ، حيث جعل في العينين سراجاً من النور ، وأنشأ في القلب بصيرة تدرك الأمور ، وخلق العقل يقود هٰذا الكائن ، ويوجهه وهو ساكن .

في النبتة تشق طريقها إلى الفضاء ، وترفع رأسها إلى السماء .

في العندليب يرتجل على الغصن كالخطيب ، في الحمام يشدو بأحسن الأنغام ، يشكو الحب والهيام ، والعشق والغرام .

في الغراب يخبىء رزقه في الخراب ، ويدفن خصمه في التراب ، في الأسد يطارد القنيصة ، ويمزق الفريسة .

في النحل يئِنّ ، والذباب يطِنّ ، في الزنبور يرِنّ .

في عالم النبات ، آلاف المذاقات ، ومئات الطعومات ، أخضر يعانق أحمر ، وأصفر يضم أغبر .

في الأوراق تميس في الطل ، في الحشرات تهرب إلى الظِّل .

في الناقة تحِنُّ إلىٰ وليدها ، وتشتاق إلىٰ وحيدها .

في الليل يخلع ثيابه على الآفاق ، في الضباب يخيّم على الأرض كالأطباق .

في النار تحرق ، في الماء يغرق .

في الضياء يسطع ، في الضوء يلمع ، في العين تدمع .

في البرق يكاد يذهب سناؤه بالأبصار ، في الصواعق تقصف الصخور والأشجار ، في الرعد يدوِّي فيملأ العالم ضجيجاً ، في الروض يفوح فيعبق به الجو أريجاً .

في أهل السلطان بين ولاية وعزل ، وأسرٍ وقَتْل ، وهزيمةٍ ونَصْر ، وسِجْنٍ وقَصْر .

في الموت يخترم النفوس ، ويسقط على الرؤوس ، ويأخذ الرئيس والمرؤوس ، ويبزّ العريس والعروس ، ويهدم الأعمار ، ويعطِّل الأفكار ، ويخلي الديار ، ويدخل كل دار .

في صنف من البشر ، يعيشون البطر ، لهم أموال كالجبال ، وآمال كأعمار الأجيال ، قصور تشاد ، كأنها لن تباد ، وحدائق غنّاء ، وبساتين فيحاء .

وفي صنف آخر فقير ، في دنياه حقير ، لا يملك الفتيل ولا القطمير ، يبحث عن الرغيف ، وينام على الرصيف ، ولقلبه من خوف الفقر رجيف .

في أهل العافية يمرحون ، وفي نعيمهم يسرحون ، وبما أوتوا يفرحون ، وفي أهل البلاء ، وفي أصحاب الضنك والشقاء .

في ظلمات المحيطات ، وفي متاهات الغابات ، وفي مجاهل الفلوات .

أرض تمتد بلا بشر ، صحارٍ قاحلة ليس فيها شجر ، وعوالم موحشة ما يسكنها بدو ولا حضر .

نجوم تسقط ، وكواكب تهبط ، ونيازك تلتهب ، ترمي بشرر ولهب ، مجرّات سميّة ، ومنازل قمريّة ، حدائق بأثواب الحسن تسر الناظرين ، ومشاهد في الكون جميلة تأخذ ألباب المبصرين ، رياض أنيقة تسرح فيها الغزلان ، باقات من الورود بهيجة يلعب بها الولدان .

كل في فلكٍ يسبح ، وكلٌّ في عالم يمرح ، شمس تجري كأنها تبحث عن مفقود ، قبل أن تطلع تسجد للمعبود ، آية باهرة ، وحكمة ظاهرة .

في خلق الإنسان ، ذلك الكيان ، الذي يحمل جامعات من السكنات

والحركات ، فذهن متوقد ، وقلب متجدد ، وخيال يطوي الزمان والمكان ، ويناقل الإنسان ، بين خوف وأمان ، وذاكرة حافظة ، وألسنة لافظة ، وشركات في كل الأعضاء ، منها يجذب الهواء ، ويسحب الماء ، ويهضم الغذاء ، ويجلب الدواء ، ويُذهب الداء ، ما بين دفعٍ وضغط ، وإخراج وشفط ، ومؤسّسات تشارك في بناء الجسم ، وفي قيام الرسم ؛ ليكون في أحسن تقويم ، وأكمل تنظيم .

في الطير وهو يبحث عن طعامه ، ويعود إلىٰ مستقرّه ومنامه .

في الكائنات وهي في صراع محموم ، وفي هموم وغموم ؛ لتحصل علىٰ رزقها المقسوم ، وعيشها المعلوم .

في الإنسان وهو يفكِّر ويقدِّر ، ويقدِّم ويؤخِّر ، ويخطّط وينظر .

في الجبال ، واقفة في هيبة وجلال ، في الروابي الخضراء آية في الجمال .

في العافية والأسقام ، في الحقيقة والأحلام ، في اليقين والأوهام ، في الإقدام والإحجام ، في السحاب والسراب ، والضباب والرضاب .

في الأحياء ، وحُبِّها للبقاء ، ومدافعتها للأعداء ، فهٰذا بمخلبه يصول ، وهٰذا بنابه يجول ، وهٰذا بمنقره يناضل ، وذاك بريشه يقاتل ، وآخر بسُمِّه يدفع ، وغيره بجناحه يردع ، منهم من يطير ، ومنهم من يسير ، ومنهم من يسبح ، ومنهم من يمرح ، ومنهم علىٰ رجلين ، ومنهم علىٰ يدين ، ومنهم من يطير بجناحين ، هٰذا يزحف ، وذاك يخطف ، وهٰذا في قيْدِه يرسُف .

في التقاء الأحباب والفراق ، في الضم والعناق ، في الركود والانطلاق .

في النجمة هائمة في صفحة السماء تبسم في حنادس الليل ، في البدر تفنيه الليالي ويدركه المحاق كأنه قتيل ، في روعة الإشراق وقد نشرت الشمس

ضفائرها ونثرت جدائلها على التلال ، وبثَّت سِحْرها على الجبال .

في الطبيب يشفي من الداء ، فإذا أدركه الفناء . . بار فيه الدواء ، وعجز في علاجه الأطبّاء ، في المريض ييأس من العافية ، وتحار فيه الأدوية الظاهرة والخافية ، ثم تدركه من الله عناية شافية ، ورحمة كافية .

في البراكين تثور بالدمار ، في الزلازل تهز الديار .

في السُّم يُصنع منه الدواء ، في الماء يكون سبباً للفناء ، في الهواء يعصف فيدمر الأشياء ، في الريح تكون رخاءً فتلقح الثمار ، وتسوق الأمطار ، وتزجي السفن في البحار ، ثم تكون عاصفة هوجاء ، فتقتل الأحياء ، وتنقل الوباء .

في النخل باسقات لها طلع نضيد ، في الجبال تثبت الأرض وقد كادت تميد .

في اللَّبن يخرج من بين فرثٍ ودم ، في كل مخلوق كيف وُجِد من العدم .

في الإبل كيف خُلقت ، في السماء كيف رُفعت ، في الجبال كيف نصبت ، في الأرض كيف سُطِحت .

في الضحىٰ إذا ارتفع ، في الغيث إذا همع .

في خلق الإنسان كيف ينكس ، وفي عمره كيف يعكس ، يعمّر فيعود كالطفل ، فلا يُفرِّق بين فرضٍ ونفل .

في الطائر كيف يجمع القَش ، ويبني العُش ، ويختار عيضه ، ثم يضع بيضه .

في العجماوات ما بين جائع وبطين ، في الدود تبحث عن طعامها في الطين ، في البلبل يحبس في القفص فلا يبيض ، ويعيش بجناح مهيض .

في الحيّة وهي في الصحراء ، تنصب جسمها كأنه عود للإغراء ، فيقع

عليها الهدهد ، يظنها عوداً مجرَّداً ، فيكون طعامها ، بعد أن رأىٰ قيامها .

في الثمرة تحمىٰ بأشواك ، كأنها أسلاك .

في الأطعمة ما بين حلو وحامض ، وقلوي وقابض .

في الناس ألف كواحد ، وواحد كجيش حاشد .

* * *

معنى العلم

وفي كتاب « فضل علم السلف » لابن رجب :

فهٰذه كلمات مختصرة في معنى العلم ، وانقسامه إلىٰ علم نافع ، وعلم غير نافع ، والتنبيه علىٰ فضل علم السلف علىٰ علم الخلف ، فنقول ـ وبالله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ :

قد ذكر الله تعالىٰ في كتابه العلم تارة في مقام المدح ؛ وهو العلم النافع ، وتارة في مقام الذم ؛ وهو العلم الذي لا ينفع .

فأما الأول . . فمثل قوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وقوله : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ ؛ فهٰذا هو العلم النافع .

وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا علماً ولم ينفعهم علمهم ؛ فهٰذا علم نافع في نفسه ، لكن صاحبه لم ينتفع به ، قال تعالىٰ : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ ، وقال : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ .

وأما العلم الذي ذكره الله تعالىٰ علىٰ جهة الذم له . . فقوله في السِّحر : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم

﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ .

ولذلك جاءت السنة بتقسيم العلم إلىٰ نافع وإلىٰ غير نافع ، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع ، وسؤال العلم النافع ؛ ففي « صحيح مسلم » عن زيد بن أرقم : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم ؛ إني أعوذ بك من علم لا ينفع » .

ولهـٰذا قال بعض السلف لما أُريد على القضاء فأباه : إنما تعلمت العلم ؛ لأحشر به مع الأنبياء ، لا مع الملوك ، فإن العلماء يحشرون مع الأنبياء ، والقضاة يحشرون مع الملوك .

ولا بد للمؤمن من صبر قليل حتىٰ يصل به إلىٰ راحة طويلة ، فإن جزع ولم يصبر . . فهو كما قال ابن المبارك : (من صبر . . فما أقل ما يصبر ، ومن جزع . . فما أقل ما يتمتع) .

وكان الإمام الشافعي رحمه الله ينشد :

يَا نَفْسُ مَا هِيَ إِلاَّ صَبْرُ أَيَّامِ ... كَأَنَّ مُدَّتَهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامِ

يَا نَفْسُ جُوزِي عَنِ ٱلدُّنْيَا مُبَادِرَةً ... وَخَلِّ عَنْهَا فَإِنَّ ٱلْعَيْشَ قُدَّامِي

فنسأل الله تعالىٰ علماً نافعاً ، ونعوذ به من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع .

وقال بعض السلف : إن كان الرجل ليجلس إلى القوم فيرون أن به عِيّاً وما به من عِيّ ؛ إنه لفقيه مسلم .

فمن عرف قدر السلف . . عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام ، وكثرة الجدال والخصام ، والزيادة في البيان علىٰ مقدار الحاجة . . لم يكن عِيّاً ولا جهلاً ولا قصوراً ، وإنما كان ورعاً

وخشية لله ، واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع .

وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه ، وفي تفسير القرآن والحديث ، وفي الزهد والرقائق ، والحكم والمواعظ ، وغير ذلك مما تكلموا فيه .

فمن سلك سبيلهم . . فقد اهتدىٰ ، ومن سلك غير سبيلهم ، ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال والقيل والقال . فإن اعترف لهم بالفضل ، وعلىٰ نفسه بالنقص . . كان حاله قريباً ، وقد قال إياس بن معاوية : ما من أحد لا يعرف عيب نفسه إلا وهو أحمق ، قيل له : فما عيبك ؟ قال : كثرة الكلام .

وإن ادعىٰ لنفسه الفضل ، ولمن سبقه النقص والجهل . . فقد ضل ضلالاً مبيناً ، وخسر خسراناً عظيماً .

* * *

الحياة دقائق وثوانٍ

لله ما أعزّ ابن المعتز لما قال في عِزّ العزلة : من حطمته العيون . . حطمته الأقدام .

ما اجترأ الطفل على البعير إلا لكثرة مشاهدته ؛ لأن المبذول أرخص من الشعير .

من غباء الحمار أنه عرضة للصغار والكبار ، ولهٰذا اجتنب ركوبه ذوو الأخطار ، أما الخيول . . فاعتزلت في الإصطبل ، فامتطاها أهل الفضل ، ولما تبلّد الحمار واحتار . . ضُرب مثلاً للفجار : ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ .

لما لزم الأسد العرين وحصّن بالأسورة ، وكانت مشاهدته معسرة . . صار مهاباً : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ .

ولو لم يدرك الوهم هامان . . لفرّ من الملعون ، ولكنه استقر لعون فرعون ، وليته سمع : فرّ عن عون فرعون ، وتناول شراب الخلطة فصار كالمبطون المطعون .

اعتزل كالأسد ، ولا تبرز بروز الجمل ؛ فإن أسامة بن زيد أخذ من الأسد اسمه فاعتزل يوم الجمل ، فلما صفا له قلبه . . ترك صِفين ، وما قاتل بين الصَّفين ؛ لأنه تذكر : « قتلته بعد ما قال : لا إلـٰه إلا الله » .

لا تصدق الجمهور إذا أجلب ؛ فإنَّه برق خُلَّب ، وهم عند الطمع أغش وأكذب ، إذا سمعت لحذاء أحدهم طربقة ، ولصوته لقلقة ، ولكلامه

شقشقة . . فلا ترفع به رأساً ؛ فهو أحمق من هَبَنَّقة ، واهجر تلك الطبقة ، فإن رضيت بهم . . فقد وافق شنٌّ طبقة .

ما أُطلق على ابن دقيق العيد المحقّق المدقّق ، حتىٰ بخل بالدقائق في عزلة علمه ؛ لأن الشوق حمله إلى المعالي ، فكأنه سمع شوقي بعده بزمن :

دَقَّـاتُ قَلْـبِ ٱلْمَـرْءِ قَـائِلَـةٌ لَـهُ   إِنَّ ٱلْحَيَـاةَ دَقَـائِـقٌ وَثَـوَانِ

اعتزل إبراهيم الشِّرْك فصار حنيفاً ، واعتزل الأحنف الجهل فصار حليماً ، واعتزل أبو حنيفة السفهاء فصار فقيهاً ، فالدين حنيفي ، والحلم أحنفي ، والفقه حنفي .

نَحْنُ ٱلْحَنِيفِيُّونَ كَمْ مِنْ أَحْنَفٍ   فِينَـا وَكَـمْ مِـنْ عَنْتَـرٍ أَوْ حَـاتِـمِ

تُيِّم ابن تيمية بسنة النبي ، وبشجاعة أبي بكر التيمي ، وغيره متيم بأبواب السلاطين ، فصاروا كالأيتام علىٰ موائد اللئام .

انفرد الشافعي في خلوة شرعية بعدما هاجرت به الأم ، فأخرج لنا كتاب « الأم » ، فعلّم ملايين من الشافعيّة ، ومحاسنه تشفع له :

وَإِذَا ٱلْحَبِيبُ أَتَىٰ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ   جَـاءَتْ مَحَـاسِنُـهُ بِـأَلْـفِ شَفِيـعِ

اعتزل الهدهد فوحّد وتعبّد ، وصار آية في التّفرُّد ، سبىٰ قلبه خبر سبأ ، فأتىٰ إلى النبي منها بنبأ ؛ لأنه اختبأ ، ففتح عليه الذي يخرج الخبأ في السماوات والأرض ، فصار مختبئاً عن العيون .

* * *

الحمامة والدّيك

وفي كتاب « كشف الأسرار » لعز الدين المقدسي :

رأيت حمامة ، قد جُعل طوق العبودية في عنقها علامة ، فقلت لها : حدثيني عن شوقك وذوقك ، وأوضحي لي ما حكمة تطويق طوقك ؟

فقالت : أنا المطوقة بطوق الأمانة ، المتقلدة تقليد الصيانة ، فأنا لحمل الأمانة قد نُدبت ، وبالمحافظة عليها أُمرت ، فإذا رأيت أهل الجناية.. ندبت أحمل الرسائل ، وأبلغ الوسائل ، وأجيب المسائل ، وأؤدي الأمانة ولا أسائل ، ولكني أخبرك بخبري ؛ لتعلم حقيقة مخبري ، أخبرك بالقصة الصحيحة ؛ فإن الدين النصيحة ، ما كل طائر أمين ، ولا كل حالف يصدق في اليمين ، ولا كل سالك هو من أصحاب اليمين ، وإنما الخصوص بحمل الأمانة جنسي ، وما أبرىء نفسي .

يحمل الأمانة منا من كان أبلق وأخضر ؛ لأنه أحسن في الشكل والمنظر ، وأعدل في الخبر والمخبر ، ولا تكون الشيم العلية إلا في الروح الزكية ، ولا شرف العزيمة إلا في النفس النفيسة المستقيمة ؛ فإنّ اعتدال لون الطائر يدل على اعتدال تركيبه ، فيصلح حينئذ تأديبه .

فلما باشرني مؤدبي بالتخريج ، وعرّفني الطريق بالتدريج.. أقول : حملوني ما شئتم ، فأحمل كتب الأسرار ، ولطائف الأخبار ، فحينئذ أطير ، وأقطع الهول المستطير ، خائفاً من جارح جانح ، حاذراً من سايح سارح ، جازعاً من صائد ذابح .

أكابد الظمأ في الهواجر ، وأطوي على الطوىٰ في المحاجر ، فلو رأيت حبة بُرّ مع شدة جوعي. . عدلت عنها ، وذكرت ما جرىٰ علىٰ آدم منها ، فأرتفع خشية من كمين فخ مدفون ، أو شرك يعوقني عن تبليغ الرسالة ، فأنقلب بصفقتي مغبوناً ، فإذا أنا وصلت ، وفي مأمني حصلت. . أديت ما حملت ، وعملت بما علمت ، فهنالك طوقت ، وبالبشارة خلقت ، ثم أنقلب إلىٰ شكر الله علىٰ ما وفقت ، وفي ذلك أقول :

أَأَحْبَابِي وَصَلْتُمْ أَوْ صَدَدْتُمْ ... فَعَبْدُكُمُ عَلَىٰ حِفْظِ ٱلأَمَانَةْ
مُقِيمٌ لاَ يُزَحْزِحُهُ عَذُولٌ ... وَلاَ يُثْنِي مُعَنِّفُهُ عِنَانَهْ
حَمَلْتُ لأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى ... جِبَالٌ أَنْ تُحَمِّلَهَا وِزَانَهْ
فَحِفْظُ ٱلْعَهْدِ مَا وَافَاهُ حُرٌّ ... وَلَوْ أَوْدَىٰ هَوَاهُ بِهِ وَشَانَهْ

فقال الديك : ها أنا في ناديك أناديك ، وأنت في تعاميك وتغاشيك ، جعلت الأذان لي وظيفة ، أوقظ به من هو نائم كالجيفة ، وأبشر الذين يدعون ربهم تضرعاً وخيفة ، وفي إشارة لطيفة ، ومعان ظريفة ، أصفق بجناحي بشرىٰ للقائم ، وأعلن بصياحي تنبيهاً للنائم ، فتصفيق الجناح ، بشرىٰ بالنجاح ، وترداد الصياح ، دعاء للفلاح ، ولئن كان الخفاش جعل له في الليل وظيفة. . فإنه في النهار نائم كالجيفة ، مستتر عن أعين الناس خيفة .

فأنا الذي لا أُخِلّ بوظيفتي ليلاً ولا نهاراً، ولا أغفل عن وردي سراً ولا جهاراً، قسمت وظائف الطاعات، علىٰ جميع الساعات، فما تمر بي ساعة، إلا ولي فيها وظيفة طاعة ، فبي تعرف المواقيت ، فأنا غالي القيمة ، ولو شريت باليواقيت ، فهـٰذا حالي مع قيامي في عيالي ، وإشفاقي علىٰ أطفالي .

فأنا بين الدجاج ، أقنع بالماء الأجاج ، فلا أختص عنهم بحبة ، ولا أتجرع

من الماء دونهم بشربه ، وهٰذه حقيقة المحبة ، إن رأيت حبة . . دعوتهم إليها ، ودللتهم عليها ، فمن شأني الإيثار ، إذا حصل اليسار ، ثم إني طوعاً لأهل الدار ، أصبر لهم علىٰ سوء الجوار ، يذبحون أفراخي ، وأنا لهم كالخل المواخي ، وينتهبون أتباعي ، وأنا في نفعهم ساع ، فهٰذه سجية أوصافي ، والله لعبده كاف .

فقلت له : أيها الديك ؛ إلىٰ كم تعظ ، ولا تتعظ ، وتنصح من هو عن الصواب معترض، وتجمع من ملازمتك الأذكار، ومنادمتك في ظلم الأسحار؟

فقال : يا قوم ؛ إذا حسن الوعظ . . انتفع به الكل أو البعض ؛ فالعقول عارفة بما أقول ، فقد أفلح من وعىٰ ، واجتهد في الإخلاص وسعىٰ ، ومن أعماه الجهل . . فقد توعر مسلكه السهل ، وفي ذلك أقول :

بِـذِكْـرِ ٱللهِ يُـدْفَـعُ كُـلُّ خَـوْفٍ ... وَيَـدْنُـو ٱلْخَيْـرُ مِمَّـنْ يَـرْتَجِيـهِ
وَلَكِـنْ أَيْـنَ مَـنْ يَصْغَـىٰ وَيَـدْرِي ... حَقِيقَـةَ مَـا أَقُـولُ وَمَـنْ يَعِيـهِ

فقلت له : أيها الديك ؛ ما لي أراك تغتر إذا شبعت ، كما تغتر إذا منعت ؟

فقال : الحرص أغلب ، وهو لأجل القلوب أجلب ، وقد آن وجود الحب ، بمشيئة الرب ، فعليك بحسن الطلب لبلوغ الأرب ، فربما قلّ رزقك ، إذا كثر حذقك .

قلت : فليهنك الخلاص من المرضىٰ ، فلم بليت منهم بهٰذه البغضىٰ ، وأنت صغير السن ، جدير بالرحمة من الإنس والجن ؟

قال : ولع الطبيب بهٰذه الأسماء ، فسجرت الشفار لإراقة الدماء ، فمن حان أجله . . عظم وجله، والحِمام أجلّ معلوم، وما أحد من منيّته بمعصوم.

* * *

معرفة النفس

وفي كتاب « كيمياء السعادة » لأبي حامد الغزالي :

اعلم أن مفتاح معرفة الله تعالىٰ هو معرفة النفس ، كما قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من عرف نفسه . . فقد عرف ربه » .

وليس شيء أقرب إليك من نفسك ، فإذا لم تعرف نفسك . . فكيف تعرف ربك ؟

فإن قلت : إني أعرف نفسي . . فإنما تعرف الجسم الظاهر ، الذي هو اليد والرجل والرأس والجثة ، ولا تعرف ما في باطنك من الأمر الذي به إذا غضبت . . طلبت الخصومة ، وإذا اشتهيت . . طلبت النكاح ، وإذا جعت . . طلبت الأكل ، وإذا عطشت . . طلبت الشرب .

والدواب تشاركك في هٰذه الأمور .

فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة ؛ حتىٰ تدرك أي شيء أنت ؟ ومن أين جئت إلىٰ هٰذا المكان ؟ ولأي شيء خلقت ؟ وبأي شيء سعادتك ؟ وبأي شيء شقاؤك ؟

وقد جمعت في باطنك صفات : منها صفات البهائم ، ومنها صفات السباع ، ومنها صفات الشياطين ، ومنها صفات الملائكة ، فالروح حقيقة جوهرك ، وغيرها غريب منك ، وعارية عندك .

فالواجب عليك أن تعرف هٰذا ، وتعرف أن لكل واحد من هٰؤلاء غذاء وسعادة .

فإن سعادة البهائم في الأكل ، والشرب ، والنوم ، والنكاح ، فإن كنت منهم . . فاجتهد في أعمال الجوف والفرج .

وسعادة السباع في الضرب ، والفتك ، وسعادة الشياطين في المكر ، والشر ، والحيل ، فإن كنت منهم . . فاشتغل باشتغالهم .

وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية ، وليس للغضب والشهوة إليهم طريق ، فإن كنت من جوهر الملائكة . . فاجتهد في معرفة أصلك ؛ حتىٰ تعرف الطريق إلى الحضرة الإلهية ، وتبلغ إلىٰ مشاهدة الجلال والجمال ، وتخلّص نفسك من قيد الشهوة والغضب ، وتعلم أن هٰذه الصفات لأي شيء ركبت فيك ؛ فما خلقها الله تعالىٰ لتكون أسيرها ، ولكن خلقها حتىٰ تكون أسرك ، وتسخرها للسفر الذي قدامك ، وتجعل إحداها مركبك ، والأخرىٰ سلاحك ؛ حتىٰ تصيد بها سعادتك ، فإذا بلغت غرضك . . فقاوم بها تحت قدميك ، وارجع إلىٰ مكان سعادتك ، وذلك المكان قرار خواص الحضرة الإلهية ، وقرار العوام درجات الجنة .

فتحتاج إلىٰ معرفة هٰذه المعاني ؛ حتىٰ تعرف من نفسك شيئاً قليلاً ؛ فكل من لم يعرف هٰذه المعاني . . فنصيبه من القشور ؛ لأن الحق يكون عنه محجوباً .

اعلم أنه قيل في المثل المشهور : إن النفس كالمدينة ، واليدين والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها ، والقوة الشهوانية واليها ، والقوة الغضبية شحنتها ، والقلب ملكها ، والعقل وزيرها .

والملك يدبرهم حتىٰ تستقر مملكته وأحواله ؛ لأن الوالي ـ وهو الشهوة ـ كذاب فضولي مخلط ، والشحنة ـ وهو الغضب ـ شرير قتال خراب ، فإن تركهم الملك علىٰ ما هم عليه . . هلكت المدينة وخربت ، فيجب أن يشاور الملك الوزير ، ويجعل الوالي والشحنة تحت يد الوزير ، فإذا فعل ذلك . . استقرت أحوال المملكة ، وتعمرت المدينة ، وكذلك القلب يشاور العقل ، ويجعل الشهوة والغضب تحت حكمه ؛ حتىٰ تستقر أحوال النفس ، ويصل إلىٰ سبب السعادة من معرفة الحضرة الإلهية .

ولو جعل العقل تحت يد الغضب والشهوة . . هلكت نفسه ، وكان قلبه شقياً في الآخرة .

* * *

مجامع الفضائل التي بتحصيلها تُنال السعادة

وفي كتاب « ميزان العمل » لأبي حامد الغزالي :

إذا عرف أن السعادة تنال بتزكية النفس وتكميلها ، وأن تكميلها باكتساب الفضائل كلها . . فلا بد من أن يعرف الفضائل جملة وتفصيلاً .

فأما الفضائل بجملتها . . فتنحصر في معنيين :

أحدهما : جودة الذهن والتمييز .

والآخر : حسن الخلق .

أما جودة الذهن . . فليميّز بين طريق السعادة والشقاوة ، فيعمل به ، وليعتقد الحق في الأشياء علىٰ ما هي عليه ، عن براهين قاطعة مفيدة لليقين ، لا عن تقليدات ضعيفة ، ولا عن تخييلات مقنعة واهية .

وأما حسن الخلق . . فبأن يزيل جميع العادات السيئة ، التي عرّف الشرع تفاصيلها ، ويجعلها بحيث يبغضها ، فيجتنبها كما يجتنب المستقذرات ، وأن يتعود العادات الحسنة ويشتاق إليها فيؤثرها ، ويتنعّم بها كما قال عليه الصلاة والسلام : « جعلت قرة عيني في الصلاة » .

ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع استثقال وكراهة . . فذلك لنقصان ، ولا ينال كمال السعادة به .

نعم ؛ المواظبة عليه بالمجاهدة غاية الخير ، ولكن لا بالإضافة إلىٰ فعله عن طوع ورغبة ، وإنما قيل : الحق مرة بالإضافة إلىٰ من لم يتهذب ، فبقي فيه

صوارف عن الحق ، ولذلك قال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ .
ولذلك قال عليه السلام : « إن استطعت أن تعمل في الرضا لله . . فاعمل ، وإلا . . ففي الصبر علىٰ ما تكره خيرٌ كثير » .

ثم لا يكفي في نيل السعادة استلذاذ الطاعة ، واستكراه المعصية في زمان دون زمان ، بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام في جملة العمر ، وكلما كان العمر أطول . . كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ، ولذلك لما سئل عليه السلام عن السعادة . . قال : « طول العمر في طاعة الله » .

ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت ؛ فإن الدنيا مزرعة للآخرة ، وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر . . كان الثواب أكثر ، والنفس أزكىٰ وأطهر ، وكمالها أتم ، وابتهاج صاحبها بجمالها عند التجرد عن علائق البدن أشد وأوفر ، وذلك إذا تنبّه عن نومه الذي أغفله عن إدراك حال نفسه ، من جمال يبتهج به ، أو خزي وخيال يفتضح به ، وذلك التنبّه بإطراح الشواغل ، فالناس نيام ، فإذا ماتوا . . انتبهوا .

فهٰذه مجامع الفضائل ، وغايتها : أن تصدر منه الفضائل أبداً بغير فكر وروية وتعب ، ويطلع على الحق بغير تعب طويل ، حتىٰ كأنه يصدر منه ، وهو في غفلته كالصانع الحاذق في الخياطة والكتابة .

وغاية الرذالة : أن ترشح منه الرذائل بغير تكلف ولا فكر ولا روية .

واعلم أن هٰذه الفضائل المحصورة في فن نظري ، وفي فن عملي ، يحصل كل واحد منها علىٰ وجهين :

أحدهما : بتعلم بشريّ ، وتكلف اختياري ، يحتاج فيه إلىٰ زمان وتدرب وممارسة ، وتقوِّي الفضيلة فيه شيئاً فشيئاً خفي التدريج ؛ كتدريج الشخص في

النمو ، وإن كان في الناس من يكفيه أدنىٰ ممارسة ، وذلك بحسب الذكاء والبلادة .

والثاني : يحصل بجود إلـٰهيّ ؛ نحو : أن يولد الإنسان ، فيصير بغير معلم عالماً ؛ كعيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، وكذا سائر الأنبياء الذين حصل لهم من الإحاطة بحقائق الأمور ، ما لم يحصل لطلاب العلم بالتعلم ، وقيل : إن ذلك قد يحصل أيضاً لغير الأنبياء ، وهم الذين يعبر عنهم بالأولياء ، وهـٰذا الآن رزق لا يمكن اكتسابه بالجهد ، فمن حرم ذلك . . فليجتهد أن يكون من الفريق الثاني ، وليعلم نزول رتبته عن رتبة أولـٰئك ، « فليس التكحل في العينين كالكحل » .

ولا ينبغي أن تستبعد أن يكون بالطبع في مبدأ الفطرة من العلوم ما يحصل بالجهد والاكتساب ، كما يكون ذلك في الأخلاق ، فرب صبي صادق اللهجة سخيّ جريء ، وربما تخلق بخلافه ، وذلك يحصل بالتأديب والتربية .

فإذن تحصل الفضيلة تارة بالطبع ، وطوراً بالاعتياد ، ومرة بالتعلم ، فمن تضافرت في حقه الجهات الثلاث ، حتىٰ صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً . . فهو في غاية الفضيلة ، ومن كان رذلاً من هـٰذه الجهات الثلاث . . فهو في غاية الرذالة ، وبينهما رتبة من اختلفت فيه هـٰذه الجهات .

* * *

حُفّاظ الأثر

جاءني عطاء الله السمرقندي ، فبات عندي ، وكان أحد المحدثين ، ويكره المُحْدِثين في الدين ، فقلنا : أيها الإمام ؛ عليك السلام ، الوقت حثيث ، فحدثنا عن علم الحديث .

فتأوّه ثم قال : مات حفاظه ، فكادت تنسىٰ ألفاظُه ، وأهل الحديث هم الركب الأخيار ، أحباب المختار ، قوم تصدقوا بالأعمار على الآثار ، وقضوا الحياة في الأسفار ؛ لجمع كلام صفوة الأبرار .

شدّوا العمائم ، وجدّوا في العزائم ، وتسلحوا بالصبر الدائم ، فلو رأيتهم وقد فتحوا الدفاتر ، وقربوا المحابر ، وكتبوا : حدثنا مسدّد بن مسرهد ، أو رواه أحمد في « المسند » ، أو أخرجه البخاري ، وشرحه في « فتح الباري ». . لهانت عندك الدنيا بما فيها ، وركبت سفينة الحديث وناديت : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا ﴾ ، ولأقبلت على العلم والكتب ، وهجرت اللهو واللعب ، واللغو والطرب .

يفوح من فم المحدث المسك التِّبتي ؛ لأن عليه سيماء « نضَّر الله امرأً سمع مني مقالتي » ، أنفاس المحدثين تنضح بالطيب ؛ لأنها حملت اسم الحبيب .

بنفسي ذاك المحدث إذا جلس على الكرسي ، وقد حف به الطلاب ، ونشر الكتاب ، ثم قال : حدثنا محمد بن شهاب ، عندها يرتحل قلبك ، ويكاد يطير لبك ؛ شوقاً لصاحب التركة ؛ لما جعل الله في كلامه من البركة .

فتصبح الدنيا رخيصة مرفوضة ، لا تساوي جناح بعوضة ، وتشتاق النفوس إلى الجنة ، لمّا غشيتها أنوار السُّنَّة .

أما أخبار المحدثين في الأسفار ، وقطع القفار ، وامتطاء البحار ، وركوب الأخطار . . فقد حفلت بها الأسفار .

ولكنهم في سفرهم يقرؤون كتاب الكون ، في كل حركة وسكون ؛ فإن المحدث يجد المتعة في ارتحاله ، والبهجة في انتقاله ، من ناد إلىٰ ناد ، ومن جبل إلىٰ واد ، فهو يعب من المناهل ، ويُسرح طرفه في المنازل ، ويُطلق بصره إلىٰ دساكر الأقطار وغياضها ، وحدائق الديار ورياضها ، فيلمح عجائب البلدان ، ويتصفح غرائب الأوطان ، ويأنس بنغم الطيور في كل بستان .

فهو في تنقل بين حيطان وغيطان ، ووديان وأفنان وألوان ، تمر به الصور والمشاهد ، ويبيت في المساجد ، ويعب الماء النمير ، من كل غدير ، له في كل بلدة أصحاب ، وله في كل قرية أحباب ، يفترش الغبراء ، ويلتحف السماء ، سلم في سفره من أذى الجيران ، وضوضاء الصبيان ، والثقيل من الإخوان ، ينام على الثرىٰ ، في العرا ، خارج القرىٰ ، مركوبه رجلاه ، وخادمه يداه ، البسمة لا تغادر محياه .

قيل للفلاسفة : من سندكم ؟ قالوا : ابن سينا ، عن سرجيس بن ماهان ، عن أرسطاطاليس من اليونان .

وقيل لعلماء الكلام : من سندكم ؟ قالوا : محمد بن الجهم من خراسان ، عن الجهم بن صفوان .

وقيل للمحدثين : من سندكم ؟ قالوا : طاووس بن كيسان ، عن ابن عباس ترجمان القرآن ، عن الرسول سيد ولد عدنان ، عن الرحمـٰن .

كان المحدِّث إذا ودّع أولاده ، وترك بلاده ، وحمل زاده . . وجد من راحة البال ، وطيب الحال ، ما يفوق فرحة أصحاب الأموال ، وما يربو علىٰ سرور من ملك الرجال .

إذا جمع بعضهم كلام الفلاسفة ، أهل الزيغ والسفه ، الذي يورث الجدال والمعاسفة . . جمع المحدثون كلام الذي ما ضل وما غوىٰ ، وما ينطق عن الهوىٰ ، إن هو إلا وحي يوحىٰ .

وإذا تفاخر أحدهم بجمع كلام علماء الكلام ، أهل الشقاق والخصام . . تفاخر المحدثون بحديث خير الأنام ، أزكىٰ من صلىٰ وصام ، وحج بالبيت الحرام .

قال الشافعي : إذا رأيتُ محدثاً . . فكأني رأيت أحد أصحاب محمد .

قلت : لأن نهجهم مسدد ، وعلمهم من الله مؤيد .

أنا لا أريد سَنَدي من إيوان كسرىٰ أنوشروان ، ولا من الرومان ، ولا من اليونان ، أريد سندي عن سفيان ، أو سليمان بن مهران ، أو سلمان ، عن رسول الإنس والجان .

تعلّمُني كلام الناس بلا دليل ، ولا تأصيل ، وتقول : هـٰذا كلام جميل ، وعندي التنـزيل ؟!

قيل للحمار : لماذا لا تجتر ؟ قال : أكره الكذب .

وقيل للجمل : لماذا لا ترقص ؟ قال : لا أعرف الطرب .

وتعلِّمُني الفلسفة والمنطق ، وأنا ما عندي وقت للعب ؟!

أريد أن أسمع في المجلس : حدثنا سبعين مرة ؛ لتكتمل المسرّة .

الحديث النبوي كلام ، لم يخمّر في عقول فلاسفة اليونان ، ولم يتعفّن في

أدمغة فلان وفلان، ولم يأتِ من أهواء أهل الطغيان، وإنما قاله مَن أتىٰ بالقرآن.

تقرأ استنباط أهل الفهوم، وتطالع كتب أرباب العلوم، ثم تتلو حديث المعصوم، فإذا ماء الوحي يترقرق في جنباته، ورحيق العصمة يتدفق في قسماته، فكأن كل علم قرأته قبله نسي وانتهىٰ؛ لأنه لا يقاوم كلاماً أتىٰ من عند سدرة المنتهىٰ.

ما أحسن الضم والعناق، لجملة: حدثنا عبد الرزاق!

كلما قلت: أخبرنا علي بن المديني.. حفظت ديني، سهمي لكل مبتدع يسدد، إذا قلت: حدثنا مسدد بن مسرهد.

أشرقت أمامي المسالك، كلما قرأت « موطأ مالك ».

سقيم الإرادة العلمية له علاج، عند مسلم بن الحجاج، أُدْمغُ كل منحرف بذي، بـ« سنن الترمذي »، أنا في صباحي ومسائي، أدعو للنسائي.

هاجر المحدثون إلى الله لطلب كلام رسوله الأمين، فوجدوا في أول الطريق ثواب نية الصادقين، ووجدوا في وسطه نضرة البهاء التي دعا بها سيد المرسلين، ووجدوا في آخر الطريق جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

كل صاحب فن، ينسب إلىٰ صاحب ذاك الفن، إلا المحدثون؛ فإنهم ينسبون إلىٰ من أتىٰ بالسنن، وأهدىٰ لنا المتن، وتنعمت بعلومه الفطن.

سافر أحمد ابن حنبل من بغداد إلىٰ صنعاء، يمتطي الرمضاء، ويركب الظلماء، يترك الأهل، يدفعه الجبل إلى السهل، تشيعه الدموع، يرافقه الجوع؛ لأن الرجل مشتاق، وأحد العشاق، لذاك الترياق، من قوارير عبد الرزاق.

دخل مكحول القرىٰ والبوادي ، وطاف على النوادي ، وعبر كل واد ، يطلب حديث النبي الهادي ، فصار ريحانة الشام ، وشيخ الإسلام .

ومشىٰ أبو حاتم ألف فرسخ على الأقدام ؛ لطلب حديث سيد الأنـام ، فأصبح بذلك أحد الأعلام .

المحدثون هم عسكر الرسالة ، وجنود البسالة ، ظهروا على البدع بكتائب (حدثنا) ، وسحقوا الملاحدة بجيوش (أخبرنا) .

لولا كتابة الحديث في الدفاتر ، وحمل المحدّثين للمحابر . . لخطب الدجَّال على المنابر .

الله كم من أنف لمبتدع أُرغم بـ« صحيح البخاري » ؟ وكم من صدر لمخالف ضاق بـ« فتح الباري » ؟

الحديث كسفينة نوح فيها من كل زوجين اثنين : رواية ودراية ، بداية ونهاية ، متون وأسانيد ، صحاح ومسانيد ، تراجم ومعاجم .

* * *

أبطال المنبر

نحن في زمن عجيب ، وفي عصر غريب ، كم بلينا بخطيب غير أديب ، ولا مصيب ، إذا تكلم . . تلعثم ، وهمهم ، وغمغم ، وتمتم .

إذا بدأ في الكلام . . اعتذر ، لا يدري ما يأتي وما يذر ؛ لأن كلامه هذر مذر ، ابتلي الرجل بالسعال ، وكثرة الانفعال ، وسوء التعبير في المقال .

لا يزوّر الكلام في صدره تزويراً ، ولا يحبّر الخطب تحبيراً ، فلا يساوي كلامه في ميزان الشعر نقيراً ، يا ليت بعض الخطباء اشتغل بالتجارة ، أو مارس البناء والنجارة ، وترك المنبر لأهل الإبداع والجدارة .

الخطيب القدير ، والمتكلم النحرير ، له صولة وزئير ، ومنطق كالحرير ، ولسان كالسيف الطرير ، إذا وثب على المنبر . . فاح منه المسك والعنبر ، فكأن منطقه الماء الزلال ، والنبع السلسال ، يأتي بالحكمة في ارتجال ، ويغلب بحجته الرجال ؛ فإنه الأسد إذا صال وجال .

إيّاك والكلام الساقط المرذول ، والعامي المبذول ، وعليك بفصيح المنقول ، الذي يحبّذه أصحاب العقول .

ما أحوجنا إلىٰ خطيب قوّال ، وبما يقول فعّال ، ليس صاحب إملال ، ولا إخلال ، ولا إقلال ، وإنما يدبج السِّحر الحلال .

لا يشرح الصدرَ مثلُ الكلام الصادق ، والبيان الناطق ، واللفظ الدافق ، والأسلوب السامق ، أما كلام الحاكة ، وألفاظ أهل الركاكة . . فهو حُمّى

الأرواح ، في الصدور رماح ، وفي القلوب جراح .

ترىٰ بعضهم إذا تكلم لا يكاد يُبِين ، كأنه من الأعجميين ، ينطق بالحرف مقلوباً ، ويجعل المرفوع منصوباً ، ملأ خطبته عيوباً ، وندوباً ، وثقوباً .

غضب منه في النحو سيبويه ، وفي اللغة نفطويه ، وفي الحديث راهويه ، وفي الشعر متنبيويه .

الخطيب البارع يأسر القلوب أسرا ، ويسري بالأرواح فسبحان من أسرىٰ ، ويسترق الضمائر فإما مناً بعد وإما فداء ، وله علىٰ مستعمرات النفوس احتلال واستيلاء .

الخطيب الملهم يكتب علىٰ صفحات القلوب رسائل من التأثير ، ويرسم في العقول صوراً من براعة التعبير ، ويبني في الأفئدة خياماً من جلال التصوير .

هل تَمَلّ من الروضة الغنّاء إذا غنىٰ فيها العندليب ، وحل بها الحبيب ، وأطفأ نسيمها اللهيب ؟ وكذلك الخطيب النجيب ، في خطبه روضات من الجمال ، وبساتين من الجلال ، ودواوين من الكمال .

تقرأ القصة لا تساوي بعرة ، ولا تهز شعرة ، فيلقيها الخطيب الأشدق ، والفصيح المتدفق ، فكأنها السحر دب في كيانك ، وكأنها الخمر هزت أركانك .

تسمع بيت الشعر لا يساوي ريالاً ، ولا ترىٰ فيه روعة ولا جمالاً ، فيلقيه الخطيب المصقع ، والمتكلم المبدع ، فتبقىٰ من حسنه مبهوتاً ، كأنك لقطت ياقوتاً .

الخطيب الهدّار ، كالسيل الموّار ، يقتلع الأشجار ، ويحمل الأحجار ،

ويقتحم الأسوار ، لا يرده جدار ، ولا تقف في طريقه دار ؛ لأن الخطيب يقبل ومعه الآية الآمرة ، والموعظة الزاجرة ، والقصة النادرة ، والحجة الباهرة ، والقافية الساخرة .

تعيش معه في دنيا من الصور والألوان ، وفي عالم من المشاهد والألحان ، كأنك في إيوان ، أو بستان ، أو ديوان .

دعني من الخطباء الثقلاء ، كأن كلامهم لهيب الرمضاء ، أو وهج الصحراء ، أو وجه الشتاء ، لا طلاوة ، ولا حلاوة ، لا إبداع ، ولا إمتاع ، ولا إشباع .

قوم لم تركض ألسنتهم في ميدان البيان ، ولم تذق قلوبهم حلاوة القرآن ، ولا تمتعوا بسحر الكلمات ، ولا رشاقة الجمل البالغات ، ولا عرفوا حسن السبك ، ولا براعة الحبك ، هَمُّ أحدهم صحف يتلوها على الناس بكرة وأصيلاً ، لا تترك في الناس من التأثير فتيلاً ، يلوك أحدهم الكلام لوكاً ، كأنه يغرز في الأجسام شوكاً .

أفصح الناس رسول الهدىٰ ، وإمام الندىٰ ، أبلغ من حضر وبدا ، وأوعظ من راح وغدا .

إن من أعظم المتع التي عاشها الصحابة ، تلك الفصاحة ، والبراعة ، والنجابة ، التي كانوا يسمعونها من سيد الفصحاء ، وإمام البرعاء ، وأبين العرب العرباء ، كان إذا تكلم . . ملك المشاعر ، واستولىٰ على الضمائر ، واستمال السرائر ، فلا يريدون بعده كلام خطيب ولا شاعر ، إذا نطق عليه الصلاة والسلام وتدفق . . فكأنه الفجر أشرق ، والماء ترقرق ، والنور في الأرواح ترفق .

إن من النعيم ، عند ذاك الجيل العظيم ، سماع ذلك النبي الكريم ، في منطق سليم ، وصوت رخيم ، وقول قويم ، ونهج مستقيم .

ثم درج خطباء الأمة علىٰ منواله ، وسبكوا أقوالهم علىٰ أقواله ، فمن مقلٍّ ومكثر ، ومن مُؤثّرٍ ومتأثر .

فأحسن الخطباء من جعل القرآن معينه ، وملأ بنور الحديث عينه ، وجعل البيان خدينه ، ثم أكثر من التدريب ، وأدمن التجريب ، وأخذ من كل فن بنصيب ، فترىٰ له من البراعة ، ومن الجرأة والشجاعة ، ما يخلِب ألباب الجماعة ، جمالاً في بيان ، وحسناً في إتقان ، مع عذوبة لسان ، وثبات جنان .

غير أن البلاء ، يأتي من الأغبياء ، المعدودين في الخطباء ، فهم كالغيم في الصحو ، وكاللحن في النحو ، عبارات من حجاب البيان سافرة ، وجمل متنافرة ، وتركيب غريب ، ليس عليه من سلطان الإبداع رقيب ، هَمُّ أحدهم أن يقول ، ولو أخطأ في النقول ، وعاث في العقول ، فَمَنْع هـٰؤلاء من الخطابة إصابة ، حتىٰ يراجع كل منهم حسابه ؛ فليست المنابر أسواق باعة ، ولا أحواش زراعة ، ولا ورش صناعة ، إنما المنابر مواضع طاعة ، تهذب بها الأجيال ، وتصقل بها عقول الرجال .

فهذبْ لسانك ، وجوّد بيانك ، ودرب جنانك ، وأطلق في الفصاحة عنانك ؛ لتكون الخطيب المسدّد ، والمتكلم المؤيد .

وحذار من ترداد الكلام ؛ فإنه يتحول إلىٰ ركام ، ويصبح الخطيب أقبح في العين من الظلام .

وإيّاك والتقعر والغرابة ؛ فإنها من عيوب الخطابة .

ولا تكرر العبارة ، ولا تكثر الإشارة ، ولا تقحم نفسك في فنون أهل الاختصاص ، ولا تجرح الأشخاص .

واخلط الترغيب بالترهيب ، والوعظ بالتأديب ، وتحبب إلى السامعين بالطَّيِّب من الكلام ، ولا تتعرض للشتم والملام ، وتألّف القلوب ، وذكرهم برحمة علاّم الغيوب .

وتخولهم بالموعظة ؛ لتكون لقلوبهم موقظة ، وتحدث فيما يحتاجون إليه من مسائل ، وما يهمهم من فضائل ، وكن لطيفاً مع الناس ، كالطبيب الآسي .

واجعل إمامك في الخطابة رسول البيان ، صاحب القرآن ، سيد ولد عدنان ؛ فقد كان الجذع يحنّ لكلامه ، ويئن من كثرة شوقه وهيامه ، وكانت الدموع من وعظه تتحدر ، والقلوب تتفطّر ، والنفوس تتحسر ، هـٰذا إذا أنذر وحذر ، أما إذا ذكرهم بمغفرة الغفور . . فهناك تسبح النفوس في صرح ممرّد من السرور ، وفي جدول من الحبور ، فيمد كلامه نور الفطرة ، فالكل نور علىٰ نور .

أيها الخطباء ؛ كونوا أبطالاً ، ورصّعوا من الحكمة أقوالاً ، ودبّجوا من الفصاحة أمثالاً ، وانفروا خفافاً وثقالاً ، وفقكم الله تعالىٰ .

* * *

اندم على ذنوبك

وفي كتاب « مواعظ ابن الجوزي » :

أيها العبد ؛ تفكر في عُمر مضىٰ كثيره ، وفي قدم ما يزال تعثيره ، وفي هوىٰ قد هوىٰ أسيره ، وفي قلب مشتت قد قلّ نظيره ، وتفكر في صحيفة قد اسودت ، وفي نفس كلما نصحت . . صدت ، وفي ذنوب ما تحصىٰ لو أنها عدت .

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : تفكُّر ساعة خير من قيام ليلة .

وقال أبو يوسف بن أسباط : الدنيا لم تخلق لتنظر إليها ، وإنما خلقت لتنظر بها إلى الآخرة .

وكان سفيان الثوري من شدة تفكيره يبول الدم .

وقال أبو بكر الكتاني : روعة عند انتباه من غفلة ، وانقطاع عن حظ نفس ، وارتعاد من خوف قطيعة ، أفضل من عبادة الثقلين .

وقال يحيى بن معاذ : لو سمع الخلائق صوت النائحة على الدنيا في الغيب من ألسنة الفنا . . تساقطت القلوب منهم حزناً ، ولو رأت القلوب بعين الإيمان نزهة الجنة . . لذابت النفوس خوفاً .

ولو أدركت القلوب كنه محبة خالقها . . لتخلعت مفاصلها ولهاً ، ولطارت الأرواح من أبدانها دهشاً .

سبحان من أغفل الخليقة عن كنه هٰذه الأشياء ، وألهاهم بالوصف عن حقائق هٰذه الأنباء .

يا ذاهباً في شططه ، يا واقفاً مع غلطه ، يا معترضاً لعقوبة الأحد ، ما سخطه ؟ يا معرضاً عن الاعتبار سمعه ، يا مطلقاً لسانه في غلطه ، يا من لا يفرق بين صحيح القول وسقطه ، أما له عبرة استدراك لفارطه ؟ إلىٰ متىٰ علىٰ قبيح غطه ؟ هلا عبأ متاعه في سقطه!

كلا لو صحا.. لاتعظ ، وأثر فيه اللوم وازدجر ، لكنه في غاية الغلظ ، وانقرض لا يلتفت إلىٰ من لام ولا من وعظ ، سيندم علىٰ تضييع ما كان احتفظ ، سيفرّ العلاج إذا زادت الكظظ ، سيخرس لسانٌ طالما لفظ .

من لم يبق من عمره إلا الأمل ، وهو للوزر العظيم قد حمل وأثقل.. سيعرض عليك من المعاصي مما دق وجل، تراعي الخلق وتنسىٰ حقه عز وجل، قد سوّد صحيفته وملأها من قبيح العمل ، حملت عليه الأمانة فتغافل عنها وضلَّ ، يدعىٰ إلى الاستقامة ، وكلما قوم ذل ، لا يعرف ولا يقبل ، قد غره مكر (سوف) ، وأوثقه قيد (لعلَّ) .

إِلاَمَ تُمَنِّي ٱلنَّفْسَ مَا لاَ تَنَالُهُ ... وَتَذْكُرُ عَيْشاً لَمْ يَعُدْ مُذْ تصَرَّما
وَقَدْ قَالَتِ ٱلسَّبْعُونَ لِلهْوِ وَٱلْهَوى ... دَعَانِي لِشَأْنِي وَٱذْهَبَا حَيْثُ شِئْتُمَا

من تفكر في ذنوبه.. تاب ورجع ، ومن تذكر قبيح عيوبه.. ذل وتواضع ، ومن علم أن الهوىٰ يسكن.. تصبر ، ومن تلمح إساءته.. لم يتكبر .

كان يزيد الرقاشي يقول : والهفاه ، سبق العابدون وقطع بي ، وكان قد صام اثنين وأربعين سنة .

وقال حذيفة المرعشي : لو أصبت من يبغضني حقيقة.. لأوجبت علىٰ نفسي حبه .

فيا أيها العبد ؛ عُد علىٰ نفسك باللوم والمقت ، واحذرها ، فكم ضيعت عليك من وقت ؟! واندم علىٰ زمان الهوىٰ ، فمن كيسك أنفقت ، ونادها : يا محل كل بلية ؛ فقد ـ والله ـ صدقت .

وروىٰ وهب بن منبه : أن رجلاً صام سبعين سنة يأكل كل سنة إحدىٰ عشرة تمرة ، وطلب حاجة من الله فلم يعطَها ، فأقبل علىٰ نفسه فقال : من قبلك بليت ؛ لو كان فيك خير . . أعطيت ، فنزل إليه ملك فقال : إن ساعتك هـٰذه التي ازدريت فيها علىٰ نفسك خير من عبادتك ، وقد أعطاك الله حاجتك .

وقال فضيل بن عياض : أخذت بيد سفيان بن عيينة في هـٰذا الوادي ، فقلت له : إن كنت تظن أنه قد بقي علىٰ وجه الأرض شر مني ومنك . . فبئس ما ترىٰ .

وقال رجل لأبي الحسن الموسمي : كيف أنت ؟ فقال : خفيت أضراسي من أكل نعمه ، وكَلَّ لساني من كثرة ما أشكوه .

يا واقفاً مع هواه وأغراضه ، يا معرضاً عن ذكر عوارضه إلىٰ أعراضه ، يا غافلاً عن الموت وقد جد بمقراضه ، وعلم اندباغ عمر أغراضه ، سيعرف خبره ؛ إذ أحاط به أشد أمراضه ، وأخرج من خراب الديار وروضه ، وألقي في لحد وحيداً يخلو برضراضه ، وعلم أنه باع أغراضه .

يا من بالهوىٰ كلامه وحديثه ، وفي المعاصي قديمه وحديثه ، وعمره في خطايا خفيفه وأثيثه ، من له إذا ألحد في قبره ؟ مَن يُغيثه ؟ من له إذا حامت حول حماه الردىٰ لِيُوثه ؟ من له من كرب لا يرحم عطاشه ؟ من له من جحفل لا يهدم كباشه ؟ من له من لحدٍ لا يدفع حشاشه ؟ من له من جدثٍ عمله في فراشه ؟ من له من قبرٍ فعل فيه معاشه ؟ من له من موقف لا يرد بطاشه ؟ من له

يومئذ ، ولا يقوىٰ نجاشه ؟ من له من حساب عقاب رذاذه يردي ورشاشه ؟ من يخلصه اليوم من هوىٰ قد أسرته رشاشه ؟

كم عاهد ونكث ؟! كم آثر الهوىٰ وعبث ؟! كم غره غرير بالسحر قد نفث ؟! تالله لقد بولغ في توبيخه وما اكترث ، ولقد بعث إليه النذير وما يرىٰ من بعث ، قلبه مشغولٌ بالهوىٰ ولسانه بالرفث ، كلما أصبح معاهداً وأمسىٰ . . نكث ، ظاهر صحيح ، وباطن قبيح خبيث ، سيندم يوم الضريح ؛ من القبيح حرَث ، سيبكي ندمان الهوىٰ يوم الظمأ عند اللهَث ، سيعرف جيرة المعاصي إذا حل الجدث ، سيرىٰ سيره إذا ناقش السائل أو بحث ، سيقرع السن ندماً إذا نادىٰ : ولم بعث ؟ عجباً لجاهل باع تعذيب النفوس براحات الجثث .

اَلْقَلْبُ أَسِيرٌ بِٱلْحَزَنِ	وَٱلدَّمْعُ غَزِيرٌ بِٱلشَّجَنِ
وَٱلْفِكْرُ يُذِيبُ ٱلْقَلْبَ فَمَا	مِثْلُ ٱلْفِكْرِ عَلَى ٱلْبَدَنِ ؟!
كَمْ بِتُّ وَدَمْعِي مُنْهَمِلٌ	لَوْ يَذْرَأُ فِي وَجْدِي ثَمَنِي
وَاهاً لِزَمَانٍ طَابَ لَنَا	مَا أَسْرَعَ مَا وَلَّىٰ وَفَنِي
مَا غَرَّدَتِ ٱلْوَرْقَاءُ عَلَى	غُصْنٍ إِلاَّ هَاجَتْ حَزَنِي
يَا عَيْنُ أَعِنْ قَلْباً قَلِقاً	بِٱلدَّمْعِ ٱطْفَأَ نَارَ ٱلشَّجَنِ
أَصْبَحْتُ أَسِيراً فِي خَطَئِي	وَذُنُوبِي قَدْ مَلأَتْ بَدَنِي
أَبْكِي زَلَلِي أَبْكِي خَلَلِي	أَبْكِي عَمَلِي كَيْ يَرْحَمَنِي
مَنْ يَوْمَ ٱلشِّدَّةِ يُنْقِذُنِي	مِنْ كَرْبِ ٱلْمَوْتِ يُخَلِّصُنِي
وَنَزَلْتُ وَحِيداً فِي جَدَثٍ	قَفْرٍ وَكَأَنِّي مِنْ لَبِنِ
أَيْنَ ٱلأَقْرَانُ وَمَا قَرَنُوا ؟	بِٱلْمَوْتِ جَمِيعاً فِي قَرَنِ

كَـمْ سِـرْتُ عَلَـىٰ رَبْـعٍ لَهُـمُ   وَأَطَلْـتُ مُسَـاءَلَـةَ ٱلـزَّمَـنِ
يَـا دَارَ حَبِيبِـي : أَيْـنَ هُـمُ   عَهْـدِي بِهِـمُ قَبْـلَ ٱلْمِحَـنِ ؟
قَـالَـتْ لِـي دَارُهُـمُ : دَارَتْ   بِهِـمُ امَـانِـيُّ ٱلـزَّمَـنِ
أَسَـرَتْهُـمْ قُـوَّتُـهُ فَهُـمُ   أُسَـرَاءُ ٱلْحِيـرَةِ وَٱلْحَـزَنِ
تَـرَكُـوا ٱلأَمْـوَالَ لِغَيْـرِهِـمُ   لَـمْ يَصْحَبْهُـمْ غَيْـرُ ٱلْكَفَـنِ
تَـٱللهِ لَقَـدْ سُئِلُـوا عَمَّـا   قَـدْ كَـانُـوا فِيـهِ مِـنَ ٱلْفِتَـنِ
فَتَيَقَّـظْ قَبْـلَ لَحَـاقِهِـمُ   مِـنْ طُـولِ ٱلـرَّقْـدَةِ وَٱلْـوَسَـنِ

* * *

مهبط الوحي

الجزيرة أرض التوحيد ، والمجد التليد ، والنهج الرشيد .

وهي أرض الإنسان ، والبيان ، والإيمان ، والقرآن ؛ لأنها دار الإنسان السوي ، والمؤمن الرضي ، التابع للمنهج المحمدي .

ولأنها أرض البيان الخلاب ، والأدب الجذّاب ، واللغة الحية ، والموهبة الأدبية .

ولأنها بلاد الإيمان ، فمنها أرسل الإيمان إلى العالم أنواره ، وبعث إلى الدنيا قصصه وأخباره .

ولأنها مهبط القرآن ، بها نزل جبريل ، على المعلم الجليل ، بآيات التنـزيل .

في هٰذه البلاد ، أعظم ناد للأجواد ، وأكبر واد للأجواد .

قال الموفق بن هادي : لا تلمني في حب بلادي ؛ فإنها سر أنسي وإسعادي ، فقد بعث منها محمد المحمود ، رسول الجود ، صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، واللواء المعقود .

وفيها ولد أبو بكر ، طيب الذكر ، صاحب الشكر ، نير الفكر .

ومنها عمر ، جميل الخبر ، وناشر العدل في البشر ، وصاحب أحسن السير .

ومنها عثمان ، جامع القرآن ، ومكرم الضيفان ، وله من الرسول نوران .

ومنها علي ، البطل الولي ، والسيف الجلي ، خائض الهول حتىٰ ينجلي .

ومنها الأسياد ، والأجواد ، والآساد .

فلما سمعنا كلام الموفق ، وإذا هو بالدليل محقق . . قلنا : ونسيت البترول ؛ فإنه السيف المسلول ، والشافع المقبول .

قال : كلاّ ، لمن أعرض وتولّىٰ ، فخرنا بالرسول ، لا بالبترول ، وسعادتنا بالذكر المنزل ، لا بالديزل ، وفرحتنا بالإسراء والمعراج ، لا بالحديد والزجاج ، وبهجتنا بالمقام والبيت ، لا بالزيت ، وتاريخنا بالإعجاز ، والإنجاز ، والامتياز ، لا بالبنزين والغاز .

فقلنا له : اترك من هلكوا وبادوا ، وحدثنا عن وصول الرادو ، ودعنا ممن يهمزون ويلمزون ، وكلمنا عن بث التلفزيون ، ومتىٰ وصلكم التليفون ، وما كنتم قبله تعرفون ، بل بالجهل توصفون .

فقال : أخطأتم التقدير ، وخطأ العاقل كبير ، اعلموا أننا قبل الصناعة ، كنا أهل البراعة ، والشجاعة ، والذاكرة اللماعة ، وأهل الأصالة ، والرسالة ، والبسالة .

كان العالم قبل وصولنا غابة ، كأن عليه جنابة ، وكانت الدنيا قبل ميلادنا في مأتم ، تشكو وتتألم ، فلما بزغ فجر رسولنا من البطحاء . . أشرقت علىٰ نوره الأرض والسماء ، خيام العدل في بلادنا ، وولد الشرف مع ميلادنا ، مضرب المثل في الكرم من أوطاننا ، وأشجع الناس من ودياننا .

نحن بعثنا إلى الدنيا النور ، وأزلنا منها الظلم والجور ، أذنّا في أذن الدنيا فآمنت ، ومشينا علىٰ جبالها فتطامنت ، كنا في الجاهلية الجهلاء ، أهل العزة الشماء ، فلما جاء الإسلام . . كنا الأعلام ، والصفوة الكرام .

شجاعة لو قابلتنا الأسود .. لهابت ، وعزيمة لو طرحت على الصخور . . لذابت .

هنا دار الفضائل ، ومنازل القبائل ، عندنا قبلة المصلين ، وكعبة الطائفين ، وملاذ الخائفين .

اختارنا الله لدينه أمناء ، وعلى الأمانة أوصياء .

من دارنا هبّت كتائب الفتوحات ، وسارت قوافل التضحيات .

عندنا محبرة ومقبرة ؛ محبرة لتقييد العلوم ، وتسجيل نتاج الفهوم ، ومقبرة للغزاة ، والمحاربين الطغاة .

نحن أول من حمل السيف ، وأكرَم الضيف ، وأبى الحيف .

أرضنا بدماء الشهداء تفوح ، وقلوبنا بأسرار التوحيد تبوح .

عندنا الذهب الأبيض والأحمر والأسود ؛ فالأبيض عِلْم ينعش الأحياء ، من الشريعة السمحاء ، والأحمر دماء في عروق الأحرار ، وفي شرايين الأبرار ، والأسود بترول مدفون في الثرىٰ ، يدلف بالحضارة للمدن والقرىٰ .

دافع الله عنا يوم قصدَنا صاحب الفيل ، فعاد في ثوب ذليل ، وردَ الله عنا غارة الفرس الكفار ، ومزّقهم في يوم ذي قار .

وأنزل الله نصره علينا في بدر ، يوم صعب الأمر ، وضاق الصدر ، فأيد رسولنا بملائكة مسوِّمين ، وكرام معلمين .

نحن خرجنا للعالم وفي قلوبنا قرآن نسكبه في قلب من وَحّد وتشهد ، وفي أيماننا سيوف نقطع بها رأس من تمرّد وألحد .

عندنا قداسة الإنسان ، وقداسة البيان ، وقداسة الزمان ، وقداسة المكان ؛ فقداسة الإنسان ماثلة في الرسول العظيم والنبي الكريم ، وقداسة

البيان قائمة في القرآن ، الذي أذهل الإنس والجان ، وقداسة الزمان كامنة في عشر ذي الحجة ورمضان ، وقداسة المكان في الحرم الطاهر ، والمشعر الزاهر .

ليس للدنيا بدوننا طعم ، وليس للتاريخ سوانا رسم ، وليس للناس إذا أُغفلنا اسم .

نحن شهداء على الناس ، ونحن مضرب المثل في الجود والباس .

كأن النور ولد معنا ، وكأنّ البشر لفظ ونحن معنىٰ ، جماجمنا بالعزة مدججة ، وخيولنا بالعزائم مسرجة .

نحن الأمة الوسط ، لا غلط في منهجنا ولا شطط ، وسط في المكان ؛ فنحن قلب الكرة الأرضية ، وزعماء الأخلاق المرضيّة .

ووسط في الزمان ؛ فلم نأت في طفولة الإنسانية ولم نتأخر إلىٰ شيخوخة البشريّة .

ووسط في العقيدة ؛ فنحن أهل التوحيد والمذهب السديد ، فلم نعتنق رهبانية النصارىٰ ، ولم ننهج نهج اليهود الحيارىٰ ، بل أمتنا بعيدة من الضلالة ، مصونة من الجهالة .

أليس في بلدنا الركن والمقام ، والبلد الحرام ، وعندنا عرفات ومنىٰ حيث الجمرات وزمزم والحطيم ، والمشعر العظيم .

وفي أرضنا غار حراء ، مشرق الشريعة الغراء .

ونزل في أرضنا جبريل ، على المعلم الجليل ، وحمىٰ بيتنا من الفيل ، بطير أبابيل .

ومنَّا خالد بن الوليد ، وأسامة بن زيد ، وطلحة بن عبيد .

وفي دارنا عائشة أمُّ المَكْرُمات ، المبرَّأة من فوق سبع سماوات ، وفاطمة البتول ، بنت الرسول ، طيبة الأصول .

وفي أرضنا الحرَمان ، والبيتان ، والعُمَران ، والهجرتان ، والبيعتان ، والسبطان ، والقرآن ، والإيمان ، والبيان .

نحن أهل عذوبة الألفاظ ، والجهابذة الحفَّاظ ، وفي بلادنا سوق عكاظ .

في بلادنا البطحاء ، حيث انطلقت الشريعة السمحاء .

وعندنا نَجْد الأبيّة ، مطلع شمس العربية ، ومنبع المواهب الشاعرية ، والخطابية .

ولدينا عسير ، حيث المسك والعبير ، والجمال منقطع النظير ، والذكاء الشهير .

ولدينا حائل ، أهل الفضائل ، أحفاد حاتم الطائي شرف القبائل .

ولدينا الحجاز ، أهل الفضل والامتياز ، والكرم والاعتزاز .

ولدينا الأحساء ، دار الشرفاء ، وبيت الأوفياء .

فغربنا أرض النبوة المحمديَّة ، والسنة الأحمديّة ، أرض قدمت للعالم أشرف هديّة ، وشرقنا أرض الخيرات ، وبلد المسرَّات ، ودار الهبات ، والأعطيات ، ووسطنا دار الملك والإمارة ، وبيت الجدارة ، ومحل الوزارة ، والسفارة ، وشمالنا أرض الجود ، والند والعود ، والأسود ، وحفظ العهود ، وإكرام الوفود ، وجنوبنا أرض الهمم الوثابة ، والطبيعة الخلابة ، والأخلاق الجذَّابة ، والفهم والنجابة ، والشعر والخطابة .

نحن كتبنا التاريخ بالدماء ، ووصلنا الأرض بالسماء ، أنجبنا العلماء ، وأنتجنا الحكماء ، وأرسلنا للعالم الزعماء ، وأهدينا الدنيا الحلماء .

إذا لم يبدأ التاريخ بنا . . فاعلم أنه منكوس ، وإذا لم يُثنِ علينا سِفر المكارم . . فاعلم أنه منحوس .

كسرنا سيوفنا في بدر ، علىٰ رؤوس أهل الكفر ، ثم أرسلنا شظاياه لصلاح الدين ، في حطين ، فقهر بها الملحدين .

ردّدنا في أحد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، فسحقنا من جحد ، وقطعنا دابر من فسد .

منا قائد القادسية، الذي أسقط العجم في الخانة المنسية، ومنا قائد اليرموك، الذي أذهب من رؤوس الروم الشكوك ، وصبغ وجوههم بالدم المسفوك .

نحن أرسلنا بني أمية ، ملوكاً للديار الشامية ، وبعثنا لبغداد بني العباس ، أهل الجود والباس ، وجيش العجم ما أسلم ، حتىٰ بعثنا له قتيبة بن مسلم ، ومددنا للهند السيف الحاسم ، محمد بن القاسم .

من كتب التاريخ وأهمل الجزيرة . . فقد ارتكب كبيرة ، وأتىٰ بجريرة ، كيف يُهمِل الرسول والأصول ، وأهل المنقول والمعقول ؟! كيف يأخذ البدن بلا روح ، ويُجرِّد البستان من الدوح ؟! كيف يَبني القصر علىٰ غير أساس ، ويُقيم الجسم بلا راس ؟!

تريد المسجد بلا محراب ، والمدرسة بلا كتاب ، نحن الفصول والأبواب ، ونحن السيف والنصاب ، لسجل المَكْرُمات كُتّاب ، ولأرقام المجد حسّاب ، وعلىٰ قصر الرسالة حجّاب .

نحن قلب المعمورة ، وأصحاب المناقب المأثورة ، العالم يتّجه إلىٰ قبلتنا كل يوم خمس مرات ، والدنيا تنصت لندائنا بالصلوات ، والكون يستمع لتلاوتنا بالآيات .

زارنا بلال بن رباح ، فصار مؤذن دولة الفلاح ، وجاءنا سلمان من أرض فارس ، فلما أسلم . . صار كأنه علىٰ قرن الشمس جالس ، ووفد إلينا صهيب من أرض الروم ، فأصبح من سادات القوم .

من بلادنا تشرق شمس المعارف ، ويقام للعلم متاحف ، وتنشر للهدىٰ مصاحف ، حتىٰ ماؤنا يفوق كل ماء ، فماء زمزم شفاء ، ومن كل داء دواء ، ونحن بيت العرب العرباء ، وعندنا سادات الكرماء ، ولدينا أساطين النجباء ، وأساتذة الحكماء ، إن ذكرت الحرب . . فنحن وقودها ، وإن ذكرت الملة . . فنحن أسودها ، وإذا سمعت بالرسالة . . فنحن جنودها .

* * *

استشهاد العلماء والساسة والأدباء والوجهاء بشعره :

لما انتهىٰ زاهد الكوثري من بعض كتبه استشهد ببيت المتنبي :

وَمَا أَنَا بِٱلْبَاغِي عَلَى ٱلْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفُ هَوَىً يُبْغَىٰ عَلَيْهِ ثَوَابُ

وذكر حسن البنا اختلاف الأزمان والأمكنة ثم أنشد قول المتنبي :

هُوَ ٱلْجَدُّ حَتَّىٰ تَفْضُلَ ٱلْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّىٰ يَصِيرَ ٱلْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا

وذكر الدكتور عبد العزيز الثنيان في مقابلة في التلفزيون السعودي شوقه إلى التعليم ، وقال كما قال المتنبي :

نَحْنُ أَدْرَىٰ وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَقَصِيرٌ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ

وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلسُّؤَالِ ٱشْتِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ

وكلمني الدكتور عبد العزيز الحربي معجباً بقول المتنبي :

أُصَادِقُ نَفْسَ ٱلْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِهِ وَٱلتَّكَلُّمِ

ودرّسنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، فذكر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال كما قال المتنبي :

إِذَا تَغَلْغَلَ فِكْرُ ٱلْمَرْءِ فِي طَرَفٍ مِنْ مَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ

وأسهب مرة في الشرح ثم ذكر قول المتنبي :

وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولُ لاَبِسِهِ إِنَّ ٱلثَّنَاءَ عَلَى ٱلتِّنْبَالِ تِنْبَالُ

وزرت بيت العلم والأدب بيت آل مبارك في الأحساء ، فحياني أحد

أدبائهم وقال : نحن كما قال المتنبي :

وَأَسْتَكْبِرُ ٱلأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا صَغَّرَ ٱلْخَبَرَ ٱلْخُبْرُ

وهٰذا البيت قاله ابن الشجري للزمخشري لما لقيه ، وذكر الحافظ ابن رجب أن الصادق لا بد أن يظهر ، وكذلك الكاذب ، كما قال المتنبي :

إِذَا ٱشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَىٰ مِمَّنْ تَبَاكَى

وذكر الشوكاني في بعض رسائله قول المتنبي :

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَبِفَكِّ ٱلْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى

فتعجب من جودة البيت وسبح وكبر .

وذكر الآلوسي قول المتنبي :

وَلاَ فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّدَى وَصَبْرِ ٱلْفَتَىٰ لَوْلاَ لِقَاءُ شَعُوبِ

وذكر الدكتور علي الحكمي الحسن وضده ، فقال : كما قال المتنبي :

وَنَذُمُّهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ ٱلأَشْيَاءُ

وخطب بنا الشيخ عبد الرحمٰن السديس في الحرم في قطيعة الرحم ، فاستشهد بقول المتنبي :

وَلَمْ تزَلْ قِلَّةُ ٱلإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ ٱلرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ

ولقيت طالب علم من سوريا ، فسألته عن بلده ، فقال : أنا من بلدة ضمير التي يقول فيها المتنبي :

لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيْراً عَنْ مَيَامِنِنَا لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ وَدَّعْتُهُمْ نَدَمُ

وسألت الدكتور محسن العواجي عن حاله ، فقال : كما قال المتنبي :

لَيْتَ ٱلْغَمَامَ ٱلَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَىٰ مَنْ عِنْدَهُ ٱلدِّيَمُ

وذكر الأديب السوداني الطيّب صالح بيت المتنبي متعجباً :

يُحَـرِّمُـهُ لَمْـعُ ٱلأَسِنَّـةِ فَـوْقَـهُ   فَلَيْـسَ لِظَمـآنٍ إِلَيْـهِ وُصُـولُ

وأنشد الخطيب المفوّه الدكتور عبد الوهاب الطريري على المنبر قول المتنبي :

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فَيُعْجِزُكُمْ   وَيَكْـرَهُ ٱللهُ مَـا تَـأْتُـونَ وَٱلْكَـرَمُ

وذكر الأديب الخوارزمي بيت المتنبي مندهشاً منذهلاً متعجباً ؛ وهو قوله :

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ ٱللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي   وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ ٱلصُّبْحِ يُغْرِي بِي

وذكر الأديب محيي الدين اللاذقاني أن الخليل بن أحمد اختار العين من بين حروف العربية ، قال : وأنا أختار الميم ؛ لأن المتنبي نظم عليه قصيدته التي منها :

أَرَانِـبُ غَيْـرَ أَنَّهُـمُ مُلُـوكٌ   مُفَتَّحَـةٌ عُيُـونُهُـمُ نِيَـامُ

ولقيت الشيخ محمد الشامي قاضي بيشة وكان عالماً أديباً ، فقال : ألا تعجب من قول المتنبي :

قِفِي تَغْرَمِ ٱلأُولَىٰ مِنَ ٱللَّحْظِ مُهْجَتِي   بِثَـانِيَـةٍ وَٱلْمُتْلِفُ ٱلشَّـيْءَ غَـارِمُـهْ

وألقيت بعض الأبيات علىٰ أحد الأدباء واعتذرت له بقول المتنبي :

مَلِـكٌ مُنْشِـدُ ٱلْقَرِيـضِ لَـدَيْـهِ   وَاضِـعُ ٱلثَّـوْبِ فِـي يَـدَيْ بَـزَّازِ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : إني أدعو في سجودي بمضمون وبمعنىٰ بيت المتنبي :

يَـا مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ فِيمَـا أُؤَمِّلُـهُ   وَمَـنْ أَعُـوذُ بِـهِ مِمَّـا أُحَـاذِرُهُ
لا يَجْبُرُ ٱلنَّاسُ عَظْماً أَنْتَ كَاسِرُهُ   وَلاَ يَهِيضُونَ عَظْماً أَنْتَ جَابِرُهُ

وتـذاكـرنـا العشـق مـع الـدكتـور عبـد الـرحمـٰن القحطـانـي ، فقـال :

لا رأي للعاشق ، كما قال المتنبي :

إِلاَمَ طَمَاعِيَةُ ٱلْعَاذِلِ وَلاَ رَأْيَ فِي ٱلْحُبِّ لِلْعَاقِلِ

وذاكرت الدكتور الشاعر عبد الرحمـٰن العشماوي في بدائع المتنبي ، فذكر بيتين له مادحاً ومثنياً ؛ وهما قوله :

وَمُرَادُ ٱلنُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَىٰ فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى

غَيْرَ أَنَّ ٱلْفَتَىٰ يُلاَقِي ٱلْمَنَايَا كَالِحَاتٍ وَلاَ يُلاَقِي ٱلْهَوَانَا

وذكر البرقوقي أن الناس في فهم المعاني درجات تبعاً لتباين قرائحهم ، كما قال المتنبي :

وَلَكِنْ تَأْخُذُ ٱلآذَانُ مِنْهُ عَلَىٰ قَدْرِ ٱلْقَرَائِحِ وَٱلْعُلُومِ

وكنت أكتب عن النجاح ، ومن طرقه عدم التكلف ، فعثرت علىٰ بيت للمتنبي أغلىٰ من حمر النعم ؛ وهو قوله :

أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ ٱلنَّجَاحُ بِهِ ٱلطْـ ـطَبْعُ وَعِنْدَ ٱلتَّعَمُّقِ ٱلزَّلَلُ

وقال الدكتور سعد البريك : إن العقل لا يدع صاحبه يتمتع بالملذات ، كما قال المتنبي :

ذُو ٱلْعَقْلِ يَشْقَىٰ فِي ٱلنَّعِيمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو ٱلْجَهَالَةِ فِي ٱلشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

وكنت أحادث الدكتور محمد الرومي ابن سيرين العصر في تعبير الرؤيا وكان مصاباً بالحمىٰ ، فقلت له : كيف حالك ؟ فقال : أنا كما قال المتنبي :

وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إِلاَّ فِي ٱلظَّلاَمِ

* * *

آية الله «المتنبّي» محبوب الجماهير

صار زميلي وصديقي آية الله أبو الطيب المتنبي أسطورة في عالم الشعر ، فكل الكبار من العلماء والأدباء والساسة والمفكرين والفلاسفة والمصنفين يلهجون بشعره ؛ لسحره وأسره ، وقوته وتأثيره ، ولموعه وسطوعه ، وذيوعه وشيوعه .

أمر الرئيس الفرنسي السابق جورج بن بيدو بأن يكتب على الدبابات الفرنسية ترجمة بيت المتنبي :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ شَيْئاً　　　كَنَقْصِ ٱلْقَادِرِينَ عَلَى ٱلتَّمَامِ

وقال الكاتب الشهير النمساوي المسلم محمد أسد في كتابه « الطريق إلىٰ مكة » : إن بعض الأدباء شاهد أمير حايل عبد العزيز بن مساعد في عهد الملك عبد العزيز ، فتمثل بقول المتنبي :

قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ ٱلْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ　　　وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَٱلسُّيُوفُ دَمُ

فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ ٱللهِ كُلِّهِمِ　　　وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي ٱلأَحْسَنِ ٱلشِّيَمُ

وكتب ابن تاشفين ملك المرابطين إلىٰ ملك النصارىٰ بيت المتنبي :

وَلاَ كُتْبَ إِلاَّ ٱلْمَشْرَفِيَّةُ عِنْدَهُ　　　وَلاَ رُسُلٌ إِلاَّ ٱلْخَمِيسُ ٱلْعَرَمْرَمُ

وقال ابن الجوزي في « صيد الخاطر » : الدنيا لا يفي سرورها بهمها ، كما قال المتنبي :

أَشَدُّ ٱلْغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ　　　تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ ٱنْتِقَالاَ

وقال ابن القيم : من أدمن المعاصي . . هانت عليه نفسه ، كما قال المتنبي :

مَـنْ يَهُـنْ يَسْهُـلِ ٱلْهَـوَانُ عَلَيْـهِ   مَـا لِجُـرْحٍ بِمَيِّـتٍ إِيـلَامُ

وذكر الغزالي في « الإحياء » : أن الإنسان لا بد له من الموت بعز أو بذل ، كما قال المتنبي :

وَإِلاَّ تَمُتْ تَحْتَ ٱلسُّيُوفِ مُكَرَّماً   تَمُتْ وَتُقَاسِ ٱلذُلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ

وذكر ابن كثير أن الشدائد طريق المجد ، كما قال المتنبي :

لَوْلاَ ٱلْمَشَقَّةُ سَادَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ   أَلْجُـودُ يُفْقِـرُ وَٱلإِقْـدَامُ قَتَّـالُ

وذكر طه حسين وفاءه ، كما قال المتنبي :

خُلِقْتُ أَلُوفاً لَوْ رَحَلْتُ إِلَى ٱلصِّبَا   لَفَارَقْتُ شَيبِي مُوجَعَ ٱلْقَلْبِ بَاكِيَا

وقال متولي الشعراوي : القمم تحتاج إلى الهمم ، كما قال المتنبي :

عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ ٱلْعَزْمِ تَأْتِي ٱلْعَزَائِمُ   وَتَأْتِي عَلَىٰ قَدْرِ ٱلْكِرَامِ ٱلْمَكَارِمُ

وذكر الشيخ ابن باز سوء الظن ، فقال كما قال المتنبي :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ   وَصَـدَّقَ مَـا يَعْتَـادُهُ مِـنْ تَـوَهُّـمِ

وفي كتاب ابن عثيمين « الدماء الطبيعية » قول المتنبي :

فَـإِنْ تَفُـقِ ٱلأَنَـامَ وَأَنْـتَ مِنْهُـمْ   فَـإِنَّ ٱلْمِسْـكَ بَعْـضُ دَمِ ٱلْغَـزَالِ

وزرت ابن عثيمين في مرضه الأخير ، فقال : ما أخبار الشعر يا فلان ـ يقصدني ـ ؟ فقلت : كما قال المتنبي :

أَلْمَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ وَٱلْكَرَمُ   وَزَالَ عَنْكَ إِلَىٰ أَعْدَائِكَ ٱلأَلَمُ

وذكر ابن حزم : أن أباه الوزير دخل عليه عدوٌّ له وقال : أنا وأنت كما قال المتنبي :

وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْحُرِّ أَنْ يَرَى   عَـدُوّاً لَـهُ مَـا مِـنْ صَدَاقَتِـهِ بُـدُّ

فقال أبوه : بل الصحيح :

وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْحُرِّ أَنْ يَرَى صَـدِيقـاً لَـهُ مَـا مِـنْ عَـدَاوَتِـهِ بُـدُّ

وقال أحد العلماء : إن المسلم علىٰ حال واحدة في الرخاء والشدة ، كما قال المتنبي :

وَحَـالاَتُ ٱلـزَّمَـانِ عَلَيْـكَ شَتَّـى وَحَـالُـكَ وَاحِـدٌ فِـي كُـلِّ حَـالِ

وسمعت الدكتور القصيبي في (العربية) يستشهد بقول المتنبي :

إِنَّمَـا تُنْجِـحُ ٱلْمَقَـالَـةُ فِـي ٱلْمَـرْ ءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوَىً فِي ٱلْفُؤَادِ

وسمعت الدكتور سلمان العودة في (إضاءات) يتكلم عن كلام الحساد ، فقال كما قال المتنبي :

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ ٱلْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

وذكر الدكتور عبد العزيز المقحم الاستفادة من أخطاء الآخرين ، فقال : كما قال المتنبي :

بِذَا قَضَتِ ٱلأَيَّامُ مَا بَينَ أَهْلِهَا مَصَـائِـبُ قَـوْمٍ عِنْـدَ قَـوْمٍ فَـوَائِـدُ

وحضرت مجلس تاجر يتمدح بالجود وهو لم يفعل ، فقال أحد طلبة العلم من الحضور : المسألة كما قال المتنبي :

جُودُ ٱلرِّجَالِ مِنَ ٱلأَيْدِي وَجُودُهُمُ مِنَ ٱللِّسَانِ فَلاَ كَانُوا وَلاَ ٱلْجُودُ

وذكر الدكتور القصيبي : أن الأمير فيصل بن فهد اتّصل به يسأله عن بيت المتنبي في سيف الدولة حيث يقول :

وَكَيْـفَ تُعِلُّـكَ ٱلـدُّنْيَـا بِشَـيْءٍ وَأَنْـتَ لِعِلَّـةِ ٱلـدُّنْيَـا طَبِيـبُ

وذكرت لأحد الأعيان كلام الحساد ، فقال لي ، كما قال المتنبي :

وَللهِ سِـرٌّ فِـي عُـلاَكَ وَإِنَّمَـا كَلاَمُ ٱلْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ ٱلْهَذَيَانِ

وطلب الإمام محمد عبده في مصر من الشعراء معارضة قصيدة المتنبي :

أَقَــلُّ فِعَــالِـي بَلْـهَ أَكْثَـرَهُ مَجْـدُ وَذَا ٱلْجِدُّ فِيهِ ـ نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ ـ جَدُّ

وافتتح عمرو موسى القمة العربية في تونس ، فذكر قول المتنبي :

أَلـرَّأْيُ قَبْـلَ شَجَـاعَـةِ ٱلشُّجْعَـانِ هُـوَ أَوَّلٌ وَهِـيَ ٱلْمَحَـلُّ ٱلثَّـانِـي

وسب الشريف المرتضى المتنبي عند أبي العلاء المعري ، فقال له أبو العلاء معرضاً به :

لا تسبه أيها الأمير ؛ فهو صاحب قصيدة :

لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي ٱلْقُلُوبِ مَنَازِلُ

فغضب الأمير وقال : قاتلك الله ، تقصد آخر القصيدة :

وَإِذَا أَتَتْـكَ مَـذَمَّتِـي مِـنْ نَـاقِـصٍ فَهِـيَ ٱلشَّهَـادَةُ لِـي بِـأَنِّـيَ كَـامِـلُ

وقال الدكتور سعيد بن مسفر : العز وحسن الصحبة في مقالة المتنبي :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي ٱلدُّنَا سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي ٱلزَّمَانِ كِتَابُ

وسألت الشيخ العلامة عبد العزيز الزهراني ، وقد بلغ الثمانين : كيف حياتك ؟ فقال : كما قال المتنبي :

قَـدْ ذُقْـتُ شِـدَّةَ أَيَّـامِـي وَلَـذَّتَهَـا فَمَا حَصَلْتُ عَلَىٰ صَابٍ وَلاَ عَسَلِ

وزرت (أبها) ، فلقيت زميلي الدكتور محمد الحازمي ، فقال : أنا وإياك كما قال المتنبي :

وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَتَّبَّعُ ٱلْوَبْلَ رَائِداً كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ ٱلْوَبْلِ

وقال الأستاذ تركي الدخيل في جريدة الوطن : قال آية الله المتنبي في السر :

وَلِلسِّـرِّ مِنِّـي مَـوْضِـعٌ لاَ يَنَـالُـهُ نَـدِيـمٌ وَلاَ يُفْضِـي إِلَيْـهِ شَـرَابُ

* * *

نون والقلم

يا أيها الذي جمع الحكم ؛ أما سمعت (نون والقلم) ، إن القلم شأنه عجيب ، ونبؤه غريب ، نحيف الجسم ، عظيم الاسم ، جميل الرسم ، إن خط في القرطاس . . أنصت له الناس ، بالقلم تُجهّز الجنود ، وترفع البنود ، وتوثق العقود ، وتُحلّ العهود ، بحروفه تقضي المحاكم ، وتُرَد المظالم ، وتُقطع الجماجم ، وتُعقد المواسم .

إن غضب . . فجّر الدماء ، وأباد الأحياء ، وأشعل حرباً شعواء ، وإن رضي . . منح المواهب ، وأعطى الرغائب ، وأهدى المناصب .

من حروفه يُجنى العسل ، وتسل الأسل ، إن شاء . . فمداده سم الحيات ، وأم النكبات ، وسبب البلايا الموجعات ، وإن أراد . . جعل سطوره نوراً ، وصيّرها سروراً ، وملأها حبوراً ، ونمّقها حسناً منشوراً .

هو رسول القرون الأول ، وخادم الدول ، وحافظ الملل والنحل ، إذا سال لعابه . . كثر صوابه ، وحضر جوابه ، وتزاحم عبابُه .

لا تسمع له كلاماً ، ولكنه صار للحكمة إماماً ، وللمعارف قائداً هماماً .

لفظه أغلىٰ من الياقوت ، به خط الوحي في الملكوت ، وهو الذي أخبرنا بطالوت وجالوت ، وهو أسحر من هاروت وماروت .

مصيبة القلم أنه يُذيع الأسرار ، ولا يكتم الأخبار ، ولا يقرّ له قرار .

إذا تشجع . . ملأ الصفحات ، وعبأ المجلدات ، وبسط المختصرات ،

وإذا جبن.. ألغز وأوجز ، وطلسم وأعجز ، وإن تحامل.. همز ، وغمز ونبز .

كتب به اللوح المحفوظ ، وسطّر به العلم المحفوظ ، وقسم به رزق المنحوس والمحظوظ .

تُخاطِب به الملوك ، أهل الآفاق ، وتَقطع به الجبابرة الأعناق ، ويُخوّف به الفسّاق ، ويُحذّر به أهل النفاق والشقاق ، وسوء الأخلاق .

بالقلم يقضى الأمر ، ويقع القتل والأسر ، وينصت له أهل الدهر ، وتسطر وقائع العصر .

أمضىٰ من الألسنة ، لفظهُ ما أحسنه ، يخبر عمن مات من ألف سنة ، به تسطرّ كل سيئة وحسنة .

تصبح الأوراق به في حسن الرياض ، ويسوّد به البياض ، ويذب به عن الأعراض ، وبه تشفى الصدور من العلل والأمراض .

فتاك ، سفاك ، بتاك ، هتاك .

كتوم ، غشوم ، ظلوم ، عزوم .

هو الذي كتب رسائل الصفاء ، وهو دبّج أسطر الوفاء ، وهو سجل أخبار الخلفاء ، دوّن السؤال والجواب ، والشكوىٰ والعتاب ، والخطأ والصواب ، ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ﴾ .

بريشته تُحلّ المعضلات ، وتُشرح المشكلات ، وتُصان المأثورات ، وتبقى المحفوظات .

يخطب بلا صوت ، ويأكل بلا قوت ، ويجمع بين الحياة والموت .

به يرسم الهجر والوصل ، والولاية والعزل ، والجِدّ والهزل .

به يقع العدل والحيف ، والحق والزيف ، وهو القاضي على السيف .

به تنسخ المعرفة ، وتنقل الفلسفة ، وتخط الزخرفة .

يسفسط ويقرمط ، وينسج ويدبّج .

يهدم بكلمة بناء عام ، ويلغي بجملة كيد أقوام .

له غمغمة ، وهمهمة ، وتمتمة .

كم من عقل قلقله ، ومن قصر زلزله ، ومن بال بلبله ، ومن كيد أبطله !

برسائله عرفت الأرض والسماء ، وعلىٰ رسمه خلدت آثار الحكماء ، وبِتَصرفه سفكت الدماء ، وعلىٰ حركته نُسجت مآثر العلماء .

أفصح من اللسان ، وأحفظ من الإنسان .

إذا حملته الأصابع . . فانتظر القوارع ، وارتقب الفواجع .

له أزيز كأزيز المرجل ، ودبيب كدبيب الأرجل ، وحصاد كحصاد المنجل .

عار من اللباس ، دقيق الراس ، قوي الباس ، عظيم الأثر في الناس .

يشرب ولا يأكل ، ويجيب ولا يسأل .

إن عبأته مداداً . . أحال بياضك سواداً .

إذا غلط . . غطش ، وإذا احتد . . بطش .

عقله مرهون ، وخصمه مغبون ، وعذابه غير مأمون .

إن خط بالأحمر . . قلت : هٰذا شفق ، أو دم علىٰ ورق ، وإن نسخ بالسواد . . صار المداد كنون عيون العباد ، وإن كتب بالأخضر . . قلت : هٰذه طلعة بستان ، أو بهجة أفنان .

إذا سها . . رجع القهقرىٰ ، وإذا شك . . مشىٰ إلى الورا .

له رأس بلا عينين ، ولسان بلا شفتين ، وصدر بلا يدين .

لا يتكلم حتىٰ يشبع ، ولا يخطب حتىٰ يرضع ، ولا يسكت حتىٰ يوضع ، ولا يكتب حتىٰ يقرع .

إن سلّطته علىٰ مختصر . . شرحه ، أو علىٰ غامض . . أوضحه ، أو علىٰ سِرّ . . فضحه ، أو علىٰ عاصٍ . . نصحه .

إن كنت عربياً . . فهو أفصح من سحبان ، وإن كنت أعجمياً . . صار أنطق من الهرمزان ، يسمعك وليس له أذنان .

إن نمت . . نام ، وإن قمت . . قام ، وإن جوّعته . . صام ، وإن أهملته . . هام .

والقلم بيانك ، وهو طوع بنانك .

وهو حاضر الفكر ، كثير الشكر ، صاحب ذكر .

إن حمله اللوذعي ، وكتب به العبقري . . سالت أودية بقدرها ، وانبجست عين من حجرها ، وإن صحبه البليد ، وخط به الرعديد . . كثر عِثاره ، وتبلّد حماره ، وحجب عيونَه غبارُه .

يوافق المزاج ، في الاستقامة والاعوجاج ، والثبات والارتجاج .

مسدد إلا إذا غضب ، ومليح إلا إذا عتب ، وفصيح إلا إذا حجب .

إذا انتهىٰ زاده ، ونفد مداده . . وقف جواده .

هوّنوا عليه اللوم وأقلوا ؛ فإنه لا يمل حتىٰ تملوا .

إن لقنته حكمة . . وعاها ، وإن أرسلته إلىٰ ذاكرةٍ . . أخرج منها ماءها ومرعاها .

وهو الذي سطر الحكمة تسطيراً ، فلم يغادر منها قليلاً ولا كثيراً ،

ولا صغيراً ولا كبيراً ، وإن قصد أحداً بالأذىٰ . . فلن تجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً .

يرقص علىٰ نبضات قلبك ، فإن أوقفت الإملاء . . نادَىٰ : اذكرني عند ربك ، فذكرك غذاؤه ، وكفك حذاؤه ، ومدادك ماؤه ، وجيبك وعاؤه .

يعرف طريق النجاة ، وهو عظيم الجاه ، يعذر ولو جئنا ببضاعة مزجاة .

إن غلطت . . غلط ، وإن جهلت . . ركب الشطط ، لا يُغفل الشكل والنقط .

صمت الخطباء وما صمت ، وسكت الشعراء وما سكت ، ومات الملوك ولم يمت .

حذر به المصطفى الأكاسرة ، وأنذر به القياصرة ، وخوّف به الجبابرة .

صُدِّر به قتل الحسين ، وخُط به خلع الأمين ، وسُطر به الوحي في طور سينين ، وروىٰ لنا الجَمَل وصِفّين .

يشعل الحرب ولا يحضرها ، ويستودع الأسرار فينشرها .

يتململ في كفك تململ السليم ، ويتقلب تقلب السقيم ، ويبكي بكاء اليتيم .

خط به أفلاطون كتاب « الجمهورية » ، وأقام به المعتصم وقعة عموريَّة ، ونمّق به ابن تيمية « الواسطيَّة » ، و« الحمويَّة » ، و« التدمريَّة » ، نقل لنا « سيرة ابن إسحاق » ، وحديث عبد الرزاق ، وعجائب الآفاق ، وأخبار العشاق .

نقض الصعلوك ، ودفع الشكوك ، ونادم الملوك .

يفهم بالإشارة ، ويرسم العبارة .

إن كتب به الأحمق . . تدفق ولم يترفق ، وضل ولم يوفق ، وإن كتب به الرجل الرشيد . . جاءك بالقول السديد ، والعلم المجيد ، والنقل الحميد .

يطير العلم من الراس ، فيقيده القلم في القرطاس ، وإذا حمله الأمي . . قال : لا مساس .

مَؤدّب لا ينتقد ، ومقلّد لا يجتهد .

يسهر بلا قيام ، ويجوع بلا صيام ، له كل يوم شجون ، وعنده من الحكمة فنون ، يخون الحفظ وهو لا يخون ، صغير الجِرم ، كبير الجُرم .

* * *

مُحمَّدٌ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

خالد محمد خالد

أيُّ معلم كان ، وأيُّ إنسان ؟!

هٰذا المُترعُ عظمة ، وأمانة ، وسموّاً .

ألا إن الذين بهرتهم عظمته لمعذورون .

وإن الذين افتدوه بأرواحهم لهم الرابحون .

ابن عبد الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس في قيظ الحياة .

أيُّ سرٍّ توافر له فجعل منه إنساناً يشرف بني الإنسان ؟!

وأيُّ طُولىٰ بسطها شطر السماء ؛ فإذا كل أبواب رحمتها ، ونعمتها ، وهُداها مفتوحة على الرحاب ؟!

أيُّ إيمان ، وأيُّ عزم ، وأيُّ مضاء ؟!

أيُّ صدق ، وأيُّ طهر ، وأيُّ نقاء ؟!

أيُّ تواضع ، وأيُّ حب ، وأيُّ وفاء ؟!

أيُّ تقديس للحقِّ ، أيُّ احترام للحياة وللأحياء ؟!

لقد آتاه الله من أنعُمِهِ بالقدر الذي يجعله أهلاً لحمل رايته والتحدث باسمه ، بل يجعله أهلاً لأن يكون خاتم رسله ؛ ومن ثمّ كان فضل الله عليه عظيماً .

ومهما تتبارَ القرائح والأفهام ، والأقلام ، متحدثة عنه ، عازفة أناشيد

عظمته . . فستظل جميعاً كأن لم تبرح مكانها ، ولم تحرك بالقول لسانها .

وإذا كانت صفحات الصدارة من هـٰذا الكتاب تريد أن تستهل الكتاب بحديث عن الرسول عليه صلاة الله وسلامه . . فهي لا تطمع في أن توفي الحديث بعض حقه ، ولا تزعم أنها تقدِّم الرسول العظيم ـ أي : إلى القراء ـ إنما هي ـ لا غير ـ (بنان) تومىء على استحياء إلىٰ بعض سمات تفوُّقه وعظمته ، التي جعلت أفئدة الناس تهوي إليه ، والتي جذبت نحوه في ولاء لا نظير له هـٰؤلاء الذين يتحدث الكتاب عن بعضهم من مهاجرين وأنصار ، والتي لم تكد الحياة تنشقُ عبيرها ، حتىٰ جعلت من كل رياحها وأنسامها بُشراً بين يديها ، ورُسلاً إلىٰ كل بقاع الإنسان ومواطنه ، حاملة مبادىء الدعوة ، وعبير الداعي ، صِدْقَ التعاليم ، وعظمة المعلم ، نورَ الرسالة ، ورحمة الرسول .

أجل ؛ تلك هي الغاية ، لا أكثر ؛ أن نبصر في ضوء شعاع من ضيائه الغامر بعض سمات عظمته النادرة التي نادت إليه ولاء المؤمنين ، وجعلتهم يَرَوْن فيه الهدف والطريق ، والمعلم والصديق .

ما الذي جعل سادة قومه يسارعون إلىٰ كلماته ودينه ؛ أبو بكر وطلحة ، والزبير ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمـٰن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص . . . مُتخلِّين بهـٰذه المسارعة المؤمنة عن كل ما كان يحيطهم به قومهم من مجد وجاه ، مستقبلين ـ في الوقت نفسه ـ حياة تمورُ مَوْراً شديداً بالأعباء ، وبالصعاب ، وبالصراع ؟!

ما الذي جعل ضعفاء قومه يلوذون بحماه ، ويهرعون إلىٰ رايته ودعوته ، وهم يبصرونه أعزل من المال ومن السلاح ، ينزل به الأذىٰ ، ويطارده الشرُّ في

تحدٍّ رهيب ، دون أن يملك ـ عليه الصلاة والسلام ـ له دفعاً ؟!

ما الذي جعل جبَّار الجاهلية عمر بن الخطاب وقد ذهب ليقطف رأسه العظيم بسيفه ، يعود ليقطِفَ بنفس السيف الذي زاده الإيمان مضاء رؤوس أعدائه ومضطهديه ؟!

ما الذي جعل صفوة رجال المدينة ووجهاءها يغدون إليه ؛ ليبايعوه علىٰ أن يخوضوا معه البحر والهول ، وهم يعلمون أن المعركة بينهم وبين قريش ستكون أكبر من الهول ؟!

ما الذي جعل المؤمنين به يزيدون ولا ينقصون ، وهو الذي يهتف فيهم صباح مساء : « لا أملك لكم نفعاً ، ولا ضرّاً . . . ولا أدري ما يُفعل بي ولا بكم » ؟!

ما الذي جعلهم يصدِّقون أن الدنيا ستفتح عليهم أقطارها ، وأن أقدامهم ستخوض خوضاً في ذهب العالم وتيجانه ، وأن هـٰذا القرآن الذي يتلونه في استخفاء ، ستردده الآفاق عالي الصدح قوي الرنين ، لا في جيلهم فحسب ، ولا في جزيرتهم فحسب ، بل عَبْرَ جميع الزمان ، وجميع المكان ؟!

ما الذي جعلهم يصدِّقون هـٰذه النبوءة ، يحدِّثهم بها رسولهم صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين يتلفتون فلا يجدون أمامهم وخلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم سوى القيظ ، والسَّغَب ، وحجارة تلفظ فَيْح الحميم ، وشجيرات يابسة ، طَلْعها كأنه رؤوس الشياطين ؟!

ما الذي ملأ قلوبهم يقيناً وعزماً ؟!

إنه ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ومَن كل هـٰذا سواه ؟!

لقد رأَوا رأيَ العين كل فضائله ومزاياه .

رأوا طهره ، وعفته ، وأمانته ، واستقامته ، وشجاعته .

رأوا سموَّه ، وحنانه .

رأوا عقله ، وبيانه .

رأَوا الشمس تتألق تألُّق صدقه وعظمة نفسه .

سمعوا نُمُوَّ الحياة يسري في أوصال الحياة ، عندما بدأ محمد صلى الله عليه وسلم يفيض عليها من وَحْي يومه ، وتأملات أمْسِه .

رأَوا كل هٰذا ، وأضعاف هٰذا ، لا من وراء قناع ، بل مواجهة وتمرُّساً ، وبصراً وبصيرة .

وحين يرىٰ عربي تلك العصور شيئاً ويفحصه ، فلا يُنبّئك آنئذٍ مثلُ خبير .

فهل أهل « القيافة والعيافة » يرىٰ أحدهم وقع الأقدام على الطريق ، فيقول لك : هٰذه قدم فلان بن فلان ، ويَشمُّ أنفاس محدثه ، فيدرك ما تحت جوانحه من صدق وبهتان .

هٰؤلاء رأَوا محمداً صلى الله عليه وسلم وعاصروه منذ أهلَّ على الوجود وليداً .

لم تخفَ عليهم من حياته خافية .

حتىٰ طور الطفولة ، ذلك الذي لا يلحظه إلا أهل الطفل وذووه ، كان بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم مرئياً مشاهداً لأهل مكة جميعاً ؛ ذلك أن طفولته لم تكن كبقية الطفولات ، ولقد لفتت أنظار الناس إليها بقدر ما انطوت عليه من رجولة مبكرة ومُبادرة ، وبقدر ما عَزفت عن لهو الأطفال إلىٰ جدِّ الرجال .

فعلىٰ سبيل المثال : كانت قريش تتحدث عن حفيد عبد المطلب الذي

ينأىٰ عن ملاعب الأطفال وأسمارهم ، ويقول كلما دُعيَ إليها : « أنا لم أخلق لهٰذا » .

وكانت تتحدث عما أنبأتْهم به وأذاعته بينهم مرضعتُه حليمة ، حين عادت به إلىٰ أهله ، حاكية لهم من ملحوظاتها ، ومشاهداتها ، وتجربتها مع الطفل ما أقنعها بأنه طفل غير عادي ، وأنه ينطوي علىٰ سرٍّ يعلمه الله وقد تكشفه الأيام .

وأما شبابه ـ يا لطُهْرِ شبابه ـ فقد كان أكثر وضوحاً وإسفاراً ، وكان حديث قومه عنه وشغلهم به أكثر دأباً وإكباراً .

وأما رجولته . . فقد كانت ملء كل عين ، وأذُن ، وقلب ، وكانت فوق هٰذا ضمير مجتمعه وقومه ، يقيسون بسلوكها وتصرفاتها كل رؤاهم عن الحقِّ ، والخير ، والجمال .

هي إذن حياة واضحة مقروءة من المهد إلى الممات .

كل رُؤاه ، كل خُطاه ، كل كلماته ، كل حركاته ، بل كل أحلامه ، وأمانيه ، وخاطرات نفسه ، كانت من أول يوم أهلَّ فيه على الدنيا حقّاً للناس جميعاً .

لكأن الله تعالىٰ أراد هٰذا ؛ ليقول للناس : هٰذا رسولي إليكم ، وسيلته المنطق والعقل ، وهٰذه حياته كلها مُذ كان جنيناً ، فبكل ما معكم من منطق وعقل افحصوها ، وحاكموها :

هل ترون فيها شبهة ؟ هل تبصرون زيفاً ؟

هل كذَبَ مرة ؟ هل خان مرة ؟ هل هبط مرة ؟ هل ظلم إنساناً ؟

هل كشف عورة ؟ هل خَفَرَ ذمة ؟

هل قطع رحماً ؟ هل أهمل تبعة ؟ هل تخلّىٰ عن مروءة ؟

هل شتم أحداً ؟ هل استقبل صنماً ؟

ابحثوا جيداً ، وافحصوا تماماً ؛ فليس علىٰ طَوْرٍ من أطوار حياته سِتر ولا حجاب ، فإذا كانت حياته كما ترَوْن وكما تبصرون نقاءً ، وصدقاً ، وعظمة أفيسيغ المنطق والعقل أن يعرف الكذب بعد سن الأربعين رجل هٰذه حياته ؟!

وعلىٰ من يكذب ؟ على الله ، فيزعم أنه رسوله ، اختاره ، واصطفاه ، وأوحىٰ إليه ؟! لا .

الحسُّ والبداهة يقولانها ، والمنطق والعقل يقولانها .

فبأيّ أسلوب تفكرون ؟! وبأيِّ حقٍّ تكذبون ؟!

هٰذا ـ فيما نحسب ـ كان مُنطلق المؤمنين الأوائل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين منهم ، والذين آوَوْا ونَصَروا .

ولقد كان منطلقاً حاسماً وسريعاً ، ليس للتردد ولا للتلكؤ معه سبيل ؛ فإنسان له كل هٰذه الحياة المضيئة الطاهرة لا يمكن أن يكذب على الله .

بهٰذه البصيرة النافذة ، رأىٰ أولـٰئك المؤمنون نور الله ؛ فاتَّبعوه .

ولسوف يحمدون بصيرتهم هٰذه عندما يروْن فيما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصره ربه ، وتدين له الجزيرة كلها ، ويفتح عليهم من أبواب الرزق والغنائم ما لم يكونوا يحتسبون ، فإذا هو هو ، لا يزداد إلا زهداً ، وتقشفاً ، وورعاً ، حتىٰ يلقىٰ ربه حين يلقاه ، وهو نائم فوق حصير تترك أعواده في الجسد انطباعاتها الضاغطة!!

وحين يرَوْنه ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تملأ راياته الأفق عزيزة ظافرة ، يصعد المنبر ، ويستقبل الناس باكياً وهو يقول :

« من كنتُ جلدتُ له ظهراً . . فهٰذا ظهري فليقْتَدْ منه ، ومن كنتُ أخذتُ له مالاً . . فهٰذا مالي فليأخُذْ منهُ » .

وحين يرَوْنه وعمُّه العباس يسأله أن يوليه عملاً من تلك الأعمال التي ظفر بها كثير من المسلمين العاديين ، فيصرفه في رفق قائلاً له :

« إنَّا والله يا عَمّ ، لا نُوَلّي هٰذا الأمر أحداً يسألُه ، أو أحداً يحرصُ عليه » .

وحين يَرَوْنه لا يشارك الناس ما ينزل بهم من خَصاصة فحسب ، بل يضع لنفسه ولأهل بيته مبدأ لا يحيدون عنه ، هو : « أن يكونوا أول من يجوع إذا جاع الناس ، وآخر من يشبع إذا شبع الناس » .

أجل ؛ سيزداد المؤمنون الأوائل حمداً لبصيرتهم التي أحسنت رؤية الأمور في إقبالها ، بعد أن يزدادوا حمداً وشكراً لله الذي هداهم للإيمان .

وسيَرَوْن أن الحياة التي كانت خير برهان علىٰ صدق صاحبها حين قال لهم : « إني رسول الله إليكم » كانت عظيمة حقاً ، وكانت بعظمتها وطهرها خير برهان علىٰ صدق المعلم العظيم والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ فإن مستواها من العظمة والتفوق لم يهبط لحظة ولم يتعثر ، بل ظلَّ كما هو من المهد إلى الممات .

وعَبْرَ هٰذه الحياة وبعد بلوغها قمَّتها ، تبيّن كضوء النهار أن صاحب هٰذه الحياة وهٰذه الرسالة ، لم يكن يسعىٰ إلىٰ جاه ، ولا مال ، ولا سيادة ؛ فحين جاءته كل هٰذه معقودة بألويته الظافرة . . رفضها جميعاً ،

وعاش حياته حتى اللحظة الأخيرة الأوَّابَ المتبتّل .

لم تتخلف نفسه عن أغراض حياته العظمىٰ قيد شعرة .

ولم يخلف موعده مع الله في عبادة ولا في جهاد .

فلا يكاد النصف الأخير من الليل يبدأ حتىٰ ينهض قائماً ، فيتوضأ ، ويظل كما اعتاد أبداً يناجي ربه ويبكي ، ويصلِّي ويبكي .

تراكمت الأموال بين يديه تلالاً ، فلم يتغير ، ولم يأخذ منها إلا مثلما يأخذ أقلُّ المسلمين شأناً وأكثرهم فقراً ، ثم مات ودرعه مرهونة ! !

دانت البلاد كلها لدعوته ، ووقف أكثر ملوك الأرض أمام رسائله التي دعاهم بها إلى الإسلام وَجِلين ضارعين ، فما استطاعت ذَرَّة من زهْوٍ وكبر ، أن تمرَّ به ولو علىٰ بُعْد فراسخ .

وحين رأىٰ بعضَ القادمين عليه يهابونه في اضطراب ووجَل . . قال لهم : « هَوِّنوا عليكم ؛ إن أمي كانتْ تأكُل القديدَ بمكة » .

ألقىٰ كل أعداء دينه السلاح ، ومدُّوا إليه أعناقهم ؛ ليحكم فيها بما يرىٰ ، بينما عشرة آلاف سيف تتوهج الفتح فوق رُبا مكة في أيدي المسلمين ، فلم يزد علىٰ أن قال لهم : « اذهبوا ؛ فأنتم الطُّلقاء » .

حتىٰ حقُّه في رؤية النصر الذي أفنىٰ في سبيله حياته ، حرم نفسه منه ؛ فقد سار في موكب نصره يوم الفتح حانياً رأسه ، حتىٰ تعذّر على الناس رؤية وجهه ، مردداً بينه وبين نفسه ابتهالات الشكر المبلَّلة بدمعه ، رافعاً إيَّاها في حياء إلىٰ ربّه العلي الكبير ، حتىٰ وصل إلى الكعبة ، وواجه الأصنام في زحامها ، فأعمل فيها مِعولَهُ وهو يقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ؛ إنَّ الباطل كان زهوقاً » .

أبَقيَ ثَمّة ريب في رسالته ؟!

إنسان ينذر حياته لدعوة ، ليس له فيها أيُّ مغنم شخصي من ثراء ، أو منصب ، أو جاه ، أو نفوذ ، حتى الخلود التاريخي لشخصه لم يكن في حسابه ؛ لأنه لا يؤمن إلا بخلود عند الله .

إنسان يقضي حياته من الطفولة إلى الأربعين في طهر وتأمُّل ، ثم يقضيها من الأربعين إلىٰ منتهاها في عبادة ، وهداية ، وجهاد ، ونضال ، وتفتح له الدنيا ، فيركل كل أمجادها الباطلة ، ويظل لائذاً بمسلكه ، وعبادته ، ورسالته ، ثم يكون كاذباً! وفيم إذن كَذبه ؟! ألا تنزَّه فيه الإنسان ، وتنزَّه فيه الرسول!!

قلنا : إن المنطق والعقل كانا ـ كما لا يزالان حتى اليوم ـ خير برهان علىٰ صدق محمد صلى الله عليه وسلم حين قال : « إني رسول الله » .

فليس يسيغ المنطق الرشيد ، ولا العقل السديد ، أن يكذب على الله إنسان هـٰذه حياته من البدء إلى الختام .

فالمؤمنون الأوائل الذين سارعوا إليه . . كان معهم ـ إذن ـ بعد هداية الله لهم برهان من المنطق والعقل ، أيُّ برهان .

ها هو ذا محمد صلى الله عليه وسلم قبل رسالته ، وها هو ذا بعد رسالته .

ها هو ذا والمهد يستقبله ، ثم ها هو ذا وفراش الموت يُدَثِّره .

هل ترى العين في طول حياته وعرضها من تَفاوت ؟ أبداً .

والآن ، لنقف قليلاً علىٰ مقربة من السنوات الأولىٰ لرسالته ؛ فتلك سنوات قلَّما نجد لها في تاريخ الثبات ، والصدق ، والعظمة نظيراً .

وتلك سنوات كشفت أكثر من سواها عن كل مزايا معلم البشرية وهاديها ،

وتلك سنوات كانت فاتحة الكتاب الحيِّ ؛ كتاب حياته وبطولاته ، بل كانت قبل سواها ـ وأكثر من سواها ـ مَهْدَ معجزاته .

هناك عَبْرَ تلك السنوات ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحيد أعزل ، قد غادر كل ما كان فيه من راحة ، وأمن ، واستقرار ، وخرج على الناس بما لا يألفون ، بل قولوا : بما يكرهون .

لقد خرج عليهم يوجِّه كلماته إلىٰ عقولهم ، وما أشقَّ مهمة مَنْ يوجِّه خطابه إلىٰ عقول الجماهير بدلاً من عواطفها .

ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل هٰذا فحسب ، فقد تهون عقبىٰ توجيه الخطاب إلى العقول إذا كنتَ تقف مع الناس داخل دائرة العرف المشترك والأمل المشترك ، أما حين تناديهم من مستقبل بعيد ، تبصره ولا يبصرونه ، وتعيش فيه ولا يدركونه ، أجل ؛ حين تخاطب عقولهم وتنهض ؛ لتهدم أسس حياتهم من قواعدها مخلصاً أميناً ، لا يحفزك غرض ، ولا مجد ، ولا هوىٰ . . فهنا المخاطرة التي لا يقدر عليها إلا أولو العزم من الأبرار والمرسلين .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم بطل هٰذا الموقف ، وأستاذه العظيم .

لقد كانت عبادة الأصنام هي العبادة ، وشعائرها هي الدين .

ولم يلجأ الرسول صلى الله عليه وسلم للمناورة . . أيَّةُ مناورة ؟!

إن وعورة الطريق ، وفَداحة العبء ، كانا يشفعان له لو أنه استعمل ذكاءه النادر في تهيئة الأنفس قبل أن يفاجئها بكلمة التوحيد .

كان في وُسْعِهِ ، وكان من حقِّه ، أن يمهد لعزل المجتمع عن آلهته التي

يتوارث عبادتها عَبْر مئات السنين ، فيبدأ بحركة تطويق والتفاف ، بعيدة قدر المستطاع عن تلك المواجهة الصاعقة التي يعلم أنها ستُحرِّك ضده من أول لحظة كلَّ أحقاد قومه ، وستشحذ ضده من أول لحظة كلَّ ما معهم من سلاح .

ولكنه لم يفعل ، وهـٰذه آية أنه رسول ، سمع صوت السماء داخل قلبه يقول له : قم ؛ فقام ، وبلِّغ ؛ فبلَّغ ، في غير مداجاة ، وفي غير هروب!

لقد واجههم من اللحظة الأولىٰ بجوهر الرسالة ولباب القضية :

« يأيها الناس ، إني رسول الله إليكم ؛ لتعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً » .

« إن هـٰذه الأصنام لغو باطل ، لا تملك لكم ضراً ولا نفعاً » .

من اللحظة الأولىٰ ، واجههم بهـٰذه الكلمات المبينة المسفرة ، ومن اللحظة الأولىٰ ، واجه المعركة القاسية التي سيُكتب عليه أن يخوضها حتىٰ يغادر الحياة .

أوَكان المؤمنون الأوائل في حاجة لحافز يدفعهم إلىٰ مبايعة هـٰذا الرسول ؟! أيُّ ضمير حي لا يحركه هـٰذا المشهد الفذُّ الفريد ؟

مَشهد رجل لم يعرفه الناس إلا كامل العقل ، كامل الخلق ، يقف وحيداً ، يواجه قومه بدعوة تتصدع من هول وقعها الجبال ، وتخرج الكلمات من فؤاده وفَمه صادعة رائعة ؛ كأنما احتشدت فيها كل قوى المستقبل ، ومشيئته ، وتصميمه ، كأنها قدرٌ يذيع بيانه!

ولكن ، ربما تكون هـٰذه ومضة روح خيرة ، وبعد حين يعود محمد صلى الله عليه وسلم إلىٰ نفسه ، يعبد ربه كما يشاء ، تاركاً آلهة قومه في مثواها ، وتاركاً دين قومه لسبيله .

لو أن هٰذه الخاطرة حوَّمت حول بعض الأذهان آنئذٍ . . فإن محمداً عليه الصلاة والسلام سرعان ما يبددها ؛ فقد أوضح للناس تماماً أنه رسول عليه البلاغ ، وأنه لا يملك أن يسكت ولا أن ينطوي علىٰ نفسه بما اهتدت إليه من حقٍّ ونور .

بل إنّ كل قوى العالم والطبيعة لن تقدر علىٰ إسكاته وصَدِّه ؛ لأن الله هو الذي ينطقه ، ويحركه ، ويقود خطاه .

وجاء ردُّ قريش سريعاً ، كاللهب تطوح به ريح عاتية .

وبدأت المُنَغِّصات تنهال علىٰ نفسٍ لم تألف طول حياتها سوى الإجلال الذي ليس بعده إجلال .

وبدأ الرسول الرجل صلى الله عليه وسلم يُلقِّن أول دروسه في أستاذية خارقة ، وتفانٍ عجيب .

وكانت صورة المشهد تملأ الزمان ، والمكان ، بل التاريخ .

وذوو الضمائر الحية في مكة يطربون ، ويعجبون ، ويقتربون .

رأَوا رجلاً شاهقاً عليّاً .

لا يدرون : هل استطال رأسه إلى السماء فلامسها أم اقتربت السماء من رأسه فتوَّجَتْه ؟!

رأَوا تفانياً ، وصموداً ، وعظمة .

وكان أنضر ما رأَوا ، وأروع ما بصُروا به ، ذلك اليوم الذي ذهب فيه أشراف قريش إلىٰ أبي طالب قائلين له :

يا أبا طالب ؛ إن لك سِنّاً ، وشرفاً ، ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهيناكَ من ابن أخيك ، فلم تنْهَه عنَّا ، وإنَّا ـ والله ـ لا نصبرُ علىٰ هٰذا مِنْ شتم آبائنا ،

وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتىٰ تكُفُّه عنَّا ، أو نُنازِله وإياكَ في ذلك ، حتىٰ يهلك أحدُ الفريقين .

ويبعث أبو طالب إلى ابن أخيه صلى الله عليه وسلم ويقول له : يا ابن أخي ؛ إن قومَكَ قد جاؤوني ، وكلموني في أمْرِكَ ، فأبْقِ عليَّ وعلىٰ نفسكَ ، ولا تُحمِّلني من الأمرِ ما لا أطيق .

ماذا يكون موقف الرسول صلى الله عليه وسلم اليوم ؟

إن الرجل الوحيد الذي كان يقف إلىٰ جانبه ، يبدو وكأنه سيتخلّىٰ عنه ، أوْ يبدو وكأنه غير مستعد ولا قادر علىٰ مواجهة قريش التي شحذت كل أنيابها .

لم يتردد الرسول عليه الصلاة والسلام في الجواب ، ولم يتَلعثم عزمه ، لا . . ولم يبحث عن الكلمات التي يثبت بها يقينه .

لقد كان يقينه هناك ناهضاً فوق مِنصَّة الأستاذية ، يلقي على البشرية كلها أبلغ الدروس ، ويلقنها أمضىٰ مبادئها .

وهـٰكذا تحدَّث ، فلا ندري ، أإنسان يتكلم ؟ أم الوجود كله يعزف نشيداً ؟!

« يا عَمِّ ؛ والله لو وضَعوا الشمسَ في يميني ، والقمرَ في يساري ، علىٰ أن أترُكَ هـٰذا الأمرَ حتىٰ يُظْهِرهُ الله أو أهلِك فيه . . ما ترَكْته » .

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

ويا سيد الرجال ، لقد كانت كلماتك رِجالاً .

استردَّ أبو طالب من فوره كل إقدامه وإقدام آبائه ، وشدَّ بكلتا يديه علىٰ يمين ابن أخيه قائلاً له : « قُلْ ما أحببْتَ ، فوالله ، لا أسْلِمك لشيء أبداً » .

لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم ـ إذن ـ يستمدُّ من عمِّه ـ رغم اقتداره ـ الحماية والأمن ، بل إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يفيض علىٰ كل من حوله الحماية ، والأمن ، والثبات!

أيُّ إنسان من الناس الشرفاء ، يبصر مشهداً كهٰذا ، ثم لا يطير قلبه صوب هٰذا الرسول صلى الله عليه وسلم حبّاً ، وتفانياً ، وإيماناً ؟!

إن ثباته على الحقِّ ، وصموده مع الرسالة ، وصبره على الهول في سبيل الله ، لا في سبيل نفسه أو نفعه .

كلُّ ذلك كان حريّاً أن يبهر العقول الذكية ، ويوقظ العقول الحيّة ؛ فتتبع النور الذي يناديها ، وتسارع إلى الأمين الصادق صلى الله عليه وسلم الذي جاء يطهرها ويهديها .

لقد رآه الناس والأذىٰ ينوشه من كل جانب ، والعزاء الذي كان يجده في عمِّه أبي طالب ، وفي زوجه خديجة تولىٰ عنه ؛ فقد ماتا في أيام متقاربة .

ومَن أراد أن يتصور مبلغ الاضطهاد ومدى الحرب التي شنتها قريش على الرسول الأعزل صلى الله عليه وسلم . . فحسْبه أن يعلم أن أبا لهب نفسه ، الذي كان ألدَّ خصومه وأعدائه ، ناء ضميره ذات يوم بما يرىٰ ؛ فأعلن أنه يحمي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويُجيره ، ويقاوم كل عدوان ينزل به .

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم ردَّ عليه جواره ، لبث شامخاً ، ناهضاً ، متفانياً .

لا أحدَ يدفع عنه الأذىٰ ؛ لأنه لا أحد يجد القدرة علىٰ أن يدفع عنه الأذىٰ .

حتىٰ أبو بكر العظيم ، لم يكن يملك إلا أن يبكي .

ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً إلى الكعبة ، وإذ هو يطوف بها وثب إليه أشراف قريش المتربصون به ، وأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول في آلهتنا كذا ؟ فيجيبهم في هدوء : نعم ، أنا أقول ذلك ، فيأخذون بمجمع ثوبه ، وأبو بكر يتوسل إليهم ، وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلاً أن يقول : ربِّيَ الله ؟!

ومَنْ رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الطائف . . رأىٰ من آيات صدقه وتفانيه ما هو به جدير ، وله أهل ؛ لقد يمَّم وجهه شطر ثقيف يدعوهم إلى الله الواحد القهار .

ألا يكفيه ما يلقاه من عشيرته وأهله ؟

وألا يُحذره ذلك من أضعاف أضعاف هـٰذا الأذىٰ حين يجيئه من قوم ليس بينه وبينهم رَحِمٌ ولا قربى ؟

لا ، إن العواقب لا تدخل في حسابه بحال ؛ لقد قال له ربّه الأعلىٰ : ﴿عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ .

وإنه ليذكر يوم اشتدّت عليه سفاهات قومه ، فعاد إلىٰ بيته ، وتدّثَّرَ آسفاً حزيناً بفراشه ، فإذا صوت السماء يقرع فؤاده ، وإذا الوحي يأتيه من فوره ، ملقياً عليه الأمر الذي ألقاه عليه من قبلُ يوم الغار : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾ .

هو إذن مبلِّغ ونذير .

وهو إذن رسول لا يبالي بالأذىٰ ، ولا يبحث عن الراحة ، فليذهب إلى الطائف ؛ ليبلغ أهله كلمة الله .

وهناك أحاط به أشراف البلد ، وكانوا أشد لؤماً من زملائهم في مكة ؛ فقد

أغرَوْا به الأطفال والسفهاء ، وتخلوا حتىٰ عن أقدس خصال العربي ، وهي إكرام الضيف وحماية المستجير .

لقد أطلقوا سفهاءهم وغلمانهم وراء الرسول صلى الله عليه وسلم يقذفونه بالحجارة .

هـٰذا الذي عرضت عليه قريش أن تجمع له من المال ما يجعله أغناها، ومن الجاه ما يجعله زعيمها ومَلِكَها ، فرفض قائلاً : « إنما أنا عبد الله ورسوله » .

ها هو ذا في الطائف ، وقد آوىٰ إلىٰ بستان يحتمي بحائطه من مطاردة السفهاء ، يمناه مبسوطة إلى السماء يدعو بها ربّه . . . ويسراه تدفع عن وجهه الحجارة المقذوفة ، وهو يناجي خالقه ومولاه قائلاً : « إن لم يَكُنْ بِكَ غضبٌ عليَّ . . فلا أبالي ، ولكنَّ عافيتكَ أوسعُ لي » .

أجل ؛ إنه لرسول يعرف كيف يناجي ربه في أدب عظيم ؛ فهو إذ يعلن أنه لا يبالي بالأذىٰ في سبيل الله ، يعلن كذلك أنه في أشد الحاجة إلى العافية يمنحها الله .

إنه في موقف كهـٰذا لا يتبذَّخ باحتماله وشجاعته ، ولا يَزهو ؛ فمثل هـٰذا الزهو في هـٰذا الموقف قد يحمل معنى المنِّ على الله ، وليس محمد صلى الله عليه وسلم من يخفىٰ عليه ذلك .

ومن ثمَّ ، فإن خير ما يعبِّر في مثل هـٰذا الموقف عن شجاعته واحتماله ، هو صوت ضراعته وابتهاله .

وهـٰكذا مضىٰ يقول معتذراً إلىٰ ربِّه ومبتهلاً : « اللهمَّ ؛ إليك أشكو ضعفَ قوَّتي ، وقلَّة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحمَ الراحمين ؛ أنتَ ربُّ المستضعفين ، وأنت ربِّي ، إلىٰ مَنْ تكِلُني ؟ إلىٰ بعيد يتجهَّمني ؟ أم إلىٰ عدوٍّ

ملَّكته أمري ؟ إن لم يكنْ بك غضبٌ عليَّ . . فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظُّلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزِل بي غضبُك ، أو يَحِلَّ عليَّ سخطك ، لك العُتْبىٰ حتىٰ ترضىٰ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاَّ بِكَ » .

أيُّ ولاء هـٰذا الذي يحمله الرسول صلى الله عليه وسلم لدعوته ؟

فردٌ أعزل ، تواجهه المكائد أينما ولَّىٰ وسار .

ليس هناك من أسباب الحياة الدنيا ما يشد أزره ، ثم هو يحمل كل هـٰذا الإصرار ، وكل ذلك الصمود والولاء .

لقد رآه الناس يعود من الطائف إلىٰ مكة لا يائساً ، ولا مهزوماً ، بل أكثر ما يكون أملاً ، وبشراً ، وتفانياً .

وإنّه ليعرض نفسه على القبائل ، ذاهباً إليها في أحيائها ومواطنها :

فيوماً عند قبيلة كِندة ، ويوماً عند بني حنيفة ، ويوماً عند بني عامر . . . وهـٰكذا ، قبيلة بعد قبيلة .

يقول لهـٰؤلاء جميعاً : « إني رسولُ الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تَخْلعوا ما تعبدون من دونه من هـٰذه الأوثان » .

وعند منازل القبائل القريبة ، كان أبو لهب يتبعه قائلاً للناس : لا تصدقوه ، إنما يدعوكم إلى الضلال .

ولقد رأى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في موقف العُسْرة هـٰذا ، يلتمس المؤمنين والنصراء ، فيلقاه الجحود والعداوة .

رأَوه آنذاك يرفض كل مساومة ، ويرفض أن يكون للإيمان ثمن مِنْ دنيا ، حتىٰ لو يكون هـٰذا الثمن مجرَّدَ وعدٍ منه بجاهٍ أو سلطان .

ففي تلك الأيام اللافحة ، عرض نفسه علىٰ قبيلة بني عامر بن صعصعة ، وجلس يحدِّثهم عن الله ، ويتلو عليهم كلماتِه ، فسألوه :

أرأيتَ إن نحنُ بايعناكَ علىٰ أمرك ، ثمَّ أظهركَ الله علىٰ مَنْ خالفكَ . . أيكونُ لنا الأمرُ مِنْ بعدِكَ ؟

فأجابهم صلى الله عليه وسلم قائلاً : « الأمر لله يضعُه حيث يشاء » .

عندئذٍ انفضوا قائلين : لا حاجة لنا بأمرك .

وتركهم الرسول صلى الله عليه وسلم باحثاً عن المؤمنين الذين لا يشترون بإيمانهم ثمناً قليلاً .

ولقد رآه الناس ، وقد آمنت به قِلَّة ، ومع هـٰذا وبرغم قلة عددهم ، فقد كان يجد فيهم إيناساً وصحبة .

بَيْدَ أنّ قريشاً قررت أن تتولىٰ كلُّ قبيلة تأديب المؤمنين منها .

وفجأة نزل العذاب كالعاصفة المجنونة بالمسلمين جميعاً ، ولم يترك المشركون جريمة إلا اقترفوها .

وهنا تقع المفاجأة التي لم تكن في الحسبان .

إنّ محمداً يأمر جميع المسلمين بالهجرة إلى الحبشة ، وسيبقىٰ هو وحده يواجه العدوان ! !

لماذا لا يهاجر ، ويبلغ كلمة الله في مكان آخر ، فالله رب العالمين ، وليس رب قريش وحدها ؟

أو لماذا لا يبقيهم إلىٰ جواره ؛ فإن في بقائهم نفعاً مؤكداً ؛ فوجودهم في مكة ـ رغم قلَّتهم ـ يغري غيرهم بالدخول في دين الله ؟

ثم إن من بينهم عدداً غير قليل من أعلىٰ أُسَرِ قريش وأكثرها قوة وبأساً .

فهناك مثلاً من بني أمية : عثمان بن عفان ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وخالد بن سعيد بن العاص . . .

وهناك من بني أسد : الزبير بن العوام ، والأسود بن نوفل ، ويزيد بن زمعة ، وعمرو بن أمية . . .

وهناك من بني زُهرة : عبد الرحمـٰن بن عوف ، وعامر بن أبي وقاص ، ومالك بن أهيب ، والمطلب بن أزهر . . .

هناك هـٰؤلاء وسواهم ممن لن تصبر عائلاتهم طويلاً عن اضطهادهم وإنزال الأذىٰ بهم ، فلماذا لا يبقيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بجانبه ؛ ليشدُّوا أزره ، وليكونوا مناط قوة ممكنة في يده ؟

هنا تُومضُ عظمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فهو لا يريد فتنة ، ولا يريد حرباً أهلية ، ولو كان فيها احتمال نصره ، بل اليقين من نصره .

وهنا تتجلَّىٰ إنسانيته ورحمته ؛ فهو لا يطيق أن يرى الناس يعذبون بسببه ، مع علمه وإيمانه بأن التضحية ضريبة كل جهاد نبيل ودعوة عظيمة ، فلتبذل التضحية حين لا يكون ثمَّة مفر من بذلها .

أما الآن ، وهناك إلىٰ تَوَقِّي العذاب سبيل ، فليذهب المسلمون إلىٰ هـٰذا السبيل .

ولماذا لا يذهب هو معهم ؟

إنه لم يؤمر بالرحيل ، إن مكانه هنا ، في أرض الأصنام .

وسيظل يهتف باسم الله الأحد ، وسيظل يتلقى العذاب والأذىٰ دونَ ما ضجر ولا جزع ، ما دام هو الذي يُؤذىٰ وليس أولـٰئك الضعفاء الذين آمنوا به واتَّبعوه .

بل ولا أولـئك الأشراف الذين آمنوا به واتَّبعوه كذلك .

ومَنْ كان يعرف من صُوَرِ الثبات ، ونُبل الفداء نظيراً لهـٰذا . . فليأتنا به .

إنه سموٌّ لا يقدر عليه إلا أولو العزم من المرسلين ، والمختارين .

إنَّ الإنسان والرسول التقيا في محمد صلى الله عليه وسلم لقاءً وثيقاً باهراً .

والذين استرابوا في رسالته ، لم يستريبوا في عظمته ، ولا في صفاء جوهره ، ونقاء إنسانيته .

وإن الله الذي يعلم أين يجعل رسالته ، قد اختار لها إنساناً يزكيه أقصىٰ ما تطمع البشرية في إدراكه من رفعة ، وسموٍّ ، وأمانة .

لقد سمعه الناس ورأوه يزجرهم عن كل مبالغة في تعظيم شخصه ، بل ـ أيضاً ـ عَمَّا هو دون المبالغة بكثير وكثير .

إنه ليزجرهم عن مجرَّد القيام له حين يقدُمُ عليهم وهم جلوس ، فيقول لهم : « لا تقومُوا كما تقومُ الأعاجمُ ، يُعَظِّم بعضهم بعضاً » .

وتُلِمُّ ظاهرة الكسوف بالشمس يوم وفاة ولده الحبيب إبراهيم ، فيتحدث المسلمون بأنها كسفت حزناً علىٰ إبراهيم ، فيسارع الرسول الأمين العظيم صلى الله عليه وسلم إلىٰ تفنيد هـٰذا الادعاء ودحضه ، قبل أن يتحوَّل إلىٰ أسطورة .

ويقف في المسلمين خطيباً ويقول : « إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله ، لا ينخسفان لموت أحد ، ولا لحياته » .

إنه الأمين علىٰ عقول الناس وتفكيرهم ، وقيامه بحقِّ هـٰذه الأمانة خيرٌ عنده وآثَر لديه من ملء الأرض مجداً وتمجيداً .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم علم اليقين أنه جاء الحياة الإنسانية

ليغيرها ، وأنه ليس رسولاً إلىٰ قريش وحدها ، ولا إلى العرب وحدهم ، بل رسول الله إلى الناس كافة .

وقد فتح الله سبحانه بصيرته على المدى البعيد الذي ستَبْلُغُهُ دعوته ، وتخفقُ عنده رايته .

ورأىٰ رأيَ اليقين مستقبل الدين الذي بشَّر به ، والخلود الحي الذي سيكون له ، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها ، ورغم ذلك كله لم يرَ في نفسه ، ولا في دينه ، ولا في نجاحه الذي لن تشهد الأرض له مثيلاً ، أكثر من لَبِنَة في البناء .

ووقف الإنسان العظيم صلى الله عليه وسلم يعلن هـٰذا في أوضح بيان ، فيقول :

« مَثَلِي ومَثَلُ الأنبياء قبلي ؛ كمَثَل رَجل بَنىٰ بيتاً فأحسنهُ وأجْملهُ إلاَّ موضعَ لَبِنَةٍ في زاوية من زواياهُ ، فجعل الناسُ يطوفون به ويعجبون لهُ ، ويقولون : هلاَّ وُضِعَتْ هـٰذه اللَّبِنَةُ ، فأنا تلك اللَّبِنَة ، وأنا خاتم النبيين » .

كل هـٰذه الحياة التي عاشها ، كل جهاده وبطولاته ، كل عظمته وطهره ، كل هـٰذا الفوز الذي حققه دينه في حياته ، والفوز الذي كان يعلم أنه سيَبْلُغُهُ بعد مماته ، كل ذلك ، وليس إلا لَبِنَة ، لبنة واحدة في بناء شاهق عريق!

وهو الذي يعلن هـٰذا ، ويقوله ، ويصرُّ علىٰ توكيده!

ثم هو لا ينتحل بهـٰذا القول تواضعاً يغذي به جوعاً إلى العظمة في نفسه .

بل يؤكد هـٰذا الموقف باعتباره حقيقة تشكل مسؤوليةُ تبليغها وإعلانها جزءاً من جوهر رسالته .

ذلك أن التواضع على الرغم من أنه خُلق من أخلاق محمد صلى الله عليه

وسلم الأصيلة لم يكن الدليلَ الذي يدل علىٰ عظمته ويشير إليها ، فإن عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم بلغت من التفوق والأصالة ما جعلها آية نفسها ، وبرهان ذاتها .

هٰذا هو معلِّم البشر ، وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم .

هٰذا هو النور الذي رآه الناس وهو يحيا بينهم بشَراً ، ثم رآه العالم بعد رحيله عن الدنيا حقيقة وذِكراً .

* * *

أشرف المطالب

العلم أشرف مطلوب ، وأجل موهوب .

والعلماء ورثة الأنبياء ، وسادة الأولياء ، والشهداء على الألوهية ، والدعاة إلى الربوبية .

تستغفر لهم حيتان الماء ، وطيور السماء ، وتدعو لهم النملة ، وتستغفر لهم النحلة .

ولايتهم لا تقبل العزل ، وأحكامهم ليس فيها هزل ، مجالسهم عبادة ، وكلامهم إفادة .

يوقعون عن رب العالمين ، ويفضلون الناس أجمعين ، وكما يُهتدىٰ بالنجوم في ظلم البر والبحر ، فهم منائر الأرض يهتدىٰ بهم في كل أمر .

العلم في صدورهم ، والله يهدي بنورهم ، وينـزّل عليهم الرضوان في قبورهم ، هم حملة الوثيقة ، والشهداء على الخليقة .

كلامهم محفوظ منقول ، وحكمهم ماضٍ مقبول .

بهم تصلح الديار ، وتعمر الأمصار ، ويكبت الأشرار ، وهم عز الدين ، وتاج الموحدين ، وصفوة العابدين .

هم أنصار الملة ، وأطباء العلة ، يذودون عن حياض الشريعة ، ويزجرون عن الأمور الفظيعة ، وينهون عن المعاصي الشنيعة .

هم خلفاء الرسول ، ثقات عدول ، ينفون عن الدين تأويل

المبطلين ، وتحريف الجاهلين ، وأقوال الكاذبين .

مذاكرتهم من أعظم النوافل ، ومرافقتهم من أحسن الفضائل ، وهم زينة المحافل .

بهم تقام الجماعات والجمع ، وبهم تقمع البدع .

هم الكواكب في ليل الجهل ، وهم الغيث يعم الجبل والسهل .

عالِمٌ واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ؛ لأن العالِم يُدرِك الحيل ، ولا تختلط عليه السبل .

يكشف الله بهم تلبيس إبليس ، ويدفع الله بهم كل دجّال خسيس .

أحياء بعد موتهم ، موجودون بعد فوتهم ، علمهم معهم في البيوت والأسواق ، ويزيد بكثرة الإنفاق .

أقلامهم قاضية ، على السيوف الماضية .

بصائرهم تنقب في مناجم النصوص ، وعقولهم تركب الدر في الفصوص .

الناس يتقاسمون الدرهم والدينار ، وهم يتوزعون ميراث النبي المختار .

لو صلّى العابد سبعين ركعة . . ما عادلت من العالم دمعة ، فهم أهل العقول الصحيحة ، وأرباب النصيحة .

أما العلم . . فشرف الدهر ، ومجد العصر ، ذهب الملك بحراسه ، وبقيت بركة العالم في أنفاسه ، فنِيَ السلاطين ، ووُسِّدوا الطين ، وخلد ذكر أهل العلم أبداً ، وبقي ثناؤهم سرمداً .

العلم أعلىٰ من المال ، وأهيب من الرجال ، به عُبِدَ الديّان ، وقام الميزان ، وبه نزل جبريل ، علىٰ صاحب الغرة والتحجيل ، وبه عرفت شرائع

الإسلام ، ومُيِّز بين الحلال والحرام ، وبه وُصلت الأرحام ، وحُلَّ كلُّ نزاع وخصام .

وبالعلم قام صرح الإيمان ، وارتفع حصن الإحسان ، وبيّنت العبادات ، وشرحت المعاملات .

وهو الذي جاء بالزواجر ، عن الصغائر والكبائر ، وفَقِه الناس به الفرائض والنوافل ، والآداب والفضائل ، ونصبت به معالم السُّنن ، وكُشف به وجه الفتن ، ودُلَّ به على الجنة ، ودعي به إلى السنة .

وهو الذي سحق الوثنية ، وهدم كيان الجاهلية ، ونهىٰ عن سبيل النار ، وموجبات العار ، ووسائل الدمار ، وبه حورب الكفرة ، وطورد الفجرة .

وهو من العلل دواء ، والشكوك شفاء ، ينسف الشبهات ، ويحجب الشهوات ، ويصلح القلوب ، ويرضي علاّم الغيوب ، وهو شرف الزمان ، وختم الأمان ، وهو حارس على الجوارح ، وبوَّابة إلى المصالح .

وصاحبه مهاب عند الملوك ، ولو أنه صعلوك ، وحامله ممجّد مسوّد ، ولو كان عبداً أسود .

يجلس به صاحبه على الكواكب ، وتمشي معه المواكب ، وتخدمه السادة ، وتهابه القادة ، وتُكتب أقواله ، وتُقتفىٰ أعماله ، وتحترمه الخاصة والعامة ، ويدعىٰ للأمور العامّة ، مرفوع الهامة ، ظاهر الفخامة .

عظيم في الصدور ، غني بلا دُور ولا قصور ، الله بُغيته ، والزهد حليته ، مسامرته للعلم قيام ، وصمته عن الخنا صيام .

رؤيته تُذكِّر بالله ، لا يعجبه إلا الذكر وما والاه ، عرف الحقيقة ، وسلك الطريقة ، به تقام الحجة ، وتعرف المحجة ، وهو بطل المنابر ، وأستاذ

المحابر ، والمحفوظ اسمه في الدفاتر .

والعلم وسام لا يُخلع ، وهو من الملك أرفع ، وهو إكليل على الهامة ، ونجاة يوم القيامة ، ينقذ صاحبه من ظلمات الشك والريبة ، ويخلصه من كل مصيبة ، وهو علاج من الوسواس ، وفي الغربة رضاً وإيناس ، وهو نعم الجليس والأنيس ، وهو المطلب النفيس .

يغنيك عن المسوّمة من الخيل ، والباسقات من النخل ، ويكفيك عن القناطير المقنطرة ، والدواوين المعطّرة .

وحسبك به كفاية عن كل بناء ، وعن الحدائق الغناء ، والبساتين الفيحاء .

وهو الحكمة التي مَن أوتيها . . فقد أوتي خيراً كثيراً ، والمُلْك الذي من أعطيه . . فقد أعطي ملكاً كبيراً .

وصاحب العلم غنيٌّ بلا تجارة ، أمير بلا إمارة ، قويٌّ بلا جنود ، والناس بالخير له شهود .

مات القادات والسادات ، وذكرهم معهم مات ، إلا العلماء ؛ فذكرهم دائم ، ومجدهم قائم ، فألسنة الخلق أقلام الحق ، تكتب وتخط لهم الثناء ، وأفئدة الناس صحف تحفظ لهم الحب والوفاء .

كان أبو حنيفة مولىً يبيع بزّاً ، ولكنه بعلمه هزّ الدنيا هزّاً ، وكان عطاء بن أبي رباح ، خادماً لامرأة في البطاح ، فنال بعلمه الإمامة ، وأصبح في الأمة علامة ، وابن المبارك عبد الله ، المولى الإمام الأوّاه ، والأعمش ومكحول ، كانوا من الموالي ولكنهم أئمة فحول ، فالعلم يرفع صاحبه بلا نسب ، ويشرفه بلا حسب .

وإنما يحصل العلم بخدمته كلَّ حين ، وطلبه ليُعبد به رب العالمين ، وطيّ

الليل والنهار في تحصيله ، والسهر علىٰ تفصيله ، ومذاكرته كل يوم ، والاستغناء به عن حديث القوم ، ومطالعة مصنفاته ، ومدارسة مؤلفاته ، وتقييد أوابده ، وحفظ شوارده ، وتكرار متونه ، ومعرفة عيونه .

فمن طلبه بصدق ، وحرص عليه بحق . . فهو مهاجر إلى الله ورسوله ، تفتح له أبواب الجنة عند وصوله ، وهو مرابط في ثغور المرابطين ، وجواد في صفوف المعطين ، ومداده في الأوراق ، كدماء الشهداء المهراق ؛ لأنه مقاتل بسيف النصوص ، قُطّاع طريق الملة واللصوص ، وقد يقمع الله به الأشرار ، ما لا يقوم به جيش جرّار ؛ فإن الله يُجري حجّته علىٰ لسانه ، ويُسيِّر موعظته في بيانه ، فينـزع الله بكلامه حظَّ الشيطان من النفوس ، ويجتث به خطرات الزيغ من الرؤوس ، ويغسل الله بمعين علمه أوساخ القلوب ، وينفض بنصائحه أدران الذنوب ، فكلما بنىٰ إبليس في الأرواح ضلالة . . جاء العالم فأزهقها ، وكلما نسج في الأنفس خيمة للباطل . . قام العالم فمزّقها .

صاحب المال مغموم مهموم ، خادم وليس بمخدوم ، حارس علىٰ ماله ، بخيل علىٰ عياله ، وصاحب العلم سعيد مسرور ، يعمره الحبور ، ويملأ فؤاده النور ، بلغ من السؤدد غايته ، ومن الشرف نهايته ، تجبىٰ إليه ثمرات كل شيء من لطائف المعارف ، وتهوي إليه أفئدة الحكمة وهو واقف ، يأتيه طلبة العلم من كل فجّ عميق ، كأنما يؤمّون البيت العتيق ، في قلبه نصوص الشريعة ، ينزل عليها ماء الفقه فتهتزّ وتربو ، وتنبت من كل زوج بهيج .

فترى العالم يجول فكره في الملأ الأعلىٰ والناس في أمر مريج ، فقلب العالم له جولان في فضاء التوحيد ، وقلب الجاهل في غابات الجهل بليد ، أشرقت في قلب العالم مشكاة فيها مصباح ، وتنفس في نفسه نور الصباح ،

أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها ، فاخضرت روضة العالم علىٰ أثرها .

صيد الكلب المعلّم حلال ، وصيد الكلب الجاهل حرام ووبال ، وما ذاك إلا لشرف العلم حتىٰ في البهائم ، ومكانة المعرفة حتىٰ في السوائم .

والهدهد حمل علماً إلىٰ سليمان ، فسطّر الله اسمه في القرآن ، فهو بالحجة دمغ بلقيس ، وأنكر عليهم عبادة إبليس ، وحمل من سليمان رسالة ، وأظهر بالعلم شجاعة وبسالة .

فعليك بالعلم ، والفهم فيه الفهم ، وتصدَّق عليه بنوم الجفون ، وأنفِق عليه دمع العيون ، واكتبه في ألواح قلبك ، واستعِن علىٰ طلبه بتوفيق ربك ، وأتعِب في طلبه أقدامك ، وأشغل بتحصيله أيامك .

وإذا سهر الناس على الأغاني . . فاسهر على المثاني ، وإذا وقع القوم في الملذات ، وأدمنوا الشهوات . . فاعكف على الآيات البينات ، والحكم البالغات .

وإذا احتسى العصاة الصهباء . . فاكرع من معين الشريعة الغراء ، وإذا سمعت اللاهين يسمرون ، وعلىٰ غيّهم يسهرون . . فصاحبِ الكتاب ؛ فإنه أوفى الأصحاب ، وأصدق الأحباب .

وإذا رأيت الفلاّح يغرس الأشجار ، ويفجّر الأنهار . . فاغرس شجر العلم في النفوس ، وفجّر ينابيع الحكمة في الرؤوس ، وإذا أبصرت التجار يصرفون الفضة والذهب . . فاصرف الحجة كالشهب ، وأطلق الموعظة كاللهب .

يكفيك أن العلم يَدَّعيه غير أهله ، وأن الجهل ينتفي منه الجاهل وهو في جهله ، يرفع العالم الصادق بعلمه على الشهيد ؛ لأنه يقتل به كل يوم شيطان مريد .

العالم سيوفه أقلامه ، وصحفه أعلامه ، ومنبره ظهر حصانِه ، وحلقته حلبة ميدانه .

العالم يفرّ من الدنيا وهي تلحقه ، ويأبى المناصب وهي ترمقه .

والعلم هو العضْب المهند ليس ينبو ، وهو الجواد المضمّر الذي لا يكبو ، ولكن المقصود بهـٰذا العلم علم الكتاب والسنة ، الذي يدلك علىٰ طريق الجنة ، وهو ما قادك إلى الاتباع ، ونهاك عن الابتداع ، فإن كسرك وهصرك ونصرك . . فهو علم نافع ، فإن أعجبك وأطربك وأغضبك . . فهو علم ضار .

ما كسرك عن الدنيا الدنية ، والمراكب الوطيّة ، والشهوات الشهية ، وهصرك عن العلو في الأرض ، ونسيان يوم العرض ، ونصرك على النفس الأمارة ، والأماني الغدارة . . فهـٰذا هو العلم المفيد ، والعطاء الفريد .

* * *

الكلمة الطّيّبة

الحمد لله ذي الجلال والإكرام ، والصلاة والسلام علىٰ أجلّ خطيب وأنبل إمام ، وعلىٰ آله وصحبه ما شَدا حمام ، وهطل غمام ، واكتمل بدر التّمام .

أما بعد :

فمَثَل كلمةٍ طيّبة ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

والكلمة الطيّبة : تُقيم مبادىء ، وتُنعش أرواحاً ، وتُحرّك أجيالاً ، وتبني شعوباً .

الكلمة الطيّبة : تُصلِح خطأً ، وتنصب عدلاً ، وترخّص باطلاً ، وتسحق زيفاً .

والكلمة الطيّبة : طريق العمل ، واستفادة من الماضي ، ونشيد حماسي لليوم ، وأمل واعِد للمستقبل .

وأقوىٰ ما تكون الكلمة علىٰ منبر الوعظ ، يوم تطرق الرؤوس ، وتسكت النفوس ، وتشرئبّ الأعين ، ويسود الصمت فلا تسمع إلاَّ همساً .

حينها ينتصب الخطيب ، ويتدفّق لسانُه بالحجج ، وتنساب نغماته في الأرواح انسِياب الماء في العود ، والحبّ في المُهَج ، والنور في التيّار .

وينسجُ الخطيب الخطير بكلامه من الأمّة العاطلة المُستكينة أمّة عامِلة مُنتجة فاعلة ، تبني وتغرس ، وتكتب وتقرأ ، وتعطي وتدفع .

أول ما فعله صلى الله عليه وسلم بأمة الصحراء أنه خطبهم ووعظهم ،

وبشَّرهم وأنذرهم ، وأمرهم ونهاهم ، فتحوَّل عُبَّاد الأوثان إلىٰ أئمة طُهرٍ ، ونجوم هدىٰ ، وسُرّاق الحجيج إلىٰ مرابطين في الثغور ، وشعراء الخمر والمجون إلىٰ أدباء للحِكمة ، وشُداة للحق ، والأعراب الحُفاة إلىٰ عُبّاد ترجف أعضاؤهم في السَّحَرِ بالخشية .

الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم الخُطباء ، كما قيل :

مَـا بَنَـىٰ جُمْلَـةً مِـنَ ٱللَّفْـظِ إلاَّ   اِبْتَنَـى ٱللَّفْـظُ أُمَّـةً مِـنْ عَفَـاءِ

إنَّ اللسان الصادق البليغ يفعل في الأمم فِعْل الجيوش الجرَّارة ، والكتائب الهادِرة ، والجنود المُغامرين .

واللسان الصادق البليغ يخاطب الأرواح مباشرة ، ويناجي النفوس بلا حجاب ، ويُشاجي البصائر بما أراد .

وبالخطبة المؤثِّرة الواصلة يدركُ حُداة الحقِّ وروَّاد الفضيلة مطالبهم ، فعند سماع الخطبة يشجع الجبان ، ويسخو البخيل ، وينبل الخامِل ، ويجاهد القاعِد ، ويثوب المحطّم ، وعند سماع الخطبة يُطعَمُ الفقير ، ويُكسى العاري ، ويُعان المنكوب ، ويُمسَح دمعُ المصاب .

الخُطب الهادِرة الطنّانة تُشعل الحماس في رؤوس المقاتلين ، والغيرة في نفوس المدافعين ، والحميَّة في أفئدة أبطال الكفاح .

وبُلغاء الخطباء يدعون إذا ادلَهَمَّ خطْب ، ووقعت واقعة ، وحلّت داهية ؛ ليقولوا كلمتهم في الحشود ، ويُلقوا عصا الحجّة في الجُموع ، فإذا هي تلقف كل باطل ، وتلتهِم كل حدث .

بُلغاء الخطباء ينسجون في وقفة واحدة تاريخاً طويلاً ، وينظمون في لحظة قصيرة آمالاً كبيرة .

إن انتصرت الأمة . . مجّدوها ، حتىٰ تصل هامَتها الثُّريَّا ، وإن غلبت . . رفعوها ولو كان رأسها على الثَّرىٰ .

إن خطبوا في فنّ الشجاعة . . هوّنوا الموت على الجنود ، حتىٰ كأنه حضور مهرجان ، ومُشاهدة حدائق ذات أفنان ، ورغّبوا الجيوش في البسالة ، حتىٰ كأن الحياة بلا موت لا شيء ، والبقاء بلا دفاع فناء ، والعيش بلا نضال عار ، يهوِّنون شأن العدو ، حتىٰ كأن سيوفهم أقلام كاتِبين ورِماحهم أغصان لاعبين :

فَمَــن فِــي كَفِّــهِ مِنْهُــمْ قَنَــاةٌ كَمَــنْ فِــي كَفِّــهِ مِنْهُــمْ خِضَــابُ

وإن خطبوا في الأغنياء مُلتمسين البذل والسَّخاء . . جعلوا العطاء حياة ، والإمساك موتاً ، والإنفاق سعادة ، فعلىٰ زجل كلامهم تنهل الدراهم والدنانير ، ومع وقع عباراتهم يسقط الذهب والفضة ، وبخطبهم تفرغ القناطير المقنطرة من أكياسها ، وتخرج الكنوز من أكداسها .

يخطبون في الفقراء فيُحيلون مرارة العدم إلىٰ سعادة ، وبذاذة البؤس إلىٰ مكرمة ، فإذا الفقير محسود بفقره مغبوط بعُدْمِهِ ، يرىٰ أن فقره سبيل إلىٰ قلّة التَّبعة ، وخفّة السير ، وضحالة الخطايا ، وارتياح الروح .

ويخطبون في المنكوبين ، فإذا تيجان المدائح علىٰ رؤوسهم ، وألوية الفضل تخفق فوق هاماتهم ، فكلّ منكوب يرىٰ أنه مجتبىٰ بنكبته ، مُصطفىٰ بمصيبته .

والخطباء اللامعون يحيلون بجلال العبارة وقدسيّة الكلمة صدمة الهزيمة إلى انتصار ، وهزّة الفاجعة إلى استعلاء .

وهل الأحداث والوقائع والمثُلات إلاّ نتائج للكلمات الملتهبة والخُطب المجنّحة الهادِرة ؟!

خطب صلى الله عليه وسلم خطبة ضافية في بدر قرّبت الجنة لعُشّاق السعادة ، وبغّضت البقاء عند محبِّي الدنيا ، وسهّلت الموت علىٰ طالبيه ، والقتل علىٰ راغبيه ، فتسابق المؤمنون علىٰ وقع كلامه صلى الله عليه وسلم ، وكأنهم في صراع الأعداء ، يلِجون أبواب الجنة الثمانية ، وفي نِزال الكُفّار يطوفون بالكوثر ، وفي حزّ هامات الوثنيين يحْسُون الكأس الدّهاق في جنة عدن .

وخطب صلى الله عليه وسلم قبل أُحُد بيوم ، فأبى الأبطال البقاء في المدينة ، وحثّوا السَّير إلىٰ أُحُد ، ورنين الخطبة في الآذان كأنها طلائع الجيوش ، ورايات الكتائب ، وأعلام الجنود .

ولمّا مات صلى الله عليه وسلم.. وقع الخطْب الجلل ، والحدث الفادح ، فقام أبو بكر الصّديق فعزّىٰ في المصاب ، وسلّى الخطْب ، ودمل الجِراح ، ومسح الدمع ، وأعادَ للهِمَم توقّدها ، وللنفوس إشراقها ، وللضمائر حياتها .

فكأن الكلام الذي ارتجله كلام جديد ، هبط من الغيب علىٰ أجنحة القبول ، وهبط من الفلك علىٰ أوسمة المحبّة .

عَبَر طارق بن زياد البحر ، ولقيَ العالم الكافر ، واحتدم الهول ، وقامت قيامة الأبطال ، فهتف بخطبة طنّت لها آذان الشُّجعان ، ورنّت لها رِماح الأقران ، وتقدَّم علىٰ صليلها الجبان ، فهو يزبد ويرعد ، والصفوف تتقدَّم ، والمنايا تقع على الرؤوس ، والموت يُداعب النفوس ، فإذا جيوش المسلمين علىٰ هدير خطبة طارق تطرق باب الفتح ، ترفع علمَ الانتصار ، وتعفّر أنوف الطّغام برغام المعركة .

الأرواح طواعية ، ويأسر النفوس أسراً ، ويكسر جماجم الفصاحة علىٰ رؤوس الشهود كسراً .

يرتجل الخطبة فكأنَّ كل جملة لوحة هائمة في الجمال ، روعة في الحُسْن ، غاية في النّفاسة .

فعليٌّ أبو الحسن هو الفصاحة وهي هو .

وكان ابن الجوزي يَعِظ الناس فتقع في مجلس وعظه صور غير عاديَّة في حياة الناس ، انخلاع في النفوس ، تدفّق في الدموع ، ذُهُول في الجمهور ، وجلٌ في قلوب الحُضور ، فذاكَ يصرخ تائباً ، وهـٰذا يَنتَحِب نادماً ، وهـٰذا يُغمىٰ عليه ، وذاك ينسحق تحت سِياط الوَعْظ .

بعض الخُطباء يخطب في الجلوس فيجثون على الرُّكب ، ويزحفون إليه ، وتنقطع أبصارهم فيه .

وبعض الخُطباء يخطب في الجُموع فلا تنبس شفة ، ولا تتحرك أنمُلة ، ولا يرمش طرف .

وبعض الخُطباء إذا خطب . . قعقع منبره بهدير صوته ، وصار جمهوره في قبضته ، وأصبح مُستمِعوه طوع يمينه .

وآخرون إذا خطبوا . . انسابوا كالماء هدوءاً وسكينة ، وهبّوا كالنسيم لطافة ورقّة ، يُصاحِبون الأرواح قبل الأجسام ، والأنفس دون الأبدان .

الخطيب القدير هو الذي يملك زمام المبادرة ، فلا يترك الأرواح تتفلّت من قبضته ، وهو الذي يركض في ميدان الألفاظ ، يتخيّر ما يشاء ويهجر ما يشاء ، رابِط الجأش ، قويّ القلب ، واثق النفس ، ثابت القدم ، هادىء الأعصاب .

ترتجف القلوب من صولته وقلبُه في أمان ، وتضطرب الأرواح من نبراته وروحُه في حِرْزٍ مَكين .

والخطيب القدير كالسَّيل الزاحف ، إذا صادفته هضبة . . طمّها وارتقىٰ عليها ، وإذا قابلته حُفرة . . ملأها وعدّىٰ عنها ، وإذا واجه صخرة . . مالَ عنها ذات اليمين وذات الشمال .

والخطيب القدير يهدأ يهدأ ، فتسكن الأسماع ، وتخفت الأرواح ، ويثور يثور ، فيغلي الجوّ ، ويضطرب الشهود .

يستفهم واجِماً كالأسد المتأمِّل ، ويتعجّب مُنذهلاً كالشاعر الوالِه ، ويستعطف في العبارة كالفقير اللَّحوح ، ويأمر كالسلطان المُطاع ، ويرثي في مقام الرثاء ، فينسى الناس الخنساء ، ويُعزِّي فيذهب حرّ المصاب مع برد العزاء .

والخطيب القدير يستظهِر الآيات البيِّنات فيُرصِّع بتيجانها هامات خُطبه ، ويرصِّع بدُرّها حلل وعظه .

ويحفظ الحديث الصحيح فيطرِّز كلامه بجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، ويربط علىٰ قلبه بأنفاس المعصوم .

عنده الأدب مادته وعصاه وبُرده ، فالأبيات علىٰ طرف لسانه ، يطرّب ويحمّس ويتفنّن .

وعنده القصص ينثرها بسرْد عجيب ، وطرْح غريب ، فكأن السامِع عاشها ، والغائب حضرها .

والخطيب القدير يُحيي العبارات ، فكأن الكلمات طير بأجنحة ، وحمائم بريش ، وعصافير علىٰ سنابل .

تقرأ الأحدوثة فلا تحرّكك، ولا تعجبك ، ولا تستهويك، وتسمع الخطيب المصقع يتلوها على الأسماع فتصل شِغاف قلبك المدنف ، فتشعل فيه جذوة من الحرارة والحماس والجاذبية .

الخطيب القدير يصف الليل وهو في الظَّهيرة ، فتحسّ أنك تحت أسْمال الدّجىٰ ، وتحت أجنحة الدياجير ، ويصف النهر ، فتلمّس ثيابك أن تبلَّ وأنت ناءٍ عن النهر ، ويصف جيش الأعداء البعيد ، فتنظر إلىٰ مطالع الجبال ، كأن الطلائع أقبلَت ، والكتائب دَنَتْ .

يدعوك للجائعين باذِلاً ، فترمي الخبزة من يدك طائعاً ، ويُشاجيك للعُراة مُنجِداً ، فتخلع ثوبك مُسعِفاً راضياً .

هل الخطابة إلاَّ جذْب النفوس ، وامتلاك الأرواح ، والتصرُّف في المشاعر ؟!

هل الخطابة إلاَّ الاستيلاء علىٰ مستعمرات الأفكار ، وفتح قلاع التصوّرات ، والانتصار على الآراء المُخالفة ؟!

والخطابة هي الإقناع ، ونقل السّامع من الغيِّ إلى الرّشاد ، ومن الانحراف إلى الاستقامة ، ومن الظلم إلى العدل .

يريد الخطيب أن يُبكي الناس ، فيتوجَّع من قلبه ، ويتأسَّف من خلده ، ويتهدّج صوته ، وتنساب عبارات الفجيعة ، وكلمات الشَّجن من بين شفتيه ، وتتساقط الآهات مع الدمعات ، والزفرات مع العبَرات ؛ فإذا الجمْع مناحة ، والكلُّ مأتم .

ويريد الخطيب أن يُلهب الحماس ، ويشجّع السّامع ، فيهتف بسطوة ويمور بقوّة ، وينفعِل بإباء ؛ فإذا الحضور في بسالة وإقدام ، وإذا الأعين

تترقَّب متىٰ هي ساعة التضحية ولحظة الفداء ؟

الخطابة أن تأتي إلى الغضوب الحقود ، الممتلىء الثائر الجريح ، فتعالج قلبه ، وتُداخِل نفسه ، وتسلّ سخيمته ، وتُزيل ضراوته ، حتىٰ تبرد حرارته ، وينطفىء لهبه ، ويموت غضبه ، فيعود حليماً صفُوحاً مُسامحاً .

والخطابة أن تأتي إلى المُعانِد الجموح المُشاكس ، فتُليِّن عريكته ، وتخاطب فطرته ، وتدغدغ مشاعره ، حتىٰ يثوب ، ويسلِّم ، ويذعن .

ليست الخطابة لفظاً بلا معنىٰ ، وقالباً بلا قلب ، وعبارات بلا عِبَر ، فكلّها صوت وصورة ، ماء وظلّ ، ندىً وطَلّ ، شبع وريّ ، عواطف ومعانٍ ، مُثُل وقِيَم .

إن من البيان لسِحراً يخلُب الألباب ، ويلوِّن الأمزجة ، ويُغيِّر الصور والأحداث والأشياء والمواقف .

وإن من الخطابة لسِحراً يشجِّع الجبان ، ويردّ الجامِح ، ويُعزِّي المُصاب ، ويُسَخِّي البخيل ، ويُقدِّم الهيَّاب .

وسِحْر الخطابة في سُمُوِّها ، في عمقها ، في تأثيرها ، في معانيها ، في عواطفها .

وسِحر الخطابة في إلقائها ، وجاذبيتها ، وحلاوتها ، وطلاوتها .

واللسان الذَّلق يصنع الأعاجيب ، وينتج الأحداث ، ويرسم الوقائع .

كان الأحنف بن قيس هزيلاً ، نحيفاً ، أحنف ، ضعيفاً ، تقتحمه العين ، وينبو عنه الطَّرْف ، فإذا تكلَّم . . خطف الأضواء ، وجلب الأبصار ، واستنصت الأسماع ، وملكَ القلوب ، وهٰذه هي البلاغة .

كان بعض الخُطباء كالعاصفة الهَوجاء ، إذا اندفع في الحديث . . يغضب

ويثور ، وينفعِل ويمور ، ولسان حاله يقول : لا مساس ، فتراه يفلق هامَ البيان بسيف الفصاحة البتّار ، ويقطع حِبال الشّكوك بمهنّد الحجَّة الصارم ، فهو وحده رجل الموقف ، وأستاذ الحَدَث ، وسلطان المقام .

الخطابة هي جرأة صادقة ، وإقدام فظيع لا يعرف النكوص والالتواء ، وإقدام في مواجهة الجماهير ، من غير هيبة ، ولا وُجُوم ، ولا خجل .

والخطابة تحضير مسبق لما يُراد أن يُقال ، وامتلاءُ الذِّهن بأطراف الموضوع ، ورصْد تام لحديث المقام ، حينها يدلف الخطيب وهو واثق من نفسه تمام الثقة ، متماسك القوىٰ ، قويّ الإرادة ؛ لأنه قد أحرز مادته ، وخمّر أفكاره ، واستعدّ للمواجهة ، ولبس للخطابة لأَمَة النِّزال .

إن أول فشل الخطيب ألا يعدَّ كلاماً في صدره ، ولا يُهيِّىء أفكاراً في خاطِره ، وربما ظنَّ أن وقوفه أمام الناس كفيل بإثراء ذهنه بالمعلومات ، ومَلْءِ عقله بالأفكار ، وهـٰذا ليس بصحيح : ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُـرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ .

والخطيب القدير يعيش الخطبة بقلبه وجوانحه وعواطفه ، فهو يتكلَّم للناس لكن بعروق دمه وشرايينه وحشاياه ، يتحدّث عن الألم وهو أوَّل المتألِّمين ، يتوجّع لما حدث لا بلسانه ، بل بجنانه ، فيظهر ذلك في خلجات صدره ، وقسَمات وجهه ، ونبرات صوته ، ولفتاته وإشاراته .

ويتكلَّم عن البُشرىٰ ، فإذا هو سعيد بما حدث ، جذلان بما صار ، يُسعِد الناس بما يحمله هو في نفسه وخفاياه .

والخطيب المصقع موسوعة علميّة ، لا يضايقه الحديث عن أيّ جانب ، بل هو كالسَّيل ؛ كلَّما وجد فراغاً . . ملأه ، وكلّما صادف مكاناً منخفضاً . . أفرَغَ فيه جموحه .

يُطالع كثيراً ، ويحفظ كثيراً ، ويتدبَّر كثيراً ، يسبك العبارات ، فيجعل الخطبة كهيكل الذَّهب ، متناسقة ، متقاربة ، لا نشاز فيها ولا التواء .

والخطيب يحتاج إلىٰ تدريب سابق ، ومِران كثير ، ولا يكفيه أن يُطالع صِفات الخطيب ، أو أن يقرأ سِمات الخطابة ، بل يعيشها هو بنفسه ، مُزاولةً ودُرْبَةً ومِراناً ، كالسِّباحة تماماً ؛ فإن مجلّداً ضخماً في طريقة السِّباحة لا ينفع شيئاً ، ما لم يتوجّه الإنسان إلى النهر ليغمس نفسه فيه متمثلاً ما قرأ وما علم .

إذا أردت أن تدعو الناس إلىٰ بذل المال والجود والإنفاق . . فهل تظن أنك إذا جمعت الآيات والأحاديث في الباب وعرضتها على الناس أنك تحصل علىٰ ما تريد ؟! كلاَّ ، بل تجمع الآيات والأحاديث والعِبَر والأفكار ، ثم تصبغها بعواطفك وجاذبيتك وأنفاسك ، ثم تروِّض نفسك على القول ، وتضع نفسك في مكان السَّامعين ، وترىٰ هل هـٰذا الكلام مؤثِّر مُقنِع .

إنَّ الكلام علىٰ عواهنه ليس خطابة ، بل حديث عادي ، وليس كل متحدِّث خطيباً ؛ لأن الخطابة شيء آخر غير الحديث ومطلق الكلام .

والأمّة تحتاج إلىٰ خُطباء جهابذة ، يملكون المشاعر ، ويستولون على العواطف ، خطباء همّهم عرض الرسالة الحقَّة عرضاً قويّاً مؤثّراً واصِلاً ، خُطباء يشرحون المنهج الربّاني بحرارة وجاذبيّة واندفاع ، خُطباء يجلجلون في المجامع العامّة بنبرة الحق ونغمة الصدق وكلمة الإسلام .

وإن قطاعاً هائلاً من الناس لا يُقنعه الدرس الهادىء الوديع ، ولا يُبهِجه الحديث المُنساب الخافِت ، وإنما يهزّه ويحرِّكه من أعماقه ثوائر خُطباء صقع ، وإيقاعات فُصَحاء ذلق ، تصل أصواتهم إلىٰ سُويداء القلوب وأعماق الأعماق ، وإن الذين يظنون أن دَور الخطابة ضَحْل ، وأن الصِّياح والضَّجيج

لا داعيَ له ، أخطؤوا خطأً بيِّناً ، وغلطوا غلطاً فاحشاً ؛ لأن أخطب الناس هو رسولنا صلى الله عليه وسلم ، والذي أصلح بخُطَبه أمماً ، وهدىٰ بوعظه شعوباً ، (كان إذا خطب . . عَلا صوته ، واحمرَّ وجهه كأنه مُنذرُ جيش) .

والناس مستويات ودرجات ، فهـٰذا يكفيه وضوح الفكرة وصفاء العرض ، وذاك لا يفتِّتُ ذرّاتِ الالتواء والصدوف في نفسه ، إلا لَكَمات هائلة من الوعظ ، وهدير متتابع من الخطب ؛ ليستجيب لهـٰذا النداء الصّامد ، ويذعن لهـٰذا الخطاب الجارِف الدَّامغ .

إنَّ الحُشود تحتاج إلىٰ خُطباء أقوياء مُؤهّلين ، يؤدُّون واجب النّصح ووظيفة الإقناع ، لهم من سرعة البديهة ما يُنقذهم من ورطات المفاجأة ، ولهم من رصيد التجارب ما يُسعفهم في الأحداث ، ولهم من روعة الهِمَم ما يدعوهم إلىٰ معالي الأمور .

والأمة اليوم تحتاج إلىٰ دُور ومعاهد لتعليم الخُطباء ، وتخريج الفُصَحاء ، لتزرعهم في العالم ، وتوزّعهم في المعمورة ، يلهجون بذِكر الله والدعوة إليه ، وتحبيب الناس في شرعه ، وهـٰذا مطلب سامٍ وهدف نبيل .

ويا ليت أن هناك دوراتٍ للخُطباء ، واجتماعات سنوية لهم ، ليتدارسوا أوضاعهم ، ويتلافَوا أخطاءهم ، ويحسِّنوا من أحوالهم .

والله المستعان ، وهو الهادي إلىٰ سواء السبيل .

* * *

اللّؤلؤ المنثور

ـ ما رفعتُ أحداً عن مرتبته إلا حطّني عن مرتبتي .

ـ من أربعين سنة ما سألت متزوجاً إلا قال : ما رأيت خيراً .

ـ أظلم الظالمين من لم يتواضع لمن يكرمه ، وأحبَّ من لا ينفعه .

ـ لا يكون الملول حافظاً .

ـ لو أعلم أن شرب الماء يفسد مروءتي . . ما شربته .

ـ رأيت شيخاً بلغ التسعين يدور على الجواري حافياً يعلمهن الغناء ثم يصلي قاعداً .

ـ المروءة الحرفة والعفة .

ـ يكفيك من شرٍّ سماعه .

ـ إذا عظم المطلوب . . قلَّ المساعد .

ـ كل عزيز تحت القدرة ذليل .

ـ لا حكيم إلا ذو تجربة .

ـ لولا المشقة . . ساد الناس كلهم .

ـ مَن لك بأخيك كله ؟

ـ أكثر أسباب النجاح مع اليأس .

ـ وحسبك داءً أن تصح وتسلما .

ـ العيال سوء المال .

ـ ومن يبكِ حولاً كاملاً . . فقد اعتذر .

ـ ربّ حلم أضاعه عدم المال .

ـ البطنة تذهب الفطنة .

ـ وحاجة من عاش لا تنقضي .

ـ إن الشجاعة مقرون بها العطب .

ـ العلم نقطة كثّرها الجهال .

ـ قيمة كل امرىء ما يحسن .

ـ الرأي قبل شجاعة الشجعان .

ـ إن الكريم على الإخوان ذو المال .

ـ خاطَر مَن استغنىٰ برأيه .

ـ المودة قرابة مستفادة .

ـ الفراغ مفسدة .

ـ أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم .

ـ إن العلا حسن في مثلها الحسد .

ـ وقد يكون مع المستعجل الزلل .

ـ قلة العيال أحد اليسارين .

ـ وخير جليس في الزمان كتابُ .

ـ فليسعد النطقُ إذ لم تسعد الحال .

ـ والحمد لا يشترىٰ إلا بأثمان .

ـ وللأرض من كأس الكرام نصيب .

ـ ترْكُ الذنوب حياة القلوب .

ـ الغمرات ثم ينجلينا .

ـ إنّما الأعمال بالنيات .

ـ احفظ الله يحفظك .

ـ لا تغضب .

ـ رأس الحكمة مخافة الله .

ـ لا ضرر ولا ضرار .

ـ إذا ضاق الأمر . . اتّسع .

ـ لكل امرىء من دهره ما تعودا .

ـ والكفر مخبثة لنفس المنعم .

ـ ولا رأي في الحب للعاقل .

ـ من صمت . . نجا .

ـ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

ـ دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك .

ـ أذل الحرص والطمع الرقابا .

ـ قد ينعم الله بالبلوىٰ وإن عظمت .

ـ وربما صحّت الأجسام بالعلل .

ـ السيف أصدق أنباءً من الكتبِ .

ـ إذا ملكت . . فأسجح .

ـ الجود يفقر والإقدام قتّال .

ـ والمشقة تجلب التيسير .

ـ الإنسان مدني بطبعه .

ـ الناس في أول دولتهم شجعان .

ـ حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

ـ وفي النفس حاجات وفيك فطانة .

ـ إذا أنت أكرمتَ الكريم . . ملكته .

ـ والناس أعوان من والته دولته .

ـ الناس أعداء ما جهلوا .

ـ لكل شيء إذا ما تمَّ نقصانُ .

ـ لكل زمان دولة ورجال .

ـ ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

ـ أعوذ بك من جَلَد الفاجر وعجز الثقة .

ـ رمتني بدائها وانسلت .

ـ كل الصيد في جوف الفرا .

ـ من مأمنه يؤتى الحذر .

ـ إن السماء ترجّىٰ حين تحتجب .

ـ إن لصاحب الحق مقالاً .

ـ أخوك البكري ولا تأمنه .

ـ ما يوم حليمة بسر .

ـ وعند جهينة الخبر اليقين .

ـ البلاء موكّل بالمنطق .

ـ إنما العاجز من لا يستبد .

ـ المؤمن كيّس فطنٌ .

ـ من عرفك صغيراً . . حقرك كبيراً .

ـ من سرّه زمن . . ساءته أزمانُ .

ـ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ .

ـ وعين الرضا عن كل عيب كليلة .

ـ الذباب لا يقع إلا على الجرح .

ـ تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها .

ـ من يسالم الناس . . يسلم من غوائلهم .

ـ أسْلِمْ تَسْلَمْ .

ـ الإسلام يجبّ ما قبله .

ـ التوبة تهدم ما قبلها .

ـ كُفَّ عليك لسانك .

ـ أمضىٰ من السيف حسماً .

ـ كاد من شهرة اسمه لا يُسمّىٰ .

ـ أوجهاً تستحق ركلاً ولطماً .

ـ أعذر من أنذر .

ـ أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها .

ـ إن النفيس غريب حيثما كانا .

ـ أي الرجال المهذّب ؟

ـ وهل عود يفوح بلا دخان ؟

ـ والأذن تعشق قبل العين أحياناً .

ـ وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر .

ـ ومن يطلب الحسناء . . لم يغله المهر .

ـ لنا الصدر دون العالمين أو القبر .

ـ من جدّ . . وجد .

ـ من طلب العُلا . . سهر الليالي .

ـ وما نيل المطالب بالتمنّي .

ـ إن الحياة عقيدة وجهاد .

ـ إنما أصل الفتىٰ ما قد حصل .

ـ وإنما المرء حديثٌ بعده .

ـ ذكر الفتىٰ عمره الثاني .

ـ القناعة كنز لا يفنىٰ .

ـ إذا ساء فعل المرء . . ساءت ظنونه .

ـ فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ ماله .

ـ ولا كتب إلا المشرَفيّة عنده .

ـ فلما التقينا . . صغّر الخَبَرَ الخُبْرُ .

ـ علوٌّ في الحياة وفي الممات .

ـ ذم المنازل بعد منزلة اللّوىٰ .

ـ مرعىً ولا كالسعدان .

ـ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن .

ـ حشفاً وسوء كِيلة .

ـ تعدو الذئاب علىٰ من لا كلاب له .

ـ وهل يلين لفك الماضغ الحجر ؟

ـ إذا هُمّ ألقىٰ بين عينيه همه .

ـ يا أعدل الناس إلا في معاملتي .

ـ واحرّ قلباه ممّن قلبه شَبِمُ .

ـ خير الكلام ما قلَّ ودلّ .

ـ لا بارك الله بعد العرض في المال .

ـ سحابة صيف عن قليل تقشّعُ .

ـ وزهّدني في الناس معرفتي بهم .

ـ ولو أن أهل العلم صانوه . . صانهم .

ـ نُحْ علىٰ نفسك يا مسكين إن كنت تنوح .

ـ كل بطّاح من الناس له يوم بطوح .

ـ من يفعل الخير لا يُعدم جوازيَه .

ـ ولا يرىٰ طارداً للحُرِّ كاليأس .

ـ صلِّ صلاة مودِّع .

ـ إياكم وما يُعتذر منه .

ـ عيد بأية حال عدتَ يا عيدُ ؟

ـ أحرام علىٰ بلابله الدوح ؟

ـ لا بد من صنعا وإن طال السفر .

ـ فلا يدوم على الإحسان إمكان .

ـ مواعيد عرقوب .

ـ كفىٰ بك داءً أن ترى الموت شافياً .

ـ عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه .

ـ ألسنة الخلق أقلام الحق .

ـ وحسب المنايا أن يكن أمانيا .

ـ ودّ السارق أن يسرق الناس .

ـ قال رجل لأبي العيناء : يا قرد ، قال : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ .

ـ قال رجل لعلي : أنت خير الناس ، فقال : أنا فوق ما في نفسك ودون ما تقول .

ـ الزهد : ترك ما لا ينفع في الآخرة .

ـ رأىٰ أبو العيناء فاجراً يصلي ويطيل ، فقال : لكلّ جديد لذّة .

ـ الورع : ترك ما يخشىٰ منه .

ـ الإيمان : ما وقر في القلب وصدّقه العمل .

ـ أنذرتكم سوف .

ـ الأماني رؤوس أموال المفاليس .

ـ قتلوا الحسين ويسألون عن دم بعوضة ! !

ـ اتّق شرَّ من أحسنت إليه .

ـ النفس مولعة بحب العاجل .

ـ اتّقِ الله حيثما كنت .

ـ إن في البشر خياراً .

ـ بعض الشر أهون من بعض .

ـ من يَهُن . . يسهل الهوان عليه .

ـ وأتبع السيئة الحسنة تمحُها .

ـ ما لجرح بميت إيلام .

- مَن وطأتْه العيون . . وطأته الأقدام .

- اشتدي أزمة تنفرجي .

- الليل أستر للويل .

- همة تنطح الثريا .

- أللبط تهددين بالشطّ ؟

- ابن الوزّ عوّام .

- لا ينفع التهذيب في الذئب .

- نعيب زمانَنا والعيب فينا .

- وفي الناس أبدال وفي الترك راحة .

- من عزّ . . بزّ .

- الله عدّة لكل شدّة .

- إذا كان الله معك . . فمن تخاف ؟!

- ماذا وجد من فقد الله ؟

- من وجد الله . . وجد كل شيء .

- إذا كان الله ضدّك . . فمن ترجو ؟!

- كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه .

- من كثر كلامه . . كثر سقطه .

- قيل لمجوسي : بِعْ دارك واقضِ دين والدك ، قال : الوالد في النار ولو بعت الدار .

- أنزلوا الناس منازلهم .

- لست بالخِبّ ولا الخِبّ يخدعني .

ـ كثرة المزاح تُذهب المروءة .

ـ علىٰ قدر أهل العزْم تأتي العزائم .

ـ مصائب قوم عند قوم فوائد .

ـ وتأتي علىٰ قدر الكرام المكارم .

ـ لا تحسب الشحم في من شحمه ورم .

ـ أحب شيء إلى الناس ما مُنعا .

ـ ادفع بالتي هي أحسن .

ـ الأيام دول .

ـ الجار ولو جار .

ـ الجار قبل الدار .

ـ العذر عند كرام الناس مقبول .

ـ طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب الناس .

ـ الطهور شطر الإيمان ، الحمد لله تملأ الميزان ، الصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها .

ـ اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك .

ـ إن مع العسر يسراً .

ـ إذا اشتدَّ الحبل . . انقطع .

ـ الوحدة خير من جليس السوء .

ـ خيركم من تعلّم القرآن وعلمه .

ـ ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ .

ـ من مشىٰ هوناً . . مشىٰ دهراً .

ـ ما عال من اقتصد .

ـ الظلم ظلمات .

ـ كن في الدنيا كأنك غريب .

ـ الجامعات تُخَرِّج العظماء ، إلا محمداً صلى الله عليه وسلم ؛ فالله أخرجه للناس .

ـ الكلمة الطيبة صدقة .

ـ وقولوا للناس حسناً .

ـ إن الملوك إذا دخلوا قرية . . أفسدوها .

ـ من دخل على السلطان . . افتتن .

ـ من بدا . . جفا .

ـ من تتبع الصيد . . غفل .

ـ إن العرانين تلقاها محسّدة .

ـ ليس التكحُّل في العينين كالكَحَل .

ـ خذ ما رأيت ودع شيئاً سمعت به .

ـ ولن ترىٰ للئام الناس حساداً .

ـ في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل .

ـ فإنك شمس والملوك كواكب .

ـ تبسّمك في وجه أخيك صدقة .

ـ من ساعة إلىٰ ساعة فرج .

ـ فكّر واشكر .

ـ نعم المال الصالح للرجل الصالح .

ـ سمع عمر آية : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ فمرض شهراً .

ـ سمع ابن وهب ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ ﴾ فمات .

ـ جبلت القلوب على حب من أحسن إليها .

ـ المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء .

ـ انتصر بدر بن عمر ، فقرأ الخطيب : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾ .

ـ كل الموارد غير النيل آسنة .

ـ وما كل مصقول الترائب زينب .

ـ وكل مكان يُنبت العز طيب .

ـ وكل فتىً يولي الجميل محبّب .

ـ ولكن طبع المرء للمرء قائد .

ـ الإعجاز مع الإيجاز .

ـ كلماته قضب وهن فواصل .

ـ العادة أخت الطبيعة .

ـ ومن العداوة ما ينالك نفعه .

ـ ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ .

ـ حياتك من صنع أفكارك .

ـ الكلاب تنبح والقافلة تسير .

ـ نقدي يساوي قيمتك .

ـ التافه لا حاسد له .

ـ إنَّ البعوضة تدمي مقلة الأسد .

- ومن الصداقة ما يضر ويؤلم .

- لهوى النفوس سريرة لا تعلم .

- ذو العقل يشقىٰ في النعيم بعقله .

- لسان الفتىٰ نصف ونصف فؤاده .

- وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم .

- شكوى الجَريحِ إلى الغربان والرَخَم .

- ويبقىٰ من المال الأحاديث والذكر .

- وأغفر عوراءَ الكريم ادخارَه .

- الخير أبقىٰ وإن طال الزمان به .

- وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا .

- والشر أخبث ما أوعيت من زاد .

- إخفاء العمل نجاة ، وإخفاء العلم هلكة .

- الفرائض علانية ، والنوافل سر .

- لنعظم الجوامع ، ونحترم الفروق .

- الحب ما منع الكلام الألسنا .

- وأحلى الهوىٰ ما شك في الوصل ربّه .

- وألذ شكوىٰ عاشق ما أعلنا .

- كالهر يحكي انتفاخاً صولةَ الأسد .

- إذا أصبحت . . فلا تنتظر المساء .

- من ترك المشي . . تركه المشي .

- إنما الصبر عند الصدمة الأولىٰ .

ـ سبق السيف العذَل .

ـ كم من ولي في قباء وزنديق في عباء .

ـ فضح الموت الدنيا .

ـ التواضع التكبر على الجبابرة .

ـ خير الأمور أوساطها .

ـ ومن ذا الذي ترضىٰ سجاياه كلها ؟!

ـ من راقب الناس . . مات همّاً .

ـ من راقب الناس . . لم يظفر بحاجته .

ـ كن أحمر العين إن المجد منتهب .

ـ لما هملجت الخيول . . ركبها الملوك .

ـ لم ينفع الشاة في الدنيا سكينتها .

ـ إنما يبكي على الحب النساء .

ـ عند الصباح يَحمد القوم السرىٰ .

ـ تكاثرت الظباء علىٰ خراش .

ـ الصيفَ ضيّعتِ اللبن .

ـ ولكل شيء آفة من جنسه .

ـ الصاحب ساحب .

ـ أسْلِمْ تَسْلَمْ .

ـ كالموت ليس له ري ولا شبع .

ـ لا يُعجبَنَّ مضيماً حُسنُ بزَّتِه .

ـ رب نائم مرحوم وقائم محروم .

ـ استغزروا الدموع بالتذكير .

ـ وليس يكسف إلا الشمس والقمر .

ـ الدنيا ماء وخبز وظل .

ـ لا يدرك المجد إلا سيّدٌ فَطِن .

ـ لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب .

ـ إذا لم تستطع شيئاً . . فدعه .

ـ قال أنصاريٌّ لمصعب بن الزبير : أذكرك وصية الرسول صلى الله عليه وسلم فينا ، فنزل من سريره وبكىٰ وتمرغ .

ـ الإسلام قضية عادلة محاميها فاشل .

ـ أيّ دين لو كان له رجال .

ـ كما تكونوا يُولَّى عليكم .

ـ وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً .

ـ وافق شنٌّ طبقة .

ـ إن الطيور علىٰ أشباهها تقع .

ـ الأرواح جنود مجنّدة .

ـ ذهبت المكارم إلا من الكتب .

ـ لا خير في السرف ، ولا سرف في الخير .

ـ طوبىٰ للغرباء .

ـ وأكتم السر فيه ضربة العنق .

ـ وأظمى فلا أبدي إلى الماء حاجة .

ـ أعز مكان في الدنا سرج سابح .

ـ جزى الله عنا واعظ الشيب شكره .

ـ ذهب الشباب بجهله .

ـ ذهب الشباب بشره وجاء المشيب بخيره .

ـ وأتى المشيب بحلمه ووقاره .

ـ ازددنا هَمّاً كُلما ازددنا غنىً .

ـ ما زاد فوق الزاد فللنفاد .

ـ فنِعمَ الفتىٰ تعشو إلىٰ ضوءِ نارِهِ .

ـ ما العيش إلا في الخمول مع الغنىٰ .

ـ لا تقنع بما دون النجوم .

ـ العود في أرضه نوع من الحطب .

ـ والأسْد لولا فراق الغاب ما افترست .

ـ والسهم لولا فراق القوس لم يصب .

ـ والترب في الأرض ترب في مواطنه .

ـ فما المجد إلا السيف والفتكة البِكْر .

ـ ولا رُسُلٌ إلا الخميسُ العرمرم .

ـ كن وسطاً وامشِ جانباً .

ـ رُبَّ ذكرىٰ أقربت من نزحا .

ـ ارضَ بما ليس فيه بدّ .

ـ لا تُعلّم اليتيم البكاء .

ـ الرأس كثير الأوجاع .

ـ جاورت أعدائي وجاور ربّه .

ـ قيل لسقراط : لماذا تأكل في السوق ؟ قال : لأني جعت في السوق .

ـ قوت الروح أرواح المعاني .

ـ من ذا الذي ما ساء قط ؟!

ـ وأي عبد لك ما ألمّا ؟!

ـ العز في العزلة .

ـ أرى الناس من داناهم هان عندهم .

ـ زر غباً تزدد حبّاً .

ـ أزورهم وظلام الليل يشفع لي .

ـ تمتع من شميم عرار نجد .

ـ جرت الرياح علىٰ محل ديارهم .

ـ كأنني صارم في كف منهزم .

ـ كاد المريب أن يقول : خذوني .

ـ وبئس الرديفان المذلة والفقر .

ـ جسم البغال وأحلام العصافير .

ـ المعونة علىٰ قدر المؤونة .

ـ أكثر ما يُخاف لا يكون .

ـ أجمع اليأس مما في أيدي الناس .

ـ الدين المعاملة .

ـ الحلم أعز لك من الرجال .

ـ الحكمة ضالة المؤمن .

ـ في كل وادٍ بنو سعد .

ـ ما ملئت دارٌ حبرة إلا ملئت عبرة .

ـ اتّق المحارم تكن أعبد الناس .

ـ لا تصاحب إلا مؤمناً .

ـ ختم ابن إدريس القرآن ٤٠٠٠ مرة .

ـ طالع المزني كتاب « الرسالة » ٥٠ سنة .

ـ كرر النيسابوري صحيح « مسلم » ١٠٠ مرة .

ـ كرر ابن جرير « صحيح البخاري » ٧٠٠ مرة .

ـ ألّف ابن سلام « الغريب » في ٥٠ سنة .

ـ جمع أبو الفرج « الأغاني » في ٥٠ سنة .

ـ كان الشيرازي يكرر الدرس ١٠٠ مرة .

ـ صام أبو طلحة مواصلاً ٤٠ سنة .

ـ لزم عطاء المسجد الحرام ٣٠ سنة لطلب العلم .

ـ ما فاتت تكبيرة الإحرام ابن المسيب ٦٠ سنة .

ـ كان أحمد ابن حنبل يتنفل كل يوم ٣٠٠ ركعة .

ـ أخذ ابن حبان العلم علىٰ ٢٠٠٠ شيخ .

ـ لا تعاند من إذا قال . . فعل .

ـ هو الجد حتىٰ تفضل العين أختها .

ـ لا تلقَ دهرك إلا غير مكترث .

ـ ولن يردّ عليك الغائبَ الحزنُ .

ـ فإن المسك بعض دم الغزال .

ـ فإن في الخمر معنى ليس في العنب .

ـ من أمن العقوبة . . أساء الأدب .

ـ لا عقل كالتدبير .

ـ اجعل الهموم هماً واحداً .

ـ لا تطلب الخير من ذي نعمة حدثت .

ـ كُنْ كالغراب في البكور ، والنملة في الدأب ، والنحلة في الأثر ، والنخلة في المنافع .

ـ لا تدبر لك أمراً فإنما التدبير هالكي .

ـ دع المقادير تجري في أعنتها .

ـ يغطىٰ بالسماحة كل عيب .

ـ أنفق ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً .

ـ تعس عبد الدرهم ، وتعس عبد الدينار .

ـ كفىٰ بالجود سربالاً ، وبحسن الخلق نوالاً .

ـ لا تجد مدّاحاً إلا رذلاً ، ولا هجَّاءً إلا نذلاً .

ـ لا تمدحن امرأ حتىٰ تجربه .

ـ ومن لم يمت بالسيف . . مات بغيره .

ـ لا تتبذل ؛ فإن السلعة ترخص إذا كثر تداولها .

ـ خذ من الكلب جرأته ؛ فإنه يطارد فريسته ولو في النار .

ـ ويل لمن كان لسانُه حجيجَه وعلمُه خصمَه .

ـ إذا قال لي ربي : يا عبدي ؛ ما غرّك بي ؟ قلت : برُّك بي .

ـ خدم أبو شجاع السلطان ٥٠ سنة ، فكفّر عنها بخدمة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ٥٠ سنة .

ـ الفقير يحيّي الجبار علانية ، ويسخر منه سراً .

ـ السحر الحلال تبسمك في وجوه الرجال .

ـ تبسم في مجلس وتكلم كلاماً مختصراً .

ـ ألذُّ شيء التنزُّه في عقول الرجال بقراءة الكتب .

ـ الحياة : إنها عندي وأحلامَ الكرىٰ غفلات بعضها من بعضها .

ـ لزوم السنة أكل الحلال وحسن الخلق ، وسلامة الصدر معالم النجاة .

ـ الإيمان والقناعة والصحة بنود السعادة .

ـ قيل للكسائي : من نسي سجود السهو . . هل يسجد ؟ قال : لا ؛ لأن المصغَّر لا يصغّر .

ـ زاد اليهود نقطة ، فسقطوا سقطة ووقعوا في ورطة ، قالوا : حنطة بعد حطة .

ـ أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه .

ـ استعينوا علىٰ قضاء حوائجكم بالكتمان .

ـ البِرّ لا يبلىٰ ، والذنب لا ينسىٰ ، والديَّان لا يموت ، كما تدين تُدان .

ـ بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

ـ أعظم الكرامة لزوم الاستقامة .

ـ سهر بعض السلف علىٰ آية واحدة ليلة كاملة يتدبّرونها .

* * *

أشرف وظيفة

ترى الناس بلا دعوة أيتاماً ، لا يعرفون حلالاً ولا حراماً ، ولا صلاة ولا صياماً ، ولا سنناً ولا أحكاماً ، فالدعوة لرئة الأحياء هواء ، ولكبد الدنيا ماء ، ولذلك أرسل الله الأنبياء ، وخط في اللوح ما شاء .

وقد حملت القلم والدواة، ورافقت الدعاة، ولقيت العلماء والقضاة، وعرفت البسطاء والدهاة ، وجبْت مع إخواني البلاد ، وخالطت العباد ، فكم عرفنا من ناد وواد ، وسرنا في حاضر وباد ، فأخذت من الناس المواهب ، واستفدت من الزمان التجارب ، وميّزت المشارب ، ونزلت تلك الخيام والمضارب .

فالداعية الناجح ، والواعظ الصالح ، من جعل محمّداً إمامه ، فعرف هديه وكلامه ، فَراشَ بهداه سهامه ، وجمل بسنته مقامه .

والداعية من كان بالناس رفيقاً ، وعاش معهم رقيقاً ، وصار بهم شفيقاً ، فاجتنب العنف والتجريح ، والإسراف في المديح ، فلزِم القول الليّن ، والخُلق الهيّن ، فصار لقلوب الناس طبيباً ، ولأرواحهم حبيباً .

ولي في الدعوة انتقال وارتحال ، والفضل لذي الجلال ، وليس لي في الفضل فَلْس ولا مثقال .

وكانت البداية في (أبها) ، وهي من الشمس أبهىٰ ، ومن الزلال أشهىٰ ، وأهلها من أرقّ الناس قلوباً ، وأقلهم عيوباً ، تغلب عليهم الاستجابة ، والذكاء والنجابة .

ثم زرت (مكّة) ، فعرفت من الحب يقينه وشكّه ، فصرت لأهلها بالمودة ضامناً ، وصار الأنس في قلبي كامناً ، وآمن فؤادي ومن دخله كان آمناً ، فلو أن الثرىٰ يُقَبَّل . . لقبّلت ، لكنني لما رأيتها . . كبّرت وهلّلت ، وحول البيت هرولت .

ثم سرت إلى (الرياض) ، وأنا من الهم خالي الوفاض ، فلاحت لنا الأعلام النجدية ، والأماني الوردية ، ووصلنا أرض التوحيد ، وبلاد التجديد ، فوجدنا العلماء ، والكرماء ، والحلماء .

ثم حملنا الشوق إلىٰ (طيبة) ، وهي أمنيتنا في الحضور والغيبة ، وهي أرض الجلال والهيبة ، فيا قلب ؛ والله لا ألومك في هواك ، ولا أردك عن مناك ؛ لأن أحب الناس يرقد هناك ، أليس في هـٰذه الروابي مشىٰ محمّد ، وصلىٰ وتعبد ، وقام وتهجد .

ثم رحلنا إلىٰ (جدة) ، ولنا عنها مدة ، فلما وصلناها . . ذهب كل عناء وشدة ، وقد أخذنا من الحب عدة ، وحملنا في القلوب مودة ، فلقينا بها شباباً كالسحاب ، برؤيتهم تم الأنس وطاب ، وذهب الهم والأوصاب ، أخلاقهم أرق من النسيم ، وعشرتهم أجمل من الدر النظيم .

ثم جاءتنا برقية ، فسافرنا إلى (الشرقية) ، وما أبقىٰ لنا الشوق بقية ، فقابلونا بالحفاوة والإكرام ، والحب والاحترام ، ووجدنا رقة الحضارة ، والبشاشة والنضارة ، فعجزنا عن الشكر ، وهام بنا إليهم الذكر ، وما نسيهم الفكر .

ثم قلت لصاحبي : ما لك في الجدال خصيم ؟ تقول : (القيصومة) ، وأنا أقول : (القصيم) ، فلما وصلنا تلك الديار ، وعانقنا الأخيار . . وجدنا

أهل الديانة ، والأمانة ، والصيانة ، عفاف في طُهر ، كأنهم نجوم زُهر ، أشاد بمكارمهم الدهر .

ثم دخلنا (حائل) ، والقلب إليها مائل ، فلقينا أبناء المكارم ، وعانقنا أحفاد حاتم ، فرجح حبهم في الميزان ، وحدثناهم في جامع برزان ، واعتذرت من إبطائي .

ولما هبطنا (الباحة).. وجدنا الأنس والراحة ، وقد عانق القلب أفراحه ، ونسي أتراحه ، فغمد حسام الإسلام غامد ، كم بها من عابد ، وزاهد ، وساجد .

وزهرة المكارم (زهران) ، صرت في ليلي عندهم من الفرح سهران ، سيرتهم أطيب سيرة ، وسريرتهم أحسن سريرة ؛ لأنهم أبناء أبي هريرة .

وقد هبطنا (تهامة) ، فلا ملل ولا سآمة ، وأقمنا أحسن إقامة ، فوجدت الجود خلفي وأمامي ، ولمست الإكرام ورائي وقدامي ، وكفاهم أن الرسول تهامي ، تفيض وجوههم مما عرفوا من الحق ، وتشرق وجوههم مما حملوا من الصدق .

ولما أتينا (جيزان)، والجو قد زان.. نسينا من السرور الأهل والجيران ، ووجدنا الحلقات الشرعية ، والآثار القرعاوية ، والجهود الدعوية ، والكل منّا يلاحظ ، تلاميذ الحكمي حافظ ، حيث ولدت العبقرية ، ولا زالت القرائح غضة طريّة ، ولمسنا العزم والهمم ، ووجدنا الجود والكرم .

وأهم ما يُدعىٰ إليه التوحيد ؛ فإنه حق الله على العبيد ، ومن أجله بعث الرسل ، وكل كتاب به نزل ، وهو رأس العمل .

وعلى الداعية أن يعمل بما يقول ؛ ليضع الله له القبول ، فكل من ترك

الهدىٰ فهو مخذول ، كلامه ساقط مرذول .

ولتكن للداعية نوافل وأوراد ، وحسن خُلق مع العباد ، وإصلاح لنفسه وجهاد ، ومحاسبة لها قبل يوم التناد .

وليكثر من الأذكار ، بالعشي والإبكار ، وليراقب الواحد القهار ، مع قراءة سيرة الأخيار ، ومصاحبة الأبرار ، والزهد في هـٰذه الدار .

وليعتقد في نفسه التقصير ويعترف ، ويخشىٰ مما اقترف ، ويبكي علىٰ ما سلف ، وعلىٰ ما كان عليه السلف يقف ، وليسلم من الهلاك والتلف ، وليتقيّد بما شرع ، وليحذر البدع ؛ فإن النفس أمّارة ، والنفس غرّارة .

وليجوّد العبارة ، ويحسن الإشارة ، وليوقر الكبير ، ويرحم الصغير ، ويعطف على الفقير .

وليأتِ المنابر بعزم وثاب ، وقلب غير هيّاب ، وأسلوب جذّاب ، وليعد العدة قبل أن يلقي الخطاب ، وليتذكّر حديث : « لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » ؛ فإن هـٰذا من أجلّ النعم ، وليحمد ربه وليشكر ، حيث جعله يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ، وليعلم أن معلم الخير ، وناصح الغير ، يستغفر له الطير ، والحوت في البحر .

فطوبىٰ لمن كان للرسول خليفة ، وما أجلّها من وظيفة ، فهي المنزلة الشريفة ، والدرجة المنيفة ، فهـٰذا عمل الأنبياء ، وشغل العلماء ، وقربة الأولياء ، فهنيئاً له الأجر ، ورفعة الذكر ، وجلال القدر ، وصلاح الأمر .

فسبحان من اصطفىٰ من عباده دعاة إلى الجنة ، أعلاماً للسنة ، له عليهم أجل نعمة ، وأعظم منّة .

* * *

عليّ الطّنطاوي دائرة المعارف

اليوم يُقضىٰ دين الشيخ علي الطنطاوي على الأمة ، واليوم يسدد حقه في عنق الأجيال ، واليوم تبرأ ذمة القلم من تبعة التنكر والمماطلة والإهمال لعلم من أعلام العلم والأدب ، وقمة شامخة من قمم المعرفة والبيان ، وكان الذي أدّى الأمانة ورفع اللائمة ألمعي الحسب ، ألمعي الأدب ، الأستاذ الأديب : أحمد بن علي آل مريع ، فجاء إلىٰ هـٰذا المبحث الرصين الثمين وهو كامل العدة ، مشبوب الفؤاد ، جياش العاطفة ، فرصّع آيات الوفاء في لوح العطاء ، ودبَّج حروف الحب في سفر المجد ، كتب بقلم الإعجاب والمعرفة ، ورسم بريشة العارف الوفي ، فجاء بحثه قصيدةً عصماء آسرة ، ولوحةَ حسنٍ ساحرة .

صاحبْتُه في رحلته الماتعة مع سيرة هـٰذا العالم الفقيه ، والأديب الفذ ، فاستوقفني بتدفّق بيانه ، وعذوبة ألفاظه ، وتناسق جمله ، تسعفه في ذلك ذاكرة خلاّبة ، وروح متّقدة ، وهمة صادقة ، فصار كتابه ثوبَ حسنٍ موشًّىٰ بخيوط الجمال ، وإلياذةَ عاشق مطرزة بأبيات الفتون وآهات الشجون ، كل كلمة نجمة في سماء الإبداع ، وكل جمله أنشودة عذبة في مهرجان الإمتاع ، قلَّبتُ عبارته تقليب الدرة في كف الصيرفي ، ونشرت بحثه نشر الثوب في يد البزّاز .

أما بطل السيرة وأستاذ المسيرة . . فهو علي الطنطاوي فحسب ، وإذا قلت : علي الطنطاوي . . حضرت دائرة المعارف ، وموسوعة الأدب ،

وجامعة الفنون ، فصرت معه في عالم من المنقول والمعقول ، والقديم والحديث ، والعلم والأدب ، والنثر والشعر ، تقرؤه فإذا الآية والحديث ، والقصة والمثل ، والبيت والحكاية ، والنكتة والخاطرة .

يُضحكك ويُبكيك ، يطربك ويشجيك ، يفرحك ويحزنك ، فأنت معه بين بسمة ودمعة ، ووصل وهجر ، وسِلْم وحرب ، يحدِّثك عن الأنبياء والعلماء ، والحكماء والشعراء ، والملوك والسوقة ، والأغنياء والفقراء ، والرجال والنساء ، والملائكة والشياطين .

يقص عليك أخبار مالك ، والشافعي ، وابن تيمية ، وابن حزم ، وابن سيناء ، وابن رشد ، والفارابي ، وابن خلدون ، والمتنبي ، وأبي تمام ، وفولتير ، وسارتر ، وديكارت ، وكانت ، وشكسبير ، وتولستوي ، وإقبال ، وطاغور .

يرتحل بك من برج إيفل إلىٰ تاج محل ، ومن هضبة التبت إلىٰ مقاصير الحمراء ، ومن ضفاف دجلة إلىٰ روافد الراين .

يتحفك بتاريخ العرب ، ودهاء العجم ، وصبر الأتراك ، وصمود الأكراد ، وسخرية الفرنسيين ، وبرود الإنجليز ، يجمع لك في مجلس واحد عدل نور الدين ، وشجاعة صلاح الدين ، وهمة نابليون ، وأبهة الناصر في الزهراء ، وحنكة معاوية في دمشق ، وملك هارون ببغداد .

يهدأ فإذا هو رخاء حيث أصاب ، ويزبد ويرعد فإذا هو قاصف من الريح ، وعات من الموج ، تعيش معه وعظَ الحسن البصري ، وزهد الثوري ، وبديهة إياس ، وموسوعية الشعبي ، وسخرية برناردشو ، وجاذبية غوته ، وتصوير هيجو .

ينقلك بقوة براعته ، وأسر إبداعه ، من عالمك الصغير إلىٰ عالمه الكبير ، ومن أفقك الضيّق إلىٰ أفقه الواسع ، ومهما حاولت أن تتماسك أمام أسره وسحره.. فهيهات سوف تستسلم لسلطان بيانه ، وتعلن الطاعة لنور برهانه ؛ لأن حديثه يكاد يضيء من بريق نوره ولو لم تمسسه نار ذاكرته ، وسوف تعترف بتميُّزه وعمقه وموسوعيته وأصالته .

لم أقرأ لأديب ولا لكاتب معاصر أعذب عبارة، وألطف إشارة، وأحسن لفظاً، وأعظم أسراً ، وأبرع كتابةً ، وأجمل أسلوباً من علي الطنطاوي ، لكأن مقالته صبحٌ تنفّس ، أو روض أخضر باكرته صبا باردة ، أو جنة بربوة أصابها وابل .

قرأت كل كتبه وأعدت الكثير منها ، وحفظتُ قطعاً جميلة ، وتحفاً غالية منها ، وخطبت ببعض إشراقاته ، فسالت من سماعها الدموع ، ووجلت من بلاغتها القلوب .

استفدت من كتبه جلالَ الحق ، وإشراق النفس ، وسمو الروح ، وحلاوة الجملة ، وطلاوة الحرف ، قطفت من روضه أينع الثمار ، وألذ الطلع ، فحديقة علمه صنوانٌ وغير صنوان تُسقىٰ بماء واحد ، وبستان أدبه فيه من كل زوج بهيج ؛ تفسيراً ، وحديثاً ، وأدباً ، وثقافة ، وفي رحاب فنونه حدائق ذات بهجة مما يهيج ويبهر ؛ لأنه يغرب ويطرب ويعجب .

والمعاصرون من الأدباء طرائق جدد ، ومذاهب شتىٰ ؛ منهم عميق الفكر راسخ المعلومة ، لكنه قلق العبارة ، شاق الطريق ، فاتر الأداء ، ومنهم البارع في عرضه ، الجميل في لفظه ، لكن بضاعته مزجاة ، وعيبته فارغة ، وكفه صفْر ، ومنهم خالي الوفاض من المعنىٰ ، علىٰ جرف هار في المبنىٰ ، (حشفاً وسوء كِيلة) .

أما الشيخ علي الطنطاوي.. فهو ثرُّ المعرفة ، واسع العلم ، راسخ الفهم ، عميق الفكر ، وهو مع ذلك صاحب أبرع مقالة تتصدّر الكتاب العربي ، والمجلة السائرة ، والصحيفة اليومية ، سهولةً في أصالة ، ويسراً في رصانة ، وعذوبةً في عمق .

حُلَلٌ مِنَ ٱلسِّحْرِ ٱلْجَمِيلِ وَمَوْكِبٌ   مِـنْ رَوْعَـةِ ٱلإِيحَـاءِ وَٱلإِغْـرَاءِ

إذا أصّل لنا.. نسينا ابن سينا ، وإذا نظّر.. سقطت أسهم سقراط ، له تفنن الجوزي ، وعبقرية ابن حزم ، وتبيان الجاحظ ، وسلاسة ابن حيان ؛ لأنه جرد الأسفار ، وطاف الديار ، وطوىٰ منشور الزمان ، ونشر مطوي المكان ، فهو جامع لأحداث العصر ، وأنباء كل مصر ، إن أحبَّ.. أطنب وأسهب ، وإن شاء.. أوجز وألغز ، مع جودة خاطر ماطر ، وصحة نفَس عاطر ، ولا غرابة فهو خليفةُ مُجَدِّدِ الأدب ، وإمامِ الكتّاب مصطفىٰ صادق الرافعي .

والشيخ علي الطنطاوي لا يتركك تقرأ له بقلب خامد ، وطرف جامد ، وحسٍّ هامد ، بل يبعث في نفسك شعوراً حيّاً ، فيهزُّ عاطفتك ، ويُلهب حماسك ، ويوقظ روحك ، هـٰذا إذا كان القارىء له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، أما إذا كان ميّت الشعور ، يابس الإحساس ، مقفر المعرفة.. فهـٰذا لا كلام معه : ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ .

مَا فِي ٱلْخِيَـامِ أَخُو وَجْدٍ نُطَارِحُهُ   حَدِيثَ نَجْدٍ وَلاَ خِلٌّ نُجَارِيـهِ

لقد عرفت الطنطاوي قبل ثلاثين سنة ، تأبّطت كتبه في جبال الجنوب ، وتصفّحت مقالاته في روابي نجد ، وطالعت ذكرياته في مغاني الحجاز ، استقبلتني كتبه في دمشق ، وهزّتني مقالاته في القاهرة ، ولقيت قصصه في

باريس ، وسمعت أخباره في قرطبة .

وهو مصري المحتد ، دمشقي المولد ، حجازي الهوىٰ ، نجدي الجوىٰ ، صوته في المذياع ، وصورته في الشاشة ، وأدبه في الصحيفة ، وإشراقه في الكتاب .

سافرت وكتبه معي ، ونمتُ ورسائله علىٰ مخدتي ، وكنت مرة في الطائرة إلىٰ جاكرتا ، وبين يدي كتابه : « رجال من التاريخ » ، فأبكاني وأشجاني ، وأتيت أرتجل خطبة في جمع بعد ما حفظت مقطوعة : (نحن المسلمون) من أول « قصص من التاريخ » ، فسمعت نشيج الحضور .

بيني وبين الطنطاوي ـ غير نسب الدين العظيم ، والمعتقد الحق ـ صفاتٌ متقاربة متجاذبة ، مع اعترافي بفضله وتقدمه وسابقيته ؛ فقد حبَّبني في الأدب شعراً ونثراً ، علىٰ نزعة فطرية سابقة ، وولع قديم ، وحنين دائم ، ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ .

وَمَا شَرَقِي بِٱلْمَاءِ إِلاَّ تَذَكُّراً ... لِمَاءٍ بِهِ أَهْلُ ٱلْحَبِيبِ نُزُولُ

وشجّعني على الموسوعيّة ، وتعدد الفنون ، والضرب في كل غنيمة بسهم ، وهبوط وِدْيان المعرفة ، وشحذ ما عندي من طبع دعوب ، ومزاح متأصل ، ونكتة منكوتة في الدم جعلتني أعجب بطرائفه ولطائفه ، وأضحك معه ، وأحفظ كما يحفظ ، مما تخف له الروح ، ويهش له الخاطر ، ولله هو ؛ مواهب متعددة ، وروح متجددة ، نهج حنيفي ، ومذهبي حنفي ، وخلق أحنفي ، يكاد سنا برق لموعه يذهب بأبصار حساده .

وحرصتُ علىٰ لقاء الشيخ الطنطاوي وتمنّيتُ ذلك ، وقبل أن ألقاه بأشهر كنت ألقي درس السبت بأبها في جمع من الناس ، فوصلتني إشاعة موته ،

وصدّق ذلك بعضُ الأصدقاء وقوّوها عندي ، فأخبرت الناس بموته وهو حي يُرزق ، وترحَّمتُ عليه وغسَّلته وكفَّنته وصلَّيْتُ عليه ودفنته وبكيتُ ، فلما انتهى الدرس . . ثبت أن الشيخ علي لم يمت ، وأنه لا يزال مصرّاً على الحياة علىٰ رغم أنوفنا!! ولو كانت تنطلي عليه الحيلة . . لصدَّقنا ومات ، فصار بكاؤنا عليه هباءً منثوراً .

وزرته بمكة في بيته بالعزيزية ، وعرّفه صاحبه بي ، وقد سمع ببعض أشرطتي واستشهادي بكلامه ، فهشَّ وبشّ ، وحيًّا ورحَّب ، وقال لي : أنت الذي أماتني قبل أن أموت ؟! ثم استشهد ببيت المتنبي :

يَا كَمْ دُفِنْتُ وَيَا كَمْ مِتُّ عِنْدَكُمُ ثُمَّ ٱنْتَفَضْتُ فَزَالَ ٱلْقَبْرُ وَٱلْكَفَنُ

ومازحني وداعبني ، ثم حدثنا بشيء من ذكرياته المشجية ، فبكىٰ مرتين وهو يقص علينا أحسن قصصه ، بكىٰ حينما تذكر زميله وصديقه الكاتب اللامع والداعية الصادق سيد قطب رحمه الله ، وقال والدمع يغسل خدَّه : كان خيراً مني ، وأفضل مني ، وأنفع مني ، ثم تنهَّد وترحَّم عليه .

ثم بكىٰ لما ذكر ابنته بنان رحمها الله التي قُتلت بألمانيا ، فجادت عيناه بأحر وأصدق الدموع علىٰ فلذة كبده ، وصنو روحه ، فكان دمعه أصدق خطبة قرأتها ، وأعظم موعظة سمعتها ، حرّم الله تلك العيون على النار ، وآنس الله تلك الجفون بصحبة الأبرار .

وكل ما ذكرته عن الشيخ علي الطنطاوي عظيم ، ويستحق عليه التكريم ، لكن أعظم من سعة علمه وكثرة فنونه ودائرة معارفه : أنه قد رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيّاً ، وهنا عظمة الإنسان ، وغاية نبله ، وذروة كماله البشري ، حيث يبارك في علمه ، ويصلح عمله ،

ويرتفع ذكره ، ويستقيم منهجه ، وتطيب كلماته ، وتعذب عبارته ، ويحلو أدبه ، وهـٰذا بعينه الذي حببنا في شيخ الجيل ، وأستاذ الأدب ، وكاتب العصر ، علي الطنطاوي .

ألا فتبّاً وسحقاً لمن عقَّ دينه ، ونسي ربّه ، وكتم شهادةً عنده من الله ، وألغى الدليل ، ورفض المحجّة البيضاء ، وتدثّر بلباس الزور ، وتزمّل برداء الغرور ، فهو إنسان في فهم ثور ، ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ .

فلا يلوم لائم تعلق الجيل المؤمن ، والشباب الصادق بهـٰذا الأستاذ الجهبذ ، وهـٰذا العلم الأعجوبة ؛ لأنهم وجدوا فيه الأمانة والإيمان مع ورع النفس ، وطهر الضمير ، وعفة القلم ، وصفاء الفكر ، أما المرتزقة الآثمون المفلسون في عالم القيم . . ﴿ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ ، نتاجهم سراب بِقِيعة ، وحصيلتهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، صار ذمهم شهادة علىٰ كمال من جرّحوه ، وأصبحت تزكيتهم وصمةَ عارٍ لمن مدحوه .

إنني في هـٰذا التقريظ أنوب عن أمة الضاد ، وحملة الرسالة ، لأقدم أنبل الشكر وأصدقه وأكرمه وأرقه لمؤلف هـٰذا الكتاب ، ومسطِّر هـٰذا البحث ؛ لأنه قد أعفانا من مشقة التنقيب والبحث الدقيق ، والتتبع الأمين لسيرة هـٰذا العالم الفقيه الأديب ؛ بما خطّه من سفر موثق أمين صادق ، في ثوبٍ قشيب ، نُسج بخيوط التجرُّد والإنصاف ، ولقد رحَّبت بتقريظ كتابه ترحيب من تاقت نفسه لمآثر وأخبار الشيخ علي الطنطاوي ، تقبلت هـٰذا البحث بقبول حسن ، تقبّل الوالد لأعز أبنائه ، والضال الواجد لضالته المنشودة ، وأخذت أرتشف سلسبيله البارد على الروح ترشُّف الظمآن زلال ماء بارد ، من ينبوع صاف ، تمده عين يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً .

وكنتُ أحدث نفسي كثيراً بالكتابة عنه ، فصرت كما قال الأول :

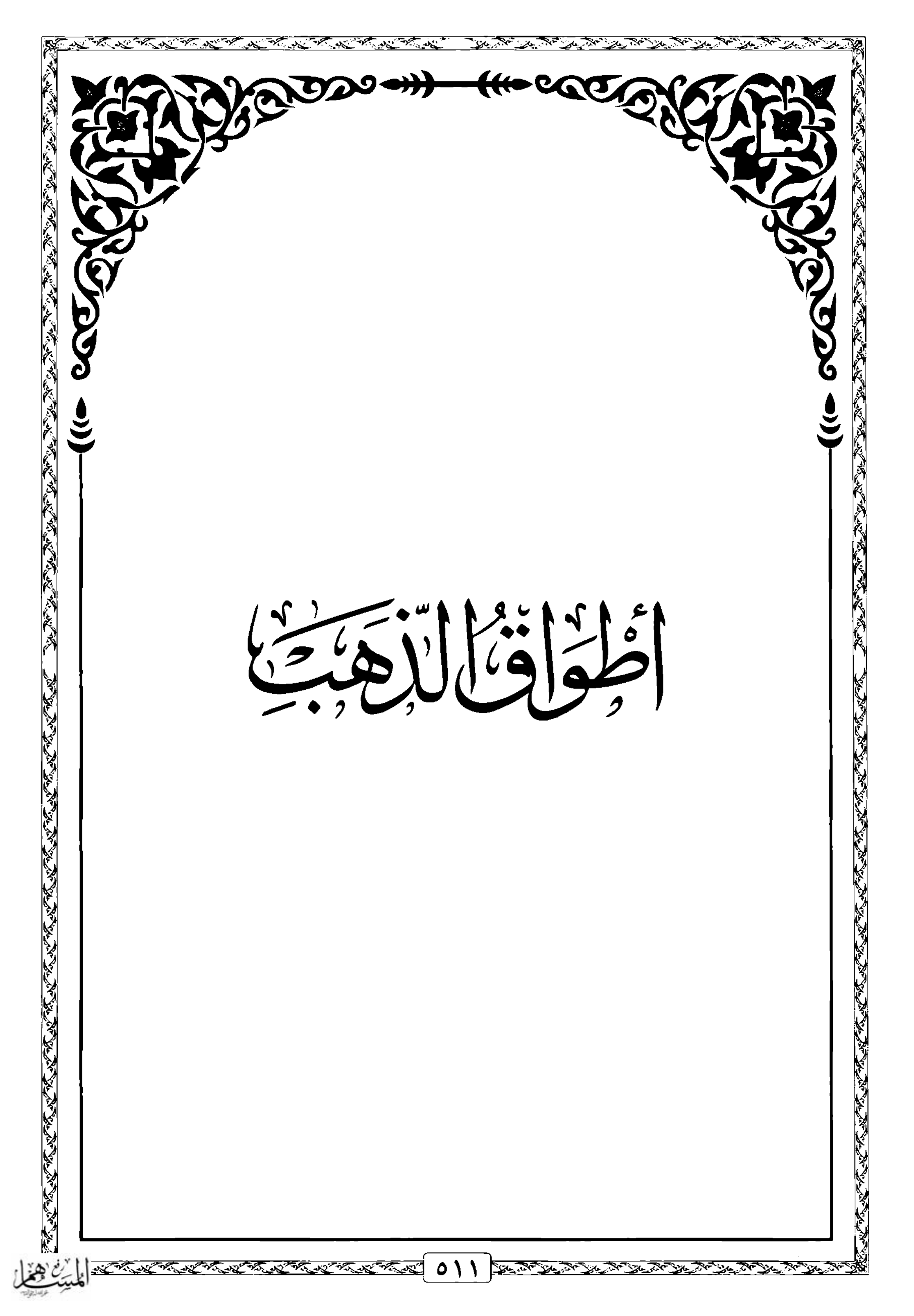
هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي

أقدم وأحجم في تقديم عمل موثق ، وسيرة عطرة لهـٰذه القمة العلمية الأدبية الشامخة ، فأعظمُ مِن نصْب التذكار وأوسمة الشرف الثناءُ الحسن ، ولسان الصدق في الآخرين ، فذكْرُ الفتىٰ عمره الثاني ، والمرء حديثٌ جميل بعده فحسب .

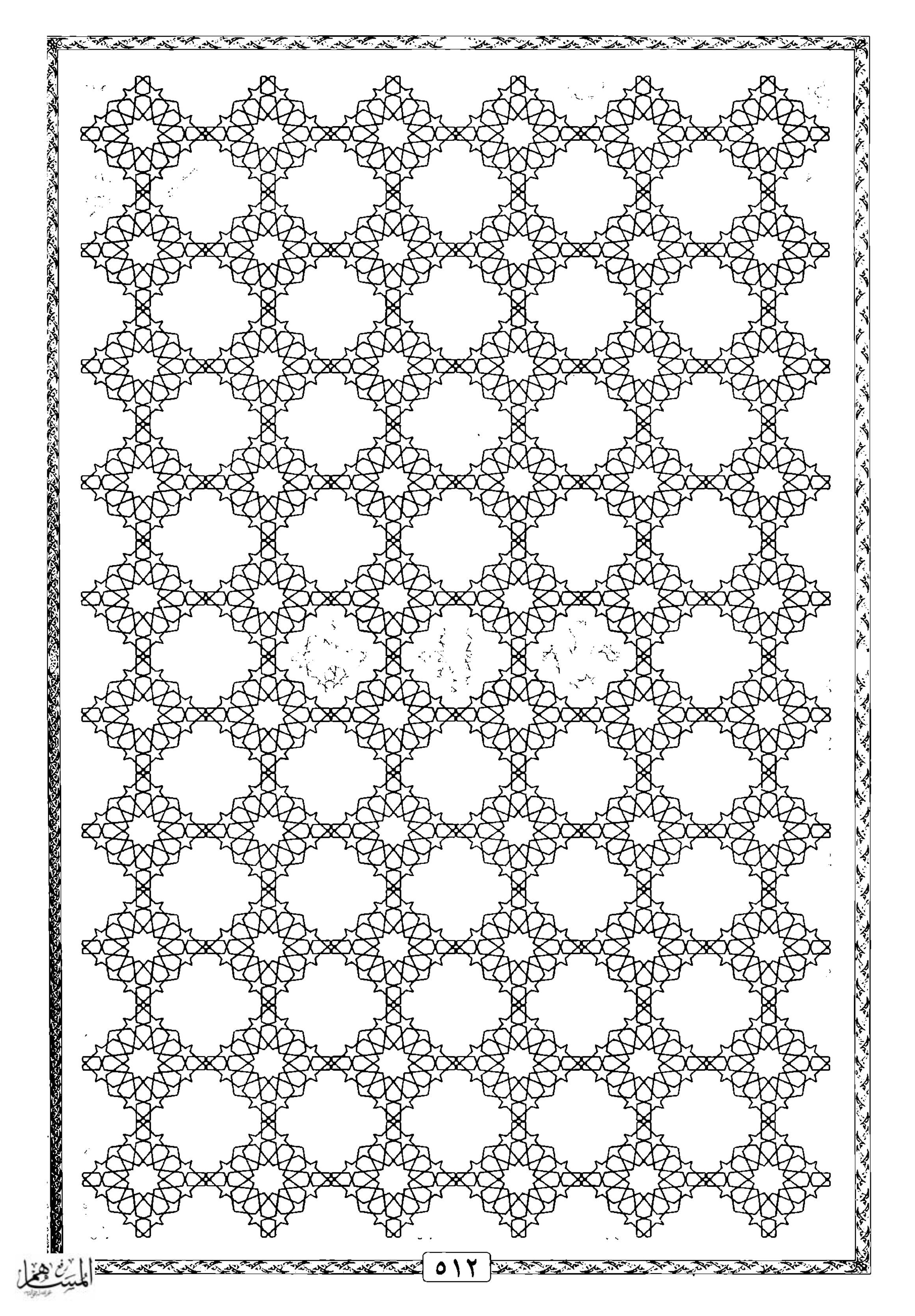
أَمَّا وقد خرج هـٰذا العمل المبارك من النور إلى النور ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ . . فشفىٰ وكفىٰ ، فليهدأ من نوىٰ أن يكتب ، وليسكن من حدَّث نفسه أن يبحث ، فلا طِيب بعد عروس ، وقطعتْ جَهِيزةُ قول كل خطيب ، وفي طلعةِ البدر ما يُغنيك عن زحل ، وإذا لم يأت عمل مثل هـٰذا العمل في إتقانه ودقته ، وانسياقه وسياقه ، ونصاعته وبراعته ، وفصاحته وملاحته . . فليكسر القلم ، ولتمزق القراطيس .

هُوَ ٱلْجِدُّ حَتَّىٰ تَفْضُلَ ٱلْعَيْنُ أُخْتَهَا   وَحَتَّىٰ يَكُونَ ٱلْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا

* * *



أطواق الذهب



قال أبو تمام :

وَلَقَدْ أَرَاكَ فَهَلْ أَرَاكَ بِغِبْطَةٍ ... وَٱلْعَيْشُ غَضٌّ وَٱلزَّمَانُ غُلاَمُ
أَعْوَامُ وَصْلٍ كَانَ يُنْسِي طُولَهَا ... ذِكْرُ ٱلنَّوَىٰ ، فَكَأَنَّهَا أَيَّامُ
ثُمَّ ٱنْبَرَتْ أَيَّامُ هَجْرٍ أَرْدَفَتْ ... بِجَوَىً أَسَىً ، وَكَأَنَّهَا أَعْوَامُ
ثُمَّ ٱنْقَضَتْ تِلْكَ ٱلسِّنُونُ وَأَهْلُهَا ... فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلاَمُ

* * *

قال امرؤ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ مُرْخٍ سُدُولَهُ ... عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّىٰ بِصُلْبِهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ :
أَلاَ أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ أَلاَ ٱنْجَلِ ... بِصُبْحٍ وَمَا ٱلإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ!
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ ... بِكُلِّ مُغَارِ ٱلْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
كَأَنَّ ٱلثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا ... بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَىٰ صُمِّ جَنْدَلِ
وَقَدْ أَغْتَدِي وَٱلطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ
لَهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ
ضَلِيعٍ إِذَا ٱسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ... بِضَافٍ فُوَيْقَ ٱلأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

* * *

وقال مهلهل بن ربيعة :

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسُمٍ أَنِيرِي ... إِذَا أَنْتِ ٱنْقَضَيْتِ فَلاَ تَحُورِي
فَإِنْ يَكُ بِٱلذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي ... فَقَدْ أَبْكِي مِنَ ٱللَّيْلِ ٱلْقَصِيرِ
فَلَوْ نُبِشَ ٱلْمَقَابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ ... فَيَعْلَمَ بِٱلذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ

بِيَــوْمِ ٱلشَّعْثَمَيْــنِ أُقِــرَّ عَيْنـاً وَكَيْـفَ لِقَـاءُ مَـنْ تَحْـتَ ٱلْقُبُـورِ
وَإِنِّــي قَــدْ تَــرَكْــتُ بِـوَارِدَاتٍ بُجَيْــراً فِــي دَمٍ مِثْــلِ ٱلْعَبِيــرِ
هَتَكْــتُ بِـهِ بُيُـوتَ بَنِـي عُبَـادٍ وَبَعْـضُ ٱلْغَشْـمِ أَشْفَـىٰ لِلصُّـدُورِ
عَلَـىٰ أَنْ لَيْسَ يُـوفِـي مِـنْ كُلَيْـبٍ إِذَا بَــرَزَتْ مُخَبَّــأَةُ ٱلْخُــدُورِ
وَهَمَّــامَ بْـنَ مُـرَّةَ قَـدْ تَـرَكْنَـا عَلَيْــهِ ٱلْقُشْعُمَــانِ مِـنَ ٱلنُّسُــورِ
يَنُــوءُ بِصَــدْرِهِ وَٱلــرُّمْــحُ فِيــهِ وَيَخْلِجُــهُ خِــدَبٌّ كَــٱلْبَعِيــرِ

* * *

وقال ابن الخياط الشامي :

خُـذَا مِـنْ صَبَـا نَجْـدٍ أَمَـانـاً لِقَلْبِـهِ فَقَــدْ كَــادَ رَيَّــاهَــا يَطِيــرُ بِلُبِّــهِ
وَإِيَّــاكُمَــا ذَاكَ ٱلنَّسِيــمَ فَــإِنَّــهُ إِذَا هَـبَّ كَـلُّ ٱلْـوَجْـدِ أَيْسَرُ خَطْبِـهِ
وَفِي ٱلْحَيِّ مَحْنِيُّ ٱلضُّلُوعِ عَلَىٰ جَوًى مَتَـىٰ يَـدْعُـهُ دَاعِـي ٱلْغَـرَامِ يُلَبِّـهِ
إِذَا نَفَحَتْ مِنْ جَانِبِ ٱلْغَوْرِ نَفْحَةٌ تَنَبَّــهَ مِنْهَــا دَاؤُهُ دُونَ صَحْبِــهِ
خَلِيلَــيَّ لَــوْ أَبْصَــرْتُمَــا لَعَلِمْتُمَــا مَكَانَ ٱلْهَوَىٰ مِنْ مُغْرَمِ ٱلْقَلْبِ صَبِّهِ
غَـرَامٌ عَلَـىٰ يَـأْسِ ٱلْهَـوَىٰ وَرَجَـائِـهِ وَشَـوْقٌ عَلَـىٰ بُعْـدِ ٱلْمَـزَارِ وَقُـرْبِـهِ
تَذَكَّرَ وَٱلذِّكْرَىٰ تَشُوقُ وَذُو ٱلْهَوَى يَتُـوقُ وَمَـنْ يَعْلَـقْ بِـهِ ٱلْحُبُّ يُصْبِـهِ
وَمُحْتَجِــبٍ بَيْــنَ ٱلأَسِنَّــةِ وَٱلْقَنَـا وَفِي ٱلْقَلْبِ مِنْ إِعْرَاضِهِ مِثْلُ حُجْبِهِ
أَغَــارُ إِذَا آنَسْــتُ فِــي ٱلْحَــيِّ أَنَّــةً حِــذَاراً عَلَيْــهِ أَنْ تَكُــونَ لِحُبِّــهِ

* * *

وقال بشار بن برد :

إِذَا كُنْـتَ فِـي كُـلِّ ٱلأُمُـورِ مُعَـاتِبـاً صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِي لاَ تُعَاتِبُهْ
فَعِـشْ وَاحِـداً أَوْ صِـلْ أَخَـاكَ فَـإِنَّـهُ مُقَــارِفُ ذَنْــبٍ مَــرَّةً وَمُجَـانِبُــهْ

إذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى ٱلْقَذَى ... ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

* * *

وقال أيضاً :

إذَا بَلَغَ ٱلرَّأْيُ ٱلْمَشُورَةَ فَٱسْتَعِنْ ... بِحَزْمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمِ

وَلاَ تَجْعَلِ ٱلشُّورَىٰ عَلَيْكَ غَضَاضَةً ... فَإِنَّ ٱلْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ

وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ ٱلْغُلُّ أُخْتَهَا ... وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيَّدْ بِقَائِمِ

* * *

وقال ابن اللبانة :

شَكَاتُنَا لَكَ يَا فَخْرَ ٱلْعُلاَ عَظُمَتْ ... وَٱلرُّزْءُ يَعْظُمُ مِمَّنْ قَدْرُهُ عَظُمَا

طُوِّقْتَ مِنْ نَائِبَاتِ ٱلدَّهْرِ مُخْنَقَةً ... ضَاقَتْ عَلَيْكَ وَكَمْ طَوَّقْتَنَا نِعَمَا

وَعَادَ طَوْقُكَ فِي دُكَّانِ قَارِعَةٍ ... مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتَ فِي قَصْرٍ حَكَىٰ إِرَمَا

صَرَّفْتَ فِي آلَةِ ٱلصَّوَّاغِ أَنْمُلَةً ... لَمْ تَدْرِ إلاَّ ٱلنَّدَىٰ وَٱلسَّيْفَ وَٱلْقَلَمَا

يَدٌ عَهِدْتُكَ لِلتَّقْبِيلِ تَبْسُطُهَا ... فَتَسْتَقِلُّ ٱلثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ فَمَا

يَا صَائِغاً كَانَتِ ٱلْعُلْيَا تُصَاغُ لَهُ ... حُلْياً وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلْحُلْيُ مُنْتَظِمَا

لِلنَّفْخِ فِي ٱلصُّورِ هَوْلٌ ما حَكَاهُ سِوَى ... هَوْلٍ رَأَيْتُكَ فِيهِ تَنْفُخُ ٱلْفَحْمَا

وَدِدْتُ إِذْ نَظَرَتْ عَيْنِي إِلَيْكَ بِهِ ... لَوْ أَنَّ عَيْنِيَ تَشْكُو قَبْلَ ذَاكَ عَمَىٰ

مَا حَطَّكَ ٱلدَّهْرُ لَمَّا حَطَّ عَنْ شَرَفٍ ... وَلاَ تَحَيَّفَ مِنْ أَخْلاَقِكَ ٱلْكَرَمَا

لُحْ فِي ٱلْعُلاَ كَوْكَباً ، إِنْ لَم تَلُحْ قَمَراً ... وَقُمْ بِهَا رَبْوَةً ، إِنْ لَمْ تَقُمْ عَلَمَا

وَٱصْبِرْ فَرُبَّتَمَا أَحْمَدْتَ عَاقِبَةً ... مَنْ يَلْزَمِ ٱلصَّبْرَ يَحْمَدْ غِبَّ مَا لَزِمَا

وَٱللهِ لَوْ أَنْصَفَتْكَ ٱلشُّهْبُ لاَنْكَسَفَتْ ... وَلَوْ وَفَىٰ لَكَ دَمْعُ ٱلْغَيْثِ لاَنْسَجَمَا

* * *

وقال ابن الزبعرىٰ :

يَـا أَيُّهَـا ٱلـرَّجُـلُ ٱلْمُحَـوِّلُ رَحْلَـهُ   هَـلاَّ نَـزَلْـتَ بِـآلِ عَبْـدِ مَنَـافِ
أَلآخِـذُونَ ٱلْعَهْـدَ مِـنْ آفَـاقِهَـا   وَٱلـرَّاحِلُـونَ بِـرِحْلَـةِ ٱلإِيـلاَفِ
وَٱلْخَـالِطُـونَ فَقِيـرَهُـمْ بِغَنِيِّهِـمْ   حَتَّىٰ يَعُـودَ فَقِيـرُهُـمْ كَـٱلْكَـافِـي
وَٱلْمُطْعِمُـونَ إِذَا ٱلـرِّيَـاحُ تَنَـاوَحَـتْ   وَرِجَـالُ مَكَّـةَ مُسْنِتُـونَ عِجَـافُ
وَٱلْمُفْضِلُـونَ إِذَا ٱلْمُحُـولُ تَـرَادَفَـتْ   وَٱلْقَـائِلُـونَ : هَلُـمَّ لِـلأَضْيَـافِ
هَبِلَتْكَ أُمُّكَ لَـوْ نَـزَلْـتَ بِـرَحْلِهِـمْ   مَنَعُـوكَ مِـنْ عُـدْمٍ وَمِـنْ إِقْـرَافِ
وَيُكَلِّلُـونَ جِفَـانَهُـمْ بِسَـدِيفِهِـمْ   حَتَّىٰ تَغِيبَ ٱلشَّمْسُ فِي ٱلرَّجَّافِ
كَـانَـتْ قُـرَيْـشٌ بَيْضَـةً فَتَفَلَّقَـتْ   فَـٱلْمُـحُّ خَـالِصُـهُ لِعَبْـدِ مَنَـافِ

* * *

وقال الحطيئة :

وَإِنَّ ٱلَّتِـي نَكَّبْتُهَـا عَـنْ مَعَـاشِـرٍ   عَلَيَّ غِضَابٍ أَنْ صَدَدْتُ كَمَا صَدُّوا
أَتَـتْ آلَ شَمَّـاسِ بْـنِ لأْيٍ وَإِنَّمَـا   أَتَاهُمْ بِهَا ٱلأَحْلاَمُ وَٱلْحَسَبُ ٱلْعِدُّ
فَـإِنَّ ٱلشَّقِـيَّ مَـنْ تُعَـادِي صُـدُورُهُـمْ   وَذَا ٱلْجَدِّ مَنْ لاَنُوا إِلَيْهِ وَمَنْ وَدُّوا
يَسُـوسُـونَ أَحْـلاَمـاً بَعِيـداً أَنَـاتُهَـا   وَإِنْ غَضِبُـوا جَـاءَ ٱلْحَفِيظَـةُ وَٱلْجِـدُّ
أَقِلُّـوا عَلَيْهِـمْ لاَ أَبَـاً لأَبِيكُـمُ   مِنَ ٱللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِي سَدُّوا
أُولَئِـكَ قَـوْمٌ إِنْ بَنَـوْا أَحْسَنُـوا ٱلْبِنَـا   وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوا، وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَإِنْ كَانَتِ ٱلنَّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا   وَإِنْ أَنْعَمُـوا لاَ كَـدَّرُوهَـا وَلاَ كَـدُّوا
وَإِنْ قَالَ مَوْلاَهُمْ عَلَىٰ جُلِّ حَادِثٍ   مِنَ ٱلدَّهْرِ: رُدُّوا فَضْلَ أَحْلاَمِكُمْ، رَدُّوا

* * *

وقال المتنبي :

إذَا غَـامَـرْتَ فِـي شَـرَفٍ مَـرُومِ   فَـلاَ تَقْنَـعْ بِمَـا دُونَ ٱلنُّجُـومِ
فَطَعْـمُ ٱلْمَـوْتِ فِـي أَمْـرٍ حَقِيـرٍ   كَطَعْـمِ ٱلْمَـوْتِ فِـي أَمْـرٍ عَظِيـمِ
سَتَبْكِـي شَجْـوَهَـا فَـرَسِـي وَمُهْـرِي   صَفَـائِـحُ دَمْعِهَـا مَـاءُ ٱلْجُسُـومِ
قَـرِبْـنَ ٱلنَّـارَ ثُـمَّ نَشَـأْنَ فِيهَـا   كَمَـا نَشَـأَ ٱلْعَـذَارَىٰ فِـي ٱلنَّعِيـمِ
وَفَـارَقْـنَ ٱلصَّيَـاقِـلَ مُخْلِصَـاتٍ   وَأَيْـدِيهَـا كَثِيـرَاتُ ٱلْكُلُـومِ
يَـرَى ٱلْجُبَنَـاءُ أَنَّ ٱلْعَجْـزَ عَقْـلٌ   وَتِلْـكَ خَـدِيعَـةُ ٱلطَّبْـعِ ٱللَّئِيـمِ
وَكُـلُّ شَجَـاعَـةٍ فِـي ٱلْمَـرْءِ تُغْنِـي   وَلاَ مِثْـلُ ٱلشَّجَـاعَـةِ فِـي ٱلْحَكِيـمِ

* * *

وقال أيضاً :

أُطَاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا ٱلدَّهْرُ   وَحِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِي ٱلصَّبْرُ
وَأَشْجَـعُ مِنِّـي كُـلَّ يَـوْمٍ سَـلاَمَتِـي   وَمَـا ثَبَتَـتْ إِلاَّ وَفِـي نَفْسِهَـا أَمْـرُ
تَمَـرَّسْـتُ بِـٱلآفَـاتِ حَتَّـىٰ تَـرَكْتُهَـا   تَقُولُ: أَمَاتَ ٱلْمَوْتُ، أَمْ ذُعِرَ ٱلذُّعْرُ ؟
وَأَقْـدَمْـتُ إِقْـدَامَ ٱلأَتِـيِّ كَـأَنَّ لِـي   سِوَىٰ مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وِتْرُ
ذَرِ ٱلنَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا   فَمُفْتَـرِقٌ جَـارَانِ دَارُهُمَـا ٱلْعُمْـرُ
وَلاَ تَحْسَبَـنَّ ٱلْمَجْـدَ زِقّـاً وَقَيْنَـةً   فَمَا ٱلْمَجْدُ إِلاَّ ٱلسَّيْفُ وَٱلْفَتْكَةُ ٱلْبِكْرُ
وَتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ ٱلْمُلُوكِ وَأَنْ تُرَى   لَكَ ٱلْهَبَوَاتُ ٱلسُّودُ وَٱلْعَسْكَرُ ٱلْمَجْرُ
وَتَـرْكُـكَ فِـي ٱلـدُّنْيَـا دَوِيّـاً كَـأَنَّمَـا   تَـدَاوَلُ سَمْـعَ ٱلْمَـرْءِ أَنْمُلُـهُ ٱلْعَشْـرُ
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّنِي ٱلْـــجِبَالُ وَبَحْـرٍ شَـاهِـدٍ أَنَّنِـي ٱلْبَحْـرُ

* * *

وقال أيضاً :

يَزُورُ ٱلأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ | أَسِنَّتُهُ فِي جَانِبَيْهَا ٱلْكَوَاكِبُ
فَتُسْفِرُ عَنْهُ وَٱلسُّيُوفُ كَأَنَّمَا | مَضَارِبُهَا مِمَّا ٱنْفَلَلْنَ ضَوَارِبُ
طَلَعْنَ شُمُوساً وَٱلْغُمُودُ مَشَارِقٌ | لَهُنَّ وَهَامَاتُ ٱلرِّجَالِ مَغَارِبُ

* * *

وقال أيضاً :

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّىٰ لاَتَ مُصْطَبَرٌ | فَٱلآنَ أُقْحِمُ حَتَّىٰ لاَتَ مُقْتَحَمِ
لأَتْرُكَنَّ وُجُوهَ ٱلْخَيْلِ سَاهِمَةً | وَٱلْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَىٰ قَدَمِ
بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِرِي | حَتَّىٰ أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ ٱلْخَدَمِ
شَيْخٍ يَرَى ٱلصَّلَوَاتِ ٱلْخَمْسَ نَافِلَةً | وَيَسْتَحِلُّ دَمَ ٱلْحُجَّاجِ فِي ٱلْحَرَمِ
رِدِي حِيَاضَ ٱلرَّدَىٰ يَا نَفْسُ وَٱتْرُكِي | حِيَاضَ خَوْفِ ٱلرَّدَىٰ لِلشَّاءِ وَٱلنَّعَمِ
إِنْ لَمْ أَذَرْكِ عَلَى ٱلأَرْمَاحِ سَائِلَةً | فَلاَ دُعِيتُ ٱبْنَ أُمِّ ٱلْمَجْدِ وَٱلْكَرَمِ
أَيَمْلِكُ ٱلْمُلْكَ وَٱلأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ | وَٱلطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَىٰ وَضَمِ
مَنْ لَوْ رَآنِيَ مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ | وَلَوْ مَثُلْتُ لَهُ فِي ٱلنَّوْمِ لَمْ يَنَمِ

* * *

وقال قرواش معتمد الدولة :

مَنْ كَانَ يَحْمَدُ أَوْ يَذُمُّ مُوَرَّثاً | لِلْمَالِ مِنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ
فَأَنَا ٱمْرُؤٌ أَللهَ أَشْكُرُ وَحْدَهُ | شُكْراً كَثِيراً جَالِباً لِمَزِيدِهِ
فِي أَشْقَرٍ سَمْجِ ٱلْعِنَانِ مُعَاوِدٍ | يُعْطِيكَ مَا يُرْضِيكَ مِنْ مَجْهُودِهِ
وَمُهَنَّدٍ عَضْبٍ إِذَا جَرَّدْتُهُ | خِلْتَ ٱلْبُرُوقَ تَمُوجُ فِي تَجْرِيدِهِ
وَمُثَقَّفٍ لَدْنِ ٱلسِّنَانِ كَأَنَّمَا | أُمُّ ٱلْمَنَايَا رُكِّبَتْ فِي عُودِهِ

وَبِــذَا حَــوَيْــتُ ٱلْمَــالَ إِلاَّ أَنَّنِــي سَلَّطْتُ جُـودَ يَـدِي عَلَـىٰ تَبْدِيـدِهِ

* * *

وقال دريد بن الصِّمَّة :

أَعَــاذِلُ إِنَّمَــا أَفْنَــىٰ شَبَــابِــي رُكُوبِي فِي ٱلصَّرِيخِ إِلَى ٱلْمُنَادِي
مَـعَ ٱلْفِتْيَـانِ حَتَّـىٰ كَـلَّ جِسْمِـي وَأَقْـرَحَ عَـاتِقِـي حَمْـلُ ٱلنِّجَـادِ
أَعَــاذِلُ إِنَّــهُ مَــالٌ طَــرِيــفٌ أَحَــبُّ إِلَــيَّ مِــنْ مَــالٍ تِــلاَدِ
أَعَــاذِلُ عُـدَّتِـي بَـدَنِـي وَرُمْحِـي وَكُــلُّ مُقَلَّــصٍ شَكِــسِ ٱلْقِيَــادِ
وَيَبْقَـىٰ بَعْـدَ حِلْـمِ ٱلْقَـوْمِ حِلْمِـي وَيَفْنَــىٰ قَبْــلَ زَادِ ٱلْقَــوْمِ زَادِي
تَمَنَّــانِــي لِيَلْقَــانِــي أُبَــيٌّ وَدِدْتُ وَأَيْنَمَــا مِنِّــي وِدَادِي
وَلَـوْ لاَقَيْتَنِـي وَمَعِـي سِـلاَحِـي تَكَشَّـفَ شَحْـمُ قَلْبِـكَ عَـنْ سَـوَادِ
أُرِيــدُ حِبَــاءَهُ وَيُــرِيــدُ قَتْلِــي عَـذِيـرَكَ مِـنْ خَلِيلِـكَ مِـنْ مُـرَادِ

* * *

وقال قطري بن الفجاءة :

لاَ يَـرْكَنَــنْ أَحَـدٌ إِلَــى ٱلإِحْجَـامِ يَـوْمَ ٱلْـوَغَـىٰ مُتَخَـوِّفـاً لِحِمَـامِ
فَلَقَــدْ أُرَانِــي لِلــرِّمَــاحِ دَرِيئَــةً مِـنْ عَـنْ يَمِينِـي مَـرَّةً وَأَمَـامِـي
حَتَّىٰ خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَـافَ سَرْجِي أَوْ عِنَـانَ لِجَامِـي
ثُمَّ ٱنْصَرَفْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أُصَبْ جَــذَعَ ٱلْبَصِيــرَةِ قَــارِحَ ٱلأَقْــدَامِ

* * *

وقال أبو تمام :

قَلُّـوا وَلَكِنَّهُـمْ طَـابُـوا فَـأَنْجَدَهُـمْ جَيْشٌ مِنَ ٱلصَّبْرِ لاَ يُحْصَىٰ لَهُ عَدَدُ
إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَـايَـا عَـارِضـاً لَبِسُـوا مِـنَ ٱلْيَقِيـنِ دُرُوعـاً مَـا لَهَـا زَرَدُ

نَأَوْا عَنِ ٱلْمَصْرَخِ ٱلأَدْنَىٰ فَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ ٱلسُّيُوفَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ مَدَدُ

* * *

وقال سعد بن ناشب :

سَأَغْسِلُ عَنِّي ٱلْعَارَ بِٱلسَّيْفِ جَالِباً عَلَيَّ قَضَاءَ ٱللهِ مَا كَانَ جَالِبَا

وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا لِعِرْضِيَ مِنْ بَاقِي ٱلْمَذَمَّةِ حَاجِبَا

وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلاَدِي إِذَا ٱنْثَنَتْ يَمِينِي بِإِدْرَاكِ ٱلَّذِي كُنْتُ طَالِبَا

فَإِنْ تَهْدِمُوا بِٱلْغَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا تُرَاثُ كَرِيمٍ لاَ يُبَالِي ٱلْعَوَاقِبَا

أَخُو غَمَرَاتٍ لاَ يُرِيدُ عَلَى ٱلَّذِي يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَقْطَعِ ٱلأَمْرِ صَاحِبَا

إِذَا هَمَّ لَمْ تُرْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ ٱلأَمْرِ هَائِبَا

فَيَا لَرِزَامٍ رَشِّحُوا بِي مُقَدَّماً إِلَى ٱلْمَوْتِ خَوَّاضاً إِلَيْهَا ٱلْكَرَائِبَا

إِذَا هَمَّ أَلْقَىٰ بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ ٱلْعَوَاقِبِ جَانِبَا

وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلاَّ قَائِمَ ٱلسَّيْفِ صَاحِبَا

* * *

وقال تميم بن جميل :

أَرَى ٱلْمَوْتَ بَيْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱلنِّطْعِ كَامِناً يُلاَحِظُنِي مِنْ حَيْثُمَا أَتَلَفَّتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ ٱلْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ ٱمْرِىءٍ مِمَّا قَضَى ٱللهُ يُفْلِتُ

وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُدْلِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ وَسَيْفُ ٱلْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ

يَعِزُّ عَلَى ٱلأَوْسِ بْنِ تَغْلِبَ مَوْقِفٌ يُسَلُّ عَلَيَّ ٱلسَّيْفُ فِيهِ وَأَسْكُتُ

وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنَّنِي لأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ شَيْءٌ مُوَقَّتُ

وَلَكِنَّ خَلْفِي صِبْيَةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ

كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَىٰ إِلَيْهِمُ وَقَدْ خَمَشُوا تِلْكَ ٱلْوُجُوهَ وَصَوَّتُوا

فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِبْطَةٍ أَذُودُ ٱلرَّدَىٰ عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مُوِّتوا
فكَمْ قَائِلٍ : لاَ يُبْعِدُ ٱللهُ رُوحَهُ وَآخَرُ جَذْلاَنٌ يُسَرُّ وَيَشْمَتُ

* * *

وقال مجنون ليلىٰ :

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَٰنِ حِينَ رَآنِي
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ ٱلْعَيْنِ لَمَّا عَرَفْتُهُ وَنَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ فَدَعَانِي
وَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ ٱلَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ بِقُرْبِكَ فِي حِفْظٍ وَطِيبِ أَمَانِ
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيرَةٌ وَعَهْدِي بِذَاكَ ٱلصِّرْمِ مُنْذُ زَمَانِ
فَقَالَ : مَضَوْا وَٱسْتَوْدَعُونِي بِلاَدَهُمْ وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَبْقَىٰ عَلَى ٱلْحَدَثَانِ
وَإِنِّي لأَبْكِي ٱلْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَداً فِرَاقَكَ وَٱلْحَيَّانِ مُجْتَمِعَانِ
سِجَالاً وَتَهْتَاناً وَوَبْلاً وَدِيمَةً وَسَحّاً وَتَسْجَاماً إِلَىٰ هَمَلاَنِ

* * *

وقالت قتيلة بنت الحارث :

يَا رَاكِباً إِنَّ ٱلأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِغْ بِهَا مَيْتاً بِأَنَّ تَحِيَّةً مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا ٱلنَّجَائِبُ تَخْفِقُ
مِنِّي إِلَيْكَ وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً جَادَتْ بِوَاكِفِهَا وَأُخْرَىٰ تَخْنُقُ
هَلْ يَسْمَعَنِّي ٱلنَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لاَ يَنْطِقُ
أَمُحَمَّدٌ يَا خَيْرَ ضِنْءُ كَرِيمَةٍ فِي قَوْمِهَا وَٱلْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنَّ ٱلْفَتَىٰ وَهْوَ ٱلْمَغِيظُ ٱلْمُحْنِقُ
لَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ لَفَدَيْتُهُ بِأَعَزِّ مَا يُغْلِي بِهِ مَنْ يُنْفِقُ
فَٱلنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرْتَ قَرَابَةً وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ ... للهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشَقَّقُ

صَبْراً يُقَادُ إِلَى ٱلْمَنِيَّةِ مُتْعَباً ... رَسْفَ ٱلْمُقَيَّدِ وَهُوَ فَانٍ مُوثَقُ

* * *

وقال محمد بن الزيات :

أَلاَ إِنَّ سَجْلاً وَاحِداً قَدْ أَرَقْتُهُ ... مِنَ ٱلدَّمْعِ أَوْ سَجْلَيْنِ قَدْ شَفَيَانِي

فَلاَ تَلْحَيَانِي إِنْ بَكَيْتُ فَإِنَّمَا ... أُدَاوِي بِهَـٰذَا ٱلدَّمْعِ مَا تَرَيَانِ

وَإِنَّ مَكَاناً فِي ٱلثَّرَىٰ خُطَّ لَحْدُهُ ... لِمَنْ كَانَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانِ

أَحَقُّ مَكَانٍ بِٱلزِّيَارَةِ وَٱلْهَوَىٰ ... فَهَلْ أَنْتُمَا إِنْ عُجْتُ مُنْتَظِرَانِ ؟

فَهَبْنِي عَزَمْتُ ٱلصَّبْرَ عَنْهَا لأَنَّنِي ... جَلِيدٌ فَمَنْ بِٱلصَّبْرِ لِابْنِ ثَمَانِ

ضَعِيفِ ٱلْقُوَىٰ لاَ يَعْرِفُ ٱلأَجْرَ حِسْبَةً ... وَلاَ يَأْتَسِي بِٱلنَّاسِ فِي ٱلْحَدَثَانِ

أَلاَ مَنْ أُمَنِّيهِ ٱلْمُنَىٰ وَأُعِدُّهُ ... لِعَثْرَةِ أَيَّامٍ وَصَرْفِ زَمَانِ

أَلاَ مَنْ إِذَا مَا جِئْتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِي ... وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ حَاطَنِي وَرَعَانِي

فَلَمْ أَرَ كَٱلأَقْدَارِ كَيْفَ تُصِيبُنِي ... وَلاَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلدَّهْرِ كَيْفَ رَمَانِي

* * *

وقال التهامي :

فَوَٱللهِ لَوْ أَسْطِيعُ قَاسَمْتُهُ ٱلرَّدَى ... فَمِتْنَا جَمِيعاً أَوْ يُقَاسِمُنِي عُمْرِي

وَلَكِنَّمَا أَرْوَاحُنَا مُلْكُ غَيْرِنَا ... فَمَالِيَ فِي نَفْسِي وَلاَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ

أُحَمِّلُهُ ثِقْلَ ٱلتُّرَابِ وَإِنَّنِي ... لأَخْشَىٰ عَلَيْهِ ٱلثِّقْلَ مِنْ مَوْطِىءِ ٱلذَّرِّ

وَمَا أَنَا بِٱلْوَافِي وَقَدْ عِشْتُ بَعْدَهُ ... وَرُبَّ ٱعْتِرَافٍ كَانَ أَبْلَغَ مِنْ عُذْرِ

* * *

وقال الشاعر :

أَلاَ فِـي سَبِيـلِ ٱللهِ مَـاذا تَضَمَّنَـتْ ... بُطُونُ ٱلثَّرَىٰ وَٱسْتَوْدَعَ ٱلْبَلَدُ ٱلْقَفْرُ
بُدُورٌ إِذَا ٱلدُّنْيَا دَجَتْ أَشْرَقَتْ بِهِمْ ... وَإِنْ أَجْدَبَتْ يَوْماً فَأَيْدِيهِمُ ٱلْقَطْرُ
فَيَا شَامِتاً بِٱلْمَوْتِ لاَ تَشْمَتَنْ بِهِمْ ... حَيَـاتُهُـمُ فَخْـرٌ وَمَـوْتُهُـمُ ذِكْـرُ
حَيَـاتُهُـمْ كَـانَـتْ لأَعْـدَائِهِـمْ عَمَـىً ... وَمَـوْتُهُـمُ لِلْفَـاخِـرِيـنَ بِهِـمْ فَخْـرُ
أَقَامُوا بِظَهْرِ ٱلأَرْضِ فَٱخْضَرَّ عُودُهَا ... وَصَارُوا بِبَطْنِ ٱلأَرْضِ فَٱسْتَوْحَشَ ٱلظَّهْرُ

* * *

وقال دريد بن الصمة :

أَمِنْ ذِكْرِ دَارٍ بِٱلرَّقَاشَيْنِ أَصْبَحَتْ ... بِهَا عَاصِفَاتُ ٱلصَّيْفِ بَدْءاً وَرُجَّعَا
حَنَنْتَ إِلَىٰ رَيَّا ، ونَفْسُكَ بَاعَدَتْ ... مَـزَارَكَ مِـنْ رَيَّـا وَشَعْبَـاكُمَـا مَعَـا
فَمَـا حَسَـنٌ أَنْ تَـأْتِيَ ٱلأَمْـرَ طَـائِعـاً ... وَتَجْـزَعَ إِنْ دَاعِـي ٱلصَّبَـابَـةِ أَسْمَعَـا
قِفَا وَدِّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِٱلْحِمَى ... وَقَـلَّ لِنَجْـدٍ عِنْـدَنَـا أَنْ يُـوَدَّعَـا
وَلَمَّـا رَأَيْـتُ ٱلْبِشْـرَ أَعْـرَضَ دُونَنَـا ... وَجَالَتْ بَنَاتُ ٱلشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعَا
تَلَفَّـتُّ نَحْـوَ ٱلْحَيِّ حَتَّـىٰ وَجَـدْتُنِـي ... وَجِعْتُ مِنَ ٱلإِصْغَاءِ لِيتاً وَأَخْدَعَا
بَكَتْ عَيْنِيَ ٱلْيُمْنَـىٰ فَلَمَّـا زَجَـرْتُهَـا ... عَنِ ٱلْجَهْلِ بَعْدَ ٱلْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
وَأَذْكُـرُ أَيَّـامَ ٱلْحِمَـىٰ ثُـمَّ أَنْثَنِـي ... عَلَىٰ كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
فَلَيْسَـتْ عَشِيَّـاتُ ٱلْحِمَـىٰ بِـرَوَاجِـعٍ ... عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا
وَلَـمْ أَرَ مِثْـلَ ٱلْعَـامِـرِيَّـةِ قَبْلَهَـا ... وَلاَ بَعْـدَهَـا يَـوْمَ ٱرْتَحَلْنَـا مُـوَدِّعَـا
تُـرِيـكَ غَـدَاةَ ٱلْبَيْـنِ مُقْلَـةَ شَـادِنٍ ... وَجِيـدَ غَـزَالٍ فِـي ٱلْقَـلاَئِـدِ أَتْلَعَـا
فَلَيْـتَ جِمَـالَ ٱلْحَيِّ يَـوْمَ تَـرَحَّلُـوا ... بِذِي سَلَمٍ أَضْحَتْ مَزَاحِيفَ ظُلَّعَا
كَـأَنَّـكَ بِـدْعٌ لَـمْ تَـرَ ٱلْبَيْـنَ قَبْلَهَـا ... وَلَـمْ تَـكُ بِـٱلأُلاَّفِ قَبْـلُ مُفَجَّعَـا

وقال مجنون ليلىٰ :

أَلاَ أَيُّهَـا ٱلْبَيْـتُ ٱلَّـذِي لاَ أَزُورُهُ ... وَهِجْـرَانُـهُ مِنِّـي إِلَيْـهِ ذُنُـوبُ
هَجَـرْتُـكَ مُشْتَـاقـاً وَزُرْتُـكَ خَـائِفـاً ... وَفِيـكَ عَلَـيَّ ٱلـدَّهْـرَ مِنْـكَ رَقِيـبُ
سَـأَسْتَعْطِـفُ ٱلأَيَّـامَ فِيـكَ لَعَلَّهَـا ... بِيَـوْمِ سُـرُورٍ فِـي هَـوَاكَ تُثِيـبُ
جَرَى ٱلسَّيْلُ فَٱسْتَبْكَانِيَ ٱلسَّيْلُ إِذْ جَرَى ... وَفَـاضَـتْ لَـهُ مِـنْ مُقْلَتَـيَّ غُـرُوبُ
وَمَـا ذَاكَ إِلاَّ حِيـنَ أَيْقَنْـتُ أَنَّـهُ ... يَكُـونُ بِـوَادٍ أَنْـتَ فِيـهِ قَـرِيـبُ
يَكُـونُ أُجَـاجـاً دُونَكُـمْ فَـإِذَا ٱنْتَهَـى ... إِلَيْكُـمْ تَلَقَّـىٰ طِيبَكُـمْ فَيَطِيـبُ
أَظَلُّ غَرِيبَ ٱلدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ ... أَلاَ كُـلُّ مَهْجُـورٍ هُنَـاكَ غَـرِيـبُ
وَإِنَّ ٱلْكَثِيبَ ٱلْفَرْدَ مِنْ أَيْمَنِ ٱلْحِمَى ... إِلَـيَّ وَإِنْ لَـمْ آتِـهِ لَحَبِيـبُ
فَلاَ خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيَا إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزُرْ ... حَبِيبـاً وَلَـمْ يَطْـرَبْ إِلَيْـكَ حَبِيـبُ

* * *

وقال لقيط الإيادي :

يَـا دَارَ عَمْـرَةَ مِـن مُحْتَلِّهَـا ٱلْجَـرَعَـا ... هَاجَتْ لِيَ ٱلْهَمَّ وَٱلأَحْزَانَ وَٱلْوَجَعَا
يَـا قَـوْمِ لاَ تَـأْمَنُـوا إِنْ كُنْتُـمُ غُيُـراً ... عَلَـىٰ نِسَـائِكُـمُ كِسْـرَىٰ وَمَـا جَمَعَـا
هُـوَ ٱلْجَـلاَءُ ٱلَّـذِي تَبْقَـىٰ مَـذَلَّتُـهُ ... إِنْ طَـارَ طَـائِـرُكُـمْ يَـوْمـاً وَإِنْ وَقَعَـا
هُـوَ ٱلْفَنَـاءُ ٱلَّـذِي يَجْتَـثُّ أَصْلَكُـمُ ... فَمَنْ رَأَىٰ مِثْلَ ذَا رَأْياً وَمَنْ سَمِعَا
فَقَلِّـدُوا أَمْـرَكُـمْ ـ للهِ دَرُّكُـمُ ـ ... رَحْبَ ٱلذِّرَاعِ بِأَمْرِ ٱلْحَرْبِ مُضْطَلِعَا
لاَ مُتْـرَفـاً إِنْ رُخَـاءُ ٱلْعَيْـشِ سَـاعَـدَهُ ... وَلاَ إِذَا حَـلَّ مَكْـرُوهٌ بِـهِ خَشَعَـا
لاَ يَطْعَـمُ ٱلنَّـوْمَ إِلاَّ رَيْـثَ يَبْعَثُـهُ ... هَـمٌّ يَكَـادُ حَشَـاهُ يَقْطَـعُ ٱلضِّلَعَـا
مُسَهَّـدُ ٱلنَّـوْمِ تَعْنِيـهِ ثُغُـورُكُـمُ ... يَـرُومُ مِنْهَـا إِلَـى ٱلأَعْـدَاءِ مُطَّلِعَـا
مَا ٱنْفَكَّ يَحْلُبُ هَـٰذَا ٱلدَّهْرَ أَشْطُرَهُ ... يَكُـونُ مُتَّبِعَـاً طَـوْراً وَمُتَّبَعَـا

فَلَيْـــسَ يَشْغَلُـــهُ مَـــالٌ يُثَمِّـــرُهُ   عَنْكُـمْ وَلاَ وَلَـدٌ يَبْغِـىٰ لَـهُ ٱلـرِّفَعَـا
حَتَّى ٱسْتَمَرَّتْ عَلَىٰ شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ   مُسْتَحْكِمَ ٱلسِّنِّ لاَ قَحْماً وَلاَ ضَرَعَا
كَمَـالِـكِ بْـنِ قَنَـانٍ أَوْ كَصَـاحِبِـهِ   زَيْدِ ٱلْقَنَا حِينَ لاَقَى ٱلْحَارِثَيْنِ مَعَا
إِذْ عَـابَهُ عَـائِـبٌ يَـوْمـاً فَقَـالَ لَـهُ :   دَمِّثْ لِجَنْبِكَ قَبْلَ ٱللَّيْلِ مُضْطَجَعَا
فَسَـــاوَرُوهُ فَـــأَلْفَـــوْهُ أَخَـــا عِلَـــلٍ   فِي ٱلْحَرْبِ يَخْتَتِلُ ٱلرِّئْبَالَ وَٱلسَّبُعَا
عَبْـلَ ٱلـذِّرَاعِ أَبِيّـاً ذَا مُـزَابَنَـةٍ   فِي ٱلْحَرْبِ لاَ عَاجِزاً نُكْساً وَلاَ وَرِعَا
مُسْتَنْجِـداً يَتَحَـدَّى ٱلنَّـاسَ كُلَّهُـمُ   لَوْ صَارَعُوهُ جَمِيعاً فِي ٱلْوَرَىٰ صَرَعَا
هَـٰذَا كِتَابِي إِلَيْكُـمْ وَٱلنَّـذِيـرُ لَكُـمْ   لِمَنْ رَأَى ٱلرَّأْيَ بِٱلإِبْرَامِ قَدْ نَصَعَا
وَقَدْ بَذَلْتُ لَكُمْ نُصْحِي بِلاَ دَخَلٍ   فَٱسْتَيْقِظُوا إِنَّ خَيْرَ ٱلْعِلْمِ مَا نَفَعَا

* * *

وقال الوأواء الدمشقي :

قَالَتْ لِطَيْفِ خَيَالٍ زَارَنِي وَمَضَىٰ :   بِـــٱللهِ صِفْـــهُ وَلاَ تَنْقُـــصْ وَلاَ تَـــزِدِ
فَقَـالَ : خَلَّفْتُـهُ لَـوْ مَـاتَ مِـنْ ظَمَـإٍ   وَقُلْتُ: قِفْ عَنْ وُرُودِ ٱلْمَاءِ.. لَمْ يَرِدِ
قَالَتْ : عَهِدْتُ ٱلْوَفَا وَٱلصِّدْقَ شِيمَتَهُ   يَا بَرْدَ ذَاكَ ٱلَّذِي قَالَتْ عَلَىٰ كَبِدِي

* * *

وقال ابن الدمينة :

قِفِي قَبْلَ وَشْكِ ٱلْبَيْنِ يَا ٱبْنَةَ مَالِكِ   وَلاَ تَحْـرِمِينَـا نَظْـرَةً مِـنْ جَمَـالِـكِ
قِفِـي يَـا أُمَيـمَ ٱلْقَلْـبِ نَقْـضِ لُبَـانَـةً   وَنَشْكُ ٱلْهَوَىٰ ثُمَّ ٱفْعَلِي مَا بَدَا لَكِ
أَرَى ٱلنَّـاسَ يَـرْجُـونَ ٱلـرَّبِيـعَ وَإِنَّمَـا   رَبِيعِـي ٱلَّـذِي أَرْجُـو زَمَـانُ نَـوَالِـكِ
لَئِــنْ سَــاءَنِــي أَنْ نِلْتِنِـي بِمَسَــاءَةٍ   فَقَـدْ سَـرَّنِـي أَنِّـي خَطَـرْتُ بِبَـالِـكِ
أَبِينِـي أَفِـي يُمْنَـىٰ يَـدَيْـكِ جَعَلْتِنِـي   فَأَفْرَحُ أَمْ صَيَّرْتِنِي فِي شِمَالِكِ ؟

عَدِمْتُكِ مِنْ نَفْسٍ ، فَأَنْتِ سَقَيْتِنِي بِكَأْسِ ٱلْهَوَىٰ مِنْ حُبِّ مَنْ لَمْ يُبَالِكِ
ومَنَّيْتِنِي لُقْيَانَ مَنْ لَسْتُ لاَقِياً نَهَارِي وَلاَ لَيْلِي وَلاَ بَيْنَ ذَلِكِ
لِيَهْنِكِ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى ٱلْحَشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكِ
فَلَوْ قُلْتِ : طَأْ فِي ٱلنَّارِ ، أَعْلَمُ أَنَّهُ رِضاً مِنْكِ أَوْ مُدْنٍ لَنَا مِن وِصَالِكِ
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا هُدَىً مِنْكِ لِي أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلاَلِكِ
فَوَٱللهِ مَا مَنَّيْتِنَا مِنْكِ مَحْرَماً وَلَكِنَّمَا أَطْمَعْتِنَا فِي حَلاَلِكِ

* * *

وقال الشريف الرضي :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلاَّ ٱلْحِمَامُ فَإِنَّنِي سَأُكْرِمُ نَفْسِي عَنْ مَقَالِ ٱللَّوَائِمِ
وَأَلْبَسُهَا حَمْرَاءَ تَضْفُو ذُيُولُهَا مِنَ ٱلدَّمِّ بُعْداً عَنْ لِبَاسِ ٱلْمُلاَوِمِ
فَمِنْ قَبْلُ مَا ٱخْتَارَ ٱبْنُ ٱلأَشْعَثِ عَيْشَهُ عَلَىٰ شَرَفٍ عَالٍ رَفِيعِ ٱلدَّعَائِمِ
فَطَارَ ذَمِيماً قَدْ تَقَلَّدَ عَارَهَا بِشَرِّ جَنَاحٍ يَوْمَ دَيْرِ ٱلْجَمَاجِمِ
وَجَاءَهُمُ يَجْرِي ٱلْبَرِيدُ بِرَأْسِهِ وَلَمْ يُغْنِ إِيغَالٌ بِهِ فِي ٱلْهَزَائِمِ
وَقَدْ حَاصَ مِنْ خَوْفِ ٱلرَّدَىٰ كُلَّ حَيْصَةٍ فَلَمْ يَنْجُ وَٱلأَقْدَارُ ضَرْبَةُ لاَزِمِ
وَهَـٰذَا يَزِيدُ بْنُ ٱلْمُهَلَّبِ نَافَرَتْ بِهِ ٱلذُّلَّ أَعْرَاقُ ٱلْجُدُودِ ٱلأَكَارِمِ
فَقَالَ وَقَدْ عَنَّ ٱلْفِرَارُ أَوِ ٱلرَّدَىٰ : لَحَا ٱللهُ أَخْزَىٰ ذِكْرَةً فِي ٱلْمَوَاسِمِ
وَمَا غَمَرَاتُ ٱلْمَوْتِ إِلاَّ ٱنْغِمَاسَةٌ وَلاَ ذِي ٱلْمَنَايَا غَيْرُ تَهْوِيمِ نَائِمِ

* * *

وقال المتنبي :

اَلرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ ٱلشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ ، وَهِيَ ٱلْمَحَلُّ ٱلثَّانِي
فَإِذَا هُمَا ٱجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً بَلَغَتْ مِنَ ٱلْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ

وَلَـرُبَّمَـا طعَـنَ ٱلْفتَـىٰ أَقْـرَانَـهُ بِـٱلـرَّأْيِ قَبْـلَ تطَـاعُـنِ ٱلأَقْـرَانِ
لَوْلاَ ٱلْعُقولُ . . لَكَانَ أَدْنَىٰ ضَيْغَمٍ أَدْنَـىٰ إِلَـىٰ شَـرَفٍ مِـنَ ٱلإِنْسَـانِ
وَلَمَـا تَفَـاضَلَـتِ ٱلنُّفُـوسُ وَدبَّـرَتْ أَيْـدِي ٱلْكُمَـاةِ عَـوَالِـيَ ٱلْمُـرَّانِ

* * *

وقال أيضاً :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَـدَّقَ مَـا يَعْتَـادُهُ مِـنْ تَـوَهُّـمِ
وَعَـادَىٰ مُحِبِّيـهِ بِقَـوْلِ عُـدَاتِـهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ ٱلشَّكِّ مُظْلِمِ
أُصَادِقُ نَفْسَ ٱلْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْـرِفُهَـا فِـي فِعْلِـهِ وَٱلتَّكَلُّـمِ
وَأَحْلُـمُ عَـنْ خِلِّـي وَأَعْلَـمُ أَنَّـهُ مَتَىٰ أَجْزِهِ حِلْماً عَلَى ٱلْجَهْلِ يَنْدَمِ
وَإِنْ بَذَلَ ٱلإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ جَـزَيْـتُ بِجُـودِ ٱلْبَـاذِلِ ٱلْمُتَبَسِّـمِ
وَأَهْـوَىٰ مِـنَ ٱلْفِتْيَـانِ كُـلَّ سَمَيْـدَعٍ نَجِيـبٍ كَصَـدْرِ ٱلسَّمْهَـرِيِّ ٱلْمُقَـوَّمِ
خَطَتْ تَحْتَهُ ٱلْعِيسُ ٱلْفَلاَةَ وَخَالَطَتْ بِهِ ٱلْخَيْلُ كَبَّاتِ ٱلْخَمِيسِ ٱلْعَرَمْرَمِ

* * *

وقال زهير :

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا ٱلْمَالَ يُخْبِلُوا وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا
وَفِيهِـمْ مَقَـامَـاتٌ حِسَـانٌ وَجُـوهُهُـمْ وَأَنْـدِيَـةٌ يَنْتَـابُهَـا ٱلْقَـوْلُ وَٱلْفِعْـلُ
عَلَىٰ مُكْثِرِيهِـمْ حَقٌّ مَـنْ يَعْتَـرِيهِـمُ وَعِنْـدَ ٱلْمُقِلِّيـنَ ٱلسَّمَـاحَـةُ وَٱلْبَـذْلُ
وَإِنْ جِئْتَهُـمْ أَلْفَيْـتَ حَـوْلَ بُيُـوتِهِـمْ مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَىٰ بِأَحْلاَمِهَا ٱلْجَهْلُ
وَإِنْ قَامَ مِنْهُمْ حَامِلٌ . . قَالَ قَاعِدٌ : شُكِرْتَ فَلاَ غُرْمٌ عَلَيْكَ وَلاَ خَذْلُ
سَعَىٰ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لِكَي يُدْرِكُوهُمُ فَلَمْ يَفْعَلُوا وَلَمْ يُلامُوا وَلَمْ يَأْلُوا
وَمَـا يَـكُ مِـنْ خَيْـرٍ أَتَـوْهُ فَـإِنَّمَـا تَـوَارَثَـهُ آبَـاءُ آبَـائِهِـمْ قَبْـلُ

وَهَلْ يُنْبِتُ ٱلْخَطِّيَّ إِلاَّ وَشِيجُهُ   وَتُغْرَسُ إِلاَّ فِي مَنَابِتِهَا ٱلنَّخْلُ

* * *

وقال مروان بن أبي حفصة :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ   أُسُودٌ لَهَا فِي بَطْنِ خَفَّانَ أَشْبُلُ
هُمْ يَمْنَعُونَ ٱلْجَارَ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا   لِجَارِهِمُ بَيْنَ ٱلسِّمَاكَيْنِ مَنْزِلُ
لَهَامِيمُ ، فِي ٱلإِسْلاَمِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ   كَأَوَّلِهِمْ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمُ ٱلْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا   أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَلاَ يَسْتَطِيعُ ٱلْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ   وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي ٱلنَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

* * *

وقال ربيعة الرقي :

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْيَزِيدَيْنِ فِي ٱلنَّدَى   يَزِيدِ سُلَيْمٍ وَٱلأَغَرِّ ٱبْنِ حَاتِمِ
يَزِيدُ سُلَيْمٍ سَالِمُ ٱلْمَالِ وَٱلْفَتَى   أَخُو ٱلأَزْدِ لِلأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمِ
فَهَمُّ ٱلْفَتَى ٱلأَزْدِيِّ إِتْلاَفُ مَالِهِ   وَهَمُّ ٱلْفَتَى ٱلْقَيْسِيِّ جَمْعُ ٱلدَّرَاهِمِ
فَلاَ يَحْسَبِ ٱلتَّمْتَامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ   وَلَكِنَّنِي فَضَّلْتُ أَهْلَ ٱلْمَكَارِمِ
فَيَا بْنَ أُسَيْدٍ لاَ تُسَامِ ٱبْنَ حَاتِمٍ   فَتَقْرَعُ إِنْ سَامَيْتَهُ سِنَّ نَادِمِ
هُوَ ٱلْبَحْرُ إِنْ كَلَّفْتَ نَفْسَكَ خَوْضَهُ   تَهَالَكْتَ فِي مَوْجٍ لَهُ مُتَلاَطِمِ

* * *

وقال الحطيئة :

إِلَى ٱلْقَائِلِ ٱلْفَعَّالِ عَلْقَمَةِ ٱلنَّدَى   رَحَلْتُ قَلُوصِي تَجْتَوِيهَا ٱلْمَنَاهِلُ
إِلَىٰ مَاجِدِ ٱلآبَاءِ فَرْعٍ سَمَيْدَعٍ   لَهُ عَطَنٌ يَوْمَ ٱلتَّفَاضُلِ آهِلُ
فَمَا كَانَ بَيْنِي لَوْ لَقِيتُكَ سَالِماً   وَبَيْنَ ٱلْغِنَىٰ إِلاَّ لَيَالٍ قَلاَئِلُ

لَعَمْرِي لَنِعْمَ ٱلْمَرْءُ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحَوْرَانَ أَمْسَىٰ أَعْلَقَتْهُ ٱلْحَبَائِلُ
لَقَدْ غَادَرَتْ حَزْماً وَجُوداً وَنَائِلاً وَلُبّاً أَصِيلاً خَالَفَتْهُ ٱلْمَجَاهِلُ
وَقِدْراً إِذَا مَا أَمْحَلَ ٱلنَّاسُ أَوْفَضَتْ إِلَىٰ نَارِهَا سَعْياً إِلَيْهَا ٱلأَرَامِلُ
لَعَمْرِي لَنِعْمَ ٱلْمَرْءُ لاَ وَاهِنُ ٱلْقُوَى وَلاَ هُوَ لِلْمَوْلَىٰ عَلَى ٱلدَّهْرِ خَاذِلُ
لَعَمْرِي لَنِعْمَ ٱلْمَرْءُ إِنْ عَيَّ قَائِلٌ عَنِ ٱلْقِيلِ أَوْ دَنَّىٰ عَنِ ٱلْفِعْلِ فَاعِلُ
يَدَاكَ خَلِيجُ ٱلْبَحْرِ إِحْدَاهُمَا دَماً تَفِيضُ وَفِي ٱلأُخْرَىٰ عَطَاءٌ وَنَائِلُ
فَإِنْ تَحْيَ لاَ أَمْلُلْ حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
لَعَمْرِي لَنِعْمَ ٱلْمَرْءُ لاَ مُتَقَاصِرٌ عَنِ ٱلسُّورَةِ ٱلْعَلْيَا وَلاَ مُتَضَائِلُ

* * *

وقال المعري :

طَرِبْنَ لِضَوْءِ ٱلْبَارِقِ ٱلْمُتَعَالِي بِبَغْدَادَ وَهْناً مَا لَهُنَّ وَمَالِي
سَمَتْ نَحْوَهُ ٱلأَبْصَارُ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا بِنَارَيْهِ مِنْ هَنَّا وَثَمَّ صَوَالِي
إِذَا طَالَ عَنْهَا سَرَّهَا لَوْ رُؤُوسُهَا تُمَدُّ إِلَيْهِ فِي صُدُورِ عَوَالِ
تَمَنَّتْ قُوَيْقاً وَٱلصَّرَاةُ أَمَامَهَا تُرَابٌ لَهَا مِنْ أَيْنُقٍ وَجِمَالِ
إِذَا لاَحَ إِيمَاضٌ سَتَرْتُ وُجُوهَهَا كَأَنِّيَ عَمْرٌو وَٱلْمَطِيُّ سَعَالِي
وَكَمْ هَمَّ نِضْوٌ أَنْ يَطِيرَ مَعَ ٱلصَّبَا إِلَى ٱلشَّامِ لَوْلاَ حَبْسُهُ بِعِقَالِ

* * *

وقال متمم بن نويرة :

لَقَدْ لاَمَنِي عِنْدَ ٱلْقُبُورِ عَلَى ٱلْبُكَا رَفِيقِي لِتَذْرَافِ ٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَافِكِ
أَمِنْ أَجْلِ قَبْرٍ بِٱلْمَلاَ أَنْتَ نَائِحٌ عَلَىٰ كُلِّ قَبْرٍ أَوْ عَلَىٰ كُلِّ هَالِكِ
وَقَالَ : أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرٍ ثَوَىٰ بَيْنَ ٱللِّوَىٰ فَٱلدَّكَادِكِ

فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ ٱلشَّجَا يَبْعَثُ ٱلشَّجَا ... فَـدَعْنِـي فَهَـٰذَا كُلُّـهُ قَبْـرُ مَـالِـكِ

* * *

وقال حميد بن ثور :

وَمَا هَاجَ هَـٰذَا ٱلشَّوْقَ إِلاَّ حَمَامَةٌ ... دَعَـتْ سَـاقَ حُـرٍّ تَـرْحَـةً وَتَـرَنُّمَـا
إِذَا شِئْـتُ غَنَّتْنِـي بِـأَجْـزَاعِ بِيشَـةٍ ... أَوِ ٱلنَّخْـلِ مِـنْ تَثْلِيـثَ أَوْ بِيَلَمْلَمَـا
مُطَـوَّقَـةٌ خَطْبَـاءُ تَسْجَـعُ كُلَّمَـا ... دَنَا ٱلصَّيْفُ وَٱنْجَالَ ٱلرَّبِيعُ فَأَنْجَمَا
مُحَلاَّةُ طَوْقٍ لَـمْ يَكُـنْ مِـنْ تَمِيمَـةٍ ... وَلاَ ضَـرْبِ صَـوَّاغٍ بِكَفَّيْـهِ دِرْهَمَـا
تَغَنَّتْ عَلَىٰ غُصْنٍ عِشَاءً فَلَمْ تَدَعْ ... لِنَـائِحَـةٍ فِـي شَجْـوِهَـا مُتَلَـوَّمَـا
إِذَا حَـرَّكَتْـهُ ٱلـرِّيـحُ أَوْ مَـالَ مَيْلَـةً ... تَغَنَّـتْ عَلَيْـهِ مَـائِـلاً وَمُقَـوَّمَـا
عَجِبْـتُ لَهَـا أَنَّـىٰ يَكُـونُ غِنَـاؤُهَـا ... فَصِيحـاً وَلَـمْ تَفْغَـرْ بِمَنْطِقِهَـا فَمَـا!
فَلَـمْ أَرَ مِثْلِـي شَـاقَـهُ صَـوْتُ مِثْلِهَـا ... وَلاَ عَـرَبِيّـاً شَـاقَـهُ صَـوْتُ أَعْجَمَـا

* * *

وقال يوسف بن لؤلؤ :

أَحَمَـامَـةَ ٱلْـوَادِي بِشَـرْقِـيِّ ٱلْغَضَـا ... هَـلاَّ تَـذَكَّـرْتِ ٱللِّقَـا بِـٱلأَجْـرَعِ
فَبِحَقِّـهِ عُـودِي بِغَـرْبِـيِّ ٱلْحِمَـى ... إِنْ كُنْـتِ مُسْعِـدَةَ ٱلْكَئِيـبِ فَـرَجِّعِـي
إِنَّـا تَقَـاسَمْنَـا ٱلْغَضَـا فَغُصُـونُـهُ ... مَـاسَـتْ بِلَيْلَـكِ نَـارُهُ فِـي مَـدْمَعِـي
مَـا تَعْجَبِيـنَ فَقَـدْ غَـدَتْ أَفْنَـانُـهُ ... فِـي رَاحَتَيْـكِ وَجَمْـرُهُ فِـي أَضْلُعِـي

* * *

وقال المعري :

وَغَنَّـتْ لَنَـا فِـي دَارِ سَـابُـورَ قَيْنَـةٌ ... مِنَ ٱلْوُرْقِ مِطْرَابُ ٱلأَصَائِلِ مِيْهَالُ
رَأَتْ زَهَـراً غَضّـاً فَهَـاجَـتْ بِمِـزْهَـرٍ ... مَثَـانِيـهِ أَحْشَـاءٌ لَطُفْـنَ وَأَوْصَـالُ

فَقُلْتُ : تغَنَّيْ كَيْفَ شِئْتِ فَإِنَّمَا غِنَاؤُكِ عِنْدِي يَا حَمَامَةُ إِعْوَالُ
وَتَحْسُدُكِ ٱلْبِيضُ ٱلْغَوَانِي قِلَادَةً بِجِيدِكِ فِيهَا مِنْ شَذَا ٱلْمِسْكِ تِمْثَالُ
فَأَقْسَمْتُ مَا تَدْرِي ٱلْحَمَائِمُ بِٱلضُّحَى أَأَطْوَاقُ حُسْنٍ هُنَّ أَمْ هُنَّ أَغْلَالُ

* * *

وقال أشجع السلمي :

مَضَى ٱبْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلاَ مَغْرِبٌ إِلاَّ لَهُ فِيهِ مَادِحُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حَتَّىٰ غَيَّبَتْهُ ٱلصَّفَائِحُ
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ ٱلأَرْضِ مَيِّتاً وَكَانَتْ بِهِ حَيّاً تَضِيقُ ٱلصَّحَاصِحُ
سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغِضْ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ ٱلْجَوَانِحُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَازِعٌ وَلاَ بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
لَئِنْ حَسُنَتْ فِيكَ ٱلْمَرَاثِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلُ فِيكَ ٱلْمَدَائِحُ

* * *

وقال الأبيوردي :

مَلَكْنَا أَقَالِيمَ ٱلْبِلَادِ فَأَذْعَنَتْ لَنَا رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً عُظَمَاؤُهَا
فَلَمَّا ٱنْتَهَتْ أَيَّامُنَا عَلِقَتْ بِنَا شَدَائِدُ أَيَّامٍ قَلِيلٌ رَخَاؤُهَا
وَكَانَ إِلَيْنَا فِي ٱلسُّرُورِ ٱبْتِسَامُهَا فَصَارَتْ عَلَيْنَا بِٱلْهُمُومِ بُكَاؤُهَا
وَصِرْنَا نُلَاقِي ٱلنَّائِبَاتِ بِأَوْجُهٍ رِقَاقِ ٱلْحَوَاشِي كَادَ يَقْطُرُ مَاؤُهَا

* * *

وقال البحتري :

وَقَدْ جَرَّبُوا بِٱلأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةً فَضُلْتَ بِهَا ٱلسَّيْفَ ٱلْحُسَامَ ٱلْمُجَرَّبَا
غَدَاةَ لَقِيتَ ٱللَّيْثَ وَٱللَّيْثُ مُخْدِرٌ يُجَرِّدُ نَاباً لِلِّقَاءِ وَمِخْلَبَا

فَلَمْ أَرَ ضِرْغَامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُمَا عِرَاكاً إِذَا ٱلْهَيَّابَةُ ٱلنِّكْسُ كَذَّبَا
هِزَبْرٌ مَشَىٰ يَبْغِي هِزَبْراً وَأَغْلَبٌ مِنَ ٱلْقَوْمِ يَغْشَىٰ بَاسِلَ ٱلْوَجْهِ أَغْلَبَا
أَدَلَّ بِشَغْبٍ ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلَةٌ رَآكَ لَهَا أَمْضَىٰ جَنَاناً وَأَشْعَبَا
حَمَلْتَ عَلَيْهِ ٱلسَّيْفَ لاَ عَزْمُكَ ٱنْثَنَى وَلاَ يَدُكَ ٱرْتَدَّتْ وَلاَ حَدُّهُ نَبَا
وَكُنْتَ مَتَىٰ تَجْمَعْ يَمِينَكَ تَهْتِكِ ٱلْـــضَّرِيبَةَ أَوْ لاَ تُبْقِ لِلسَّيْفِ مَضْرِبَا
فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعاً وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا
فَلَمْ يُغْنِهِ إِنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلاً وَلَمْ يُنْجِهِ أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنَكِّبَا

* * *

الرّسالة الجدّيّة لابن زيدون

بعث ابن زيدون من سجنه لابن جهور بهٰذه الرسالة :

يا مولايَ وسيّدي ، الّذي ودادي له ، ومَنْ أبقاه الله تعالىٰ ماضِيَ حدّ العزم ، واري زَند الأمل ، ثابتَ عهدِ النعمة ؛ أظمأتني إلىٰ برودِ إسعافكَ ، ونفضتَ بي كفَّ حياطَتك ، وغضضتَ عني طرفَ حمايتك ، بعدَ أن نظر الأعمىٰ إلىٰ تأميلي لكَ ، وسَمِعَ الأصمُّ ثنائي عليك ، وأحسّ الجماد باستنادي إليكَ ، فلا غرو ؛ قد يغصُّ بالماءِ شاربهُ ، ويقتلُ الدواء المستشفيَ به ، ويُؤتى الحذرُ من مأمنه ، وتكونُ منيّةُ المُتمني في أمنيّتهِ ، والحين قد يسبقُ جَهدَ الحريصِ .

كُلُّ ٱلْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى ٱلْفَتَى ... وَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ ٱلْحُسَّادِ

وإنّي لأتجلدُ، وأُري الشامتينَ أنّي لرَيْبِ الدَّهرِ لا أتضعضعُ ، فأقول : هل أنا إلا يد أدماها سوارُها، وجبينٌ عضَّ به إكليلهُ، ومشرَفيٌ ألصقهُ بالأرضِ صاقِلهُ، وسمهريٌّ عرَضَه على النار مثقفُه ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فَقَسَا لِيَزْدجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِماً ... فَلْيَقْسُ أَحْيَاناً عَلَىٰ مَنْ يَرْحَمُ

هٰذا العتب محمود عواقبه ، وهٰذِهِ النّبْوةُ غمرةٌ ثم تنجلي ، وهٰذه النكبةُ سحابةُ صيف عن قريبٍ تَقَشّع ، ولن يريبني من سيّدي أن أبطأ سَحَابُه ، أو تأخّر غيرَ ضنين غَناؤه ، فأبطأُ الدلاءِ فيضاً أملؤُها ، وأثقل السحائبِ مشياً أحفلُها ، وأنفع الحيا ما صادف جدْباً ، وألذُّ الشَّرابِ ما أصابَ غليلاً ، ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب ، له الحمد على اغتِنَامِهِ ولا عتب عليه في إغفاله .

فَإِنْ يَكُنِ ٱلْفِعْلُ ٱلَّذِي سَاءَ وَاحِداً   فَـأَفْعَـالُـهُ ٱلـلاَّتِـي سَـرَرْنَ أُلُـوفُ

وأعود فأقول : ما هٰذا الذنبُ الذي لم يسعه عفوكَ ؟! والجهلُ الذي لم يأتِ من ورائهِ حلمك ؟! والتطاول الذي لم يستغرقهُ تَطَوُّلك ؟! والتحامل الذي لم يفِ به احتمالك ؟! ولا أخلو مِن أنْ أكونَ بريئاً ، فأين العدلُ ؟ أو مسيئاً ، فأين الفضلُ ؟

إِلاَّ يَكُـنْ ذَنْـبٌ فَعَـدْلُـكَ وَاسِـعٌ   أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ

حنانيكَ ، قد بلغَ السيلُ الزُّبىٰ ، ونالني ما حسبي به وكفىٰ ، وما أُراني إلا لو أنّي أمرتُ بالسجود لآدم فأبيتُ واستكبرت ، وقال لي نوح : ﴿ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾ ، فقلت : ﴿ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ ، وأمرتُ ببناء الصرحِ لعلي أطلع إلىٰ إلٰهِ موسىٰ ، واعتديتُ في السبتِ ، وتعاطيتُ فعقرت ، وشربت من ماء النهرِ الذي ابتليَ به جنود طالوت ، وقدتُ الفيلَ لأبرهة ، وعاهدتُ قريشاً علىٰ ما في الصحيفة ، وتأولتُ في بيعة العقبةِ ، ونفرتُ إلى العير ببدر ، وانخذلت بثلث الناسِ يومَ أحد ، وتخلَّفتُ عن صلاةِ العصرِ في بني قريظة ، وأنفتُ من إمارة أسامة ، وزعمتُ أن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، ورجَمتُ الكعبة ، وصلبتُ العائذَ بها على الثّنية . . لكان فيما جَرَىٰ ـ علىٰ ما يُحتمل ـ أنْ يُسمىٰ نكالاً ، ويُدعىٰ ـ ولو على المجازِ ـ عِقاباً .

وَحَسبُـكَ مِـنْ حَـادِثٍ بِـٱمْـرِىءٍ   تَـرَىٰ حَـاسِـدِيـهِ لَـهُ رَاحِمِينَـا

فكيف ولا ذنب إلا نميمة أهداها كاشح ؟! ونبأ جاء به فاسق ؟! وهم الهمازون المشاؤون بنميم ، الواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العَصَا ، والغُواةُ الذين لا يتركون أديماً صحيحاً ، والسُّعاةُ الذين ذكرهم الأحنفُ بن قيس ، فقال : ما ظنكَ بقوم الصدقُ محمود إلا منهم .

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنفْسِكَ رِيبَةً   وَلَيْسَ وَرَاءَ ٱللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

والله ؛ ما غششتُكَ بعد النَّصيحةِ ، ولا انحرفتُ عنك بعد الصّاغية ، ولا نصبتُ لكَ بعد التّشيّع فيك ، ولا أزمعتُ بأساً مِنكَ مع ضمانٍ تكفلت به الثّقةُ عنك ، وعهدِ أخذهُ حُسنَ الظّنِ عليك ؛ ففيم عَبِثَ الجَفاءُ بأذمّتي ، وعاثَ العقوقُ في مودتي ، وتمكّن الضياعُ مِنْ وسائلي ؟! ولمّا ضاقت مذاهبي ، وأكدتُ مطالبي ، رضيتُ مِنَ المركبِ بالتعليقِ ، بل من الغنيمة بالإياب . وأنّىٰ غلبني المغلبِ ، وفخرَ عليّ العاجزُ الضعيف ، ولطمتني غيرُ ذاتِ سُوار ، وما لكَ لا تمنعُ منّي قبلَ أنْ أُفترَس ، وتُدركني ولمّا أُمزّق ، أم كيفَ لا تتضرّمُ جَوانحُ الأكفَاء حَسَداً لي على الخصُوصِ بك ، وتتقطّع أنفاس النّظراءِ منافسةً في الكرامةِ عليك ؟! فكيف وقد زانني رَسمُ خِدمتكَ ، وزاهني وَسمُ نِعمتكَ ، وأبليتُ البلاء الجميلِ في سِماطِكَ ، وقمتُ المقام المحمود عن بِساطك ؟!

أَلَسْتُ ٱلْمُوَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ   هِيَ ٱلأَنْجُمُ ٱقْتَادَتْ مَعَ ٱللَّيْلِ أَنْجُمَا
ثَنَاءٌ يُظَنُّ ٱلرَّوْضُ مِنْهُ مُنَوَّراً   ضُحَىً وَيُخَالُ ٱلْوَشْيُ فِيهِ مُنَمْنَمَا

وَهَلْ لَبِسَ ٱلصباح إلاَّ بُرداً طرزته بفضائلك ، وتقلّدت الجوزاءُ إلا عِقداً فصّلتهُ بمآثرك ؟! واستلّ الربيع إلا ثناءَ ملأتهُ من محاسنك ، وبثّ المِسكَ إلا حديثاً أذعتُه في محامدك ؟! وما يومُ حليمةَ بِسر ، وإن كنتُ لم أكْسُكَ سليباً ، ولا حليتُكَ عُطْلاً ، ولا وسمتُكَ غُفْلاً ، بل وجدتُ آجُرّاً وجِصّاً فبنيتُ ، وكان القولُ ذا سِعةٍ فقلتُ ، وحاشا لله أن أُعدَّ من العاملة النّاصبة ، وأكونَ كالذّبالةِ المنصوبةِ تُضيءُ للنّاس وهي تحترق ، فلكَ المَثَلُ الأعلىٰ ، وهو بك أولىٰ .

* * *

الحبّ

الحُبُّ على المحبّين فرض ، وبه قامت السماوات والأرض ، من لم يدخل جنة الحبّ . . لن ينال القرب ، بالحبّ عُبد الربّ ، وتُرك الذنب ، وهان الخطب ، واحتُمل الكرب .

عقل بلا حبّ لا يُفكّر ، وعين بلا حبّ لا تُبصِر ، وسماء بلا حبّ لا تُمطر ، وروض بلا حبّ لا يُزهر ، وسفينة بلا حبّ لا تُبحِر .

بالحبّ تتآلف المجرة ، وبالحبّ تدوم المسرة .

بالحبّ ترتسم على الثغر البسمة ، وتنطلق من الفجر النسمة ، وتشدو الطيور بالنغمة .

أرض بلا حبّ صحراء ، وحديقة بلا حبّ جرداء ، ومقلة بلا حبّ عمياء ، وأذن بلا حبّ صماء .

بالحبِّ تُرضِعُ الأمُّ وليدَها ، وتروم الناقةُ وحيدَها .

بالحبّ يقع الوفاق ، والضم والعناق ، وبالحبّ يعم السلام ، والمودّة والوئام .

الحبّ هو بساط القربىٰ بين الأحباب ، وهو سياج المودة بين الأصحاب .

بالحبّ يفهم الطلاب كلام المعلم ، وبالحبّ يسير الجيش وراء القائد ويتقدّم ، وبالحبّ تُذْعِن الرعيّة ، ويُعمل بالأحكام الشرعية ، تُصان الحرمات ، وتُقدّس القربات .

بيت لا يقوم على الحبّ مهدوم ، جيش لا يحمل الحبّ مهزوم .

لكن أعظم الحبّ وأجلّه ، ما جاءت به الملّة ، أجمل كلمة في الحبّ قول الربّ : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ، فلا تطلب حبّاً دونه .

أحبَّ امرؤ القيس فتاة ، وأحبَّ أبو جهل العزىٰ ومناة ، وأحبَّ قارون الذهب ، وأحبَّ الرئاسة أبو لهب ، فأفلسوا جميعاً ؛ لأنهم أخطؤوا خطأً شنيعاً .

أما حبّ بلال بن رباح . . فهو البر والصلاح ، سُحِبَ على الرمضاء ، فنادىٰ ربَّ الأرض والسماء ، انبعث من قلب المحب أَحدٌ أَحد ؛ لأن في القلب إيماناً كجبل أُحد .

مهر الجنة عند بلال السنة ، ركعتان ودمعتان .

الحبّ لا يعترف بالألوان ولا بالأوطان ، والدليل بلال وسلمان ؛ بلالٌ أبيض القلب أسود البشرة ، فصار بالحبّ مع البررة ، وأبو لهب بالبغض ليس من أهل البيت ، وسلمان نال بالحبّ جائزة « سلمان منا أهل البيت » .

دعني من حبّ مجنون ليلىٰ ، ومحبوب سلمىٰ ، ومعشوق عفرا ؛ فلطالما لطخت بأشعارهم الطروس ، وضاقت بأخبارهم النفوس ، وخدعت بقصائدهم الأجيال ، واتبعهم الضُّلاّل .

حدثني عن أنباء الأنبياء ، وهم من أجل حبّ الربّ يهجرون الآباء والأبناء .

فإبراهيم يتبرّأ من أبيه ، ونوح من بنيه ، وامرأة فرعون تلغي بنفسها عقد النكاح ؛ لأن البقاء مع الكافر سفاح .

هـٰذا هو عالم الحب بتضحياته ، بأفراحه وأتراحه ، وهو حبّ يصلك

برضوان مَنْ رضاه مَطْلب ، وعفوه مَكْسب .

امرؤ القيس يصيح في نجد ، وقد غلبه الوجد :

قِفَـــا نَبْـــكِ. . . . .

فإذا بكاؤه على الأطلال ، وإذا دموعه تُسفح على الرمال ، إنه هُيام العقل بلا وازع ، وحيرة الإنسان بلا رادع .

ورسولنا صلى الله عليه وسلم يذوق الويلات ، ويعيش النكبات ، ثم ينادي مولاه في مناجاة وإخبات ، ويقول : « لك العتبىٰ حتىٰ ترضىٰ » .

لا تُضع عمري بشعر طرفة بن العبد ، وهو يشكو الحبّ والصدّ ، حبّ ماذا ، يا هٰذا ؟! أَمَا علمت أن أحد الأنصار ، كان يقرأ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بتكرار ، فسئل عن المقصود ، فقال : لأن فيها مدح المعبود ، وأنا أحب تلك البنود ، فدخل الجنة بالمحبة ؛ لأن الله أحبه .

شغلونا بالروايات الشرقيّة ، والمسرحيّات الغربيّة ، ويل هٰذا الجيل ويله ، سهر مع غراميات ألف ليلة وليلة . وفي الذكر المنزل ، والحديث المبجل ، قصص الحب الصادقة ، والمعاني الناطقة ، ما يخلب اللب ، ويستميل القلب .

أخرجونا يا قوم من ظلمات عشق الأعراب ، والهيام في الأهداب ، فكل ما فوق التراب تراب ، وأدخلونا في عالم الحب الراقي ، والدواء الواقي ، الذي تطير له الأرواح ، وتهتز له الأشباح ، في ملكوت الخلود ، وعلىٰ بساط رب الوجود .

دع حب هٰؤلاء فإنهم مرضىٰ ، وتعال إلى الواحد وناد : ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ ، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ .

حمزة سيد الشهداء يمزق الحبّ تمزيقاً ، وأنتم تهيمون بروايات غراميّة لفقت تلفيقا ، نقول : حدِّثونا عن الحبّ عند ابن عباس ، فتذكرون لنا عشق أبي نُوَاس ، كفىٰ جفاء ، فأمّا الزبد . . فيذهب جُفاء .

حبّ طلحة والزبير ، أعظم من حب شكسبير ؛ لأن حبهم سُطِّر في بدر لمرضاة القوي العزيز ، وحب شكسبير كتب في شوارع لندن لمراهقي الإنجليز .

إن كنت يا شاعر الغرب كتبت رواية الحبّ بالحبر . . فالصحابة سجلوا قصص المحبة بدم الصبر .

لا تدري ربما عُذِّبتَ بحبك ، وكتب عنك عند ربك : هٰذا فراق بيني وبينك ، ونحن نسمع من أجل امرأة بكاءك وأنينك .

كلما خرج علينا شاعر مخمور ، فاقد الشعور . . حفظنا شعره في الصدور ، وكتبناه في السطور ، وقلنا : يا عالم ؛ هٰذه قصصنا الغرامية ، ونسينا رسائلنا الإسلامية ، وفتوحاتنا السماوية ، التي أذهلت الإنسانية .

علِّمني الحبّ من (سورة الرحمٰن) ، ولا تكدّر خاطري بهيام :

يَـا ظَبْيَـةَ ٱلْبَـانِ . . . .

أنا ما أحبّ لغة العيون ، ولكن أحبّ لغة القلوب ، ولا اتبِّاع فلتات أبي نواس والمجنون ، ولكني أرتع في رياض الكتاب المكنون : ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ .

الحبّ الصادق في جامعة ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ ، والغرام الرخيص في مسرح الفنانين والفنّانات .

استعرض نصوص الحبّ في وثيقة الوحي المقدس ؛ لترىٰ فيها حياة الأنفس .

الحبّ الأرضي يقتل الإنسان بلا قيمة ، والحبّ السماوي يدعو العبد إلىٰ حياة مستقيمة ؛ ليجد فضل الله ونعيمه .

حبّ العز عند فرعون ، وحبّ الكنـز عند قارون ، وحبّ البنـز عند شارون ، أما حبّ الجنة . . فعند أبطال السُنّة ، الذين حصلوا علىٰ أعظم مِنّة .

الجعد بن درهم ذُبح على الابتداع ، وأنت تبخل بدمعة في محراب الاتباع .

أتريد من الجيل أن يحبّ الملك العلاّم ، ويصلّي خلف الإمام ، ويحافظ علىٰ تكبيرة الإحرام ، وأنت تُحفّظه رباعيات الخيام ، ليبلّغهم رسالة لا بعث ولا نشور ، أعـوذ بالله من تلك القشور ؟!

يا حاج ، أين حملة المنهاج ؟ أما ترىٰ كيف عشق الإمارة الحجاج ، وقُتل في البدعة الحلاج ، وأنت من أحرص الناس علىٰ حياة ؟ فبماذا تدخل الجنة يا أخاه ؟

من تداجي؟ يا إبراهيم ناجي ، ومن تكلم ومن تناجي ؟ تقول : يا فؤادي ؛ رحم الله الهوىٰ ، بل قتل الله الهوىٰ .

من يشارك في ثورة الخبز . . لا يحضر معركة العز ، لما نسيت الأمة حبّ القلوب ، واشتغلت بحبّ البطون ، رضيت بالدون ، وعاشت في هون .

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

نحن بحاجة إلىٰ صوت خبيب بن عدي وهو يلقي قصيدة الفداء ، علىٰ خشبة الفناء ، في إصرار وإباء ، وصبر ومضاء .

بارك الله فيك وفي أشلائك يا خبيب ، فأنت إلىٰ قلوبنا حبيب ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ .

اللهم ؛ اجعلنا ممن يحبّك ويحبّ من يحبّك ؛ ليؤنسنا قربك ، اللهم ؛ ازرع شجرة حبّك في قلوبنا ؛ لنرى النور في دروبنا ، وننجو من ذنوبنا ، ونطهر من عيوبنا .

وإن تعجب فعجب أن ترىٰ شاعراً بائساً ، يشكو طللاً دارساً ؛ فهو يبكي من نار الغرام ، ويشكو ألم الهيام ، ولو سافرت روحه في عالم الملكوت . . لصار حبّه عنده كالقوت . لو أدرك عنترة الإسلام . . لما كبا ، وما قال :

أُذْكُـرِي يَـا عَبْـلُ أَيَّـامَ ٱلصِّبَـا

جرير يشكو العيون السود ، وبشار يشكو الصدود ، والشريف الرضي يشكو فتنة الخدود ، وكأن الحياة لديهم اختصرت في امرأة حسناء ، وكأن العمر يتسع لهـٰذا الهراء ، ويحسبون أن الناس من أجلهم تركوا المنام ، وهجروا الطعام .

إذا افتخرنا على الغرب بأن لدينا نساء حسناوات ، وفتيات فاتنات . . قالوا لنا : عندنا في ذلك مسارح ومسرحيات ، ومغامرات وغراميّات ، لكن فخرنا على الناس أن لدينا رسالة ملأت الكون نوراً ، والعالم حبوراً ، والدنيا طهوراً .

* * *

الجمـــال

الله جميل يحبّ الجمال ، موصوف بالجلال ، انظر نهجه ، وقد أنبت حدائق ذات بهجة ، خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأبدع الكائنات في تصوير مستقيم ، جمال في كواكب السماء ، وحُسن يكسو الأشياء ، نجوم زاهرة ، وبحار زاخرة ، كأن الأرض مكسوة بأحسن نسيج ، والحدائق فيها من كل زوج بهيج ، رسَم الجمال في الكائنات ، وخطّ الحُسن في المخلوقات .

الجمال في العين بلونها الأسود ، وبجفنها المقعد ، بسحر نظرتها ، وروعة خطرتها ، مدورة في بهاء ، متحركة في سناء ، لها في الظلام بريق ، ولها في الحركة تلفت رشيق ، عليها رمش يحميها ، ويغسلها ولا يدميها ، وهي في نهر من الماء تسبح ، وفي هالة من النور تمرح ، في نظرها أسرار ، وفي تلفّتها أخبار ، لها لغة تفهمها القلوب ، ولها سحر تكاد منه النفس تذوب ، في طرفها حور ، يقتل مَن نظر ، لها في النفوس إيماءات ، وفي الأرواح إضاءات ، يعرف بها الرضا والغضب ، والجد واللّعب .

الجمال في الفم وهو بالحسن محبوك ، وبالأسنان مسبوك ، يرسل الكلمات ، ويبعث النغمات ، بلسان فصيح ، وصوت مليح ، لا ينطق حتىٰ يؤمر ، ولا يسكت حتىٰ يزجر ، فيا له من خلق ما أبدعه ، ومن صنع ما أروعه ، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ .

الجمال في الوجه بطلعته البهية ، وإشراقاته الرضية ، قسمات ترسم ،

وقبلات عليه من البهاء تبسم ، خد بماء البشاشة يسيل ، وطرف بإيحاء الحسن كحيل ، دمع كالسيل ، وشعر كالليل ، وجبين كالمهنّد ، وفم منضّد .

الجمال في قامة الإنسان ، وروعة هـٰذا البنيان ، أذنان وصِماخان ، وعينان نضاختان ، ويدان منافحتان ، ورجلان كادحتان .

الجمال في الروض الجذاب ، بجماله الخلاب ، طيور تلقي قصائد الحنان ، علىٰ منابر الأغصان ، وحمام ينشد إلياذة الفراق ، علىٰ أطراف الأوراق ، وماء يسكب ، ونسيم يكتب ، أنهار ودَوح ، ومسك من الروض يفوح ، حسن باهِ ، وإبداع إلـٰهي ، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى * ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ .

الجمال في الصبح إذا تنفس ، فسبحان من صوره وتقدس ، الصبح بطلعته الآسرة ، وإطلالته الباهرة ، الصبح وهو يغشى العالم ، ويمر علىٰ كل قاعد وقائم ، الصبح وهو ينشر عباءته الذهبية على الوجود ، فيكاد يكلمه من حسنه الجلمود ، الصبح يوم يتوضأ الفكر في عباب نوره ، ويغتسل القلب في بحر سروره ، وتسرح النفس في مهرجان عرسه ، وتنصت الروح لهمسه وجرسه .

الجمال في الليل إذا عسعس ، وأقبل في هدوء يتوجس ، يقبل الليل بردائه الأسود ، وشعره المجعد ، فيستر الأحياء بثيابه ، ويضع الأشياء تحت جلبابه ، فيملأ بجيشه المساكن ، فكل متحرك ساكن ، والليل له هيبة في العيون ، كأنه كتيبة تحمل المنون .

الجمال في الشمس وهي على الكون تتبرج ؛ ليتمتع في الحسن كل حيٍّ ويتفرج ، أشعة تعانق العين في صفاء ، وتداعب الروح في وفاء ، نور يطارد الظلام ، ويبعث في الكون الإشراق والوئام ، الشمس جرم هائل من النور ، فيها معاني الفرح والسرور ، تجري لمستقر لها ، فويل لمن غفل عن آياته ولها .

الجمال في القمر يوم يبدأ علينا بهٰذا الوجه الصبيح ، والمنظر المليح ، هالة من الصفاء ، وفيض من السناء ، ينزل أبراجه في وقار ، ويطارد الظلام بالأنوار ، كثيرُ إحسان ، حبيبٌ إلىٰ كل إنسان ، إذا خسف . . بكى الناس ، كأنهم حل بهم الباس ، يتدرج في النمو حتىٰ يكتمل ، ويهرم شيئاً فشيئاً حتىٰ يضمحل ، فسبحان من صوّر ودبّر ، وزين القمر وكوّر .

والجمال في النجوم اللاّمعة ، والكواكب الساطعة ، انظر إلى السماء ، في الظلماء ، وقد رصّع تاجها بالنجوم ، التي تذهب رؤيتُها الهموم والغموم ، مهرجان حي من الحسن الباهر ، حفل بهيج من الجلال الظاهر ، الجوزاء تضحك في الظلماء ، كأنها حسناء في قصر أحد العظماء ، الثريا في صويحباتها ، ومع رفيقاتها ، في مشهد عجيب ، وفي صمت رهيب ، سُهيل وقد هجر الجميع واعتزل ، وهو واقف ما مشىٰ وما نزل ، آلاف النجوم تجمل هٰذا الفضاء الكبير ، بتقدير اللطيف الخبير ، نجم تراه عن الجميع شارداً ، ونجم يحرق مارداً ، ونجم يُعرف به السفر ، ويستدل به البدو والحضر ، ونجم إنما هو زينة ، لهٰذه السماء الحسينة .

الجمال في الجبال بالوقار قائمة ، وفي جلال القدر هائمة ، ثابتة علىٰ مر الأزمان ، باقية ما تعاقب الحدثان ، تمر بها الرياح الهوجاء ، وهي صامدة صمّاء ، عاش معها ثمود وعاد ، وساسان وشداد ، وهي باقية والجمع قد باد ، صاحبت القرون ، وشاهدت فرعون وقارون ، فبقيت وهم ماتوا ، وحضرت وهم فاتوا ، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ .

وكل ما مر يدخل في جمال الذات ، وحسن الصفات .

أما جمال المعنىٰ . . فكن معنا ، ولا تذهب وتدعنا .

فمن ذلك جمال البيان ، مثلما أشرقت به شمس القرآن ، أَمَا رأيت حسن هٰذا الكتاب المقدس ، الذي على الصدق تأسس ؛ تأثير يسافر إلىٰ أعماق الأرواح ، وأسر يشد ما اهتز من الصور والأشباح ، نبأ يوقف العاقل متفكراً ، وخبر يجعل الإنسان متذكراً ، حقيقة تغوص في الضمائر ، وطهر يرسخ في السرائر ، موكب من النور يجتث أكوام الرذيلة ، فيض من الحق يحمل معاني الفضيلة ، قافلة من الصلاح تطوي صحراء النفوس طيا ، نهر من البِرّ يروي القلوب العطشىٰ رِيّا .

إيماء وإيجاز ، وإفحام وإعجاز ، عذوبة وحلاوة ، وسلاسة وطلاوة ، قوة وأصالة ، فصاحة وجزالة ، لغة جميلة ، مقاصد جليلة ، براعة استهلال ، وحسن تفصيل وإجمال .

يسافر بقلبك إلىٰ عالم الخلود ، ويرتحل بروحك إلىٰ حقيقة الوجود ، ويغسل ضميرك من لوثة الخيانة ، ويطهر كيانك بماء الأمانة ، مشاهد وصور ، وأحداث وعبر ، وأخبار وسير ، وقصص وأمثال ، وأفعال وأقوال ، عالم الحياة بأريجه وضجيجه ، وعالم الموت بأنّاته ونشيجه ، دول تمر مر السحاب ، وملوك تُدس في التراب .

تقرأ هٰذه المعجزة الخالدة ، فإذا الأمم البائدة ، حضارات تسقط كأوراق التوت ، وممالك تتهاوىٰ كبيت العنكبوت ، والقرآن يناديك من أطراف لُبّك ، ومن سويداء قلبك ، تدبّر يا عبد ، جِدّ ؛ فإن الأمر جِدّ ، ودعِ الردّ والصدّ ، استفق يا إنسان ، اهجر عالم الغفلة والنسيان .

انبعثْ من قبور الأشقياء ، وتعال إلىٰ جنات الأتقياء ، انفض غبار الوثنية ،

ارفض وساوس الجاهلية ، أعتق رقبتك من النار ، حصّن نفسك من البوار ، ارفع رأسك في سماء الكرامة ، أنت من أمة الخلافة والإمامة ، تقدم لإصلاح العالم ، فالكل سواك هائم عائم .

أيها الإنسان ؛ شاهد الكون بعين الإيمان ، تنظر للشوك ولا ترى الزهور ، تشاهد الآسن ولا تبصر الطهور ، يهولك الليل بالظلام ، ولا تستمتع ببدر التمام ، تشكو من حرارة الشمس اللاذعة ، ولا تتلذذ بتلك الأشعة الساطعة .

تستوحش من وحدة الصحراء ، ولا يؤنسك فيها روعة الإيحاء ، ما لك تزعجك الرياح الهوجاء ؟ فأين حسنها إذا زارتك وهي رخاء ؟ تنظر إلى الصخر كيف تحجّر ، ولا تنظر إلى الماء منه كيف تفجر ! تبصر رداءة التراب ، ولا تدرك أنه مادة الإنجاب والإخصاب ! لا ترىٰ من السيل إلا الدمار ، وهو مصدر النماء والعمار ! تأخذ من المصيبة العويل ، وتنسى الأجر الجزيل !

تضع علىٰ عينيك نظارة سوداء ، لترى الحياة جرداء مرداء ! فأين الندىٰ والطل ، وأين الخضرة والظل ؟ تسمع نعيق الغراب ، ولا تنصت لهديل الحمام الجذاب !

انظر إلى الحياة في ثياب جمالها ، وفي رداء جلالها ، شاهد الكون وهو في عباءة البهاء ، وحلة السناء ، طالع العالم بعين الحب ؛ لتشاهد بديع صنع الربّ ، واعلم أن الجحود إلحاد ، والتنكر فساد ، ومن لم يشاهد إلا القبيح . . فرأيه غير صحيح ، ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ .

* * *

بركات لا إلـٰه إلا الله

لا إلـه إلا الله عدد ما خطت الأقلام .

لا إلـه إلا الله كلما سجع الحمام، وهطل الغمام، وقوضت من منى الخيام .

لا إلـه إلا الله كلما برق الصباح ، وهبت الرياح ، وكلما تعاقبت الأتراح والأفراح .

لا إلـه إلا الله كلما ازدحمت الأنفاس ، وكلما حل السرور والإيناس ، وانتقل الضر والباس ، وزال القنوط والياس .

لا إلـه إلا الله ترضيه ، لا إلـه إلا الله بها نلاقيه ، لا إلـه إلا الله تملؤ الكون وما فيه .

لا إلـه إلا الله كلما دجى الليل ، وكلما انكشف الهول والويل ، وكلما انعقد السحاب وجرى السيل .

لا إلـه إلا الله يفعل ما يريد ، لا إلـه إلا الله يبدأ ويعيد ، لا إلـه إلا الله ذو العرش المجيد ، والبطش الشديد ، لا إلـه إلا الله ندخرها ليوم الوعيد ، ونتقي بها عذاب جهنم الأكيد .

لا إلـه إلا الله كلما ترعرع ورد وأزهر ، وكلما لمع بارق وأمطر ، وكلما تنفس صبح وأسفر .

لا إلـه إلا الله كلما زجرت الرعود ، وخفقت البنود ، وجرى الماء في العود .

لا إلـه إلا الله كلما هتف الحمام ، وهطل الغمام ، وارتفعت الأعلام ، ووُسدت الجماجم الرغام .

لا إلـه إلا الله كلما تلألأ الضياء ، وشع السناء ، وتدفق الماء ، وسرى الهواء .

لا إلـه إلا الله الواحد القهّار ، الملك الجبّار ، مكور الليل على النهار .

لا إلـه إلا الله في علاه ، لا نعبد إلا إياه ، ولا ندعو سواه ، تفضل بالجميل وأعطى الجزيل ، وشفى العليل ، وأزاح الهم الثقيل .

لا إلـه إلا الله حفظ الأولياء ، ونصر الأنبياء ، وكبت الأعداء ، يفعل ما يشاء ، ويبرم القضاء ، وينزل الداء والدواء .

لا إلـه إلا الله محيي الأموات ، المتكفل بالأقوات ، منزل الآيات ، عالم السر والخفيات ، رفيع الدرجات .

لا إلـه إلا الله مكرم الأبرار ، مهين الفجار ، هازم الكفار ، عالم الجهر والإسرار .

لا إلـه إلا الله نأمن بها من الفتان ، ونعوذ بها من النيران ، ونرجو بها الجنان في جوار الرحمـٰن .

* * *

اللهُ أكبر تهتزّ الكون

الله أكبر عدد قطر البحار ، وورق الأشجار ، ورذاذ الأمطار ، وذرات الغبار .

الله أكبر عدد حبات الرمال ، الله أكبر ، مع تعاقب القرون والأجيال ، وتصرم الأعمار والآجال .

الله أكبر حقاً حقاً ، الله أكبر محبة وصدقاً ، الله أكبر عبودية ورقاً .

الله أكبر تشدو بها الطيور على الفنن ، وتلهج بها الألسن في كل زمن ، تقدس الكبير المتعال ، تبارك ذو الجلال ، عز ذو الجمال والكمال .

الله أكبر تُزلزل قلاع المارقين ، وتنسف معاقل المنافقين ، وتحطم أوكار الفاسقين ، وتهدم جيوش الخائنين .

الله أكبر تَرجف لها القلوب ، وتُغفر بها الذنوب ، وتصغر لها الشعوب .

الله أكبر تُكسر بها آمال الأكاسرة ، وتُقصر بها أعمار القياصرة ، وتُرغم بها أنوف الجبابرة .

الله أكبر له الكبرياء والثناء ، وإليه الرجاء ، ومنه النعماء .

الله أكبر لم تحجبه سماء عن سماء ، ولا شغلته أرجاء عن أرجاء ، سمع دبيب النملة السوداء ، في الليلة الظلماء ، على الصخرة الصماء .

الله أكبر دعاه المريض علىٰ سريره ، وفزع إليه المنكوب في أموره ، وهتف باسمه الربان في البحار ، ولهج بذكره من ضل في القفار .

الله أكبر يدعىٰ للكرب الشديد ، وينادىٰ للخطب العتيد ، يفر إليه في الملمات ، ويركن إليه في الأزمات .

الله أكبر ما أحلمه على الطغاة ، وما أصبره على العصاة ، وما أقربه ممن دعاه ، وما أقدره علىٰ نصر من تولاه ، وما أشد بطشه بمن عاداه ، وما أسمعه لمن ناداه ، مَن قبله.. فهو المقبول ، مَن حاربه.. فهو المخذول ، مَن التجأ إليه.. عز ، مَن توكل عليه.. كفاه ، مَن أطاعه.. تولاه ، من نازعه.. قصمه ، مَن بارزه.. حطمه ، مَن أشرك به.. أحرقه ، مَن نادَّه.. مزقه .

الله أكبر شهدت بعظمته البحار والمحيطات ، والجبال الراسيات .

الله أكبر كلما دعاه ملهوف فحماه ، وكلما سأله محتاج فأعطاه .

الله أكبر أفنى القرون الأول ، وفل الجيوش والدول .

الله أكبر أنزل الجبابرة من القصور ، وأضجعهم في القبور .

* * *

إنما أنت منذر

قلنا لأحد العلماء ، النبلاء ، الأولياء : عظنا موعظة ، للقلوب موقظة ؛ فإن قلوبنا بالذنوب مريضة ، وأجنحتنا بالخطايا مهيضة ، فنحن قد أدمنّا الذنوب ، وعصينا علاّم الغيوب ، حتىٰ قست منا القلوب .

فقال : واحرّ قلباه ، واكرباه ، يا ربّاه ، يا ابن آدم ؛ تذنب ولست بنادم ، الأنبياء يبكون ، والصالحون يشكون ، تتابع المعاصي ، وتستهين بمن أخذ بالنواصي .

ويحك، كيف تلعب بالنار، وتستهين بالجبار؟! يغذيك ويعشّيك، ويُقعدك ويمشيك، ثم تنهض علىٰ عصيان أمره ، مع علوِّ قدره ، وعظيم قهره ؟!

ويلك ، هٰذا الملك كسر ظهور الأكاسرة ، وقصّر بالموت آمال القياصرة ، وأرغم بالجبروت أنوف الجبابرة .

الروح الأمين ، وَجِل مسكين ، من خوف القويّ المتين ، ومحمد يتهجّد ويتعبّد ، وهو الذي دعا كل موحِّد ، ومع هٰذا يتوعّد ويهدّد ، من ركن لكلّ كافر وملحد .

أين عقلك يا مغرور ؟ هل نسيت يوم العبور ، وساعة المرور ؟

كل طائر من خوفه يخرُّ صريعاً ، وكل كاسر يئن من خشيته وجيعاً .

أبو بكر انتفض من خوفه كالعصفور ، وصار صدره بالنشيج يفور ، وسقط الفاروق من الخشية على الرمال ، حتىٰ حُمِل علىٰ أكتاف الرجال ، وبقي ذو

النورين ، من منظر القبر يبكي يومين ، وهـٰذا علي بن أبي طالب دموعه من التذكر سواكب .

كان عمر بن عبد العزيز ، يرتعد ولصدره أزيز ، ويقول : يا قوم ؛ اذكروا صباح ذلك اليوم .

ويلك ، والله ؛ لو أن القرآن نزل علىٰ صخر . . لتفجر ، ولو هبط علىٰ حجر . . لتكسر ، وتقرؤه وأنت لاهٍ ساه ، تتفكّر في المنصب والجاه ، كأن الليالي لا تطويك ، والكلام لا يغْنيك ، تدفن الآباء والأجداد ، وتفقد الإخوة والأولاد ، وأنت ما زلت في إصرار وعناد ، سبحان الله! تغترّ بالشباب ، وتزيّن الثياب ، وتنسىٰ يوم يُهال عليك التراب .

لا تغفل ذكره ، ولا تنسَ شكره ، ولا تأمن مكره ، هو الذي عفّر بالطين ، أنف فرعون اللعين ، وفرّق جنوده أجمعين .

مساكن من عصاه قاع قرقر ، بعد ما أرسل عليهم الريح الصرصر ، إذا غضب . . دمر المنازل علىٰ أهلها ، وسوّىٰ جبالها بسهلها .

شابَ رأسُك ، وما خفّ بأسك ، وما زال في المعاصي فأسك .

ما لك ما تردّك الآيات ، ولا تزجرك العظات ، ولا تتذكر الأموات ، مصرٌّ مستكبر ، تركب كل أمر منكر ؟!

سمع ابن وهب آية : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ ﴾ ، فسقط مغشياً عليه في الدار ، ثم مات في آخر النهار .

سمع عمر ، بعض السور ، فطرح دُرّته وانقعر ، فبقي مريضاً لشهر ، وصارت دموعه كالنهر .

قرأ سفيان (سورة الزلزلة) ، فسُمع له ولولة ، كأنها أصابت مقتله .

بعض الصقور تسقط من السماء ، وإن من الحجارة لما يشقّق فيخرج منه الماء ، وأغميَ من الخشية علىٰ كثير من العلماء .

ويحك ، خَفْ ربك ، وراجع قلبك ، واذكر ذنبك ، موسىٰ خرّ من الخوف مغشياً عليه مصعوقاً ، ويوشع صار قلبه من الوجل مشقوقاً ، وبعضهم أصبح وجهه من الدموع محروقاً .

كيف تصبح وتمسي ، والرسل كل ـ إلا محمداً ـ يقول : نفسي نفسي ؟!

أعجبتك الدور والقصور يا مغرور ، ونسيت القبور ، ويوم النشور ، يوم يحصّل ما في الصدور .

والذي نفسي بيده، ما تساوي الدنيا فتيلة، ولا تعادل في القبر فزع أول ليلة، يوم تطرح فيه وليس لك حيلة، استنفِق ما لَك ، وراجع أعمالك ، وزن أقوالك .

خطك الشيب ، وما تركت العيب .

تشاهد المصارع ، وتسمع القوارع ، وتنهال عليك الفواجع .

تنسى الرب ، يا ميّت القلب .

الصحابة من الخوف مرضىٰ ، وطلحة ينادي : اللهم ؛ خذ من دمي حتىٰ ترضىٰ ، ما شاء الله ما تحضر صلاة الفجر ، ولا تطمع في الأجر ، وجعفر تقطعت بالسيوف أوصاله ، وارتفع بالفرح تهليله وابتهاله .

ويلك، أنت مهموم بالقرش، والفرش، والكرش، وسعد يهتز لموته العرش.

تهاب الوضوء إذا برد الماء ، وحنظلة غُسل قتيلاً في السماء .

تعصي حي على الفلاح ، ومصعب بن عمير قدّم صدره للرماح .

ما تهتز فيك ذرة ، والموت يناديك في كل يوم مئة مرة .

والله؛ لو أن في الخشب قلوباً . . لصاحت، ولو أن للحجارة أرواحاً . . لناحت.

يحن المنبر للرسول الأزهر ، والنبي الأطهر ، وأنت ما تحن ولا تئن ، ولا يضج بكاؤك ولا يرن .

لو مُتَّ . . لعذرناك ، وفي قبرك زرناك ، ولكنك حيٌّ تأكل وتشرب ، وتلهو وتلعب ، وتغني وتطرب .

بعض الصالحين أتىٰ لينام ، فترك الفراش وقام ، وأخذ ينوح كما تنوح الحمام ، قالوا : ما لك ؟ قال : تذكرت ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ ، وهـٰذه الآية كافية .

سعيد بن المسيّب ، الإمام المحبب ، والزاهد المقرب ، ذهبت عينه من كثرة الدموع ، واصفر وجهه من الخشوع ، وهو ما بين سجود وركوع .

يزيد بن هارون ، الإمام المأمون ، عمي من البكاء ، فما أَنَّ ولا اشتكىٰ ، فقالوا له : ما فعلت عيناك الجميلتان ؟ فقال : أحتسبهما عند الواحد الديّان ، أذهبهما بكاء الأسحار ، وخوف الواحد القهار .

والله ؛ إن فينا علّة ؛ ننام الليل كلّه ، كأنا لسنا من أهل الملّة .

الملَك حمل الصُّورَ لينفخ ، والملائكة تكتب عليك وتنسخ ، وأنت بالذنوب ملطّخ ، ما تبكي لك مقلة ، كأنك أبله .

كان ابن المبارك من البكاء يخور ، كأنه ثور منحور .

وابن الفضيل يموت في الصلاة ؛ لأنه سمع من الإمام قرآناً تلاه .

ترك ابن أبي ذئب القيام لأمير المؤمنين ، وقال : ذكرت ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

كان ميمون بن مهران ، كأن عينيه نهران ، حفر له في البيت قبر ، إذا رآه . . فكأنه يُنقر في قلبه نقر ، يا ويلاه ؛ القبر القبر .

يقول أحد السلف : يا مغرور ؛ إن كنت تظن أن الله لا يراك ، وتفعل هٰذه الأفعال . . فأنت شاكّ ، فما أغرّك وألهاك ؟! وإن كنت تعلم أنه يبصر أفعالك ، ويحصي أعمالك ، ويراقب أقوالك ، ثم تتجرَّأ علىٰ محارمه ، وتستهين بمعالمه . . فقد سُلب قلبُك ، وأُخذ لُبّك .

ابن تيمية يمرغ وجهه في التراب ، وينادي : يا وهّاب ، يا فاتح الأبواب ؛ الطف بنا ساعة الحساب ، وأنت ميّت الإرادة ، ظاهر البلادة ، عريض الوسادة .

الملائكة يسبِّحون الليل والنهار لا يسأمون ، ويذكرون ربهم ولا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولم يعملوا سيئات ، ولم يقترفوا خطيئات، ولم يرتكبوا موبقات، ونحن أهل العصيان، والتمرد والنكران، ومع هٰذا ترانا لاعبين ، وفي طرق اللهو ساربين ، ولِكأس الغفلة شاربين .

الأمر فصل ، وجِدٌّ ليس بالهزل ، يومٌ قمطرير ، شرُّه مستطير ، تكاد القلوب منه تطير ، تذهل المرضعة عما أرضعت ، وتُسقط الحامل ما حملت ، وترىٰ كل نفس ما عملت ، الخلائِق تضيق نفوسهم ، الولدان تشيب رؤوسهم .

أراد علي بن الحسين أن يلبي على الراحلة ، فسقط من الخوف بين القافلة ، فلما أفاق . . قال للرفاق : أخشىٰ أن أقول : لبيك ، فيقول : لا لبيك ولا سعديك ، مع أنه زين العابدين ، وريحانة المتهجدين ، لكن القوم عرفوا ربهم ، فبكوا ذنبهم ، وجمعوا خوفهم وحبهم .

فيا صاحب العين التي لا تدمع ، والنفس التي لا تشبع ، والقلب الذي لا يخشع ؛ إلىٰ متىٰ تؤجِّل التوبة ، أما لك أوبة ؟!

العمر قصير ، والشيب نذير ، والدار جنة أو سعير .

نراك تضحك كأنك أتاك أمان ، من الملك الديان ، ما لك لا تحزن ؟! هل عبرت الصراط حتىٰ تأمن ؟! الندم علىٰ ما فرطت أحسن .

يا مسكين ؛ إبراهيم الخليل ، وهو النبي الجليل ، بكىٰ ذنبه ، ودعا ربه ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ ، فكيف بنا نحن المذنبين ؟ خلقك فسوّاك ، وأطعمك وسقاك ، وآواك وكساك ، ثم تعصيه وهو يراك !

أحسن ماء دموع التائبين ، أعظم حزن حزن المنيبين ، وأهنأ نعاس نعاس المتهجدين ، أجمل لباس لباس المحرمين .

ما ألذ جوع الصائمين! ما أسعد تعب القائمين! ما أكرم بذل المتصدقين!

أين المباني والمغاني ؟ أين الغواني والأغاني ؟ أين الأفراح والتهاني ؟ أين من شاد وساد ؟ أين ثمود وعاد ؟ أين ساسان ، وقحطان ، وعدنان ، وفرعون ، وهامان ؟ أين مُلْك سليمان ؟ أين أصحاب الأكاليل والتيجان ؟ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ ، والطَّول والإنعام .

أما زرت المقابر ؟ أما هالتك تلك المناظر ؟ أما رأيت القوم صرعى ؟ والدود في عيونهم يرعى ؟ عن الحديث سكتوا ، وعن السلام صمتوا ، الظالم بجانب المظلوم ، والمنتصر بجانب المهزوم ، والضعيف مع الأمير ، والغني مع الفقير ، وانظر إلى المغمور والمشهور ، والغالب والمقهور ، ذهب الحُسْن والجمال ، والجاه والمال ، وبقيت الأعمال ، أموات يتجاورون ، ولا يتزاورون .

* * *

ثورة الكلام

* هٰذه بنات فكر ضمرت مرائرها ، وسرحت ضفائرها ، سموها ما شئتم : مقامات أدبية ، أو صولات خطابية ، إلياذة أو ملحمة ، المهم أنني آمن بأفكارها ، وتبطنت أسرارها ، فإن كنتم منهم . . حصل الاتفاق ، وإلا . . فالسماع يكفي ، والقراءة تشفي .

* نحن أمة تسأل عن دم البعوضة ، وتهريق دم الحسين ! !

* لبست قمص المثنى بن حارثة ، وفي يدها حربة بابك الخرمي .

* حج محمد عليه الصلاة والسلام ، ليقول للحجاج : (**أنا كأفقركم!**) ففهمها الفطناء ، لكن أبا جهل ما حضر الموقف!

* عرب بلا عمر ، وأكراد بلا صلاح الدين ، وترك بلا فاتح ، وأفارقة بلا بلال ، لا قيمة لهم .

* جسم الأمة كله جراح يوم عرفة ، جؤار البوسنة والهرسك أخجل أهل الموقف ، وخلاف الأفغان أزعج المحرمين ، وضياع بيت المقدس نكس رؤوسنا عند الصخرات .

* من لم تنفعه عينه ، لم تنفعه أذنه ، ونحن كذبنا ما سمعناه بآذاننا ، وقد رأيناه بعيوننا .

لَقَـدْ نَصَحَتْـكَ عَيْنُـكَ فِـي نَهَـارٍ ... مِـنَ ٱلتِّبْيَـانِ حَتَّـىٰ سَـالَ مَـاهَـا

* حج عمر فأنفق عشرين درهماً ، وقد ختم بالرق علىٰ عنق كسرىٰ

وقيصر ، وقد حججنا ندوس الحرير ونستخشن الديباج ، ونحن نسبح للرق في أدبار الصلوات!!

أَمَّـا ٱلْخِيَـامُ فَـإِنَّهَـا كَخِيَـامِهِـمْ   وَأَرَىٰ رِجَالَ ٱلْحَيِّ غَيْرَ رِجَالِهَا

* صحن طعامنا مكسور ؛ لأنه ما صنع في المدينة ، وخيمتنا ممزقة ؛ لأن أطنابها مستورة ، ونسينا ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ .

* نحن ثلاثة حجاج ضاع رابعنا !

حاج في عرفة ، وماله في البنك الربوي ، وحاج في مزدلفة ، ولكنه بات مع نغمة ووتر ، وحاج رمى الجمرات ، وأشعل في قلوبنا الجمرات ، والرابع أشعث أغبر ، رفعت دموعه إلى العرش .

لاَ تَسَلْ عَنْ خَلَدِي قَدْ ضَاعَ مِنِّي   عُـدَّنِي فِي زَحْمَتِـي أَوْ عَـدِّ عَنِّـي

* عشق بلال الجنة ، فأمهرها ركعتين مع كل وضوء ، فسمع صاحب العقد دفي نعليه بباب المخطوبة ، فعرف أن ليلة العرس حانت :

أَلَـمْ تَـرَ أَنِّـي كُلَّمَـا زُرْتُ زَيْنَبـاً   وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

وقصر بلال تلوح عليه أحرف : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وعشق أبو جهل النار ، فصعبت عليه لا إلـه إلا الله ؛ لأن نافخ الكير تزكمه نفحة المسك .

قيل لأبي جهل : قد أقام بلال الصلاة ، فصل وراء الإمام ، فقال : لست علىٰ وضوء ، فمات قبل أن يصلي .

قيل لأبي جهل : لماذا تدخل النار ؟ قال : لأني عاشق!

لاَ تلُمْنِي فِي هَوَاهَا وَٱلْجَوَى فَأَنَا مِنْ لَوْمِكُمْ فِي صَمَمِ

صاح في وجه أبي جهل لسان القدر : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ .

* أبو مسلم الخراساني عشق الإمارة حتى الثمالة ، فعاش من أجلها وهاش، وسكر من حبها وطاش ، وبقر بطون المساكين بالخنجر ، فبقر بطنه أبو جعفر .

كُلُّ بَطَّاحٍ مِنَ ٱلنَّا سِ لَهُ يَوْمَاً بَطُوحُ

تعلق بغير الله ، فعلقه أقرب الناس إليه من قدميه ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ .

أبعَيْنِ مفتقرٍ إليكَ نظَرْتَ لي فأهنتَنِي وقذفتَنِي من حالقِ

لستَ المَلُومَ أنا المَلُومُ لأنَّني علَّقتُ آمالي بغيرِ الخالقِ

جعل الرياسة تميمة في عنقه ، وقد قال المعصوم عليه الصلاة والسلام : « من علق تميمة . . فقد أشرك » .

* عشق أبو مسلم الخراساني المنصب فما تراجع عنه ، والتراجع حرام عند العاشقين .

* مات الجعد بن درهم في حب البدعة ، فما أحسّ للذبح في هوى المحبوب ألماً ، فلماذا يألم أهل السنة من الذبح في حب السنة ، والله يقول : ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ ؟!

سَقَيْنَاهُمُ كَأْساً سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّنَا كُنَّا عَلَى ٱلْمَوْتِ أَصْبَرا

خرج خالد القسري على الجعد بن درهم بالسكين ، فما تاب المسكين ؛ لأنه عاشق ، والعاشق يقول :

وَٱللَّهِ لَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لأَهْجُرَهَا لَسَارَ نَحْوَ هَوَاهَا فِي ٱلْحِمَىٰ رَاسِي

الجعد بن درهم : ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً .

* صاح النذير لأبطال السنة بلسان : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ . فما أحسّوا لمسّ حسّا!

* تحدىٰ أحمد ابن حنبل الدنيا في حب مبدئه الحق ، فتكسرت السياط على البساط ، وأبو عبد الله يضحك في وجوه المنايا ، والوحي يهتف به : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ ؛ ليعلم أحمد أن المتوكل سوف يتولىٰ ، والمعتصم يموت .

* في قاموس أحمد ابن حنبل : حديث قدسي : (وعزتي وجلالي ما اعتصم بي أحد فكادت له السماوات والأرض إلا جعلت له من بينها فرجاً ومخرجاً) .

أراد أهل البدعة أن يصرفوه عن الحق فما انصرف ؛ لأن أحمد ممنوع من الصرف!

عَجباً كَيفَ شَرِبْتُ ٱلْمَوْتَ شُرْبَا ... وَجَعَلْتُ ٱلسَّيْفَ لِلْعَلْيَاءِ دَرْبَا
عَجَباً كَيْفَ تَحَدَّيْتُ ٱلْمَلاَ ... وَسَقَيْتُ ٱلرُّمْحَ حَتَّىٰ صَبَّ صَبَّا

كنا أطفالاً نسمع بأحمد ابن حنبل ، فحسبناه مفتياً في الزوايا ، فلما كبرنا . . علمنا أنه معلم جيل ، وشيخ حياة .

* عشق الدماء الحجاج بن يوسف ، كما عشقت امرأة العزيز يوسف ، فجرد السيف على الملة ، فشقي بسعيد ، وكسر بابن جبير منارة الدين .

الرجل محنط في الدماء ، فما سمع من سكاره : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ .

* أحد الفنانين رقص على نغمة :

أَخْبِرُوهَا إِذَا أَتَيْتُمْ حِمَاهَا   أَنَّنِي ذُبْتُ فِي ٱلْغَرَامِ فِدَاهَا

وتراقصت أطراف جعفر الطيار على زمجرة :

يَا حَبَّذَا ٱلْجَنَّةُ وَٱقْتِرَابُهَا   طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا

طارت روح جعفر إلى الجنة ، فأعطاه مولاه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء ، والذي يطير أعظم ممن يسير .

نَطِيرُ إِلَيْكَ مِنْ شَوْقِ ٱلْحَشَايَا   وَبَعْضُ ٱلنَّاسِ نَحْوَكُمُ يَسِيرُ

* حمل أبو بكر الصديق الصدق فصار في قافلة : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ ، فسمي الصديق ، فلا يعرفه العالم إلا (**بالصديق**) ، وصار خليفة الصادق المصدوق .

وحمل مسيلِمة الكذاب رداء الكذب ، فهو في زنزانة ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، فلا يعرف مسيلمة إلا (**بالكذاب**) .

أراد خالد بن الوليد أن يداوي مسيلِمة الكذاب من الكذب ، فما نجع الدواء ، فقطع رأسه ، ليزول الألم بالكلية!!

عشاق الصدق كثير يموتون من أجله ، وعشاق الكذب أكثر يقتلون تحت نعليه!

* جرحت إصبع رسولنا صلى الله عليه وسلم ، فسال الدم الطاهر فقال :

هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ   وَفِي سَبِيلِ ٱللهِ مَا لَقِيتِ

لأن من قرب روحه للرحمٰن . . لا يحزن على إصبعه ، ومن انتظر أن يسيل دم ظهره . . لا يبكي على دم ظفره .

* حرام بن ملحان طعن بالرمح من قفاه ، فأخذ من دم صدره ، ورش

القاتل وهو يقول : فزت ورب الكعبة! شهد له دمه أنه محب ، وأقام دليل المحبة ، فسلوا رمح القاتل ، « فالبينة على المدعي ، واليمين علىٰ من أنكر » .

يأتي حرام بن ملحان يوم القيامة ، وكلمه يدمىٰ ، الريح ريح المسك ، واللون لون الدم .

تَضُوعُ أَرْوَاحُ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمُ ... عِنْدَ ٱلْقُدُومِ لِقُرْبِ ٱلْعَهْدِ بِٱلدَّارِ
ٱلشِّيحُ وَٱلْكَادُ وَٱلرَّيْحَانُ قَدْ عَقَبَتْ ... يَا مَوْقِدَ ٱلنَّارِ أَطْفِىءْ شُعْلَةَ ٱلنَّارِ

* دخل المهدي خليفة بني العباس المسجد ، والعلماء جلوس ، فلما رأَوه . . قاموا ، وقعد ابن أبي ذئب ؛ لأن الذئاب لا تقوم للثعالب ، فقال له : لمَ لم تقم لي ؟ قال : كدت أفعل ، فذكرت : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ، فتركت القيام لذاك اليوم ، فقال الخليفة : اجلس ؛ فقد أقمت شعر رأسي!

فقامت الدنيا لابن أبي ذئب ؛ لأنه ما قام ، والقيام مع القدرة ، ولا قدرة لمن يدّخر قيامه لمولاه!

* مد سعيد الحلبي رجله في المسجد ، فدخل السلطان عليه فما رد رجله ، فأعطاه مالاً ، فقال سعيد : إن الذي يمدّ رجله لا يمدّ يده ، ولو مد سعيد يده . . لقطع السلطان رأسه!

أَنَا لاَ أَرْغَبُ تَقْبِيلَ يَدٍ ... قَطْعُهَا أَحْسَنُ مِنْ تِلْكَ ٱلْقُبَلْ
إِنْ جَزَتْنِي عَنْ صَنِيعِي كُنْتُ فِي ... رِقِّهَا أَوْ لاَ فَيَكْفِينِي ٱلْخَجَلْ

* الكافر يولد مرة ، ويموت مرتين ، والمؤمن يولد مرتين ، ويموت مرة ، الكافر : جثماني بليد ، والمؤمن : روحاني مجيد .

* الهدهد أذكىٰ من فرعون ؛ لأن الهدهد أنكر علىٰ بلقيس سجودها

للشمس ، وفرعون يقول : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ !!

رزق الهدهد يُخبئه في الأرض ، فلما عرف ربه.. قال : ﴿ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

أحب الهدهد رب العالمين ، فأتىٰ سليمان من سبأ بنبأ يقين ، وفرعون مهين ، دس أنفه في الطين!

الهدهد آمن في الرخاء ، فنفعه إيمانه في الشدة ، وفرعون كفر في الرخاء ، فما نفعه إيمانه في الشدة ، بل قيل له : يا فتان ، الآن فات الأوان .

قَدْ مَضَى ٱلرَّكْبُ وَخُلِّفْتَ لِوَحْدِكْ فَٱبْكِ مَا شِئْتَ وَلاَ تَأْنَسْ بِرُشْدِكْ

* عبد الدينار يرِد النار ، كلما كثرت دراهمه.. دار همه .

إمامه : قارون ، خرج في زينته ، فدفن في طينته!

صاح متكبراً : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ ، قيل له : عندك أو عندنا ؟ هيا إلى الدور الأرضي ، وخذ دارك معك! ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ ﴾ ؟!

* دراهم أبي بكر ختمت بـ ﴿ يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ ، ودراهم أمية بن خلف عليها ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ !

أعطي أبو بكر حلة ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ ، وألبس أمية قميص ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ .

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْيَزِيدَيْنِ فِي ٱلنَّدَى يَزِيدِ بْنِ عَمْرٍو وَٱلْأَغَرِّ ابْنِ حَاتِمِ
فَهَمُّ ٱلْفَتَى ٱلْأَزْدِيِّ إِتْلاَفُ مَالِهِ وَهَمُّ ٱلْفَتَى ٱلْقَيْسِيِّ جَمْعُ ٱلدَّرَاهِمِ
فَلاَ يَحْسَبِ ٱلتَّمْتَامُ أَنِّي هَجَوْتُهُ وَلَكِنَّنِي فَضَّلْتُ أَهْلَ ٱلْمَكَارِمِ

* سمع حنظلة مؤذن الجهاد في أحد ، وعليه جنابة ، فطار إلىٰ سيفه ، وصب دمه مع دماء الأبرار ، وقدم لحمه مع لحوم الأخيار ، هـٰذه الكتائب

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ .

يا حنظلة ؛ ثمار شجرك ما حنظل ، وحب زرعك قد سنبل ، قبل أن تدخل الجنة تغسل :

أَمْلَاكُ رَبِّي بِمَاءِ ٱلْمُزْنِ قَدْ غَسَلُوا ... جُثْمَانَ حَنْظَلَةٍ وَٱلرُّوحُ تُخْتَطَفُ
وَكَلَّمَ ٱللهُ مِنْ أَوْسٍ شَهِيدَهُمُ ... مِنْ غَيْرِ تَرْجَمَةٍ زِيحَتْ لَهُ ٱلسُّجُفُ

* تلاميذ عبد الله بن أُبَيّ يحفظون : ﴿ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ ، وينسون : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، فيسرقون لقمة العيش من على الشفاه!

ومداوي الداء بالداء ، أعلّه وما شفاه .

* عبد الله بن أُبَيّ ، فاكهته : لحوم الصحابة ، ومصحفه : الربابة ، سهامه طائشة ؛ لأن الصيد عائشة :

أَتَدْرِي مَنْ رَمَيْتَ وَكَيْفَ تَدْرِي ؟ ... فَمَا أَعْمَاكَ عَنْ شَمْسٍ وَبَدْرِ
رَمَيْتَ ٱلْفَجْرَ بِٱلْبُهْتَانِ كَيْداً ... وَنُورُ ٱلْحَقِّ مَحْفُوفٌ بِفَجْرِ

* درسنا قصة (طه والطبلة) فألهانا طه عن : ﴿ طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ . والذي حفظ قصة الطبلة خرج أبله! وقيم المدرسة أرقم ؛ لأنه ألغىٰ منهج دار الأرقم بن أبي الأرقم .

* صاح أنس بن النضر : إني لأجد ريح الجنة من دون أحد ، فقتل علىٰ مبدأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

بحثت عنه أخته ، فما عرفته إلا ببنانه ؛ لأن داخل الجنة يحتاج إلىٰ شهود ، وقد كتبوا شهادتهم بخطوطهم علىٰ جسم أنس ، فكل جرح يقول : ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ .

* قالوا لأحد المنافقين : جاهد لتؤجر ، قال : أخاف بنات بني الأصفر ، قيل له : تضحك علىٰ من ؟ ونزلت فتوىٰ : ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ ، فضحهم الوحي ، فسجلاتهم مكشوفة ، وأسماؤهم معروفة .

وقال أحدهم : أنا لا أخشىٰ بنات بني الأصفر ، لكن لا تنفروا في الحر ، فما أصبح الأمر سراً ، ﴿جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ .

تَفِـرُّ مِـنَ ٱلْهَجِيـرِ وَتَتَّقِيـهِ   فَهَـلاَّ مِـنْ جَهَنَّـمَ قَـدْ فَـرَرْتَـا
وَتُشْفِـقُ لِلْمُصِـرِّ عَلَـى ٱلْخَطَـايَـا   وَتَـرْحَمُـهُ وَنَفْسَـكَ مَـا رَحِمْتَـا!!

* عاشق الشهادة تأتيه على الفراش : « من سأل الله الشهادة بصدق.. بلغه الله منازل الشهداء وإن مات علىٰ فراشه » ؛ لأن الحب يفتت الأكباد ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .

نَسِيتُ فِي حُبِّكَ ٱلدُّنْيَا وَمَا حَمَلَتْ   وَبِعْتُ مِنْ أَجْلِكَ ٱلأَنْفَاسَ وَٱلنَّفَسَا

* درس الطلاب « التدمرية » لابن تيمية ، فنجح عشرون في المية ؛ لأنها تدمر كل شرك بأمر ربها ، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ .

* كان ابن تيمية يعلم الشباب ، فسجنه الحجاب ، ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ .

* هل سمعت أنشودة شيخ الإسلام ؟ ولكنها من الشعر المنثور ؛ لأن العبيد لا يفهمون إلا الشعر الحر .

أنا جنتي وبستاني في صدري ، أنَّىٰ سرت فهي معي ، أنا قتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة ، وسجني خلوة .

كتب القصيمي عن ابن تيمية في « صراع بين الإسلام والوثنية » ، لكن ابن تيمية أصيل ، والكاتب عميل ؛ لأنه وارد بترومكس ، ومن فصيلة كارل

ماركس ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ .

واحسرتاه على السبورة ، والطبشورة ، والملعب ، والكورة .

أَأَشْقَىٰ بِـهِ غَـرْسـاً وَأَجْنِيـهِ ذِلَّـةً إِذاً فَٱتِّبَاعُ ٱلْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي ٱلنُّفُوسِ لَعُظِّمَا

* قال الحجاج لعجوز : والله ؛ لأقتلن ابنك ، قالت العجوز : لو لم تقتله . . مات ! وهـٰذا من ذكاء العجوز ، ولكن الظلمة لا يفهمون الرموز ! ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ ﴾ .

* أرسلنا شاعرنا في المربد ليغرد فعربد ، ظننا أنه بالدين سوف يجول ويصول ، فذهب قليل الحياء يسب الرسول .

نبهّناه فما أدرك ؛ لأن الرجل مجمرك : ﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ .

* شعراء مدحوا صدام قبل الغزو ، وذموه بعده ، قلنا : كشفناكم يا أوباش ، « الولد للفراش » .

هـٰؤلاء لا ينفع فيهم الوعظ ؛ لأن المنافقين بعضهم من بعض .

* قاتلوا موشه ديان في حزيران ، فهربوا كالفئران ؛ لأنه لم يحضر المعركة سيف الله أبو سليمان .

وَأَطْفَأَتْ شُهُبَ ٱلْمِيرَاجِ أَنْجُمُنَا وَشَمْسُنَا وَتَحَدَّتْ نَارَهَا ٱلْخُطَبُ
وَقَاتَلَتْ دُونَنَا ٱلأَبْوَاقُ صَامِدَةً أَمَّا ٱلرِّجَالُ فَمَاتُوا ثَمَّ أَوْ هَرَبُوا

* قيل للرسمي : ألا تحج البيت العتيق ؟ فأنشد بنغمة العاشق :

حَجِّي إِلَى ٱلْبَابِ ٱلْجَدِيدِ وَكَعْبَتِي ٱلْـــبَابُ ٱلْعَتِيقُ وَبِٱلْمُصَلَّى ٱلْمَوْقِفُ
وَٱللهِ لَـوْ عَـرَفَ ٱلْحَجِيـجُ مَكَـانَنَـا مِـنْ زَنْـدَرُوزَ وَشِعْبِـهِ مَـا عَـرَّفُـوا

أَوْ شَاهَدُوا زَمَنَ ٱلرَّبِيعِ طَوَافَنَا ... بِـٱلْخَنْـدَقَيْـنِ عَشِيَّـةً مَـا طَـوَّفُـوا
زَارَ ٱلْحَجِيجُ مِنىً وَزَارَ ذَوُو ٱلْهَوَى ... جِسْرَ ٱلْحُسَيْنِ وَشِعْبَهُ وَٱسْتَشْرَفُوا
وَرَأَوْا ظِبَـاءَ ٱلْخَيْـفِ فِـي جَنَبَـاتِـهِ ... فَرَمَوْا هُنَالِكَ بِٱلْجِمَارِ وَخَيَّفُوا
أَرْضٌ حَصَـاهَـا جَـوْهَـرٌ وتُـرَابُهَـا ... مِسْـكٌ وَمَـاءُ ٱلْمُـدِّ فِيهَـا قَـرْقَـفُ

أقول لهٰذا : أما سمعت بدار قيل فيها : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ؟!

وعند ابن ماجه : « ألا مشمر للجنة ؛ فإن الجنة ـ والذي نفسي بيده ـ نور يتلألأ ، وقصر منيف ، وشجرة تهتز » .

الخُطاب كثيرون ، ولكن المهر غالٍ .

من صفات الخاطب : أن يرنم في السَّحر ، وكثير من الخطاب ينام عن صلاة الفجر .

ومن صفاته : أن يقدم مهجته حلية للخطوبة ، وبعضهم يبخل بدرهمه!

ثَمَـنُ ٱلْمَجْـدِ دَمٌ جُـدْنَـا بِـهِ ... فَـٱسْـأَلُـوا كَيْـفَ دَفَعْنَـا ٱلثَّمَنَـا
وَٱسْأَلُوا مَاذَا فَعَلْنَا فِي ٱلْوَغَى ... يَـوْمَ هَـالَ ٱلْهَـوْلُ فِينَـا وَدَنَـا

الذبح للعاشق في سبيل معشوقه : برد وسلام .

* ذكر المجد في « المنتقىٰ » : أن رسولنا صلى الله عليه وسلم لما أراد أن ينحر الإبل في منىٰ . . تسابقت إليه ؛ أيتها ينحر أولاً ، فمن أخبر البعير ، أن صاحب الحربة هو البشير النذير ، والسراج المنير ؟!

ما خرت الإبل وهو ينحر وما استقرت ، بل دنت وأقبلت ؛ لأن التولي يوم الزحف حرام .

وَيَقْبُحُ مِنْ سِوَاكَ ٱلْفِعْلُ عِنْدِي ... وَتَفْعَلُـهُ فَيَحْسُـنُ مِنْـكَ ذَاكَـا

عَلَىٰ عَمْدٍ مِنَ ٱلتَّـوْفِيـقِ قِـدْمـاً   أَحَبَّـكَ مَـنْ أَحَبَّـكَ فَـٱصْطَفَـاكَـا

* خطب صاحب المنهج العظيم رسولنا الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، في جنوده في بدر ، فأخبرهم أن بينهم وبين الجنة القتل فمن يقتل . . يدخل ، ومن يذبح . . يفلح .

فقام عمير بن الحمام ، ورمىٰ بالتمرات ، ولسان الحال يقول : خذوا تمركم ، فالغداء هناك ، وإجابة الدعوة واجبة ، ومن لم يجب الدعوة . . فقد عصىٰ أبا القاسم صلى الله عليه وسلم ، وكيف يجيب الأمر من ألهاه التمر ؟

لله دَرُّكَ وَٱلــرَّدَىٰ مُتكَــالِــبُ   وَٱلْمَشْـرَفِيَّـةُ تَسْحَـقُ ٱلأَبْطَـالاَ
وَوَقَفْتَ تَخْطُبُ وَٱلرُّؤُوسُ تَطَايَرَتْ   أَسُقِيْـتَ رَاحَ ٱلْعِـزِّ حَتَّـىٰ سَـالاَ

* حضر محمد بن حميد الطوسي القتال مع الروم ، فوقف يقطع رؤوسهم من الفجر إلى الظهر ، وما أحسن الذبح على الطريقة الإسلامية .

فر أصحابه فخجل أن يفر ؛ لأن صاحب الشريعة لا يفر ، فتكسر سيفه ، ومال رأسه ، فكفنه أبو تمام بقصيدته الخالدة :

لَقَدْ مَاتَ بَيْنَ ٱلضَّرْبِ وَٱلطَّعْنِ مِيتَةً   تقَومُ مَقَامَ ٱلنَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ ٱلنَّصْرُ
تَرَدَّىٰ ثِيَابَ ٱلْمَوْتِ حُمْراً فَمَا أَتَى   لَهَا ٱللَّيْلُ إِلاَّ وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
ثَوَىٰ طَاهِرَ الأَرْدَانِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ   غَدَاةَ ثَوَىٰ إِلاَّ ٱشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

* وقف القائد صلى الله عليه وسلم أمام الكتيبة ، فسل السيف وقال : « من يأخذ هـٰذا السيف مني ؟ » ، فكلهم رفع يده ، وظنوا السيف جائزة ، فقال : « من يأخذه بحقه ؟ » ، فعلموا أن في المسألة سِرّاً فتوقّفوا ، وألحّ أبو دُجانة في الطلب ، وسأل القائد : ما حق السيف ؟ قال : « أن تضرب به في الأعداء حتىٰ ينحني » فأخذ أبو دجانة يعدل به رؤوس الضلال ، مرة في

اليمين ، ومرة في الشمال ، ينشب السيف في الجماجم فيهزّه هزّا ؛ لأن في الجمجمة مسامير اللات والعزىٰ .

أخرج عصابته الحمراء من الجلباب، فصاح الناس : خطر ممنوع الاقتراب .

وَمَنْ تكُنِ ٱلأُسْدُ ٱلضَّوَارِي جُدُودَهُ   يَكُـنْ زَادُهُ رِفْـداً وَمَطْعَمُـهُ غَصْبَـا
فَحُبُّ ٱلْجبَانِ ٱلعَيْشَ أَوْرَدَهُ ٱلبَقَا   وَحُبُّ ٱلشُّجَاعِ ٱلْمَوْتَ أَوْرَدَهُ ٱلْحَرْبَا

* عندنا أعظم ميراث عرفه التاريخ ، وأكبر ثورة رأتها الدنيا ؛ عندنا متون من الوحي ما اختلطت بالطين ؛ لأنها من رب العالمين ، لكن الطلاب كسالىٰ ، المرعىٰ أخضر ، لكن العنز مريضة ، وثيقتنا كتبت من أربعة عشر قرناً ، خطب بها علىٰ منابر المعمورة ، وصلي بها في محاريب القارات ، وأذن بها علىٰ منائر الكون :

وَٱلْوَحْيُ مَدْرَسَتِي ٱلْكُبْرَىٰ وَغَارُ حِرَا   مِيلاَدُ فَجْرِي وَتَوْحِيدِي وَإِيمَانِي
وَثِيقَتِي كُتِبَتْ فِي ٱللَّوْحِ وَٱنْهَمَرَتْ   آيَـاتُهَـا فَـٱقْـرَؤُوا يَـا قَـوْمُ قُـرْآنِـي

معجزتنا : أن معلمنا أمّيّ أعجز البلغاء ، لا يكتب ، وقد أفحم الكتيبة ، ولا يقرأ ، ولكنه بذ القراء : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ .

* وقف في عرفة محرماً أشعث أغبر ليخاطب الدنيا ، فقال له مولاه في الموقف : ﴿ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ ، فعلم أن النعمة ليست في ناقته القصواء ، ولا في حصيره الممزق ، الذي أثر في جنبه ، ولا في درعه المرهونة عند اليهود ، ولا في الحجرين المربوطين علىٰ بطنه ، إنما نعمته : دعوته ، وحبوره : نوره ، ﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ .

* عقدة الوليد بن المغيرة في كفره بصاحب السيرة : أنه ليس له كنز ، وليس له جنة يأكل منها ، وما علم أن صاحب الكنز ، والبنز ، والجنز لا يُرشّح للعز .

تَرَكْتُ ٱلسُّرَىٰ خَلْفِي لِمَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ وَأَوْرَدْتُ قَلْبِي فِي عَظِيمِ ٱلْمَوَارِدِ

* تمزقت الأمة في العصر ، فالبعض ذبح والبعض في الأسر ، ومن نجا منا . . نسي ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ .

لِمْ ذَا ٱلتَّقَاطُعُ فِي ٱلإِسْلَامِ بَيْنَكُمُ وَأَنْتُمُ يَا عِبَادَ ٱللهِ إِخْوَانُ

صار صوت المفجوعة في عمورية ، يعبر المحيطات ، ينادي : وامعتصماه ، فوصل الصوت قبل الصورة ، فصاح المعتصم : قربوا أفراسي ، وهاتوا أتراسي ، الجنسية مسلم ، والنسل عباسي .

أحرق المدن ؛ لأن ليلة النصر تحتاج إلىٰ بخور ، وهو ممن ﴿ يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ .

فغردت كتائبه ؛ وتراقصت ركائبه علىٰ إلياذة :

أَجَبْتَ صَوْتاً زِبَطْرِيّاً هَرَقْتَ لَهُ كَأْسَ ٱلْكَرَىٰ وَلُعَابَ ٱلْخُرَّدِ ٱلْعُرُبِ

أَبْقَيْتَ جِدَّ بَنِي ٱلإِسْلَامِ فِي صَعَدٍ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَدَارَ ٱلشِّرْكِ فِي صَبَبِ

المعتصم ، أبوه : الرشيد ، وجده : ابن عباس ، فما أذعن ليوحنا ، ولا توماس ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ .

المعتصم بطل في النزال ، لكن فيه بدعة الاعتزال .

* زياد ، أمه : سمية ، يزيد بني أمية ، أنجب عبيد الله السمين ؛ ليقتل الحسين ، جنود عبيد الله هـٰذا كالعجول ، يكبرون لمقتل ابن البتول .

وَيُكَبِّـرُونَ بِـأَنْ قُتِلْـتَ وَإِنَّمَـا قَتَلُـوا بِـكَ ٱلتَّكْبِيـرَ وَٱلتَّهْلِيـلَا

* خربت خيبر ؛ لأنها بنيت علىٰ شفا جرف هار ، حجر الزاوية : كعب بن الأشرف ، وسدة الباب : بن غوريون ، والطباخة : جولدامائير ، نادى الرسول صلى الله عليه وسلم : يا علي ، قال : مرحباً ، قال : اقتل مرحباً ، يقول مرحب لعلي :

أَنَا ٱلَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي مَرْحَباً

قال لسان الحال : أمك سامرية عبدت العجل ، وأم عليّ هاشميّة لا تحبّ الدجل .

أَنَا ٱلَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَه

فتحدر رأس مرحب علىٰ سيف حيدر !

يَا أَبَا ٱلسِّبْطَيْنِ أَحْسَنْتَ فَزِدْ فِعْلُكُمْ يَا شَيْخَنَا فِعْلُ ٱلأَسَدْ
رَمِدٌ تَفْعَلُ هَـٰذَا فِي ٱلْعِدَا كَيْفَ لَوْ عُوفِيتَ مِنْ ذَاكَ ٱلرَّمَدْ ؟

بطاقة علي في الزحام : يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، وبطاقة مرحب : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾ .

* يا شباب الصحوة ؛ من لا يدعُ منكم ويؤثر . . فلا ينمنم ويثرثر ! « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ، إذا لم تصاحبنا ، فنرجوك لا تضربنا .

الذي بيته من زجاج لا يرمي بيوت الناس ، والذي يضرب العود لا يحمل الفأس .

* اللهم ؛ إنك نثرت علىٰ أهل الدنيا الدنانير ، فشروا الذمم بالدينار ، اللهم ؛ فأعطنا تاج النجاة ؛ لننجو به من النار .

* أحرقونا فقلنا : أح ، قال الصبر : هـٰذا ما يصح .

لَا تَقُلْ لِلنَّارِ أَحْ إِنْ قُلْتَ أَحَّا فَرِحَ ٱلْبَاغِي وَسَحَّ ٱلْجُرْحُ سَحَّا

* أمر الله بني إسرائيل بذبح بقرة ، فأخذوا الأمر مستهترين ، ورأىٰ رسولنا صلى الله عليه وسلم بقراً تنحر في المنام ، فنحر من أصحابه في أحد سبعون .

* سود الله وجوه اليهود ؛ قيل : اذبحوا بقرة ، قالوا : ما بقرة ؟ قيل : لا فارض ولا بكر ، قالوا : لا بد من معرفة اللون ، قيل : صفراء ، قالوا : ما سنها ؟ قيل : عوان بين ذلك ، فتلكؤوا وما كادوا يفعلون .

ومحمد عليه الصلاة والسلام ، طلب من الأنصار الحماية ، قالوا : بالأرواح ، والنصرة ، قالوا : السلاح السلاح ، قال لهم بلال العزم : حي على الصلاة ، قالوا : حي على الفلاح .

يقول خطيبهم : يا رسول الله ؛ أعط من شئت ، وامنع من شئت ، وصِل حبل من شئت ، واقطع حبل من شئت ، عسى الله أن يريك منا ما تقر به عينك! فقتل هـٰذا الخطيب ، فاهتز له عرش الرحمـٰن .

* أحدهم ذهب يتعلم في جنيف كيف يصيد الشريعة ، وصيد غير المعلَّم حرام ، لأن الله يقول : ﴿ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

عَرَفْنَاكَ يَوْمَ ٱلْجِزْعِ تَحْدُو رِكَابَنَا ... فَلَمَّا ذَهَبْنَا عَنْكَ أَشْعَلْتَهَا حَرْبَا

* الحسن بن علي ، هاشمي ، أراد الخلافة فتذكر : « إن ابني هـٰذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ، تنازل في مؤتمر القمة ؛ ليحقن دماء الأمة .

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ .

* أرسلناك تسابق على الخيل المضمرة ، من ثنية الوداع إلىٰ مسجد بني زريق ، فذهبت تتزلج على الثلوج وتصاحب العلوج ، أما سمعت ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ؟ فمنَّا أنت أم منهم ؟!

* انتصر عبد الحميد بن باديس ؛ لأنه يحب باريس ، وفضح الأمة ابن بيلا لأن زنبيله صنع في مانلا .

* زار أبو سفيان وهو مشرك ابنته رملة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما دخل البيت.. رفعت فراش المعصوم ؛ خوفاً عليه من غبار الوثنية ؛ لأن في الحديث : (لا يورد ممرض علىٰ مصح) ، والفراش الأجل لا يصلح لمن سجد لهبل .

* أدونيس أبياته من الشيطان ، وروح القدس يؤيد بالقوافي حسان ، ولذا استطاع شاعر الرسول أن يقول :

وَبِيَوْمِ بَدْرٍ إِذْ يَصُدُّ وُجُوهَهُمْ جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

* وتقيأ أدونيس بعد أن بال الشيطان في أذنه فقال : (خرافية تلك أسطورة هي الملة النحلة البائدة) .

حسان علىٰ وزن رضوان ، وأدونيس علىٰ وزن إبليس ، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب .

حسان أزدي زكي ، وطاغور مزدكي ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ .

* تركيا نور نسي بموت النورسي ، أتاتورك في آخر درك ، أتاتورك نجس البحيرة وأوقع الأمة في حيرة ، كسر ظهر الخلافة ، ومزق عمامة المفتي ، وهدم أعواد المنبر .

* ألقيت أنت على الناس محاضرة ، فتبجحت بها في البادية والحاضرة ، وعبد الله بن عمرو الأنصاري، وجد مقتولاً، به ثمانون طعنة فما أخبر أحداً ؛ لأن صدقة السر تطفىء غضب الرب، والمحبون يتسترون بالليل لزيارة المحبوب.

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الأَعْرَابِ دَاهِيَةٍ أَدْهَىٰ وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ

أَزُورُهُمْ وَظَلاَمُ ٱللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي   وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ ٱلصُّبْحِ يُغْرِي بِي

* تصدقت أنت للبوسنة والهرسك بخمسين ريالاً ، وتمنيت بها على الله الأماني ، وخالد بن الوليد احتبس أدرعه وأعتده في سبيل الله ، ثم أتبعها خيله ، ثم أتبعها نفسه .

* جهز عثمان جيش العسرة من جيبه ، فسمع الثمن نقداً على المنبر : (اللهم ؛ اغفر لعثمان ما تقدم من ذنبه وما تأخر) .

يقول المترفون : أنتم متطرفون ، أنتم تهرفون بما لا تعرفون ، قلنا : هٰذا فرية ، والدليل : ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً﴾ .

* حاول صبيغ بن عسل أن يخلط في الآيات ، ويشوش في المنهج ، فضربه عمر بعصاً خضراء حتىٰ أغمي عليه ، فاستفاق ولسان حاله يقول : أصبحنا وأصبح الملك لله .

والحداثيون خلطوا في الدين تخليطاً ، ويحتاجون إلىٰ دواء كدواء صبيغ ، لكن الطبيب مات :

تَشْفِـي بِسَيْفِـكَ دَاءَ ٱلنَّـاكِثِيـنَ لَـهُ   وَتَجْعَلُ ٱلرُّمْحَ تَاجَ ٱلْفَارِسِ ٱلْبَطَلِ

* يقول فرعون لموسىٰ : ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ﴾ قلنا : وأنت يا مجرم ما فعلت شيئاً وأنت أبو الفعائل ؟ أبصرتَ القذىٰ في إناء موسىٰ ، ولم تر الجذع في إنائك .

إِذَا مَحَـاسِنِـيَ ٱلـلاَّئِـي أُدِلُّ بِهَـا   كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ

* وقفوا بعرفات ما يقارب ثلاثة ملايين ، يسألون رباً غنياً قديراً رحيماً حليماً .

أَتَيْنَـاكَ بِـٱلْفَقْـرِ يَـا ذَا ٱلْغِنَـى   وَأَنْـتَ ٱلَّـذِي لَـمْ تَـزَلْ مُحْسِنَـا

وَعَــوَّدْتَنَــا كُــلَّ فَضْــلٍ عَسَــى   يَــدُومُ ٱلَّــذِي مِنْــكَ عَــوَّدْتَنَــا
فَمَــا فِــي ٱلْغِنَــىٰ أَحَــدٌ مِثْلُكُــمْ   وَفِــي ٱلْفَقْــرِ لاَ أَحَــدٌ مِثْلَنَــا

وقصت ناقة محرماً بعرفة فقتلته ، وصاحب المنهج ، عليه الصلاة والسلام موجود ، فقال : « كفنوه في ثوبيه وجنبوه الطيب ، ولا تخمروا رأسه ؛ فإنه يبعث يوم القيام ملبياً » .

هل تأملت الصورة ؟ إذا أهل هـٰذا الميت من قبره ملبياً ، ميقاته قبره ، ومن تجاوز الميقات يريد الحج بلا إحرام . . فعليه دم ، وهـٰذا يريد الجنة ؛ لأنه مطلوب هناك ، والجواب : (لبيك اللهم لبيك) .

أَتَيْنَــاكُــمْ نَخُــبُّ ٱلسَّيْــرَ خَبًّــا   وَنَحْمِلُ فِي حَشَايَا ٱلْقَلْبِ حُبَّا
نَهِيــمُ بِبَيْتِكُــمْ شَــوْقــاً وَنَسْقِــي   بِدَمْعِ ٱلْعَيْنِ فِي ٱلْعَرَصَاتِ صَبَّا
فَهَيَّــا سَــامِحُــونَــا قَــدْ أَسَــأْنَــا   وَهَيَّــا فَــٱغْفِــرُوا يَــا رَبِّ ذَنْبَــا
تَقَــرَّبَ غَيْــرُنَــا لِسِــوَاكَ جَهْــلاً   وَنَحْــنُ لِقُــرْبِكُــمْ نَــزْدَادُ قُــرْبَــا

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ .

* بجانب هيئة الإذاعة البريطانية في لندن ، شاعر عربي قام في الصباح ينشد :

أَنْتَ ٱلْقَوِيُّ فَقَدْ حَمَلْتَ عَقِيدَةً   أَمَّــا سِــوَاكَ فَحَــامِلُــو أَسْفَــارِ
يَتَعَلَّقُــونَ بِهَـٰـذِهِ ٱلــدُّنْيَــا وَقَــدْ   طُبِعَتْ عَلَى ٱلإِيـرَادِ وَٱلإِصْدَارِ
دُنْيَــا وَبَــاعُــوا دُونَهَــا ٱلْعُلْيَــا فَيَــا   بُـؤْسـاً لِبَيْعِ ٱلْمُشْتَرِي وَٱلشَّارِي

* يا أيها الذين آمنوا ما لكم لا تنفقون من كنوز الرسالة دنانير الحكم ، وصاحب الغلة يقول : « بلغوا عني ولو آية » .

كل منكم بحسبه ، فمن لم يجد سيفاً . . فعصاً ، وافعلوا فعل علي بن عمار ،

هجم عليه الأسد ، وسيفه معلق في بيته ، ولو انتظر وصول السيف . . لوصل رأسه إلى الأرض على الكيف ، فأخذ هراوة غليظة ، وفلق بها هام الأسد ، حتىٰ يأتي المدد ، فحياه أبو الطيب فقال :

أَمُعَفِّـرَ ٱللَّيْـثِ ٱلْهِـزَبْـرِ بِسَـوْطِـهِ   لِمَنِ ٱدَّخَرْتَ ٱلصَّارِمَ ٱلْمَصْقُولاَ

* إذا لم تلق . . محاضرة فاحضرها ، وإن لم تدبج خطبة . . فكلمة ، أنفق رجل من بره ، ومن تمره ، من درهمه ، من ديناره ، من علمه ، من شعره ، من فكره، والذي لا يركب في سفينة الصحوة ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ ، فليس لهم في الغنيمة قَسم ، ولا في الخيّالة اسم ، ولا في الديوان رسم ، بعضهم حفظ المتون ، وجمع الفنون ، وكتب الحواشي ، وهو ما شي .

قلنا : علِّم ، قال : حتىٰ أتعلم ، قلنا : أجل ، درِّس ، قال : حتىٰ أؤسس ، قلنا : فهل سمعت : ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ .

قُمْ خَاطِبِ ٱلدُّنْيَا بِنَبْرَتِكَ ٱلَّتِي   عَزَفَتْ قُلُوبَ ٱلأَهْلِ وَٱلأَصْحَابِ
فَمَنَـابِـرُ ٱلتَّـوْحِيـدِ مِـنْ خُطَبَـائِهَـا   وَمَحَـافِـلُ ٱلْعَلْيَـاءِ لِلْخُطَّـابِ

* شبيب الخارجي في ستين من أصحابه هزم ثلاثة آلاف ، وكان في المعركة ينعس على البغلة من ثبات الجأش ، قلنا : دعونا من نعاس الخوارج ، فأين نعاس أهل السنة ؟ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ ، فنعاس طلحة بن عبيد الله في أحد خير من نعاس شبيب ؛ لأن طلحة : متَّبِع ، وشبيباً : مبتدع ، وطلحة : من نكاح ، وشبيباً من سفاح .

قَوْمٌ أَبُوهُم سِنَانٌ حِينَ تَنْدُبُهُمْ   طَابُوا وَطَابَ مِنَ ٱلأَوْلاَدِ مَا وَلَدُوا
لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ ٱلشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ   قَوْمٌ بِآبَائِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا

* غفار من المغفرة ، وأسلم من المسالمة ، وعصية من المعصية ، ثلاث

قبائل وافقت أسماؤها مسمياتها ، فقال المعلم : « غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله ، وعصية عصت الله ورسوله » .

وأقول : وماركس أركسه الله .

* صاحب المنهج يدرّس الطلاب ، وفي الفصل : منافقون لم يعرفهم ، فأنزل الله ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ ، فلاحظ التصرفات والتلونات ، ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ ، فلما انكشفوا . . سمع : ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ .

* أراد السلطان أن يشتري الأعمش المحدث الكبير برسالة فيها فتوىٰ لتكون حبة الطائر ، فإذا وقع في الشباك . . قيل : نصيبك ما أخطأك ، فعرف الأعمش العلة ؛ لأنه عالم بعلل الأسانيد ، وتدليس الرجال ، فأعطى الرسالة شاة عنده ، فأكلت الرسالة ، وحمّلها الخطأ ؛ لأنها تأكل الرسائل .

فَلاَ كُتْبَ إِلاَّ ٱلْمَشْرَفِيَّاتُ عِنْدَهُ ... ولا خَطَّ إِلاَّ بِـٱلْقَنَا وَٱلْقَنَابِـلِ

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

* العقيدة الإسلامية ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيت أصالتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار الشوق ، فكيف إذا اجتمع نور الفطرة ونور الاتباع ؟ ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

* قال اليهود لموسىٰ عليه السلام : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ ، وقال الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام : لو استعرضت بنا البحر . . لخضناه معك ، فقطعوا أمامه ، فكل بيت فيه قتيل :

سَعْدٌ وَسَلْمَانُ وَٱلْقَعْقَاعُ قَدْ عَبَرُوا ... ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ مِنْ سَلْسَالِهَا رَشَفُوا

فِي كَفِّكَ ٱلشَّهْمِ مِنْ حَبْلِ ٱلْهَوَىٰ طَرَفٌ ... عَلَى ٱلصِّرَاطِ وَفِي أَرْوَاحِنَا طَرَفُ

فَكُنْ شَهِيداً عَلَىٰ مَا فِي ٱلْقُلُوبِ فَمَا   تَحْوِي ٱلضَّمَائِرُ مِنَّا فَوْقَ مَا نَصِفُ

﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

* يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لعن الله اليهود ، إن الله لما حرم عليهم شحوم الميتة . . جملوه ، فباعوه ، فأكلوا ثمنه » .

وذاك يسمع الغناء ، ويقول : غناء إسلامي ، والبعيد يتناول المسكر ، ويقول : شراب روحي ، وعلام الغيوب لا يُلعب عليه ولا يُخادَع .

﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ ﴾ ، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ .

* قال الحسن البصري : يا ابن آدم ؛ خالف موسى الخضر ثلاث مرات ، ألا تخشىٰ أن يقول لك : هٰذا فراق بيني وبينك ؟!

اِغْفِـرِ ٱللَّهُـمَّ رَبِّـي ذَنْبَنَـا   ثُـمَّ زِدْنَـا مِـنْ عَطَـايَـاكَ ٱلْجِسَـامْ

لاَ تُعَـاقِبْنَـا فَقَـدْ عَـاقَبَنَـا   قَلَـقٌ أَسْهَـرَنَـا جُنْـحَ ٱلظَّـلاَمْ

* العالم ينتظر من يدعوه إلى الإسلام ، والملة تحتاج إلىٰ حملة .

* التمر مقفزي ، لكن البخل مروزي!

﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ .

* رفعوا خبيب بن عدي علىٰ خشبة الموت ، فأنشد طرباً وامتلأ عجباً ، وقال قصيدة الحبّ كل الحبّ ، فسمعها المحبون ، لكن عبدة الأصنام في سكرة يعمهون .

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً   عَلَىٰ أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي ٱللهِ مَصْرَعِي

ما يحلو الشعر إلا في المعمعة : ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ .

قال خبيب للكفار : أنظروني لحظة ، قالوا : تكتب الوصية ؟ قال لسان

الحال : لا ميراث ، لكن أصلّي ركعتين ، أراد أن يُطيلهما ، فخاف أن يوصم بالجبن ، وهو أبو الشجاعة ، رفعوه على المشنقة ، فدعا دعاء القنوت :

اللهم ؛ أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا. . . آمين .

* استحيت خزاعة من ربها أن ترد الحوض بلا بطل ، فأنجبت أحمد بن نصر الخزاعي حامل لواء السنة ، محدث بغداد ، رأى المداد يلطخ ثياب طلاب السنة ، فعزم علىٰ أن يلطخ بدمه ثياب المبتدعة ، قال له الواثق : وافق ، قال : لا يا منافق ، فنحره بالخنجر ، فوقع ميتاً لتحيا السنة .

دَمٌ أَزْكَىٰ مِنَ ٱلْمِسْكِ ٱلْمُصَفَّى   وَرُوحٌ فِـي ذَكَـاءِ الأُقْحُـوَانِ
وَتَـارِيـخٌ مِـنَ ٱلإِقْـدَامِ فَـذْمٌ   كَـأَنَّ بَـرِيقَـهُ نَصْـلٌ يَمَـانِـي

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ .

* الصدق حبيب الله .

* وصل الطعن الرقبة .

أمة دمها رخيص ، ودماء الناس غالية ، يتيمها في المحافل يبكي ، وشيخها على القديم ينوح .

تربية اللحىٰ ، وركعتا الضحىٰ : ثابتة شرعاً ، لكن نقض الميثاق ، وخلط الأوراق ، من أركان النفاق .

إذا لم تتهجّد. . فاحضر الجماعة في المسجد ، الذي يكشف صادقنا من كاذبنا : صلاة العشاء والفجر .

* أتى ابن المبارك ليشرب من زمزم ، فتذكّر حديثاً من مروياته نصه : « ماء زمزم لما شرب له » ، فقال : اللهم ؛ إني أشربه لظمأ ذاك اليوم ، فدمعت العيون!

ابن المبارك يعرف أن زمزم الوحي يشرب منه ليتشافىٰ به من العلل ، لكن من يقنع من ؟ يطلب العلاج في بروكسل بقناعة ابن المبارك :

مِنْ زَمْزَمٍ قَدْ سَقَيْنَا ٱلنَّاسَ قَاطِبَةً   وَجِيلُنَا ٱلْيَوْمَ مِنْ أَعْدَائِنَا شَرِبَا

وقال زميلي سلمان ، وأحسن أيما إحسان : زمزم في بلدي ، لكن من يقنع الناس بجدوىٰ زمزم .

تسمّع ابن المبارك صياح المجاهدين وهو يتقلب في الساجدين ، ففك لجام البغلة وهتف :

بُغْضُ ٱلْحَيَاةِ وَخَوْفُ ٱللهِ أَخْرَجَنِي   وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْسَتْ لَهُ ثَمَنَا

إِنِّي وَزَنْتُ ٱلَّذِي يَبْقَىٰ لِيَعْدِلَهُ   مَا لَيْسَ يَبْقَىٰ فَلاَ وَٱللهِ مَا ٱتَّزَنَا

ذهب إلى الشمال ، يقطع رؤوس الضلال ، فلامه الفضيل علىٰ ترك الحرم ، ولسان الحال يقول : ترك الجهاد حرام ، فكتب ابن المبارك إلياذة :

يَا عَابِدَ ٱلْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا

فتمنى المصلون عند الركن اليماني قتال الكفار بالسيف اليماني .

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ .

* شرب الخمر شارب والرسول صلى الله عليه وسلم حيّ ، فأدبه ، وقال للعُذال : « ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله » .

وإِذَا ٱلْحَبِيبُ أَتَىٰ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ   جَـاءَتْ مَحَـاسِنُـهُ بِـأَلْـفِ شَفِيـعِ

* الحديد يتمدد بالحرارة ، وينكمش بالبرودة ، والخشب يتمدد بالبرودة وينكمش بالحرارة ، وبعض الناس لا يتمدد ولا ينكمش ، ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ .

لَقَـدْ أَسْمَعْـتَ لَـوْ نَـادَيْـتَ حَيًّـا ... وَلَكِــنْ لاَ حَيَـاةَ لِمَــنْ تُنَـادِي

* أحد الرؤساء ، سجن العلماء ، ثم خطب في الدهماء وقال : أنا إمام عادل كعمر بن الخطاب ، فقال له أحد العلماء : نعم ، عمر إمام عادل ، وأنت عادل إمام!

تُقَايِسُ بَيْنَ طَلْحَةَ وَٱبْنِ سَاوِي ... رَعَـاكَ ٱللهُ مَـا هَـٰذَا ٱلتَّسَـاوِي ؟

فَطَلْحَـةُ مُشْـرِقُ ٱلطَّلَعَـاتِ بَـدْرٌ ... وَذَاكَ ٱلْجَوْرُ فِي ٱلْحَانَاتِ عَاوِ

* كلما انخفض الأسهم ، ارتفع ضغط الدم ؛ لأن الشيك مكتوب عليه « **وإذا شيك . . فلا انتقش** » ، كل شيك من رباً معه شوكة من لظىٰ ، ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ .

* علمناك (الفاتحة) تصلي بها التراويح في الليالي ، فتركتها وذهبت تغني : البارحة ما نمت مما جرىٰ لي .

الكلاب تحب الجيف ، والأُسود تأكل مما تقتل ، ومن رضي بأفكار البشر ، عن وحي رب البشر ، فبشره بسقر ، ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ .

* روى البخاري في (الرقاق) : أن علياً قال : إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن الدنيا عمل ولا حساب ، والآخرة حساب ولا عمل .

وفي ترجمة يقول : يا دنيا ؛ غُرِّي غيري ، زادك حقير ، وعمرك قصير ، وسفرك طويل ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ولقاء الموت ، يا دنيا ، طلقتك ثلاثاً لا رجعة بعدها ، وعلي لا يرىٰ نكاح المحلل ؛ لأنه راوي حديث : « لعن الله المحلل والمحلل له » .

* لما شمر عمر ثوبه في اليقظة . . جره في المنام ، والقميص في النوم ،

هو : الدين واليقين ، وأبو حفص أحد الأساطين .

نام عمر بلا حراسة تحت الشجرة ؛ لأنه خوّف الفجرة ، عدل في الرعية . . فنام في البرية .

كان في التاريخ دُرّة ؛ لأن له دِرّة ، فلله دَرّه .

* الكعبة ، وحبة القلب ، وإنسان العين ، كلها سود ، فلا عاش الحسود .

يَرُوقُ لِي مَنْظَرُ ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ إِذَا بَدَا لِطَرْفِيَّ فِي ٱلإِصْبَاحِ وَٱلطَّفَلِ
كَأَنَّ حُلَّتَهُ ٱلسَّوْدَاءَ قَدْ نُسِجَتْ مِنْ حَبَّةِ ٱلْقَلْبِ أَوْ مِنْ أَسْوَدِ ٱلْمُقَلِ

أسامة بن زيد : أسود ، وأبو لهب : أبيض ، و﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ يبيض الأول ، ويسود الثاني ؛ لأن بياض أبي لهب بهرجاني .

* ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ، في الليل إشفاق ، وفي النهار إنفاق!

النوم لذيذ ، ولكن الخوف أطاره ، وبعض العباد كان يتمنىٰ أن يطول الليل :

طَاوِلْ بِهَا ٱللَّيْلَ ضَنَّ ٱلْجَفْنُ أَوْ سَمَحَا وَمَاطِلِ ٱلنَّجْمَ مَالَ ٱلنَّجْمُ أَوْ جَنَحَا
فَإِنْ تَشَكَّتْ فَعَلِّلْهَا ٱلْمَجَرَّةَ مِنْ ضَوْءِ ٱلصَّبَاحِ وَعِدْهَا بِٱلْقُدُومِ ضُحَى

أسرار القرآن تبوح في الليل ، والخوف والرجىٰ يتسابقان في الدجىٰ .

* في « صحيح مسلم » : أن عائشة سئلت : متىٰ يقوم الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : (كان إذا سمع الصارخ . . وثب) ، تقول : وثب ، ولم تقل : قام ، وأنت عربي تعرف معنىٰ (وثب) ، والصارخ هو الديك .

يُصَوِّتُ دِيكُ ٱلْحَيِّ مِنْ حَرِّ مَا بِنَا وَيَرْثِي لَنَا ٱلْقُمْرِي وَيَبْكِي لَنَا ٱلْحَجَلْ

إِذَا مَا بَكَتْكَ ٱلطَّيْرُ فَاعْلَمْ بِأَنَّهُ ... تَقَارَبَ مِنْكَ ٱلْعُمْرُ بَلْ زَارَكَ ٱلأَجَلْ

يقول عليه الصلاة والسلام في الصحيح : « نِعم عبد الله ، لو كان يقوم من الليل » ، فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً .

إذا لم تصبر للسهر . . فركعتان عند السحر : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ ﴾ .

نحن نتحدث عن الربح ، وقد وقع النقص في رأس المال ؛ لأن من لم يحضر الفجر جماعة . . . لا يرشح لطاعة .

طالب الأمة بالفرائض قبل النوافل ، أما قيام الليل . . فلذاك الرعيل ، والخيل المضمرة تسبق التي لم تضمر .

دَعْنَا مِنَ ٱلتَّشْبِيهِ بِٱلسَّلَفِ ٱلأُلَى ... قَامُوا ٱلدُّجَىٰ وَتَقَطَّعُوا فِي ٱلْمُعْتَرَكْ

* يقول شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي : عرضت على السيف خمس مرات ، لا يقال لي : اترك مذهبك ، بل يقال : لا تتعرض للمذاهب ، فقلت : لا .

قلنا : أما أنت فما سمعنا بمثلك ، وما عندنا إلا هروي واحد ، وما سميت شيخ الإسلام إلا بعد تعب .

قالوا لتلميذ الأنصاري هـٰذا قبل أن يقتل : قل : لا إلـٰه إلا الله ، فقال : إن شيخي قال لي : إن الدابة لا تسمن في أسفل العقبة ، وصدق الأنصاري .

تريد أن تتعامل بالربا ، فإذا حشرجت النفس . . تبت .

تسمع الغناء ، فإذا حضر اليقين . . كسرت العود .

تتهاون في الصلاة ، فإذا حانت الوفاة . . أذنت .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ

ٱلْمُسْلِمِينَ * ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ .

أَتَـرْجُـو أَنْ تَكُـونَ وَأَنْـتَ شَيْـخٌ   كَمَا قَدْ كُنْتَ فِي عَصْرِ ٱلشَّبَابِ
لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ لَيْسَ ثَوْبٌ   جَـدِيـدٌ كَـٱلْخَلِيـقِ مِـنَ ٱلثِّيَـابِ

* أفتى النابلسي محدث مصر ، فقال : من عنده عشرة أسهم . . فليرم النصارىٰ بسهم ، والفاطميين بتسعة ، فغلط الجاسوس ، فرفع الخبر للسلطان وفيه : فليرم النصارىٰ بتسعة ، والفاطميين بسهم ، فاستدعى السلطان النابلسي ، وقرأ عليه الخبر ، قال : هـٰذا غلط حرفتم الفتيا ، قلت : يرمكم بتسعة والنصارىٰ بسهم ، فصاح السلطان : علي بالجزار والسكين ، فصاح النابلسي : ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ * إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ ، فأخذه يهودي ، يسلخ جلده سلخاً بالسكين ، بعد أن علقوه بقدميه ، فأخذ يسبح ربه ؛ لأنه من رواة حديث : « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة . . غفرت ذنوبه ولو كانت كزبد البحر » .

أما قلت : لن تجد أشجع من أهل السنة وقت التضحيات ؟!

السني وقت التضحية يزري بالبعثي ، والناصري ، والقومي ؛ لأن السني من سلالة أبطال بدر وأحد ، وأولـٰئك من سلالة أبطال حزيران وأيلول الأسود .

بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ   ضَرَبْتَ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ٱبْنِ ظَالِمِ
وَلَوْ كَانَ سَيفِي فِي يَمِينِكَ لَانْتَحَى   عَلَيْكَ وَلَكِن فَاتَ يَوْمُ ٱلتَّلَاوُمِ

* أطعم ابن بقية الوزير ، المساكين والفقراء ، وأكرم العلماء ، فغار منه السلطان ، واحتال عليه حتىٰ قتله وصلبه ، فلما ارتفع على الخشبة مصلوباً . . وقفت الأمة كلها بوقوفه ، فطافت به قلوب المحبين ، ونامت بغداد علىٰ أصوات

البكاء ، فترجل أبو الحسن الأنباري عن فرسه إلىٰ خشبه الصلب ، وسلم على الجثمان ، ودشنه بتلك القصيدة ، التي مَن لم يحفظها . . ففي تذوّقه للشعر نظر :

عُلُوٌّ فِي ٱلْحَيَاةِ وَفِي ٱلْمَمَاتِ ... بِحَقٍّ أَنْتَ إِحْدَى ٱلْمُعْجِزَاتِ
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيباً ... وَهُمْ وَقَفُوا قِيَاماً لِلصَّلَاةِ
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ ٱحْتِفَاءً ... كَمَدِّهِمَا إِلَيْهِمْ بِٱلْهِبَاتِ
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ ٱلأَرْضِ عَنْ أَنْ ... يُوَارُوا فِيهِ تِلْكَ ٱلْمَكْرُمَاتِ
أَصَارُوا ٱلْجَوَّ قَبْرَكَ وَٱسْتَعَاضُوا ... عَلَىٰ مَثْوَاكَ صَوْتَ ٱلنَّائِحَاتِ
لِعُظْمِكَ فِي ٱلنُّفُوسِ تَبَاتُ تُرْعَى ... بِحُرَّاسٍ وَحُفَّاظٍ ثِقَاتِ
وَتُوقَدُ حَوْلَكَ ٱلنِّيرَانُ لَيْلاً ... كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ ٱلْحَيَاةِ
وَمَا لَكَ تُرْبَةٌ فَأَقُولُ تُسْقَى ... لأَنَّكَ نَصْبُ هَطْلِ ٱلْهَاطِلَاتِ

أصبحت خشبة ابن بقية مسرحاً ، تلقىٰ عليه قصائد المادحين ، وخطب المثنين ، وأصبح من قتله في صغار ، كأنه طُلي بالقَار .

* الذي يعشق الليالي الحمراء . . لا يستعيد قرطبة والزهراء ، ومن يستورد أفكاره من لندن . . يسهر علىٰ دندن .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ .

* خرج سعد بن أبي وقاص على الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه الصحابة ، فلما رأىٰ سعداً . . قال : (هٰذا خالي فليرني امرؤ خاله) ، فلم يخرج له أحد خالاً كخاله ، المتحدِّي قويّ ، والمتحدَّىٰ به أَبيّ .

فلما حضرت القادسية ، والجموع الفارسية . . حضر الخال ، يقود الأبطال ، فحصل النصر قبل العصر ؛ لأن الناصر هو القهار ، والقائد خال المختار :

وَقَفَتْ لَكَ ٱلأَبْطَالُ تُصْغِي فِي ٱلْوَغَى   وَوَقَفْتَ تَخْطُبُ بِٱلْقَنَا ٱلْخَطَّارِ
وَٱلْخَيْلُ تَسْمَعُ وَٱلْكَتَائِبُ صَفَّقَتْ   وَتَرَى ٱلْجَمَاجِمَ حُرِّقَتْ بِٱلنَّارِ

* أرسل القائد العظيم رسولُنا الكريم صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أنيس ؛ ليقتل خالد بن سفيان الهذلي عدو الدين ، فقتله واحتز رأسه ؛ ليعطي المعصوم البينة علىٰ قتله ، فسلم الرأس ، وضمن له صلى الله عليه وسلم الجنة ، وشهد العقد الحضور علىٰ إعطائه صلى الله عليه وسلم عصاه ؛ ليتوكأ بها ابن أنيس في الجنة زيادة في التبجيل .

يَتَوَكَّؤُونَ عَلَى ٱلْعَصَا مِنْ هَيْبَةٍ   أَهْلُ ٱلرَّزَانَةِ فِي حُضُورِ ٱلْمَحْفَلِ
قَرْعُ ٱلْعَصَا عِنْدَ ٱلْخَطَابَةِ دَأْبُهُمْ   لاَ يَتْرُكُونَ ٱلْخَطْبَ حَتَّىٰ يَنْجَلِي

أدخل ابن أنيس رأسه في الجنة ، لما أدخل رأس خالد الهذلي النار ، رأس برأس ، والجروح قصاص .

* أم سليم أنصارية ، لا تملك ذهباً ، ولا فضة ، أرادت أن تهدي لمعلم البشرية هدية ، فما وجدت أغلىٰ من ابنها أنس ، فدفعته خادماً للإمام ، فقال لسان الحال : ﴿ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ ، فكان ثواب الهدية « اللهم ؛ أطل عمره ، وكثر ماله وولده ، واغفر ذنبه » ، فسعد الخادم بخدمة المخدوم سعادة لا شقاء بعدها .

أم سليم ، مهرها من أبي طلحة : لا إلـٰه إلا الله ، فأخجلت بمهرها كل فتاة تغالي في المهر .

يقول عليه الصلاة والسلام : « دخلت الجنة البارحة فرأيت الرميصاء في الجنة » ، والرميصاء : أم سليم ؛ لأن مهرها أدخلها من الباب ، فأذن لها الحُجاب ، عرفت المفتاح ، فسكنت الدار .

لَكِ ٱللهُ مِنْ مَخْطُوبَةٍ عَزَّ مَهْرُهَا تَعَالَتْ بِثَوْبِ ٱلْمَجْدِ عَنْ كُلِّ خَاطِبِ
أَبُوهَا مِنَ ٱلأَعْيَاصِ زَيْنَبُ أُمُّهَا وَزَيْنَبُ بِنْتُ ٱلْفَضْلِ لاَ كَالزَّيَانِبِ

* جاء جابر بالجمل ، فاشتراه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض جابر الثمن . . رد عليه الجمل ، وقال له : « خذ الثمن والجمل بارك الله لك فيه » ، قال بعضهم : ليذكره بأن الله هدىٰ أباه عبد الله بن عمرو ثم وفقه للشهادة ، ثم رد عليه روحه ، ثم أدخله الجنة ، ثم كلمه .

تِلْكَ ٱلْمَكَارِمُ لاَ قُصُورَ قُضَاعَةٍ اَلـذُّلُّ فِـي جَنَبَـاتِ تِلْـكَ يُصَفِّـقُ
نَارٌ تُضِيءُ عَلَى ٱلثَّنِيَّةِ فِي ٱلدُّجَى سِرْبُ ٱلْجُمُوعِ عَلَى ٱلْقُرَىٰ يَتَدَفَّقُ

جابر يقرأ المدح في أبيه كل صباح ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

ما أجلّ الذبح ! وما أجمل المدح !

* ما كان لأهل الصحوة ومن حولهم من المحبين أن يتخلّفوا عن قافلة محمد صلى الله عليه وسلم ، ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ المشقة والبذل ، ولا يطأون موطئاً يغيظ كل كافر ونذل ، إلا كتب لهم في الصحائف ، كما وعد بذلك في المصاحف .

* أراد المعتصم أن يغزو الروم ، قال المنجمون : البرج في الذنب ، فلا تخرج للغزو وقت الذنب والعقرب ، قال : ما أعرف الذنب من العقرب ، هـٰذا الذنب ومد السيف ، وهـٰذا العقرب ومد الرمح ، وأفتاه أبو تمام بجواز الخروج ، وقال له في الفتوىٰ :

اَلْعِلْمُ فِي شُهُبِ ٱلأَرْمَاحِ لاَمِعَةً بَيْنَ ٱلْخَمِيسَيْنِ لاَ فِي ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ
بَهَـارِجـاً وَأَحَـادِيثـاً مُلَفَّقَـةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلاَ غَرَبِ

* صلىٰ إمام الأنصار بهم ، فكان يقرأ في كل ركعة : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مع سورة أخرىٰ ، قالوا له : إما أن تكتفي بها ، وإما أن تقرأ غيرها ، قال : إما أن أصلي بكم وأقرأها ، وإما أن أعتزل الإمامة ، فسأله المعصوم عليه الصلاة والسلام ، لماذا تقرؤها في كل ركعة ؟ قال : لأن فيها صفة الرحمـٰن فأنا أحبها ، فتوجه بتاج : « حبك إياها أدخلك الجنة » .

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِٱلْخِيفِ مِنْ مِنًى فَهَيَّجَ أَشْوَاقَ ٱلْفُؤَادِ وَمَا نَدْرِي
دَعَا بِٱسْمِ لَيْلَىٰ غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا أَطَارَ بِلَيْلَىٰ طَائِراً كَانَ فِي صَدْرِي

أولـٰئك القوم يحبهم ويحبونه ، فخلف من بعدهم خلف لا يحبهم ولا يحبونه ، والعياذ بالله .

* ابن رواحة بايع حبيبه في العقبة ، وبعد العقد قال : ربح البيع ، والله ؛ لا نقيل ولا نستقيل ، وتفرقا عن المجلس ، وفي « الصحيحين » : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإذا تفرقا . . وجب البيع » .

فجاء ابن رواحة بالثمن ، ودفعه في مؤتة ، ودخل الجنة ، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ .

فَمَا مَاتَ حَتَّىٰ مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ ٱلضَّرْبِ وَٱعْتَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلْقَنَا ٱلسُّمْرُ

* أصبحت الأمة مثل قبيلة (باهلة) ؛ كلما فاخرتها العرب . . قالت : منا قتيبة بن مسلم ، ولكن مات يرحمه الله ، كلما قالت لنا الأمم : انظروا لإبداعنا ، واختراعنا ، وإنتاجنا . . قلنا : منا عمر ، صلاح الدين ، والمثنىٰ ، فإلىٰ متىٰ هـٰذا الخداع ؟!

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ .

* أهل السنة ذهب أحمر ، لا تزيده النار إلا لمعاناً ، وأهل البدعة خبث الحديد ، يحترق الخبث ، ويذوب الحديد ، ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ .

أحمدنا ابن حنبل شيعه مليون، وأحمدهم بن أبي دؤاد شيعه ثلاثة بالأجرة.

* ذرفت إحدىٰ عيني سعيد بن المسيب من البكاء في السحر ، وبقي علىٰ عين واحدة يحضر بها صلاة العتمة ، والمرثية تقول :

بَكَتْ عَيْنِي ٱلْيُمْنَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا   عَنِ ٱلْجَهْلِ بَعْدَ ٱلْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ .

سعيد بن المسيب سجل للمكرمات ، وديوان للصالحات ، أربعون سنة ما فاتته تكبيرة الإحرام ، دائماً في الصف الأول ؛ لأن الرباني يأنف من الصف الثاني .

خطب الوليد ، بنت سعيد ، قال : أنا لا أزوج البليد ، فجلدوه مئة بالجريد ، كان يجلد في حر المدينة ، وقتادة بن دعامة يستمليه الحديث في القرطاس ، والضرب على الراس ، لماذا لم يزوج سعيد الوليد ، وهو ولي العهد ؟ لأن العقد لا يتم لمن ينقض العهد ، ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

* عطس ابن هبيرة فشمته أهل بغداد ؛ لأنه سني ، وأهل السنة يرون مشروعية تشميت العاطس ، فانظر ما أعظم الحب والقبول ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ .

ابن هبيرة وزير ، ولكن لا يعرف الطبلة ولا الزير .

استسقىٰ في منىٰ للحجاج ، فنزل المطر كالأمواج .

كنيته أبو المظفر ، فقال فيه الخليفة المستنجد :

وَلَمْ أَرَ مَنْ يَنْوِي لَكَ ٱلسُّوءَ يَا أَبَا ٱلْـمُظَفَّرِ إِلاَّ كُنْتَ أَنْتَ ٱلْمُظَفَّرُ
وَزُهْدُكَ وَٱلدُّنْيَا إِلَيْكَ فَقِيرَةٌ وَجُودُكَ وَٱلْمَعْرُوفُ فِي ٱلنَّاسِ يُنْكَرُ

* دخل سهل بن عبد الله التستري علىٰ أبي داوود صاحب « السنن » ، فسأله بالله أن يلبي مسألته ، قال : قل ، قال : مد لسانك لأقبله ؛ لأنه روىٰ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففعل .

اللسان سني ، وصاحبه إمام سنة ، ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ .

* محدثان سنيان : حماد بن سلمة بن دينار ، وحماد بن زيد بن درهم ، والدينار عشرة دراهم ، وفارق الصرف يخبر بأفضل الرجلين ، فهل فهمت الحساب ؟ والدراهم كلها سنية .

أما درهم المبتدعة . . فلا يساوي فلساً .

* كثرت مجالس اللغو ، هـٰذا يتحدث عن دنياه ، وهـٰذا عن ديناره ، وذاك عن داره ، وآخر عن قصره ، عندها قال معاذ لأخيه : تعال بنا نؤمن ساعة ، وهـٰذه الساعة لله ، وفي الله عز وجل ، حديث في أسمائه ، وصفاته ، وآياته ، وأفعاله .

يَطِيبُ حَدِيثُنَا فِيكُمْ وَيَحْلُو وَيَغْلُو عِنْدَ ذِكْرِكُمُ ٱلْكَلَامُ
وَأَمَّا غَيْرُكُمْ فَٱلْقَلْبُ يَأْبَى حَرَامٌ مَدْحُ غَيْرِكُمُ حَرَامُ

﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ ، فكيف يطمئن قلب من أصعب الأشياء عليه أن تحدثه عن الله عز وجل ؟!

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ .

* أرسل عمر أميراً علىٰ بيسان ؛ ليقيم هناك السنة والقرآن ، فسمر الأمير مع أصحابه وأنشد :

إِذَا كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِٱلأَكْبَرِ ٱسْقِنِي ... وَلاَ تَسْقِنِي بِٱلأَصْغَرِ ٱلْمُتَثَلِّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ ... تَنَادُمُنَا بِٱلْجَوْسَقِ ٱلْمُتَهَدِّمِ

فبلغ الخبر عمر ، فغضب وبسر ؛ لأن الخلافة الراشدة لا تتحمل تبعات الأبيات ، واستدعى الوالي فعزله ؛ لأن الأمة كانت تعزل ، والقرآن ينزل ، فمات عمر ليبقىٰ صدام في الخلافة خمسين عاماً ، كلها ذبح للشيوخ والأيتام ، وعليكم السلام .

* ابن الراوندي يهودي لعله نزعه عرق ، ألف كتاب « الدامغ » يدمغ به القرآن! دمغ الله رأسه في النار .

ترجم له ابن خلكان ، فملس عليه ، وتسامح معه ، كأن الكلب لم يأكل له عجيناً ، فأين الغضب للدين والملة ؟ ولماذا هٰذا الانهزام والذلة ؟

والذهبي من ذهب السنة معدنه ، لما ترجم لابن الراوندي قال : هو الكلب المعثر ؛ لأن الذهبي يكتب بقلم الولاء والبراء ، وابن خلكان ، يسجل بقلم العجائز (كان يا ما كان) .

أهل السنة ينقدون الرجال ، فليس عندهم للتدليس مجال .

أَنْتَ يَا أُسْتَاذُ مَوْفُورُ ٱلأَدَبْ ... لاَ تُزَكِّي كُلَّ مَنْ هَبَّ وَدَبّ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ .

* انتمىٰ أهل السنة إلىٰ حزب الله ، والعبد وما ملك لسيده ، إذا سئلت :

ما اسم أهل السنة ؟ فقل : هم الذين ليس لهم اسم إلا أهل السنة ، شيخ أهل السنة : محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيوتهم : المساجد ، وكتبهم القرآن ، ودواوينهم : السنة ، يريدون وجهه ، مواعيد الدروس عندهم بالغدو والآصال ، لهم علامات ، منها : حب الصحابة ، والترضي عنهم ، وعندهم : عدم تكفير أهل الكبائر ما لم يستحلوها ، وزيادة الإيمان ونقصانه ، والقدر عندهم من الله ، خيره وشره ، والأعمال عندهم من الإيمان ، والعبد له مشيئة تحت مشيئة الله عز وجل .

* * *

أهل السنّة روّاد الجنّة

هُمُ ٱلْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَلاَ يَسْتَطِيعُ ٱلْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَلَوْ حَاوَلُوا فِي ٱلنَّازِلاَتِ وَأَجْمَلُوا

* آه.. طعن عمر فما قال : آه ، خنجر أبي لؤلؤة مصنوع في الخارج ، والمؤامرة محبوكة ، سقط في المحراب ، وكُفن في الثياب ، وكُسر الباب .

عمر عظيم ما يموت فطيسة ، ما يموت إلا مذكىٰ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ .

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ .

قال ابن الحداد المالكي : دفنت سعادة الإسلام في أكفان عمر ، وصدق ، فلأن الإسلام لا زال جريحاً بعد جرح عمر ، فالله المستعان .

* حاطب بن أبي بلتعة عنده حصانةُ حضورِ بدر ، أراد عمر أن يؤدبه بقطع الراس ، فقال لسان الحال : علىٰ أي أساس ، قال أبو حفص : لقد خان الله ورسوله ، فقال صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله اطلع علىٰ أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ؛ فقد غفرت لكم »!! فسالت دموع عمر واكتشف الخبر ، فمهما حدث ، « إذا بلغ الماء قلتين.. لم يحمل الخبث » .

في دفتر الوحي ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ .

* قيل : أيهما أقرب إلى الإسلام : الحداثة أو العلمانية ؟

قلنا : كان للعبادي حماران ، فقيل له : أيهما أقبح ؟ قال : هـٰذا ثم هـٰذا .

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾ .

* لما تولى استالين .. لعن لينين ، فلما تولىٰ خروتشوف .. لعن استالين ، فلما جاء غورباتشوف .. قطع الرباط وانتهىٰ ، ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ .

* جوائز البشر مكتوب عليها : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾ وجوائز مالك الملك كتب عليها : ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ ، قل لعباد الدنيا : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

* دخل سالم بن عبد الله بن عمر الحرم طائفاً ، فلقيه الخليفة هشام بن عبد الملك ، فقال لسالم : يا سالم ؛ ألك إليّ حاجة ؟ قال سالم : أما تستحي ، تقول هـٰذا الكلام ، وأنا في بيت ملك الملوك ؟ !

علم سالم أن عطايا الخدم ، لا تتجاوز القدم ، كيف يمد يديه إلىٰ هشام ، وهو في حضرة الملك العلاّم ؟ كيف يترك العطاءَ القدسي ، لعطاءِ عبدِ الكرسي ؟

لما خرج سالم من الحرم .. عرض له هشام ، وأعاد عليه : هل من حاجة ؟ قال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : حوائج الآخرة لا أملكها ، وإنما أملك حوائج الدنيا ، قال سالم : والله ؛ ما سألت الدنيا ممن يملكها ، فكيف أسالها منك ؟! الخدم يشترون الذمم ، حتىٰ في

الحرم، لكن سالماً عرف الجواب، فحوى الخطاب؛ لأن جده عمر بن الخطاب.

يَا بْنَ ٱلَّذِينَ سَمَا كِسْرَىٰ لِجَمْعِهِمُ ... فَجَلَّلُوا وَجْهَهُ قَاراً بِذِي قَارِ
يَا دَوْحَةَ ٱلصِّدْقِ وَٱلْفَارُوقُ رَائِدُهَا ... تِلْكَ ٱلسُّلاَلَةُ لاَ أَوْبَاشُ دَيَّارِ

* جلسوا تحت الشجرة، وتظللوا بالمُرّة، وبايعوه علىٰ قتال الفجرة، فما قاموا حتىٰ سمعوا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، فقل لي بربك: أي فرح فرحوه؟ وأي كسب ربحوه؟ لو قيل لك: الملك رضي عنك.. لأصابتك نشوة الفرح، فكيف إذا رضي ملك الملوك؟!

رِضَاكَ رِضَاكَ يَا مَوْلاَيَ عَنِّي ... فَهَلْ يُرْضِيكَ أَنْ قَدَّمْتُ نَفْسِي

أهل بيعة الرضوان، ضيوف الرحمـٰن، لكن الكافر ما درىٰ، بسرِّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ﴾.

* «من صلى الفجر في جماعة.. فهو في ذمة الله، فالله الله لا يطلبنكم الله من ذمته بشيء؛ فإنه من طلبه بذمته.. أدركه، ومن أدركه.. كبه علىٰ وجهه في النار».

من علامة المنافق: حذف صلاة الفجر من جدوله، وربما نقرها بعد الشروق، ولكن هيهات، الوقوف بعرفة في اليوم التاسع، ومن فاته الوقوف بعرفات.. فليبك علىٰ نفسه قبل الوفاة، ضيعت رأس المال ونحن نطلب الربح، أردنا منك صلاة الليل.. فتركت الصبح، حِرْصك على النوم الطويل.. أوقعك في الخطأ الوبيل.

فَمَا أَطَالَ ٱلنَّوْمُ عُمْراً وَمَا ... قَصَّرَ فِي ٱلأَعْمَارِ طُولُ ٱلسَّهَرْ

«بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة».

قيل للحسن : لماذا صفت وجوه المتهجدين بالنور ؟ قال : خلَوا بالرحمـٰن ، فألبسهم نوراً من نوره .

* صلىٰ أسيد بن حضير في الغلس ، فدنا الحرس ، وتحرك الفرس ، فأخبر معلمه صلى الله عليه وسلم ، فقال : « تلك الملائكة تنزلت للقرآن ، ولو بقيت تقرأ . . لأصبح يراها الناس لا تتوارىٰ منهم »!

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ .

* مساكين نحن ، ندعي أنا أمة الخلافة ولا يحضر لصلاة الفجر إلا صف واحد ، إذاً : فلو بدأ قتال الكفار . . ما وجدنا ولو صفاً .

مَـنْ خَـانَ حَـيَّ عَلَـى ٱلصَّـلاَ ... ةِ يَخُـونُ حَـيَّ عَلَـى ٱلْكِفَـاحْ
هَـاتُـوا مِـنَ ٱلْمِلْيَـارِ مِلْـيُونـاً صِحَـاحـاً مِـنْ صِحَـاحْ

* وزع صلى الله عليه وسلم الغنائم ، فأعطاها مسلمة الفتح ، وترك أبطال الفتح ، فجرىٰ همس العتاب في الأصحاب .

فخلا المختار بالأنصار ، وبين لهم سر المسألة في قوله : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله إلىٰ رحاكم ؟! فوالذي نفسي بيده ؛ لما تذهبون به خير مما يذهب به الناس » .

وصدق المعصوم ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم نصيب الأنصار من الغنائم ، وأولـٰئك نصيبهم البهائم .

خُـذُوا ٱلشِّيَـاهَ وَٱلْجِمَـالَ وَٱلْبَقَـرْ ... فَقَـدْ أَخَـذْنَـا عَنْكُـمُ خَيْـرَ ٱلْبَشَـرْ

* الأبرار يأتون إلىٰ مسجده صلى الله عليه وسلم من بني سلمة ، ويتخلف

الظلمة ، عن صلاة العتمة ، فقام منذراً ، وصاح محذراً : « والذي نفسي بيده ؛ لقد هممت بالصلاة فتقام ، ثم أخالف إلىٰ أناس لا يشهدون معنا العشاء ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » .

أَشْعِلْ بُيُوتَ ٱلنَّاكِثِينَ بِأَهْلِهَا   أَصْلُ ٱلْوُجُوهِ ٱلسُّودِ صُلُوا بِٱلنَّارِ
يَتَخَلَّفُونَ عَنِ ٱلصَّلاَةِ دَنَاءَةً   أَلْهَاكَ يَا سَهْرَانُ ضَرْبُ ٱلطَّارِ

* بلال يناديك من أعلى المنارة ، وأنت نائم في العمارة ، لو أصغيت لبلال . . لدخلت في مسمى الرجال ، ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ .

* كان المنافقون يتخلفون عن صلاة العشاء والفجر ؛ لأنه لم يكن في المدينة كهرباء في ذلك العصر ، فلما أضيء الكهرباء . . ظهر الوباء .

* أشعل النمرود الفتيل ، وسعر النار في الأصيل ، ورمىٰ فيها بالخليل ، فأطفأها حسبنا الله ونعم الوكيل .

الأعداء خططوا لكم ، فخذوا حذركم ، إن الناس قد جمعوا لكم ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

أُبرمت خيوط الفتنة ، ونسجت حبال المحنة ، ونقض عهد الهدنة ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

اتفق المنافقون ، واجتمع المارقون ، وقلّ الصادقون ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

سَأَلْتُكَ لاَ تَكِلْنِي لِلأَعَادِي   فَقَدْ أَسْكَنْتُ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي
فَزَوِّدْنِي مِنَ ٱلتَّوفِيقِ زَاداً   عَطَاؤُكَ يَا إِلَٰهِي خَيْرُ زَادِي

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ .

* هاك بعض صفات المنافقين في الجملة ، فاحذر أن تكون في الحملة : كسل عن الصلوات ، واستهزاء بالدين في الخلوات ، وانقضاض على الأعراض ، وسماع الآيات في إعراض ، الدين عندهم ثانوي ؛ لأن الجد ما نوي!

الله كم من صرح للإسلام هدموه ؟! وكم من طريق للحق ردموه ؟! يظنون كل إشارة إليهم ، و﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ ، كم زلزلهم الوحي وأنذرهم ؟! ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾ ﴿ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ ، لكن العلامات عليهم ومن حولهم .

سهامهم في نحور العلماء مسددة ، ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ ، رفعت مع الباطل أعلامهم ، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ .

عثرت بعبد الله بن أُبيّ بغلةُ التوفيق ، فسقط في الطريق ، ما طهرته صلاة الإمام ؛ لأنه غارق في الإجرام ، أراد المعصوم أن يمده مدداً ، فنزلت : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ خاف عمر علىٰ نفسه من النفاق ، قيل له : سبحان الله يا شيخ! أنت الفاروق باتفاق .

أصبحت منهم الدنيا كالجيفة ، تستروا ؛ لأنه مات حذيفة :

أَنْتَ مِنِّي وَتَدَّعِي حَمْلَ حُبِّي ... كُلَّ يَوْمٍ تُعْطِي ٱلْيَمِينَ ٱلْغَمُوسَا
وَلِّ عَنِّي عَرَفْتُ فِيكَ أُمُوراً ... حَرْبَةٌ فِي ٱلْقَفَا وَوَجْهاً عَبُوسا

* سقطت الأندلس لما تولى السقط ، ضعفت الملة ، وتداعى المنبر ، وعزل القرآن عن الميدان ، وطمست معالم الرسالة ، وصار اللهو أمنية ،

ودوت الأغنية ، وصار الناس حيارىٰ ، وتحالف الأدعياء مع النصارىٰ ، وتنحى العلماء عن الدهماء ، فلا آمر ولا مُنكِر ، ولا واعظ ولا مذكِّر ، الخطيب مرتج ، والسامعون يلعبون الشطرنج .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ .

اِبْكِ مِثْلَ ٱلنِّسَاءِ مَجْداً مُضَاعاً ... لَمْ تُحَافِظْ عَلَيْهِ مِثْلَ ٱلرِّجَالِ

* المرأة درة مصونة ، وياقوتة مكنونة ، أرادوا أن تنزع الجلباب ، وتخلع الحجاب ، أرادوا لها حياة فوضوية ، والله يقول : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ .

يريد المصلحون لها منهجاً قويماً ، ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ .

يَا فَتَاةَ ٱلدِّينِ قُومِي ... لِلْغَبِيْ رُدِّي عَلَيْهِ

حِينَ نَادَىٰ يَا ٱبْنَةَ ٱلإِسْلَامِ خِدْرَكِ مَزِّقِيهِ

يَا خَسِيسَ ٱلطَّبْعِ لِص ... كُلُّ نَذْلٍ يَدَّعِيهِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ .

* تفوّق الصحابة علىٰ من بعدهم بأمور :

منها : أنهم يطالعون الغيب المستور ، كما يرون الشاهد المنظور ، فكان أحدهم في الغزوات لو مد يده .. لتناول عنب الجنة ؛ من يقينه بخبر الصادق المصدوق .

ومنها : أنهم بدمائهم أجود منا بدراهمنا ، ويكفي أن يصب الواحد منهم دمه في سبيل الله كلماتٌ من معلم الخير صلى الله عليه وسلم ، بينما يقوم

واعظنا بالخطب الطوال يطلب المال ، لوجه ذي الجلال ، فنكدي في العطية ، ونمنّ بالبذل .

ومنها : أن من عصىٰ من أولـٰئك . . يأتي إلى الموت نشيطاً ليطهر نفسه ولو كان في ذلك ذهاب رأسه ، فقل لي بربك ، أي إقدام هو إقدام ماعز والغامدية في طلب التطهير من رسول البشرية ؟!

ومنها : أن عِلم الصحابة للعمل ، وثقافتهم لما يحتاجون إليه ، بينما أصبح العلم ترفاً ، والفكر خيالاً ، والثقافة موضة .

ومنها : أن الصحابة يعيشون على الكفاية ، ومن زاد منهم ماله قدمه لمآله ، والمتأخرون أصبح جمع المال عندهم مهنة ، والسعي وراء الحطام حرفة ، فاشتغلوا بفضول العيش عن أصول العمل .

ومنها : أن الصحابة قاموا بأعمال القلوب خير قيام ؛ من الخوف ، والرجاء ، والرغبة ، والرهبة ، والخشية ، والمحبة وغيرها ، مع قيامهم بأعمال الجوارح ، بينما الخلف يهتمون بالظاهر أكثر من الباطن ، فلذلك وقع الخلل في الأعمال والأقوال ؛ لأن « في الجسد مضغة إذا صلحت . . صلح الجسد كله ، وإذا فسدت . . فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

* اشكر لمن شرفك بصعود المنبر ، وعرِّف الناس به في كلامك ، ولا تعرِّف الناس بنفسك ؛ فإنه سبحانه أعرف المعارف ، وأنت نكرة من النكرات .

ولولا أن تعظمه سبحانه . . ما عظمك الناس .

وما دام أنه ستر معايبك عن الحضور . . فانشر مدائحه سبحانه في الجمهور ، الله يستحق المدح ويحبه ؛ ولذلك مدح نفسه بأشرف المدائح ، ونزه نفسه عن القبائح .

كلما بالغت في مدح المخلوق . . قال الناس : هٰذا غير صدوق ، وكلما أكثرت من مدح الخالق . . قالت القلوب : حياك الله يا صادق .

* إذا لم تصاحب الصحابة الأخيار . . فاقرأ الأخبار .

فَـاتَنِـي أَنْ أَرَى ٱلـدِّيَـارَ بِطَـرْفِـي   فَلَعَلِّـي أَرَى ٱلـدِّيَـارَ بِسَمْعِـي

قراءة سير الصحابة حسنة من الحسنات ، تظهر للقارىء سمو حياتهم ، وجلالة قدرهم ، وعظيم تضحيتهم ؛ ليعرف الإنسان قدر نفسه ، وضآلته أمام هٰؤلاء الأعلام الكرام ، وربما شده مقام من مقاماتهم ، إلى الاتصاف ببعض صفاتهم .

كان ابن المبارك يخلو بأخبار الصحابة في خلوة شرعية روحية ، ويخبر طلابه ، أنه جلس مع الصحابة .

مَا فِي ٱلْخِيَامِ أَخُو وَجْدٍ نُطَارِحُهُ   حَـدِيثَ نَجْـدٍ وَلاَ خِـلٌّ نُجَـارِيـهِ

* حضرت أبا بكر الصديق الوفاة ، ليلقىٰ بعدها ربّاً طالما عبده ، ووحّده ، وأحبّه ، وتقرّب إليه ، وجاهد من أجله .

ليلقىٰ ربّاً طالما أحب فيه البعيد ، وأبغض فيه القريب ، سالم من أجله وحارب ، ورضي لرضاه ، وغضب لغضبه .

ربّاً أعطىٰ لوجهه النفس والنفيس ، والغالي والرخيص ، سكب لمرضاته الدمع والدم ، وأتعب لدينه الروح والبدن .

ربّاً ملك حبُّه علىٰ أبي بكر كل لحظة ولفظة .

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَرْعَىٰ جَوَارِحِي   وَآخَـرُ يَـرْعَـىٰ نَـاظِـرِي وَفُـؤَادِي

ربّاً سال حبه في عروق أبي بكر وعرقه ، من أخمصه إلىٰ مفرقه ، به يبصر ، وبه يرىٰ ، وبه يسمع .

ربّاً هو صاحب كل خير ، وصل أبا بكر .

هو الذي خلق ورزق وأعطىٰ ، وأفاد وهدىٰ .

إنها أمنية أبي بكر أن يلقىٰ ربه ، لذلك خف لهٰذا اللقاء ، ونشط لهٰذا النداء ، وتخفف لهٰذا السفر ، فإذا التَّرِكَةُ بغلةٌ لكن لبيت المال ، وثيابٌ لكنها كفنٌ للصديق ، أما الثروة الطائلة التي جمعها أبو بكر ، أما الأموال التي حصلها ، أما الكنوز ، والخيول ، والجمال ، والغنم . . فقد قدَّمها أبو بكر أمامه عند من لا تضيع عنده الودائع .

ماذا قدمنا نحن ؟ ماذا فعلنا ؟ ماذا بذلنا ؟ ماذا حصلنا ؟ أي جهد بذلناه ؟ أي دمع سكبناه ؟ أي دم أسلناه ؟ لا شيء .

ننكص عن الفجر ، وقد قام الصديق في الدجىٰ ، ولا نبكي في الخوف ، والصديق يبكي في الرجا .

نحن نجر المطارف ، يوم مطارف أبي بكر تجر بسيوف الغزاة في بدر وأحد .

* قليل في اتباعٍ خيرٌ من كثير في ابتداع .

* الفرائض الخمس مع ركعتي الضحىٰ ، والوتر قبل النوم ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، ومداومة الذكر ، والكفّ عن الذنوب ، هٰذا منهج الراشدين ، مع ما يتيسّر من كتاب رب العالمين .

* السلف كلامهم قليل ، لكنه كله درر ، والخلف كثرة كلام وإسهاب منطق ، لكن غالبه سقط ، وجله زخرف .

* * *

الفردوس المفقود

حدثنا محمود بن أنس ، قال : لما دخلنا الأندلس ، وهي في ثياب الجمال تتبهرج ، ولسانها من الخجل يتلجلج ، قلنا : كيف الحال ، يا موطن الرجال ، أنتِ بلسم الفؤاد ، وأرض الآباء والأجداد ، ومهبط جيش طارق بن زياد ، فقالت : أهلاً بالأخوة من النسب ، أهل الكرم والحسب ، وبيننا سبب الإسلام أعظم سبب .

ثم التفتنا إلىٰ ثلاثة شباب ، وقد ارتدوا أجمل الثياب ، فقام أحدنا معرفاً بأسمائهم ، ونسبهم إلىٰ آبائهم ، فقال :

أما الأول : فاسمه عبد الرحمـٰن بن طارق بن زياد .

والثاني : عبد الله بن موسى بن نصير .

والثالث : عبد السلام بن عبد الرحمـٰن الداخل .

فقلنا : يا أبناء الأجواد ، وأحفاد الأسياد ؛ حدثونا عن هـٰذه البلاد .

فقال عبد الرحمـٰن : أما قرأتم التاريخ ، وما فيه من مدح وتوبيخ ، أما علمتم أن أجدادنا دخلوا الأندلس فاتحين ، مكبرين مسبحين ، عظموا الله في القلوب ، فملَّكهم الشعوب ، نشروا رضاه بالدماء ، فرفع رايتهم في السماء ، صدقوا في الديانة ، فشرفهم بحمل الأمانة ، نشروا العدل ، وطردوا الجهل ، فهم كالغيث على المَحْل ، فلما تخلف بعدهم جيل ، وضلوا السبيل . . أصبحوا في الذيل .

فقام عبد الله فقال : يا ألله ، كيف كنا ، وكيف أصبحنا! بعد ما قصرنا في ديننا . . ما أفلحنا ، كانت المنائر تؤذن بدعوتنا ، والمنابر تضج بخطبتنا ، كنا بالإيمان سادة ، وللشعوب قادة ؛ لأننا أطعنا الرحمـٰن ، وحكّمنا القرآن ، وحاربنا الشيطان ، فلما قعدنا عن الجهاد ، وعصينا رب العباد ، ووقعنا في الفساد . . صرنا ما بين طريد وشريد ، وقتيل وفقيد .

ثم قام عبد السلام ، فاندفع في الكلام ، وقال : لما اتبعنا الأثر . . حكمْنا البشر ، وبلغ مجدنا القمر ، وفرح بنا البدو والحضر ، فلما وقعنا في الترف ، وأدمنا السرف . . ودّعنا الشرف ، وصرنا كالصّدف .

قال الراوي محمود : ثم دخلنا غرناطة ، والقلب قد هد نياطه ، فوجدناها قد كتب علىٰ بابها : السلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ، وأجاب الندا ، أنا غرناطة فاعرفوني ، سُلبت من أيدي أهلي فارحموني ، كنت مدينة العُبَّاد والزهاد والأجواد ، فأصبحت ملعب الأشرار ، ومرتع الكفار ، ومسرح الفجار ، فرحم الله عبداً ترحم عليَّ ، وأهدىٰ ثواب حجّه إليَّ ، فبكينا مما رأينا ، وكأنها تشكو إلينا .

ثم أتينا قرطبة ، وهي معبسة مقطِّبة ، فوجدنا علىٰ بابها كتابة ، كأنها كتبت بالسبّابة ، فقرأنا فإذا هي تقول : يا أهل العقول ؛ أنا قرطبة دار العلوم ، سلبني الظلوم ، ونهبني الغشوم ، كنت داراً للعلماء ، وكعبة للحكماء ، ومزاراً للكرماء ، ومنـزلاً للعلماء ، واليوم أصبحت بارة للخَمَّار ، وحانوتاً للشَّطار ، بعد أن كنت بيت الأبرار ، وكهف الأخيار ، فوقفنا نبكي ، وإلى الله نشكي .

ونادىٰ منادينا ، وصاح حادينا ، فقال : أين القوم الفاتحون ؟ أين الملأ الناصحون ؟ أين صقر قريش ؟ أين قادة الجيش ؟ أين الناصر والزهراء ؟ أين

الحاكم والحمراء ؟ أين المنذر بن سعيد ، صاحب الرأي السديد ، والنهج الرشيد ؟

أين ابن عبد البر ، الذي نشر العلم في البحر والبر ، ونثر الجوهر والدر ؟ أين « الاستذكار » ، من أنفع الكتب في الآثار ؟ أين « التمهيد » ، الذي ما حمل مثله البريد ؟

أين ابن حزم ، صاحب العزم ، إمام الظاهر ، صاحب العلم الباهر ، والقلب الطاهر ، صاحب القدح المعلّىٰ ، ومؤلف « المجلّىٰ » ، و« المحلّىٰ » ، الذي بلغ الإمامة ، وألف « طوق الحمامة » ؟

أين القرطبي صاحب التفسير ؟ أين الشاطبي الإمام الشهير ، حامل الفكر المستنير ؟ أين ابن زيدون ، وابن خلدون ، وابن عيذون ، وأهل الفنون ؟ ما لهم لا ينطقون ؟

أين لسان الدين الخطيب ، ومؤلف « نفح الطيب » ، وابن رشد الحفيد ، الذكي الفريد ، صاحب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » ؟ أين المنصور بن أبي عامر ، البطل المغامر ، صاحب العزم القاهر ؟

لله كم من علم جليل ، ورأي أصيل ، ونسب نبيل ، ووجه جميل ، دفناه في هـٰذا الثرىٰ ، وتركناه آية للورىٰ .

هنا تركنا أكبادنا ، هنا دفنا أولادنا ، هنا قبرنا أجدادنا ، هنا دموعنا سفحت ، هنا دماؤنا سُفكت ، هنا مرابع سمرنا ، وهنا ديار شمسنا وقمرنا ، هنا طرحنا نفوس الأبطال الأشداء ، في بلاط الشهداء ، هنا أرواحنا خفاقة ، علىٰ قتلىٰ معركة الزلاّقة .

ما كنا نظن أنَّا إلىٰ هـٰذا الحال نصير ، بعد أمجاد موسى بن نصير .

اسألوا الجبال والوهاد ، اسألوا كل ناد ، واستنطقوا كل واد ، عن كتائب طارق بن زياد .

السلام علىٰ كل أندلس في الآخرين ، وجمعنا بأهلها من المسلمين ، في جوار رب العالمين .

* * *

لا تحزن

هٰذه الكلمة الجميلة الشجاعة قالها صلى الله عليه وسلم وهو في الغار مع صاحبه أبي بكر الصديق وقد أحاط بهم الكفار ، قالها قوية في حزم ، صادقة في عزم ، صارمة في جزم : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ، فما دام الله معنا . . فلم الحزن ؟ ولم الخوف ولم القلق ؟ اسكن ، اثبت ، اهدأ ، اطمئن ؛ لأن الله معنا .

لا نغلب ، لا نهزم ، لا نضل ، لا نضيع ، لا نيأس ، لا نقنط ؛ لأن الله معنا .

النصر حليفنا ، الفرج رفيقنا ، الفتح صاحبنا ، الفوز غايتنا ، الفلاح نهايتنا ؛ لأن الله معنا .

لو وقفت الدنيا كل الدنيا في وجوهنا ، لو حاربنا البشر كل البشر ، ونازلنا كل من علىٰ وجه الأرض . . فلا تحزن ؛ لأن الله معنا .

من أقوىٰ منا قلباً ، من أهدىٰ منا نهجاً ، من أجل منا مبدأ ، من أحسن منا مسيرة ، من أرفع منا قدراً ؛ لأن الله معنا .

ما أضعف عدونا ، ما أذلّ خصمنا ، ما أحقر من حاربنا ، ما أجبن من قاتلنا ، لأن الله معنا .

لن نقصد بشراً ، لن نلتجىء إلىٰ عبد ، لن ندعو إنساناً ، لن نخاف مخلوقاً ؛ لأن الله معنا .

نحن أقوىٰ عدة ، وأمضىٰ سلاحاً ، وأثبت جناناً ، وأقوم نهجاً ؛ لأن الله معنا .

نحن الأكثرون ، الأكرمون ، الأعلون ، الأعزون ، المنصورون ؛ لأن الله معنا .

يا أبا بكر ؛ اهجر همك ، وأرح غمك ، واطرد حزنك ، وأزل يأسك ؛ لأن الله معنا .

يا أبا بكر ؛ ارفع رأسك ، وهدىء من روعك ، وأرح قلبك ؛ لأن الله معنا .

يا أبا بكر ؛ أبشر بالفوز ، وانتظر النصر وترقب الفتح ؛ لأن الله معنا .

غداً سوف تعلو رسالتنا ، وتظهر دعوتنا ، وتُسمع كلمتنا ؛ لأن الله معنا .

غداً سوف نُسمع أهل الأرض روعة الأذان ، وكلام الرحمـٰن ، ونغمة القرآن ؛ لأن الله معنا .

غداً سوف نخرج الإنسانية ، ونحرّر البشرية من عبودية الوثنية ؛ لأن الله معنا .

هـٰذه كلمات قالها رسولنا صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق وهما في الغار وقد أحاط بهما الكفار من كل ناحية ، وطوقهم الموت من كل مكان ، وأغلقت الأبواب إلا باباً واحداً ، وقطعت الحبال إلا حبلاً واحداً ، وعز الصديق والقريب ، وغاب الصاحب والحبيب ، وعجزت الأسرة والقبيلة ، وبقي الواحد الأحد الفرد الصمد ، حينها قالها عليه الصلاة والسلام : ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَـا﴾ .

﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَـا﴾ ، إذاً : معنا الركن الذي لا يضام ، والقوة

التي لا ترام ، والعزة التي لا تغلب ، وما دام الله معنا . . فممن تخاف ، وممن تخشىٰ ، وممن ترهب ؟ فهو القوي العزيز ، وهم الضعفاء الأذلاء .

ما دام الله معنا . . فلا تأسف علىٰ قلة من عدد ، أو عوز من عتاد ، أو فقر من مال ، أو تخاذل من أنصار ، إن الله معنا وكفىٰ ، معنا بحفظه ورعايته ، بقوته وجبروته ، بكفايته وعنايته ، بدفاعه وبطشه ، فلا تحزن إذا تلاها الخادم يهدد الناس بقوة سيده من ملوك الأرض . . فيخافون ويذعنون ، فكيف برب الناس ملك الناس إلـٰه الناس ؟

ألا إن أعظم كلمة في الخطب ، وأشرف جملة في الكرب هي هـٰذه الكلمة الصادقة الساطعة : ﴿ لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

وسر هـٰذه الكلمة في مدلولها ، وعظمتها في معناها يوم تذكر معية الله عز وجل ، وهو الذي بيده مقاليد الحكم ، ورقاب العباد ، ومقادير الخلق ، وأرزاق الكائنات .

وهـٰذه الكلمة في زمانها الذي قيلت فيه ، وفي جوها المخيف المرعب ، وفي مكانها المزلزل المذهل ، لها طعم آخر ، وقصة أخرىٰ ، لقد جاءت في لحظة طوق فيها على المعصوم وصاحبه في الغار ، وأغلق الباب ، وأحاط الأعداء بكل جانب ، وسلُّوا سيوف الموت ، يريدون أشرف مهجة خلقت ، وأزكىٰ نفس وجدت ، وأطهر روح خلقت ، فما الحيلة ؟

الحيلة رفع ملف القضية ، وأوراق الفاجعة ، وسجل الكارثة إلىٰ من على العرش استوىٰ ؛ ليقضي فيها بما يشاء ، ولكن صاحب الرسالة ذا القلب المشرق الفياض أرسل لصاحبه أبي بكر رسالة رقيقة هادئة باسمة حانية نصها : ﴿ لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، فصار الحزن سروراً ، والهم فرجاً ، والغم

راحة ، والكرب فرجاً ، والهزيمة نصراً عزيزاً .

ظَنُّوا ٱلْحَمَامَ وَظَنُّوا ٱلْعَنْكَبُوت عَلَى خَيْرِ ٱلْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ
عِنَايَةُ ٱللهِ أَغْنَتْ مِنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ ٱلدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ ٱلأُطُمِ

وكلمة ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ، يحتاجها المسلم كل يوم : فإذا تكاثف همك ، وكثر غمك ، وتضاعف حزنك ، فقل لقلبك : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ .

وإذا ركبك الدين ، وأضناك الفقر ، وشواك العدم ، فقل لقلبك : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ .

وإذا هزّتك الأزمان ، وطوّقتك الحوادث ، وحلّت بك الكربات .. فقل لقلبك : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ .

* * *

أُنس الوحشة

أما ترى الهدهد وحّد وتفرّد ، وأنذر وأوعد ، وخوّف وهدّد ؛ لأنه اعتزل في الطريق وتجرّد ، وتخلّىٰ عن الخَلْق وتزهّد ، فعرف المقصد فوُفّق وسدّد ، ومُدح ومُجّد .

ـ فاشرب في الوحدة رحيق الهناء من سيبويه ، وأشعل في ليل العزلة مصباح الأنس من نفط نفطويه ، واسحق مسك الإخلاص رهواً من علم إسحاق بن راهويه ، وعليك بالخلوة مع بدائع أبي الطيب وابن خالويه .

ـ إن آنست وحشة . . فناد نفسك : يا نفس ؛ قرّي ولا تفرّي ، وجاهدي ولا تغترّي ، وعلىٰ صراط السلامة مرّي ، وفي جنات الأنهار استقري .

ـ في العزلة ألّف الفارابي « المدينة الفاضلة » ، ودبّج أبو حيان « المفاضلة » ، وبها تدرّب الجاحظ على المناظرة والمناضلة ، وأتقن أبو يعلى المجادلة ، وبها مهر ابن تيمية على المصاولة .

ـ والتفرد للزمخشري كاف شاف ، ولهـٰذا ألّف « الكشّاف » ، وغاص في البلاغة إلى الشغاف ، ونثر تلك الجواهر والألطاف ، وكان في أيام تأليفه معتزلاً بين السعي والطواف .

ـ ومالك بن أنس ملك الأنس بعزّة النفس ، وبقائه في بيته كالحلس ، وخلوته بالقرطاس والطرس ، لما صار الناس كالذئاب الطلس .

ـ فاجعل العقل رئيسك ، والعلم أنيسك ، والكتاب جليسك ، والقلم

والدفتر طمسك وجديسك ، واتخذ القناعة كيسك .

ـ ولما ترك أبو الفرج الهمج ، وركب من الأدب الثبج ، وهجر من هرج ومرج . . أتىٰ في « الأغاني » بالمطربات والروائع والحجج .

ـ فاعتزل الفِرق ، فمن لابس الفتن . . احترق ، ومن ركب بحر الغوغاء . . غرق ، وإذا رأيت الطبع يسرق من أخلاق الخلق الخرق . . فاهتف به : ﴿ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ﴾ .

ـ وارشف في العزلة من المزني مزنه ، واستفد من ابن المسيب سهله وحزنه ، وخذ من « الفتح » المفتاح ، ومن « الميزان » وزنه .

ـ واسبك في الوحدة سبائك محمود بن سبكتكين في غرته كما سبك الذهبي الذهب ، واترك من جاء ومن ذهب .

ـ واجلس مع ابن جرير لتنسىٰ كل جريرة ، وفاكه « مقامات الحريري » فما أجمل حريره ، ولا تستكثر ليلة مع ابن كثير فليست كثيرة ، وسامر الشعر فرزدقه وجريره .

ـ وألْقِم كلب الفراغ حجراً بأخبار كُليبْ ، واجعل للفراغ نصيباً من أبيات نصيب ، واستغن عن الأحباب بروائع خُبيب ، وحادث خاطرك بروايات بلال وصُهيب .

ـ ولا تترك يوسفَ عِلمك مع البطالين فيأكله الذيب ، بل جالس مالكاً وابن أبي ذيب ، واقترب من ملك الأدب بمجالسة عبد الملك بن قريب ، وحادث مؤلف « جامع الأصول والغريب » ، وشمَّ « نفح الطيب من تاريخ الغصن الرطيب » .

ـ وأطفىء نار الشهرة بماء الخليل ، وأرسل علىٰ أبرهة المعصية الطير

الأبابيل ، ويكفيك (قال الله) عن (قال) و(قيل) ، واعتبر بأصحاب البقرة والناقة والفيل .

ـ وأطفىء نار الذنب بدمعة ، ونوّر ليل الوحشة من الذكر بشمعة .

ـ واغزل خيوط الحكمة كما فعل الغزالي ، وبرّز في العلم تبريز البرزالي ، فلن تدرك المعالي إلا بهمة أبي المعالي ، والتقلل من الدنيا كالقالي .

* * *

مجاهدون في سبيل الله

قال أبو شجاع ، محمد بن القعقاع : ما رأيت مثل الجهاد ، في سبيل رب العباد ، فبه تصان الملة ، ويدخل على الكفار الذلة .

قلنا : يا أبا شجاع ، حدثنا عن بعض التحف ، من مواقف السلف ، في ساح الوغىٰ ، يوم قاتلوا من بغىٰ وطغىٰ .

فقال : كان المسلمون مع قتيبة بن مسلم في حصار كابل ، وكل ذاهل ، فأرسل إلىٰ محمد بن واسع ، الإمام الخاشع ، فلقيه بجفن دامع ، وكفٍّ ضارع ، يشير بسبابته إلى السماء ، ويقول : يا سميع الدعاء ؛ عظم فيك الرجاء ، اللهم ؛ ثبت أقدامنا ، وسدد سهامنا ، وارفع أعلامنا ، فلما أخبروا قتيبة بما شاهدوا ، وأطلعوه علىٰ ما وجدوا . . قال : والله ؛ لإصبع محمد بن واسع خير عندي من مئة ألف شاب طرير ، ومن مئة ألف سيف شهير .

ثم بدأ القتال ، فنصرهم ذو الجلال ، وانهزم الكفار ، وولّوا الأدبار .

قال : ولما حضر خالد لقتال الروم . . قدموا له قارورة مملوءة بالسموم ، وقالوا له : إن كنت متوكّلاً على الله ولا تخاف . . فاشرب من هٰذا السم الزعاف ، فقال : (بٱسم الله ، توكّلت على الله) ، ثقة بالله ، ثم شرب القارورة ، فما مسه ضرورة .

ولما رأى المسلمون جيش الروم، وكثرة القوم . . قال أحد الناس، لما رأى الباس: اليوم نلتجىء إلىٰ جبل سلمىٰ وأجأ ، قال خالد : بل إلى الله الملتجأ .

قال : ولما حضر المسلمون في تستر ، ما بين مهلل ومكبر . . قال المسلمون : يا براء بن مالك ؛ أقسم علىٰ إلـٰهك ، عله أن يرزقنا النصر ، وعظيم الأجر ، فأقسم على الديان ، فهزم الله أهل الطغيان ، وذهب البراء إلى الجنان .

والبراء هو صاحب حديث : « رُبَّ رجل أشعث أغبر ذي طمرين ، لو أقسم على الله . . لأبره » ، فأبرّ الله قسمه ، وبلغه كل مسرّة .

ثم قال أبو شجاع : اعلموا أن صرخات التفجع ثلاث ، سجلت أهم الأحداث .

وهي : وامعتصماه ، وإسلاماه ، وأماه .

فوامعتصماه : أطلقتها امرأة في عمورية ، بعد أن أهينت في البلاد الروميّة ، فسمعها المعتصم الأسد الهصور ، فترك القصور ، وخرج بجيش يمور ، فأذل أتباع نقفور ، وأخذ الكفور ، وجعله عبداً للمسلمة التي صرخت باسمه من وراء البحور .

وأما وإسلاماه : فأطلقها قطز وبيده البتار ، يوم نازل التتار ، فهزم الكفار وولّوا الأدبار .

وأما وأماه : فهي صرخة مفجوعة ، وصيحة مقطوعة ، قالها طفل من الأندلس ، لما رأىٰ أمه وهو في حضنها تختلس .

أحب عبد الله بن عمرو الأنصاري ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، فهب إلىٰ أُحد ، فقيل له : البينة على المدعي للمحبة ، فضرب في سبيل الله ثمانين ضربة .

بعضهم هوايتهم منصب شريف ، أو قصر منيف ، أما ابن رواحة . . فهوايته طعنة بسيف .

يأتي الشهيد يوم القيامة وعليه علامات ، وآيات بينات ، والبراهين علىٰ عبد الله بن جحش واضحات ، ذهاب العينين ، وقطع الأذنين ، وبتر اليدين ؛ لأن لكل قضية شاهدين .

أتىٰ إلىٰ مؤتة جعفر ، فتقدم وما تأخر ، وكان يوم الجماجم يتعثر ، ودمه يتقطر ، فضرب بسيفه في الكفار حتىٰ تكسر ، فلما قطعت يداه ، وأسلم الروح إلى الله ، طاب وطاب مسعاه . . أبدله الله جناحين ، يطير بها على الرياحين ، ويتنعم في الفردوس كل حين .

كل يكتب اسمه بمداد ، إلا الشهيد ؛ فإنه يكتبه بدم في سفر الأمجاد .

كأن الشهيد يموت مختاراً ، وغيره يموت مضطراً .

كل ميت يوضع المسك معه في الأكفان ، إلا الشهيد ؛ فإن دمه كله مسك يملأ المكان .

آل سعد ثلاثة في العد ، أهل وعد وعهد .

اهتز عرش الله لسعد ، ووجد ريح الجنة من دون أحد سعد ، وقال صلى الله عليه وسلم في أحد : « ارمِ فداك أبي وأمي يا سعد » .

فالأول : سعد بن معاذ سيد الأنصار ، وقدوة الأبرار ، الذي ألحق باليهود البوار .

والثاني : سعد بن الربيع ، المقدام الشجيع ، صاحب الموقف البديع .

والثالث : سعد بن أبي وقاص ، كان مع النبي من الخواص ، أخذ من الفُرس القصاص .

قتل عمر في المسجد بعد الفجر عندما غدت الطيور من وكورها ، لأن معلمه يقول : « اللهم ؛ بارك لأمتي في بكورها » .

وقتل علي في المسجد قبل الفجر ؛ لأنه وقت استغفار ، ونزول للغفار ، وجلسة للأبرار ، والرجل يحب الأسحار .

استحت خزاعة ، أن ترد الحوض يوم الشفاعة ، مزجيّة البضاعة ، فقدَّمت أحمد بن نصر ، الذي قتله الواثق في القصر ، فدخل الجنة بعد العصر .

قال له الواثق : وافق ، قال : لا ، يا منافق .

حاول الواثق أن يجيبه ولو بإدغام فيه غنة ، فقال لسان الحال : الخداع ليس من السنة ، فذبحه بعد أن اشتاق إلى الجنة .

اثنان تاجان عظيمان ، من قبيلة بني شيبان ، جاهدا في سبيل الرحمٰن ؛ ابن حنبل والمثنىٰ ، وكل منهما لدينه تعنّىٰ ، وللقاء ربه تمنّىٰ .

قدم المهاجرون أربعة خلفاء ، فقدم الأنصار أربعة قراء ، أهدت قريش مصعب بن عمير ، فأهدى الأنصار ابن الحمام عمير .

تأخر أنس بن النضر عن بدر ، فجمع بين الغزوتين في جمع وقصر ، فقتل في أحد بعد الظهر .

لما عذر الله عثمان ، يوم بيعة الرضوان .. علم الله صدقه ، فسعت إليه الشهادة إلى الديوان .

أبو بكر صدِّيق ، والمخطوطة لا تحتاج إلىٰ تحقيق ، والرجل غني عن التوثيق ، فلم يقتل ؛ لأنه أخذ حكم الرفيق .

السلام على الشهداء ، فهم عند ربهم سعداء .

* * *

سورة الفيل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ .

أما علمت ، أوما رأيت ماذا فعل الله بأبرهة الأشرم صاحب الفيل يوم أتىٰ من اليمن ؟ !

كانت غزوة الفيل في السنة ذاتها التي ولد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأهلك الله الفيل وصاحبه وأهلك الجيش .

أنت يا محمد ؛ ما رأيت بطش الله ، وقوة الله ، وماذا فعل بأصحاب الفيل ، ولم يسمّهم بأسماءهم ، وإنما جعلهم أصحاب الفيل إهانة لهم ، فهو سيدهم وهم أصحابه ، هو قائدهم وهم أتباعه .

وأبرهة الأشرم كان حبشياً احتل اليمن ، وبقي فيها سنوات عديدة ، وبنىٰ كعبة غير الكعبة في مكة ، فأتىٰ أحد العرب فلوّث كعبة أبرهة ، فأقسم أبرهة ليهدّمنّ الكعبة ، وتحرك بجيشه ، ولما وصل إلى الطائف. . زاحت الطوائف عن وجهه ، وقالوا : ما نستطيع ؛ فإنه جيش عرمرم ومعه فيل ، وأتىٰ عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطلب من قريش أن ترتفع في الجبال ، فصعِدت إلى الجبال بأطفالها ونسائها .

وكان لعبد المطلب مئة ناقة ، فأخذها جيش أبرهة ، فأتىٰ ودخل على السرادق ، واستأذن ليكلم الملك ، وإذا عليه الهالة جد الرسول طويل صبيح مليح فصيح ، فقالوا لأبرهة : هـٰذا شيخ مكة أتىٰ يكلمك ، فظن أنه أتىٰ ليشفع

في الكعبة ويترجاه ، فلما رأىٰ أبرهة عبد المطلب وعليه هالة السيادة والريادة . . استحيا وأجلسه معه على السرير ، قال : ماذا تريد ؟

قال : لي مئة ناقة عندكم كانت ترعىٰ في المغمّس فأخذها جندكم ، ردُّوا إبلي .

قال : كنت أظنك تشفع في الكعبة .

فقال عبد المطلب : هـٰذا الإبل أنا ربه وللبيت رب يحميه ، فأخذ الإبل وصعد بها إلى الجبل ، ورجع عبد المطلب إلى الكعبة وأخذ حلق البيت وقال :

لَاهُمَّ ؛ إِنَّ ٱلْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَٱمْنَعْ رِحَالَكْ
لاَ يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ أَبَداً مِحَالَكْ

ثم ارتفع في الجبال .

وفي الصباح جهز أبرهة الجيش ليهدم الكعبة ، فأرسل الله الواحد القهار طيراً ، كل طير يحمل ثلاثة أحجار ، كل حجر عليه اسم الجندي الذي سيضربه ، وغطت السماء عليهم ، وأتت الطيور تقذفهم بالحجارة ، فتضربه من رأسه ، وتخرج أسفله ، ويلقون في الأرض سراعاً سراعاً بدداً بدداً .

وكان الفيل قبل ذلك إذا وجهوه إلى الكعبة . . جلس ، وإذا وجهوه إلىٰ غيرها . . مشىٰ ، وقال الرسول يوم حبست ناقته : « حبسها حابس الفيل » .

يقول أحد العلماء : سبحان الله! يستحيي الفيل من بيت ملك الملوك ، والناقة تستحيي ، وأنت لا تستحيي !

وبقي من الجند أبرهة وغلام ، وأصابه الجرب ، وأخذ يحك جسمه حتىٰ تساقط جلده .

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ .

أما ضيع سعيهم ، أما قتلهم ، أما بدّدهم ، أما دمرهم ، والآن شهدت قريش بتلك الواقعة ، وشهدوا عام الفيل ، وأرّخوا بعام الفيل .

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ .

قيل : الطير من البحر الأحمر ، وقيل : طير مثل الجراد له مناقر يحمل في رجله حجر كالحمصة مكتوب عليه اسم الرجل الذي ترميه به .

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ .

من طين منضود محمي شديد كالحجارة .

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ .

مثل الزرع إذا أكلته الدواب ، ثم مزقته ، ثم مشت عليه ، ذاك اليوم جلست الطيور عليهم حتىٰ مزقت الجيش كله ، وأصبح لحمهم طعاماً للطيور الجارحة ، فمن الذي يقاوم قوة الله ؟!

قيل : ما أخطأ لها رمية .

* * *

سورة المسد

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ .

وأبو لهب هو عم محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان أَحَدَ عَشَرَةٍ من أعمامه .

كان له غديرتان وراء ظهره ، وكان وضيئاً ، جميل الوجه ، قبيح العمل والسريرة والمعتقد .

آذىٰ محمداً ، وكان ينثر التراب عليه ، ويكذبه في المواسم ، ويقول : لا تصدقوا هـٰذا فهو مجنون وكذاب ، وتدور الأيام ، وتشترك معه أم جميل زوجته ، وتؤذي الرسول ، وتضع الشوك .

ويأتي النبي ، ويدعو كفار قريش إلى الصفا ، فلما اجتمعوا . . قال : « قولوا : لا إلـٰه إلاّ الله . . تفلحوا » ، قال : تباً لك ، ألهـٰذا جمعتنا ؟! فتباً له وخسارة .

فإن كان لا يدعوهم إلىٰ أعظم قضية ، قضية التوحيد والإيمان ، وإنقاذ الناس من الضلالة وهدايتهم . . فلماذا يدعوهم وإلامَ ؟!

وهو ـ أي : أبو لهب ـ كان يعبد الطاغوت ، ويسجد للحجر والصنم ، وهو نجس لا يعرف الطهارة ، وإنما هو في سكر ونكر ، فلما قال أبو لهب قوله . . أنزل الله : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ، وسمّاه بكنيته ؛ لأنه سوف يصلىٰ ناراً ذات لهب ، فله من اسمه نصيب مشتق من اللهب ، فالمعنىٰ : خسر

وخاب وأفلس من الخير والبركة ، وهٰذا حال كل من عارض محمداً صلى الله عليه وسلم وخالف منهجه ، فتَبَّ ؛ أي : خاب عمله ، وضل سعيه ، وساء فعله ، وقبح وجهه .

﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ .

عنده مال ومعاش ، فلا يدافع عنه ماله ولا يغنيه ولن ينفعه عند الله ، وماله وبال عليه وجاهه ، فكان الإنسان إذا انحرف عن عبادة الله . . حاربه كل شيء ؛ ماله ، وجاهه ، وأبناؤه ، ومنصبه ، وأعوانه .

﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ .

وعزة الله ؛ ليصلين ناراً تلظىٰ ، وهي نار جهنم ذات اللهب تحرقه وتحرق جُنوبه وتصل إلىٰ فؤاده ، فما دام هٰذا موقفه من الدعوة . . فلا محاباة في الإسلام ولو كان قريباً ، وَلْيَصْلَ ناراً ذات لهب ، فأبو لهب مع أنه عم النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ أنه خالف وعاند ، وجحد وكفر ، وبلال من الحبشة وسلمان من فارس وصهيب من الروم يؤمنون فيصبحون أنصار الإسلام ، ويبني الله لهم قصوراً في الجنة ، ويمتدحهم الرسول عليه الصلاة والسلام .

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ .

تحمل النميمة والغيبة ، والصحيح عند العلماء : أنها كانت تحمل حزمة من الشوك وتنثره في طريق الرسول تؤذيه عليه الصلاة والسلام ، فكان إذا خرج . . وقع في الشوك ، فأنزل الله في امرأة أبي لهب : ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ ، فسوف تجتمع مع زوجها في النار ذات اللهب .

﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٌ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ .

وكان عندها حبل تربط به الشوك لترمي به في طريق النبي صلى الله عليه

وسلم ، فيجعل الله سبحانه هٰذا الحبل من نار يشتعل ثم يجعله في جيدها ، عنقها أو يدها ، فيربطها فتسحب به في النار في كل مكان عقاباً لها علىٰ ما فعلت بسيد الخلق عليه الصلاة والسلام ، و(المسد) قيل : ليف ، وقيل : سلب .

فصاحب الزور والبهتان يضرب شدقه ويسحب في النار ، والزناة يوضعون في صهاريج وآنية تغلي بالزيت حتىٰ تنسلخ لحومهم عن عظامهم ، والجزاء من جنس العمل ، والذي سرق وغَلَّ يَغُلُّ الله يده وراء ظهره .

* * *

البصائر والذّخائر

قال في مقدمة « البصائر والذخائر » :

اللهم ؛ إني أسألك جداً مقروناً بالتوفيق ، وعلماً بريئاً من الجهل ، وعملاً عرياً من الرياء ، وقولاً موشحاً بالصواب ، وحالاً دائرة مع الحق ؛ نعم ، وفطنة عقل مضروبة في سلامة صدر ، وراحة جسم راجعة إلىٰ روح بال ، وسكون نفس موصولاً بثبات يقين ، وصحة حجة بعيدة من مرض شبهة ؛ حتىٰ تكون غايتي في هـٰذه الدار مقصودة بالأمثل فالأمثل ، وعاقِبتي عندك محمودة بالأفضل فالأفضل ، مع حياة طيبة أنت الواعد بها ووعدك الحق ، ونعيم دائم أنت المبْلغ إليه .

اللهم ؛ فلا تخيّب رجاء من هو منوط بك ، ولا تصفر كفاً هي ممدودة إليك ، ولا تذِلّ نفساً هي عزيزة بمعرفتك ، ولا تسلب عقلاً هو مستضيء بنور هدايتك ، ولا تُعْم عيناً فتحتها بنعمتك ، ولا تحبس لساناً عودته الثناء عليك ، وكما أنت أولىٰ بالتفضل . . فكن أحرىٰ بالإحسان .

الناصية بيدك ، والوجه عان لك ، والخير متوقع منك ، والمصير علىٰ كل حال إليك ، ألبسني في هـٰذه الحياة البائدة ثوب العصمة ، وحلني في تلك الدار الباقية بزينة الأمن ، وافطم نفسي عن طلب العاجلة الزائلة ، وأجرني على العادة الفاضلة ، ولا تجعلني ممن سها عن باطن ما لك عليه ، بظاهر ما لك عنده ، فالشقي من لم تأخذ بيده ، ولم تؤمنه من غده ، والسعيد من آويته إلىٰ

كنف نعمتك ، ونقلته حميداً إلىٰ منازل رحمتك ، غير مناقش له في الحساب ، ولا سائق له إلى العذاب ، فإنك علىٰ ذلك قدير .

ثبت ـ أطال الله بقاءك ـ الرأي بعد المحص والاستخارة ، وصح العزم بعد التنقيح والاستشارة ، علىٰ نقل جميع ما في ديوان السماع ، ورسم ما أحاطت به الرواية ، واشتملت عليه الدراية ، منذ عام خمسين وثلاث مئة ، مع توخي قصار ذلك دون طويله ، وسمينه دون غثه ، ونادره دون فاشيه ، وبديعه دون معتاده ، ورفيعه دون سفسافه .

ومتىٰ أنصفتك نفسك ، وهدتك الرأي ، وملكتك الزمام ، وجنبتك الهوىٰ ، وحملتك على النهج ، وحمتك دواعي العصبية . . علمت علماً لا يخالطه شك ، وتيقنت تيقناً لا يطور به ريب ، أنك ممن كفي مؤونة التعب بنصب غيره ، ومنح شريف الموهبة بطلب سواه .

وذلك بين عند تصفح ما تضمن هـٰذا الكتاب ؛ فإنك مع النشاط والحرص ستشرف علىٰ رياض الأدب ، وقرائح العقول ، من لفظ مصون ، وكلام شريف ، ونثر مقبول ، ونظم لطيف ، ومثل سائر ، وبلاغة مختارة ، وخطبة محبرة ، وأدب حلو ، ومسألة دقيقة ، وجواب حاضر ، ومعارضة واقعة ، ودليل صائب ، وموعظة حسنة ، وحجة بليغة ، وفقرة مكنونة ، ولمعة ثاقبة ، ونصيحة كافية ، وإقناع مؤنس ، ونادرة ملهية ، وعقل ملقح ، وقول منقح ، وهزل شِيب بجد ، وجد عجن بهزل ، ورأي استنبط بعناية ، وأمر بيت بليل ، وسر كتم على الزهد ، وحجة استخلصت من شوائب الشبه ، وشبهة أنشئت من فرط جهالة ، وبلادة طباع رويت بلسان عي ، ولفظ مرذول عن صدر حرج ، وفؤاد عبام .

جمعت ذلك كله في هٰذه المدة الطويلة مع الشهوة التامة ، والحرص المتضاعف ، والدأب الشديد ، ولقاء الناس ، وفلي البلاد ، من كتب شتىٰ حكيت عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكناني ، وكتبه هي الدر النثير ، والنور المطير ، وكلامه الخمر الصرف ، والسحر الحلال ؛ ثم كتاب « النوادر » لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ، ثم كتاب « الكامل » لأبي العباس محمد بن يزيد الثمالي ، ثم كتاب « العيون » لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري ، ثم « مجالسات ثعلب » ، ثم كتاب ابن أبي طاهر الذي وسمه بـ« المنظوم والمنثور » ، ثم كتاب « الأوراق » للصولي ، ثم كتاب « الوزراء » لابن عبدوس ، و« الحيوانات » لقدامة .

هٰذا إلىٰ غير ذلك من جوامع للناس مضافات إلىٰ حفظ ما فاهوا به ، واحتجوا له ، واعتمدوا عليه ، في محاضرهم ونواديهم ، وحواضرهم وبواديهم ، مما يطول إحصاؤه ، ويمل استقصاؤه ، وسيعتزي في التفصيل كل شيء منه إلىٰ معدنه ، وينتسب إلىٰ قائله ، والغرض من الكتاب مسوق إليك ، والمراد فيه معروض عليك ، فلا عائدة إذن للإطالة ، إلا بقدر التلطف والاستمالة .

وأنا ضامن لك أنك لا تخلو في دراسة هٰذه الصحيفة من أمهات الحكم ، وكنوز الفوائد :

أولها وأجلها : ما يتضمن كتاب الله تعالى الذي حارت العقول الناصعة في رصفه ، وكلّت الألسن البارعة عن وصفه ؛ لأنه المطمع ظاهره في نفسه ، الممتنع باطنه بنفسه ، الداني بإفهامه إياك إليك ، العالي بأسراره وغيوبه عليك ، لا يطار بحواشيه ، ولا يمل من تلاوته ، ولا يحس بإخلاق جدته ،

كما قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، ظاهره حكم ، وباطنه علم .

والثاني : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنها السبيل الواضح ، والنجم اللائح ، والقائد الناصح ، والعلم المنصوب ، والأمم المقصود ، والغاية في البيان ، والنهاية في البرهان ، والفزع عند الخصام ، والقدرة لجميع الأنام .

والثالث : حجة العقل ؛ فإن العقل هو الملك المفزوع إليه ، والحكم المرجوع إلىٰ ما لديه ، في كل حال عارضة ، وأمر واقع ، عند حيرة الطالب ، ولدد الشاغب ، ويبس الريق ، واعتساف الطريق .

وهو الوصلة بين الله وبين الخلق ، به يميز كلام الله عز وجل ، ويعرف رسول الله ، وينصر دين الله ، ويذب عن توحيد الله ، ويلتمس ما عند الله ، ويتحبب إلىٰ عباد الله ، ويساس عباد الله ، ويتخلص عباد الله من عذاب الله ؛ نوره أسطع من نور الشمس .

وهو الحكم بين الجن والإنس ، التكليف تابعه ، والحمد والذم قريناه ، والثواب والعقاب ميزانه ، به ترتبط النعمة ، وتستدفع النقمة ، ويستدام الوارد ، ويتألف الشارد ، ويعرف الماضي ، ويقاس الآتي ، شريعته الصدق ، وأمره المعروف ، وخاصته الاختيار ، ووزيره العلم ، وظهيره الحلم ، وكنزه الرفق ، وجنده الخيرات ، وحليته الإيمان ، وزينته التقوىٰ ، وثمرته اليقين .

والرابع : رأي العين ؛ وهو يجمع لك بحكم الصورة ، واعتراف الجمهور ، وشهادة الدهور ، نتيجة التجارب ، وفائدة الاختيار ، وعائدة

الاختبار ، وإذعان الحس ، وإقرار النفس ، وطمأنينة البال ، وسكون الاستبداد .

هٰذا سوىٰ أطراف من سياسة العجم ، وفلسفة اليونانيين ؛ فإن الحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها أخذها ، وعند من رآها طلبها ، والحكمة حق ، والحق لا ينسب إلىٰ شيء ، بل كل شيء ينسب إليه ، ولا يحمل علىٰ شيء ، بل كل شيء يحمل عليه ، وهو متفق من كل وجه ، يطرب به الراضي ، ويقنع به الغضبان ، مشرق في نفسه ، موثوق بحكمه ، معمول بشرطه ، معدول إلىٰ قضيته ، به خلق الله عز وجل السماء والأرض ، وعليه أقام الخلق ، وبه قبض وبسط ، وحكم وأقسط .

فاستدع ـ أيدك الله ـ نشاطك الشارد ، وراجع بالك الرخي ، وجُل بفهمك في رياض عقول القدماء ، وانظر إلىٰ مآثر هٰؤلاء الحكماء ، واطلع علىٰ نوادر فطن الأدباء ، واجمع بين طيب السلف ، وخبيث الخلف ، فما تخلو عند جولانك فيها من جد أنت سعيد به ، وهزل أنت مدارٍ فيه ، ورأي أنت فقير إليه ، وأمر لعلك محمود عليه :

فَـالدَّهْـرُ آخِـرُهُ شِبْـهٌ بِـأَوَّلِـهِ   نَـاسٌ كَنَـاسٍ وَأَيَّـامٌ كَـأَيَّـامِ

وإذا حفظت ما مضىٰ . . حذرت ما بقي .

واجعل نهاية حالك ، وقصارىٰ أمرك ، فيما تستفيد من هٰذا الكتاب ، وعساه يجمع ألفي ورقة ، أن تكون سالياً عن هٰذه الدنيا ، قالياً لأمورها ، واثقاً بالله تعالىٰ ، مطمئناً إليه ، ممترياً لمزيده ، منتظراً لموعوده ، عالماً بأنه أولىٰ بك ، وأملك لك ، وأقرب إليك ؛ فإنه متىٰ خلاك من توفيقه . . عثرت عثاراً بعد عثار ، وأسرت إساراً بعد إسار ، واستمررت في الخزي استمراراً

بعد استمرار ، وتلك حال من غضب الله عليه ، وأرسله من يده ، ووكله إلىٰ حول خفيف ، ومتن ضعيف ، لا أذاقك الله كرب هٰذه البلوىٰ ، ولا أخلاك أبداً من متجدد النعمىٰ .

واصرف ما استطعت همتك عن هٰذا الظل القالص ، والزخرف العاطل ، والعيش الزائل ، إلىٰ ما وعدك الله ؛ فإن إلهامه إياك متىٰ صادف طاعتك له ، ودعاءه لك متىٰ وافق إجابة منك . . مدت السعادة جناحها عليك ، وصافحت يد اليمن كفك ، ونجوت من معاطب عالم : الساكن فيه وجل ، والصاحي من أهله ثمل ، والمقيم علىٰ ذنوبه خجل ، والراحل عنه مع تماديه عجل ؛ وإن داراً هٰذا من آفاتها وصروفها ، لمحقوقة بهجرانها وتركها ، والصدوف عنها ، خاصة ولا سبيل لساكنها إلىٰ دار قراره إلا بالزهد فيها ، والرضا بالطفيف منها كبلغة الثاوي وزاد المنطلق .

عرفنا الله حظنا ، وسلك بنا في طرق رشدنا ، وسلّ حب الدنيا من قلوبنا ، وحطّ ثقل الحرص عليها عن ظهورنا ، وفتح علىٰ ما عنده بصائرنا ، وغمض عما هٰهنا أبصارنا ، ولا ابتلانا بنا ، ولا أسلمنا إلينا ، إنه ولي النعمة ومانحها ، ومرسل الرحمة وفاتحها ، بيده الخير ، وهو علىٰ كل شيء قدير ؛ جل مذكوراً ، وعز مراداً .

اللهم ؛ فاسمع ، وإذا سمعت . . فأجب ، وإذا أجبت . . فبلغ ، وإذا بلغت . . فأدم ؛ فإنه لا يشقىٰ من كنت له ، ولا يسعد من كنت عليه ، وصلّ علىٰ نبيك المبعوث من لدنك إلىٰ خلقك ، محمد وآله الطاهرين ، ولا تنزع من قلوبنا حلاوة ذكره ، ولا تضلنا بعد إذ هديتنا ، وقرب علينا طريق الاقتداء بأمره ، والاهتداء بهديه ؛ فإنك تصرف من تشاء إلىٰ ما تشاء ، لا راد

لقضائك ، ولا معقّب لحكمك ، ولا محيط بكنهك ، ولا مطلع علىٰ سرك ، ولا واصف لقدرك ، ولا آمن لمكرك ؛ أنت الإله المحمود ، وأنت نعم المولىٰ ونعم النصير .

قد تلطفت إلىٰ قلبك بحثي إياك علىٰ حظك في فنون من القول ، وضروب من الوصايا ، وأرجو أن يكون صوابي عندك فيها متقبلاً ، وخطأي فيها عندك متأولاً ، لا لأني لذلك أهل ، ولكن لأنك حقيق به ، وله خليق ، ومهما شككت فيما يرد عليك مني في هٰذا الكتاب ، فلا تشك أني قد نثرت لك فيه اللؤلؤ والمرجان ، والعقيق والعقيان ، وهٰكذا يكون عمل من طب لمن حب .

ثبت الله نعمه لديك ، وخفف مؤونة شكرها عليك ، وتابع لك المزيد ، في كل يوم جديد ، وحرسك من نفسك ، وعصمك من بني جنسك ، وعرفك الخير ، وحبب إليك الإحسان ، ووفقك للرشاد ، وختم أمرك بالطهارة بعد بلوغ الأماني ودرك المطالب ، بمنه وقدرته .

* * *

تاج الملك

* قال محمد إقبال : إذا لم تعرف رازقك . . كنت فقيراً إلى الملوك ، وإذا عرفته . . افتقر إليك كبار الملوك ، إن الاستغناء ملوكية ، وعبادة البطن قتل للروح ، وأنت مخير بينهما ، إذا شئت . . اخترت القلب ، وإذا شئت . . اخترت البطن .

* قال أبو عثمان الجيزي : من علامة السعادة أن تطيع وتخاف ألا تُقبل ، ومن علامة الشقاء أن تعصي وترجو أن تنجو .

* قيل لأعرابي : أتحسن أن تدعو ربك ؟ قال : نعم ، اللهم ؛ إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك ، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك .

* وقيل : لا تكن كثير القلق علىٰ خبزك ؛ فلقد تكفَّل الله بالجميع ، فعندما يولد الطفل يُوفِّرُ لثدي الأم لبناً حلواً .

* جاء في الأثر أن الله سبحانه يقول : (لو أن ابن آدم لم يرجُ غيري . . ما وكلته إلىٰ غيري ، ولو أن ابن آدم لم يخف غيري . . ما أخفته من غيري) .

* قيل لأبي حازم : إنك لمسكين ، فقال : كيف أكون مسكيناً ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ؟!

* قال الأصمعي : قلت لأعرابي معه شاء : لمن هٰذه الشاء ؟ فقال : هي لله عندي .

* دَخَلَت عجوز على الحجاج ، فقال لها : والله ؛ لأقتلنَّ ابنك ، قالت : لو لم تقتله . . مات .

* قال شكيب أرسلان : اليأس من جهة العقل انتحار ، ولا ينتحر إلا الذي خالط عقله الجنون ، ومن جهة الدين كفر ، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

* أوصىٰ رجل آخر أراد سفراً فقال : آثر بعملك معادك ، ولا تدع لشهوتك رشادك ، وليكن عقلك وزيرك ، الذي يدعوك إلى الهدىٰ ، ويعصمك من الردىٰ ، والجم هواك عن الفواحش ، وأطلقه في المكارم ؛ فإنك تبر بذلك سلفك ، وتشيدُ شرفك .

* قال الشيخ عبد القادر الدشطوطي : أوصيك بعدم الالتفات إلىٰ غير الله عز وجل في شيء من أمورك في الدنيا والآخرة ؛ فإن جميع الأمور لا تبرز إلا بأمره ، فارجع في الأمور إلىٰ من قدّرها ، يقول الله عز وجل في بعض كتبه المنـزلة : (يا عبدي ؛ لو سقتُ إليك ذخائر الكونين فنظرت إليها بقلبك طرفة عين . . فأنت مشغول عنا لا بنا) .

* دخل محمد الباقر علىٰ عمر بن عبد العزيز فقال : يا أبا جعفر ؛ أوصني ، قال : أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولداً ، وأوسطهم أخاً ، وكبيرهم أباً ، فارحم ولدك ، وصل أخاك ، وبرَّ أباك ، وإذا صنعت معروفاً . . فربّه .

* قال شكيب أرسلان : بفساد أخلاق الأمراء ، ومواطأة بعض العلماء لهم ، أصاب الأمة الإسلامية ما أصابها .

* وقال سفيان الثوري : أوصيك بتقوى الله ؛ فإن اتقيت الله عز وجل . .

كفاك الناس ، وإن اتقيت الناس . . لم يغنوا عنك من الله شيئاً .

* احذر المنـزلة وحبَّها ؛ فإنَّ الزهد فيها أشد من الزهد في الدنيا .

* دخل بعض الفقراء على الرشيد العباسي ، وتاجه يومئذٍ سبيكة العصر الذهبي في تاريخ الإسلام ، والإسلام يومئذٍ ترتجف به دفتا الشرق والغرب ، وكأن الشمس والقمر يتلألآن علىٰ أرجاء ملكه ذهباً وفضة ، وكانت في يد الرشيد شربة ماء وقد رفعها إلىٰ فمه ، فلما أبصر ذلك الرجل الفقير الملكُ الذي لا يملكه شيءٌ . . أمسك ثم قال له : عظني ، قال : أرأيت يا أمير المؤمنين لو مُنِعَتْ عنك هـٰذه الشربة التي في يدك . . أفكنت تطلبها بكل ملكك ؟ قال : نعم ، قال : أفرأيت لو شربتها ، ثم امتنع خروجها منك ، أكنت تفتدي من عاقبة ذلك بكلِّ ملكك ؟ قال : نعم ، قال الرجل الصالح : فانظر يا أمير المؤمنين ؛ ما قيمة ملكٍ لا يُساوي عند قَدَرِ الله شربة ولا بولة ؟!

* كان أبو علي الدقّاق الحسن بن علي النيسابوري الشافعي الزاهد العابد لسانَ وقته ، وإمام عصره ، وزاهد زمانه ، وعالم أوانه ، أتاه بعض أكابر الأمراء ، فعقد علىٰ ركبتيه بين يديه وقال : عظني ، فقال أبو علي : أسألك عن مسألة ، وأريد الجواب بغير نفاق ، فقال : نعم ، هات ما عندك ، فقال أبو علي : أيُّهما أحب إليك : المال أو العدوّ ؟ قال : المال ، قال أبو علي : كيف تترك ما تحبه بعدك لورثتك ، وتستصحب العدوّ الذي لا تحبه معك ، وهو عملك ؟! فبكىٰ وقال : نعمت الموعظة هـٰذه .

* قال أبو أيوب الأنصاري : إنَّ الرجل ليعمل الحسنة ، فيثق بها ، وينسى المحقرات ، فيلقى الله وقد أحاطت به ، وإنَّ الرجل ليعمل السيئة ، فلا يزال منها مشفقاً ، حتىٰ يلقى الله آمناً .

* كتب محمد بن النضر الحارثي إلىٰ أخ له : أما بعد ؛ فإنك في دار تمهيد ، وأمامك منزلان لا بُدَّ من أن تسكن أحدهما ، ولم يأتك أمان فتطمئن ، ولا براءة فتقصر . والسلام .

* قال أبو الحسن الندوي : ليست مسألة اليوم مسألة انحطاط في الأخلاق ، وضعف في العبادات ، وترك للشعائر ، وتقليد للأجانب ، وإن كانت هـٰذه مسائل تستحق العناية والجهاد ، ولكن مسألة العالم الإسلامي اليوم أعظم وأضخم من كل ذلك .

إنها مسألة كفر وإيمان ، إنها مسألة بقاء على الإسلام وخلع له ، إنَّ المعركة قائمة بين الفلسفة الغربية اللادينية وبين الإسلام آخر الرسالات ، وبين المادية والشرائع السماوية ، ولعلها آخر معركة تقوم بين الدين واللادينية وإنها تحدد مصير العالم .

* الفشل للضعيف انسحاق ، وللقوي نقطة انطلاق .

* استسلم طائعاً ، وتعزّ بيوم فقرك وفاقتك ، واسع في طلب الأمان ؛ فإنك في سفر إلى الموت ، يطرد بك ، نائماً ويقظان ، واذكر سهر أهل النار في خلد أبداً .

* وتخوف أن يُنصرف بك من عند الله عز وجل إلى النار ، فيكون ذلك آخر العهد بالله عز وجل وينقطع الرجاء .

* واذكر أنك قد راهقت الغاية ، وإنما بقي الرمق ، فسدد تصبراً وتكرماً .

* وارغب ببقية عمرك أن تُفْنِيَه للدنيا ، وخذ منها ما يفرغك لآخرتك ، ودع منها ما يشغلك عنها .

* قال ابن الجوزي : فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا . . فرضنا

ستين سنة . . فإنه يمضي منها ثلاثون سنة في النوم ، ونحوٌ من خمس عشرة سنة في الصِّبا ، فإذا حسب الباقي . . كان أكثره في الشهوات والمطاعم والمكاسب ، فإذا خلص ما للآخرة . . وجد فيه من الرياء والغفلة كثيراً ، فبماذا تشتري الحياة الأبدية ، وإنما الثمن هـٰذه الساعات ؟!

* قال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفاره ، ووطئنا الحسناء ، ولبسنا اللين ، وأكلنا الطيب ، ما أنا اليوم إلىٰ شيء أحوج مني إلىٰ جليس أضع عني مؤونة التحفظ فيما بيني وبينه .

* عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه بكىٰ يوماً بين أصحابه ، فسئل عن ذلك ، فقال : فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها ، فاعتبرت منها بها ؛ ما تكاد شهواتها تنقضي حتىٰ تكدرها مرارتها ، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر . . إنّ فيها مواعظ لمن ادَّكر .

* قال عبد الله بن المبارك : مرّ رجل براهب عند مقبرة ومزبلة ، فناداه فقال : يا راهب ؛ إنّ عندك كنزين من كنوز الدنيا ، فيهما معتبر : كنز الرجال ، وكنز الأموال .

* قال سفيان الثوري : إنّ الدنيا غمها لا يفنىٰ ، وفكرها لا ينقضي ، وفرحها لا يدوم ، فلا تتوانَ فتعطب .

* سادة الناس في الدنيا الأسخياء ، وفي الآخرة الأتقياء .

* قال أحمد بن أبي الحواري : من عرف الدنيا . . زهد فيها ، ومن عرف الآخرة . . رغب فيها ، ومن عرف الله . . آثر رضاه ، ومن لم يعرف نفسه . . فهو من دينه في غرور .

* كان بعض السلف يقول : اللهم ؛ احفظني من أصدقائي ، فسئل عن

ذلك ، فقال : إنني أحفظ نفسي من أعدائي .

* وكان حكيمٌ يقول : استهينوا بالموت حتىٰ يهون عليكم فراق الدنيا .

* قال فتح الموصلي : رأيت رجلاً صالحاً في البادية ، فقلت له : أينَ الزادُ ؟ فقال : قدَّمْتُه إلى المعاد ، قلت : فأين الراحلةُ ؟ قال : مناخةٌ في الآخرة .

* وقال آخر : مَنْ بلغ أقصىٰ أمله . . فليتوقع دُنُوَّ أجله .

* قال العلاء بن المسيب : ليس قبل الموت شيء إلا والموت أشدُّ منه ، وليس بعد الموت شيءٌ إلا والموت أيسر منه .

* قال حكيم : ما نقصت ساعةٌ من أمسِك إلا ببضعة من نفسك .

* وقال آخر : لنا بكل ميت عظة بحاله وعبرة بمآله .

* قال علي بن محمد بن حبيب الماوردي : إن الدنيا إذا وصلت . . فتبعات موبقة ، وإذا فارقت . . ففجعات محرقة ، وليس لوصلها دوام ، ولا من فراقها بُدٌّ ، فرُضْ نفسك علىٰ قطيعتها ؛ لتسلم من تبعاتها ، وعلىٰ فراقها ؛ لتأمن فجعاتها ، فقد قيل : المرء مقترض من عمره المنقرض ، مع أن العمر وإن طال قصير ، والفراغ وإن تم يسير .

* من طاوع طرفه . . تابع حتفه .

* من قوي علىٰ نفسه . . تناهىٰ في القوة .

* ومن يخطب الحسناء . . لم يَغْلُهُ المهر .

* وقيل : الدنيا إن بقيت لك . . لا تبقىٰ لها .

* قال الحسن البصري : نهارك ضيفك فأحسن إليه ؛ فإنك إن أحسنت إليه . . ارتحل بحمدك ، وإن أسأت إليه . . ارتحل بذمِّك ، وكذلك ليلك .

* ما أنصف نفسه من أيقن بالحشر والحساب ، وزهد في الأجر والثواب .

* كتب الربيع بن خثيم إلىٰ صديق له : قدّم جهازك ، وافرغ من زادك ، وكن وصيّ نفسك . والسلام .

* قال بشر بن الحارث : أول عقوبة يعاقبها ابن آدم في الدنيا مفارقة الأحباب .

* قال أبو العباس الطوسي : أنت في هدم عمرك منذ خرجت من بطن أمك .

* قال عمر بن عبد العزيز : أصلحوا سرائركم . . تصلح لكم علانيتكم ، وأصحلوا آخرتكم . . تصلح دنياكم ، وإن امرأً ليس بينه وبين آدم أب حيٌّ لمعرق في الموت .

* قال عثمان بن عفان : إنما أعطاكم الله الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفنىٰ ، والآخرة تبقىٰ ، فلا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية .

* قال سهل بن هارون : من طلب الآخرة . . طلبته الدنيا حتىٰ تُوَفِّيَهُ رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا . . طلبه الموت حتىٰ يخرجه منها .

* قال الحسن : يا ابن آدم ؛ أنت أسير الدنيا ، رضيت من لذاتها بما ينقضي ، ومن ملكها بما ينفد ، تجمع لنفسك الأوزار ، ولأهلك الأموال ، فإذا متَّ . . حملت أوزارك إلىٰ قبرك ، وتركت أموالك لأهلك .

* * *

يا بنيّ

أقدم لأبنائي وصية ، وهي أعظم هديَّة ، وإنما العمل بالنية .

اعبدوا الله ما لكم من إلـٰه غيره ، فمن فعل ذلك . . فإن الله ظهيره ونصيره ، وكلما سمعتم حديثاً لصاحب الشفاعة . . فقولوا : سمعاً وطاعة .

وأوصيكم ببر الآباء والأمهات ، وأنهاكم عن منعٍ وهات ، وتضييع الصلوات ، واتباع الشهوات .

والله الله في تدبر المثاني ، وهجر الأغاني ، وترك الأماني .

واعلموا أنها قامت عليكم الحجة ، وبانت المحجة .

وأوصيكم بتوقير شعائر الدين ؛ فإنها تقوىٰ رب العالمين .

واستعدوا للرحيل ، إلى الملك الجليل ؛ فإنكم قادمون إليه عما قليل .

وإذا سمعتم الأذان . . فأجيبوا داعي الرحمـٰن ؛ فليس بعد الأذان أعمال ولا أشغال ، بل ذهاب إلىٰ بيت ذي الجلال .

وقد دعيتم ، فأجيبوا الداعي ، بقلب واع ؛ فإني أخشىٰ علىٰ من تهاون بتكبيرة الإحرام ، مع الإمام ، أن يحرم التوفيق على الدوام ، وألا يبلغه الله المرام .

واعلموا أن من صحب الفسّاق ، ونقض الميثاق . . ابتلاه الله بالنفاق .

ولا تقولوا : نحن في عصر الصبا ، وكم من سيف نبا ، وجَواد كبا ، فهـٰذا كلام من غره بالله الغرور ، حتىٰ فاجأته قاصمة الظهور ، وطرح في القبور .

وتذكروا ليلة صبحها يوم القيامة ، فما أكثر الأسف فيها والندامة!

وتذكروا أول ليلة في القبر ، فلا إلـٰه إلا الله ما أعظمه من أمر! ليلة ليس فيها جليس ولا أنيس ، يرتجف لها القلب ، ويذهب من هولها اللب ، ليس معكم فيها صديق ولا رفيق ، تخلىٰ عنكم الأحباب ، وترككم الأصحاب ، وجردوكم من الثياب ، ووسدوكم التراب .

الأموال بعدكم قسمت ، والبيوت سكنت ، والزوجات نكحت ، فأين قلوبكم والعقول ؟ ما لكم في ذهول ، وأنتم في نقول ؟

فارقعوا بالاستغفار ما مزقته أيادي الذنوب الكبار ، واغسلوا بدمع العيون غبار الذنوب ، وفرّوا إلىٰ علام القلوب ، وعليكم بالسكوت ، ولزوم البيوت ، والرضا بالقوت ؛ فإنه كاف لمن سيموت ، والحرص علىٰ تكبيرة الإحرام ، وسلامة الصدور من الآثام ، وإطابة الطعام ، وحسن الخلق مع الأنام ، عربون صادق لدار السلام ، وطهروا القلوب من الإحن ، والزموا السنن ، وفروا من الفتن ، تجدوا عونه عز وجل وقت المحن ، مع إسباله عليكم ثوب المنن .

وأشرف تاج تاج الديانة ، وثوب الصيانة ، والصدق والأمانة ، والوقار والرزانة .

وثوب الرياء ثوب مخرق ، ورداء الكبر رداء ممزق .

والعمل بالسُّنَّة ، أقرب طريق إلى الجنة ، ومرافقة الأشرار ومصاحبة الفجار ، هي الخسار والبوار ، وهم الدعاة إلى النار ، ومن ألان كلامه ، ووصل أرحامه ، وبذل طعامه ، ونشر سلامه . . أكرم الله في الجنة مقامه .

وويل لمن كان خصمه لسانه ، وأشهد علىٰ نفسه إخوانه ، واستشار في

أمره شيطانه ، وأرخص للشهوات إيمانه .

وخلوة بكتاب ، ودمعة في محراب ، وتواضع للأصحاب. . خير من القصور والقباب .

ومن أقبح ممن ناداه ربه إلى المسجد ، فتبلد وتردد ؟!

ومن عود لسانه الذكر ، وقلبه الشكر ، وعقله الفكر ، وبدنه الصبر. . نال أعظم الأجر ، وحط عنه الوزر .

وكل لباس يبلىٰ إلا لباس التقوىٰ ، ومن كان في دنياه شقياً بمخالفة مولاه. . فهو في الآخرة أشقىٰ ، والمأسور من أسره هواه ، والمخذول من عصىٰ مولاه ، والمفلس من خاب مسعاه .

وعليكم يا أبنائي بالصبر على المصائب ، والتجلّد للنوائب ، ومجانبة الغضب ، والإجمال في الطلب ، والإخلاص في الطاعة ، والزهد والقناعة .

واعلموا أنه ليس معكم في شدائد الزمان ، غير الواحد الديَّان ، فلا يغرركم كلام الإخوان ؛ فإن الناس في وقت العافية أعوان ، واستنطقوا الذكر الحكيم ، واتبعوا الرسول الكريم ، والزموا الصراط المستقيم .

واعلموا أن للذنوب كَفّارات ، وأن الحسنات يذهبن السيئات ، وأنه لا أنفع من الصالحات ، ولا أضر من الموبقات .

وللذنب من الله طالب ، وعلى الضمائر مراقب ، وللأعمال محاسب .

واعلموا أن شرفكم صدق اللسان ، ونسبكم الإحسان ، وكنـزكم الإيمان.

ولن ينقذكم من النار ، إلا طاعة العزيز الغفار ، واتباع المختار .

واطلبوا الكفاف ، واستتروا بالعفاف ، وخذوا وأعطوا الإنصاف ؛ فإن الحق كافٍ واف .

واسلكوا من الطرق الوسط ، ودعوا الغلو والشطط ، والتهور والغلط .

واسمعوا مني نصيحة : اعلموا أن الدنيا لا تساوي تسبيحة ، ولو كانت مليحة ، لجعلها الله لأوليائه مريحة .

وصونوا أنفسكم من سؤال الناس ، واستغنوا عما في أيديهم باليأس .

واطلبوا العلم ؛ فإنه أجلّ المطالب ، وأعظم المواهب ، وهو أرفع من المناصب ، وأكرم من كل المراتب ، وزينته العمل ، وخوف الأجل ، والاعتصام بما نزل .

والداء العضال معاداة الرجال ، ومن سالم الناس . . سلم ، ومن صمت . . غنم .

والناس لا يطلبون منكم الأرزاق ، وإنما يطلبون جميل الأخلاق .

وأوصيكم بالأذكار ، في طرفي النهار ؛ فإنها عبادة الأبرار .

ولا تهجروا تلاوة القرآن كل يوم ؛ فإنه دواء الهموم والغموم .

وركعتان في السحر خير مما طلعت عليه الشمس والقمر .

ووقروا الكبير ، وارحموا الصغير .

واحذروا أن يكون لسان أحدكم كالمقراض في الأعراض ؛ فإن هـٰذا من ضعف البصيرة ، وخبث السيرة .

ورافقوا أهل الصلاح ، وأحبوا أصحاب الفلاح ، ولا تستصغروا شيئاً من المعاصي ، وراقبوا من يأخذ بالنواصي .

وقسوة القلب يذيبها الندم ، والدمع المنسجم ، والأسف من الذنب المنصرم .

ولا تتنعموا تنعم المترفين ، ولا تزروا بأنفسكم فعل الشحّاذين ؛ فإن

المبالغة في الزينة للنساء ، والوقاحة للإماء ، والشره للسفهاء ، فكونوا أنتم العلماء الحكماء .

وأدمنوا الاستغفار كل حين ؛ فإنه مفتاح رضا رب العالمين ، وهو قوة وتمكين ، وعلىٰ كل كربة معين .

ومن لم يراقب الحسيب ، ويردعه الشيب ، ويخفِ العيب . . فليس له في الفضيلة نصيب .

وويل لمن غرته دنياه ، وخدعه مناه ، وصرعه هواه .

وطوبىٰ لعبد إذا أنعم عليه . . شكر ، وإذا ابتلي . . صبر ، وإذا أذنب . . استغفر .

وعليكم بتوقير الصحابة ، وحب القرابة ، مع لزوم مذهب السلف ، فهم أعلم وأحكم من الخلف .

حفظكم الله بالدين ، وعصمكم من نزغات الشياطين .

* * *

على الهواء مباشرة

سرعة البداهة في الرجل موهبة من الله عز وجل يمنحها من يشاء ، وخاصة إذا سُخِّرت في الخير .

ومن مواقف سرعة البداهة ما ذكره أهل الأدب : أن أحد الشعراء دخل على الأمير المُهلَّبي في العراق ، وكان المُهلَّبي الوزير مهيباً غضوباً عبوساً ، فدخل عليه الشاعر وقت المساء ، وأراد أن يقول : كيف أمسيت أيها الأميرُ ؟ فغلط الشاعر من الرهبة وخوف الموقف ، فقال : كيف أصبحت أيها الأميرُ ؟ فقال : هٰذا مساء أو صباح ؟! فأطرق الشاعر قليلاً ، ثم رفع رأسه وقال :

صَبَّحْتُهُ عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ فَقَالَ لِي : مَاذَا ٱلصَّبَاحُ ؟ وَظَنَّ ذَاكَ مِزَاحَا

فَأَجَبْتُهُ : إِشْرَاقُ وَجْهِكَ غَرَّنِي حَتَّىٰ تبَيَّنْتُ ٱلْمَسَاءَ صَبَاحَا

وعلىٰ هٰذا كانت أجوبة علي بن أبي طالب أبي الحسن ، إذ يقولون : كان من أسرع الناس جواباً ؛ لسرعة بداهته .

قال له رجل : لماذا اجتمع الناس علىٰ أبي بكر وعمر واختلفوا عليك ؟ فقال : لأنّ رعية أبي بكر وعمر أنا وأمثالي ، ورعيّتي أنت وأمثالك ، قال : أنت خير الناس ، فقال : أنا فوق ما في نفسك ودون ما تقول .

وقيل له : كم بين الشرق والغرب ؟ قال : مسيرة الشمس يوماً .

قيل له : كم بين الأرض والعرش ؟ قال : دعوة مستجابة .

وأهل الأدب يذكرون : أن أبا العلاء المعري ذهب إلى الشريف الرضي في

مجلسه ، وكان الشريف الرضي لا يحب المتنبي ، والمتنبي هو شيخ أبي العلاء المعري ، فوقف عنده ، وذكر شعر المتنبي ، فهوّن الشريف الرضي شعر المتنبي ومن استشهاده ومن قوة شاعريته ، فقال : أيها الأمير ، لا تُهوِّن من شعر المتنبي ؛ لو لم يكن له إلا قصيدة :

لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي ٱلْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْهُ أَوَاهِلُ

لكفىٰ .

قال الأمير : أخرجوه من مجلسي ، فقال الناس للأمير الشريف الرضي : ما قال أبو العلاء سوءاً ! قال : بلىٰ ، هو استشهد بهـٰذه القصيدة مع العلم أن للمتنبي أحسن منها ، لكن قصده آخر القصيدة ، وهو قوله :

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ ٱلشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

فانظر كيف استحضر القصيدة سريعاً ، وانتزع هـٰذا البيت ؟! وهـٰذا من أجمل الأبيات ، فإذا ذمّك إنسان قليل قدر . . فهو دلالة علىٰ سموّ قدرك ، وارتفاع كعبك في المكارم .

ثم ذكروا : أن أبا جعفر المنصور كان من الأذكياء وصاحب أدب ، ذهب إلىٰ مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ملك ، فقال : من يطلعنا علىٰ آثار الصحابة رضي الله عنهم ، وعلىٰ أسماء بيوت المهاجرين والأنصار ؟ فأتوا بشيخ كبير ـ بالأجرة ـ مطوِّف ، وقال له أبو جعفر : أخبرني فقط باسم صاحب البيت ، ولا تُكثر علي ؛ وذلك لأنه لا يحتمل كثرة الكلام ، فأخذه من الصباح إلى المساء ، يقول : هـٰذا بيت عمر بن الخطاب ، هـٰذا بيت عثمان ، هـٰذا بيت سعد بن معاذ ، هـٰذا بيت حسان بن ثابت رضي الله عنه ، ونسوا أن يعطوه الأجرة .

وفي اليوم الثاني طلب الشيخ ، فقال : ائتوني بالشيخ علي ، فأتوا به ، فأخذ يدل أبا جعفر ويصف له البيوت ، حتىٰ أتىٰ إلىٰ بيت الأحوص الأنصاري الشاعر ، فقال : هٰذا ـ يا أمير المؤمنين ـ بيت الأحوص الأنصاري الشاعر الذي يقول :

يَـا بَيْـتَ عَـاتِكَـةَ ٱلَّـذِي أَتَعَـزَّلُ   أَثَـرُ ٱلْعِـدَىٰ وَبِـهِ ٱلْفُـؤَادُ مُـوَكَّـلُ
إِنِّـي لأَمْنَحُـكَ ٱلصُّـدُودَ وَإِنَّنِـي   قَسَماً إِلَيْكَ مَعَ ٱلصُّدُودِ لأَمْيَلُ

فوجم أبو جعفر ، وتعجب لماذا استشهد الرجل بهٰذه الأبيات ؟ فقال : أكملوا القصيدة ، فأكملوا القصيدة ، فإذا في آخرها :

وَأَرَاكَ تَفْعَـلُ مَـا تَقُـولُ وَبَعْضُهُـمْ   مَذِقُ ٱلْكَلاَمِ يَقُولُ مَا لاَ يَفْعَلُ

قال : ما أعطيتموه الأجرة ؟ قالوا : لا ، قال : الآن هو يطلب الأجرة في القصيدة والاستشهاد ، وهٰذا من هٰذا .

ثم إن أبا تمام من أشهر الشعراء بلا شك ويأتي بعد المتنبي ، وقف عند المعتصم ينشده قصيدته التي يقول في مطلعها :

مَا فِي وُقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ   نَقْضِـي ذِمَـامَ ٱلأَرْبَـعِ ٱلأَدْرَاسِ

إلىٰ أن يقول :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ   فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

فقام الطبيب الكندي ـ وكان الفيلسوف وكان حاضراً ـ فقال : ما زدت علىٰ أن وصفت أمير المؤمنين بأجلاف العرب! فوجم قليلاً أبو تمام ثم ورَّد الأبيات :

لاَ تُنْكِـرُوا ضَـرْبِي لَـهُ مَنْ دُونَـهُ   مَثَـلاً شَـرُوداً فِـي ٱلنَّـدا وَٱلْبَـاسِ
فَـٱللهُ قَـدْ ضَـرَبَ ٱلأَقَـلَّ لِنُـورِهِ   مَثَـلاً مِـنَ ٱلْمِشْكَـاةِ وَٱلنِّبْـرَاسِ

فحُمد فعلُهُ في ذلك ، فقال الطبيب الفيلسوف : هٰذا لا يعيش طويلاً ـ وفعلاً مات أبو تمام وعمره (٤٦ سنة) ـ قال : لأن عقله يأكل جسمه . فدائماً الأذكياء تجد عندهم من الاندفاع ، ومن حدة الخاطر ، وجودة الرأي ما يؤثر علىٰ أجسامهم في الغالب .

وذكروا ـ أيضاً ـ : أن أحد الوزراء كان في مجلس ، فقال لأحد الشعراء : من يكمل لي بيت شعر يبدأ بكلمة وينتهي بنفس الكلمة ؟ قالوا : أعطِنا الكلمة أيها الوزير ، قال : سمسمة ، فقال الشاعر الأول :

سِمْ سِمَةً فِي ٱلعِلْمِ تُحْمَدْ بِهَا وَٱحْمَدْ لِمَنْ أَعْطَىٰ وَلَوْ سِمْسِمَةْ

أي : اطلب علامة تُحمد ، وتشكر فيها في العلم ، واحمد الله عز وجل ولو أعطاك سمسمة . وفي الآخر قال : ملأمة ، فقال الثاني :

مَـلأَمَـةُ ٱلْـوَكْسَـاءِ فِـي خِـدْرِهَـا أَلأَمُ مِـنْ حُـرٍّ أَتَـىٰ مَـلأَمَـةْ

الملأمة : الجارية الغبية في خدرها ، أشد بخلاً وأشد ملأمة من الحر الذي يأتي ملأمة ؛ أي : ما يُلام عليه من الأفعال الشنيعة .

وَٱلْمَخ كَمَالَ ٱلْفَضْلِ حَتَّىٰ تَرَىٰ قَاضٍ يُدِيرُ ٱلْحُكْمَ فِي ٱلْمَحْكَمَهْ

قال : ألجم ، فقال :

أَلْجِـمْ جِمَـاحَ ٱلنَّفْـسِ عَـنْ غَيِّهَـا فَغَيُّهَـا يُـذْهِـبُ بِـٱلْجُمْجُمَـهْ

وهكذا ، وهٰذا من سرعة البداهة التي تحضر لبعض الشعراء ، وهي موهبة ، فمن سخرها في الخير . . أُجِر علىٰ ذلك .

وقرأت في « سفينة الأدب والتاريخ » : أن أحد الأعيان والوجهاء كان مشهوراً بأكل الربا ، وهو يعرف بـ : السحت ، وكان كذوباً ، فدعا أناساً من الأدباء وبعض الأعيان للغداء ، وفرشت المائدة أمامهم ، وجلس عندهم ـ

وهو لا يتغذىٰ ـ ويحدثهم بقصص من الأوهام والخيالات والخرافات وهم يأكلون ، فهم يرون أن أكلهم من الربا وهو يتكلم بالكذب ، ثم صاح بأحد الأدباء ، فقال : كيف أنتم يا فُلان ؟

قال الأديب : سمّاعون للكذب ، أكّالون للسحت . وهـٰذا في كتاب الله عز وجل عن أعدائه اليهود : ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ ، وهـٰذا من سرعة البداهة التي لا تتأتىٰ لكل أحد .

قرأت أن أحد القادة المشهورين مرَّ في مدينة بسرداب ، والسرداب مثل الشارع الضيق ، وفي أحد جنبات السرداب جزار ولا يعلم أن القائد الشجاع سوف يمر ، وكان قد ذبح شاة ، وأراد أن يرمي ببقية الشاة ، مثل : الكراع ، والرأس ، وعليها دم ، ويريد أن يرميها في الشارع ، ولم يعلم أن هـٰذا القائد يمر بموكبه في هـٰذه اللحظة ، فمر ، فرمىٰ ، فوقع بعض الدم علىٰ جسم هـٰذا القائد وعلىٰ ثيابه وعلىٰ عمامته ، وكان بطاشاً ظلوماً غشوماً ، وأراد أن يبطش به ، فقال أحد الأدباء وكان معه : أيها القائد ؛ يقول أبو الطيب :

لاَ يَسْلَمُ ٱلشَّرَفُ ٱلرَّفِيعُ مِنَ ٱلأَذَى   حَتَّـىٰ يُـرَاقَ عَلَـىٰ جَـوَانِبِـهِ ٱلـدَّمُ

قال : عفوت عنه ؛ لأجل هـٰذا البيت .

وهـٰذا من قصيدة مشهورة لأبي الطيب ، مطلعها :

لِهَـوَى ٱلنُّفُـوسِ سَرِيـرَةٌ لاَ تُعْلَـمُ   عَرَضاً نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ

ومنها :

ذُو ٱلْعَقْلِ يَشْقَىٰ فِي ٱلنَّعِيمِ بِعَقْلِهِ   وَأَخُو ٱلْجَهَالَةِ فِي ٱلشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

إلىٰ أن يقول :

لاَ يَسْلَمُ ٱلشَّرَفُ ٱلرَّفِيعُ مِنَ ٱلأَذَى   حَتَّـىٰ يُـرَاقَ عَلَـىٰ جَـوَانِبِـهِ ٱلـدَّمُ

أي : إن المجد العالي يحتاج إلىٰ نضال وإلىٰ كفاح وإلىٰ مدافعة ، حتىٰ إلىٰ تضحيات بالغير ؛ ليستقيم الأمر ، لكن انظر إلى استشهاد هـٰذا الأديب في هـٰذه المناسبة ، حتىٰ أعتق هـٰذا الجزار من القتل ، أو من الأذىٰ .

وذكر الإمام العلامة الكبير ابن حزم الظاهري ، قال : كان أبي مُستشاراً في الديوان عند أحد ملوك الأندلس ، قال : فأتىٰ عدوّ له يراجع أبي في مسألة ، فكتب خطاباً لأبي ، وكتب في الخطاب ـ وهـٰذا من قلة الحيلة وقلة الذكاء ـ قولَ أبي الطيب :

وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْحُرِّ أَنْ يَرَى عَـدُوّاً لَـهُ مَـا مِـنْ صَـدَاقَتِـهِ بُـدُّ

فأنت تحتاج إلىٰ هـٰذا الوزير ، وتريد أن تراجعه في أمر ، فتكتب هـٰذا البيت الذي مقصوده : إننا مضطرون لك وأنت عدو لنا ، لكنا حملتنا الضرورة والحاجة لأن نصانعك ، وما كان ينبغي أن نفعل ذلك . فمن ذكاء والد ابن حزم أن قلب اللفظ ، فقال :

وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْحُرِّ أَنْ يَرَى صَـدِيقـاً لَـهُ مَـا مِـنْ عَـدَاوَتِـهِ بُـدُّ

أي : إنك كنت صديقاً قبل ، لكنك اضطررتنا الآن ، وأغضبتنا إلىٰ أن نجعلك عدواً بالغصب والقوة .

وهـٰذا يفعله بعض الناس من الهوج ، بأن يستخدم بعض العبارات التي لا تجدي ، وقد تكلفه روحه ، أو تكلفه موقفه أو مصلحته ، حتىٰ إن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز : ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ ؛ أي : يختارون من العبارات اللينة الموفقة التي تدعو إلى الوفاق ، وإلى المسامحة ، أحسن من اختيار العبارات التي تُزعج .

ومن هـٰذا الباب : أن امرأة كانت مارّة في مجلس في الكوفة ، وفيها قوم

يظهر أنهم من بني نُمير ، فنظروا إليها ، فالتفتت إليهم ، فقالت : قاتلكم الله يا نُمير ، أنتم لا أخذتم بقول الله عز وجل ولا بقول جرير ، فالله عز وجل يقول : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ . وجرير يقول :

فَغُضَّ ٱلطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فَلاَ كَعْباً بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبَا

انظر لها كيف استخدمت الأمرين ، واستشهدت في الحال المناسب بهـٰذا الاستشهاد المناسب في وقته ، وهـٰذا من الذكاء المفرط .

ذكر الذهبي عن أبي مسلم الخراساني القائد المشهور ، وهو من القادة الكبار ، الذي نقل دولة بني أمية إلىٰ بني العباس ، وكان من الذكاء علىٰ نحو عجيب ، قُتل وعمره (٣٩ سنة) : كان يخطب بالناس في يوم الجمعة ، وعليه عمامة سوداء ، فقام أحد الناس ـ وهـٰذا طُفيلي متعجل ـ وقال في المسجد : لماذا تلبس السواد ، وقد نُهينا عن لبس السواد ؟! والسواد هو شعار الدولة العباسية ، فالتفت أبو مسلم إلى الرجل وقال ـ وهو مرتجل وما قطع كلامه ـ : حدثني فلان ، عن فلان ، عن أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دَخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء) ، وقال : يا غلام ؛ اضرب عنقه ، فقتله أمام الناس وأتىٰ بالحديث ، فعجب الناس من سرعة بداهته ، وحفظه للحديث وهو قائد عسكري وقائد سياسي ، وأمر بقتله في الحال !

ومن هـٰذا الباب ينبغي ـ أيضاً ـ ألا تُستخدم سرعة البداهة في النيل من الناس والتعرض لهم والإضرار بهم ؛ لأن من عنده جرأة في الحديث أحياناً إذا لم يكن عنده تقوىٰ ، ولم يكن عنده وازع ديني . . أسرع بالكلام فيما يشتهي ، ولذلك كانت سرعة بداهة الأخيار والأبرار فيما يرفع وفيما يُقِيم .

وأذكر من المعاصرين أحد العلماء ، ذهب إلىٰ دولة من الدول ـ وهي دولته ، لكن منعته من الدخول فيها ؛ لأمر سياسي ـ فوصل المطار وأمِر أن يُعاد من المطار ، وأن يخرج خارج الوطن ، فلما رجع إلىٰ أصحابه قالوا : كيف وجدت المدينة التي ذهبت إليها ؟ قال : ﴿ مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴾ .

وهٰذا من أسلوب القرآن الكريم .

وعلىٰ سبيل اختيار الألفاظ : حدثني أحد الأدباء في الرياض أنه قرأ : أن هتلر لما اتجهت جيوشه إلىٰ بلغراد ، متجهة إلىٰ موسكو ، وفي تلك المدة ألقىٰ خطاباً عالمياً أذيع على العالم . . فطلب أن تُختار له كلمة من الكتب السماوية : القرآن ، أو الإنجيل ، أو التوراة ، تملأ الجو والمكان والزمان ، وكان عندهم هناك أديب عراقي لاجىء في ألمانيا ، فأتاه الخبر ، فقال : أرىٰ أن يبدأ هتلر خطابه الليلة بقوله عز وجل ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ ، هٰذا الكلام الذي يملأ الجو ويملأ المكان ويملأ الزمان ، فبدأ بهٰذا الخطاب .

ولذلك أسلوب القرآن عجيب ، حتى الجن قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴾ ، فهم ذهلوا وعجبوا ، حتى الجن سمعوا هٰذا الكتاب ، فقالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴾ ، فإذا عُلِمَ هٰذا . . فهٰذه بعض المواقف الشاعرية .

وقد قرأت : أن بعض الأدباء كان جالساً ، فأقبل عالم ـ وبعض العلماء يرىٰ عدم القيام ، وهٰذا رأي من المذاهب ـ فقام الأديب له ، فقال العالم : اجلس ، لا يجوز القيام ـ وهٰذا علىٰ مذهبه ـ فقال الأديب الشاعر :

قِيَامِي ـ وَٱلإِلَـهِ ـ إِلَيْـكَ حَـقٌّ ... وَتَـرْكُ ٱلْحَـقِّ مَـا لاَ يَسْتَقِيـمُ

فانظر كيف حضر له مثل هٰذا المعنىٰ ، ومثل هٰذه الأبيات في هٰذا المكان ؟!

والمواقف في ذلك كثيرة ولكن السلف الصالح ذكروا عنهم أنهم ما كانوا يستخدمون مثل هـٰذا ؛ لأنهم يخشون أن يكون شيئاً من المباهاة ، حتىٰ يقول الحسن : أترك بعض الكلام ؛ خشية العُجْب ؛ أي : يترك بعض الاختيارات والاستشهادات ؛ خشية من العجب .

وبعضهم يتركه خشية من العين ؛ فإن إياساً القاضي كان من أذكى الناس ، ولذلك كان يُخشىٰ عليه من العين ؛ لتسديده في القضاء ، وتسديده في الإجابة .

ومن أكثر من كان يجيب شريك القاضي ؛ قال له رجل : من عندنا خرج العلم ـ أي : من الكوفة ـ قال : ثم لم يعد إليكم أبداً .

* * *

أنا والكلمة الجميلة

كنت في الصبا أعجب بالكلمة الجميلة ، أنصت لها ، أتمتع بحسنها ، يشدني جرسها ، يخلبني سرها ، يدهشني أسرها .

أسمع الكلمة البليغة من النثر والشعر فأجد لذة في سماعها ، وتغمرني فرحة في تأمل بيانها ، فالبيان سواءٌ كان قرآناً أو حديثاً أو شعراً أو رواية هو منتهى الإبداع لدي .

وأحياناً أتناول كلمات من القرآن ، فأقرأ ما كتب عنها المفسرون والبلاغيون ، ثم أعود بنفسي متأملاً متفكراً متدبراً ، فأجد لها في أعماقي معاني لا أستطيع أحياناً أن أعبر عنها بلساني ، وكم هي الآيات التي هزَّت كياني ، وحركت أشجاني ، وزلزلت أركاني ، وقد تكون هٰذه الآيات وعظاً ، أو قصصاً ، أو حواراً ، أو خطاباً ، أو وصفاً ، المهم أنني أعيش مواقف من التأثر لروعة البيان وجمال الخطاب .

وفي عام (١٤٠٠هـ) كنت مع سماحة الشيخ الإمام العلامة عبد العزيز بن باز في جازان لافتتاح مخيم دعوي هناك ، وبدأ الحفل بآيات من أول (سورة فُصِّلت) ، قارئها طالب جميل الصوت ، حسن الأداء ، رخيم النغمة ، وكنت قريب عهد بقراءة السيرة ، وقصة السورة ؛ فتأثرت وأنا جالس بين الناس وأصابتني دهشة ، ودعيت بعدها بفقرتين لإلقاء قصيدة ؛ فلما ألقيت ما يقارب عشرة أبيات وكانت أربعين بيتاً . . لم أستطع المواصلة ، وشعرت بتعبٍ

وإعياء ، فقطعت الإلقاء فجأة وجلست ، وكان الموقف لافتاً للنظر ؛ وما ذاك إلا لما بقي في نفسي من تأثر بالغ أثَّر في مشاعري وعواطفي .

وصلينا في الحرم المكي صلاة التراويح فرفع الإمام صوته بقوله تعالىٰ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ الآية ، وارتج الحرم بالصوت ، ولكنه بلغ الأعماق ، فلا أدري هل أعجب من هـٰذا البيان الآسر ، أم من هـٰذه الفخامة والإشراق والإعجاز ، أم من هـٰذا الصدق واليقين والعدل ؟!

كنت أقف علىٰ بعض الجُمل من القرآن ، فأفصِّلها كلمة كلمة كما يفصل الدر من عقده ، والجوهر من خيطه ، وقفت مرة عند قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾ ، فتأملت كلمة (باسقات) وجمالها ، فإذا لها مدلول غير مدلول طويلات ؛ لأن الباسق الطويل في حسن ورواء ، وكذلك كلمة : (طلع) كيف اختارها من بين كلمة ثمر وحب وتمر ورطب وبسر ونحوها ، وكلمة : (نضيد) وما فيها من جمال ودلالة وإشراق يذكرك بالعقد الزاهي من الجوهر .

وقرأت قوله تعالىٰ عن كتابه : ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ ، فهزني هـٰذا الكلام الجليل ، ثم عدت إلىٰ مصطفىٰ صادق الرافعي ، فإذا هو مندهش لهـٰذه الآية ، مأسور لجزالتها وفصاحتها ، ومرت به آية : ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ ﴾ ، فوقف متأملاً صامتاً منبهراً من هـٰذه الإجادة والإيجاز والإعجاز .

ثم طالعت مذكرات الإبراهيمي الجزائري ؛ فإذا هو يدبج أروع الكلام عن هـٰذه الآية ، ويعلن دهشته من هـٰذا الكلام المشرق السامي الراقي .

وعشت مع سورة الجن ، فكأني في عالم الحنين والأنين ، يبهرني اللفظ ،

ويأسرني المعنىٰ ، وتذهلني الفصاحة ، ويهزني الإعجاز ، ثم أعذر الجن وهم يقولون : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ ، وأقرأ كلام سيد قطب ، فإذا هو يعيش تلك اللحظات من الانبهار والدهشة لهـٰذا الكلام .

وكم هي الآيات التي أوقفتني وسلبت لبي ، وذهب بي الإعجاب بها كل مذهب ، وتمنيت أن عندي من البيان ما يعبر عما يدور بخلدي من معان كامنة مستورة في الحشا .

وكنت أردد آية : ﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ، فأعيد النظر فيها ، وأعرضها علىٰ بعض الأصدقاء ليشاركني هـٰذه المتعة ، ثم أجد عبد القاهر الجرجاني يبسط الكلام عن إعجاز هـٰذه الآية ووجه البيان والبديع فيها .

ووقفت عند آية : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ ، فعجبت لقوة هـٰذا الحديث الذي ينسف قلاع الباطل ، ويحطم أسوار الزور ، ويجتث شجرة العناد والتمرد .

وطالعت عالَم البيان في حديثه صلى الله عليه وسلم ، وتأملت أحاديثه العِذاب الرطاب ، وكلامه الجزل الفخم .

وذهبت مع الشعر ، فحفظت منه الكثير ، ورويت الكثير ، ولكن الذي أحفظه هو الذي يعجبني ويطربني .

وسافرت مع المحدثين ، والنقلة ، والمؤرخين ، والمفسرين ، وأهل اللغة والأدباء ، أقف مع الرائع الجميل من كلامهم ، وأعيد القطعة الماتعة من كلام الذهبي ، والوقفة الصادقة لابن تيمية ، والمقولة المؤثرة لابن القيم ، والمداخلة الخلابة للجاحظ ، والعرض الشائق لابن خلدون ونحوهم ، وأكثر

ما يشدني في ذلك ، البيان ، وحسن السبك ، وجمال اللفظ ، وقوة المعنىٰ ، وسطوع البرهان .

جلست مع صديق لي ، فقرأت عليه هـٰذه القطعة للجاحظ إذ يقول : (جعلت فداك ، وإنما أُخرجك من شيء إلىٰ شيء ، وأورد عليك الباب بعد الباب ؛ لأن من شأن الناس ملالة الكثير ، واستثقال الطويل وإن كثرت محاسنه ، وجمت فوائده ، وإنما أردت أن يكون استطرافك للآتي قبل أن ينقضي استطرافك للماضي ، ولأنك متىٰ كنت للشيء متوقعاً ، وله منتظراً . . كان أحظىٰ لما يرد عليك ، وأشهىٰ لما يهدىٰ إليك ، وكل منتظَر معظَّم ، وكل مأمول مكرّم ، كل ذلك رغبة في الفائدة ، وصبابة بالعلم ، وكلفاً بالاقتباس ، وشحاً علىٰ نصيبي منك ، وضناً بما أؤمله عندك ، ومداراة لطباعك ، واستزادة من نشاطك ، ولأنك علىٰ كل حال بشر ، ولأنك متناهي القوة مدبر) .

كررت هـٰذه القطعة الفائقة ، فكأنني أجد طعمها في فمي قطعة من الشهد ، وزلالاً بارداً من معين صاف ، وبقيت أقلبها في عيني تقليب الدرة في اليد ، والفكرة في القلب ، والخاطر في الضمير ، وأنت لو تأملت هـٰذه القطعة النثرية الفائقة للجاحظ . . لوجدتها في أوج البيان ، وقمة الفصاحة ، بعيدة عن التزويق والتكلف ، سليمة من التبذل والرعونة ، ساحرة فاتنة .

وإنما ذكرت هـٰذا مثلاً ، وإلا فكم من مقالة وقطعة وقصيدة توقف اللبيب ، وتدهش الفطن من حسنها وروعتها .

أسمع الخطيب والواعظ والمعلم والمفتي والشاعر والمحاضر ، فلا يملك إعجابيَ إلاَّ المتفرّد في بيانه ، المتوحّد في اختيار مفرداته ، واصطفاء كلماته ،

وانتقاء جمله ، أمَّا الهذر والحشو والإكثار . . فكلٌّ يستطيعه ، وهو المبذول المملول ، المرذول المدخول .

وقرأت مقالة لأديب يهاجم أديباً آخر سرق له مقالات ونسبها إليه ، فجعل عنوان هـٰذه المقالة قوله تعالىٰ : ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ ، فبقيت مع العنوان متأملاً مكرراً معجباً ، وأهملت المقالة!

ولهـٰذا فإنك تعذر كل من أسره القرآن ، واستمال قلبَه ، وسيطر علىٰ روحه ، حتىٰ إن أحد العرب صلَّىٰ خلف الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسمعه يقرأ: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ ، فكاد قلبه يطير ، وسمع آخر قوله تعالىٰ : ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ ، فذُهل وتحيّر من بلاغتها وجمالها ، وهـٰذا الذي حمل الوليد بن المغيرة ليصيح صيحة المعترف ويقول : (إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلىٰ عليه) .

إن صرعى الشبهات لا يعجبهم القرآن ، وإن عبيد الشهوات لا يهزهم هـٰذا الكتاب العظيم ، إن القرآن يعجب سليم الفطرة ، بريء الضمير ، حيَّ القلب ، مشبوبَ العاطفة ، متوقدَ الذهن ، صافي القريحة ، فهـٰذه أرض طيبة خصبة لغيث البيان ، ومطر الفصاحة العذب .

مرت بي مئات المقالات والقصائد ، فوجدتها ثقيلة وبيلة لا تستحق العناية والمطالعة ، مهلهلة السبك ، ضعيفة البناء ، ركيكة اللفظ ، ماتت قبل أن تولد ، ودفنت قبل أن تحيا جزاءً وفاقاً ، وبقيت الكلمات الآسرة الساحرة الساطعة خالدة خلود الحق ، لامعة لموع الفجر ، جميلة جمال الإبداع .

طالعْ كتاب « صيد الخاطر » لابن الجوزي ، وكرر كلماته ، وأعد جمله ؛ لتدرك سر شيوع هٰذا الكتاب وذيوعه وخلوده ؛ إنها الفكرة الرائدة في ثوب جميل ، والتوجيه الصادق في قالب بديع ، والمعنى العميق في لفظ بهيج مشرق .

يقول ابن الجوزي في كتابه « طيب الذكر » : (رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يحفظ الله بهم الأرض ، بواطنهم كظواهرهم بل أجلىٰ ، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلىٰ ، وهممهم عند الثريا بل أعلىٰ ، إن عرفوا . . تنكروا ، وإن رئيت لهم كرامة . . أنكروا ، فالناس في غفلاتهم ، وهم في قطع فلاتهم ، تحبهم بقاع الأرض ، وتفرح بهم أفلاك السماء ، نسأل الله ـ عز وجل ـ التوفيق لاتباعهم ، وأن يجعلنا من أتباعهم) انتهىٰ كلامه ، ولكن لم ينتهِ أثره ولا نوره ولا أسره ولا جماله .

إن البحث عن البيان في الكلام متعة لا يعادلها متعة ارتياد الروض الأخضر ، والخميلة المائسة ، ولا يعادلها مجلس أنس ، أو رحلة سياحة ، وقد وصف أحد البلغاء كلام أحد الأدباء فقال : (إذا تحدث . . فكأن السحر دَبَّ في جسمك) ، وهٰذا معنىٰ قوله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » ، فهو يفعل السحر في خلبه للب السامع ، يقول ابن الرومي :

وَكَلَامُهَا ٱلسِّحْرُ ٱلْحَلَالُ لَوَ ٱنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ ٱلْمُسْلِمِ ٱلْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلَ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ ٱلْمُحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزِ

والكلمات الجميلة هي التي نُقشت في أذهاننا ، وكتبت في قلوبنا ، فبقيت وعاشت .

أقرأ كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأكرره كأنني أشرب زلالاً

بارداً حلواً علىٰ ظمأ في قيظ ، حتىٰ عقد له ابن كثير في « تاريخه » فصلاً عنوانه : (باب في كلماته الحاصلة التي هي إلى القلوب واصلة) .

ولما افتتح البخاري كتاب الرقاق من « صحيحه ».. ذكر قول علي : (إن الدنيا ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة ارتحلت مقبلة ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ؛ فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل) ، فانظر إلىٰ هٰذا الإيجاز مع قوة المعنىٰ وحسن الفواصل ، وبراعة الإيراد ، وجمال العرض .

ولما بدأت في مطالعة « الكشاف » للزمخشري.. بدأ ليصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (والصلاة والسلام علىٰ حامل لواء العز في بني لؤي ، وصاحب الطود المنيف في بني عبد مناف بن قصي ، صاحب الغرة والتحجيل ، المذكور في التوراة والإنجيل...) إلىٰ آخر هٰذا الكلام الجزل الفخم ، ولحسنه حفظته .

إن أول طبعة لـ«مصنف ابن أبي شيبة» طبعت في الهند ، قدم لها أحد علماء الهند مقدمة باردة سامجة متفككة متهالكة ، حتىٰ صارت مصدر نادرة في المزاح ؛ وما هٰذا إلا لأن الرجل يكتب بغير لسانه ، وما غاص في مفردات اللغة العربية ، وما تمتع بجمالها ، فهو غريب ، وإنك لتسمع العالم يفتي ، والمعلم يدرس ، والخطيب يتحدث ، والشاعر يلقي ، فتعرف قوة هٰؤلاء من ضعفهم ، وبيانهم من عيِّهم من أول وهلة ؛ لأن الكلام الجميل الساطع لا يخفىٰ حسنه ، ولا يجهل قدره .

إن أساطين البيان حفروا كلماتهم في ديوان التاريخ ، وذاكرة الأجيال ؛ لأن الإبداع له خلود ، والتفوق له ذيوع ، والتفرد له امتياز .

قال أحد الخلفاء لبليغ : ما البلاغة ؟ قال هي : ألاَّ تبطىء ولا تخطىء ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل هٰذا!

وانظر كيف أوجز وأعجز .

وقالوا لشاعر : نراك تسرع في الكلام! قال : لأن القوافي تزدحم في فيَّ ؛ أي : فمي ، فما أسرع جوابه وأحسن صوابه !

ومدح رجل علياً رضي الله عنه ـ وكان يبغض علياً ـ فقال له عليٌّ : أنا فوق ما في نفسك ودون ما تقول ، وقال له رجل : لماذا اتفقت الأمة على الشيخين ، واختلفت عليك ؟ قال : لأن رعيَّتهم أنا وأمثالي ، ورعيتي أنت وأمثالك!

فقل لي بربك ، أي جواب هٰذا الذي كأنه أعدَّه من شهر ؟!

لقد حرمنا متعة البيان بسبب هٰذا الهذيان ، كلام طويل ثقيل وبيل ، وتكرار وتبذُّل ، حتىٰ إنك لتسمع الخطيب يتكلم ساعة كاملة ، ولو جمع ما قال في خمس دقائق . . لأحسن إلىٰ نفسه وإلى السامعين .

إن السيلان الخطابي ، والثرثرة في الحديث شيء ، والبيان والبلاغة شيء آخر ، إن البيان هو أن تصيب المحز ، وتشفي النفس ، وتبلّغ حجتك .

ولِوَلَعِ النفس بالبيان ، وتعلق القلب بالفصاحة ؛ سافرت مع أبي الطيب المتنبي لجمال شعره ، وروعة بيانه ، وجزالة لفظه ، وبراعة عرضه ، وأما مبادئه ومذهبه في الحياة . . فله موطن آخر .

* * *

السّحر الحلال

قال الراوي : سمرنا ليلة مع جماعة أبية ، لهم شوق إلى المقامات الأدبية ، والأشعار العربيّة ، فقالوا : حدثنا عن الأدب ؛ فإنه ديوان العرب ، ومنتهى الأرب ، ونهاية الطلب .

قلنا : حباً وكرامة ، وتحية وسلامة ، فقد رضعت الآداب ، وجالست الأعراب ، وحفظت الشعر من عصر الشباب ، فالشعر عندي سمير ، وهو لنفسي روضة وغدير .

فقال أحد السُّمار ، من محبي الأشعار : أفض علينا من القصائد الغراء ، التي قالها على البديهة الشعراء .

قلت : هـٰذا فن طويل الذيل ، يأخذ في كل سبيل ، ولكن سوف أورد بعض الشواهد ، والشوارد ، والأوابد .

فهـٰذا أبو جعفر المنصور تحدى الشعراء بقافية ، قال : من أجازها فله الجائزة وافية ، إذ يقول ، وفكره يجول .

فقام الشعراء علىٰ ركبهم جاثين ، كلهم يريد الجائزة من أمير المؤمنين ، فقال بشار بن برد ، وكان سريع الردّ ، فأخذ بردة أبي جعفر ، وكانت من خز أصفر .

وهـٰذا أبو تمام ، وهو شاعر مقدام ، مدح المعتصم ، فما تعثر وما وهم ، فقال الحارث الكندي : ما لك قدر عندي ، أما تخاف ، تصف أمير المؤمنين

بالأجلاف ، فانهد أبو تمام كالسيل معتذراً عما قيل .

حكم النعمان ، علىٰ نابغة ذبيان ، بالإعدام ، بعد ما اتهمه ببعض الاتهام ، فأنشده البائيّة الرائعة الذائعة ، فعفا عنه وحباه ، وقربه واجتباه .

وأهدر البشير النذير ، دم كعب بن زهير ، فعاد إليه ، ووضع يده بين يديه ، فحلم عليه وصفح ، وعفا عنه وسمح ، واستقام حاله وصلح .

وأصدر حاكم اليمن ، قراراً بإعدام سبعين من أهل العلم والسنن ، والفقه والفطن ، فأنشده البيحاني ، قصيدة بديعة المعاني ، هزّ بها أعطافه ، واستدر بها ألطافه ، فأكرم مثواه ، وعفا عن السبعين من العلماء والقضاة .

وكاد معاوية أن يفر من صِفين ، يوم وقف بين الصفين ، فذكر قول ابن الإطنابة ، فأوقف ركابَه .

وأوشك المتنبي الشاعر الهدّار ، أن يولي الأدبار ، ويجِدّ في الفرار ، فكرر عليه غلامه ، أبياتاً ثبتت أقدامه ، فرجع مقبلاً ، فقتل مجندلاً .

وقتل عضدُ الدولة الوزيرَ ابن بقية ، ولم تردعه تقيّة ، فأنشد ابن الأنباري قصيدة كأنها برقية ، أو رواية شرقية ، فسمعها عضد الدولة فتأسف ، وقال : حبذا ذاك الموقف .

ولما قتل محمّد بن حميد ، بكاه أبو تمام بذاك القصيد ، ورثاه بذاك النشيد .

وسب أحد الأمراء ، المعري أبا العلاء ، وهجاه أشد هجاء ، وسب أستاذه سيد الشعراء ، فقال أبو العلاء : لا تسبه أيها الأمير ؛ فإنه شاعر قدير ، ولو لم يكن له إلا قصيدة لكفاه ، ففهم الأمير ماذا يريد ؛ لأنه قصد آخر القصيد .

ولما زار أبو جعفر المنصور المدينة . . طلب شيخاً كبيراً ، وجعله عنده أجيراً ، يخبره ببيوت المهاجرين والأنصار ، فدار به إلىٰ آخر النهار ، ولم يعطه مالاً ، ونسيه إهمالاً ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ؛ هـٰذا بيت الأحوص الشاعر المبين ، فتذكر أبو جعفر القصيدة ، وهي فريدة مجيدة ، ففهم المراد ، وأعطى الشيخ الزاد .

أقبل عالم كبير القدر ، ظاهر الأمر ، علىٰ شاعر قاعد ، فقام لهـٰذا العالِم الوافد ، وكان العالم يرىٰ أن القيام للقادم باطل ولو أن القادم رجل كامل ، فقال للشاعر : دع القيام ، فأنت لا تلام .

وأنا مُحدّث لا حداثي ، من مكة مركبي وأثاثي ، ومن المدينة ميراثي ، أصل الحداثيين من البلاشفة الحمر الكفرة ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة .

لا تتبلد ، أرسلناك إلى المربد ، بالحق تنشد ، وبالإسلام تغرد ، فذهبت تعربد .

اسمك محمد فلا تزد في الحروف ، لتصبح محمدوف ؛ لأن محمداً شرعي ، ومحمدوف شيوعي .

« ديوان المتنبي » مجلد لطيف خفيف ، فيه لفظ منيف ، ومعنىٰ شريف ، أنصت لشعره الدهر ، وعبر البر والبحر ، وصار غدوه شهر ، ورواحه شهر ، وبعض الشعراء المولّدين ، لكل منهم عشرة دواوين ، كل ديوان ككيس الإسمنت ، إذا قرأت منها قصيدة سكتّ وصمتّ ، وبُهتّ وخُفتّ ، ثم مُتّ .

تعبنا من ركاكة الكلام ، ومن هـٰذا الركام ، إذا سألناهم عن المعنىٰ . . أكثروا من الهمز والغمز ، وقالوا : هـٰذا شعر الرمز ، فيه إيجاز ، وألغاز ،

وإعجاز ، والصحيح : أنه هراء وطلسمة ، وشعاب مظلمة ، وتمتمة ، وهمهمة ، وغمغمة .

وقد حكم رسولنا صلى الله عليه وسلم في الشعر وقد رضينا حكمه ، فقال : « إن من الشعر لحكمة » ، وهو الشعر المحمود ، الذي يوافق المقصود ، وليس فيه بذاء ، ولا هجاء ، ولا ازدراء ، وكان فيه لطف بلا سخف ، مع صدق في الوصف ، وليس فيه تبذل ولا إغراب ، ولا كذب ولا إعجاب ، مع إشراق في العبارة ، ولطف في الإشارة ، ومتانة في السبك ، وجمال في الحبك ، فإذا كان كما وصفنا ، وصار كما عرّفنا . . فهو السحر الحلال ، وهو فيض من الجمال ، وهالة من الجلال ، يبهج العاقل ، وينبّه الغافل .

واعلم أن في الشعر مختارات ، وفي القصائد أمهات ، مثل المعلقات ، وما اختاره أصحاب الحماسات .

واعلم ـ رحمك الله ـ أن في الشعر تِبْراً وتراباً ، وذهباً وأخشاباً ، ولا يخدعنك قولهم : فلانٌ شاعر موّار ؛ فقد لا يساوي شعره ربع دينار ، فإن من الشعر مسكاً وعنبراً ، ولؤلؤاً وجوهراً ، يسافر إلىٰ سويداء قلبك ويبحر ، وينادي : إنما نحن فتنة فلا تكفر .

وفي الشعر شعير ، وروث بعير ، فيه نذالة ، وجهالة ، ورذالة ، فويل لمن أشغل الناس ، وسوّد القرطاس ، وجلب الوسواس ، وحاس وداس ، وفي ديار القلوب جاس ، يصيبك من شعره تثاؤب وعطاس ، ونوم ونعاس ، فإذا رأيته . . فقل له : لا مساس ، ولا باس عليك منه لا باس .

وهٰذا الصنف لا يردّه عقل ، ولا يردعه نقل ، جائزته بصل وفجل ؛ لأنه

أُشرب في قلبه العجل ، إذا قام أحدهم في النوادي . . صاح المنادي : هٰذا شاعر الحواضر والبوادي ، وبلبل النادي ، فيصدق المسكين ، قطع بلعومه بالسكين ، فيتمايل طرباً ، ويتيه عجباً ، ويقول للحضور : ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ .

فإذا ألقى القصيدة ، فكأنه يأكل عصيدة ، يلوِّي راسه ، ويكظم أنفاسه ، كأنما يتخبّطه الشيطان من المس ، حتىٰ ينادي الجمهور : بس بس ، فليت قارئاً يبرك علىٰ صدره ، ويضع يده علىٰ نحره ، ويرش وجهه بماء من تبسي ، ويقرأ عليه آية الكرسي .

فإذا خرج شيطان الشعر الرخيص ، وعلم أنه ليس له محيص . . قام هٰذا الغبي ، كأنه صبي ، ليترك الأشعار ، لأهل الاقتدار ، ويقصد البيع والإجارة ، أو البناء والنجارة ، أو يصلح عقاره ، ويهجر القوافي ، لكل فصيح واف .

وليت الناس سلكوا مذهبَهم ؛ فقد علم كل أناس مشربهم ، ويا من اشتغل بالأشعار ؛ عليك بالأذكار ، وإدمان الاستغفار ، والخوف من القهار ؛ فإن اللسان ثعبان ، وأمامك قبر وميزان ، ونجاة وخسران .

ولا يكن لسانك كالمقراض للأعراض ، ولا يكن كالمقباض للأغراض ؛ فإن الأنفاس تكتب عليك ، وعملك منك وإليك .

وويل لمن أطلق لسانه ، وأرضىٰ شيطانه ، وأجرىٰ في اللهو حصانه ، من يومٍ تشيب فيه النواصي ، ويندم فيه كل عاص ، ويهابه كل دانٍ وقاص .

ويا شعراء المجون ، ما لكم في الغي تلجون ، وفي النوادي تصجّون ، ولكل رأس تشجّون ، ألا عقل يردع ، ألا أذن تسمع ، ألا قلب يخشع ، ألا عين تدمع .

أشغلتم القلوب ، وأنسيتم الناس علاّم الغيوب ، ودللتم الأمة على المعاصي والذنوب ، أشعلتم النفوس الهائجة ، أحرقتم القلوب المائجة ؛ لأن بضاعتكم على الأراذل رائجة ، أتظنون أنه لا حساب ولا عقاب ، ولا عذاب ولا ثواب ، الموقف أصعب مما تظنون ، والمشهد أعظم مما تتصوّرون ، إذا بُعثر ما في القبور ، وحُصّل ما في الصدور ، وفار التنور ، وقصمت الظهور ، وطار الكبر والغرور .

يا شعراء المجون ، ويا أتباع كل غاوٍ مفتون ، وهائم مجنون ؛ ويل لكم مما كتبت أيديكم ، وويل لكم مما تكسبون .

* * *

تواقيع العظماء

يقول إفريت مارتن صاحب كتاب « نم قليلاً تعش كثيراً » : إنَّا ورثنا عادة النوم من جداتنا .

ويقول بوناثان سويفت الإنجليزي : أفضل الأطباء في العالم ثلاثة : الدكتور روجيم وهادىء ومرح .

ويقول مرسيه الفرنسي : لن تكون عظيماً إلا بألم عظيم .

ويقول جوستاف لوبون : لا يعرف العالم فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب .

ويقول صموئيل جونسون : النظر إلى الجانب المشرق من كل حادثة أغلىٰ من ألف جنيه في السنة .

ويقول أولسر : أعطنا خبزنا لهٰذا اليوم فقط .

يقول توماس كارليل : لا تنظر لما يقع في الظلام ، بل انظر ما يقع قريباً منك .

يقول ستيفنسون : كل إنسان يستطيع أن يعيش السعادة حتىٰ تغرب الشمس لهٰذه الحياة .

يقول دانتي : فكر أن هٰذا اليوم لن ينبثق مرة ثانية .

يقول كاليداسة الهندي : أمس ميت ، واليوم مولود ، وغداً غائب .

يقول د . جوزيف مونتاجيو ـ صاحب كتاب « مشكلة العصبية » ـ : أنت لا تمرض مما تأكل لكن من الشيء الذي يأكلك .

يقول شكسبير : لا توقد لعدوك فرناً فتقع فيه .

يقول براندوني : لا تبك على الحليب المراق .

يقول دايل كارنيجي : لا تحاول نشر النشارة ، ولا طحن الطحين .

يقول ميلتون : إن العقل يستطيع أن يجعل الجنة جحيماً والجحيم جنة .

يقول نابليون : ملكتُ الجاه والسلطة والفن ولم أسعد في حياتي إلا ستة أيام .

يقول الفيلسوف أبيكتيتوس : الأفكار الخاطئة في الذهن كالورم في الجسم يجب بترها .

يقول الفيلسوف الفرنسي مونتين : لا يتأثر الإنسان مما يحدث ، ولكن بتفكره فيما يحدث .

يقول وليم جيمس ـ أبو علم النفس ـ : حياتك من صنع أفكارك .

يقول شوبنهور الفيلسوف الألماني في كتاب « دراسات في التشاؤم » : ثمن الانتقام تدفعه أنت .

يقول الجنرال ايزنهور : لا تضيع دقيقة واحدة في التفكر في أعدائك ، امسحهم من الذاكرة .

يقول كونفوشيوس : ليس المهم أن يُساء إليك ، المهم أن تفكر فيمن أساء لك .

يقول أرسطو : الرجل المثالي هو الذي ينفع الآخرين ، والفاشل هو الذي يطلب النفع من الناس .

يقول برلين : إذا ما أصررت أن تكون كما أنت ولا تقلد غيرك . . صرت فريداً في العالم .

يقول أمريسون « الاعتماد على النفس » : التشبه والذوبان في الآخرين انتحار .

يقول بتهوفن : عاهاتنا تساعدنا على النجاح .

قال بوليثو : كل أحمق يستفيد من أرباحه ، ولكن الذكي من يحوّل خسائره إلىٰ أرباح .

قال إبراهام لنكولن : لو حاولتُ قراءة رسائل الشتائم الموجهة لي . . لتعطلتُ عن العمل .

قال بنيامين فرانكلين : عندما تحسن للآخرين تحسن إلىٰ نفسك .

قال فرانسيس بايكون : قليل من العلم ربما يجعلك ملحداً ، فإذا تعمّقت . . آمنت بالله .

قال كارل جانج في كتابه « الإنسان الحديث في البحث عن الروح » : كل الناس مرضىٰ إلا المؤمنين بربِّهم .

قال غاندي : من دون الصلاة لأصبحت مجنوناً من أمد طويل .

قال أليكسيس كاريل ، الحائز علىٰ جائزة نوبل ، في كتابه « الإنسان ذلك المجهول » : أعظم طاقة الإنسان هي الصلاة .

قال توماس جفرسون : اعمل ما تراه صحيحاً وأدر ظهرك لكل نقد سخيف .

قال والت ويتمان : استفد درساً من عدوك أكثر من صديقك .

قال بزرجمهر : الشدائد قبل المواهب كالجوع قبل الشبع يحسن موقعه ويلذ طعمه .

قال أفلاطون : الشدائد تصلح من النفس بقدر ما تفسد من العيش ، والترف بضد ذلك .

قال أرنولد توينبي : الدعة تنافي الحضارة .

قال أزدشير : الشدة كحل ترىٰ به ما تراه بالنعمة .

قال أبقراط : الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع .

قال الشاعر الإنجليزي تشوسر : التجربة تؤخذ من الكتب ، ومن ممارسة أحداث الحياة .

قال ونستون تشرشل : السياسة ابنة التاريخ ، والتاريخ ابن الجغرافيا ، والجغرافيا لا تتغير .

قالوا : لولا أن فرانسوا فولتير ـ الأديب الفرنسي ـ نقد وليم شكسبير وشهَّر به . . لما ذاع صيته .

قال برتراند راسل : إن روجر بيكون أخرج الفكر الإنجليزي من غياهب الكنيسة ؛ لأنه قرأ للفلاسفة العرب .

يقول كريسي مريسون ـ في كتابه « الإنسان لا يقوم وحده » ـ : إذا شككت في القدرة . . فتفكر في النحلة .

قال فيثاغورس : احفظ ميزانك من الندىٰ ، وأوزانك من الصدىٰ ؛ أي : اللسان من الخنا ، والعقل من الهوىٰ .

قال سقراط : اعرف نفسك بنفسك . ولا راحة لمن تعجل الراحة بكسله .

الحزم انتهاز الفرصة عند القدرة . والحياة من دون ابتلاء لا تستحق العيش .

حاذر عمل الشر . . أكثر مما تحاذر العذاب بسببه .

خلق الله لنا أذنين ولساناً واحداً ؛ لنسمع أكثر مما نقول .

من صح فكره . . أتاه الإلهام ، ومن دام اجتهاده . . أتاه التوفيق .

ليس من الضروري أن يكون كلامي مقبولاً ، لكن من الضروري أن يكون صادقاً .

قلة الدين ، وقلة الأدب ، وقلة الندامة عند الخطأ ، وقلة قبول العتاب . . أمراض لا دواء لها .

قال كونفوشيوس : من يرى الصواب ولا يفعله . . فهو جبان .

عدم الرجوع عن الخطأ . . هو خطأ أكبر .

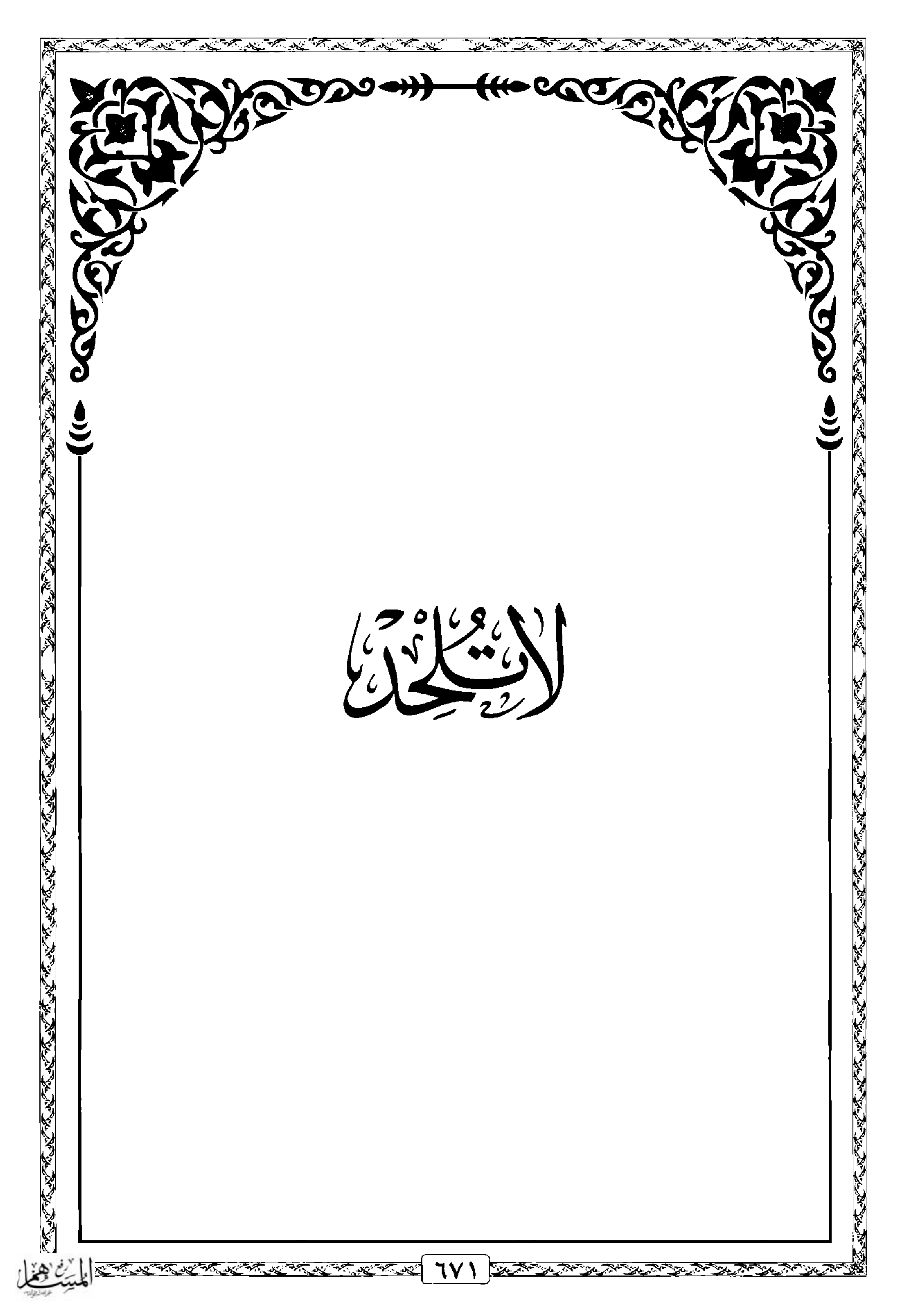
أفضل للعالم أن يوقد شمعة من أن يلعن الظلام .

من يتكلم دون تواضع . . سيجد صعوبة في جعل كلماته مسموعة .

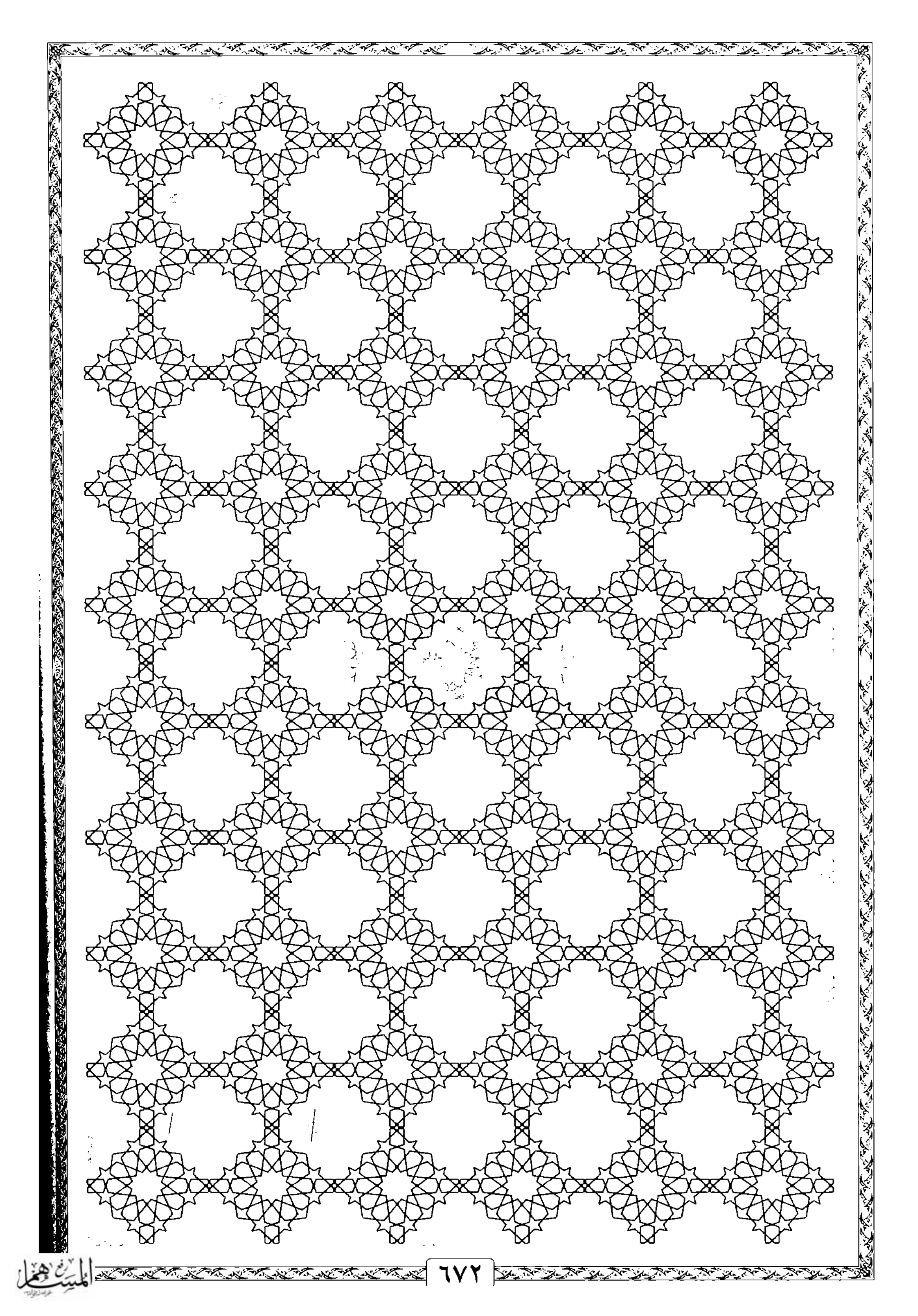
لا يهم أكانت خطواتك بطيئة ، المهم هو ألا تتوقف .

على الإنسان أن يفعل ما يعظ الناس به ، كما عليه أيضاً أن يعظ الناس بما يفعله .

* * *



الإلحاد



ساعة الميلاد

مُذْ بَدَأْنَ ٱلشَّوْطَ جَوْهَرْنَا ٱلْحَصَى بِٱلدَّمِ ٱلْغَالِي وَفَرْدَسْنَا ٱلرِّمَالْ

ولد الطفل أحمد صباح الجمعة في مدينته الجميلة بطاشقند ، وجاءت أباه الشيخ عطاء الله البشرىٰ بابنه وهو يستعد لصلاة الجمعة ، وإذا بأخت الشيخ شيرين تنادي أخاها بالبشرىٰ بعد أن يئس من الأبناء ، ووهن العظم منه ، واشتعل الرأس شيباً ، وإذا بصوت شيرين يدب إلىٰ غرفته دبيب الماء في العود ، والبرء في الجسد : أبشر يا عطاء! أبشر يا عطاء! رُزقت بمولود ، فما استطاع عطاء من شدة الفرح إلا أن تنهمر دموع الفرح الباردة من عينيه ، فتتحدر علىٰ خديه دمعتان طاهرتان كدرتين في أذني فتاة ، ثم يلتفت إلى القبلة ، فيخرُّ ساجداً لله .

وأقبلت أم عطاء الله شهرزاد جدة المولود أحمد تصيح وتولول وتنشد بيت طاغور شاعر الهند : يا قلبي الفرحة مرَّة واحدة وقد لا تعود فاغتنمها ، وضمت ابنها عطاء ، فامتزج دمع الأم العجوز بدمع الابن الشيخ ، وألصقت خدها الملوّع بهجر السنين بشيبه المجعّد بحوادث الزمن .

وطلب عطاء الله من أمه شهرزاد أن تسمي المولود الجديد ، فصاحت : سمّه باسم الحبيب صلى الله عليه وسلم أحمد، فتبسم الشيخ عطاء وأنشد قول شوقي :

وُلِـدَ ٱلْهُـدَىٰ فَـٱلْكَـائِنَـاتُ ضِيَـاءُ وَفَـمُ ٱلـزَّمَـانِ تَبَسُّـمٌ وَثَـنَـاءُ

وكان الشيخ عطاء يحب الأدب العربي ، وسبق أن حج وتعلم العربية من قبل في تركيا ، وكان يعمل مزارعاً في حقول البر والعنب .

وبيت عطاء الله بيت ريفي جميل ، أمامه نهر صغير ، وحديقة ملتفّة بالأعناب والمشمش ، وكان يدعو الله دائماً أن يرزقه ابناً يحمل اسمه .

وكانت الشيوعية تحكم البلاد ، والمسلمون في اضطهاد مضايقون ؛ لأن

الشيوعية المادية تقوم علىٰ فكرة الإلحاد ، وتحارب الأديان ، فكان عطاء الله يستعير المصحف في خفية من جاره في الأسبوع مرة ، ويجمع أسرته علىٰ ضوء المصباح ، ويقرأ عليهم كلام الله ودموعه تنهمر ، ثم يفسر لهم معاني القرآن ؛ لأن الأسرة لا تجيد العربية .

أما الآن . . فأصبح المولود أحمد بهجة في بيت والده ، وزاد في الأسرة طفل ينتظر أن يقوم بأمور الأسرة مستقبلاً .

واجتمعت الأسرة علىٰ كانون النار ولهيبُ الجمر يتوقد كأنه شفق الشمس إذا دنت للغروب ، وأم أحمد تصنع خبز البر سعيدة بابنها وزوجها ، أما شهرزاد أم عطاء الله . . فبيدها سبحة تسبح بها ، وهي سعيدة بهٰذه الأسرة المسالمة الراضية .

وقد تركت الليالي في وجه شيرين أحاديث وقصصاً يفهمها من ينظر إلىٰ وجهها بتأمّل ، ولا يقطع صمت الأسرة إلا ثغاء الأغنام في المزرعة ، أو صياح الدجاج ، أو صوت المؤذن إذا حانت الصلاة في المسجد المجاور الذي تختفي منارته خوفاً من الجنود الحمر ، والأسرة راضية بالكفاف ، ليس لهم ما يشغل قلوبهم من الغنى الطاغي ، ولا الفقر المجحف ، فهم يعيشون كل يوم بيومه كما يقول الشاعر السعدي الشيرازي : إذا ملكت رغيفاً وكوز ماء وثوباً . . فيا دنيا اغربي عني بوجهك القبيح .

بسمة الطفولـة

وَيَـا بَسْمَـةَ ٱلأَطْفَـالِ أَيُّ قَصِيـدَةٍ تُوَفِّي جَلاَلَ ٱلطُّهْرِ لَحْناً مُرَنَّمَا

وبدأ الطفل أحمد ينمو نمو العصفور في الروض ، كلما لمحه أبوه وأمه . . أطلق من شفتيه بسمة حانية وديعة كأنها تباشير الصباح ، وكأنه ليس في الحي

إلا أحمد ، وكلهم اعتناء واحتفاء بأحمد ، وكانت أمه ترقصه علىٰ نشيد مولانا جلال الدين الرومي :

صَغِيرِي نَمْ عَلَىٰ أَحْشَاءِ قَلْبِي   مُنِيرَ ٱلْقَلْبِ يَعْلُو كُلَّ عَرْشِ

وأخذ الشيخ عطاء يحمل أحمد ويداعبه ويحدثه أحاديث الطفولة وهو يضحك ولا يعرف شيئاً من الحديث ، وجدته تعوّذه وتقرأ عليه المعوذات وتقول : حصّنتك من العين ومن همزات الشياطين .

وأخذ أهل الحي ينادون الشيخ عطاء : يا أبا أحمد ، فيعظم سروره ، ويرىٰ أن حياته أكثر سعادة ورضاً ، ويحبو أحمد فيود أبوه لو حبا علىٰ قلبه ، ومشىٰ علىٰ أضلاعه .

وتمر الأيام سريعة وأحمد ينمو نمواً ممتازاً ، عليه براءة الطفولة ، ومخايل الذكاء ، ولما بدأ يمشي . . ذهب إلى الروض القريب يطارد الفراش ، ويعبث بالعشب ، ويلعب في الغدير ، وجدته تصيح من باب الدار : حفظك الله يا أحمد من عيون الحساد .

وفي يوم من الأيام تأخر أحمد عن البيت ، وسأل عنه أبوه ، وأخذت أمه تناديه ولا مجيب لها ، وبدأ القلق ، وتسابق الوالدان إلى الروض يبحثان عن أحمد ، ويناديانه باسمه في خوف واضطراب ، وبدأ الليل يزحف بظلامه كالسيل الجارف ، ويغطي الدنيا بعباءته السوداء ، وسمع الجيران أصوات والدي أحمد ، فأسرعوا يبحثون معهم وبأيديهم قناديل الزيت ، وذهب وقت العشاء ولم يجدوا أحمد ، وبدأ البكاء علىٰ أحمد ، وضاقت الدنيا علىٰ أهله بما رحبت .

أما العجوز . . فبقيت تبكي في البيت وقد استقبلت القبلة تدعو ربّها أن يرد أحمد ، ومضى الليل والقرية كلها في حركة وقلق وترقب تبحث عن أحمد ،

وأخذ الجيران يشاركون أهل أحمد البكاء ، وأخذت الظنون تتسرب إلى النفوس تسرب السم في الجسم والأسرار في القلوب ، فمنهم من اتهم الذئب بأكله ، وقالوا : ربما مرَّ بالمزرعة قطاع طريق فسرقوه ، ومنهم من شك في أنه سقط في البئر ، وكثر اللغط ، وإذا بصوت يشق الظلام فيه البشرىٰ : وجدناه وجدناه ، فإذا بأحمد نائم في غرفة راعي الأغنام في مزرعة الجيران ، وحلت البشرىٰ على الأهل حلول المطر الهنيء على الأرض المجدبة .

ونذر أبو أحمد ليذبحن عجلاً سميناً بهـٰذه المناسبة ، وضم الشيخ عطاء ابنه أحمد ، ثم احتضنته أمه ، ثم ذهبوا به إلىٰ جدته ، فانكبت عليه تقبله وتبكي بكاء السرور .

وفي الليلة الثانية اجتمع الجيران ، وذبح الشيخ عطاء أبو أحمد عجلاً سميناً ؛ وفاءً بنذره شكراً لله لعثورهم علىٰ أحمد وسلامته ، وجلس الرجال في طرف البيت والنسوة في الطرف الآخر ، والنار تتوقد والقدر يغلي بلحم العجل ، والشيخ عطاء يشوي بعض اللحم على الجمر الملتهب كأنه خدود الغواني ، ودخان النار يتخلل لحيته البيضاء ، ونكات الجيران وضحكهم يرتفع ، ومعهم شيخ القرية وأكبرهم سناً الشيخ مجد الدين متقي يقص عليهم أخبار الأولين وأحاديث الأجداد ، والحليب بالزنجبيل يدور في أكواب خشبية ، فتمتزج رائحة الشواء بالزنجبيل بالمرق في ليلة مرحة طيبة في كرم ضيافة ، وحسن سمر ، وخفة أرواح .

وبعد العشاء قام الشيخ مجد الدين متقي فقرأ (سورة الفاتحة) ، ورفع يديه ودعا ، وتلا كفارة المجلس ، وودع الضيوف أهل البيت في إكرام وحفاوة .

أول يوم في المدرسة

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ العلم يُجلس الصعلوك علىٰ أسرة الملوك .

ذهب الشيخ عطاء بابنه إلى المدرسة بعد أن ألبسته أمه وطيّبته ودعت له ، وفي الطريق أخذ الأب يقول لابنه أحمد : يا بني ؛ أريدك أن تكون مؤدباً ، مجتهداً في الدراسة ، تحترم أستاذك وزملاءك ، وتكون رجلاً صالحاً ، نبيلاً ، قدوة لأهل قريتك ، وأجاب أحمد : أبشر يا أبتِ .

ودخل الشيخ عطاء بأحمد إلىٰ مدير المدرسة ، فرحَّب بالشيخ وبابنه ، وأخبرهما أن المدرسة تعلم الطالب أربع مواد؛ الخط ، والإملاء ، والرياضة، والرسم في السنة الأولىٰ، وأن أجرة الدراسة في العام مئة دينار، فوافق الشيخ.

وذهب المدير إلى الفصل ، وسلم على الأستاذ ، وأجلسوا أحمد علىٰ كرسي الدراسة بين الطلاب ، واندفع الأستاذ يشرح لهم كيف يكتب الألف ثم يرسمه على السبورة ثم ينطقه ، ويردد معه الطلاب ، وأحمد جالس في إنصات عليه لباس أطفال القرية ، وعلىٰ رأسه عمامة بيضاء صغيرة ؛ لأن المدرسة تعلم الإيمان والسيرة ، ولهما صلة بدعوة الأستاذ جلال الدين الرومي ، والشاعر السعدي الشيرازي ، التي تقوم دعوتهما علىٰ توحيد الله ، ونشر الفضيلة في الناس ، وبث روح الإخاء في البشر .

وبعد حصة الخط . . دخل أستاذ الرسم ، فرسم وردة الياسمين بالطبشورة على السبورة ، وأخذ يصف شكلها وجمالها ، ثم وقف فقال : أتدرون من الذي زيّنها وأبدع خلقها ؟ فسكت الطلاب ، ورفع أحمد إصبعه ثم قال : الله خالقها ومبدعها ، فشكره الأستاذ وسأله : أين الله ؟ فأشار بسبابته إلى السماء ، قال الأستاذ : صدقت ، الله في السماء . مستوٍ علىٰ عرشه سبحانه .

ثم رسم الأستاذ صورة جبل شاهق يشقه نهر ، ثم سأل الطلاب : أي جبل هـٰذا ؟ فلم يجبه أحد ، فدمعت عينا الأستاذ وقال : هـٰذا الجبل سكنه آبائي من قبل ، ثم طردنا منه الغزاة المغول ، فخرجنا هاربين إلىٰ طاشقند ، وأنا أحن إلىٰ موطني ، ومن لا يحب وطنه . . فليس بوفي ، وحب الوطن من الإيمان .

ثم انتهت حصّة الرسم ، وخرج الطلاب لتناول طعام الإفطار في مطعم المدرسة ، وإذا بطالب منزوٍ وحده ليس عنده ما يشتري به الإفطار ، فتقدم إليه أحمد وسأله : لماذا لا تفطر معنا ؟ قال : أنا يتيم ولا أتناول في اليوم إلا وجبة واحدة ، فتأثر أحمد ، وجلس بجانب هـٰذا الطالب اليتيم يسأله برحمة وشغف ، وسأله : كيف مات والداك ؟

فقال : سافر أبي وأمي في القطار المار من طاشقند إلىٰ سمرقند وتركاني مع جدتي ، وفي الطريق اصطدم القطار بسيارة مارة ، فتحطَّم ومات غالب الركاب ، ومنهم أبواي ، وبقيت مع جدتي علىٰ مرتب المعاش الزهيد ، فقام أحمد ، وأخذ من جيبه ديناراً ووضعه في يد الطالب اليتيم ، ووعده خيراً ، وقام اليتيم واشترىٰ إفطاراً ، وأخذ يلتهم الطعام التهام الجائع الذي بلغ به الجوع الغاية ، ثم عاد أحمد مع زملائه إلى الفصل ، وأكملوا الدراسة حتى الظهر ، وإذا بصوت الصافرة مؤذنة بانتهاء الدراسة ، فهب الجميع إلىٰ بيوتهم .

حريق يلتهم بيوت القرى

طُبِعَتْ عَلَىٰ كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ... صَفْواً مِنَ ٱلأَقْذَاءِ وَٱلأَكْدَارِ

كانت بيوت القرية من الأخشاب والقش ، وكان أهل القرية يجمعون أكوام الزرع اليابس والحشيش بجانب البيوت لحيواناتهم .

وفي صباح يوم كئيب عصيب شبّت نار في أحد هـٰذه الأكوام ، ثم اندلعت النيران في بعض البيوت ، ثم أخذت تكبر حتىٰ أتت علىٰ غالب المنازل ، ويهب الناس من بيوتهم مذعورين ، وارتفعت الأصوات ، وعلت أعمدة النيران والدخان في سماء القرية ، وأخرج الطلاب من فصول الدراسة خوفاً علىٰ حياتهم ، وصاح بعض الناس بأهل القرية : أنِ اخرجوا من بيوتكم فالنار زاحفة عليكم ، وكثرت الضوضاء ، وعمَّ الخوف .

وهـٰذه النار عدو لا يرحم ؛ فهي أشبه بوالٍ غشوم جبار لا يفرّق بين الصالح والطالح ، وحاول الناس إيقاف النار بصب الماء أو نثر التراب علىٰ أطرافها ، ولكن هيهات ؛ فأعمدة النار كقوس قزح ، ودخانها كغمام أسود ، والريح تساعد النار علىٰ سرعة الانتشار ، وأهل القرية كباراً وصغاراً مجتمعون ينظرون إلىٰ هـٰذه الداهية الدهياء تعصف ببيوتهم بما فيها من متاع وفرش وملابس .

وبعد أكثر من ساعتين من الزمن أقبلت سيارات الإسعاف من مدينة طاشقند الأم تشق طريقها في أصوات الإطفاء والنجدة ، وأخذت تفرغ ماءها عبر خراطيم من البلاستيك القوي النافذ ، وأخذت النار تهدأ وتطفأ أمام سيل هائل من الماء المندفع بقوة على الحريق ، كما أخذت تذوي وتضعف شيئاً فشيئاً حتىٰ سكنت بعد ما خلَّفت دماراً في البيوت ، وخسارة في أموال أهل القرية .

وقام شيخ القرية مجد الدين متقي فألقىٰ كلمة في أهل القرية عزّاهم فيها ، وأخبر أن ذلك بقضاء وقدر ، وطالبهم بالصبر واحتساب الأجر .

وأقبلت سيارات تحمل خياماً وطعاماً من المدينة ، وأخذ العمال ينصبون الخيام لمن فقد بيته ، وعادت الحياة رويداً رويداً إلى القرية ، ونجا أهل القرية

من الحريق ، غير أن غالبهم خسروا ما يملكون من بيوت الأخشاب مع متاعهم المتواضع في البيوت ، ولكن ماذا يفعلون :

فَطِبْ نَفْساً إِذَا وَقَعَ ٱلْقَضَاءُ فَمَا لِحَوَادِثِ ٱلدُّنْيَا ٱنْتِهَاءُ

عادوا من جديد للحياة ، وأخذوا يبنون بيوتهم ، يبدأون بها بيتاً بيتاً وهم ينشدون قول الشاعر أكرم شاه :

سَنَعُودُ لِلْحَيَاةِ مِنْ جَدِيدِ بِهِمَّةٍ فِي قُوَّةِ ٱلْحَدِيدِ

فالرجال يقصون الأخشاب ، والنساء يقربن الطين ، والأطفال يحملون التبن وينشدون مع الكبار ، وبعضهم يصنع خبز البر والمرق مع الحليب .

فلما انتهوا من البناء ، وأعادوا ما تبقىٰ من أثاث . . صنعوا وليمة كبيرة ، ومهرجاناً حافلاً لأهل القرية ، وبدأ الطفل أحمد الحفل بتلاوة أول (سورة الفتح) ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ .

ثم تكلم الشيخ مجد الدين متقي ، فحمد الله علىٰ قضائه وبارك لأهل القرية همتهم وصبرهم .

ثم أنشد الطلاب أنشودة : (أقبل الفجر) للشاعر السمرقندي ، والتي من أبياتها :

مَرْحَباً بِٱلْفَجْرِ يَا نُورَ ٱلأَمَلْ قَدْ لَقِينَاكَ بِجِدٍّ وَعَمَلْ

ثم قام الرجال يؤدون العرضة في صفين ، والشيوخ والأطفال ينظرون مبتهجين.

وتموت الجدة شهرزاد

مشكلة الحياة قلّة الوفاء ، وتعكير الصفاء ، فهي تفرق بين الحبيب وحبيبه ، والابن وأبيه ، والأخ وأخيه ، كما قال ابن عطاء الله السمرقندي :

يا نفس ؛ استعدي بدمع غزير ليوم الفراق ؛ فإن نعوش الأحباب تصنع ، وقبور الأوفياء تحفر ، ولا بد من تجرع كأس الفراق .

وبدأت جدة أحمد شهرزاد بالرحيل إلى الآخرة بمرض أقعدها عن الحركة ، ثم اشتدَّ بها ، ونادت ابنها عطاء الله وحفيدها أحمد وزوجة ابنها شيرين ، وقالت : سامحوني ، وإذا مت.. فاذبحوا بقرة ، ووزعوا لحمها على الفقراء ، ومزرعتي وقف على الأيتام ، ولا تنسوني من الدعاء .

ثم أخذ الموت ينسل إلىٰ أعضائها كالنعاس في الجفون ، وهي تحرك إصبعها وتشير إلى السماء ، وتردد : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، ثم تلفظ أنفاسها البريئة كأنها قطرة ماء عذبة من فم القربة ، ويبكي الشيخ عطاء وابنه أحمد وزوجته شيرين ، ويوجهونها للقبلة ، وينادون مغسلة الأموات الحاجة افتخار ، وهي عجوز صالحة تغسل الأموات لوجه الله ، معها أكفان مطيبة ، وحنوط ، وكافور .

ويحضر الجيران للصلاة علىٰ شهرزاد ، ويشيعونها إلى المقبرة ، وتوضع بجانب قبر والدها الحاج حسين شمس الحق وكان خطيباً وحكيماً ومشهوراً بالجود ، وها هو الموت يضع المغمور بجانب المشهور ، والفقير بجوار الغني ، والملك بجانب المسكين ، كما قال الشاعر العربي :

أَتَيْتُ ٱلْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا أَيْنَ ٱلْمُعَظَّمُ وَٱلْمُحْتَقَرْ ؟

وكما قال الشيخ السرهندي : إن ظاهر القبور واحدة ، ولكن العجائب في الداخل ؛ فإما روضة جنة ، أو حفرة نار .

وعند قبر شهرزاد قام الشيخ مجد الدين متقي ، فوعظ الحضور ، وبكىٰ وأبكىٰ ، ثم قال : ولكن أقول كما قال مولانا جلال الدين الرومي : أيها

الميت العزيز الغالي عليّ ؛ مما يخفف مصيبتي بفراقك أننا سوف نلتقي قريباً ، وعادت الأسرة والجيران من المقبرة ، وتركوا الجدة شهرزاد في قبرها ، وهٰذا شأن الحياة ، تدفن أعز حبيب عليك ، ثم تحثو عليه التراب ، وتعود إلىٰ بيتك كأن شيئاً لم يكن .

ونامت الأسرة تلك الليلة ، وفي وسط الليل قام الشيخ عطاء من نومه مذعوراً خائفاً يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فتستيقظ زوجته شيرين وابنه أحمد ويسألانه : ماذا حدث ؟ فيقول : رأيت أمي في المنام في منظر طيب ووجه مشرق ، وتقول لي : أبشرك أن عملي صالح ولكن أرجوك أرحني من الذهب الذي تركته في محفظة بصندوق عند رأسي في غرفة نومي .

وفي الصباح سأل ابنها شيخ القرية مجد الدين متقي عن تفسير الرؤيا فقال : خير إن شاء الله ، هي امرأة صالحة وعلىٰ خير ، ولكنها ما كانت تزكي كنزها من الذهب ، فأرىٰ أن تتصدق به عنها ، وتدفعه للفقراء .

ثم بكى الشيخ مجد الدين متقي وقال : هٰذا حال الدنيا ، نجمع الكنوز ونحفظها ، ثم نحاسب عليها ، كما قال أبو معاذ الرازي : ما أشد مصيبتك يا ابن آدم عند الموت ، تخسر مالك كله ، وتحاسب عليه كله .

ثم قال الشيخ : الذهب والتراب بعد الموت سواء ، لكنك قد تعذب بالذهب بخلاف التراب .

وجلس أحمد يتذكر جدته وهي تضمه وتقبله ، فأخذت دموعه تعبّر وهو صامت ، والذكريات تمور بداخله ، وهو ينظر إلىٰ سرير جدته وقد أصبح فارغاً ، ثم يلمح شرشفها وسجادتها وطيبها ، فيجهش بالبكاء ، ويتذكر كلمات الإمام فضل الله النورمندي : يا مجالس الأحباب ، أنت أعظم عبرة لنا

بعد فراقهم ، كيف ننساهم وكل شيء يذكرنا بهم ؟ وإذا كان حبيبك مثل قلبك . . فهل في العالم أحد ينسىٰ قلبه ؟

ثم يرفع أحمد يديه الصغيرتين الطاهرتين ويدعو : اللهم ؛ ارحم جدتي برحمتك الواسعة ، فجوارك خير من جوارنا ، ودارك لأوليائك أفضل من دارنا ، ثم يعقد النية أن يتصدق عنها كل يوم رغيفاً ، كما قال ابن سطام : رغيف تضعه في كف جائع أفضل من كنوز كسرىٰ أنوشروان في صناديق .

بين موحّد وملحد

أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ؟

اللهُ رَبِّــــي لاَ أُرِيـــدُ سِــوَاهُ   هَلْ فِي ٱلْوُجُودِ حَقِيقَةٌ إِلاَّ هُو ؟

في يوم عاصف دخل أستاذ الرياضة على الطلاب في الفصل وفيهم أحمد ، وكان هـٰذا الأستاذ عضواً في النادي الشيوعي السوفيتي ومؤمناً بفكرة الإلحاد ؛ لا إلـٰه والحياة مادة ، وتصدر منه كلمات ضد الإيمان بالله ، لكن في هـٰذا اليوم أخذ يصرح ويحاور وينظّر لفكرته ، وكان المفترض عليه أن يخرج الطلاب في حصة الرياضة لممارسة التمارين الرياضية ، ولكنه اليوم آثر أن يدخل في نقاش مع الطلاب ، وكان فيه من الصلف والوقاحة ما الله به عليم ، فأقام طالباً داغستانياً وسأله : أين الله ؟

فقال الطالب : الله في السماء .

قال : هل تؤمن به ؟

فقال الطالب : نعم .

قال : هل رأيته ؟

قال : لا ، لكن عرفته بمخلوقاته وآياته ، فقال الأستاذ : كيف تؤمن بشيء وما رأيته ؟

قال الطالب : ليس يا أستاذ كل شيء لم نره معناه العدم ، فأنت تؤمن بالعقل وما رأيت العقل .

فأعرض عنه الأستاذ مغضباً والتفت إلىٰ أحمد وسأله باستهتار : قم يا مولانا أحمد ، أتؤمن بوجود الله ؟

قال أحمد : نعم ، لا إلـٰه إلا هو .

فقال الأستاذ : وما دليلك علىٰ وجوده ؟

قال : يا أستاذ ؛ لو رأينا بيتاً مشيداً . . ألا يدلك علىٰ أن له بانياً بناه ؟

قال الأستاذ : بلىٰ .

قال أحمد : ولو رأينا يا أستاذ لوحة جميلة . . ألا تدل علىٰ أن لها رساماً ؟

قال الأستاذ : بلىٰ .

قال : فهـٰذا البناء العظيم في الكون والخلق العجيب الجميل أليس له موجد وخالق ؟ فأعرض الأستاذ مغضباً ، فقال : اجلس ؛ فأنت وزملاؤك علىٰ خرافات الأولين .

وعاد أحمد إلىٰ أبيه وأخبره بما جرىٰ ، فقال له أبوه : يا بني ؛ هـٰذا وأمثاله فروخ للشيوعية الحمراء ، وهم أعضاء في حزب بندريوف الاشتراكي ، ولا يؤمنون بالله ، وهم يحاربون الدِّين ، ولا عليك منهم ، ففكرته منبوذة ؛ لأنها تخالف الفطرة والعقل والشرع ، ولولا أن هـٰؤلاء لهم من يحميهم من الحاكم المحلّي الأجير العميل لموسكو . . لطردناهم ، ولكن ها هم من عشرين سنة لم يؤمن بفكرتهم أحد .

ووالله ؛ إن جدتك شهرزاد رحمها الله أكثر فهماً منهم ، وأكبر عقلاً ؛ لأنهم خالفوا المنطق والبرهان ، وكابروا ، وأضحكوا عليهم الأطفال ، وها هو الأستاذ الأحمق قد غلبته أنت وزميلك ، وليس عنده دليل ولا حجة .

وزيادة علىٰ ذلك يا بني : هٰذه مذكرة للفيلسوف العظيم والمفكر الكبير سخروف ، ذكر فيها أن هٰذا الكون له مبدع حكيم وخالق عظيم ، فنفاه الحزب الشيوعي بعدها إلىٰ صحراء سيبريا ، والله يا بني ؛ إن حماري هٰذا الأشهب الأجرب أذكىٰ من أستاذك الشيوعي .

يا بني ؛ هل تسمع بإنشتاين مكتشف النظرية النسبية ؟ قال أحمد : لم أسمع به ، قال : فإنه ذكر في مذكراته وهو عبقري لامع : أن من ينظر إلى الكون.. يعلم أن مبدعه عظيم حكيم لا يلعب بالنرد سبحانه ، وقد أرسل لي يا بني بعض أصدقائي العرب مقالة للكاتب أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة يقول فيها : إن الشيوعية أرض بلا سماء ، ويوم بلا غد ، وعمل بلا خاتمة ، وسعي بلا نهاية ، إنها خرافة لكنها تافهة ، ولعنة لكنها ماحقة ، وكذبة لكنها كبرىٰ .

يا بني ؛ لقد حدثني الحاج ولي الله مرتضىٰ : أن أحد الشيوعيين في العراق ذهب إلىٰ مزارع كردي مسلم ، فوجده يصلي ، فقال له : ما الدليل علىٰ وجود الله ؟ فقال المزارع : عندي دليل قوي ، قال : ما هو ؟ فأخذ المزارع فأسه وفلق به رأس الشيوعي فخرَّ ميّتاً ، وصاح المزارع : هٰذا هو الدليل علىٰ وجود الله تعالىٰ .

وقد ترجم لي الأستاذ عناية الله جزءاً من كتاب العقاد « مذاهب ذوي العاهات » فوجدته يستهزىء بالشيوعية الملحدة ويقسم إنهم معاقون عقلياً وحمقىٰ ، وصدق والله .

ليلة مع التاجر البخيـل

لا تنظر في وجه البخيل فيقسو قلبك .

جُودُ ٱلرِّجَالِ مِنَ ٱلأَيْدِي وَجُودُهُمُ   مِنَ ٱللِّسَانِ فَلاَ كَانُوا وَلاَ ٱلْجُودُ

في مساء ليلة وفد علىٰ بيت الشيخ عطاء وابنه أحمد تاجر يركب حصاناً أدهم عليه متاعه وحقائبه ، فقصدهم ؛ لأنه لا فنادق في القرية ، فرحَّب الشيخ عطاء به وهلاّ وسهّل ، وأنزله في بيته ، وربط حصانه ، وأنزل متاعه وحقائبه ، فنزل هـٰذا التاجر واسمه جواهر مزار ، وصنع له أهل البيت طعاماً لذيذاً من الخبز واللحم والحساء والحليب ، وهو مشغول يعدّد دراهمه ، يخرجها من كيس ويضعها في آخر .

فلما قدموا له العشاء . . أقبل عليه بنهم وشره ، وأقسم بالله أنه ما ذاق الطعام منذ ثلاثة أيام .

فقال الشيخ عطاء : كيف تبقىٰ جائعاً ثلاثة أيام وعندك مال والأسواق في طريقك ؟

قال التاجر : هـٰذا صحيح لكن الغلاء فاحش ورغيف الخبز بدرهم ، من يصدق هـٰذا ؟ وكيلو اللحم بخمس دراهم ، والله ؛ لو مات الإنسان جوعاً . . لكان أهون عليه من أن يضحك عليه بهـٰذه الأسعار ، حتىٰ حصاني اشتريت له حزمة برسيم قبل ثلاثة أيام بدرهمين كأنها قطعت من قلبي ، ولو أننا أطعنا هـٰؤلاء الغشّاشين . . صرنا مثلهم .

ثم أخرج هميان وسطه ممزّقاً فيه دراهم قديمة ، فعدَّها وأعادها مكانها ، وأغلق عليها بسحّاب ، وشدّها بحزام ، ولبس الهميان ، وأخذ حذاءه ، فوضعها عند رأسه ، وفيها عشرات المسامير ، ثم قال لصاحب المنزل : هـٰذه حذائي لها معي سبع سنوات ، وأين أنا من أهل الاقتصاد مثل تاجر في بلدنا مقتصد بقي معه

حذاؤه خمسة عشر عاماً ؟ لكن نعوذ بالله من الإسراف ، حتىٰ أبنائي سألوني من سنة كل واحد منهم حذاء ، فمنعتهم ؛ فالحذاء الواحد بستة دراهم ، وقلت لهم : أنتم لستم خيراً من مولانا إبراهيم بن أدهم الزاهد العابد ، عاش ستين سنة حافياً بلا حذاء ، لكن قاتل الله التبذير ، وحب الدنيا ، ومظاهرها الكاذبة .

فقال الشيخ عطاء للتاجر البخيل : وماذا تريد بالمال الذي تجمعه إذا كنت في هٰذه الحالة البائسة ، وحصانك هزل من الجوع ، وأبناؤك حفاة جياع عراة ، وأنت تكدس الدراهم ؟

فقال التاجر : يا شيخ ؛ المال عزّ ، ولو أنفقت أموالي في شراء الأحذية والثياب والطعام . . صرت فقيراً شحّاذاً ، وعند الأفغان مثل يقول : الفقر عضني بنابه ، فحلفت لو ملكت درهماً . . لدافعت عنه بنابي .

قال الشيخ عطاء : قبّح الله مالاً يجعل الإنسان خادماً له ، محروماً من الاستفادة منه ، عبداً لثروته ، مقتراً علىٰ نفسه .

ثم نام التاجر ولم يخلع ثوبه خوفاً عليه ، وفي الثوب سبع عشرة رقعة من طول ما لبسه التاجر .

أما الشيخ عطاء . . فجلس مع ابنه أحمد وزوجته شيرين يتعجبون من هٰذا التاجر الشيخ البخيل ويدعون الله : ألا يجعلهم خدّاماً للثروة ، عبيداً للمال ، وتف وأف على الدراهم إذا أذلت صاحبها ، وأزرت به ، وجعلته مصدر التهكم والسخرية من الناس .

حفل التخرج من السادسة

تخرّج أحمد بن عطاء الله مع زملائه من السادسة بمدرسة القرية ، وكان هو

الأول علىٰ زملائه ، وعمل حفل في المدرسة مسائي ، وحضر الآباء ، وبدأ الحفل بتلاوة القرآن ، ثم نشيد المدرسة من قصائد محمد إقبال ، ومنها :

إِذَا ٱلإِيمَـانُ ضَـاعَ فَـلاَ أَمَـانٌ وَلاَ دُنيـا لِمَـنْ لَـمْ يُحْـيِ دِينَـا

ثم ألقىٰ مدير المدرسة محمد برهان كلمة نوّه فيها بجد الطلاب ، وشكر الطالب الأول علىٰ مستوى المدرسة أحمد بن عطاء ، ووصف نبوغه ، وأبو أحمد الشيخ عطاء يستمع وقد غمره السرور ، وهو يقول في نفسه لولده : أعيذك يا أحمد بكلمات الله التامات .

ثم دعا والد أحمد الشيخ عطاء ليلقي كلمة الآباء ، فخنقته العبرة فرحاً وسروراً بنجاح ابنه بامتياز ، وأثنىٰ على المدرسة مديراً وأساتذة .

وبعدها قام أحمد يرتجل كلمة الطلاب ، فخلب الألباب ، وأدهش العقول حيث إنه حفظ كلمته عن ظهر قلب ، وأخذ يلقيها بشجاعة ونبرة عالية وإلقاء مؤثر ، ثم ختمها بقوله : ربي ؛ اجعلني من خدّام دينك ، وأنصار ملتك ، فبكى الحفل من روعة الكلمة وأسرها وسحرها ، وأخذ الشهادة من المدير ، وعاد مع أبيه ، وإذا أمّه شيرين تنتظره ، فلما رأته . . ضمّته بحرارة ودموعها تنهمر وهي تقول : يا قلبي ؛ رفعت رأسي بين الناس .

وصار أحمد في القرية نجماً لامعاً لذكائه وحفظه وأدبه ، وإذا مرَّ في سوق القرية . . أشاروا إليه وقالوا : هـٰذا أحمد بن عطاء الله ؛ لأن الناس يعشقون الفضيلة ، ويحبّون المتميّز ، ويكرهون الغبي البليد ، فالنفوس مفطورة علىٰ تمجيد النبوغ ، والميل للتفوّق ، وكما قال الرئيس الأمريكي الأسبق إبراهام لنكولن : إذا نجحت . . خضع لي الكل ، وإذا فشلت . . فلو شهدت لي الملائكة ما صدقني أحد .

ويقول مصطفىٰ أمين كاتب مصر اللامع : العظمة قطرات من الدموع والدماء والآهات والزفرات .

ونعود لأحمد وأسرته ؛ فقد أقام الوالد حفل عشاء تكريماً لابنه وفرحاً بنجاحه ، وقرأ أحمد (سورة الإنسان) بصوته الشجي الندي ، فبكى الرجال والنساء ، ثم سأل شيخ القرية الطالب أحمد عن أمنيته في الحياة ، فأشار أحمد بسبابته إلى السماء وقال : أن أكون عبداً لله مخلصاً صادقاً .

وكان أحمد يلقي في المسجد كلمات قصيرة عن الإيمان والأخلاق ، فيدعو له أهل المسجد ، وربما صلىٰ بهم إذا غاب الإمام .

وكان أحمد يمر بأطفال القرية وهم يتضاحكون ويسخرون من المارّة ، فيقول : هـٰذا لا يليق بكم ، هـٰذا يخالف الدين والمروءة ، وهـٰذا يسيء لسمعة قريتنا .

وسأل الشيخ عطاء ابنه أحمد : ما هي الهدية التي يريدها ؟ قال : أنا حبي للكتاب لا نهاية له ، فشرىٰ له كتاب « رسالة المسترشدين » للمحاسبي ، و« صيد الخاطر » لابن الجوزي ، و« كليلة ودمنة » ، و« ديوان السعدي الشيرازي » ، فأقبل عليها يلتهمها ويكاد يحفظها ، ويكرر ألفاظها ، ويستحضر معانيها ، وهـٰذا من توفيق الله له ؛ لأن الكتاب خير جليس في الزمان ، وكما قال المأمون : أعظم الأنس التمتع في عقول الرجال .

وقال الفارابي : ليت لي بعدد حجارة بلخ كتباً ، ولي كعمر نوح ، وأجعل أيامي كلها قراءة .

ولكن الأغبياء والبلداء لا يحبون الكتب ، ولهـٰذا بقوا أصفاراً في الحياة .

وذهب أحمد مع أبيه لزيارة قبر جدته شهرزاد ، فبكيا ودعَوَا الله لها

بالمغفرة ، ثم التفتا إلى القبور ، فإذا صمت مطبق ، فتذكر بيت المتنبي عن الأموات :

خُرْسٌ إِذَا نُودُوا كَأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا   أَنَّ ٱلْكَـلَامَ لَهُـمْ حَـلَالٌ مُطْلَـقُ

ثم قال أبو أحمد : هٰذه هي الحياة يا بني ، عش ما شئت ، واجمع ما أردت ، ثم النهاية هنا ، كما قال مولانا شمس الواعظين : أنا إذا زرت القبور.. هانت في عيني الحياة ، ورخصت عندي الدنيا ، ونظرت إلى الأحياء ، فإذا هم أشبه بأناس في فيلم لمسرحيّة عابثة ، عندها قال أحمد : يا أبتِ ؛ ليس لنا إلا أن نحسن في هٰذه الحياة ، ونجتنب الشر ، ولا ننخدع بالمظاهر الكاذبة ، فقال أبوه : صدقت زادك الله توفيقاً ، ثم خرجا من المقبرة ، ووجدا لوحة كبيرة مكتوباً عليها :

وَسَـلَاطِينُهُـمْ سَلِ ٱلطِّيـنَ عَنْهُـمْ   وَٱلرُّؤُوسُ ٱلْعِظَامُ صَارَتْ عِظَامَا

ويموت الوالد فجـأة

من الذي عنده عهد بالسلامة من الآفات والنجاة من الموت ؟ لا أحد .

في عصريّة طيبة الهواء ، عليلة النسيم ، جلس الشيخ عطاء وزوجته شيرين وابنهم أحمد في حديقة البيت ، بين شجر اللوز والمشمش ، والماء له خرير وأصوات الطيور تملأُ الفضاء ، والسحاب يغطي سماء القرية ، وقطرات الرذاذ تنهمر علىٰ ورق التوت كأنها دموع الأحباب ساعة الوداع .

وبينما أحمد يصب الشاي لوالديه وأبوه متكىء علىٰ مخدة من ليف النخل وإذا برأس والده يميل رويداً رويداً وكوب الشاي يسقط من يده ونفسه تطرد ، ثم يضع رأسه على المخدة ، ويشير بإصبعه إلى السماء ، ويردد : أشهد أن

لا إلـٰه إلا الله ، وأحمد وأمه ينظران في ذهول واندهاش ، يا رب : أحلمٌ هـٰذا أم حقيقة ؟ ثم يلفظ الشيخ عطاء أنفاسه الأخيرة ، وهو يتمتم بصوت ضعيف خافت : ودااااعاً وداااااعاً ، ثم يموت ، فيقفز أحمد ويضع يده علىٰ صدر أبيه وإذا هو ميت لا حركة ولا نبض ، فيضع رأسه علىٰ رأسه ويجهش بالبكاء ، وتضع شيرين يدها علىٰ زوجها وعيناها تفيض بالدمع ، ثم يسجيانه بثوب كان يصلي فيه وأوصىٰ أن يدفن فيه ، ونادوا أحد الصالحين لتغسيله ، وفاحت رائحة البخور مع صوت تلاوة القارىء بـ(سورة يس) ، واجتمع أهل القرية لحفر قبر الشيخ عطاء ، وجلس أحمد في ذهول ينظر لآلات الحفر وهي تنثر تراب القبر ، ومرت في ذهنه الذكريات :

الله ، أيتها الحياة ، ضحك وبكاء ، اجتماع وفراق ، سرور وحزن .

الله ، أيتها الحياة ، لا حبيب يبقىٰ ، ولا عيش يصفو ، ولا أحد يخلد ، ننسىٰ نهايتنا في غمرة الحياة ، ثم يفاجئنا الموت ليعلن نهاية قريب وحبيب أو صاحب .

ثم يقف ذهنه مع أيام والده ، ويشارك الدمع في الصمت ، وتنحدر دموع الوفاء علىٰ خدِّ أحمد وشفتاه تُتمتم بالاستغفار لوالده ، ويدفن الوالد الحنون الرحيم ، ويُوسّد الثرىٰ ، ويهال عليه التراب ، ويُترك وحيداً مع عمله الذي قدّمه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ، ويبقىٰ بلا ابن ولا زوجة ولا مال ولا أصدقاء ، كما يقول واعظ سمرقند ياقوت صفي الحق : كل من تحب سوف يذهب معك إلىٰ باب القبر ثم يعود إلا عملك ؛ فإنه معك دائماً ، ويقول شكسبير الشاعر الإنجليزي : أنت بالخيار ، إن أحسنت أو أسأت . . فهـٰذا عملك ، وسوف يدفن معك .

ويعود أحمد إلىٰ بيت والده مع أمه ، ويسود صمت مطبق ، والمصباح وحده المتوقّد بلهيب خافت ، وكلٌّ من أحمد وأمّه قد نكّسا رأسيهما في خشوع في أول ليلة ليس فيها أب الأسرة وكبير البيت ، فلا فرح ولا ابتسام ولا كلام ، هدوء وتفكّر وإعادة للذكريات ، كما يقول كنفشيوس فيلسوف الصين : أوفىٰ صديق لك بعد موتك سوف يسكب عليك دمعتين ثم ينساك .

ولكن أحمد يرفع رأسه ويقول لوالدته في خشوع : يا أماه ؛ أليس جوار الله لأبي أحسن من جوارنا ؟ فتقول أمه : أي والله يا أحمد ، جوار أرحم الراحمين أفضل من جوار الناس .

وفي الصباح يحضر الجيران للعزاء ، ويقف إمام المسجد يعظ ويعزّي ويدعو للترحم على الشيخ عطاء ، ويبدأ أهل القرية بذكر محاسن الشيخ عطاء ويقولون : كان مصلياً صادقاً ، وكان متواضعاً ، وكان لا يؤذي أحداً ، وكان يجود بما يجد ، وكان رحيم القلب ، حسن العشرة ، وأحمد وأمه يستمعان لهٰذا الثناء الحسن في والد أحمد ، وهل هناك أجمل من سمعة طيّبة للإنسان بعد موته ، كما قال الله علىٰ لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ وكما قال الجنيد بن محمد : ألسنة الخلق أقلام الحق ، والإنسان في النهاية ثناء حسن أو سيرة سيئة ، كما قال ابن دُريد :

وَإِنَّمَا ٱلْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ ... فَكُنْ حَدِيثاً حَسَناً لِمَنْ وَعَى

ويرتاح أحمد وأمه لثناء أهل القرية على الشيخ عطاء ، وتخف المصيبة ؛ لأن الذكر الجميل مجد باقٍ ، وهو أثمن من الذهب والفضة ، وأغلىٰ من كنوز الدنيا ، كما قال المتنبي :

ذِكْرُ ٱلْفَتَىٰ عُمْرُهُ ٱلثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ ٱلْعَيْشِ أَشْغَالُ

أحمد يرىٰ والده في المنـام

الأموات يرسلون لنا رسائل في المنام أبلغ من الكلام .

نام أحمد بعد ما قرأ الأذكار ، وسامح كل من آذاه أو اغتابه ؛ ليسعد بنوم هنيء ، وليرتاح ضميره من معاداة الناس ؛ لأنه قرأ للملاّ حسين الأصبهاني : اغسل قلبك قبل النوم سبع مرّات بالعفو عن الناس ؛ لتنام أسعد ليلة في حياتك ، وكان دانتي شاعر إيطاليا يقول : كلما ذهبت لأنتقم . . تمزّق قلبي من الغيظ ، فوجدتُ العفو أسلم .

وبعد ما نام أحمد . . رأىٰ والده الشيخ عطاء في المنام ضاحكاً مسروراً عليه ثياب جميلة في قصر منيف ، لا يستطيع وصفه الواصفون ، فيه أنوار وبهاء ، وحسن فتّان ، أمامه نهر مطرد ، وبستان فيه من كل زوج بهيج ، عندها قال أحمد لوالده : كيف حالك يا والدي بعد ما فارقتنا ؟

قال والده : يا بني ؛ أنا في خير حال ، أكرمني ربي بالنعيم المقيم ، في مقام كريم ، في جوار رب رحيم ، وقد عدت شباباً وذهب عني كل سقم وهم .

قال أحمد : يا أبتاه ؛ بماذا نلت هـٰذا ؟

قال : يا بني ؛ نلت ذلك بمحافظتي على الصلاة في الدنيا ، وإطعامي المساكين ، وسلامة قلبي من الحقد والحسد ، فإذا أردت النجاة يا أحمد . . فأصلح ما بينك وبين الله ، ولا تؤذِ أحداً ؛ فإن كل عمل محفوظ ، والجزاء من جنس العمل ، وأبشرك يا أحمد أنني لقيت أمي شهرزاد ، فوجدتها شابة فتية في أجمل صورة ، عليها من الحلي ما يفوق الوصف ، وهي في حدائق وقصور وأنهار ؛ لأنها كانت مصلِّية صوّامة قوّامة متصدِّقة .

ثم استيقظ أحمد ، ومسح عينيه ، وذكر الله ، ثم قال : والله ؛ إن دنيانا هـٰذه تافهة حقيرة ، يا ليتني لحقت بوالدي وجدتي ، وإذا بصوت المؤذن يشق الفضاء ، ويطرد الصمت ، ويعلن مبدأ الحق ، فقام فتوضأ ، وذهب إلى المسجد وصلّى الفجر ، ثم جلس مع إمام المسجد وأخبره بالرؤيا ، فبشّره الإمام بالخير ، ونصحه أن يواصل طريق والده في الصلاح وفعل الخير ، وقال له : يا بني ؛ كان والدك إذا صلّى الفجر . . جلس يسبح الله حتىٰ تطلع الشمس ، ثم ذهب إلىٰ منزله ، فتناول طعام الإفطار ، ثم أخذ رغيفاً بيده ودرهماً ، فأعطاهما لأول فقير يلقاه ، وبقي علىٰ هـٰذا العمل أربعين سنة ، وبهـٰذا العمل وأمثاله صرف الله عنه الشرَّ ، ونجّاه من كل كرب .

وابتهج أحمد لهـٰذا الخير ، وعزم على الصدقة بدرهم ورغيف كل يوم ، فكان إذا أراد أن يخرج من منزله . . أخذ كيساً فيه درهم ورغيف ، فإذا وجد فقيراً . . وضع في يده الرغيف والدرهم ، وتذكر قول الحكيم : الذي تتصدق به . . تجده أمامك في القبر ، والذي تتمتع به . . فإنك تسأل عنه ولا تجده ، وكما قال حاتم الطائي لزوجته :

لَعَمْرُكِ مَا يُغْنِي ٱلثَّرَاءُ عَنِ ٱلْفَتَى   إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِهَا ٱلصَّدْرُ

والمعنىٰ : والله ؛ ما ينفع المال الباقي إذا ضاق الصدر بالكرب عند نزول الموت ، بل ينفع ما قدّمه الإنسان قبل موته .

ثم نظر أحمد إلىٰ قصر أكرم شاه التاجر البخيل فقال : أفٍّ وتفٍّ عليك من محروم ، جمعت الكنوز ، وبخلت بها ، وحرمت نفسك سعادة الدارين ، فأنت محتقر بين الناس لبخلك ، ومحروم عند الله من الأجر .

جلسة ذكرىٰ بين أحمد وأمه

في مساء ليلة يتوقد فيها المصباح خافتاً في الغرفة والنار تلتهم الحطب في كانون البيت ، جلس أحمد يستذكر مع والدته الذكريات مع أبيه عطاء وجدته شهرزاد ، ويتعجبان من حال الدنيا وتقلباتها ، وغدرها بأصفيائها ، وجفائها وقلّة وفائها ، وسرعة نسيان الحي للميت مهما كان عزيزاً عليه ، كما قال حكيم نهاوند : لا تسرف في الثقة بأحبابك ؛ فإن أوفاهم لك ينساك بعد موتك بعام .

ويقول محمد جواهر الكابلي : لو كان الحبيب صادقاً في حبه لحبيبه . . لمات معه في يوم وفاته .

وأقول : لكن ها هي الحياة اجتماع وفرقة ، وحياة وموت ، وضحك وبكاء ، وسوف يفقدنا أبناؤنا كما فقدنا آباءنا .

وأخذ أحمد يحرك عود حطب في النار ويقول : يا أماه ؛ أنت عوضي في كل غائب وذاهب وأستأذنك أن أقرأ عليك فصلاً عن الأم لمؤلف قصص الحب بزرجمهر ؛ إذ يقول عن الأم : الله يا أمِّي ، أنت أوفى الناس لي ، نسيني أصدقائي وأحبابي إلا أنت يا أمي ، وجدتُ الغدر من الناس ولم أجد الوفاء إلا عندك يا أمي ، لقيت عندك الحنان والسلوان والرضوان ، أنت الوحيدة التي سكبت دمعها بسخاء وفاءً لي ، أنت الوحيدة التي شاركتني الهموم والأحزان ، والله يا أمي ؛ لو غسلتُ أقدامك بدموعي كل صباح . . لكان هـٰذا قليلاً .

فتبكي أمه وتقول : فداك العمر يا أبرَّ ابن في العالم ، وليت الموت يبدأ بي قبلك ، فيقول هو : بل أنا أفديك بروحي ودمي ، ثم يقول لها : والله يا أماه طال شوقي لوالدي عطاء وجدتي شهرزاد، عسى الله أن يجمعنا بهم في الجنة .

قالت أمه : آمين يا رب العالمين ، ثم تنهّدت وقالت : يا أحمد ؛ والله

ما في الدنيا راحة إلا بتعب ، ولا لقمة إلا بغصة ، ولا ابتسامة إلا بدمعة ، فعسى الله يريحنا من العناء في جواره .

ثم تمد يدها إلىٰ حقيبة قديمة داخل صندوق خشبي أثري عتيق ، فتخرج منه مصحفاً ، أوراقه صفراء ، وغلافه جلد وتقول : يا بني ؛ هـٰذا كتاب الله فيه بيان طريق الفلاح والنجاة والسعادة ، وهـٰذا المصحف مخطوط من خمس مئة عام ، كان أبي يوصيني به تلاوة وحفظاً وعملاً ، والله ؛ ما بقي أنصح ولا أصدق من القرآن ، وأبشرك يا أحمد أنني أتلو كل يوم منه جزءاً ، فهو سلوتي في الحياة ، وعزائي عن كل غائب وذاهب، فيقوم أحمد فيقبّل المصحف، وتنهمر منه دمعتان علىٰ غلاف المصحف ، وبعدها يودِّع أحمد أمه حيث إنه سوف يذهب إلىٰ حضور درس مولانا شمس الحق الكشميري الذي يدرِّس « تفسير ابن جرير الطبري » .

وفي الطريق يلتقي أحمد بشيخ هرم كبير يتوكأ علىٰ عصاً ، قد انحنىٰ ظهره ، وجفَّ جلده ، وتجعّد وجهه ، فيخرج أحمد دراهم من جيبه ليضعها في يد الشيخ ، فيأبى الشيخ ويقول : بارك الله فيك يا بني ، أنا في خير من الله ، ولا آخذ من أحد شيئاً .

فقال أحمد : كم عمرك حفظك الله ؟

قال : بلغت المئة عام ، ولله الحمد علىٰ بقاء العقل والسمع والبصر .

قال أحمد : أما سئمت الحياة يا شيخ ؟

قال الشيخ : لا والله ؛ لأني كلما قمت أو جلست أو نمت أو انتبهت . . سبّحت الله وحمدته ، فأنا بين ذكر واستغفار ، وتوبة وإنابة ، وفي الحديث : « خيركم من طال عمره ، وحسن عمله » .

فقال أحمد : ما هي أمنيتك يا شيخ ؟

قال الشيخ : أمنيتي أن يتوفّاني ربي وأنا ساجد .

فقال أحمد : أدعوك يا شيخ لتناول طعام الغداء .

فقال الشيخ : يا أحمد ؛ غدائي تمر ولبن منذ خمسين سنة .

فقال أحمد : فنحن أهل تمر ولبن ، فذهب مع الشيخ ، وكان في الطريق يتمتم الشيخ بذكر الله ، فلما وصلا البيت وتناولا التمر واللبن . . أذن المؤذن لصلاة العصر ، فتوضأ الشيخ وأحمد ، وذهبا إلى المسجد ، وفي آخر سجدة من الصلاة قبض الله روح الشيخ في السجود ، ولبّىٰ دعاءه ، وأجاب مسألته ، وسلّم الإمام من الصلاة والشيخ ميت ساجد لم يرفع رأسه ، وقام الناس وحرّكوا الشيخ ، فإذا هو ميت متبسّم ، فحملوه إلىٰ بيت أحمد ، وغسّلوه ، وكفّنوه ، وصلّوا عليه ، ودفنوه ، ودموعهم تغسل خدودهم .

وصارت قصة موته أعجوبة لأهل القرية ، وأكثر تأثيراً من ألف خطبة وألف درس .

وعاد أحمد إلىٰ أمّه مذهولاً من قصة الشيخ وحسن خاتمته ، وقال : يا أمّاه ؛ سلي الله لي أن يحسن لي الخاتمة بعد فريضة وعمل طاعة ، فرفعت أم أحمد يديها وهي تبكي وتقول : اللهمَّ ؛ إذا قبضت روح ابني أحمد بعد عمر طويل . . فاقبضه بعد فريضة أدّاها ، وفي طاعة ترضيك عَمِلَها ؛ فإنك لا ترد السائلين ، ولا تخيِّب الطامعين .

أحمد ومرحلة الشباب

ويعيش أحمد مرحلة شبابه في قريته الجميلة مع أمه الحنون ، فيبتهج هو وهي كل صباح بالجلوس في شرفة البيت أمام النهر وهو يتلو القرآن علىٰ

والدته ، والشمس تبدو وبحاجبها كالفتاة الخجول ، كما قال الشاعر العربي :

تَبَدَّتْ لَنَا كَٱلشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ

فإذا طلعت الشمس . . صلىٰ هو وأمه ركعتي الضحىٰ ، ثم تناولا الإفطار ، وذهب هو لدراسته ، وذهبت هي للحقل تدير عاملات الزرع ، وتشرف علىٰ مزارع البر والخضراوات .

وفي ذات يوم طرق باب بيته فقير عليه ثياب بالية يمشي حافياً ، شاحب اللّون ، ففتح له الباب ، وحيّاه ، وأدخله المنزل ، وسأل عن حاله ، فقال الفقير : أنا من قرية جيهان ، أتيتُ إلىٰ قريتكم حافياً ، ولي يومان ما أكلت شيئاً ، فرحَّب به أحمد ، وقدم له التمر واللبن ، وقامت أمه إلى المطبخ ، فعملت للفقير طعاماً من اللحم والأرز والفواكه .

وبعد ما شبع الفقير سأله أحمد عن حاله ، فقال الفقير : أنا مسعود الجارودي من قرية جيهان ، كنت من أغنياء القرية ، وكنت مع أسرتي في بيت بوسط وادي كرمان شاه ، وعندي مال وبقر وغنم ومزرعة جميلة ، ولديّ زوجة وولدان وبنت ، وفي ليلة ونحن نائمون . . انهار سد وادي كرمان شاه ، ففاض الوادي ، وأنا كنت أصلي الفجر بمسجد في أعلى القرية ، فجاء السيل وحمل بيتي بالأسرة والمزرعة والمواشي ، ودمَّر كل شيء ، ومات كل أفراد الأسرة ، وجئت إلىٰ موقع منزلي ، ووجدت كل شيء مدمَّراً تماماً ، لا أهل ولا ولد ولا مال ، فأمسيت غنياً ، وأصبحت فقيراً ، وهـٰذا حال الدنيا غدّارة غرّارة ، فقلت : الأحسن لي أن أخرج من هـٰذه القرية ؛ لئلا يراني الحسّاد والشمّاتون ، وأنا راضٍ بقضاء الله ، وكلما فكّرت في تقلبات الدنيا بأهلها . . تسلّيتُ وتعزّيت ، ثم إن لنا حياة أخرىٰ كمسلمين في جنات النعيم ، فلماذا الجزع علىٰ هـٰذه الحياة ، وأنا

متفائل أنني سوف أجتمع بأسرتي في الجنة ، عندها تهون كل مصيبة .

فقال أحمد : حياك ربي ، ووصلت مكانك المناسب ، واعتبر هٰذا البيت بيتك ، وأبشر بما يخفف عليك مصابك .

قال الرجل الفقير : جزاك الله خيراً ، وأنا قبلت ضيافتك ، ولن أكون ثقيلاً عليك ، وأريد منك أن تجعل لي عملاً بأجرة ؛ لأنني لا آخذ مالاً بالمجان بلا مقابل ، فقد أوصاني أبي وقال لي : يا بني ؛ لا تأخذ من أحد شيئاً ولو حملت الحطب علىٰ ظهرك وبعته في الأسواق ، كما قال مولانا المروزي : سَفُّ التراب أشرف من الوقوف على الأبواب .

قال أحمد : فأريدك أن تشرف علىٰ مزرعتنا حرثاً وسقياً ورعاية ولك النصف من الثمرة ، فوافق الرجل ، وهبّ مع الصباح يشرف علىٰ عمال المزرعة ، ويعدّل معهم الماء ، ويصلح الأشجار ، وصار كأنه فرد من أفراد الأسرة ، ولما عمل . . أشغل نفسه عن الوساوس ، ونسي الهم ، كما قال الحكيم : إذا أشغلت يديك . . ارتاح قلبك .

وقال وليم جمس : ويل للكسالىٰ من القلق ؛ لأن الفراغ انتحار بطيء ، ومن أراد السعادة . . فليشغل نفسه بعمل نافع مفيد .

وفي ذات صباح لاحظ هٰذا الرجل عصفوراً بفمه قطعة لحم يقترب بها من رأس شجرة ، ثم يضعها هناك ، ويعود ويأخذ غيرها مرّات عديدة ، فتعجّب الرجل من صنيع العصفور ، وصعد الشجرة ، فوجد في رأس الشجرة حيّة عمياء لا تستطيع النزول ، وليس عندها طعام ، فسخّر الله لها هٰذا العصفور ، فإذا اقترب منها وبفمه قطعة اللحم . . صفّر لها بصوته ، ففتحت فمها ، وألقىٰ فيها قطعة اللحم حتىٰ تشبع ، قال الرجل : سبحانك ربي ما أحكمك! ضمنت الرزق

لكل مخلوق ، وعاد الرجل فأخبر أحمد بما وجد من خبر العصفور والحيّة .

فقال أحمد : أنا وجدت في هـٰذه المزرعة عجائب من خلق الله ، ففي طرف المزرعة بيت للنمل لا تخرج منه النمل طيلة فصل الشتاء ، فإذا جاء فصل الصيف . . خرجت تجمع الحب وتكدسه في مخازن خاصة في بيوتها ، فإذا خافت أن ينبت الحب . . قسمت الحبة نصفين حتىٰ لا تنبت في المخزن ، وهي لا تأكل من الحب الذي خزّنته طيلة فصل الصيف ، فإذا جاء الشتاء . . مكثت في بيتها خوفاً من الريح والمطر ، وأكلت مما ادخرته ، فسبحان من علمها ، لا إلـٰه إلا هو ، ولا ربّ سواه .

ثم قال أحمد : هـٰذه عناية الله بالطيور والحشرات وسائر الحيوان ، فكيف رعايته للإنسان ؟! وكيف ولايته لأهل الإيمان ؟! وقد قال سيدنا صدّيق فيض الحق : اشتغل بما لله عليك ، ولا تشتغل بما لك عند الله ؛ فإن الله كريم ضامن .

وقال صاحب « الأمثال الهنديّة » : الله ضمن رزق النحلة والنملة ، فكيف لا يضمن رزقي ؟! ولكن بعض الحمقى الأغبياء يطالب ربّه بالرزق ، ولا يخلص لربِّه العبوديَّة ، ففضل الله إليه نازل ، ومعاصيه إلى الله صاعدة .

أحمد يسافر بأمه لأداء فريضة الحج

وأراد أحمد أن تكون خاتمة حياة أمه حجة مبرورة متقبلة ، فتهيّأ للسفر مع أمه ، وودّعوا القرابة والجيران ، وطلبوا العفو من أهل القرية إن حصل خطأ أو زلّة ، وقام أحمد فاستأجر له ولوالدته مركباً في القافلة ، وأخذ نفقة طيبة من نتاج المزرعة ؛ لأنه يعلم أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً .

ثم ودَّعا الجيران والدموع تسيل على الخدود ، وتنطلق بهم القافلة بين

حقول البر ، وهما يدعوان الله أن يكون سفرهما سعيداً مباركاً .

وفي الطريق أقبل الليل يغطي الكون ، والشمس تغيب شيئاً فشيئاً ، والعالم بدأ يسكن مع الليل ، فيا لعظمة المشهد ، ويا لجماله والروابي مكلّلة بضوء الشمس الذهبي ، وأصوات الرعاة تملأ الوديان وهم يهتفون بأغنامهم .

ثم سرنا إلىٰ وادٍ عظيم قد وقف الناس علىٰ طرفيه بعد ما امتلأ بسيل جارف مدمّر حمل بعض المواشي من قوته ، فوقفنا ننتظر متىٰ يخف ، وبعد ساعات خف جريانه ، ومررنا من على الجسر ، وانطلقنا عبر حقول البر والشعير الممتدة في سهول هزار ، فكأنها بساط أخضر ، أو بحر لجيّ ، وبعدها مررنا بجبال كندوش الشاهقة المنيعة فسبحان الخالق ما أحكمه وأبدع صنعه!

وأصبح السحاب معقوداً علىٰ رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال ، ثم سرنا في غابات كثيفة كأنها الليل من كثرتها ، وقد تشابكت أشجارها ، واطردت أنهارها ، وغنّت أطيارها ، وفاحت أزهارها ، فسبحان من جمّلها وكمّلها!

ثم بدت لنا سهول بلوشستان الواسعة الممتدة التي تنقطع فيها الطير ، ويضل فيها الذئب ، وقوافل التجار ذاهبة آيبة ، وأنواع الحيوانات والطيور تملأ السهل والجبل والجو ، وبدت أمامنا بحيرات من الماء العذب بعد الأمطار ، فشربنا ، وتوضأنا ، واغتسلنا ، وأرحنا أنفسنا تحت شجر السلم والسدر الكثيف الملتفّ ، فإذا شيخ كبير قد جاوز مئة عام يمشي حافياً متوكئاً علىٰ عصاً يسوق قطيعاً من الضأن ، فسلمنا عليه ، فردّ السلام ، وحيّا بنا ورحّب ، فسألناه عن حاله ، فأخبرنا أنه وحيد بلا أسرة ، ومعه هـٰذا القطيع من الغنم ، ويأوي إلىٰ مغارة في الجبل ، وأنه يشرب من ألبانها ، وربما باع منه واكتسىٰ وأكل من ثمنها .

فسألناه : وأين أسرتك ؟

قال : أنا لم أتزوج ، وكان لي أخت وماتت ، وأنا سعيد في حياتي ، أعيش بلا همّ ولا غمّ ، فأخرجنا له بعض النقود ، فأبىٰ وامتنع ، وقال : أنا لم آخذ من أحد شيئاً ، ولا أريد أن أعوّد نفسي الأخذ من الناس ، ثم تركنا ، فإذا هو يتمتم ، فقلنا له : ماذا تقول يا شيخ ؟

قال : أنا أذكر الله وأقرأ (قل هو الله أحد) كل يوم ألف مرّة ، فعجبنا من حاله وعبادته ، وأدركنا تفاهة الدنيا ، وأنه في مقدور الإنسان أن يعيش رضيّاً بأقل العيش .

ثم سرنا إلى البحر العربي ، فركبنا سفينة إلىٰ باب المندب في عدن ، فلعبت بنا الريح ، وهاج علينا الموج ، وغضب علينا البحر ، وعشنا ليلة الكرب ، وكدنا نهلك ، وبكىٰ ركّاب السفينة ، وارتفع العويل ، وبلغت القلوب الحناجر ، وصاح الناس مستغيثين بالله عز وجل ، والكل ينادي : (يا حي يا قيوم) ، وآيسنا من الحياة ، وأشرفنا على الموت .

ثم كان لطف الله ، وهدأت الريح ، واقتربت السفينة من الشاطىء ، وأخذنا نردد : (لا إلـه إلا الله) ، ثم خرجنا سالمين كأننا خرجنا من القبور ، وعدنا إلى الحياة ، فنزلنا من ساحل البحر نمشي على الساحل ، وأخذنا ما يلزمنا من الطعام ، وتجوّلنا في سوق هنا علىٰ ساحل البحر ، وبقينا يوماً كاملاً لنواصل رحلتنا عبر البحر الأحمر إلىٰ جدة ، ومنها إلىٰ مكة ، واستغرقنا من باب المندب إلىٰ جدة ثلاثة أيام بسير بطيء في البحر ، ثم نزلنا جدة ملبين ، محرمين ، تائبين ، منيبين ، كلنا شوق للحرم والبيت العتيق ، ترفرف قلوبنا لها ، وتكاد تطير أرواحنا طرباً وفرحاً ؛ لأننا اقتربنا من بيت ملك الملوك جلّ في عُلاه .

والدة أحمد تموت بعد أداء الحج

ووصل أحمد بوالدته إلىٰ بيت الله العتيق ، وحين لاحت لهما الكعبة بجلالها وطهرها . . أثارت في نفوسهما حالة من التأثر ؛ لأنهما كانا في غاية الشوق لرؤية بيت الله في أرضه ، وانهمرت الدموع ، وأخذ النشيج ، ورفع كل منهما يديه يدعو .

قال أحمد : وعادت ذاكرتي إلىٰ أيام قديمة كنت قرأت فيها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونزل الوحي ، وحضرت الذكريات ، ومارت الخواطر ، والقلب يرجف مهابة وإجلالاً لله الواحد الأحد ، واقتربنا من الكعبة ، وبدأنا نطوف ، واستلمنا الحجر الأسود تقبيلاً ، وأخذ الدمع يبلّ الخدود ، وأخذت الوالدة تدعو وتلح في دعائها ، وتسأل ربها الغفران لها ولوالديها ، وأخذت تدعو لولدها أحمد ، فيقترب منها أحمد ويقول : ادعي لي يا أماه بالشهادة في سبيل الله ، فتقول : اللهم ؛ ارزق ابني أحمد شهادة في سبيلك .

ويذهبا إلىٰ منىٰ ، ثم يقفان بعرفة ، وفي يوم الوقوف ينظر أحمد ووالدته إلى الحجاج الشعث الغبر من كل لون وجنس ولغة وهم يهتفون داعين ربّهم في بكاء ونحيب ووجل ، هـٰذا يطلب هداية ، وذاك يطلب رزقاً ، وثالث يطلب عافية ، ورابع يطلب ذرية ، وهـٰكذا كل له طلب بلغات شتّىٰ ، ولهجات متباينة ، وحاجات مختلفة ، ويطلبون غنياً ماجداً واحداً سبحانه .

وتدنو الشمس من الغروب ، وتعم الموقف خشية وخشوع ، وتنكس الرؤوس ، وتتساوى القامات بين الملك والمملوك ، الغني والفقير ، الأبيض والأسود في منظر عجيب رهيب .

ثم يزحف الجميع إلىٰ مزدلفة ، وأحمد آخذ بيد أمه يخدمها ويرفق بها ؛

لأنه يعلم أن برّ الوالدة طريق الجنة ، وأن خدمتها مهر الحور العين .

ثم بات أحمد مع أمه في منىٰ ثلاث ليالٍ ، ورميا الجمرات الثلاث مع ما حصل من النحر والحلق أو التقصير ، ثم طواف الإفاضة .

وبعد الطواف وقف أحمد مع والدته يسقيها من زمزم ، و« ماء زمزم لما شُرب له » كما في الحديث ، فأخذت أمه تشرب وتقول : اللهم ؛ ارزقني ميتة حسنة في جوارك ، وفي بيتك ، اللهم ؛ لا تُعِدْني إلىٰ بلدي طاشقند ، اللهم ؛ إني خرجت راغبة في ثوابك ، وأتمنىٰ وفاة في حرمك ، ثم أخذت تبكي وتلحّ علىٰ ربِّها في الدعاء ، ثم شهقت ، ثم جلست ولها نشيج ، وابنها أحمد يمسكها ، ويبكي معها ، ويلتزمها .

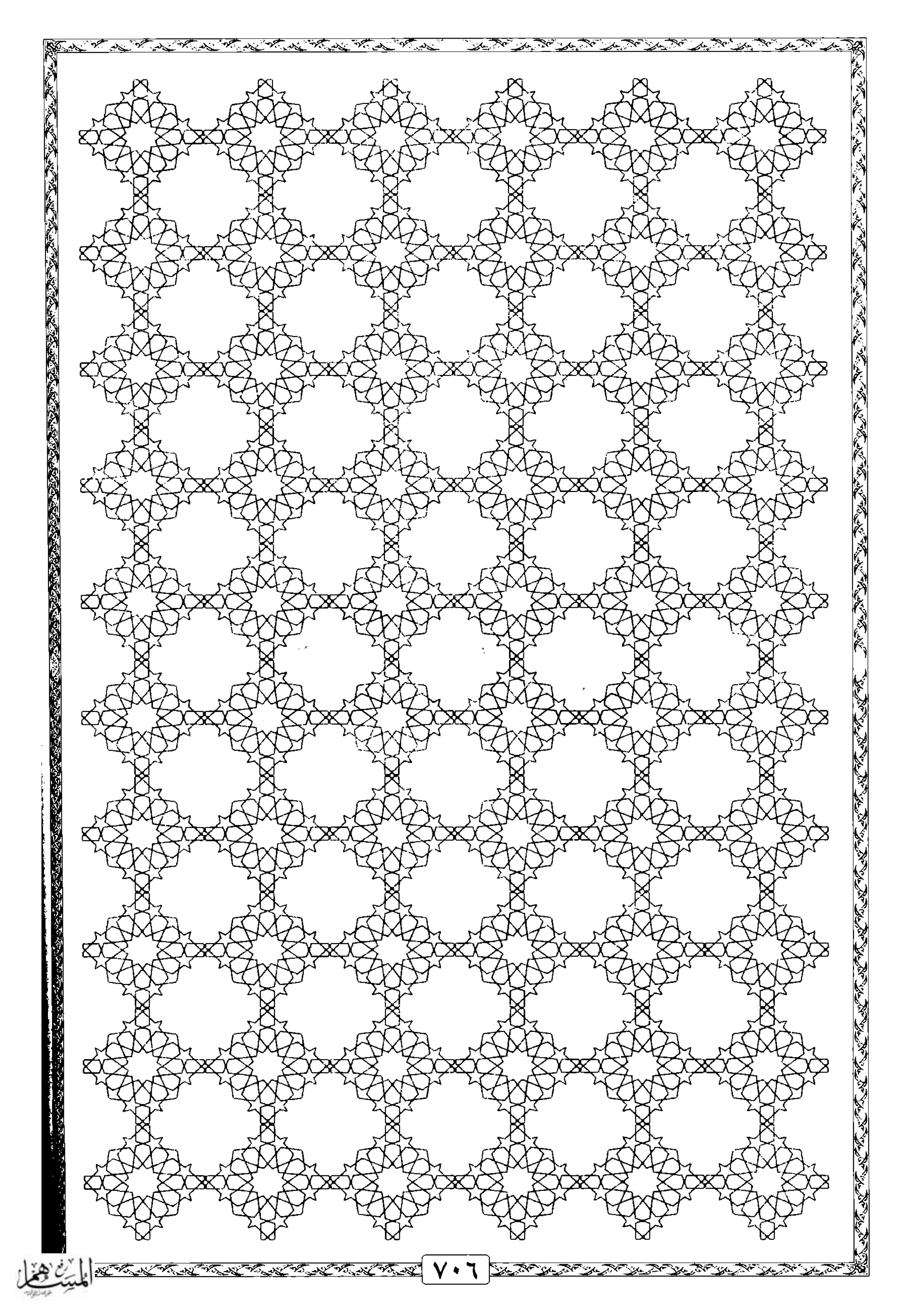
ثم أسندها إلىٰ صدره ، فأشارت بإصبعها إلى السماء تردد : أشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، ثم مالت ، وأسلمت روحها إلىٰ خالقها ، فحرّكها ابنها أحمد ، فإذا هي قد فارقت الحياة ، فحملها مع بعض المحسنين ، وتولى الإشراف علىٰ غسلها والصلاة عليها ودفنها في مقبرة مكة .

وكأن أحمد دفن قلبه في مكة ، وكأن روحه التي بين جنبيه قد دسّها في تراب مكة ، وعاد بلا أم إلىٰ أرضه في طاشقند ، فلما استقبله أصحابه وجيرانه وعرفوا أنه فقد أمه وقد فارقت الحياة . . بكوا جميعاً ، وأخذوا يدعون لها بالمغفرة والرّحمة ، ويذكرون محاسنها .

* * *



عَرُوسُ الأَدَبِ



حسان بن ثابت :

عَـدِمْنَـا خَيْلَنَـا إِنْ لَـمْ تَـرَوْهَـا تُثِيـرُ ٱلنَّقْـعَ مَـوْعِـدُهَـا كَـدَاءُ
يُبَـارِيـنَ ٱلأَعِنَّـةَ مُصْعِـدَاتٍ عَلَـىٰ أَكْتَـافِهَـا ٱلأَسَـلُ ٱلظِّمَـاءُ
تَظَـلُّ جِيَـادُنَـا مُتَمَطِّـرَاتٍ تُلَطِّمُهُـنَّ بِـٱلْخُمُـرِ ٱلنِّسَـاءُ
فَـإِمَّـا تُعْـرِضُـوا عَنَّـا ٱعْتَمَـرْنَـا وَكَـانَ ٱلْفَتْـحُ وَٱنْكَشَـفَ ٱلْغِطَـاءُ
وَإِلاَّ فَـٱصْبِـرُوا لِجِـلاَدِ يَـوْمٍ يُعِـزُّ ٱللهُ فِيـهِ مَـنْ يَشَـاءُ
وَجِبْـرِيـلٌ أَمِيـنُ ٱللهِ فِينَـا وَرُوحُ ٱلْقُـدْسِ لَيْـسَ لَـهُ كِفَـاءُ
لَنَـا فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ مِـنْ مَعَـدٍّ سِبَـابٌ أَوْ قِتَـالٌ أَوْ هِجَـاءُ

* * *

نزار قباني :

مَـرْحَبـاً يَـا عِـرَاقُ جِئْـتُ أُغَنِّيـكَ وَبَعْـضٌ مِـنَ ٱلْغِنَـاءِ ٱلْبُكَـاءُ
مَـرْحَبـاً مَـرْحَبـاً أَتَعْـرِفُ وَجْهـاً حَقَّـرَتْـهُ ٱلأَيَّـامُ وَٱلأَنْـوَاءُ
وَحْـدَوِيُّـونَ وَٱلْبِـلاَدُ شَظَـايَـا كُـلُّ جُـزْءٍ مِـنْ لَحْمِهَـا أَجْـزَاءُ
قُـرَشِيُّـونَ لَـوْ رَأَتْهُـمْ قُـرَيْـشٌ لاَسْتَجَـارَتْ مِـنْ رَمْلِهَـا ٱلْبَيْـدَاءُ
قَـدْ يَهُـونُ ٱلْعُمْـرُ إِلاَّ سَـاعَـةً وَتَهُـونُ ٱلأَرْضُ إِلاَّ مَـوْضِعَـاءُ
لاَ يَمِيـنٌ يُجِيـرُنَـا أَوْ يَسَـارٌ تَحْـتَ حَـدِّ ٱلسِّكِّيـنِ نَحْـنُ سَـوَاءُ
لَوْ قَرَأْنَا ٱلتَّارِيخَ مَا ضَاعَتِ ٱلْقُدْ سُ وَضَـاعَـتْ مِـنْ قَبْلِهَـا ٱلْحَمْـرَاءُ

* * *

المتنبي :

لاَ تَعْـذُلِ ٱلْمُشْتَـاقَ فِـي أَشْـوَاقِـهِ حَتَّـىٰ يَكُـونَ حَشَـاكَ فِـي أَحْشَـائِـهِ

إِنَّ ٱلْقَتِيـلَ مُضَـرَّجـاً بِـدُمُـوعِـهِ مِثْـلُ ٱلْقَتِيـلِ مُضَـرَّجـاً بِـدِمَـائِـهِ
وَٱلْعِشْقُ كَـٱلْمَعْشُوقِ يَعْذُبُ قُـرْبُـهُ لِلْمُبْتَلَـىٰ وَيَنَـالُ مِـنْ حَـوْبَـائِـهِ
لَـوْ قُلْـتَ لِلـدَّنِـفِ ٱلْحَزِيـنِ فَـدَيْتُـهُ مِمَّـا بِـهِ لأَغْـرَتَـهُ بِفِـدَائِـهِ
وُقِـيَ ٱلأَمِيـرُ هَـوَى ٱلْعُيُـونِ فَـإِنَّـهُ مَـا لاَ يَـزُولُ بِبَـأْسِـهِ وَسَخَـائِـهِ
يَسْتَـأْسِـرُ ٱلْبَطَـلَ ٱلْكَمِـيَّ بِنَظْـرَةٍ وَيَحُـولُ بَيْـنَ فُـؤَادِهِ وَعَـزَائِـهِ
إِنِّـي دَعَـوْتُـكَ لِلنَّـوَائِـبِ دَعْـوَةً لَـمْ يُـدْعَ سَـامِعُهَـا إِلَـىٰ أَكْفَـائِـهِ
فَـأَتَيْـتَ مِـنْ فَـوْقِ ٱلـزَّمَـانِ وَتَحْتِـهِ مُتَصَلْصِـلاً وَأَمَـامِـهِ وَوَرَائِـهِ

* * *

علي بن الجهم :

إِلَى ٱللهِ فِيمَا نَابَنَا نَرْفَعُ ٱلشَّكْوَى فَفِي يَدِهِ كَشْفُ ٱلضَّرُورَةِ وَٱلْبَلْوَى
خَرَجْنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنَ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ ٱلأَحْيَاءِ فِيهَا وَلاَ ٱلْمَوْتَى
إِذَا جَـاءَنَـا ٱلسَّجَّـانُ يَـوْمـاً لِحَـاجَـةٍ عَجِبْنَا وَقُلْنَا : جَاءَ هَـٰذَا مِنَ ٱلدُّنْيَا
وَنَفْـرَحُ بِـٱلـرُّؤْيَـا فَجُـلُّ حَـدِيثِنَـا إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا ٱلْحَدِيثُ عَنِ ٱلرُّؤْيَا
فَإِنْ حَسُنَتْ لَمْ تَأْتِ عَجْلَىٰ وَأَبْطَأَتْ وَإِنْ قَبُحَتْ لَمْ تَحْتَبِسْ وَأَتَتْ عَجْلَى

* * *

أحمد بن حمزة البوني :

إِنِّـــي لأَرْجُـــو عَطْفَـــةَ ٱللهِ وَلاَ أَقُـولُ إِنْ قِيـلَ مَتَـىٰ ذَاكَ مَتَـى
لاَ بُـدَّ أَنْ يَنْشُـرَ مَـا كَـانَ طَـوَى جُـوداً وَأَنْ يُمْطِـرَ مَـا كَـانَ خَـوَى
وَرُبَّمَـا يَنْشُـرُ مَـا كَـانَ زَوَى وَرُبَّمَـا قَـدَّرَ مَـا كَـانَ لَـوَى
وَكُـلُّ شَـيْءٍ يَنْتَهِي إِلَـىٰ مَـدَى وَٱلشَّـيْءُ يُـرْجَـىٰ كَشْفُـهُ إِذَا ٱنْتَهَـى
لَطَـائِـفُ ٱللهِ وَإِنْ طَـالَ ٱلْمَـدَى كَلَمْحَـةِ ٱلطَّـرْفِ إِذَا ٱلطَّـرْفُ رَمَـى

كَـمْ فَـرَجٍ بَعْـدَ إِيَـاسٍ قَـدْ أَتَـى   وَكَـمْ سُرُورٍ قَـدْ أَتَـىٰ بَعْـدَ ٱلأَسَـى
مَـنْ لاَذَ بِـٱللهِ نَجَـا فِيمَـنْ نَجَـا   مِنْ كُـلِّ مَـا يُخْشَـىٰ وَنَـالَ مَـا رَجَـا
سُبْحَـانَ مَـنْ نَهْفُـو وَيَعْفُـو دَائِمـاً   وَلَـمْ يَـزَلْ مَهْمَـا هَفَـا ٱلْعَبْـدُ عَفَـا
يُعْطِـي ٱلَّـذِي يُخْطِـي وَلاَ يَمْنَعُـهُ   جَـلاَلُـهُ مِـنَ ٱلْعَطَـا لِـذِي ٱلْخَطَـا

* * *

المتنبي :

وَلَـذِيـذُ ٱلْحَيَـاةِ أَنْفَـسُ فِـي ٱلنَّفْـسِ وَأَشْهَـىٰ مِـنْ أَنْ يُمَـلَّ وَأَحْلَـى
وَإِذَا ٱلشَّيْـخُ قَـالَ : أُفٍّ فَمَـا مَلَّ حَيَـاةً وَإِنَّمَـا ٱلضَّعْـفَ مَـلاَّ
آلَـةُ ٱلْعَيْـشِ صِحَّـةٌ وَشَبَـابٌ   فَـإِذَا وَلَّيَـا عَـنِ ٱلْمَـرْءِ وَلَّـى
أَبَـداً تَسْتَـرِدُّ مَـا تَهَـبُ ٱلـدُّنْيَـا فَيَـا لَيْـتَ جُـودَهَـا كَـانَ بُخْـلاَ
وَهْـيَ مَعْشُـوقَـةٌ عَلَـى ٱلْغَـدْرِ لاَ تَحْـفَـظُ عَهْـداً وَلاَ تُتَمِّـمُ وَصْـلا

* * *

المتنبي :

بَـادٍ هَـوَاكَ صَبَـرْتَ أَمْ لَـمْ تَصْبِـرَا   وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى
كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَٱبْتِسَامُكَ صَاحِباً   لَمَّـا رَآكَ وَفِـي ٱلْحَشَـىٰ مَـا لاَ يُـرَى
مَـنْ مُبْلِـغُ ٱلأَعْـرَابِ أَنِّـي بَعْـدَهَـا   شَـاهَـدْتُ رَسْطَـالِيسَ وَٱلإِسْكَنْـدَرَا
وَسَمِعْـتُ بَطْلِيمُـوسَ دَارِسَ كُتْبِـهِ   مُتَمَلِّكـاً مُتَبَـدِّيـاً مُتَحَضِّـرَا
وَلَقِيـتُ كُـلَّ ٱلْفَـاضِلِيـنَ كَـأَنَّمَـا   رَدَّ ٱلإِلَـهُ نُفُـوسَهُـمْ وَٱلأَعْصُـرَا
نُسِقُـوا لَنَـا نَسَـقَ ٱلْحِسَـابِ مُقَـدَّمـاً   وَأَتَـىٰ فَـذَلِـكَ إِذْ أَتَيْـتَ مُـؤَخَّـرَا

* * *

إبراهيم ناجي :

يَـا فُـؤَادِي رَحِـمَ ٱللهُ ٱلْهَـوَى ... كَـانَ صَـرْحـاً مِـنْ خَيَـالٍ فَهَـوَى
اِسْقِنِـي وَٱشْـرَبْ عَلَـىٰ أَطْـلاَلِـهِ ... وَٱرْوِ عَنِّـي طَـالَمَـا ٱلـدَّمْـعُ رَوَى
كَيْـفَ ذَاكَ ٱلْحُـبُّ أَمْسَـىٰ خَبَـراً ... وَحَـدِيثـاً مِـنْ أَحَـادِيـثِ ٱلْجَـوَى
وَبِسَـاطـاً مِـنْ نَـدَامَـىٰ حُلُـمٍ ... هُـمْ تَـوَارَوْا أَبَـداً وَهْـوَ ٱنْطَـوَى
يَـا رِيَـاحـاً لَيْـسَ يَهْـدَا عَصْفُهَـا ... نَضَـبَ ٱلـزَّيْـتُ وَمِصْبَـاحِـي ٱنْطَفَـا
وَأَنَـا أَقْتَـاتُ مِـنْ وَهْـمٍ عَفَـا ... وَأَفِـي ٱلْعُمْـرَ لِنَـاسٍ مَـا وَفَـى
كَـمْ تَقَلَّبْـتُ عَلَـىٰ خِنْجَـرِهِ ... لاَ ٱلْهَـوَىٰ مَـالَ وَلاَ ٱلْجَفْـنُ غَفَـا
وَإِذَا ٱلْقَلْـبُ عَلَـىٰ غُفْـرَانِـهِ ... كُلَّمَـا غَـارَ بِـهِ ٱلنَّصْـلُ عَفَـا

* * *

المعري :

مِنْكَ ٱلصُّدُودُ وَمِنِّي بِٱلصُّدُودِ رِضا ... مَنْ ذَا عَلَيَّ بِهَـٰذَا فِي هَوَاكَ قَضَى
بِي مِنْكَ مَا لَوْ غَدَا بِٱلشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ ... مِنَ ٱلْكَـآبَـةِ أَوْ بِـٱلْبَرْقِ مَـا وَمَضَـا
إِذَا ٱلْفَتَـىٰ ذَمَّ عَيْشـاً فِـي شَبِيبَتِـهِ ... فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصْرُ ٱلشَّبَابِ مَضَى
وَقَـدْ تَعَـوَّضْـتُ مِـنْ كُـلٍّ بِمُشْبِهِـهِ ... فَمَـا وَجَـدْتُ لأَيَّـامِ ٱلصِّبَـا عِـوَضَـا
جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكَتْ ... لِيَ ٱلتَّجَارِبُ فِي وُدِّ ٱمْرِىءٍ غَرَضَا

* * *

أبو تمام :

اَلسَّيْـفُ أَصْـدَقُ أَنْبَـاءً مِـنَ ٱلْكُتُـبِ ... فِي حَدِّهِ ٱلْحَدُّ بَيْنَ ٱلْجِدِّ وَٱللَّعِبِ
بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ لاَ سُودُ ٱلصَّحَائِفِ فِي ... مُتُـونِهِـنَّ جَـلاَءُ ٱلشَّـكِّ وَٱلـرِّيَـبِ
وَٱلْعِلْـمُ فِـي شُهُـبِ ٱلأَرْمَـاحِ لاَمِعَـةً ... بَيْنَ ٱلْخَمِيسَيْنِ لاَ فِي ٱلسَّبْعَةِ ٱلشُّهُبِ

أَيْـنَ ٱلـرِّوَايَـةُ أَمْ أَيْـنَ ٱلنُّجُـومُ وَمَـا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
تَخَـــرُّصـــاً وَأَحَـــادِيثـــاً مُلَفَّقَـــةً ... لَيْسَـتْ بِنَبْـعٍ إِذَا عُـدَّتْ وَلاَ غَـرَبِ
عَجَـائِبـاً زَعَمُـوا ٱلأَيَّـامَ مُجْفِلَـةً ... عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ ٱلأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ
وَخَـوَّفُوا ٱلنَّـاسَ مِـنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَـةٍ ... إِذَا بَدَا ٱلْكَوْكَبُ ٱلْغَرْبِيُّ ذُو ٱلذَّنَبِ
وَصَيَّـرُوا ٱلأَبْـرُجَ ٱلْعُلْيَـا مُـرَتَّبَـةً ... مَـا كَـانَ مُنْقَلِبـاً أَوْ غَيْـرَ مُنْقَلِـبِ
يَقْضُـونَ بِـٱلأَمْرِ عَنْهَـا وَهْـيَ غَـافِلَـةٌ ... مَـا دَارَ فِـي فَلَـكٍ مِنْهَـا وَفِـي قُطُـبِ
لَـوْ بَيَّنَـتْ قَـطُّ أَمْـراً قَبْـلَ مَـوْقِعِـهِ ... لَمْ تُخْفِ مَا حَلَّ بِٱلأَوْثَانِ وَٱلصُّلُبِ

* * *

عبد الله البردوني :

مَا أَصْدَقَ ٱلسَّيْفَ إِنْ لَمْ يُنْضِهِ ٱلْكَذِبُ ... وَأَكْذَبَ ٱلسَّيْفَ إِنْ لَمْ يَصْدُقِ ٱلْغَضَبُ
بِيضُ ٱلصَّفَائِحِ أَهْدَىٰ حِينَ تَحْمِلُهَا ... أَيْـدٍ إِذَا غَلَبَـتْ يَعْلُـو بِهَـا ٱلْغَلَـبُ
وَأَقْبَـحَ ٱلنَّصْـرَ نَصْـرَ ٱلأَقْـوِيَـاءِ بِـلاَ ... فَهْمٍ سِوَىٰ فَهْمِ كَمْ بَاعُوا وَكَمْ كَسَبُوا
أَدْهَىٰ مِنَ ٱلْجَهْلِ عِلْمٌ يَطْمَئِنُّ إِلَى ... أَنْصَافِ نَاسٍ طَغَوْا بِٱلْعِلْمِ وَٱغْتَصَبُوا
قَالُوا : هُمُ ٱلْبَشَرُ ٱلأَرْقَىٰ وَمَا أَكَلُوا ... شَيْئاً كَمَا أَكَلَ ٱلإِنْسَانُ أَوْ شَرِبُوا
مَـاذَا جَـرَىٰ يَـا أَبَـا تَمَّـامَ تَسْـأَلُنِـي ... عَفْواً سَأَرْوِي وَلاَ تَسْأَلْ وَمَا ٱلسَّبَبُ
يَـدْمَـى ٱلسُّؤَالُ حَيَـاءً حِيـنَ نَسْـأَلُـهُ ... كَيْفَ ٱحْتَفَتْ بِٱلْعِدَىٰ حَيْفَا أَوِ ٱلنَّقَبُ

* * *

عائض القرني :

سَـلاَمٌ عَلَـىٰ عَهْـدِ ٱلطُّفُـولَـةِ إِنَّـهُ ... أَشَـدُّ سُرُورِ ٱلْقَلْـبِ طِفْـلٌ إِذَا حَبَـا
وَيَـا بَسْمَـةَ ٱلأَطْفَـالِ أَيُّ قَصِيـدَةٍ ... تُـوَفِّـي جَـلاَلَ ٱلطُّهْـرِ وِرْداً وَمَشْـرَبَـا
أَيَا رَبِّ بَارِكْ بَسْمَةَ ٱلطِّفْلِ كَيْ نَرَى ... عَلَـىٰ وَجْهِـهِ ٱلرَّيَّـانِ أَهْـلاً وَمَـرْحَبَـا

وَيَـا رَبِّ كَفْكِـفْ دَمْعَـهُ بِـرِعَـايَـةٍ وَلُطْفِـكَ بِـالْجِسْـمِ الصَّغِيـرِ إِذَا كَبَـا
وَحَبِّبْـهُ لِـلأَجْيَـالِ تَحْضُـنُ طُهْـرَهُ وَتقْبِـسُ مِنْـهُ الطُّهْـرَ عِطْـراً مُطَيَّبَـا
وَيَـا رَبِّ فِـي بَيْتِـي عَصَـافِيـرُ دَوْحَـةٍ فَقَلْبِـيَ مِـنْ خَـوْفِ الْفِـرَاقِ تَشَعَّبَـا
أَخَـافُ عَلَـىٰ عُـشِّ الطُّفُـولَـةِ جَائِـراً يَـرَوْنَ بِـهِ فَظّـاً وَوَجْهـاً مُقَطَّبَـا
وَكُنْـتُ أُدَرِّي عَنْهُـمُ الضَّيْـمَ جَاهِـداً وَأَسْتَقْبِـلُ الأَحْـدَاثَ نَـابـاً وَمِخْلَبَـا
وَأَسْتَمْهِـلُ الْمَـوْتَ اللَّحُـوحَ مَخَـافَـةً عَلَىٰ صِبْيَتِي أَنْ يَرْعَوُا الرَّوْضَ مُجْدِبَا
وَكَـمْ لَيْلَـةٍ أَضْنَـىٰ أَنِيـنُ بُكَـائِهِـمْ فُؤَادِي أُرَاعِي اللَّيْلَ نَجْماً وَكَوْكَبَا

* * *

البحتري :

فَلَـمْ أَرَ ضِـرْغَـامَيْـنِ أَصْـدَقَ مِنْكُمَـا عِـرَاكـاً إِذَا الْهَيَّـابَـةُ النِّكْـسُ كَـذَّبَـا
هِـزَبْـرٌ مَشَـىٰ يَبْغِـي هِـزَبْـراً وَأَغْلَـبٌ مِنَ الْقَوْمِ يَغْشَىٰ بَاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبَا
أَدَلَّ بِشَغْـبٍ ثُـمَّ هَـالَتْـهُ صَـوْلَـةٌ رَآكَ لَهَـا أَمْضَـىٰ جَنَـانـاً وَأَشْغَبَـا
فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَعاً وَأَقْـدَمَ لَمَّـا لَـمْ يَجِـدْ عَنْـكَ مَهْـرَبَـا
فَلَـمْ يُغْنِـهِ أَنْ كَـرَّ نَحْـوَكَ مُقْبِـلاً وَلَـمْ يُنْجِـهِ أَنْ حَـادَ عَنْـكَ مُنَكِّبَـا
حَمَلْتَ عَلَيْهِ السَّيْفَ لاَ عَزْمُكَ انْثَنَى وَلاَ يَـدُكَ ارْتَـدَّتْ وَلاَ حَـدُّهُ نَبَـا
وَكُنْتَ مَتَىٰ تَجْمَعْ يَمِينَيْكَ تَهْتِكِ الضَّـــرِيبَةَ أَوْ لاَ تُبْقِ لِلسَّيْفِ مَضْرِبَا

* * *

كعب الغنوي :

لَعَمْـرِي لَئِـنْ كَـانَـتْ أَصَـابَـتْ مَنِيَّـةٌ أَخِـي وَالْمَنَـايَـا لِلـرِّجَـالِ شَعُـوبُ
لَقَـدْ كَـانَ أَمَّـا حِلْمُـهُ فَمُـرَوِّحٌ عَلَـيَّ وَأَمَّـا جَهْلُـهُ فَعَـزِيـبُ
أَخِي مَا أَخِي لاَ فَاحِشٌ عِنْدَ رِيبَةٍ وَلاَ وَرِعٌ عِنْـدَ اللِّقَـاءِ هَيُـوبُ

حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةُ ٱلْجَهْلِ أَطْلَقَتْ ... حُبَى ٱلشَّيْبِ لِلنَّفْسِ ٱللَّجُوجِ غَلُوبُ
وَدَاعٍ دَعَا: هَلْ مَنْ يُجِيبُ إِلَى ٱلنَّدَى؟ ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ
فَقُلْتُ: ٱدْعُ أُخْرَى إِرْفَعِ ٱلصَّوْتَ جَهْرَةً ... لَعَلَّ أَبَا ٱلْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ
يُجِبْكَ كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ إِنَّهُ ... بِأَمْثَالِهَا رَحْبُ ٱلذِّرَاعِ أَرِيبُ
أَتَاكَ سَرِيعاً وَٱسْتَجَابَ إِلَى ٱلنَّدَى ... كَذَلِكَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ
فَتَىً لاَ يُبَالِي أَنْ تَكُونَ بِجِسْمِهِ ... إِذَا حَالَ حَالاَتِ ٱلرِّجَالِ شُحُوبُ
إِذَا مَا تَرَاءَىٰ لِلرِّجَالِ رَأَيْتَهُ ... فَلَمْ يَنْطِقُوا ٱللَّغْوَاءَ وَهْوَ قَرِيبُ

* * *

نزار قباني :

يَا شَامُ أَيْنَ هُمَا عَيْنَا مُعَاوِيَةٍ ... وَأَيْنَ مَنْ زَحَمُوا بِٱلْمَنْكِبِ ٱلشُّهُبَا
فَلاَ خُيُولُ بَنِي حَمْدَانَ رَاقِصَةٌ ... زَهْواً وَلاَ ٱلْمُتَنَبِّي مَالِىءٌ حَلَبَا
وَقَبْرُ خَالِدَ فِي حِمْصٍ نُلاَمِسُهُ ... فَيَرْجُفُ ٱلْقَبْرُ مِنْ زُوَّارِهِ غَضَبَا
يَا رُبَّ حَيٍّ رُخَامُ ٱلْقَبْرِ مَسْكَنُهُ ... وَرُبَّ مَيْتٍ عَلَىٰ أَقْدَامِهِ ٱنْتَصَبَا
يَا بْنَ ٱلْوَلِيدِ أَلاَ سَيْفٌ تُؤَجِّرُهُ ؟ ... فَكُلُّ أَسْيَافِنَا قَدْ أَصْبَحَتْ خَشَبَا
دِمَشْقُ يَا كَنْزَ أَحْلاَمِي وَمِرْوَحَتِي ... أَشْكُو ٱلْعُرُوبَةَ أَمْ أَشْكُو لَكِ ٱلْعَرَبَا ؟
أَدْمَتْ سِيَاطُ حُزَيْرَانٍ ظُهُورَهُمُ ... فَأَدْمَنُوهَا وَبَاسُوا كَفَّ مَنْ ضَرَبَا
وَطَالَعُوا كُتُبَ ٱلتَّارِيخِ وَٱقْتَنَعُوا ... مَتَى ٱلْبَنَادِقُ كَانَتْ تَسْكُنُ ٱلْكُتُبَا ؟

* * *

النابغة الذبياني :

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ ... وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ ٱلْكَوَاكِبِ
تَطَاوَلَ حَتَّىٰ قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ... وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَرْعَى ٱلنُّجُومَ بِآئِبِ

وَصَـدْرٍ أَرَاحَ ٱللَّيْـلُ عَـازِبَ هَمِّـهِ تَضَاعَفَ فِيهِ ٱلْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
عَلَـيَّ لِعَمْـرٍو نِعْمَـةٌ بَعْـدَ نِعْمَـةٍ لِـوَالِـدِهِ لَيْسَـتْ بِـذَاتِ عَقَـارِبِ
حَلَفْـتُ يَمِينـاً غَيْـرَ ذِي مَثْنَـوِيَّـةٍ وَلاَ عِلْـمَ إِلاَّ حُسْـنَ ظَـنٍّ بِصَـاحِـبِ
لَئِـنْ كَـانَ لِلْقَبْـرَيْـنِ قَبْـرٍ بِجِلَّـقٍ وَقَبْـرٍ بِصَيْـدَاءَ ٱلَّـذِي عِنْـدَ حَـارِبِ
وَلِلْحَـارِثِ ٱلْجَفْنِـيِّ سَيِّـدِ قَـوْمِـهِ لَيَلْتَمِسَـنْ بِـٱلْجَيْشِ دَارَ ٱلْمُحَـارِبِ
رِقَـاقَ ٱلنِّعَـالِ طَيِّبـاً حُجُـزَاتُهُـمْ يُحَيُّـونَ بِـٱلرَّيْحَانِ يَوْمَ ٱلسَّبَـاسِـبِ
وَلاَ عَيْـبَ فِيهِـمْ غَيْـرَ أَنَّ سُيُـوفَهُـمْ بِهِـنَّ فُلُـولٌ مِـنْ قِـرَاعِ ٱلْكَتَـائِـبِ
تُـوُرِّثْـنَ مِـنْ أَزْمَـانِ يَـوْمِ حَلِيمَـةٍ إِلَى ٱلْيَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ ٱلتَّجَارِبِ

* * *

نصيب بن رباح :

أَقُـولُ لِـرَكْـبٍ قَـافِلِيـنَ رَأَيْتُهُـمْ قِفَـا ذَاتِ أَوْشَـالٍ وَمَـوْلاَكَ قَـارِبُ
قِفُـوا خَبِّـرُونِي عَنْ سُلَيْمَـانَ إِنَّنِـي لِمَعْـرُوفِـهِ مِـنْ آلِ وَدَّانِ طَـالِـبُ
فَعَـاجُـوا فَـأَثْنَوْا بِـالَّـذِي أَنْتَ أَهْلُـهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ ٱلْحَقَائِبُ
فَقَـالُـوا تَـرَكْنَـاهُ وَفِـي كُـلِّ لَيْلَـةٍ يَطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي ٱلْعُرْفِ رَاكِبُ
وَلَـوْ كَـانَ فَـوْقَ ٱلنَّاسِ حَيٌّ فِعَالُـهُ كَفِعْلِـكَ أَوْ لِلْفِعْـلِ مِنْـكَ يُقَـارِبُ
لَقُلْنَـا لَـهُ شِبْـهٌ وَلَكِـنْ تَعَـذَّرَتْ سِوَاكَ عَلَى ٱلْمُسْتَشْفِعِينَ ٱلْمَطَالِبُ
هُوَ ٱلْبَدْرُ وَٱلنَّاسُ ٱلْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ تُشْبِهُ ٱلْبَدْرَ ٱلْمُنِيرَ ٱلْكَوَاكِبُ

* * *

ابن الخياط :

خُـذَا مِـنْ صَبَـا نَجْـدٍ أَمَـانـاً لِقَلْبِـهِ فَقَـدْ كَـادَ رَيَّـاهَـا يَطِيـرُ بِلُبِّـهِ
وَإِيَّـاكُمَـا ذَاكَ ٱلنَّسِيـمَ فَـإِنَّـهُ إِذَا هَـبَّ كَـانَ الْـوَجْـدُ أَيْسَـرَ خَطْبِـهِ

وَفِي ٱلرَّكْبِ مَطْوِيُّ ٱلضُّلُوعِ عَلَىٰ جَوًى   مَتَىٰ يَدْعُهُ دَاعِي ٱلْغَرَامِ يُلَبِّهِ

* * *

بشار بن برد :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ ٱلأُمُورِ مُعَاتِباً   صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِي لاَ تُعَاتِبُهْ

فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ   مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى ٱلْقَذَى   ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

* * *

سعد بن ناشب :

سَأَغْسِلُ عَنِّي ٱلْعَارَ بِٱلسَّيْفِ جَالِباً   عَلَيَّ قَضَاءُ ٱللهِ مَا كَانَ جَالِبَا

وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا   لِعِرْضِيَ مِنْ بَاقِي ٱلْمَذَلَّةِ حَاجِبَا

فَإِنْ تَهْدِمُوا بِٱلْغَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا   تُرَاثُ كَرِيمٍ لاَ يُبَالِي ٱلْعَوَاقِبَا

أَخِي عَزَمَاتٍ لاَ يُطِيعُ عَلَى ٱلَّذِي   يَهُمُّ بِهِ مِنْ هَايِلِ ٱلأَمْرِ عَاتِبَا

إِذَا هَمَّ أَلْقَىٰ بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ   وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ ٱلْعَوَاقِبِ جَانِبَا

وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي شَأْنِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ   وَلَمْ يَرْضَ إِلاَّ قَائِمَ ٱلسَّيْفِ صَاحِبَا

* * *

قيس بن الخطيم :

وَكُنْتُ ٱمْرَأً لاَ أَبْعَثُ ٱلْحَرْبَ ظَالِماً   فَلَمَّا أَبَوْا أَشْعَلْتُهَا كُلَّ جَانِبِ

فَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْحَرْبَ حَرْباً تَجَرَّدَتْ   لَبِسْتُ مَعَ ٱلْبُرْدَيْنِ ثَوْبَ ٱلْمُحَارِبِ

مُضَاعَفَةً يَغْشَى ٱلأَنَامِلَ فَضْلُهَا   كَأَنَّ قَتِيرَيْهَا عُيُونُ ٱلْجَنَادِبِ

إِذَا مَا فَرَرْنَا كَانَ أَسْوَا فِرَارِنَا   صُدُودَ ٱلْخُدُودِ وَٱزْوِرَارَ ٱلْمَنَاكِبِ

صُدُودَ ٱلْخُدُودِ وَٱلْقَنَا مُتَشَاجِرٌ   وَلاَ تَبْرَحُ ٱلأَقْدَامُ عِنْدَ ٱلتَّضَارُبِ

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَىٰ أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبِ
أُجَالِدُهُمْ يَوْمَ ٱلْحَدِيقَةِ حَاسِراً كَأَنَّ يَدِي بِٱلسَّيْفِ مِخْرَاقُ لاَعِبِ

* * *

المتنبي :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهْوَ عِنْدَ ٱلْكَوَاعِبِ وَرُدُّوا رُقَادِي فَهْوَ لَحْظُ ٱلْحَبَائِبِ
فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْلَهِمَّةٌ عَلَىٰ مُقْلَةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غَيَاهِبِ
بَعِيدَةِ مَا بَيْنَ ٱلْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ
إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلاَّ حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ
أَلاَ أَيُّهَا ٱلْمَالُ ٱلَّذِي قَدْ أَبَادَهُ تَعَزَّ فَهَـٰذَا فِعْلُهُ فِي ٱلْكَتَائِبِ

* * *

ابن صمادح :

وَزَهَّدَنِي فِي ٱلنَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ ٱخْتِبَارِي صَاحِباً بَعْدَ صَاحِبِ
فَلَمْ تُرِنِي ٱلأَيَّامُ خِلاًّ تَسُرُّنِي بَوَادِيهِ إِلاَّ سَاءَنِي فِي ٱلْعَوَاقِبِ
وَلاَ صِرْتُ أَدْعُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلاَّ كَانَ إِحْدَى ٱلنَّوَائِبِ

* * *

مجنون ليلىٰ :

جَرَى ٱلسَّيْلُ فَٱسْتَبْكَانِيَ ٱلسَّيْلُ إِذْ جَرَى وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتَيَّ غُرُوبُ
وَمَا ذَاكَ إِلاَّ حِينَ أَيْقَنْتُ أَنَّهُ يَكُونُ بِوَادٍ أَنْتِ مِنْهُ قَرِيبُ
يَكُونُ أُجَاجاً دُونَكُمْ فَإِذَا ٱنْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلَقَّىٰ طِيبَكُمْ فَيَطِيبُ
فَيَا سَاكِنِي أَكْنَافِ نَخْلَةَ كُلُّكُمْ إِلَى ٱلْقَلْبِ مِنْ أَجْلِ ٱلْحَبِيبِ حَبِيبُ
أَظَلُّ غَرِيبَ ٱلدَّارِ فِي أَرْضِ عَامِرٍ أَلاَ كُلُّ مَهْجُورٍ هُنَاكَ غَرِيبُ

شاعر :

إِذَا ٱشْتَمَلَتْ عَلَى ٱلْيَأْسِ ٱلْقُلُوبُ   وَضَاقَ لِمَا بِهِ ٱلصَّدْرُ ٱلرَّحِيبُ
وَأَوْطَنَتِ ٱلْمَكَارِهُ وَٱطْمَأَنَّتْ   وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا ٱلْخُطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ ٱلضُّرِّ وَجْهاً   وَلاَ أَغْنَىٰ بِحِيلَتِهِ ٱلأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَىٰ قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ   يَمُنُّ بِهِ ٱللَّطِيفُ ٱلْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ ٱلْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ   فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

* * *

محمود محمد الزبيري :

خَرَجْنَا مِنَ ٱلسِّجْنِ شُمَّ ٱلأُنُوفْ   كَمَا تَخْرُجُ ٱلأُسْدُ مِنْ غَابِهَا
نَمُرُّ عَلَىٰ شَفَرَاتِ ٱلسُّيُوفْ   وَنَأْتِي ٱلْمَنِيَّةَ مِنْ بَابِهَا
وَنَأْبَى ٱلْحَيَاةَ إِذَا دُنِّسَتْ   بِعَسْفِ ٱلطُّغَاةِ وَإِرْهَابِهَا
وَنَحْتَقِرُ ٱلْحَادِثَاتِ ٱلْكِبَارْ   إِذَا ٱعْتَرَضَتْنَا بِأَتْعَابِهَا
وَنعْلَمُ أَنَّ ٱلْقَضَا وَاقِعٌ   وَأَنَّ ٱلأُمُورَ بِأَسْبَابِهَا
سَتَعْلَمُ أُمَّتُنَا أَنَّنَا   رَكِبْنَا ٱلْخُطُوبَ حَنَاناً بِهَا
فَإِنْ نَحْنُ فُزْنَا فَيَا طَالَمَا   تَذِلُّ ٱلصِّعَابُ لِطُلاَّبِهَا
وَإِنْ نَلْقَ حَتْفاً فَيَا حَبَّذَا ٱلْـمَنَايَا تَجِيءُ لِخُطَّابِهَا
أَنِفْنَا ٱلإِقَامَةَ فِي أُمَّةٍ   تُدَاسُ بِأَقْدَامِ أَرْبَابِهَا
وَسِرْنَا لِنُفْلِتَ مِنْ خِزْيِهَا   كِرَاماً وَنَخْلُصَ مِنْ عَابِهَا

* * *

المتنبي :

وَقَدْ فَارَقَ ٱلنَّاسُ ٱلأَحِبَّةَ قَبْلَنَا   وَأَعْيَا دَوَاءُ ٱلْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبِ

سُبِقْنَا إِلَى ٱلدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا ... مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْأَةٍ وَذُهُوبِ
تَمَلَّكَهَا ٱلآتِي تَمَلُّكَ سَالِبٍ ... وَفَارَقَهَا ٱلْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبِ
وَلاَ فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّدَى ... وَصَبْرِ ٱلْفَتَىٰ لَوْلاَ لِقَاءُ شَعُوبِ
كَأَنَّ ٱلرَّدَىٰ عَادٍ عَلَىٰ كُلِّ مَاجِدٍ ... إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بِعُيُوبِ
وَلَوْلاَ أَيَادِي ٱلدَّهْرِ فِي ٱلْجَمْعِ بَيْنَنَا ... غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ
وَلَلتَّرْكُ لِلإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ ... إِذَا جَعَلَ ٱلإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبِ
فَدَتْكَ نُفُوسُ ٱلْحَاسِدِينَ فَإِنَّهَا ... مُعَذَّبَةٌ فِي حَضْرَةٍ وَمَغِيبِ
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ ٱلشَّمْسَ نُورَهَا ... وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِي لَهَا بِضَرِيبِ

* * *

المتنبي :

وَمَنْ صَحِبَ ٱلدُّنْيَا طَوِيلاً تَقَلَّبَتْ ... عَلَىٰ عَيْنِهِ حَتَّىٰ يَرَىٰ صِدْقَهَا كِذْبَا
تُهَابُ سُيُوفُ ٱلْهِنْدِ وَهْيَ حَدَائِدٌ ... فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا
وَيُرْهَبُ نَابُ ٱللَّيْثِ وَٱللَّيْثُ وَحْدَهُ ... فَكَيْفَ إِذَا كَانَ ٱللُّيُوثُ لَهُ صَحْبَا
وَيُخْشَىٰ عُبَابُ ٱلْبَحْرِ وَهْوَ مَكَانَهُ ... فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى ٱلْبِلاَدَ إِذَا عَبَّا
أَرَىٰ كُلَّنَا يَبْغِي ٱلْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ ... حَرِيصاً عَلَيْهَا مُسْتَهَاماً بِهَا صَبَّا
فَحُبُّ ٱلْجَبَانِ ٱلنَّفْسَ أَوْرَدَهُ ٱلتُّقَى ... وَحُبُّ ٱلشُّجَاعِ ٱلنَّفْسَ أَوْرَدَهُ ٱلْحَرْبَا
وَيَخْتَلِفُ ٱلرِّزْقَانِ وَٱلْفِعْلُ وَاحِدٌ ... إِلَىٰ أَنْ يُرَىٰ إِحْسَانُ هَـٰذَا لِذَا ذَنْبَا

* * *

المتنبي :

يُجَشِّمُكَ ٱلزَّمَانُ هَوىً وَحُبّاً ... وَقَدْ يُؤْذِي مِنَ ٱلْمِقَةِ ٱلْحَبِيبُ
وَكَيْفَ تُعِلُّكَ ٱلدُّنْيَا بِشَيْءٍ ... وَأَنْتَ لِعِلَّةِ ٱلدُّنْيَا طَبِيبُ

وَأَنْتَ ٱلْمَرْءُ تُمْرِضُهُ ٱلْحَشَايَا ... لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ ٱلْحُرُوبُ
فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَىٰ مَكَانٍ ... عَلَيْهِ تَحْسُدُ ٱلْحَدَقَ ٱلْقُلُوبُ

* * *

المتنبي :

طَوَى ٱلْجَزِيرَةَ حَتَّىٰ جَاءَنِي خَبَرٌ ... فَزِعْتُ فِيهِ بِآمَالِي إِلَى ٱلْكَذِبِ
حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَدَعْ لِي صِدْقُهُ أَمَلاً ... شَرِقْتُ بِٱلدَّمْعِ حَتَّىٰ كَادَ يَشْرَقُ بِي
تَعَثَّرَتْ بِهِ فِي ٱلأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا ... وَٱلْبُرْدُ فِي ٱلطُّرْقِ وَٱلأَقْلاَمُ فِي ٱلْكُتُبِ
تَخَالَفَ ٱلنَّاسُ حَتَّىٰ لاَ ٱتِّفَاقَ لَهُمْ ... إِلاَّ عَلَىٰ شَجَبٍ وَٱلْخُلْفُ فِي ٱلشَّجَبِ
فَقِيلَ : تَخْلُصُ نَفْسُ ٱلْمَرْءِ سَالِمَةً ... وَقِيلَ: تَشْرَكُ جِسْمَ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلْعَطَبِ
وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي ٱلدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ ... أَقَامَهُ ٱلْفِكْرُ بَيْنَ ٱلْعَجْزِ وَٱلتَّعَبِ

* * *

المتنبي :

وَتَحْتَقِرُ ٱلدُّنْيَا ٱحْتِقَارَ مُجَرِّبٍ ... يَرَىٰ كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

* * *

المتنبي :

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ ٱللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ ٱلصُّبْحِ يُغْرِي بِي
لَيْتَ ٱلْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي ٱلَّذِي أَخَذَتْ ... مِنِّي بِحِلْمِي ٱلَّذِي أَعْطَتْ وَتَجْرِيبِي
فَمَا ٱلْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ ... قَدْ يُوجَدُ ٱلْحِلْمُ فِي ٱلشُّبَّانِ وَٱلشِّيبِ
يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْغَانِي بِتَسْمِيَةٍ ... فِي ٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ
أَنْتَ ٱلْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ ... مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبّاً غَيْرَ مَحْبُوبِ

* * *

المتنبي :

وَكَمْ لِظَلاَمِ ٱللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ ٱلْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ
وَقَاكَ رَدَى ٱلأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمُ وَزَارَكَ فِيهِ ذُو ٱلدَّلاَلِ ٱلْمُحَجَّبُ
لَحَى ٱللهُ ذِي ٱلدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدِ ٱلْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ
أَبَا ٱلْمِسْكِ هَلْ فِي ٱلْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ فَإِنِّي أُغَنِّي مُنْذُ حِينٍ وَتَشْرَبُ
وَكُلُّ ٱمْرِىءٍ يُولِي ٱلْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ ٱلْعِزَّ طَيِّبُ
وَأَظْلَمُ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

* * *

المتنبي :

وَفِي ٱلْجِسْمِ نَفْسٌ لاَ تَشِيبُ بِشَيْبِهِ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابُ
يُغَيِّرُ مِنِّي ٱلدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا وَأَبْلُغُ أَقْصَى ٱلْعُمْرِ وَهْيَ كَعَابُ
وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِيَ صُحْبَتِي إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ ٱلنُّجُومِ سَحَابُ
وَلِلسِّرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لاَ يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلاَ يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ
تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ ٱلْقَنَا كُلَّ شَهْوَةٍ فَلَيْسَ لَنَا إِلاَّ بِهِنَّ لِعَابُ
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي ٱلدُّنَىٰ سَرْجُ سَابِحٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي ٱلزَّمَانِ كِتَابُ
وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تُرْفَعَ ٱلْحُجْبُ بَيْنَنَا وَدُونَ ٱلَّذِي أَمَّلْتُ مِنْكَ حِجَابُ
وَفِي ٱلنَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ
وَمَا أَنَا بِٱلْبَاغِي عَلَى ٱلْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفُ هَوىً يُبْغَىٰ عَلَيْهِ ثَوَابُ
إِذَا نِلْتُ مِنْكَ ٱلْوُدَّ فَٱلْمَالُ هَيِّنٌ وَكُلُّ ٱلَّذِي فَوْقَ ٱلتُّرَابِ تُرَابُ

* * *

الألبيري :

تفُتُّ فُؤَادَكَ ٱلأَيَّامُ فتَّا ... وَتنْحِتُ جِسْمَكَ ٱلسَّاعَاتُ نَحْتا
وَتَدْعُوكَ ٱلْمُنونُ دُعَاءَ صِدْقٍ ... أَلاَ يَا صَاحِ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا
تنَامُ ٱلدَّهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ ... بِهَا حَتَّىٰ إِذَا مِتَّ ٱنْتَبَهْتَا
(أَبَا بَكْرٍ) دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا ... إِلَىٰ مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا
إِلَىٰ عِلْمٍ تكُونُ بِهِ إِمَاماً ... مُطَاعاً إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا
وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا ... وَيَهْدِيكَ ٱلطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا
هُوَ ٱلْعَضْبُ ٱلْمُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو ... تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ أَرَدْتَا
وَكَنْزٌ لاَ تَخَافُ عَلَيْهِ لِصّاً ... خَفِيفُ ٱلْحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا

* * *

دعبل الخزاعي :

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِنْ تِلاَوَةٍ ... وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفِرِ ٱلْعَرَصَاتِ
لآلِ رَسُولِ ٱللهِ بِٱلْخَيْفِ مِنْ مِنَىً ... وَبِٱلرُّكْنِ وَٱلتَّعْرِيفِ وَٱلْجَمَرَاتِ
دِيَارُ عَلِيٍّ وَٱلْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ ... وَحَمْزَةَ وَٱلسَّجَّادِ ذِي ٱلثَّفِنَاتِ
دِيَارٌ لِعَبْدِ ٱللهِ وَٱلْفَضْلِ صِنْوِهِ ... نَجِيِّ رَسُولِ ٱللهِ فِي ٱلْخَلَوَاتِ
وَسِبْطَيْ رَسُولِ ٱللهِ وَٱبْنَيْ وَصِيِّهِ ... وَوَارِثِ عِلْمِ ٱللهِ وَٱلْحَسَنَاتِ
مَنَازِلُ وَحْيِ ٱللهِ يَنْزِلُ بَيْنَهَا ... عَلَىٰ أَحْمَدَ ٱلْمَذْكُورِ فِي ٱلسُّورَاتِ
مَنَازِلُ قَوْمٍ يُهْتَدَىٰ بِهُدَاهُمُ ... فَتُؤْمَنُ مِنْهُمْ زَلَّةُ ٱلْعَثَرَاتِ

* * *

أبو الحسن الأنباري :

عُلُوٌّ فِي ٱلْحَيَاةِ وَفِي ٱلْمَمَاتِ ... لَحَقٌّ تِلْكَ إِحْدَى ٱلْمُعْجِزَاتِ

كَأَنَّ ٱلنَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا وُفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ ٱلصِّلاَتِ
كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيباً وَكُلُّهُمُ قِيَامٌ لِلصَّلاَةِ
مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ ٱحْتِفَاءً كَمَدِّهِمَا إِلَيْهِمْ بِٱلْهِبَاتِ
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ ٱلأَرْضِ عَنْ أَنْ يَضُمَّ عُلاَكَ مِنْ بَعْدِ ٱلْوَفَاةِ
أَصَارُوا ٱلْجَوَّ قَبْرَكَ وَٱسْتَعَاضُوا عَنِ ٱلأَكْفَانِ ثَوْبَ ٱلسَّافِيَاتِ
لِعُظْمِكَ فِي ٱلنُّفُوسِ بَقِيتَ تُرْعَى بِحُرَّاسٍ وَحُفَّاظٍ ثِقَاتِ
وَتُوقَدُ حَوْلَكَ ٱلنِّيرَانُ لَيْلاً كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ ٱلْحَيَاةِ
وَمَا لَكَ تُرْبَةٌ فَأَقُولَ تُسْقَى لأَنَّكَ نَصْبُ هَطْلِ ٱلْهَاطِلاَتِ
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ ٱلرَّحْمَٰنِ تَتْرَى بِرَحْمَاتٍ غَوَادٍ رَائِحَاتِ

* * *

عمران السدوسي :

أَأُقَاتِلُ ٱلْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّهَا مَوْلاَتُهُ
إِنِّي إِذَنْ لأَخُو ٱلدَّنَاءَةِ وَٱلَّذِي عَفَّتْ عَلَىٰ عِرْفَانِهِ جَهَلاَتُهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ مُوَازِياً فِي ٱلصَّفِّ وَٱحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلاَتُهُ
وَتَحَدَّثَ ٱلأَكْفَاءُ أَنَّ صَنَائِعاً غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنْظَلَتْ نَخَلاَتُهُ
أَأَقُولُ جَارَ عَلَيَّ إِنِّي فِيكُمُ لأَحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلاَتُهُ
تَٱللهِ مَا كِدْتُ ٱلأَمِيرَ بِآلَةٍ وَجَوَارِحِي وَسِلاَحُهَا آلاَتُهُ

* * *

شوقي :

إِذَا زُرْتَ يَا مَوْلاَيَ قَبْرَ مُحَمَّدٍ وَقَبَّلْتَ مَثْوَى ٱلأَعْظُمِ ٱلْعَطِرَاتِ
وَفَاضَتْ مَعَ ٱلدَّمْعِ ٱلْعُيُونُ مَهَابَةً لِأَحْمَدَ بَيْنَ ٱلسِّتْرِ وَٱلْحُجُرَاتِ

وَأَشْـرَقَ نُـورٌ تَحْـتَ كُـلِّ ثَنِيَّـةٍ وَضَـاعَ أَرِيـجٌ تَحْـتَ كُـلِّ حَصَـاةِ
لِمُظْهِـرِ دِيـنِ ٱللهِ فَـوْقَ تَنُـوفَـةٍ وَبَـانِي صُـرُوحِ ٱلْمَجْـدِ فَوْقَ فَـلاَةِ
فَقُلْ لِرَسُولِ ٱللهِ : يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ أَبُثُّـكَ مَـا تَـدْرِي مِـنَ ٱلْحَسَـرَاتِ
شُعُوبُكَ فِي شَرْقِ ٱلْبِلاَدِ وَغَرْبِهَا كَأَصْحَابِ كَهْفٍ فِي عَمِيقِ سُبَاتِ
بِـأَيْمَـانِهِـمْ نُـورَانِ ذِكْـرٌ وَسُنَّـةٌ فَمَـا بَـالُهُمْ فِـي حَـالِكِ ٱلظُّلُمَـاتِ

* * *

محمد محمود الزبيري :

اَلشَّـاعِـرِيَّـةُ فِـي رَوَائِـعِ سِحْـرِهَـا أَنْـتَ ٱلَّـذِي سَـوَّيْتَهَـا وَصَنَعْتَهَـا
مَـا لِـي بِهَـا جَهْـدٌ فَـأَنْـتَ سَكَبْتَهَـا بِـدَمِـي وَأَنْـتَ بِمُهْجَتِـي أَوْدَعْتَهَـا
أَنْـتَ ٱلَّـذِي بِشَـذَاكَ قَـدْ عَطَّـرْتَهَـا وَنَشَـرْتَهَـا بَيْـنَ ٱلْـوَرَىٰ وَأَذَعْتَهَـا
وَقَفَـتْ لِسَانِـي فِـي هَـوَاكَ غِنَـاءَهَـا فَـإِذَا تَغَنَّـتْ فِـي سِـوَاكَ قَطَعْتَهَـا
يَتَّمْـتَ رُوحِـي فِـي عُـلاَكَ وَصُغْتَهَـا بِسَنَـاكَ ثُـمَّ طَـرَدْتَهَـا وَفَجَعْتَهَـا
أَبْعَـدْتَنِـي عَـنْ أُمَّـةٍ أَنَـا صَـوْتُهَـا ٱلْـعَـالِـي فَلَـوْ ضَيَّعْتَنِـي ضَيَّعْتَهَـا
حَمَّلْتَنِـي آلاَمَهَـا وَدُمُـوعَهَـا وَمَنَعْتَنِـي عَـنْ وَصْلِهَـا وَمَنَعْتَهَـا
نَـادَيْـتَ أَشْتَـاتَ ٱلْجِـرَاحِ بِـأُمَّتِـي وَجَمَعْتَهَـا فِـي أَضْلُعِـي وَطَبَعْتَهَـا
مَـا قَـالَ قَـوْمِـي : آهَ إِلاَّ جِئْتَنِـي فَكَـوَيْـتَ أَحْشَـائِـي بِهَـا وَلَسَعْتَهَـا
عَـذَّبْتَنِـي وَصَهَـرْتَنِـي لِيَقُـولَ عَنْـكَ ٱلنَّـاسُ : هَـٰذِي آيَـةٌ أَبْـدَعْتَهَـا

* * *

النميري :

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِنْ مَشَتْ بِـهِ زَيْنَـبُ فِـي نِسْـوَةٍ عَطِـرَاتِ
فَـأَصْبَـحَ مَـا بَيْـنَ ٱلْهِمَـاءِ فَحُـزْوَةً إِلَى ٱلْمَاءِ مَاءِ ٱلْجَزْعِ ذِي ٱلْعَشَرَاتِ

لَـهُ أَرَجٌ مِـنْ مَجْمَـرِ ٱلْهِنْـدِ سَاطِـعٌ تَطَلَّـــعُ رَيَّـــاهُ مِـــنَ ٱلْكَفِـــرَاتِ
تَهَادَيْنَ مَا بَيْنَ ٱلْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًىَ وَأَقْبَلْـــنَ لاَ شُعْثـــاً وَلاَ غَبِـــرَاتِ
أَعَانَ ٱلَّذِي فَوْقَ ٱلسَّمَاوَاتِ عَرْشُهُ مَـوَاشِـيَ بِـٱلْبَطْحَـاءِ مُـؤْتَجِـرَاتِ
مَـــرَرْنَ بَفَـــخٍّ ثُـــمَّ رُحْـــنَ عَشِيَّـــةً يُلَبِّيـــنَ لِلـــرَّحْمَـٰــنِ مُعْتَمِـــرَاتِ
يُخَبِّئْـنَ أَطْـرَافَ ٱلْبَنَـانِ مِـنَ ٱلتُّقَـى وَيَقْتُلْـــنَ بِـــٱلأَلْحَـــاظِ مُقْتَـــدِرَاتِ

* * *

تميم بن جميل :

أَرَى ٱلْمَوْتَ بَيْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱلنِّطْعِ كَامِناً يُـلاَحِظُنِـي مِـنْ حَيْـثُ مَـا أَتَلَفَّـتُ
وَأَيُّ ٱمْـرِىءٍ يُـدْلِـي بِعُـذْرٍ وَحُجَّـةٍ وَسَيْـفُ ٱلْمَنَـايَا بَيْـنَ عَيْنَيْـهِ مُصْلَـتُ
يَعِزُّ عَلَى ٱلأَوْسِ بْنِ تَغْلِبَ مَوْقِفٌ يُسَـلُّ عَلَـيَّ ٱلسَّيْـفُ فِيـهِ فَـأَسْكُـتُ
وَمَـا جَـزَعِـي مِـنْ أَنْ أَمُـوتَ وَإِنَّنِـي لأَعْلَـمُ أَنَّ ٱلْمَـوْتَ شَـيْءٌ مُـؤَقَّـتُ
وَلَكِـنَّ خَلْفِـي صِبْيَـةً قَـدْ تَـرَكْتُهُـمْ وَأَكْبَـادُهُـمْ مِـنْ حَسْـرَةٍ تَتَفَتَّـتُ
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِبْطَةٍ أَذُودُ ٱلرَّدَىٰ عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوَّتُوا
وَكَـمْ قَـائِـلٍ : لاَ يُبْعِـدُ ٱللهُ دَارَهُ وَآخَـــرَ جَـــذْلاَنٍ يُسَـــرُّ وَيَشْمَـــتُ

* * *

شاعر :

قِفْ عَلَى ٱلْيَرْمُوكِ وَٱخْضَعْ جَاثِياً وَتَيَمَّـــمْ مِـــنْ صَعِيـــدِ ٱلْقَـــادِسِيَّـــةْ
تُـــرْبَـــةٌ طَيِّبَـــةٌ طَـــاهِـــرَةٌ وَقُبُـــورٌ مِـــنْ حَيَـــا ٱلنَّقْـــعِ نَـــدِيَّـــةْ
يَـــا قُبُـــوراً مُحِيَـــتْ وَٱنْـــدَرَسَـــتْ أَنْـــتِ نِبْـــرَاسُ ٱلْهُـــدَىٰ وَٱلْـــوَطَنِيَّـــةْ
هَهُنَـــا مَثْـــوَى ٱلصَّنَـــادِيـــدِ ٱلأُلَـــى دَوَّخُـــوا ٱلْكُفْـــرَ بِبِيـــضِ ٱلْمَشْـــرَفِيَّـــةْ
دَوَّخُـــوا ٱلـــرُّومَ وَثَلُّـــوا عَـــرْشَهَـــا وَطَـــوَوْا حُمْـــرَ ٱلْبُنُـــودِ ٱلْفَـــارِسِيَّـــةْ

ابن الرومي :

أَمَـامَـكَ فَـانْظُـرْ أَيَّ نَهْجَيْـكَ تَنْهَـجُ ... طَـرِيقَـانِ شَتَّـىٰ مُسْتَقِيـمٌ وَأَعْـوَجُ
أَلاَ أَيُّهَـٰذَا ٱلنَّـاسُ طَـالَ ضَـرِيـرُكُـمْ ... بِآلِ رَسُولِ ٱللهِ فَٱخْشَوْا أَوِ ٱرْتَجُوا
أَكُـــلَّ أَوَانٍ لِلنَّبِـــيِّ مُحَمَّـــدٍ ... قَتِيـلٌ زَكِـيٌّ بِـٱلـدِّمَـاءِ مُضَـرَّجُ
تَبِيعُـونَ فِيـهِ ٱلـدِّيـنَ شَـرَّ أَئِمَّـةٍ ... فَلِلَّـهِ دِيـنُ ٱللهِ قَـدْ كَـادَ يَمْـرَجُ
أَبَعْـدَ ٱلْمُكَنَّـىٰ بِـٱلْحُسَيْـنِ شَهِيـدِكُـمْ ... تُضِـيءُ مَصَـابِيـحُ ٱلسَّمَـاءِ فَتُسْـرَجُ
أَيَحْيَـى ٱلْعُـلاَ لَهْفِـي لِـذِكْـرَاكَ لَهْفَـةً ... يُبَـاشِـرُ مَكْـوَاهَـا ٱلْفُـؤَادَ فَيَنْضَـجُ
أَحِيـنَ تَـرَاءَتْـكَ ٱلْعُيُـونُ جِـلاَءَهَـا ... وَإِقْـذَاءَهَـا أَضْحَـتْ مَـرَاثِيـكَ تُنْسَـجُ
لِمَـنْ تَسْتَجِـدُّ ٱلأَرْضُ بَعْـدَكَ زِينَـةً ... فَتُصْبِـحَ فِـي أَثْـوَابِهَـا تَتَبَـرَّجُ
سَــلاَمٌ وَرَيْحَــانٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَــةٌ ... عَلَيْكَ وَمَمْدُودٌ مِنَ ٱلظِّلِّ سَجْسَجُ
وَلاَ بَـرِحَ ٱلْقَـاعُ ٱلَّـذِي أَنْـتَ جَـارُهُ ... يَـرِفُّ عَلَيْـهِ ٱلأُقْحُـوَانُ ٱلْمُفَلَّـجُ
وَيَـا أَسَفِــي أَلاَّ تَــرُدَّ تَحِيَّــةً ... سِوَىٰ أَرَجٍ مِنْ طِيبِ رَمْسِكَ يَأْرَجُ
وَلَيْـسَ ٱلْبُكَـا أَنْ تَسْفَـحَ ٱلْعَيْـنُ إِنَّمَـا ... أَحَـرُّ ٱلْبُكَـاءَيْـنِ ٱلْبُكَـاءُ ٱلْمُـوَلَّـجُ
عَفَـاءٌ عَلَـىٰ دَارٍ ظَعَنْـتَ لِغَيْـرِهَـا ... فَلَيْـسَ بِهَـا لِلصَّـالِحِيـنَ مُعَـرَّجُ
كَـأَنِّـي بِـهِ كَـٱللَّيْـثِ يَحْمِـي عَـرِينَـهُ ... وَأَشْبَـالَـهُ لاَ يَـزْدَهِيـهِ ٱلْمُهَجْهَـجُ
يَكِـرُّ عَلَـىٰ أَعْـدَائِـهِ كَـرَّ ثَـائِـرٍ ... وَيَطْعَنُهُـــمْ سُلْكَـــىٰ وَلاَ يَتَخَلَّـــجُ
كَـدَأْبِ عَلِـيٍّ فِـي ٱلْمَـوَاطِـنِ قَبْلَـهُ ... أَبِي حَسَنٍ وَٱلْغُصْنُ مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ

* * *

عوف بن محلّم :

أَفِـي كُـلِّ عَـامٍ غُـرْبَـةٌ وَنُـزُوحُ ... أَمَـا لِلنَّـوَىٰ مِـنْ وَنْيَـةٍ فَتُـرِيـحُ
لَقَـدْ طَلَّـحَ ٱلْبَيْـنُ ٱلْمُشِـتُّ رَكَـائِبِـي ... فَهَـلْ أَرَيَـنَّ ٱلْبَيْـنَ وَهْـوَ طَـرِيـحُ

وَأَرَّقَنِي بِـالـرَّيِّ نَـوْحُ حَمَـامَـةٍ فَنُحْتُ وَذُو ٱلشَّجْوِ ٱلْغَرِيبُ يَنُوحُ
عَلَىٰ أَنَّهَـا نَـاحَـتْ وَلَـمْ تَـذْرِ دَمْعَـةً وَنُحْـتُ وَأَسْـرَابُ ٱلـدُّمُـوعِ سُفُـوحُ
وَنَاحَتْ وَفَرْخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا وَمِـنْ دُونِ أَفْـرَاخِـي مَهَـامِـهُ فِيْـحُ
أَلاَ يَا حَمَامَ ٱلأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ وَغُصْنُـكَ مَيَّـادٌ فَفِيـمَ تَنُـوحُ

* * *

أشجع السلمي :

مَضَى ٱبْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلاَ مَغْـرِبٌ إِلاَّ لَـهُ فِيـهِ مَـادِحُ
وَمَـا كُنْتُ أَدْرِي مَـا فَـوَاضِـلُ كَفِّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حَتَّىٰ غَيَّبَتْهُ ٱلصَّفَائِحُ
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ ٱلأَرْضِ مَيِّتاً وَكَانَتْ بِهِ حَيّاً تَضِيقُ ٱلصَّحَاصِحُ
مَضَىٰ حِينَ مَدَّ ٱلْمَجْدُ أَطْنَابَ بَيْتِهِ عَلَيْـهِ وَأَمَّتْـهُ ٱلأُمُـورُ ٱلْفَـوَادِحُ
وَحِيـنَ ٱسْتَهَـانَـتْ نَـزْحَ كُـلِّ تَنُوفَـةٍ إِلَـىٰ جُـودِ كَفَّيْـهِ ٱلـرِّقَـاقُ ٱلنَّـوَازِحُ
فَـإِنْ سَفَحَـتْ عَيْنِـي عَلَيْـهِ دُمُـوعَهَـا فَقَـلَّ لَـهُ مِنْهَـا ٱلـدُّمُـوعُ ٱلسَّـوَافِـحُ
سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغِضْ فَحَسْبُـكَ مِنِّـي مَـا تَجُـنُّ ٱلْجَـوَانِـحُ
وَمَـا أَنَـا مِـنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَـلَّ جَـازِعٌ وَلاَ لِاغْتِبَـاطٍ بَعْـدَ مَـوْتِـكَ فَـارِحُ
كَأَنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَـىٰ أَحَـدٍ إِلاَّ عَلَيْـكَ ٱلنَّـوَائِـحُ
لَئِنْ حَسُنَتْ فِيكَ ٱلْمَرَاثِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلُ فِيكَ ٱلْمَدَائِحُ

* * *

دريد بن الصمة :

أَمَـرْتُهُـمُ أَمْـرِي بِمُنْعَـرَجِ ٱللِّـوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا ٱلرُّشْدَ إِلاَّ ضُحَى ٱلْغَدِ
وَهَـلْ أَنَـا إِلاَّ مِـنْ غَـزِيَّـةَ إِنْ غَـوَتْ غَـوَيْـتُ وَإِنْ تَـرْشُـدْ غَـزِيَّـةُ أَرْشُـدِ
تَنَادَوْا فَقَالُوا : أَرْدَتِ ٱلْخَيْلُ فَارِساً فَقُلْـتُ : أَعَبْـدُ ٱللهِ ذَلِكُـمُ ٱلـرَّدِي

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَٱلرِّمَاحُ تَنُوشُهُ   كَوَقْعِ ٱلصَّيَاصِي فِي ٱلنَّسِيجِ ٱلْمُمَدَّدِ
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّىٰ تَبَدَّدَتْ   وَحَتَّىٰ عَلاَنِي حَالِكُ ٱللَّوْنِ أَسْوَدِي
قِتَالَ ٱمْرِىءٍ آسَىٰ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ   وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ :   كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

* * *

طرفة بن العبد :

إِذَا ٱلْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ فَتَىٰ خِلْتُ أَنَّنِي   عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ
وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ ٱلتِّلاَعِ مَخَافَةً   وَلَكِنْ مَتَىٰ يَسْتَرْفِدِ ٱلْقَوْمُ أَرْفِدِ
فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي   فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
وَلَوْلاَ ثَلاَثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ ٱلْفَتَى   وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَىٰ قَامَ عُوَّدِي
فَمِنْهُنَّ سَبْقِي ٱلْعَاذِلاَتِ بِشَرْبَةٍ   كُمَيْتٍ مَتَىٰ مَا تُعْلَ بِٱلْمَاءِ تُزْبِدِ
وَكَرِّي إِذَا نَادَى ٱلْمُضَافُ مُحَنَّباً   كَسِيدِ ٱلْغَضَا نَبَّهْتَهُ ٱلْمُتَوَرِّدِ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ ٱلدَّجْنِ وَٱلدَّجْنُ مُعْجِبٌ   بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ ٱلْخِبَاءِ ٱلْمُعَمَّدِ
أَرَى ٱلْمَوْتَ يَعْتَامُ ٱلْكِرَامَ وَيَصْطَفِي   عَقِيلَةَ مَالِ ٱلْفَاحِشِ ٱلْمُتَشَدِّدِ
أَرَى ٱلْعَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ   وَمَا تَنْقُصُ ٱلأَيَّامُ وَٱلدَّهْرُ يَنْفَدِ
لَعَمْرُكَ إِنَّ ٱلْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ ٱلْفَتَى   لَكَٱلطِّوَلِ ٱلْمُرْخَىٰ وَثِنْيَاهُ بِٱلْيَدِ

* * *

الأعشىٰ :

أَجِدَّكَ وَدَّعْتَ ٱلصِّبَا وَٱلْوَلاَئِدَا   وَأَصْبَحْتَ بَعْدَ ٱلْجَوْرِ فِيهِنَّ قَاصِدَا
وَمَا خِلْتُ أَنْ أَبْتَاعَ جَهْلاً بِحِكْمَةٍ   وَمَا خِلْتُ مِهْرَاساً بِلاَدِي وَمَارِدَا
يَلُومُ ٱلسَّفِيُّ ذَا ٱلْبَطَالَةِ بَعْدَمَا   يَرَىٰ كُلَّ مَا يَأْتِي ٱلْبَطَالَةَ رَاشِدَا

أَتَيْتُ حُرَيْثاً زَائِراً عَنْ جَنَابَةٍ وَكَانَ حُرَيْثٌ عَن عَطَائِيَ جَامِدا
لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ فِي ٱلنَّدَى شَمَائِلَهُ وَلاَ أَبَاهُ ٱلْمُجَالِدَا
إِذَا زَارَهُ يَوْماً صَدِيقٌ كَأَنَّمَا يَرَىٰ أَسَداً فِي بَيْتِهِ وَأَسَاوِدَا
وَإِنَّ ٱمْرَأً قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هَـٰذِهِ بِجَوٍّ لَخَيْرٌ مِنْكَ نَفْساً وَوَالِدَا
تَضَيَّفْتُهُ يَوْماً فَقَرَّبَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى ٱلزَّمَانَةِ قَائِدَا
وَأَمْتَعَنِي عَلَى ٱلْعَشَا بِوَلِيدَةٍ فَأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكِ يَا هَوْذُ حَامِدَا
وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ثَنَاءٍ وَمِدْحَةٍ فَأَعْنِي بِهَا أَبَا قُدَامَةَ عَامِدَا
فَتَىً لَوْ يُنَادِي ٱلشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا أَوِ ٱلْقَمَرَ ٱلسَّارِي لأَلْقَى ٱلْمَقَالِدَا
وَيُصْبِحُ كَٱلسَّيْفِ ٱلصَّقِيلِ إِذَا غَدَا عَلَىٰ ظَهْرِ أَنْمَاطٍ لَهُ وَوَسَائِدَا
يَرَى ٱلْبُخْلَ مُرّاً وَٱلْعَطَاءَ كَأَنَّمَا يَلَذُّ بِهِ عَذْباً مِنَ ٱلْمَاءِ بَارِدَا
وَمَا مُخْدِرٌ وَرْدٌ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ أَبُو أَشْبُلٍ أَمْسَىٰ بِخَفَّانَ حَارِدَا
وَأَحْلَمُ مِنْ قَيْسٍ وَأَجْرَأُ مَقْدَماً لَدَى ٱلرَّوْعِ مِنْ لَيْثٍ إِذَا رَاحَ حَارِدَا
يَرَىٰ كُلَّ مَا دُونَ ٱلثَّلاَثِينَ رُخْصَةً وَيَعْدُو إِذَا كَانَ ٱلثَّمَانُونَ وَاحِدَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلرَّحْلَ قَدْ طَالَ وَضْعُهُ وَأَصْبَحَ مِنْ طُولِ ٱلثِّوَايَةِ هَامِدَا
كَسَوْتُ قُتُودَ ٱلرَّحْلِ عَنْساً تَخَالُهَا مَهَاةً بِدَكْدَاكِ ٱلصُّفَيَّيْنِ فَاقِدَا
أَثَارَتْ بِعَيْنَيْهَا ٱلْقَطِيعَ وَشَمَّرَتْ لِتَقْطَعَ عَنِّي سَبْسَباً مُتَبَاعِدَا
تَبُزُّ يَعَافِيرَ ٱلصَّرِيمِ كِنَاسَهَا وَتَبْعَثُ بِٱلْفَلاَ قَطَاهَا ٱلْهَوَاجِدَا

* * *

حمد الحجي :

يَا سَاكِنِي نَجْدَ إِنَّا بَعْدَ بَيْنِكُمُ كَأَنَّمَا قَدْ شَوَى ٱلأَضْلاَعَ سَفُّودُ
فَٱدْعُوا بِحَقِّ ٱلْهَوَىٰ أَنْ نَلْتَقِي بِكُمُ فَإِنَّ أَيَّامَنَا مِنْ بُعْدِكُمْ سُودُ

يَا لَيْتكُمْ تبْصِرُونَ ٱلصَّبَّ عَنْ كَثَبٍ حَتَّىٰ يَبِينَ ٱلَّذِي يَلْقَاهُ مَعْمُودُ
إِذَا ذَكَرْتكُمُ أَمْسَيْتُ مُرْتَعِشاً كَأَنَّنِي فِي مَهَبِّ ٱلرِّيحِ أُمْلُودُ
أَنَا ٱلْمُتيَّمُ وَٱلأَحْدَاثُ شَاهِدَةٌ مِنَ ٱلْهُمُومِ عَلَتْ وَجْهِي ٱلتَّجَاعِيدُ
إِنِّي غُلاَمٌ وَلَكِنْ حَالَتِي عَجَبٌ أَرَىٰ كَأَنِّيَ فِي ٱلسَّبْعِينَ مَوْلُودُ
لَمْ أَشْرَبِ ٱلْكَأْسَ وَٱلأَشْوَاقُ تَشْرَبُنِي وَلَمْ أُغَرِّدْ وَمِنْ حَوْلِي ٱلأَغَارِيدُ

* * *

علي محمود طه :

أَخِي جَاوَزَ ٱلظَّالِمُونَ ٱلْمَدَى فَحَقَّ ٱلْجِهَادُ وَحَقَّ ٱلْفِدَا
أَنَتْرُكُهُمْ يَغْصِبُونَ ٱلْعُرُو بَةَ مَجْدَ ٱلأُبُوَّةِ وَٱلسُّؤْدُدَا ؟
وَلَيْسُوا بِغَيْرِ صَلِيلِ ٱلسُّيُو فِ يُجِيبُونَ صَوْتاً لَنَا أَوْ صَدَى
فَجَرِّدْ حُسَامَكَ مِنْ غِمْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ أَنْ يُغْمَدَا
أَخِي أَيُّهَا ٱلْعَرَبِيُّ ٱلأَبِيْ أَرَى ٱلْيَوْمَ مَوْعِدُنَا لاَ ٱلْغَدَا
أَخِي أَقْبَلَ ٱلشَّرْقُ فِي أُمَّةٍ تَرُدُّ ٱلضَّلاَلَ وَتُحْيِي ٱلْهُدَى
أَخِي إِنَّ فِي ٱلْقُدْسِ أُخْتاً لَنَا أَعَدَّ لَهَا ٱلذَّابِحُونَ ٱلْمُدَى

* * *

زهير بن أبي سلمىٰ :

لَوْ كَانَ يَخْلُدُ أَقْوَامٌ بِمَجْدِهِمُ أَوْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَيَّامِهِمْ خَلَدُوا
أَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ ٱلشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا
قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ ٱلأَوْلاَدِ مَا وَلَدُوا
إِنْسٌ إِذَا أَمِنُوا جِنٌّ إِذَا غَضِبُوا مُرَزَّؤُونَ بَهَالِيلٌ إِذَا جُهِدُوا
مُحَسَّدُونَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ لاَ يَنْزِعُ ٱللهُ مِنْهُمْ مَا لَهُ حُسِدُوا

المقنع الكندي :

يُعَاتِبُنِي فِي ٱلدَّيْنِ قَوْمِي وَإِنَّمَا ... دُيُونِيَ فِي أَشْيَاءَ تُكسِبُهُمْ حَمْدَا
أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخَلُّوا وَضَيَّعُوا ... ثُغُورَ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدَّا
وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ ٱلْبَابُ دُونَهَا ... مُكَلَّلَةٍ لَحْماً مُدَفَّقَةٍ ثَرْدَا
وَإِنَّ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي ... وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدَّا
فَإِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وَإِن يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ ... وَإِنْ هُمْ هَوَوْا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا
وَلاَ أَحْمِلُ ٱلْحِقْدَ ٱلْقَدِيمَ عَلَيْهِمُ ... وَلَيْسَ كَرِيمُ ٱلْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ ٱلْحِقْدَا
وَإِنِّي لَعَبْدُ ٱلضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلاً ... وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرُهَا تُشْبِهُ ٱلْعَبْدَا

* * *

علي بن الجهم :

غِيَرُ ٱللَّيَالِي بَادِئَاتٌ عُوَّدُ ... وَٱلْمَالُ عَارِيَةٌ يُفَادُ وَيَنْفَدُ
قَالَتْ حُبِسْتَ فَقُلْتُ : لَيسَ بِضَائِرٍ ... حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنَّدٍ لاَ يُغْمَدُ
وَٱلشَّمْسُ لَوْلاَ أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ ... عَنْ نَاظِرَيْكَ لَمَا أَضَاءَ ٱلْفَرْقَدُ
وَٱلْبَدْرُ يُدْرِكُهُ ٱلسِّرَارُ فَتَنْجَلِي ... أَيَّامُهُ وَكَأَنَّهُ مُتَجَدِّدُ
وَٱلنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ ... لاَ تُصْطَلَىٰ إِنْ لَمْ تُثِرْهَا ٱلأَزْنُدُ
وَلِكُلِّ حَالٍ مُعْقِبٌ وَلَرُبَّمَا ... أَجْلَىٰ لَكَ ٱلْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ
لاَ يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ ... خَطْبٌ رَمَاكَ بِهِ ٱلزَّمَانُ الأَنْكَدُ
كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ ٱلرَّدَى ... فَنَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَٱلْعُوَّدُ
صَبْراً فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ يُعْقِبُ رَاحَةً ... وَيَدُ ٱلْخَلِيفَةِ لاَ تُطَاوِلُهَا يَدُ

* * *

المعري :

صَاحِ هَـٰذِي قُبُورُنَا تَمْلأُ ٱلرُّحْـبَ فَأَيْنَ ٱلْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ ؟
خَفِّفِ ٱلْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ ٱلْـأَرْضِ إِلاَّ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلأَجْسَادِ
وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ ٱلْعَهْـدُ هَوَانُ ٱلآبَاءِ وَٱلأَجْدَادِ
سِرْ إِنِ ٱسْطَعْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ رُوَيْداً لاَ ٱخْتِيَالاً عَلَىٰ رُفَاتِ ٱلْعِبَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مِرَاراً ضَاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ ٱلأَضْدَادِ
وَدَفِينٍ عَلَىٰ بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ ٱلأَزْمَانِ وَٱلآبَادِ
إِنَّ حُزْناً فِي سَاعَةِ ٱلْمَوْتِ أَضْعَا فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ ٱلْمِيلاَدِ

* * *

الحطيئة :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا ٱلْبِنَا وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَّوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَإِنْ قَالَ مَوْلاَهُمْ عَلَىٰ جِلِّ حَادِثٍ مِنَ ٱلدَّهْرِ: رُدُّوا فَضْلَ أَحْلاَمِكُمْ رَدُّوا
أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ ـ لاَ أَبَا لأَبِيكُمُ ـ مِنَ ٱللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِي سَدُّوا

* * *

الحطيئة :

فَمَا زَالَتِ ٱلْعَوْجَاءُ تَجْرِي ضُفُورُهَا إِلَيْكَ ٱبْنَ شَمَّاسٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
تَزُورُ ٱمْرَأً يُؤْتِي عَلَى ٱلْحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُؤْتِ أَثْمَانَ ٱلْمَحَامِدِ يُحْمَدِ
يَرَى ٱلْبُخْلَ لاَ يُبْقِي عَلَى ٱلْمَرْءِ مَالَهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلْبُخْلَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
كَسُوبٌ وَمِتْلاَفٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ تَهَلَّلَ وَٱهْتَزَّ ٱهْتِزَازَ ٱلْمُهَنَّدِ
مَتَىٰ تَأْتِهِ تَعْشُو إِلَىٰ ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ
وَذَاكَ ٱمْرُؤٌ إِنْ يُعْطِكَ ٱلْيَومَ نَائِلاً بِكَفَّيْهِ لاَ يَمْنَعْكَ مِنْ نَائِلِ ٱلْغَدِ

* * *

دريد بن الصمة :

أَعَـاذِلُ إِنَّمَـا أَفْنَـىٰ شَبَـابِـي ... رُكُوبِيَ فِي ٱلصَّرِيخِ إِلَى ٱلْمُنَادِي
مَـعَ ٱلْفِتْيَـانِ حَتَّـىٰ كَـلَّ جِسْمِـي ... وَأَقْـرَحَ عَـاتِقِـي حَمْـلُ ٱلنِّجَـادِ
أَعَـاذِلُ إِنَّـهُ مَـالٌ طَـرِيـفٌ ... أَحَـبُّ إِلَـيَّ مِـنْ مَـالٍ تِـلاَدِ
أَعَـاذِلُ عُـدَّتِـي بَـدَنِـي وَرُمْحِـي ... وَكُـلُّ مُقَلِّـصٍ سَلِـسِ ٱلْقِيَـادِ
وَيَبْقَـىٰ بَعْـدَ حِلْـمِ ٱلْقَـوْمِ حِلْمِـي ... وَيَفْنَـىٰ قَبْـلَ زَادِ ٱلْقَـوْمِ زَادِي

* * *

الحطيئة :

أَتَـتْ آلُ شَمَّـاسِ بْـنِ لأْيٍ وَإِنَّمَـا ... أَتَاهُمْ بِهَا ٱلأَحْلاَمُ وَٱلْحَسَبُ ٱلْعِدُّ
فَـإِنَّ ٱلشَّقِـيَّ مَـنْ تُعَـادِي صُـدُورُهُـمْ ... وَذُو ٱلْجَدِّ مَنْ لاَنُوا إِلَيْهِ وَمَنْ وَدُّوا
يَسُـوسُـونَ أَحْـلاَمـاً بَعِيـداً أَنَـاتُهَـا ... وَإِنْ غَضِبُـوا جَـاءَ ٱلْحَفِيظَـةُ وَٱلْجِـدُّ
أَقِلُّـوا عَلَيْهِـمْ ـ لاَ أَبَـاً لأَبِيكُـمُ ـ ... مِنَ ٱللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِي سَدُّوا
أُولَئِـكَ قَـوْمٌ إِنْ بَنَـوْا أَحْسَنُـوا ٱلْبِنَـا ... وَإِنْ عَاهَدُوا وَفُّوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَإِنْ كَانَتِ ٱلنُّعْمَىٰ عَلَيْهِم جَزَوْا بِهَا ... وَإِنْ أَنْعَمُـوا لاَ كَـدَّرُوهَـا وَلاَ كَـدُّوا
وَإِنْ قَالَ مَوْلاَهُمْ عَلَىٰ جِلِّ حَادِثٍ ... مِنَ ٱلدَّهْرِ: رُدُّوا فَضْلَ أَحْلاَمِكُمْ، رَدُّوا
مَطَاعِينُ فِي ٱلْهَيْجَا مَكَاشِيفُ لِلدُّجَى ... بَنَـىٰ لَهُـمُ آبَـاؤُهُـمْ وَبَنَـى ٱلْجَـدُّ

* * *

المتنبي :

أَقَـلُّ فَعَـالِـي بَلْـهَ أَكْثَـرَهُ مَجْـدُ ... وَذَا ٱلْجِدُّ فِيهِ نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ جَدُّ
سَـأَطْلُـبُ حَقِّـي بِـٱلْقَنَـا وَمَشَـايِـخٍ ... كَـأَنَّهُـمُ مِـنْ طُـولِ مَـا ٱلْتَثَمُـوا مُـرْدُ
ثِقَـالٍ إِذَا لاَقَـوْا خِفَـافٍ إِذَا دُعُـوا ... كَثِيـرٍ إِذَا شَـدُّوا قَلِيـلٍ إِذَا عُـدُّوا

أَذُمُّ إِلَىٰ هَـٰذَا ٱلـزَّمَـانِ أُهَيْلَـهُ فَـأَعْلَمُهُـمْ فَـدْمٌ وَأَحْـزَمُهُـمْ وَغْـدُ
وَأَكْـرَمُهُـمْ كَلْـبٌ وَأَبْصَـرُهُـمْ عَـمٍ وَأَسْهَـدُهُـمْ فَهْـدٌ وَأَشْجَعُهُـمْ قِـرْدُ
وَمِنْ نَكَدِ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلحُرِّ أَنْ يَرَى عَـدُوّاً لَـهُ مَـا مِـنْ صَـدَاقَتِـهِ بُـدُّ
وَيَحْتَقِـرُ ٱلْحُسَّـادَ عَـنْ ذِكْـرِهِ لَهُـمْ كَـأَنَّهُـمُ فِـي ٱلْخَلْـقِ مَـا خُلِقُـوا بَعْـدُ

* * *

البارودي :

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا أَفَـلاَ رَحِمْـتَ مِـنَ ٱلأَسَـىٰ أَوْلاَدِي
أَفْـرَدْتَهُـنَّ فَلَـمْ يَنَمْـنَ تَـوَجُّعـاً قَـرْحَـى ٱلْعُيُـونِ رَوَاجِـفَ ٱلأَكْبَـادِ
أَلْقَيْـنَ دُرَّ عُقُـودِهِـنَّ وَصُغْـنَ مِـنْ دُرِّ ٱلـدُّمُـوعِ قَـلاَئِـدَ ٱلأَجْيَـادِ
يَبْكِيـنَ مِـنْ وَلَـهٍ فِـرَاقَ حَفِيَّـةٍ كَـانَـتْ لَهُـنَّ كَثِيـرَةَ ٱلإِسْعَـادِ
فَخُـدُودُهُـنَّ مِـنَ ٱلـدُّمُـوعِ نَـدِيَّـةٌ وَقُلُـوبُهُـنَّ مِـنَ ٱلْهُمُـومِ صَـوَادِي
أَسَلِيلَـةَ ٱلْقَمَـرَيْـنِ أَيُّ فَجِيعَـةٍ حَلَّـتْ لِفَقْـدِكِ بَيْـنَ هَـٰذَا النَّـادِي
لَكِنَّهَـا ٱلأَقْـدَارُ لَيْـسَ بِنَـاجِـعٍ فِيهَـا سِـوَى ٱلتَّسْلِيـمِ وَٱلإِخْـلاَدِ
هَيْهَـاتَ بَعْـدَكِ أَنْ تَقَـرَّ جَـوَانِحِـي أَسَفـاً لِبُعْـدِكِ أَوْ يَلِيـنَ مِهَـادِي
وَلَهِـي عَلَيْـكِ مُصَـاحِـبٌ لِمَسِيـرَتِـي وَٱلـدَّمْـعُ فِيـكِ مُـلاَزِمٌ لِـوِسَـادِي

* * *

حاتم الطائي :

أَيَـا بْنَـةَ عَبْـدِ ٱللهِ وَٱبْنَـةَ مَـالِـكٍ وَيَا ٱبْنَةَ ذِي ٱلْبُرْدَيْنِ وَٱلْفَرَسِ ٱلْوَرْدِ
إِذَا مَـا صَنَعْـتِ ٱلـزَّادَ فَـٱلْتَمِسِـي لَـهُ أَكِيـلاً فَـإِنِّـي لَسْـتُ آكِلَـهُ وَحْـدِي
أَخـاً طَـارِقـاً أَوْ جَـارَ بَيْـتٍ فَـإِنَّنِـي أَخَافُ مَذَمَّاتِ ٱلأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي

* * *

المتنبي :

أَهُـمُّ بِشَـيْءٍ وَٱللَّيَـالِـي كَـأَنَّهَـا تُطَـارِدُنِـي عَـنْ كَـوْنِـهِ وَأُطَـارِدُ
وَحِيـدٌ مِـنَ ٱلْخُـلاَّنِ فِـي كُـلِّ بَلْـدَةٍ إِذَا عَظُـمَ ٱلْمَطْلُـوبُ قَـلَّ ٱلْمُسَـاعِـدُ
وَلَمَّـا رَأَيْـتُ ٱلنَّـاسَ دُونَ مَحَلِّـهِ تَيَقَّنْـتُ أَنَّ ٱلـدَّهْـرَ لِلنَّـاسِ نَـاقِـدُ
أَحَقُّهُمُ بِٱلسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ ٱلطُّلَى وَبِٱلأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ ٱلشَّدَائِدُ
أُحِبُّـكَ يَـا شَمْـسَ ٱلـزَّمَـانِ وَبَـدْرَهُ وَإِنْ لاَمَنِـي فِيـكَ ٱلسُّهَـا وَٱلْفَـرَاقِـدُ
وَذَاكَ لأَنَّ ٱلْفَضْـلَ عِنْـدَكَ بَـاهِـرٌ وَلَيْـسَ لِأَنَّ ٱلْعَيْـشَ عِنْـدَكَ بَـارِدُ
فَـإِنَّ قَلِيـلَ ٱلْحُـبِّ بِـٱلْعَقْـلِ صَـالِـحٌ وَإِنَّ كَثِيـرَ ٱلْحُـبِّ بِـٱلْجَهْـلِ فَـاسِـدُ

* * *

المتنبي :

لِكُـلِّ ٱمـرِىءٍ مِـنْ دَهْـرِهِ مَـا تَعَـوَّدَا وَعَادَةُ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلطَّعْنُ فِي ٱلْعِدَا
هُوَ ٱلْبَحْرُ غُصْ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِناً عَلَى ٱلدُّرِّ وَٱحْذَرْهُ إِذَا كَانَ مُزْبِدَا
فَـإِنِّـي رَأَيْـتُ ٱلْبَحْـرَ يَعْثُـرُ بِـٱلْفَتَـى وَهَـٰذَا ٱلَّـذِي يَـأْتِـي ٱلْفَتَـىٰ مُتَعَمِّـدَا
هَنِيئـاً لَـكَ ٱلْعِيـدُ ٱلَّـذِي أَنْـتَ عِيـدُهُ وَعِيـدٌ لِمَـنْ سَمَّـىٰ وَضَحَّـىٰ وَعَيَّـدَا
وَلاَ زَالَـتِ ٱلأَعْيَـادُ لُبْسَـكَ بَعْـدَهُ تُسَلِّـمُ مَخْـرُوقـاً وَتُعْطَـىٰ مُجَـدَّدَا
فَذَا ٱلْيَوْمُ فِي ٱلأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي ٱلْوَرى كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَداً كَانَ أَوْحَدَا
هُوَ ٱلْجَدُّ حَتَّىٰ تَفْضُلَ ٱلْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّـىٰ يَصِيـرَ ٱلْيَـوْمُ لِلْيَـوْمِ سَيِّـدَا
وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلضِّرْغَامَ بَازاً لِصَيْدِهِ تَصَيَّـدَهُ ٱلضِّـرْغَـامُ فِيمَـا تَصَيَّـدَا
وَمَـا قَتَـلَ ٱلأَحْـرَارَ كَـٱلْعَفْـوِ عَنْهُـمُ وَمَنْ لَكَ بِٱلْحُرِّ ٱلَّذِي يَحْفَظُ ٱلْيَدَا
إِذَا أَنْـتَ أَكْـرَمْـتَ ٱلْكَـرِيـمَ مَلَكْتَـهُ وَإِنْ أَنْـتَ أَكْـرَمْـتَ ٱللَّئِيـمَ تَمَـرَّدَا
وَوَضْعُ ٱلنَّدَىٰ فِي مَوْضِعِ ٱلسَّيْفِ بِٱلْعُلاَ مُضِرٌّ كَوَضْعِ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَى

المتنبي :

أَوَدُّ مِــنَ ٱلأَيَّــامِ مَــا لاَ تَــوَدُّهُ ... وَأَشْكُــو إِلَيْهَــا بَيْنَنَــا وَهْــيَ جُنْــدُهُ
يُبَـاعِـدْنَ حِبّـاً يَجْتَمِعْـنَ وَوَصْلُـهُ ... فَكَيْـفَ بِحِـبٍّ يَجْتَمِعْـنَ وَصَـدُّهُ
أَبَـىٰ خُلُـقُ ٱلـدُّنْيَـا حَبِيبـاً تُـدِيمُـهُ ... فَمَـا طَلَبِـي مِنْهَـا حَبِيبـاً تَـرُدُّهُ
وَأَسْــرَعُ مَفْعُــولٍ فَعَلْــتَ تَغَيُّــراً ... تَكَلُّـفُ شَـيْءٍ فِـي طِبَـاعِـكَ ضِـدُّهُ
وَأَتْعَــبُ خَلْــقِ ٱللهِ مَــنْ زَادَ هَمُّــهُ ... وَقَصَّـرَ عَمَّـا تَشْتَهِـي ٱلنَّفْسُ وُجْـدُهُ
فَلاَ يَنْحَلِلْ فِي ٱلْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ ... فَيَنْحَـلَّ مَجْـدٌ كَـانَ بِـٱلْمَـالِ عَقْـدُهُ
وَدَبِّـرْهُ تَـدْبِيـرَ ٱلَّـذِي ٱلْمَجْـدُ كَفُّـهُ ... إِذَا حَـارَبَ ٱلأَعْـدَاءَ وَٱلْمَـالُ زَنْـدُهُ
فَلاَ مَجْدَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَلاَ مَالَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَفِي ٱلنَّاسِ مَنْ يَرْضَىٰ بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ ... وَمَـرْكُـوبُـهُ رِجْـلاَهُ وَٱلثَّـوْبُ جِلْـدُهُ
وَلَكِـنَّ قَلْبـاً بَيْـنَ جَنْبَـيَّ مَـا لَـهُ ... مَـدَىً يَنْتَهِـي بِـي فِـي مُـرَادٍ أَحُـدُّهُ
يَـرَىٰ جِسْمَـهُ يُكْسَـىٰ شُفُـوفـاً تَـرُبُّـهُ ... فَيَخْتَـارُ أَنْ يُكْسَـىٰ دُرُوعـاً تَهُـدُّهُ

* * *

المتنبي :

عِيـدٌ بِـأَيَّـةِ حَـالٍ عُـدْتَ يَـا عِيـدُ ... بِمـا مَضَـىٰ أَمْ بِـأَمْـرٍ فِيـكَ تَجْـدِيـدُ
أَمَّـا ٱلأَحِبَّـةُ فَـٱلْبَيْـدَاءُ دُونَهُـمُ ... فَلَيْـتَ دُونَـكَ بِيـداً دُونَهَـا بِيـدُ
لَمْ يَتْرُكِ ٱلدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلاَ كَبِدِي ... شَيْئـاً تُتَيِّمُــهُ عَيْــنٌ وَلاَ جِيــدُ
أَصَخْـرَةٌ أَنَـا مَـا لِـي لا تُحَـرِّكُنِـي ... هَـٰذِي ٱلْمُدَامُ وَلاَ هَـٰذِي ٱلأَغَارِيدُ ؟!
إِنِّـي نَـزَلْـتُ بِكَـذَّابِيـنَ ضَيْفُهُـمُ ... عَنِ ٱلْقِرَىٰ وَعَنِ ٱلتَّرْحَالِ مَحْدُودُ
جُودُ ٱلرِّجَالِ مِنَ ٱلأَيْدِي وَجُودُهُمُ ... مِـنَ ٱللِّسَانِ فَلاَ كَـانُوا وَلاَ ٱلْجُـودُ
نَـامَـتْ نَـوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا ... فَقَـدْ بَشِمْـنَ وَمَـا تَفْنَـى ٱلْعَنَـاقِيـدُ

المتنبي :

تَمَـــنٍّ يَلَــذُّ ٱلْمُسْتَهَـــامُ بِمِثْلِــهِ وَإِنْ كَانَ لاَ يُغْنِي فَتِيلاً وَلاَ يُجْدِي
وَغَيْظٌ عَلَى ٱلأَيَّامِ كَٱلنَّارِ فِي ٱلْحَشَا وَلَكِنَّـهُ غَيْـظُ ٱلأَسِيـرِ عَلَـى ٱلْقِـدِّ
كَفَـانَـا ٱلـرَّبِيـعُ ٱلْعِيسَ مِـنْ بَـرَكَـاتِـهِ فَجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءً سِوَى ٱلرَّعْدِ
إِذَا مَا ٱسْتَجَبْنَ ٱلْمَاءَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ كَـرِعْـنَ بِسَبْتٍ فِي إِنَـاءٍ مِـنَ ٱلْـوَرْدِ

* * *

أبو نواس :

تَقُولُ ٱلَّتِي عَنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَرْكَبِي : عَـزِيـزٌ عَلَيْنَـا أَنْ نَـرَاكَ تَسِيـرُ
أَمَـا دُونَ مِصْـرٍ لِلْغِنَـىٰ مُتَطَلَّـبُ بَلَـىٰ إِنَّ أَسْبَـابَ ٱلْغِنَـىٰ لَكَثِيـرُ
فَقُلْـتُ لَهَـا وَٱسْتَعْجَلَتْهَـا بَـوَادِرٌ جَـرَتْ فَجَـرَىٰ فِـي جَـرْيِهِـنَّ عَبِيرُ
ذَرِينِـي أُكَثِّـرْ حَـاسِدِيـكِ بِـرِحْلَـةٍ إِلَـىٰ بَلَـدٍ فِيـهِ ٱلْخَصِيـبُ أَمِيـرُ
إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ ٱلْخَصِيبِ رِكَابُنَا فَـأَيَّ فَتَـىً بَعْـدَ ٱلْخَصِيـبِ تَـزُورُ
فَتَـىً يَشْتَـرِي حُسْـنَ ٱلثَّنَـاءِ بِمَـالِـهِ وَيَعْلَـمُ أَنَّ ٱلـدَّائِـرَاتِ تَـدُورُ
فَمَـا جَـازَهُ جُـودٌ وَلاَ حَـلَّ دُونَـهُ وَلَكِـنْ يَصِيـرُ ٱلْجُـودُ حَيْـثُ يَصِيـرُ

* * *

أبو تمام :

كَذَا فَلْيَجِلَّ ٱلْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ ٱلأَمْرُ وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ
تُـوُفِّيَـتِ ٱلآمَـالُ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ ٱلسَّفَرِ ٱلسَّفْرُ
وَمَـا كَـانَ إِلاَّ مَـالَ مَـنْ قَـلَّ مَـالُـهُ وَذُخْراً لِمَنْ أَمْسَىٰ وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
وَمَا كَانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جُودِ كَفِّهِ إِذَا مَـا ٱسْتَهَلَّـتْ أَنَّـهُ خُلِـقَ ٱلْعُسْـرُ
أَلاَ فِـي سَبِيـلِ ٱللهِ مَـنْ عُطِّلَـتْ لَـهُ فِجَـاجُ سَبِيـلِ ٱللهِ وَٱنْثَغَـرَ ٱلثَّغْـرُ

فَتَىً كُلَّمَا فَاضَتْ عُيُونُ قَبِيلَةٍ دَماً ضَحِكَتْ عَنْهُ ٱلأَحَادِيثُ وَٱلذِّكْرُ
فَتَىً دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنُوبُهُ فَفِي بَأْسِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرُ
فَتَىً مَاتَ بَيْنَ ٱلطَّعْنِ وَٱلضَّرْبِ مِيتَةً تَقُومُ مَقَامَ ٱلنَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ ٱلنَّصْرُ
وَمَا مَاتَ حَتَّىٰ مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ ٱلضَّرْبِ وَٱعْتَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلْقَنَا ٱلسُّمْرُ
غَدَا غَدْوَةً وَٱلْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلاَّ وَأَكْفَانُهُ ٱلأَجْرُ
تَرَدَّىٰ ثِيَابَ ٱلْمَوْتِ حُمْراً فَمَا دَجَا لَهَا ٱللَّيْلُ إِلاَّ وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
مَضَىٰ طَاهِرَ ٱلأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ غَدَاةَ ثَوَىٰ إِلاَّ ٱشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
عَلَيْكَ سَلاَمُ ٱللهِ وَقْفاً فَإِنَّنِي رَأَيْتُ ٱلْكَرِيمَ ٱلْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ

* * *

أبو فراس الحمداني :

أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ لَدَى ٱلْوَغَى وَلاَ فَرَسِي مُهْرٌ ، وَلاَ رَبُّهُ غُمْرُ
وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱمْرِىءٍ فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ ، وَلاَ بَحْرُ
وَقَالَ أُصَيْحَابِي : ٱلْفِرَارُ أَوِ ٱلرَّدَى ؟ فَقُلْتُ : هُمَا أَمْرَانِ ، أَحْلاَهُمَا مُرُّ
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ وَفِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ ٱلْبَدْرُ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ ٱكْتَفَوْا بِهِ وَمَا كَانَ يَغْلُو ٱلتِّبْرُ لَوْ نَفَقَ ٱلصُّفْرُ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ تَوَسُّطَ عِنْدَنَا لَنَا ٱلصَّدْرُ دُونَ ٱلْعَالَمِينَ أَوِ ٱلْقَبْرُ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي ٱلْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ ٱلْحَسْنَاءَ لَمْ يَغْلُهَا ٱلْمَهْرُ
أَعَزُّ بَنِي ٱلدُّنْيَا وَأَعْلَىٰ ذَوِي ٱلْعُلاَ وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ ٱلتُّرَابِ وَلاَ فَخْرُ

* * *

التهامي :

حُكْمُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي ٱلْبَرِيَّةِ جَارِي مَا هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ

بَيْنَا يَرَى ٱلإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِراً حَتَّىٰ يُرَىٰ خَبَراً مِنَ ٱلأَخْبَارِ
طُبِعَتْ عَلَىٰ كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْواً مِنَ ٱلأَقْذَاءِ وَٱلأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ ٱلأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي ٱلْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ ٱلْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي ٱلرَّجَاءَ عَلَىٰ شَفِيرٍ هَارِ
فَٱلْعَيْشُ نَوْمٌ وَٱلْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيَالٌ سَارِي
وَٱلنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ أَوْ أَبَتْ مُنْقَادَةٌ بِأَزِمَّةِ ٱلأَقْدَارِ
فَٱقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجَالاً إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سِفْرٌ مِنَ ٱلأَسْفَارِ
وَتَلَهُّبُ ٱلأَحْشَاءِ شَيَّبَ مَفْرِقِي هَٰذَا ٱلضِّيَاءُ شُوَاظُ تِلْكَ ٱلنَّارِ

* * *

علي بن الجهم :

عُيُونُ ٱلْمَهَا بَيْنَ ٱلرُّصَافَةِ وَٱلْجِسْرِ جَلَبْنَ ٱلْهَوَىٰ مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي
أَعَدْنَ لِيَ ٱلشَّوْقَ ٱلْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدْنَ جَمْراً عَلَىٰ جَمْرِ
سَلِمْنَ وَأَسْلَمْنَ ٱلْقُلُوبَ كَأَنَّمَا تُشَكُّ بِأَطْرَافِ ٱلْمُثَقَّفَةِ ٱلسُّمْرِ
وَقُلْنَ لَنَا : نَحْنُ ٱلأَهِلَّةُ إِنَّمَا تُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بِلَيْلٍ وَلاَ تَقْرِي
فَلاَ بَذْلَ إِلاَّ مَا تَزَوَّدَ نَاظِرٌ وَلاَ وَصْلَ إِلاَّ بِٱلْخَيَالِ ٱلَّذِي يَسْرِي
أَحِينَ أَزَحْنَ ٱلْقَلْبَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَأَلْهَبْنَ مَا بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ وَٱلصَّدْرِ
صَدَدْنَ صُدُودَ ٱلشَّارِبِ ٱلْخَمْرَ عِنْدَمَا زَوَىٰ نَفْسَهُ عَنْ شُرْبِهَا خِيفَةَ ٱلسُّكْرِ

* * *

ابن عبدون :

أَلدَّهْرُ يُفْجِعُ بَعْدَ ٱلْعَيْنِ بِٱلأَثَرِ فَمَا ٱلْبُكَاءُ عَلَى ٱلأَشْبَاحِ وَٱلصُّوَرِ
أَنْهَاكَ أَنْهَاكَ لاَ آلُوكَ مَوْعِظَةً عَنْ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَابِ ٱللَّيْثِ وَٱلظُّفُرِ

فَٱلدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبْدَىٰ مُسَالَمَةً وَٱلْبِيضُ وَٱلسُّودُ مِثْلُ ٱلبِيضِ وَٱلسُّمُرِ
وَلاَ هَوَادَةَ بَيْنَ ٱلرَّأْسِ تَأْخُذُهُ يَدُ ٱلضِّرَابِ وَبَيْنَ ٱلصَّارِمِ ٱلذَّكَرِ
فَلاَ تَغُرَّنْكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى ٱلسَّهَرِ
مَا لِلَّيَالِي! أَقَالَ ٱللهُ عَثْرَتَنَا مِنَ ٱللَّيَالِي وَخَانَتْهَا يَدُ ٱلْغِيَرِ
فِي كُلِّ حِينٍ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنَّا جِرَاحٌ وَإِنْ زَاغَتْ عَنِ ٱلنَّظَرِ
وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمْراً بِخَارِجَةٍ فَدَتْ عَلِيّاً بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ ٱلْبَشَرِ

* * *

عدي بن زيد :

أَيُّهَا ٱلشَّامِتُ ٱلْمُعَيِّرُ بِٱلدَّهْـ ـرِ أَأَنْتَ ٱلْمُبَرَّأُ ٱلْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ ٱلْعَهْدُ ٱلْوَثِيقُ مِنَ ٱلأَيَّـ ـامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ ٱلْمَنُونَ خَلَّدْنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ
أَيْنَ كِسْرَىٰ كِسْرَى ٱلْمُلُوكِ أَنُوشَرْ وَانُ أَمْ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو ٱلأَصْفَرِ ٱلْكِرَامِ مُلُوكِ ٱلرُّ ومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمُ مَذْكُورُ
وَأَخُو ٱلْحَضْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دِجْـ ـلَةَ تُجْنَىٰ إِلَيْهِ وَٱلْخَابُورُ
شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْـ ـساً فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ
لَمْ يَهَبْهُ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ فَبَادَ ٱلْـ ـمُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ

* * *

أبو القاسم الشابّي :

إِذَا ٱلشَّعْبُ يَوْماً أَرَادَ ٱلْحَيَاةَ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ ٱلْقَدَرْ
وَلاَ بُدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلِي وَلاَ بُدَّ لِلْقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِرْ
إِذَا مَا طَمِحْتُ إِلَىٰ غَايَةٍ رَكِبْتُ ٱلْمُنَىٰ وَنَسِيتُ ٱلْحَذَرْ

وَمَـنْ لاَ يُحِـبُّ صُعُـودَ ٱلْجِبَـالِ يَعِـشْ أَبَـدَ ٱلـدَّهْـرِ بَيْـنَ ٱلْحُفَـرْ
أُبَـارِكُ فِـي ٱلنَّـاسِ أَهْـلِ ٱلطُّمُـوحِ وَمَـنْ يَسْتَلِـذُّ رُكُـوبَ ٱلْخَطَـرْ
هُـوَ ٱلْكَـونُ حَـيٌّ يُحِـبُّ ٱلْحَيَـا ةَ وَيَحْتَقِـرُ ٱلْمَيْـتَ مَهْمَـا كَبُـرْ
فَـلاَ ٱلأُفْـقُ يَحْضُـنُ مَيْـتَ ٱلطُّيُـو رِ وَلاَ ٱلنَّحْـلُ يَلْثِـمُ مَيْـتَ ٱلـزَّهَـرْ

* * *

امرؤ القيس :

بَكَىٰ صَاحِبِي لَمَّا رَأَى ٱلدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيْقَـنَ أَنَّـا لاَحِقَـانِ بِقَيْصَـرَا
فَقُلْـتُ لَـهُ : لا تَبْـكِ عَيْنُـكَ إِنَّمَـا نُحَـاوِلُ مُلْكـاً أَوْ نَمُـوتَ فَنُعْـذَرَا
أَرَىٰ أُمَّ عَمْـرٍو دَمْعُهَـا قَـدْ تَحَـدَّرَا بُكَـاءً عَلَـىٰ عَمْـرٍو وَمَـا كَـانَ أَصْبَـرَا
إِذَا قُلْتُ : هَـٰذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ وَقَـرَّتْ بِـهِ ٱلْعَيْنَـانِ بُـدِّلْـتُ آخَـرَا
كَذَلِكَ جَدِّي مَا أُصَاحِبُ صَاحِباً مِـنَ ٱلنَّـاسِ إِلاَّ خَـانَنِـي وَتَغَيَّـرَا

* * *

المعتمد بن عباد :

فِيمَا مَضَىٰ كُنْتَ بِٱلأَعْيَادِ مَسْرُوراً فَسَاءَكَ ٱلْعِيدُ فِي أَغْمَاتَ مَأْسُورَا
تَـرَىٰ بَنَـاتِـكَ فِـي ٱلأَطْمَـارِ جَـائِعَـةً يَغْـزِلْـنَ لِلنَّـاسِ مَـا يَمْلِكْـنَ قِطْمِيـرَا
بَـرَزْنَ نَحْـوَكَ لِلتَّسْلِيـمِ خَـاشِعَـةً أَبْصَـارُهُـنَّ حَسِيـرَاتٍ مَكَـاسِيـرَا
يَطَـأْنَ فِـي ٱلطِّيـنِ وَالأَقْـدَامُ حَـافِيَـةٌ كَـأَنَّهَـا لَـمْ تَطَـأْ مِسْكـاً وَكَـافُـورَا
قَـدْ كَـانَ دَهْـرُكَ إِنْ تَـأْمُـرْهُ مُمْتَثِـلاً فَـرَدَّكَ ٱلـدَّهْـرُ مَنْهِيّـاً وَمَـأْمُـورَا
مَـنْ بَـاتَ بَعْـدَكَ فِـي مُلْـكٍ يُسَـرُّ بِـهِ فَـإِنَّمَـا بَـاتَ بِـٱلأَحْـلاَمِ مَغْـرُورَا

* * *

المعري :

يَا سَاهِرَ ٱلْبَرْقِ أَيْقِظْ رَاقِدَ ٱلسَّمُرِ ... لَعَلَّ بِٱلْجِزْعِ أَعْوَاناً عَلَى ٱلسَّهَرِ
يَــوَدُّ أَنَّ ظَــلاَمَ اللَّيْــلِ دَامَ لَــهُ ... وَزِيـدَ فِيـهِ سَـوَادُ ٱلْقَلْـبِ وَٱلْبَصَـرِ
لَوِ ٱخْتَصَرْتُمْ مِنَ ٱلإِحْسَانِ زُرْتُكُمُ ... وَٱلْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلإِفْرَاطِ فِي ٱلْخَصَرِ
فَٱلْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ ... بَيْتٍ مِنَ ٱلشِّعْرِ أَوْ بَيْتٍ مِنَ ٱلشَّعَرِ
وَٱلْخِلُّ كَٱلْمَاءِ يُبْدِي لِي ضَمَائِرَهُ ... مَعَ ٱلصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ ٱلْكَدَرِ
يَا بْنَ ٱلأُلَىٰ غَيْرَ زَجْرِ ٱلْخَيْلِ مَا عَرَفُوا ... إِذْ تَعْرِفُ ٱلْعُرْبُ زَجْرَ ٱلشَّاءِ وَٱلْعَكَرِ
جَمَالَ ذِي ٱلأَرْضِ كَانُوا فِي ٱلْحَيَاةِ وَهُمْ ... بَعْدَ ٱلْمَمَاتِ جَمَالُ ٱلْكُتْبِ وَٱلسِّيَرِ

* * *

المتنبي :

أُطَاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا ٱلدَّهْرُ ... وَحِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِي ٱلصَّبْرُ
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ سَلاَمَتِي ... وَمَا ثَبَتَتْ إِلاَّ وَفِي نَفْسِهَا أَمْرُ
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ ٱلأَتِيِّ كَأَنَّ لِي ... سِوَىٰ مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وِتْرُ
ذَرِ ٱلنَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا ... فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا ٱلْعُمْرُ
وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلْمَجْدَ زِقّاً وَقَيْنَةً ... فَمَا ٱلْمَجْدُ إِلاَّ ٱلسَّيْفُ وَٱلْفَتْكَةُ ٱلْبِكْرُ
وَتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ ٱلْمُلُوكِ وَهَامِهَا ... لَكَ ٱلْهَبَوَاتُ ٱلسُّودُ وَٱلْعَسْكَرُ ٱلْمَجْرُ
وَتَرْكُكَ فِي ٱلدُّنْيَا دَوِيّاً كَأَنَّمَا ... تَدَاوَلُ سَمْعَ ٱلْمَرْءِ أَنْمُلُهُ ٱلْعَشْرُ

* * *

البردوني :

بُشْرَىٰ مِنَ ٱلْغَيْبِ أَلْقَتْ فِي فَمِ ٱلْغَارِ ... وَحْياً وَأَفْضَتْ إِلَى ٱلدُّنْيَا بِأَسْرَارِ
بُشْرَى ٱلنُّبُوَّةِ طَافَتْ كَٱلشَّذَىٰ سِحْراً ... وَأَعْلَنَتْ فِي ٱلرُّبَىٰ مِيلاَدَ أَنْوَارِ

وَشَقَّتِ ٱلصَّمْتَ وَٱلأَنْسَامُ تَحْمِلُهَا   تَحْـتَ ٱلسَّكِينَـةِ مِـنْ دَارٍ إِلَـىٰ دَارِ
وَهَـدْهَـدَتْ مَكَّـةُ ٱلْـوَسْنَـىٰ أَنَامِلَهَـا   وَهَـزَّتِ ٱلْفَجْـرَ إِيـذَانـاً بِـإِسْفَـارِ
فَأَقْبَلَ ٱلْفَجْرُ مِنْ خَلْفِ ٱلتِّلاَلِ وَفِي   عَيْنَيْـهِ أَسْـرَارُ عُشَّـاقٍ وَسُمَّـارِ
كَـأَنَّ فَيْـضَ ٱلسَّنَـا فِـي كُـلِّ رَابِيَـةٍ   مَوْجٌ وَفِي كُلِّ سَفْحٍ جَدْوَلٌ جَارِي
تَدَافَعَ ٱلْفَجْرُ فِي ٱلدُّنْيَا يَزُفُّ إِلَى   تَـارِيخِهَـا فَجْـرَ أَجْيَـالٍ وَأَدْهَـارِ
وَشَبَّ طِفْلُ ٱلْهُدَى ٱلْمَنْشُودِ مُتَّزِراً   بِـٱلْحَـقِّ مُتَّشِحـاً بِـٱلنُّـورِ وَٱلنَّـارِ
فِـي كَفِّـهِ شُعْلَـةٌ تَهْـدِي وَفِـي فَمِـهِ   بُشْـرَىٰ وَفِـي عَيْنِـهِ إِصْـرَارُ أَقْـدَارِ
وَفِـي مَـلاَمِحِـهِ وَعْـدٌ وَفِـي دَمِـهِ   بُطُــولَــةٌ تَتَحَـدَّىٰ كُـلَّ جَبَّـارِ

* * *

شاعر :

صَـلِّ يَـا ذَا ٱلْعُـلاَ لِـرَبِّـكَ وَٱنْحَـرْ   كُـلُّ ضِـدٍّ وَشَـانِـىءٍ لَـكَ أَبْتَـرْ
أَنْـتَ أَعْلَـىٰ مِـنْ أَنْ تَكُـونَ أَضَاحِيـ   ـكَ قُـرُومـاً مِـنَ ٱلْجِمَـالِ تَعَفَّـرْ
بَلْ قُرُوماً مِنَ ٱلْمُلُوكِ ذَوِي ٱلسُّؤْ   دُدِ تِيجَـانُهُـمْ أَمَـامَـكَ تُنْثَـرْ
كُلَّمَـا خَـرَّ سَـاجِـدٌ لَـكَ مِنْهُـمْ   عِنْـدَهَـا قَـالَ سَيْفُـكَ : ٱللهُ أَكْبَـرْ

* * *

أبو علي القالي :

أَلاَ فِـي سَبِيـلِ ٱللهِ مَـاذَا تَضَمَّنَـتْ   بُطُونُ ٱلثَّرَىٰ وَٱسْتَوْدَعَ ٱلْبَلَدُ ٱلْقَفْرُ
بُدُورٌ إِذَا ٱلدُّنْيَا دَجَتْ أَشْرَقَتْ بِهِمْ   وَإِنْ أَجْدَبَتْ يَوْماً فَأَيْدِيهِمُ ٱلْقَطْرُ
حَيَاتُهُـمْ كَـانَـتْ لأَعْـدَائِهِـمْ عَمًـى   وَمَـوْتُهُـمُ لِلْفَـاخِـرِيـنَ بِهِـمْ فَخْـرُ
أَقَامُوا بِظَهْرِ ٱلأَرْضِ فَٱخْضَرَّ سَهْلُهَا   وَصَارُوا بِبَطْنِ ٱلأَرْضِ فَٱسْتَوْحَشَ ٱلظَّهْرُ

* * *

ابن عقبة :

وَقَسَمْـتُ حَـالاَتِـي ثَـلاَثـاً مِثْلَمَـا ... قَدْ كَانَ قَسَّمَها أَبِي ٱلشَّهْمُ ٱلسَّرِي
كَـرَمٌ تَـدِينُ لَـهُ ٱلأَنَـامُ وَحَـالَـةٌ ... ظَهْـرَ ٱلْحِصَـانِ وَحَـالَـةٌ لِلْمِنْبَـرِ
وَتَخِـذْتُ أَصْحَـابـاً إِذَا نَـادَمْتُهُـمْ ... لَـمْ أَخْشَ مِنْهُـمْ مَـنْ يَنُـمُّ وَيَفْتَـرِي
عِلْمِي وَحِلْمِي وَٱلْحِصَانُ وَصَارِمِي ... وَنَـدَىٰ يَمِينِـي وَٱلْعَفَـافُ وَدَفْتَـرِي

* * *

لبيد بن ربيعة :

تَمَنَّـى ٱبْنَتَـايَ أَنْ يَعِيـشَ أَبُـوهُمَـا ... وَهَـلْ أَنَـا إِلاَّ مِـنْ رَبِيعَـةَ أَوْ مُضَـرْ
وَنَـائِحَتَـانِ تَنْـدُبَـانِ بِعَـاقِـلٍ ... أَخَـا ثِقَـةٍ لاَ عَيْـنَ مِنْـهُ وَلاَ أَثَـرْ
وَفِـي ٱبْنَـيْ نِـزَارٍ أُسْوَةٌ إِنْ جَزِعْتُمَـا ... وَإِنْ تَسْـأَلاَهُـمْ تُخْبَـرَا فِيهِـمُ ٱلْخَبَـرْ
فَقُـومَـا فَقُـولاَ بِـٱلَّـذِي قَـدْ عَلِمْتُمَـا ... وَلاَ تَخْمِشَا وَجْهاً وَلاَ تَحْلِقَا شَعَرْ
وَقُولاَ : هُوَ ٱلْمَرْءُ ٱلَّذِي لاَ خَلِيلَهُ ... أَضَاعَ وَلاَ خَانَ ٱلصَّدِيقَ وَلاَ غَدَرْ
إِلَى ٱلْحَوْلِ ثُمَّ ٱسْمُ ٱلسَّلاَمِ عَلَيْكُمَا ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ ٱعْتَذَرْ

* * *

محمد بن عثيمين :

هُمْ جَدَّدُوا ٱلدِّينَ إِذْ خَفِيَتْ مَعَالِمُهُ ... وَفَلَّلُـوا حَـدَّ كِسْـرَىٰ يَـوْمَ ذِي قَـارِ
هُمُ ٱلْمُصِيبُونَ إِنْ قَالُوا وَإِنْ حَكَمُوا ... وَٱلطَّيِّبُـونَ ثَنَـا مَجْـدٍ وَأَخْبَـارِ
وَٱلْبَـاذِلُـونَ نَهَـارَ ٱلـرَّوْعِ أَنْفُسَهُـمْ ... وَٱلصَّائِنُوهَـا عَـنِ ٱلْفَحْشَـاءِ وَٱلْعَـارِ
مَحَـامِـدٌ فِـي سَمَـاءِ ٱلْمَجْـدِ مُشْـرِقَـةٌ ... مِثْلَ ٱلنُّجُومِ ٱلَّتِي يَسْرِي بِهَا ٱلسَّارِي
لَكِـنَّ تَـاجَ مُلُـوكِ ٱلأَرْضِ إِنْ ذُكِـرُوا ... يَـوْمـاً وَأُرْجِـحَ فِـي فَضْـلٍ وَمِقْـدَارِ
عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ ٱلَّذِي كَانَتْ خِلاَفَتُهُ ... مِـنْ رَحْمَـةِ ٱللهِ لِلْبَـادِي وَلِلْقَـارِي

أَعْطَاهُمُ ٱللهُ أَمْناً بَعْدَ خَوْفِهِمُ ... لَمَّا تَوَلَّىٰ وَيُسْراً بَعْدَ إِعْسَارِ
أَشَمُّ أَرْوَعُ مَضْرُوبٌ سُرَادِقُهُ ... عَلَىٰ فَتَى ٱلْحَزْمِ نَفَّاعٍ وَضَرَّارِ
مُظَفَّرُ ٱلْعَزْمِ شَهْمٌ غَيْرُ مُؤْتَشِبٍ ... مُسَدَّدُ ٱلرَّأْيِ فِي وِرْدٍ وَإِصْدَارِ
مَا نَالَ مَا نَالَ إِلاَّ بَعْدَ مَا سَفَحَتْ ... سُمْرُ ٱلْعَوَالِي دَماً مِنْ كُلِّ جَبَّارِ

* * *

حاتم الطائي :

أَمَاوِيُّ إِنَّ ٱلْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ ... وَيَبْقَىٰ مِنَ ٱلْمَالِ الأَحَادِيثُ وَٱلذِّكْرُ
أَمَاوِيُّ مَا يُغْنِي ٱلثَّرَاءُ عَنِ ٱلْفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ نَفْسٌ وَضَاقَ بِهَا ٱلصَّدْرُ
وَقَدْ عَلِمَ ٱلأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِماً ... أَرَادَ ثَرَاءَ ٱلْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ
عُنِينَا زَمَاناً بِٱلتَّصَعْلُكِ وَٱلْغِنَى ... كَمَا ٱلدَّهْرُ فِي أَيَّامِهِ ٱلْعُسْرُ وَٱلْيُسْرُ
كَسَيْنَا صُرُوفَ ٱلدَّهْرِ لِيناً وَغِلْظَةً ... وَكُلاًّ سَقَانَاهُ بِكَأْسَيْهِمَا ٱلدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَأْواً عَلَىٰ ذِي قَرَابَةٍ ... غِنَانَا وَلاَ أَزْرَىٰ بِأَحْسَابِنَا ٱلْفَقْرُ
وَمَا ضَرَّ جَاراً يَا ٱبْنَةَ ٱلْقَوْمِ فَٱعْلَمِي ... يُجَاوِرُنِي أَلاَّ يَكُونَ لَهُ سِتْرُ
بِعَيْنَيَّ عَنْ جَارَاتِ قَوْمِيَ غَفْلَةٌ ... وَفِي ٱلسَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمُ وَقْرُ

* * *

الشريف الرضي :

يَا قَلْبِ مَا أَنْتَ مِن نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ ... خَلَّفْتَ نَجْداً وَرَاءَ ٱلْمُدْلِجِ ٱلسَّارِي
رَاحَتْ نَوَازِعُ مِنْ قَلْبِي تُتَبِّعُهُ ... عَلَىٰ بَقَايَا لُبَانَاتٍ وَأَوْطَارِ
أَهْفُو إِلَى ٱلرَّكْبِ تَعْلُو لِي رِكَابُهُمُ ... مِنَ ٱلْحِمَىٰ فِي أُسَيْحَاقٍ وَأَطْمَارِ
تَضُوعُ أَرْوَاحُ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمُ ... عِنْدَ ٱلنُّزُولِ لِقُرْبِ ٱلْعَهْدِ بِٱلدَّارِ
يَا رَاكِبَانِ قِفَا لِي وَٱقْضِيَا وَطَرِي ... وَخَبِّرَانِيَ عَنْ نَجْدٍ بِأَخْبَارِ

هَلْ رُوِّضَتْ قَاعَةُ ٱلْوَعْسَاءِ أَمْ مُطِرَتْ　　خَمِيلَـةُ ٱلطَّلْـحِ ذَاتِ ٱلْبَـانِ وَٱلْغَـارِ
أَمْ هَـلْ أَبِيـتُ وَدَارٌ عِنْـدَ كَـاظِمَـةٍ　　دَارِي وَسُمَّـارُ ذَاكَ ٱلْحَـيِّ سُمَّـارِي
أَيَّامَ أُودِعُ سِرِّي فِي ٱلْهَوَىٰ فَرَسِي　　وَأَكْتُـمُ ٱلْحَيَّ إِدْلاَجِـي وَأَخْطَـارِي

* * *

نزار قباني :

زَمَـانُـكَ بُسْتَـانٌ وَعَصْـرُكَ أَخْضَـرُ　　وَذِكْـرَاكَ عُصْفُـورٌ مِـنَ ٱلْقَلْـبِ يَنْقُـرُ
أُحِبُّـكَ لاَ تَفْسِيـرَ عِنْـدِي لِصَبْـوَتِـي　　أُفَسِّـرُ مَـاذَا ؟ وَٱلْهَـوَىٰ لاَ يُفَسَّـرُ
أَتَسْأَلُ عَنْ أَعْمَارِنَا ؟ أَنْتَ عُمْرُنَا　　وَأَنْـتَ لَنَـا ٱلْمَهْـدِيُّ أَنْـتَ ٱلْمُحَـرِّرُ
نِسَـاءُ فِلِسْطِيـنِ تَكَحَّلْـنَ بِـٱلأَسَـى　　وَفِـي بَيْـتِ لَحْـمٍ قَـاصِـرَاتٌ وَقُصَّـرُ
وَلَيْمُـونُ يَـافَـا يَـابِسٌ فِـي حُقُـولِـهِ　　وَهَلْ شَجَرٌ فِي قَبْضَةِ ٱلظُّلْمِ يُزْهِرُ ؟
رَفِيقُ صَلاَحَ ٱلدّينِ هَلْ لَكَ عَوْدَةٌ　　فَـإِنَّ جُيُـوشَ ٱلـرُّومِ تَنْهَـىٰ وَتَـأْمُـرُ
رِفَاقُكَ فِي ٱلأَغْوَارِ شَدُّوا سُرُوجَهُمْ　　وَجُنْـدُكَ فِـي حِطِّيـنَ صَلُّـوا وَكَبَّـرُوا
تَغَنَّـىٰ بِـكَ ٱلـدُّنْيَـا كَـأَنَّـكَ طَـارِقٌ　　عَلَـىٰ بَـرَكَـاتِ ٱللهِ يَـرْسُـو وَيُبْحِـرُ
تُنَـادِيـكَ مِـنْ شَـوْقٍ مَـآذِنُ مَكَّـةٍ　　وَتَبْكِيـكَ بَـدْرٌ - يَـا حَبِيبِي - وَخَيْبَـرُ
وَيَبْكِيـكَ صَفْصَـافُ ٱلشَّـآمِ وَوَرْدُهَـا　　وَيَبْكِيـكَ زَهْـرُ ٱلْغُـوطَتَيْـنِ وَتَـدْمُـرُ
يُحَـاصِـرُنَـا كَـٱلْمَـوْتِ أَلْـفُ خَلِيفَـةٍ　　فَفِي ٱلشَّرْقِ هُولاَكُو وَفِي ٱلْغَرْبِ قَيْصَرُ

* * *

الصمة القشيري :

أَقُـولُ لِصَـاحِبِـي وَٱلْعِيسُ تَهْـوِي　　بِنَـا بَيْـنَ ٱلْمُنِيفَـةِ فَـٱلضِّمَـارِ
تَمَتَّـعْ مِـنْ شَمِيـمِ عَـرَارِ نَجْـدٍ　　فَمَـا بَعْـدَ ٱلْعَشِيَّـةِ مِـنْ عَـرَارِ
أَلاَ يَـا حَبَّـذَا نَفَحَـاتُ نَجْـدٍ　　وَرَيَّـا رَوْضِـهِ بَعْـدَ ٱلْقِطَـارِ

وَأَهْلُــكَ إِذْ يَحِـلُّ ٱلْحَـيُّ نَجْـداً ... وَأَنْــتَ عَلَــىٰ زَمَــانِـكَ غَيْـرُ زَارِ
شُهُــورٌ يَنْقَضِيــنَ وَمَــا شَعَــرْنَــا ... بِــأَنْصَــافٍ لَهُــنَّ وَلاَسِــرَارِ
فَــأَمَّــا لَيْلُهُــنَّ فَخَيْــرُ لَيْــلٍ ... وَأَقْصَـرُ مَـا يَكُـونُ مِـنَ ٱلنَّهَـارِ

* * *

عائض القرني :

خُذِي صَبَا نَجْدِ فَضْلاً وَحْيَ أَفكَارِي ... فَنَجْـدُ مَـرْفَـأُ تَـرْحَـالِـي وَإِبْحَـارِي
وَنَجْـدُ جُـدِّدَ فِيهَـا ٱلْحُـبُّ وَٱنْبَعَثَـتْ ... رَسَائِلُ ٱلشَّوْقِ تَرْوِي كُلَّ أَخْبَارِي
وَنَجْـدُ مَهْبِـطُ آيَـاتِ ٱلْجَمَـالِ بِهَـا ... مَلاَعِبُ ٱلْحُسْنِ مِنْ سِحْرٍ وَأَشْعَارِ
رِفْقـاً بِقَلْبِـيَ يَـا نَجْـدُ ٱلْهَـوَىٰ فَـأَنَـا ... مُتَيَّــمٌ لِخَيَــالٍ مِنْــكَ زَوَّارِ
قَالَتْ : يَقُولُونَ : أَلْقَيْتَ ٱلْعَصَا تَعِباً ... وَأَنْتَ فِي نِصْفِ عُمْرٍ بَائِعٌ شَارِي ؟
فَقُلْتُ : كَلاَّ فَلِي فِي خَالِقِي أَمَلٌ ... أَعْظِـمْ بِـهِ مِـنْ كَرِيـمٍ حَـافِـظٍ بَـارِي
قَالَتْ : فَدَعْوَتُكَ ٱلْغَرَّاءُ هَلْ نُسِيَتْ ؟ ... وَأَيْنَ أَحْمَدُ مَعْ جِبْرِيلَ فِي ٱلْغَارِ ؟
فَقُلْتُ: رُوحِي فِدَا ٱلْمَعْصُومِ وَاوَلَهِي ... دَمِـي وَدَمْعِـي جَـرَىٰ حُبّـاً بِتَيَّـارِ
خُـوَيْـدِمٌ أَنَـا لِلـدِّيـنِ ٱلْحَنِيـفِ وَهَـلْ ... لِلْخَـادِمِ ٱلْعَبْـدِ أَنْ يَـأْتِـي بِـأَعْـذَارِ ؟
وَمَنْ أَنَا ؟ مَا قَدْرِي ؟ ومَا عَمَلِي ... ٱلصِّفْرُ يُوضَعُ فِي خَانَاتِ أَصْفَارِ

* * *

لسان الدين الخطيب :

جَـادَكَ ٱلْغَيْـثُ إِذَا ٱلْغَيْـثُ هَمَـى ... يَـا زَمَـانَ ٱلْـوَصْـلِ بِـٱلأَنْـدَلُـسِ
لَــمْ يَكُــنْ وَصْلُــكَ إِلاَّ حُلُمَــا ... فِـي ٱلْكَـرَىٰ أَوْ خِلْسَـةَ ٱلْمُخْتَلِـسِ
إِذْ يَقُـودُ ٱلـدَّهْـرُ أَشْتَـاتَ ٱلْمُنَـى ... نَنْقُـلُ ٱلْخَطْـوَ عَلَـىٰ مَـا يَـرْسُـمُ
زُمَــراً بَيْــنَ فُــرَادَىٰ وَثُنَــا ... مِثْلَمَـا يَـدْعُـو ٱلْـوُفُـودَ ٱلْمَـوْسِـمُ

وَٱلْحَيَا قَدْ جَلَّلَ ٱلرَّوْضَ سَنَا ... فَثُغُورُ ٱلزَّهْرِ فِيهِ تَبَسَّمُ
وَرَوَى ٱلنُّعْمَانُ عَنْ مَاءِ ٱلسَّمَا ... كَيْفَ يَرْوِي مَالِكٌ عَنْ أَنَسِ
فَكَسَاهُ ٱلْحُسْنُ ثَوْباً مُعْلِماً ... يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَىٰ مَلْبَسِ

* * *

الصمة القشيري :

بَكَتْ عَيْنِيَ ٱلْيُسْرَىٰ فَلَمَّا زَجَرْتُهَا ... عَنِ ٱلْجَهْلِ بَعْدَ ٱلْحِلْمِ أَسْبَلَتَا مَعَا
قِفَا وَدِّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِٱلْحِمَى ... وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُوَدَّعَا
بِنَفْسِيَ تِلْكَ ٱلأَرْضُ مَا أَطْيَبَ ٱلرُّبَا ... وَمَا أَحْسَنَ ٱلْمُصْطَافَ وَٱلْمُتَرَبَّعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ ٱلْحِمَىٰ ثُمَّ أَنْثَنِي ... عَلَىٰ كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ ٱلْحِمَىٰ بِرَوَاجِعٍ ... عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا
سَلاَمٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا فَمَا هِيَ رَاحَةٌ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ شَمْلِي وَشَمْلُكُمُ مَعَا
وَلاَ مَرْحَباً بِٱلرَّبْعِ لَسْتُمْ حُلُولَهُ ... وَلَوْ كَانَ مُخْضَلَّ ٱلْجَوَانِبِ مُمْرِعَا
فَمَاءٌ بِلاَ مَرْعىً وَمَرْعىً بِغَيْرِ مَا ... وَحَيْثُ أَرَىٰ مَاءً وَمَرْعىً فَمُسْبِعَا

* * *

سويد بن أبي كاهل :

رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظاً قَلْبَهُ ... قَدْ تَمَنَّىٰ لِيَ شَرّاً لَمْ يُطَعْ
وَيَرَانِي كَٱلشَّجَا فِي حَلْقِهِ ... عَسِراً مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعْ
مُزْبِدٌ يَخْطُرُ مَا لَمْ يَرَنِي ... فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي ٱنْقَمَعْ
قَدْ كَفَانِي ٱللهُ مَا فِي نَفْسِهِ ... وَمَتَىٰ لَمْ يَكْفِ شَيْئاً لَمْ يُضَعْ
بِئْسَ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِي ... مَطْعَمٌ وَخْمٌ وَدَاءٌ يُدَّرَعْ
لَمْ يَضُرْنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي ... فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ مَا يَزْقُو ٱلضُّوَعْ

وَيُحَيِّينِــــــــي إِذَا لاَقَيْتُــــــــهُ		وَإِذَا يَحْلُــو لَــهُ لَحْمِــي رَتَــعْ
أَتُــرِيــدُونَ سُقُــوطِــي بَعْــدَ مَــا		سَطَــعَ ٱلشَّيْــبُ بِــرَأْسِــي وَلَمَــعْ

* * *

أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِــنَ ٱلْمَنُــونِ وَرَيْبِهَــا تَتَــوَجَّــعُ		وَٱلــدَّهْــرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قَالَتْ أُمَيْمَةُ : مَا لِجِسْمِكَ شَاحِباً		مُنْــذُ ٱبْتَــذَلْــتَ وَمِثْلُ مَــالِــكَ يَنْفَــعُ
أَمْ مَــا لِجَنْبِــكَ لاَ يُــلاَئِــمُ مَضْجَعــاً		إِلاَّ أَقَــضَّ عَلَيْــكَ ذَاكَ ٱلْمَضْجَــعُ
فَــأَجَبْتُهَــا أَنْ مَــا لِجِسْمِــي أَنَّــهُ		أَوْدَىٰ بَنِــيَّ مِــنَ ٱلْبِــلاَدِ فَــوَدَّعُــوا
أَوْدَىٰ بَنِــيَّ وَأَعْقَبُــونِــي غُصَّــةً		بَعْــدَ ٱلــرُّقَــادِ وَعَبْــرَةً لاَ تُقْلِــعُ
سَبَقُــوا هَــوَيَّ وَأَعْنَقُــوا لِهَــوَاهُــمُ		فَتُخُــرِّمُــوا وَلِكُــلِّ جَنْــبٍ مَصْــرَعُ
فَغَبَــرْتُ بَعْــدَهُــمُ بِعَيْــشٍ نَــاصِــبٍ		وَإِخَــالُ أَنِّــي لاَحِــقٌ مُسْتَتْبَــعُ
وَلَقَــدْ حَــرَصْــتُ بِــأَنْ أُدَافِــعَ عَنْهُــمُ		فَــإِذَا ٱلْمَنِيَّــةُ أَقْبَلَــتْ لاَ تُــدْفَــعُ
وَإِذَا ٱلْمَنِيَّــةُ أَنْشَبَــتْ أَظْفَــارَهَــا		أَلْفَيْــتَ كُــلَّ تَمِيمَــةٍ لاَ تَنْفَــعُ
حَتَّــىٰ كَــأَنِّــي لِلْحَــوَادِثِ مَــرْوَةٌ		بِصَفَــا ٱلْمُشَــرَّقِ كُــلَّ يَــوْمٍ تُقْــرَعُ

* * *

ابن زريق البغدادي :

لاَ تَعْــذِلِيــهِ فَــإِنَّ ٱلْعَــذْلَ يُــولِعُــهُ		قَــدْ قُلْــتِ حَقّــاً وَلَكِــنْ لَيْسَ يَسْمَعُــهُ
جَــاوَزْتِ فِــي نُصْحِــهِ حَــدّاً أَضَــرَّ بِــهِ		مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتِ أَنَّ ٱلنُّصْحَ يَنْفَعُهُ
أَسْتَــوْدِعُ ٱللهَ فِــي بَغْــدَادَ لِــي قَمَــراً		بِــٱلْكَــرْخِ مِــنْ فَلَــكِ ٱلأَزْرَارِ مَطْلَعُــهُ
وَدَّعْتُــهُ وَبِــوُدِّي لَــوْ يُــوَدِّعُنِــي		صَفْــوُ ٱلْحَيَــاةِ وَأَنِّــي لاَ أُوَدِّعُــهُ
وَكَــمْ تَشَفَّــعَ بِــي أَنْ لاَ أُفَــارِقَــهُ		وَلِلضَّــرُورَاتِ حَــالٌ لاَ تُشَفِّعُــهُ

وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ ٱلرَّحِيلِ ضُحَىً وَأَدْمُعِـــي مُسْتَهِــلاَّتٍ وَأَدْمُعُــــهُ
هَـلِ ٱلـزَّمَـانُ مُعِيـدٌ فِيـكَ لَـذَّتنَـا أَمِ ٱللَّيَـالِـي ٱلَّتِـي أَمْضَتْـهُ تُـرْجِعُـهُ

* * *

الحسين بن مطير :

أَلِمَّــا بِمَعْــنٍ ثُــمَّ قُــولاَ لِقَبْـرِهِ سَقَتْكَ ٱلْغَـوَادِي مَـرْبَعـاً ثُـمَّ مَـرْبَعَـا
فَيَـا قَبْـرَ مَعْـنٍ كُنْـتَ أَوَّلَ حُفْـرَةٍ مِنَ ٱلأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاحَةِ مَضْجَعَا
وَيَـا قَبْرَ مَعَـنٍ كَيْـفَ وَارَيْـتَ جُـودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ ٱلبَرُّ وٱلْبَحْرُ مُتْرَعَا
بَلَىٰ قَدْ وَسِعْتَ ٱلْجُودَ وٱلْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيّاً ضِقْتَ حَتَّىٰ تَصَدَّعَا
وَلَمَّا مَضَىٰ مَعْنٌ مَضَى ٱلْجُودُ وَٱنْقَضَى وَأَصْبَـحَ عِـرْنِيـنُ ٱلْمَكَـارِمِ أَجْـدَعَـا
فَتَىً عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ ٱلسَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعَا
وَلَـوْ أَنَّنِـي أَنْصَفْتُـكَ ٱلْـوُدَّ لَـمْ أَبِـتْ خِلاَفَكَ حَتَّىٰ نَنْطَوِي فِي ٱلرَّدَىٰ مَعَا

* * *

قطري بن الفجاءة :

أَقُــولُ لَهَــا وَقَـدْ طَـارَتْ شَعَـاعـاً مِنَ ٱلأَبْطَالِ : وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي
فَــإِنَّــكِ لَــوْ سَــأَلْــتِ بَقَــاءَ يَـوْمٍ عَلَى ٱلأَجَلِ ٱلَّذِي لَكِ لَمْ تُطَاعِي
فَصَبْـراً فِـي مَجَـالِ ٱلْمَـوْتِ صَبْـراً فَمَــا نَيْــلُ ٱلْخُلُــودِ بِمُسْتَطَــاعِ
وَلاَ ثَــوْبُ ٱلْبَقَــاءِ بِثَــوْبِ عِــزٍّ فَيُطْـوَىٰ عَـنْ أَخِـي ٱلْخَنَـعِ ٱلْيَـرَاعِ
سَبِيـلُ ٱلْمَـوْتِ غَـايَـةُ كُـلِّ حَـيٍّ فَـدَاعِيــهِ لِأَهْـلِ الأَرْضِ دَاعِــي
وَمَــنْ لاَ يُعْتَبَــطْ يَسْــأَمْ وَيَهْـرَمْ وَتُسْلِمْــهُ ٱلْمَنُــونُ إِلَــى ٱنْقِطَــاعِ
وَمَــا لِلْمَــرْءِ خَيْــرٌ فِــي حَيَــاةٍ إِذَا مَــا عُــدَّ مِــنْ سَقَـطِ ٱلْمَتَــاعِ

* * *

ابن زيدون :

وَدَّعَ ٱلصَّبْــرَ مُحِــبٌّ وَدَّعَــكْ ذَائِــعٌ مِــنْ سِــرِّهِ مَــا ٱسْتَــوْدَعَــكْ
يَقْــرَعُ ٱلسِّــنَّ عَلَــىٰ أَنْ لَــمْ يَكُــنْ زَادَ فِــي تِلْــكَ ٱلْخُطَــا إِذْ شَيَّعَــكْ
يَــا أَخَــا ٱلْبَــدْرِ سَنَــاءً وَسَنــاً حَفِــظَ ٱللهُ زَمَــانــاً أَطْلَعَــكْ
إِنْ يَطُــلْ بَعْــدَكَ لَيْلِــي فَلَكَــمْ بِــتُّ أَشْكُــو قِصَــرَ ٱللَّيْــلِ مَعَــكْ

* * *

أحمد شوقي :

جَبَــلَ ٱلتَّــوْبَــادِ حَيَّــاكَ ٱلْحَيَــا وَسَقَــى ٱللهُ زَمَــانــاً وَرَعَــى
فِيــكَ نَــاغَيْنَــا ٱلْهَــوَىٰ فِــي مَهْــدِهِ وَرَضِعْنَــاهُ فَكُنْــتَ ٱلْمُــرْضِعَــا
وَحَــدَوْنَــا ٱلشَّمْــسَ فِــي مَغْــرِبِهَــا وَبَكَــرْنَــا فَسَبَقْنَــا ٱلْمَطْلِعَــا
وَخَطَطْنَــا فِــي نَقَــى ٱلــرَّمْــلِ فَلَــمْ تَحْفَــظِ ٱلــرِّيــحُ وَلاَ ٱلــرَّمْــلُ وَعَــى
كُلَّمَــا جِئْتُــكَ رَاجَعْــتُ ٱلصِّبَــا فَــأَبَــتْ أَيَّــامُــهُ أَنْ تَــرْجِعَــا
قَــدْ يَهُــونُ ٱلْعُمْــرُ إِلاَّ سَــاعَــةً وَتَهُــونُ ٱلأَرْضُ إِلاَّ مَــوْضِعَــا

* * *

البحتري :

إِذَا ٱفْتَــرَقُــوا عَــنْ وَقْعَــةٍ جَمَعَتْهُــمُ لأُخْــرَىٰ دِمَــاءٌ مَــا يُطَــلُّ نَجِيعُهَــا
تَــذُمُّ ٱلْفَتَــاةُ ٱلــرُّؤْدُ شِيمَــةَ بَعْلِهَــا إِذَا بَــاتَ دُونَ ٱلثَّــأْرِ وَهْــوَ ضَجِيعُهَــا
وَفُرْسَــانُ هَيْجَــاءٍ تَجِيــشُ صُــدُورُهَــا بِــأَحْقَــادِهَــا حَتَّــىٰ تَضِيــقَ دُرُوعُهَــا
تُقَتِّــلُ مِــنْ وِتْــرٍ أَعَــزَّ نُفُــوسِهَــا عَلَيْهَــا بِــأَيْــدٍ مَــا تَكَــادُ تُطِيعُهَــا
إِذَا ٱحْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرَتِ ٱلْقُرْبَىٰ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا
شَــوَاجِــرُ أَرْمَــاحٍ تُقَطِّــعُ بَيْنَهُــمْ شَــوَاجِــرَ أَرْحَــامٍ مَلُــومٍ قُطُــوعُهَــا

الصمة القشيري :

حَنَنْتَ إِلَىٰ رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ ... مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشِعْبَاكُمَا مَعَا
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَدَاعَ مُفَارِقٍ ... وَلَمْ تَرَ شِعْبَيْ صَاحِبَيْنِ تَقَطَّعَا
بَكَتْ عَيْنُكَ ٱلْيُمْنَىٰ وَلَمَّا زَجَرْتُهَا ... عَنِ ٱلْغَيِّ بَعْدَ ٱلرُّشْدِ أَسْبَلَتَا مَعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا ... وَجَالَتْ بَنَاتُ ٱلشَّوْقِ تَحْتِيَ نُزَّعَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ ٱلْحِمَىٰ ثُمَّ أَنْثَنِي ... عَلَىٰ كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
أَمَا وَجَلاَلِ ٱللهِ لَوْ تَذْكُرِينَنِي ... كَذِكْرَاكِ مَا نَهْنَهْتِ لِلْعَيْنِ مَدْمَعَا
فَقَالَتْ : بَلَىٰ وَٱللهِ ذِكْراً لَوَ ٱنَّهُ ... تَضَمَّنَهُ صُمُّ ٱلصَّفَا لَتَصَدَّعَا

* * *

لقيط بن يعمر :

فَقَلِّدُوا أَمْرَكُمُ للهِ دَرُّكُمُ ... رَحْبَ ٱلذِّرَاعِ بِأَمْرِ ٱلْحَرْبِ مُضْطَلِعَا
لاَ يَطْعَمُ ٱلنَّوْمَ إِلاَّ رَيْثَ يَبْعَثُهُ ... هَمٌّ يَكَادُ سَنَاهُ يَقْصِمُ ٱلْضِّلَعَا
لاَ مُتْرِفاً إِنْ رَخَاءُ ٱلْعَيْشِ سَاعَدَهُ ... وَلاَ إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا
مَا زَالَ يَحْلُبُ دَرَّ ٱلدَّهْرِ أَشْطُرَهُ ... يَكُونُ مُتَّبِعاً طَوْراً وَمُتَّبَعَا
حَتَّى ٱسْتَمَرَّتْ عَلَىٰ شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ... مُسْتَحْكِمَ ٱلرَّأْيِ لاَ قَحْماً وَلاَ ضَرَعَا

* * *

متمم بن نويرة اليربوعي :

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكٍ ... وَلاَ جَزِعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
لَقَدْ كَفَّنَ ٱلْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ ... فَتَىً غَيْرَ مِبْطَانِ ٱلْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا
تَرَاهُ كَصَدْرِ ٱلسَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى ... إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ ٱمْرِىءِ ٱلسَّوْءِ مَطْمَعَا
وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جُذَيْمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ ٱلدَّهْرِ حَتَّىٰ قِيلَ : لَنْ يَتَصَدَّعَا

فَلَمَّـا تفَـرَّقْنَـا كَـأَنِّـي وَمَـالِكـاً   لِطُـولِ ٱجْتِمَـاعٍ لَـمْ نَبِـتْ لَيْلَـةً مَعَـا
فَـإِنْ تكُـنِ ٱلأَيَّـامُ فَـرَّقْـنَ بَيْنَنَـا   فقَدْ بَانَ مَحْمُوداً أَخِي حِينَ وَدَّعَا
سَقَـى ٱللهُ أَرْضـاً حَلَّهَـا قَبْـرُ مَـالِـكٍ   ذَهَابَ ٱلْغَوَادِي ٱلْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
تَحِيَّتُـــهُ مِنِّـي وَإِنْ كَـانَ نَـائِيـاً   وَأَمْسَـىٰ تُـرَاباً فَـوْقَـهُ ٱلأَرْضُ بِلْقَعَـا

* * *

المتنبي :

غَيْـرِي بِـأَكْثَـرِ هَـٰذَا ٱلنَّـاسِ يَنْخَـدِعُ   إِنْ قَاتَلُوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجُعُوا
أَهْـلُ ٱلْحَفِيظَـةِ إِلاَّ أَنْ تُجَـرِّبُهُـمْ   وَفِـي ٱلتَّجَـارِبِ بَعْـدَ ٱلْغَـيِّ مَـا يَـزَعُ
وَمَا ٱلْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمَتْ   أَنَّ ٱلْحَيَـاةَ كَمَـا لاَ تَشْتَهِـي طَبَـعُ
لاَ تَحْسَبُوا مَنْ أَسَرتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ   فَلَيْـسَ يَـأْكُـلُ إِلاَّ ٱلْمَيِّـتَ ٱلضَّبُـعُ
مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ ٱلشَّمْسِ مَوْضِعَهُ   فَلَيْـسَ يَـرْفَعُـهُ شَـيْءٌ وَلاَ يَضَـعُ
لَقَـدْ أَبَـاحَـكَ غِشّـاً فِـي مُعَـامَلَـةٍ   مَـنْ كُنْـتَ مِنْـهُ بِغَيْـرِ ٱلصـدْقِ تَنْتَفِـعُ
إِنَّ ٱلسِّلاَحَ جَمِيعُ ٱلنَّاسِ تَحْمِلُـهُ   وَلَيْسَ كُـلُّ ذَوَاتِ ٱلْمِخْلَبِ ٱلسَّبُعُ

* * *

شاعر :

يَا مَنْ يَرَىٰ مَا فِي ٱلضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ   أَنْـتَ ٱلْمُعَـدُّ لِكُـلِّ مَـا يُتَـوَقَّـعُ
يَـا مَـنْ يُـرَجَّـىٰ لِلشَّـدَائِـدِ كُلِّهَـا   يَـا مَـنْ إِلَيْـهِ ٱلْمُشْتَكَـىٰ وَٱلْمَفْـزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ   ٱمْنُـنْ فَـإِنَّ ٱلْخَيْـرَ عِنْـدَكَ أَجْمَـعُ
مَـا لِـي سِوَىٰ فَقْـرِي إِلَيْكَ وَسِيلَـةٌ   فَبِـٱلافْتِقَـارِ إِلَيْـكَ فَقْـرِي أَدْفَـعُ
مَـا لِـي سِـوَىٰ قَـرْعِـي لِبَـابِكَ حِيْلَـةٌ   فَلَئِـنْ رُدِدْتُ فَـأَيَّ بَـابٍ أَقْـرَعُ
وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِٱسْمِهِ   إِنْ كَـانَ فَضْلُـكَ عَـنْ فَقِيـرِكَ يُمْنَـعُ

حَاشَا لِجُودِكَ أَنْ تُقَنِّطَ عَاصِياً ... أَلْفَضْلُ أَجْزَلُ وَٱلْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

* * *

ليلى التغلبية :

فَيَا شَجَرَ ٱلْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً ... كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ٱبْنِ طَرِيفِ

فَلاَ تَجْزَعَا يَا ٱبْنَيْ طَرِيفٍ فَإِنَّنِي ... أَرَى ٱلْمَوْتَ وَقَّاعاً بِكُلِّ شَرِيفِ

أَلاَ يَا لِقَوْمٍ لِلنَّوَائِبِ وَٱلرَّدَى ... وَدَهْرٍ مُلِحٍّ بِٱلْكِرَامِ عَنِيفِ

وَلِلْبَدْرِ مِنْ بَيْنِ ٱلْكَوَاكِبِ إِذْ هَوَى ... وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُسُوفِ

وَلِلَّيْثِ فَوْقَ ٱلنَّعْشِ إِذْ يَحْمِلُونَهُ ... إِلَىٰ حُفْرَةٍ مَلْحُودَةٍ وَسُقُوفِ

وَقُلْنَ وَقَدْ أَبْرَزْنَ بَعْدَكَ لِلْوَرَى ... مَعَاتِدَ حَلْيٍ مِنْ بُرَىً وَشُنُوفِ

حَلِيفُ ٱلنَّدَىٰ إِنْ عَاشَ يَرْضَىٰ بِهِ ٱلنَّدَى ... وَإِنْ مَاتَ لاَ يَرْضَى ٱلنَّدَىٰ بِحَلِيفِ

فَقَدْنَاهُ فُقْدَانَ ٱلرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا ... فَدَيْنَاهُ مِنْ دَهْمَائِنَا بِأُلُوفِ

* * *

الطرماح :

وَإِنِّي لَقَيَّادٌ جَوَادِي فَقَاذِفٌ ... بِهِ وَبِنَفْسِي ٱلْيَوْمَ إِحْدَى ٱلْمَتَالِفِ

لأَكْسِبَ مَالاً أَوْ أَؤُوبَ إِلَىٰ غِنَىً ... مِنَ ٱللهِ يَكْفِينِي ٱمْتِنَانُ ٱلْخَلاَئِفِ

فَيَا رَبِّ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِي فَلاَ تَكُنْ ... عَلَىٰ شَرْجَعٍ يُكْسَىٰ بِخُضْرِ ٱلْمَطَارِفِ

وَلَكِنَّ قَبْرِي بَطْنُ نَسْرٍ مَقِيلُهُ ... بِجَوِّ سَمَاءٍ فِي نُسُورٍ عَوَائِفِ

وَأُمْسِي شَهِيداً ثَاوِياً فِي عِصَابَةٍ ... يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ ٱلأَرْضِ خَائِفِ

فَوَارِسُ أَشْتَاتٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ... هُدَى ٱللهِ نَزَّالُونَ عِنْدَ ٱلْمَوَاقِفِ

* * *

المعري :

وَمَا ٱزْدُهِيتُ وَأَثْوابُ ٱلصِّبَا جُدُدٌ فَكَيْفَ أُزْهَىٰ بِثَوْبٍ مِنْ صِباً خَلَقِ
فَرَتِّبِ ٱلنَّظْمَ تَرْتِيبَ ٱلْحُلِيِّ عَلَى شَخْصِ ٱلْجَلِيِّ بِلاَ طَيْشٍ وَلاَ خَرَقِ
أَلْحِجْلُ لِلرِّجْلِ وَٱلتَّاجُ ٱلْمُنِيفُ لِمَا فَوْقَ ٱلْحِجَاجِ وَعِقْدُ ٱلدُّرِّ لِلْعُنُقِ
لاَ تنْسَ لِي نَفَحَاتِي وَٱنْسَ لِي زَلَلِي وَلاَ يَضُرُّكَ خَلْقِي وَٱتَّبِعْ خُلُقِي
فَرُبَّمَا ضَرَّ خِلٌّ نَافِعٌ أَبَداً كَٱلرِّيقِ يَحْدُثُ مِنْهُ عَارِضُ ٱلشَّرَقِ

* * *

الأعشىٰ :

لَعَمْرِي لَقَدْ لاَحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَىٰ ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تُحَرَّقُ
تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى ٱلنَّارِ ٱلنَّدَىٰ وَٱلْمُحَلَّقُ
رَضِيعَيْ لِبَانِ ثَدْيَ أُمٍّ تَحَالَفَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لاَ نَتَفَرَّقُ
تَرَى ٱلْجُودَ يَجْرِي ظَاهِراً فَوْقَ وَجْهِهِ كَمَا زَانَ مَتْنَ ٱلْهِنْدُوَانِيِّ رَوْنَقُ
نَفَى ٱلذَّمَّ عَنْ آلِ ٱلْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ ٱلشَّيْخِ ٱلْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ
أَبَا مِسْمَعٍ سَارَ ٱلَّذِي قَدْ صَنَعْتُمُ فَأَنْجَدَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَعْرَقُوا
وَإِنَّ عِتَاقَ ٱلْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ثَنَاءٌ عَلَىٰ أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ
بِهِ تُنْفَضُ الأَحْلاَسُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَتُعْقَدُ أَطْرَافُ ٱلْحِبَالِ وَتُطْلَقُ
يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ وَأُخْرَىٰ إِذَا مَا ضُنَّ بِٱلزَّادِ تُنْفِقُ

* * *

قتيلة بنت النضر :

يَا رَاكِباً إِنَّ ٱلأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
بَلِّغْ بِهِ مَيْتاً فَإِنَّ تَحِيَّةً مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا ٱلرَّكَائِبُ تَخْفُقُ

مِنِّـي إِلَيْـكَ وَعَبْـرَةً مَسْفُـوحَـةً　　جَـادَتْ بِـوَاكِفِهَـا وَأُخْـرَىٰ تَخْنُـقُ
هَـلْ يَسْمَعَـنَّ ٱلنَّضْـرُ إِنْ نَـادَيْتُـهُ　　أَمْ كَيْـفَ يَسْمَـعُ مَيِّـتٌ أَوْ يَنْطِـقُ
أَمُحَمَّـدٌ يَـا خَيْـرَ ضَـنْءِ كَـرِيمَـةٍ　　فِـي قَـوْمِهـا وَٱلْفَحْـلُ فَحْـلٌ مُعْـرِقُ
مَـا كَـانَ ضَـرَّكَ لَـوْ مَنَنْـتَ وَرُبَّمَـا　　مَـنَّ ٱلْفَتَـىٰ وَهُـوَ ٱلمَغِيـظُ ٱلْمُحْنَـقُ
فَـٱلنَّضْـرُ أَقْـرَبُ مَـنْ أَسَـرْتَ قَـرَابَـةً　　وَأَحَقُّهُـمْ إِنْ كَـانَ عِتْـقٌ يُعْتَـقُ
ظَلَّـتْ سُيُـوفُ بَنِـي أَبِيـهِ تَنُـوشُـهُ　　للهِ أَرْحَـامٌ هُنَـاكَ تَشَقَّـقُ
صَبْـراً يُقَـادُ إِلَـى ٱلْمَنِيَّـةِ مُتْعَبـاً　　رَسْـفَ ٱلْمُقَيَّـدِ وَهْـوَ عَـانٍ مُـوثَـقُ

* * *

أحمد شوقي :

سَـلاَمٌ مِـنْ صَبَـا بَـرَدَىٰ أَرَقُّ　　وَدَمْـعٌ لاَ يُكَفْكَـفُ يَـا دِمَشْـقُ
وَمَعْـذِرَةُ ٱلْيَـرَاعَـةِ وَٱلْقَـوَافِـي　　جَـلاَلُ ٱلـرُّزْءِ عَـنْ وَصْـفٍ يَـدِقُّ
وَلِلْمُسْتَعْمِـرِيـنَ وَإِنْ أَلاَنُـو　　قُلُـوبٌ كَـٱلْحِجَـارَةِ لاَ تَـرِقُّ
دَمُ ٱلثُّـوَّارِ تَعْـرِفُـهُ فَـرَنْسَـا　　وَتَعْلَـمُ أَنَّـهُ نُـورٌ وَحَـقُّ
بَنِـي سُـورِيَّـةَ ٱطَّـرِحُـوا ٱلأَمَـانِـي　　وَأَلْقُـوا عَنْكُـمُ ٱلأَحْـلاَمَ أَلْقُـوا
فَمِـنْ خِـدَعِ ٱلسِّيَـاسَـةِ أَنْ تُغَـرُّوا　　بِـأَلْقَـابِ ٱلإِمَـارَةِ وَهْـيَ رِقُّ
وَلِـلأَوْطَـانِ فِـي دَمِ كُـلِّ حُـرٍّ　　يَـدٌ سَلَفَـتْ وَدَيْـنٌ مُسْتَحِـقُّ
وَمَـنْ يَسْقِـي وَيَشْـرَبُ بِـٱلْمَنَـايَـا　　إِذَا ٱلأَحْـرَارُ لَـمْ يُسْقَـوْا وَيَسْقُـوا
وَلاَ يَبْنِـي ٱلْمَمَـالِـكَ كَـٱلضَّحَـايَـا　　وَلاَ يُـدْنِـي ٱلْحُقُـوقَ وَلاَ يُحِـقُّ
فَفِـي ٱلْقَتْلَـىٰ لِأَجْيَـالٍ حَيَـاةٌ　　وَفِـي ٱلأَسْـرَىٰ فِـدَىً لَهُـمُ وَعِتْـقُ
وَلِلْحُـرِّيَّـةِ ٱلْحَمْـرَاءِ بَـابٌ　　بِكُـلِّ يَـدٍ مُضَـرَّجَـةٍ يُـدَقُّ

* * *

أبو محجن الثقفي :

لاَ تَسْـأَلِ ٱلنَّـاسَ مَـا مَـالِـي وَكَثْـرَتَـهُ ... وَسَائِلِ ٱلنَّاسَ مَا جُودِي وَمَا خُلُقِي
أُعْطِي ٱلْحُسَامَ غَدَاةَ ٱلرَّوْعِ حِصَّتَهُ ... وَعَـامِـلُ ٱلـرُّمْـحِ أَرْوِيـهِ مِـنَ ٱلْعَلَـقِ
وَأَطْعَنُ ٱلطَّعْنَةَ ٱلنَّجْلاَءَ عَنْ عَرَضٍ ... وَأَكْتُـمُ ٱلسِّـرَّ فِيـهِ ضَـرْبَـةَ ٱلْعُنُـقِ
وَيَعْلَـمُ ٱلنَّـاسُ أَنِّـي مِـنْ سَـرَاتِهِـمُ ... إِذَا سَمَـا بَصَـرُ ٱلـرِّعْـدِيـدِ بِـٱلْفَـرَقِ

❋ ❋ ❋

المتنبي :

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ ٱلْعِشْقُ قَلْبَهُ ... وَلَكِـنَّ مَـنْ يُبْصِـرْ جُفُـونَـكِ يَعْشَـقِ
وَأَحْلَى ٱلْهَوَىٰ مَا شَكَّ فِي ٱلْوَصْلِ رَبُّهُ ... وَفِي ٱلْهَجْرِ فَهْوَ ٱلدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي
وَمَـا كُـلُّ مَـنْ يَهْـوَىٰ يَعِـفُّ إِذَا خَـلاَ ... عَفَافِي وَيُرْضِي ٱلْحِبَّ وَٱلْخَيْلُ تَلْتَقِي
إِذَا مَـا لَبِسْـتَ ٱلـدَّهْـرَ مُسْتَمتِعـاً بِـهِ ... تَخَـرَّقْـتَ وَٱلْمَلْبُـوسُ لَـمْ يَتَخَـرَّقِ
ضَـرُوبٌ بِـأَطْـرَافِ ٱلسُّيُـوفِ بَنَـانُـهُ ... لَعُـوبٌ بِـأَطْـرَافِ ٱلْكَـلاَمِ ٱلْمُشَقَّـقِ
وَإِطْـرَاقُ طَـرْفِ ٱلْعَيْـنِ لَيْـسَ بِنَـافِـعٍ ... إِذَا كَانَ طَرْفُ ٱلْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ
وَمَا يَنْصُرُ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ عَلَى ٱلْعِدَا ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ ٱلسَّعِيدِ ٱلْمُوَفَّقِ

❋ ❋ ❋

الشريف الرضي :

يَـا ظَبْيَـةَ ٱلْبَـانِ تَـرْعَـىٰ فِـي خَمَـائِلِـهِ ... لِيَهْنِـكِ ٱلْيَـوْمَ أَنَّ ٱلْقَلْـبَ مَـرْعَـاكِ
أَلْمَـــاءُ عِنْـدَكِ مَبْـــذُولٌ لِشَـــارِبِـــهِ ... وَلَيْسَ يَرْوِيكِ إِلاَّ مَدْمَعِي ٱلْبَاكِي
هَبَّـتْ لَنَـا مِـنْ رِيَـاحِ ٱلْغَـوْرِ رَائِحَـةٌ ... بَعْـدَ ٱلـرُّقَـادِ عَـرَفْنَـاهَـا بِـرَيَّـاكِ
ثُـمَّ ٱنْثَنَيْنَـا إِذَا مَـا هَـزَّنَـا طَـرَبٌ ... عَلَـى ٱلـرِّحَـالِ تَعَلَّلْنَـا بِـذِكْـرَاكِ
سَهْـمٌ أَصَـابَ وَرَامِيـهِ بِـذِي سَلَـمٍ ... مَـنْ بِـٱلْعِـرَاقِ لَقَـدْ أَبْعَـدْتِ مَـرْمَـاكِ

وَعْدٌ لِعَيْنَيْكِ عِنْدِي مَا وَفَيْتُ بِهِ ... يَا قُرْبَ مَا كَذَبَتْ عَيْنَيَّ عَيْنَاكِ
حَكَتْ لِحَاظُكِ مَا فِي ٱلرِّيمِ مِنْ مِلَحٍ ... يَوْمَ ٱللِّقَاءِ فَكَانَ ٱلْفَضْلُ لِلْحَاكِي
كَأَنَّ طَرْفَكِ يَوْمَ ٱلْجِزْعِ يُخْبِرُنَا ... بِمَا طَوَىٰ عَنْكِ مِنْ أَسْمَاءِ قَتْلَاكِ

* * *

المتنبي :

أَرُوحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَىٰ فُؤَادِي ... بِحُبِّكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَا
وَقَدْ حَمَّلْتَنِي شُكْراً طَوِيلاً ... ثَقِيلاً لاَ أُطِيقُ بِهِ حِرَاكَا
أُحَاذِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى ٱلْمَطَايَا ... فَلاَ تَمْشِي بِنَا إِلاَّ سِوَاكَا
قَدِ ٱسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ ... وَأَقْتَلُ مَا أَعَلَّكَ مَا شَفَاكَا
وَفِي ٱلأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بِوَجْدٍ ... وَآخَرُ يَدَّعِي مَعَهُ ٱشْتِرَاكَا
إِذَا ٱشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ ... تَبَيَّنَ مَنْ بَكَىٰ مِمَّنْ تَبَاكَى

* * *

السموءل :

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ ٱللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وَإِن هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى ٱلنَّفْسِ ضَيْمَهَا ... فَلَيْسَ إِلَىٰ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ سَبِيلُ
تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا ... فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ ٱلْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا ... شَبَابٌ تَسَامَىٰ لِلْعُلاَ وَكُهُولُ
وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا ... عَزِيزٌ وَجَارُ ٱلأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ ... مَنِيعٌ يَرُدُّ ٱلطَّرْفَ وَهْوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ وَسَمَا بِهِ ... إِلَى ٱلنَّجْمِ فَرْعٌ لاَ يُنَالُ طَوِيلُ
هُوَ ٱلأَبْلَقُ ٱلْفَرْدُ ٱلَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ ... يَعِزُّ عَلَىٰ مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ

وَإِنَّـا لَقَـوْمٌ لاَ نَـرَى ٱلْقَتْـلَ سُبَّـةً   إذَا مَـا رَأَتْـهُ عَـامِـرٌ وَسَلُـولُ
يُقَـرِّبُ حُـبُّ ٱلْمَـوْتِ آجَـالَنَـا لَنَـا   وَتَكْـرَهُـهُ آجَـالُهُـمْ فَتَطُـولُ

* * *

ابن الوردي :

اِعْتَـزِلْ ذِكْـرَ ٱلأَغَـانِـي وَٱلْغَـزَلْ   وَقُـلِ ٱلْفَصْـلَ وَجَـانِبْ مَـنْ هَـزَلْ
وَدَعِ ٱلـذِّكْـرَىٰ لأَيَّـامِ ٱلصِّبَـا   فَـلأَيَّـامِ ٱلصِّبَـا نَجْـمٌ أَفَـلْ
إِنَّ أَحْلَـىٰ عِيشَـةٍ قَضَّيْتَهَـا   ذَهَبَـتْ لَـذَّاتُهَـا وَٱلإِثْـمُ حَـلْ
وَٱفْتَكِـرْ فِـي مُنْتَهَـىٰ حُسْـنِ ٱلَّـذِي   أَنْـتَ تَهْـوَاهُ تَجِـدْ أَمْـراً جَلَـلْ
وَٱتَّـقِ ٱللهَ فَتَقْـوَى ٱللهِ مَـا   جَـاوَرَتْ قَلْـبَ ٱمْـرِىءٍ إِلاَّ وَصَـلْ
لَيْـسَ مَـنْ يَقْطَـعُ طُـرْقـاً بَطَـلاً   إِنَّمَـا مَـنْ يَتَّـقِ ٱللهَ ٱلْبَطَـلْ
وَٱهْجُـرِ ٱلْخَمْـرَةَ إِنْ كُنْـتَ فَتَـىً   كَيْـفَ يَسْعَـىٰ فِـي جُنُـونٍ مَـنْ عَقَـلْ
صَـدِّقِ ٱلشَّـرْعَ وَلاَ تَـرْكَـنْ إِلَـى   رَجُـلٍ يَـرْصُـدُ بِـٱللَّيْـلِ زُحَـلْ
حَـارَتِ ٱلأَفْكَـارُ فِـي قُـدْرَةِ مَـنْ   قَـدْ هَـدَانَـا سُبُـلاً عَـزَّ وَجَـلّ
كَتَـبَ ٱلْمَـوْتَ عَلَـى ٱلْخَلْـقِ فَكَـمْ   فَـلَّ مِـنْ جَمْـعٍ وَأَفْنَـىٰ مِـنْ دُوَلْ

* * *

أبو طالب :

وَلَمَّـا رَأَيْـتُ ٱلْقَـوْمَ لاَ وُدَّ فِيهِـمُ   وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ ٱلْعُرَىٰ وَٱلْوَسَائِلِ
وَقَـدْ صَـارَحُـونَـا بِـٱلْعَـدَاوَةِ وَٱلأَذَى   وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْمُزَايِلِ
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ   وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ ٱلْمَقَاوِلِ
وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي   وَأَمْسَكْـتُ مِـنْ أَثْـوَابِـهِ بِـٱلْـوَصَـائِـلِ
وَأَبْيَـضَ يُسْتَسْقَـى ٱلْغَمَـامُ بِـوَجْهِـهِ   ثِمَـالُ ٱلْيَتَـامَـىٰ عِصْمَـةٌ لِـلأَرَامِـلِ

يَلُـوذُ بِـهِ ٱلْهُـلاَّكُ مِـنْ آلِ هَـاشِـمٍ فَهُـمْ عِنْـدَهُ فِـي رَحْمَـةٍ وَفَـوَاضِـلِ
كَـذَبْتُـمْ وَبَيْـتِ ٱللهِ نُبْـزَىٰ مُحَمَّـداً وَلَمَّـا نُطَـاعِـنْ دُونَـهُ وَنُنَـاضِـلِ
وَنُسْلِمُـهُ حَتَّـىٰ نُصَـرَّعَ حَـوْلَـهُ وَنَـذْهَـلَ عَـنْ أَبْنَـائِنَـا وَٱلْحَـلاَئِـلِ
وَيَنْهَـضَ قَـوْمٌ بِـٱلْحَـدِيـدِ إِلَيْكُـمُ نُهُوضَ ٱلرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ ٱلصَّلاصِلِ

* * *

كعب بن زهير :

أُنْبِئْـتُ أَنَّ رَسُـولَ ٱللهِ أَوْعَـدَنِـي وَٱلْعَفْـوُ عِنْـدَ رَسُـولِ ٱللهِ مَـأْمُـولُ
مَهْلاً هَدَاكَ ٱلَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ ٱلْـ ـقُـرْآنِ فِيهَـا مَـوَاعِيـظٌ وَتَفْصِيـلُ
لاَ تَـأْخُـذَنِّي بِـأَقْـوَالِ ٱلْـوُشَـاةِ وَلَـم أُذْنِـبْ وَلَـوْ كَثُـرَتْ عَنِّـي ٱلأَقَـاوِيـلُ
لَقَـدْ أَقُـومُ مَقَـامـاً لَـوْ يَقُـومُ بِـهِ أَرَىٰ وَأَسْمَـعَ مَـا لَـوْ يَسْمَـعُ ٱلْفِيـلُ
لَظَـلَّ يُـرْعَـدُ إِلاَّ أَنْ يَكُـونَ لَـهُ مِـنَ ٱلـرَّسُـولِ بِـإِذْنِ ٱللهِ تَنْـوِيـلُ
حَتَّـىٰ وَضَعْـتُ يَمِينِـي لاَ أُنَـازِعُـهُ فِـي كَـفِّ ذِي نَقِمَـاتٍ قِيلُـهُ ٱلْقِيـلُ
إِنَّ ٱلـرَّسُـولَ لَسَيْـفٌ يُسْتَضَـاءُ بِـهِ مُهَنَّـدٌ مِـنْ سُيُـوفِ ٱللهِ مَسْلُـولُ

* * *

أبو العلاء المعري :

أَلاَ فِي سَبِيلِ ٱلْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ عَفَـافٌ وَإِقْـدَامٌ وَحَـزْمٌ وَنَـائِـلُ
أَعِنْـدِي وَقَـدْ مَـارَسْـتُ كُـلَّ خَفِيَّـةٍ يُصَـدَّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيَّـبُ سَـائِـلُ ؟
وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْجَهْلَ فِي ٱلنَّاسِ فَاشِياً تَجَاهَلْـتُ حَتَّـىٰ ظُـنَّ أَنِّـيَ جَاهِـلُ
فَوَا عَجَباً! كَمْ يَدَّعِي ٱلْفَضْلَ نَاقِصٌ وَوَا أَسَفاً! كَمْ يُظْهِرُ ٱلنَّقْصَ فَاضِلُ
يُنَافِسُ يَـوْمِي فِـيَّ أَمْسِـي تَشَـرُّفـاً وَتَحْسُـدُ أَسْحَـارِي عَلَـيَّ ٱلأَصَـائِـلُ
إِذَا وَصَـفَ ٱلطَّـائِـيَّ بِـٱلْبُخْـلِ مَـادِرٌ وَعَيَّـرَ قُسّـاً بِـٱلْفَهَـاهَـةِ بَـاقِـلُ

وَقَالَ ٱلسُّهَىٰ لِلشَّمْسِ : أَنْتِ خَفِيَّةٌ   وَقَالَ ٱلدُّجَىٰ : يَا صُبْحُ لَوْنُكَ حَائِلُ
وَطَاوَلَتِ ٱلأَرْضُ ٱلسَّمَاءَ سَفَاهَةً   وَفَاخَرَتِ ٱلشُّهْبَ ٱلْحَصَىٰ وَٱلْجَنَادِلُ
فَيَا مَوْتُ زُرْ! إِنَّ ٱلْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ   وَيَا نَفْسُ جِدِّي! إِنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ

* * *

الطغرائي :

حُبُّ ٱلسَّلَامَةِ يُثْنِي عَزْمَ صَاحِبِهِ   عَنِ ٱلْمَعَالِي وَيُغْرِي ٱلْمَرْءَ بِٱلْكَسَلِ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَٱتَّخِذْ نَفَقاً   فِي ٱلأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي ٱلْجَوِّ فَٱعْتَزِلِ
وَدَعْ غِمَارَ ٱلْعُلاَ لِلْمُقْدِمِينَ عَلَى   رُكُوبِهَا وَٱقْتَنِعْ مِنْهُنَّ بِٱلْبَلَلِ
رِضَى ٱلذَّلِيلِ بِخَفْضِ ٱلْعَيْشِ مَسْكَنَةٌ   وَٱلْعِزُّ عِنْدَ رَسِيمِ ٱلأَيْنُقِ ٱلذُّلُلِ
إِنَّ ٱلْعُلاَ حَدَّثَتْنِي وَهْيَ صَادِقَةٌ   فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ ٱلْعِزَّ فِي ٱلنُّقَلِ
أُعَلِّلُ ٱلنَّفْسَ بِٱلآمَالِ أَرْقُبُهَا   مَا أَضْيَقَ ٱلْعَيْشَ لَوْلاَ فُسْحَةُ ٱلأَمَلِ
هَـٰذَا جَزَاءُ ٱمْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُوا   مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّىٰ فُسْحَةَ ٱلأَجَلِ
أَعْدَىٰ عَدُوِّكَ أَدْنَىٰ مَنْ وَثِقْتَ بِهِ   فَحَاذِرِ ٱلنَّاسَ وَٱصْحَبْهُمْ عَلَىٰ دَخَلِ
وَإِنَّمَا رَجُلُ ٱلدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا   مَنْ لاَ يُعَوِّلُ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ رَجُلِ
قَدْ رَشَّحُوكَ لأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ   فَٱرْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَىٰ مَعَ ٱلْهَمَلِ

* * *

يحيى بن سعيد :

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعِلْتُكَ يَافِعاً   تُعَلُّ بِمَا أَجْنِي إِلَيْكَ وَتَنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ آبَتْكَ بِٱلشَّكْوِ لَمْ أَبِتْ   لِشَكْوَاكَ إِلاَّ خَائِفاً أَتَمَلْمَلُ
كَأَنِّي أَنَا ٱلْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِٱلَّذِي   طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنَيَّ تَهْمُلُ
تَخَافُ ٱلرَّدَىٰ نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا   لَتَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ وَقْتٌ مُؤَجَّلُ

وَأَنْ لَيْسَ عَنْ وِرْدِ ٱلْمَنَايَا مُؤَخَّرٌ لِعِـزٍّ وَلاَ عَنْهَـا لِـذُلٍّ مُعَجَّـلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ فِي ٱلْغَايَةِ ٱلَّتِي إِلَيْهَـا مَـدَىٰ مَـا كُنْتُ فِيـكَ أُؤَمِّـلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهاً وَغِلْظَةً كَـأَنَّـكَ أَنْـتَ ٱلْمُنْعِـمُ ٱلْمُتَطَـوِّلُ

* * *

حسان بن ثابت :

لله دَرُّ عِصَـابَـةٍ نَـادَمْتُهُـمْ يَـوْمـاً بِجِلَّـقَ فِـي ٱلـزَّمَـانِ ٱلأَوَّلِ
يَمْشُونَ فِي ٱلْحُلَلِ ٱلْمُضَاعَفِ نَسْجُهَا مَشْـيَ ٱلْجِمَـالِ إِلَـى ٱلْجِمَـالِ ٱلْبُزَّلِ
أَلضَّـارِبُـونَ ٱلْكَبْـشَ يَبْـرُقُ بَيْضُـهُ ضَـرْبـاً يَطِيـحُ لَـهُ بَنَـانُ ٱلْمَفْصِـلِ
وَٱلْخَـالِطُـونَ فَقِيـرَهُـمْ بِغَنِيِّهِـمْ وَٱلْمُنْعِمُونَ عَلَى ٱلضَّعِيفِ ٱلْمُرْمِلِ
أَوْلاَدُ جَفْنَـةَ حَـوْلَ قَبْـرِ أَبِيهِـمُ قَبْـرِ ٱبْنِ مَـارِيَـةَ ٱلْكَرِيـمِ ٱلْمُفْضِـلِ
يُغْشَـوْنَ حَتَّـىٰ مَـا تَهِـرُّ كِـلاَبُهُـمْ لاَ يَسْـأَلُـونَ عَـنِ ٱلسَّـوَادِ ٱلْمُقْبِـلِ
يَسْقُـونَ مَـنْ وَرَدَ ٱلْبَـرِيـصَ عَلَيْهِـمُ بَـرَدَىٰ يُصَفَّـقُ بِـٱلـرَّحِيـقِ ٱلسَّلْسَـلِ
بِيضُ ٱلْـوُجُـوهِ كَـرِيمَـةٌ أَحْسَـابُهُـمْ شُـمُّ ٱلأُنُـوفِ مِـنَ ٱلطِّـرَازِ ٱلأَوَّلِ

* * *

امرؤ القيس :

أَلاَ عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا ٱلطَّلَلُ ٱلْبَالِي وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي ٱلْعُصُرِ ٱلْخَالِي
وَهَـلْ يَعِمَـنْ إِلاَّ سَعِيـدٌ مُخَلَّـدٌ قَلِيـلُ ٱلْهُمُـوم مَـا يَبِيـتُ بِـأَوْجَـالِ
فَلَـوْ أَنَّ مَـا أَسْعَـىٰ لِأَدْنَـىٰ مَعِيشَـةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ ٱلْمَالِ
وَلَكِنَّمَـا أَسْعَـىٰ لِمَجْـدٍ مُـؤَثَّـلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي
وَمَا ٱلْمَرْءُ مَا دَامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ بِمُـدْرِكِ أَطْـرَافِ ٱلْخُطُـوبِ وَلاَ آلِـي

* * *

علي بن الجهم :

لَمْ يَنْصِبُوا بِٱلشَّاذِيَاخِ صَبِيحَةَ ٱلـ　　إِثْنَيْـنِ مَغْمُـوراً وَلاَ مَجْهُـولاَ
نَصَبُـوا بَحَمْـدِ ٱللهِ مِـلْءَ عُيُـونِهِـمْ　　شَـرَفـاً وَمِـلْءَ صُـدُورِهِـمْ تَبْجِيـلاَ
مَـا ٱزْدَادَ إِلاَّ رِفْعَـةً بِنُكُـولِـهِ　　وٱزْدَادَتِ ٱلأَعْـدَاءُ عَنْـهُ نُكُـولاَ
مَـا عَـابَـهُ أَنْ بُـزَّ عَنْـهُ لِبَـاسُـهُ　　فَـٱلسَّيْـفُ أَهْـوَلُ مَـا يُـرَىٰ مَسْلُـولاَ
إِنْ يُبْتَـذَلْ فَـٱلْبَـدْرُ لاَ يُـزْرِي بِـهِ　　أَنْ كَـانَ لَيْلَـةَ تِمِّـهِ مَبْـذُولاَ
أَوْ يَحْبِسُـوهُ فَلَيْـسَ يُحْبَـسُ سَـائِـرٌ　　مِـنْ شِعْـرِهِ يَـدَعُ ٱلْعَـزِيـزَ ذَلِيـلاَ
إِنَّ ٱلْمَصَـايِـبَ مَـا تَعَـدَّتْ دِينَـهُ　　نِعَـمٌ وَإِنْ صَعُبَـتْ عَلَيْـهِ قَلِيـلاَ
لَـنْ تَسْلُبُـوهُ وَإِنْ سَلَبْتُـمْ كُـلَّ مَـا　　خَـوَّلْتُمُـوهُ وَسَـامَـةً وَقَبُـولاَ
هَـلْ تَمْلِكُـونَ لِـدِينِـهِ وَيَقِينِـهِ　　وَجَنَـانِـهِ وَبَيَـانِـهِ تَبْـدِيـلاَ

* * *

أبو تمام :

لَـكَ ٱلْقَلَـمُ ٱلأَعْلَـى ٱلَّـذِي بِشَبَـاتِـهِ　　تُصَابُ مِنَ ٱلأَمْرِ ٱلْكُلَىٰ وَٱلْمَفَاصِلُ
لَـهُ ٱلْخَلَـوَاتُ ٱلـلاَّءِ لَـوْلاَ نَجِيُّهَـا　　لَمَا ٱحْتَفَلَتْ لِلْمُلْكِ تِلْكَ ٱلْمَحَافِلُ
لُعَـابُ ٱلأَفَـاعِـي ٱلْقَـاتِـلاَتِ لُعَـابُـهُ　　وَأَرْيُ ٱلْجَنَى ٱشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
لَـهُ رِيقَـةٌ طَـلٌّ وَلَكِـنَّ وَقْعَهَـا　　بِـآثَـارِهِ فِـي ٱلشَّـرْقِ وَٱلْغَـرْبِ وَابِـلُ
فَصِيـحٌ إِذَا ٱسْتَنْطَقْتَـهُ وَهْـوَ رَاكِـبٌ　　وَأَعْجَـمُ إِنْ خَـاطَبْتَـهُ وَهْـوَ رَاجِـلُ
إِذَا مَا ٱمْتَطَى ٱلْخَمْسَ ٱللِّطَافَ وَأُفْرِغَتْ　　عَلَيْـهِ شِعَـابُ ٱلْفِكْـرِ وَهْـيَ حَـوَافِـلُ
أَطَـاعَتْـهُ أَطْـرَافُ ٱلْقَنَـا وَتَقَـوَّضَـت　　لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ ٱلْخِيَامِ ٱلْجَحَافِلُ
إِذَا ٱسْتَغْزَرَ ٱلذِّهْنَ ٱلذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ　　أَعَالِيهِ فِي ٱلْقِرْطَاسِ وَهْيَ أَسَافِلُ
وَقَـدْ رَفَـدَتْـهُ ٱلْخِنْصِـرَانِ وَشَـدَّدَتْ　　ثَـلاَثَ نَـوَاحِيـهِ ٱلثَّـلاَثُ ٱلأَنَـامِـلُ

رَأَيْتَ جَلِيلاً شَأْنُهُ وَهْوَ مُرْهَفٌ ضَنىً وَسَمِيناً خَطْبُهُ وَهْوَ نَاحِلُ

* * *

المعري :

فَيَا دَارَهَا بِٱلْحَزْنِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ
وَغَنَّتْ لَنَا فِي دَارِ سَابُورَ قَيْنَةٌ مِنَ ٱلْوُرْقِ مِطْرَابُ ٱلأَصَائِلِ مِيْهَالُ
فَقُلْتُ : تَغَنَّيْ كَيْفَ شِئْتِ فَإِنَّمَا غِنَاؤُكِ عِنْدِي يَا حَمَامَةُ إِعْوَالُ
فَيَالَيْتُ مَا تَدْرِي ٱلْحَمَائِمُ بِٱلضُّحَى أَأَطْوَاقُ حُسْنٍ تِلْكَ أَمْ هُنَّ أَغْلَالُ
فَيَا وَطَنِي إِنْ فَاتَنِي بِكَ سَابِقٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ فَلْيَنْعِمْ لِسَاكِنِكَ ٱلْبَالُ
فَإِنْ أَسْتَطِعْ فِي ٱلْحَشْرِ آتِكَ زَائِراً وَهَيْهَاتَ لِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَشْغَالُ

* * *

امرؤ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَىٰ سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّىٰ بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلاَ أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيلُ أَلاَ ٱنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا ٱلإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ ٱلْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

* * *

أبو كبير الهذلي :

وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى ٱلظَّلَامِ بِمَغْشَمٍ جَلْدٍ مِنَ ٱلْفِتْيَانِ غَيْرِ مُهَبَّلِ
مِمَّا حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدٌ حُبُكَ ٱلثِّيَابِ فَشَبَّ غَيْرَ مُثَقَّلِ
حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْؤُودَةٍ كَرْهاً وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ
فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ ٱلْجَنَانِ مُبَطَّناً سُهُداً إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ ٱلْهَوْجَلِ

وَمُبَـرَّأً مِـنْ كُـلِّ غُبَّـرِ حَيْضَـةٍ   وَفَسَـادِ مُـرْضِعَـةٍ وَدَاءٍ مُغْيِـلِ
وَإِذَا نَظَـرْتَ إِلَـىٰ أَسِـرَّةِ وَجْهِـهِ   بَـرَقَـتْ كَبَرْقِ ٱلْعَـارِضِ ٱلْمُتَهَلِّـلِ

* * *

الأحنف العكبري :

مَـنْ أَرَادَ ٱلْمُلْـكَ وَٱلـرَّا   حَـةَ مِـنْ هَـمٍّ طَـوِيـلْ
فَليكُـنْ فَـرْداً مِـنَ ٱلنَّـا   سِ وَيَـرْضَـىٰ بِـٱلْقَلِيـلْ
وَيُـدَاوِي مَـرَضَ ٱلْـوَحْـ   ـدَةِ بِـٱلصَّبْـرِ ٱلْجَمِيـلْ
لاَ يُمَـارِي أَحَـداً مَـا   عَـاشَ فِـي قَـالٍ وَقِيـلْ
يَلْـزَمُ ٱلصَّمْـتَ فَـإِنَّ ٱلصَّـ   ـمْـتَ تَهْـذِيـبُ ٱلْعُقُـولْ
يَـذَرُ ٱلْكِبْـرَ لأَهْلِيـ   ـهِ وَيَـرْضَـىٰ بَـٱلْخُمُـولْ
أَيُّ عَيْـشٍ لِامْـرِىءٍ يُصْـ   ـبِـحُ فِـي حَـالٍ ذَلِيـلْ
بَيْـنَ قَصْـدٍ مِـنْ عَـدُوٍّ   وَمُـدَارَةِ جَهُـولْ
وَٱعْتِـلاَلٍ مِـنْ صَـدِيـقٍ   وَتَجَـنٍّ مِـنْ مَلُـولْ
وَٱحْتِـرَاسٍ مِـنْ ظُنُـونِ ٱلسَّـ   ـوْءِ أَوْ عَـذْلِ عَـذُولْ
وَمُمَـاشَـاةِ بَغِيـضٍ   وَمُقَـاسَـاةِ ثَقِيـلْ
أُفَّ مِـنْ مَعْـرِفَـةِ ٱلنَّـا   سِ عَلَـىٰ كُـلِّ سَبِيـلْ

* * *

معن بن أوس :

لَعَمْـرُكَ مَـا أَهْـوَيْـتُ كَفِّـي لِـرِيبَـةٍ   وَلاَ حَمَلَتْنِـي نَحْـوَ فَـاحِشَـةٍ رِجْلِـي
وَلاَ قَـادَنِـي سَمْعِـي وَلاَ بَصَـرِي لَهَـا   وَلاَ دَلَّنِـي رَأْيِـي عَلَيْهَـا وَلاَ عَقْلِـي
وَأَعْلَـمُ أَنِّـي لَـمْ تُصِبْنِـي مُصِيبَـةٌ   مِنَ ٱلدَّهْرِ إِلاَّ قَدْ أَصَابَتْ فَتًى قَبْلِي

وَلَسْـتُ بِمَـاشٍ مَـا حَيِـتُ لِمُنْكَـرٍ   مِنَ ٱلأَمْرِ لاَ يَمْشِي إِلَىٰ مِثْلِهِ مِثْلِي
وَلاَ مُـؤْثِـراً نَفْسِـي عَلَـىٰ ذِي قَـرَابَـةٍ   وَأُوثِرُ ضَيْفِي ـ ما أَقَامَ ـ عَلَىٰ أَهْلِي

* * *

ابن زيدون :

أَمَقْتُـولَـةَ ٱلْعَيْنَيْـنِ مَـا لَـكِ وَالِهـاً   أَلَـمْ تُـرِكِ ٱلأَيَّـامُ حُـرّاً قَضَـىٰ قَبْلِـي
أَقِلِّـي بُكَـاءً لَسْـتِ أَوَّلَ حُـرَّةٍ   طَوَتْ بِٱلأَسَىٰ كَشْحاً عَلَىٰ مَضَضِ ٱلثُّكْلِ
وَفِـي أُمِّ مُـوسَـىٰ عِبْـرَةٌ أَنْ رَمَـتْ بِـهِ   إِلَى ٱلْيَمِّ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱعْتَبِرِي وَٱسْلِي
وَللهِ فِينَـا عِلْـمُ غَيْـبٍ وَحَسْبُنَـا   بِهِ عِنْدَ جَوْرِ ٱلدَّهرِ مِنْ حكَمٍ عَدْلِ

* * *

ابن الدمينة :

قِفِي قَبْلَ وَشْكِ ٱلْبَيْنِ يَا ٱبْنَةَ مَالِكِ   وَلاَ تَحْـرِمِينَـا نَظْـرَةً مِـنْ جَمَـالِـكِ
لِئِـنْ سَـاءَنِـي أَنْ نِلْتِنِـي بِمَسَـاءَةٍ   فَقَـدْ سَـرَّنِـي أَنِّـي خَطَـرْتُ بِبَـالِـكِ
لِيَهْنَكِ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى ٱلْحَشَا   وَرَقْـرَاقِ دَمْعِـي رَهْبَـةً مِـنْ مَطَـالِـكِ
فَلَوْ قُلْتِ : طَأْ فِي ٱلنَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ   رِضاً لَكِ أَوْ مُدْنٍ لَنَا مِنْ وِصَالِكِ
لَقَـدَّمْـتُ رِجْلِـي نَحْـوَهَـا فَـوَطِئْتُهَـا   هُدَىً مِنْكِ لِي أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلاَلِكِ

* * *

المتنبي :

نُعِـدُّ ٱلْمَشْـرَفِيَّـةَ وَٱلْعَـوَالِـي   وَتَقْتُلُنَـا ٱلْمَنُـونُ بِـلاَ قِتَـالِ
وَنَـرْتَبِـطُ ٱلسَّـوَابِـقَ مُقْـرَبَـاتٍ   وَمَـا يُنْجِيـنَ مِـنْ خَبَـبِ ٱللَّيَـالِـي
وَمَـنْ لَـمْ يَعْشَـقِ ٱلـدُّنْيَـا قَـدِيمـاً   وَلَكِـنْ لاَ سَبِيـلَ إِلَـى ٱلْـوِصَـالِ
نَصِيبُـكَ فِـي حَيَـاتِـكَ مِـنْ حَبِيـبٍ   نَصِيبُـكَ فِـي مَنَـامِـكَ مِـنْ خَيَـالِ

رَمَانِي ٱلدَّهْرُ بِٱلأَرْزَاءِ حَتَّى ... فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ ٱلنِّصَالُ عَلَى ٱلنِّصَالِ
وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بِٱلرَّزَايَا ... لِأَنِّي مَا ٱنْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي
وَلَوْ كَانَ ٱلنِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا ... لَفُضِّلَتِ ٱلنِّسَاءُ عَلَى ٱلرِّجَالِ
وَمَا ٱلتَّأْنِيثُ لاسْمِ ٱلشَّمْسِ عَيْبٌ ... وَلاَ ٱلتَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلاَلِ
يُدَفَّنُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَتَمْشِي ... أَوَاخِرُنَا عَلَىٰ هَامِ ٱلأَوَالِي
فَإِنْ تَفُقِ ٱلأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ ... فَإِنَّ ٱلْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ ٱلْغَزَالِ

* * *

زهير :

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُمْ ... وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا ٱلْقَوْلُ وَٱلْفِعْلُ
وَإِنْ جِئْتَهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ ... مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَىٰ بِأَحْلاَمِهَا ٱلْجَهْلُ
عَلَىٰ مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ ... وَعِنْدَ ٱلْمُقِلِّينَ ٱلسَّمَاحَةُ وَٱلْبَذْلُ
وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوهُ فَإِنَّمَا ... تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ ٱلْخَطِّيَّ إِلاَّ وَشِيجُهُ ... وَتُغْرَسُ إِلاَّ فِي مَنَابِتِهَا ٱلنَّخْلُ

* * *

مروان بن أبي حفصة :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ ... أُسُودٌ لَهَا فِي بَطْنِ جَفَّانَ أَشْبُلُ
بَهَالِيلُ فِي ٱلإِسْلاَمِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ ... كَأَوَّلِهِمْ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمُ ٱلْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا ... أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَمَا يَسْتَطِيعُ ٱلْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ ... وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي ٱلنَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

* * *

الحطيئة :

إِلَى ٱلْقَائِلِ ٱلفعَّالِ عَلْقَمَةَ ٱلنَّدَى رَحلْتُ قَلُوصِي تَجْتَوِيهَا ٱلْمَناهِلُ
يَدَاهُ خَلِيجُ ٱلْبَحْرِ إِحْدَاهُمَا دَماً تَفِيضُ وَأُخْرَىٰ بَحْرُ جُودٍ وَنَائِلُ
فَإِنْ تَحْيَ لاَ أَمْلَل حَيَاتِي وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
وَمَا كَانَ بَيْنِي لَوْ لَقِيتُكَ سَالِماً وَبَيْنَ ٱلْغِنَىٰ إِلاَّ لَيَالٍ قَلاَئِلُ

* * *

شرف الدين :

إِنْ تَحْمِ طَرْفِي أَنْ يَرَاكَ جَعَلْتُ قَلْبِي مَنْزِلَكْ
إِنِّي أَغَارُ إِذَا ٱلأَرَاكُ دَنَا إِلَيْكَ فَقَبَّلَكْ
وَيَرُوعُنِي وَاشِي ٱلنَّسِيمِ إِذَا ثَنَاكَ وَمَيَّلَكْ
مَا أَقْبَحَ ٱلصَّبْرَ ٱلْجَمِيلَ بِعَاشِقِيكَ وَأَجْمَلَكْ
إِنْ تَحْمِ عَيْنِي أَنْ تَرَاكَ جَعَلْتُ قَلْبِي مَنْزِلَكْ

* * *

أبو العلاء المعري :

وَسَأَلْتُ كَمْ بَيْنَ ٱلْعَقِيقِ إِلَى ٱلْغَضَى فَجَزِعْتُ مِنْ أَمَدِ ٱلنَّوَى ٱلْمُتَطَاوِلِ
وَعَذَرْتُ طَيْفَكِ فِي ٱلْجَفَاءِ لأَنَّهُ يَسْرِي فَيُصْبِحُ دُونَنَا بِمَرَاحِلِ
إِنَّ ٱلْبَخِيلَ إِذَا يُمَدُّ لَهُ ٱلْمَدَى فِي ٱلْجُودِ هَانَ عَلَيْهِ وَعْدُ ٱلسَّائِلِ
لاَقَاكِ فِي ٱلْعَامِ ٱلَّذِي وَلَّىٰ فَلَمْ يَسْأَلْكِ إِلاَّ قُبْلَةً فِي قَابِلِ

* * *

أبو العلاء المعري :

طَرِبْنَ لِضَوْءِ ٱلْبَارِقِ ٱلْمُتَعَالِي بِبَغْدَادَ وَهْناً مَا لَهُنَّ وَمَا لِي

فَيَا بَرْقُ لَيْسَ ٱلْكَرْخُ دَارِي وَإِنَّمَا رَمَانِي إِلَيْهِ ٱلدَّهْرُ مُنْذُ لَيَالِ
فَهَلْ فِيكَ مِنْ مَاءِ ٱلْمَعَرَّةِ قَطْرَةٌ تُغِيثُ بِهَا ظَمْآنَ لَيْسَ بِسَالِ
وَإِنِّي تَيَمَّمْتُ ٱلْعِرَاقَ لِغَيْرِ مَا تَيَمَّمَهُ غَيْلاَنُ عِنْدَ بِلاَلِ
فَأَصْبَحْتُ مَحْمُوداً بِفَضْلِيَ وَحْدَهُ عَلَىٰ بُعْدِ أَنْصَارِي وَقِلَّةِ مَالِي
أَرُوحُ فَلاَ أَخْشَى ٱلْمَنَايَا وَأَتَّقِي تَدَنُّسَ عِرْضٍ أَوْ ذَمِيمَ فِعَالِ

* * *

المتنبي :

وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَىٰ أَمَلٍ مِنَ ٱللِّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلاَ أَمَلِ
وَٱلْهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أُرَاقِبُهُ أَنَا ٱلْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ ٱلْبَلَلِ
قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتَهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَىٰ صَابٍ وَلاَ عَسَلِ
وَقَدْ أَرَانِي ٱلشَّبَابُ ٱلرُّوحَ فِي بَدَنِي وَقَدْ أَرَانِي ٱلْمَشِيبُ ٱلرُّوحَ فِي بَدَلِي
خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ ٱلشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ
لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ فَرُبَّمَا صَحَّتِ ٱلأَجْسَامُ بِٱلْعِلَلِ
لِأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لاَ تَكَلَّفُهُ لَيْسَ ٱلتَّكَحُّلُ فِي ٱلْعَيْنَيْنِ كَٱلْكَحَلِ

* * *

المتنبي :

وَمَا شَرَقِي بِٱلْمَاءِ إِلاَّ تَذَكُّراً لِمَاءٍ بِهِ أَهْلُ ٱلْحَبِيبِ نُزُولُ
إِذَا كَانَ بَعْضُ ٱلنَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ فَفِي ٱلنَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ
أَنَا ٱلسَّابِقُ ٱلْهَادِي إِلَىٰ مَا أَقُولُهُ إِذِ ٱلْقَوْلُ قَبْلَ ٱلْقَائِلِينَ مَقُولُ
وَمَا لِكَلاَمِ ٱلنَّاسِ فِيمَا يُرِيبُنِي أُصُولٌ وَلاَ لِلْقَائِلِيهِ أُصُولُ
أُعَادِي عَلَىٰ مَا يُوجِبُ ٱلْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَٱلأَفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ

سِـوَىٰ وَجَـعِ ٱلْحُسَّـادِ دَاوِ فَـإِنَّـهُ إِذَا حَـلَّ فِـي قَلْـبٍ فَلَيْـسَ يَحُـولُ
وَلاَ تَطْمَعَـنْ مِـنْ حَـاسِـدٍ فِـي مَـوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْـتَ تُبْـدِيهَـا لَـهُ وَتُنِيـلُ
وَإِنَّـا لَنَلْقَـى ٱلْحَـادِثَـاتِ بِـأَنْفُسٍ كَثِيـرُ ٱلـرَّزَايَـا عِنْـدَهُـنَّ قَلِيـلُ
يَهُـونُ عَلَيْنَـا أَنْ تُصَـابَ جُسُـومُنَـا وَتَسْلَـمَ أَعْـرَاضٌ لَنَـا وَعُقُـولُ

* * *

المتنبي :

كَدَعْوَاكِ كُلٌّ يَدَّعِي صِحَّةَ ٱلْعَقْلِ وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَدْرِي بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلِ
تُـرِيـدِيـنَ لُقْيَـانَ ٱلْمَعَـالِـي رَخِيصَـةً وَلاَ بُدَّ دُونَ ٱلشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ ٱلنَّحْلِ
وَلَيْـسَ ٱلَّـذِي يَتَّبَّـعُ ٱلْـوَبْـلَ رَائِـداً كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَهْرِهِ رَائِدُ ٱلْوَبْلِ
وَمَـا أَنَـا مِمَّـنْ يَـدَّعِـي ٱلشَّوقَ قَلْبُـهُ وَيَحْتَـجُّ فِـي تَـرْكِ ٱلـزِّيَـارَةِ بِـٱلشُّغْلِ

* * *

المتنبي :

لاَ خَيْـلَ عِنْـدَكَ تُهْـدِيهَـا وَلاَ مَـالُ فَلْيُسْعِدِ ٱلنُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ ٱلْحَالُ
لاَ يُـدْرِكُ ٱلْمَجْـدَ إِلاَّ سَيِّـدٌ فَطِـنٌ لِمَـا يَشُـقُّ عَلَـى ٱلسَّـادَاتِ فَعَّـالُ
لَـوْلاَ ٱلْمَشَقَّـةُ سَـادَ ٱلنَّـاسُ كُلُّهُـمُ أَلْجُـودُ يُفْقِـرُ وَٱلإِقْـدَامُ قَتَّـالُ
وَإِنَّمَـا يَبْلُـغُ ٱلإِنْسَـانُ طَـاقَتَـهُ مَـا كُـلُّ مَـاشِيَـةٍ بِـٱلـرَّحْـلِ شِمْـلاَلُ
إِنَّـا لَفِـي زَمَـنٍ تَـرْكُ ٱلْقَبِيـحِ بِـهِ مِـنْ أَكْثَـرِ ٱلنَّـاسِ إِحْسَـانٌ وَإِجْمَـالُ
ذِكْرُ ٱلْفَتَىٰ عُمْرُهُ ٱلثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَـا قَـاتَـهُ وَفُضُـولُ ٱلْعَيْـشِ أَشْغَـالُ

* * *

المتنبي :

وَاحَـرَّ قَلْبَـاهُ مِمَّـنْ قَلْبُـهُ شَبِـمُ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمُ

مَا لِي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَىٰ جَسَدِي		وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلأُمَمُ
إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ		فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ ٱلْحُبِّ نَقْتَسِمُ
قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ ٱلْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ		وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَٱلسُّيُوفُ دَمُ
فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ ٱللهِ كُلِّهِمِ		وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي ٱلأَحْسَنِ ٱلشِّيَمُ
أَنَا ٱلَّذِي نَظَرَ ٱلأَعْمَىٰ إِلَىٰ أَدَبِي		وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا		وَيَسْهَرُ ٱلْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ
أَلْخَيْلُ وَٱللَّيْلُ وَٱلْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي		وَٱلسَّيْفُ وَٱلرُّمْحُ وَٱلْقِرْطَاسُ وَٱلْقَلَمُ
إِنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا		فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ ٱللَّيْثِ بَارِزَةً		فَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ ٱللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

* * *

إيليا أبو ماضي :

قَالَ : ٱلسَّمَاءُ كَئِيبَةٌ! وَتَجَهَّمَا		قُلْتُ: ٱبْتَسِمْ يَكْفِي ٱلتَّجَهُّمُ فِي ٱلسَّمَا!
قَالَ : ٱلصِّبَا وَلَّى! فَقُلْتُ لَهُ : ٱبْتَسِمْ		لَنْ يُرْجِعَ ٱلأَسَفُ ٱلصِّبَا ٱلْمُتَصَرِّمَا!
قَالَ : ٱلَّتِي كَانَتْ سَمَائِي فِي ٱلْهَوَى		صَارَتْ لِنَفْسِي فِي ٱلْغَرَامِ جَهَنَّمَا
خَانَتْ عُهُودِي بَعْدَ مَا مَلَّكْتُهَا		قَلْبِي فَكَيْفَ أُطِيقُ أَنْ أَتَبَسَّمَا!
قُلْتُ : ٱبْتَسِمْ وَٱطْرَبْ فَلَوْ قَارَنْتَهَا		قَضَّيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ مُتَأَلِّمَا!
قَالَ : ٱلْعِدَىٰ حَوْلِي عَلَتْ صَيْحَاتُهُمْ		أَأُسَرُّ وَٱلأَعْدَاءُ حَوْلِي فِي ٱلْحِمَى ؟
قُلْتُ : ٱبْتَسِمْ لَمْ يَطْلُبُوكَ بِذَمِّهِمْ		لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ أَجَلَّ وَأَعْظَمَا!
قَالَ : ٱللَّيَالِي جَرَّعَتْنِي عَلْقَماً		قُلْتُ: ٱبْتَسِمْ، وَلَئِنْ جَرَعْتَ ٱلْعَلْقَمَا
فَلَعَلَّ غَيْرَكَ إِنْ رَآكَ مُرَنِّماً		طَرَحَ ٱلْكَآبَةَ جَانِباً وَتَرَنَّمَا
أَتُرَاكَ تَغْنَمُ بِٱلتَّبَرُّمِ دِرْهَماً		أَمْ أَنْتَ تَخْسَرُ بِٱلْبَشَاشَةِ مَغْنَما ؟

علي بن عبد العزيز الجرجاني :

يَقُولُونَ لِي : فِيكَ ٱنْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا رَأَوْا رَجُلاً عَنْ مَوْقِفِ ٱلذُّلِّ أَحْجَمَا
أَرَى ٱلنَّاسَ مَنْ دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ ٱلنَّفْسِ أُكْرِمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ ٱلْعِلْمِ مُهْجَتِي لأَخْدُمَ مَنْ لاَقَيْتُ لَكِنْ لأُخْدَمَا
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لاَحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي وَلاَ كُلُّ مَنْ فِي ٱلأَرْضِ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا
وَلَكِنْ إِذَا مَا ٱضْطَرَّنِي ٱلأَمْرُ لَمْ أَزَلْ أُقَلِّبُ فِكْرِي مُنْجِداً ثُمَّ مُتْهِمَا
أَأَشْقَىٰ بِهِ غَرْساً وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً إِذاً فَٱتِّبَاعُ ٱلْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي ٱلنُّفُوسِ لَعُظِّمَا
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَّسُوا مُحَيَّاهُ بِٱلأَطْمَاعِ حَتَّىٰ تَجَهَّمَا

* * *

الفرزدق :

هَـٰذَا ٱلَّذِي تَعْرِفُ ٱلْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ وَٱلْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَٱلْحِلُّ وَٱلْحَرَمُ
هَـٰذَا ٱبْنُ خَيْرِ عِبَادِ ٱللهِ كُلِّهِمِ هَـٰذَا ٱلتَّقِيُّ ٱلنَّقِيُّ ٱلطَّاهِرُ ٱلْعَلَمُ
وَلَيْسَ قَوْلُكَ : مَنْ هَـٰذَا ؟ بِضَائِرِهِ أَلْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَٱلْعَجَمُ
مَا قَالَ : لاَ ، قَطُّ ، إِلاَّ فِي تَشَهُّدِهِ لَوْلاَ ٱلتَّشَهُّدُ كَانَتْ لاَءُهُ نَعَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا : إِلَىٰ مَكَارِمِ هَـٰذَا يَنْتَهِي ٱلْكَرَمُ
يُغْضِي حَيَاءً ، وَيُغْضَىٰ مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إِلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ رُكْنُ ٱلْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

* * *

عمر أبو ريشه :

أُمَّتِي هَلْ لَكِ بَيْنَ ٱلأُمَمِ مِنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ

أَتَلَقَّـاكِ وَطَـرْفِـي مُطْـرِقٌ خَجِـلاً مِـنْ أَمْسِـكِ ٱلْمُنْصَـرِمِ
أَلإِسْـرَائِيـلَ تَعْلُـو رَايَـةٌ فِـي حِمَـى ٱلْمَهْـدِ وَظِـلِّ ٱلْحَـرَمِ
كَيْـفَ أَغْضَيْـتِ عَلَـى ٱلـذُّلِّ وَلَـمْ تَنْفُضِـي عَنْـكِ غُبَـارَ ٱلتُّهَـمِ
أَوَمَـا كُنْـتِ إِذَا ٱلْبَغْـيُ ٱعْتَـدَى مَـوْجَـةً مِـنْ لَهَـبٍ أَوْ مِـنْ دَمِ
رُبَّ (وَامُعْتَصِمَـاهُ) ٱنْطَلَقَـتْ مِـلْءَ أَفْـوَاهِ ٱلْبَنَـاتِ ٱلْيُتَّـمِ
لاَمَسَـتْ أَسْمَـاعَهُـمْ لَكِنَّهَـا لَـمْ تُـلاَمِـسْ نَخْـوَةَ ٱلْمُعْتَصِـمِ

* * *

الحطيئة :

وَطَاوِي ثَلاَثٍ عَاصِبِ ٱلْبَطْنِ مُرْمِلٍ بِتَيْهَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنٌ رَسْمَا
أَخِي جَفْوَةٍ فِيهِ مِنَ ٱلإِنْسِ وَحْشَةٌ يَرَى ٱلْبُؤْسَ فِيهَا مِنْ شَرَاسَتِهِ نُعْمَى
وَأَفْرَدَ فِي شِعْـبٍ عَجُـوزاً إِزَاءَهَـا ثَـلاَثَـةُ أَشْبَـاحٍ تَخَـالُهُـمُ بُهْمَـا
رَأَىٰ شَبَحـاً وَسْـطَ ٱلظَّـلاَمِ فَـرَاعَـهُ فَلَمَّـا بَـدَا ضَيْفـاً تَشَمَّـرَ وَٱهْتَمَّـا
وَقَـالَ : هَيَـا رَبَّـاهُ ضَيْـفٌ وَلاَ قِـرَىً بِحَقِّكَ لاَ تَحْرِمْهُ تَا ٱللَّيْلَةَ ٱللَّحْمَا
وَقَـالَ ٱبْنُـهُ لَمَّـا رَآهُ بِحَيْـرَةٍ : أَيَا أَبَـتِ ٱذْبَحْنِـي وَيَسِّـرْ لَـهُ طَعْمَا
وَلاَ تَعْتَـذِرْ بِـٱلْعُـدْمِ عَـلَّ ٱلَّـذِي طَـرَا يَظُـنُّ لَنَـا مَـالاً فَيُـوسِعُنَـا ذَمَّـا
فَـرَوَّىٰ قَلِيـلاً ثُـمَّ أَحْجَـمَ بُـرْهَـةً وَإِنْ هُـوَ لَـمْ يَـذْبَـحْ فَتَاهُ فَقَـدْ هَمَّـا
فَبَيْنَـا هُمَـا عَنَّـتْ عَلَـى ٱلْبُعْـدِ عَـانَـةٌ قَدِ ٱنْتَظَمَتْ مِنْ خَلْفِ مِسْحَلِهَا نَظْمَا
عِطَاشاً تُرِيدُ ٱلْمَاءَ فَٱنْسَابَ نَحْوَهَا عَلَـىٰ أَنَّـهُ مِنْهَـا إِلَـىٰ دَمِهَـا أَظْمَـا
فَـأَمْهَلَهَـا حَتَّـىٰ تَـرَوَّتْ عِطَـاشَهَـا فَـأَرْسَـلَ فِيهَـا مِـنْ كِنَـانَتِـهِ سَهْمَـا
فَخَرَّتْ نَحُوصٌ ذَاتُ جَحْشٍ سَمِينَةٌ قَدِ ٱكْتَنَزَتْ لَحْماً وَقَدْ طُبِّقَتْ شَحْمَا
فَيَـا بِشْـرَهُ إِذْ جَـرَّهَـا نَحْـوَ قَـوْمِـهِ وَيَا بِشْرَهُمْ لَمَّا رَأَوْا كَلْمَهَا يَدْمَى

فَباتُوا كِراماً قَدْ قَضَوْا حَقَّ ضَيْفِهِمْ وَمَا غَرِمُوا غُرْماً وَقَدْ غَنِمُوا غُنْمَا
وَبَـاتَ أَبُـوهُـمْ مِـنْ بَشَـاشَتِـهِ أَبـاً لِضَيْفِهِـمُ وَٱلأُمُّ مِـنْ بِشْـرِهَـا أُمَّـا

* * *

زهير بن أبي سلمىٰ :

وَمَـنْ لَـمْ يُصَـانِـعْ فِـي أُمُـورٍ كَثِيـرَةٍ يُضَـرَّسْ بِـأَنْيَـابٍ وَيُـوطَـأْ بِمَنْسَـمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِـرْهُ وَمَـنْ لاَ يَتَّـقِ ٱلشَّتْـمَ يُشْتَـمِ
وَمَـنْ يَـكُ ذَا فَضْـلٍ فَيَبْخَـلْ بِفَضْلِـهِ عَلَـىٰ قَـوْمِـهِ يُسْتَغْـنَ عَنْـهُ وَيُـذْمَـمِ
وَمَنْ يُوفِ لاَ يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إِلَـىٰ مُطْمَئِـنِّ ٱلْبِـرِّ لاَ يَتَجَمْجَـمِ
وَمَـنْ هَـابَ أَسْبَـابَ ٱلْمَنَـايَـا يَنَلْنَـهُ وَإِنْ يَـرْقَ أَسْبَـابَ ٱلسَّمَـاءِ بِسُلَّـمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ ٱلْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُـنْ حَمْـدُهُ ذَمّـاً عَلَيْـهِ وَيَنْـدَمِ
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ يُهَـدَّمْ وَمَـنْ لاَ يَظْلِـمِ ٱلنَّـاسَ يُظْلَـمِ

* * *

البوصيري :

أَمِـنْ تَـذَكُّـرِ جِيـرَانٍ بِـذِي سَلَـمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
أَمْ هَبَّتِ ٱلـرِّيحُ مِـنْ تِلْقَـاءِ كَـاظِمَـةٍ وَأَوْمَضَ ٱلْبَرْقُ فِي ٱلظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ
فَمَـا لِعَيْنَيْـكَ إِنْ قُلْـتَ ٱكْفُفَـا هَمَتَـا وَمَـا لِقَلْبِـكَ إِنْ قُلْـتَ ٱسْتَفِـقْ يَهِـمِ
أَيَحْسَـبُ ٱلصَّـبُّ أَنَّ ٱلْحُـبَّ مُنْكَتِـمٌ مَـا بَيْـنَ مُنْسَجِـمٍ مِنْـهُ وَمُضْطَـرِمِ
لَوْلاَ ٱلْهَوَىٰ لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَىٰ طَلَلٍ وَلاَ أَرِقْـتَ لِـذِكْـرِ ٱلْبَـانِ وَٱلْعَلَـمِ
فَكَيْـفَ تُنْكِـرُ حُبّـاً بَعْـدَ مَـا شَهِـدَتْ بِـهِ عَلَيْـكَ عُـدُولُ ٱلـدَّمْـعِ وَٱلسَّقَـمِ
وَأَثْبَتَ ٱلْوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنَىً مِثْـلَ ٱلْبَهَـارِ عَلَـىٰ خَـدَّيْـكَ وَٱلْعَنَـمِ
ظَلَمْتَ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا ٱلظَّلاَمَ إِلَى أَنِ ٱشْتَكَـتْ قَـدَمَـاهُ ٱلضُّـرَّ مِـنْ وَرَمِ

وَٱلنَّفْسُ كَٱلطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى   حُبِّ ٱلرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
فَٱصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ   إِنَّ ٱلْهَوَىٰ مَا تَوَلَّىٰ يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

* * *

المتنبي :

مِنَ ٱلْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ ٱلْجَهْلَ دُونَهُ   إِذَا ٱتَّسَعَتْ فِي ٱلْحِلْمِ طُرْقُ ٱلْمَظَالِمِ
وَأَنْ تَرِدَ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي شَطْرُهُ دَمٌ   فَتُسْقَىٰ إِذا لَمْ يُسْقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ
وَمَنْ عَرَفَ ٱلأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا   وَبِٱلنَّاسِ رَوَّىٰ رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفِرُوا بِهِ   وَلاَ فِي ٱلرَّدَى ٱلْجَارِي عَلَيْهِمْ بِآثِمِ
إِذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِصَائِلٍ   وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ
وَذِي لَجَبٍ لاَ ذُو ٱلْجَنَاحِ أَمَامَهُ   بِنَاجٍ وَلاَ ٱلْوَحْشُ ٱلْمُثَارُ بِسَالِمِ
تَمُرُّ عَلَيْهِ ٱلشَّمْسُ وَهْيَ ضَعِيفَةٌ   تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ ٱلْقَشَاعِمِ
إِذَا ضَوْؤُهَا لاَقَىٰ مِنَ ٱلطَّيْرِ فُرْجَةً   تَدَوَّرَ فَوْقَ ٱلْبَيْضِ مِثْلَ ٱلدَّرَاهِمِ
وَيَخْفَىٰ عَلَيْكَ ٱلْبَرْقُ وَٱلرَّعْدُ فَوْقَهُ   مِنَ ٱللَّمْعِ فِي حَافَاتِهِ وَٱلْهَمَاهِمِ

* * *

يزيد بن معاوية :

وَلَمَّا تَلاَقَيْنَا وَجَدْتُ بَنَانَهَا   مُخَضَّبَةً تَحْكِي عُصَارَةَ عَنْدَمِ
فَقُلْتُ : خَضَبْتِ ٱلْكَفَّ بَعْدِي أَهَكَذَا   يَكُونُ جَزَاءُ ٱلْمُسْتَهَامِ ٱلْمُتَيَّمِ
فَقَالَتْ وَأَلْقَتْ فِي ٱلْحَشَا لاَعِجَ ٱلْجَوَى   مَقَالَةَ مَنْ بِٱلْحُبِّ لَمْ يَتَبَرَّمِ :
بَكَيْتُ دَماً يَوْمَ ٱلنَّوَىٰ فَمَنَعْتُهُ   بِكَفِّيَ فَٱحْمَرَّتْ بَنَانِيَ مِنْ دَمِ
وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً   بِسُعْدَىٰ شَفَيْتُ ٱلنَّفْسَ قَبْلَ ٱلتَّنَدُّمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي ٱلْبُكَى   بُكَاهَا فَقُلْتُ : ٱلْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

حسان بن ثابت :

تبَلَتْ فُؤَادَكَ فِي ٱلْمَنَامِ خَرِيدَةٌ ... تَشْفِي ٱلضَّجِيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ
كَٱلْمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ ... أَوْ عَاتِقٍ كَدَمِ ٱلذَّبِيحِ مُدَامِ
يَا مَنْ لِعَاذِلَةٍ تلُومُ سَفَاهَةً ... وَلَقَدْ عَصيتُ إِلَى ٱلْهَوَىٰ لُوَّامِي
إِنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ ٱلَّذِي حَدَّثْتِنِي ... فَنَجَوْتِ مَنْجَى ٱلْحَارِثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ ٱلأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ ... وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ

* * *

أبو تمام :

مَرَّتْ لَنَا أَعْوَامُ وَصْلٍ بِٱلْحِمَى ... فَكَأَنَّهَا مِنْ قِصْرِهَا أَيَّامُ
ثُمَّ ٱنْثَنَتْ أَيَّامُ هَجْرٍ بَعْدَهَا ... فَكَأَنَّهَا مِنْ طُولِهَا أَعْوَامُ
ثُمَّ ٱنْقَضَتْ تِلْكَ ٱلسُّنُونُ وَأَهْلُهَا ... فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلامُ

* * *

ابن الليانة :

شَكَاتُنَا فِيكَ يَا فَخْرَ ٱلْعُلاَ عَظُمَتْ ... وَٱلرُّزْءُ يَعْظُمُ فِيمَنْ قَدْرُهُ عَظُمَا
طُوِّقْتَ مِنْ نَائِبَاتِ ٱلدَّهْرِ مِخْنَقَةً ... ضَاقَتْ عَلَيْكَ وَكَمْ طَوَّقْتَنَا نِعَمَا
صَرَفْتَ فِي آلَةِ ٱلصَّوَّاغِ أَنْمُلَةً ... لَمْ تَدْرِ إِلاَّ ٱلنَّدَىٰ وَٱلسَّيْفَ وَٱلْقَلَمَا
يَدٌ عَهِدْتُكَ لِلتَّقْبِيلِ تَبْسُطُهَا ... فَتَسْتَقِلُّ ٱلثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ فَمَا
يَا صَائِغاً كَانَتِ ٱلْعَلْيَا تُصَاغُ لَهُ ... حَلْياً وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلْحَلْيُ مُنْتَظِمَا
لِلنَّفْخِ فِي ٱلصُّورِ هَوْلٌ مَا حَكَاهُ سِوَى ... هَوْلٌ رَأَيْنَاكَ فِيهِ تَنْفُخُ ٱلْفَحَمَا
وَدِدْتُ إِذْ نَظَرَتْ عَيْنِي إِلَيْكَ بِهِ ... لَوْ أَنَّ عَيْنَيَّ تَشْكُو قَبْلَ ذَاكَ عَمَى

* * *

المتنبي :

إِذَا غَـامَـرْتَ فِـي شَـرَفٍ مَـرُومِ   فَـلاَ تَقْنَـعْ بِمَـا دُونَ ٱلنُّجُـومِ
فَطَعْـمُ ٱلْمَـوْتِ فِـي أَمْـرٍ صَغِيـرٍ   كَطَعْـمِ ٱلْمَـوْتِ فِـي أَمْـرٍ عَظِيـمِ
وَكُـلُّ شَجَـاعَـةٍ فِـي ٱلْمَـرْءِ تُغْنِـي   وَلاَ مِثْـلَ ٱلشَّجَـاعَـةِ فِـي ٱلْحَكِيـمِ
يَـرَى ٱلْجُبَنَـاءُ أَنَّ ٱلْعَجْـزَ عَقْـلٌ   وَتِلْـكَ خَـدِيعَـةُ ٱلطَّبْـعِ ٱللَّئِيـمِ

* * *

قطري بن الفجاءة :

لاَ يَـرْكَنَـنْ أَحَـدٌ إِلَـى ٱلإِحْجَـامِ   يَـوْمَ ٱلْـوَغَـىٰ مُتَخَـوِّفـاً لِحِمَـامِ
فَلَقَـدْ أَرَانِـي لِلـرِّمَـاحِ دَرِيئَـةً   مِـنْ عَـنْ يَمِينِـي مَـرَّةً وَأَمَـامِـي
حَتَّىٰ خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي   أَكْنَـافَ سِـرْجِي أَوْ عَنَـانَ لِجَامِـي
ثُمَّ ٱنْصَرَفْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أُصَبْ   جَـذَعَ ٱلْبَصِيـرَةِ قَـارِحَ ٱلإِقْـدَامِ

* * *

المتنبي :

فُـؤَادٌ مَـا تُسَلِّيـهِ ٱلْمُـدَامُ   وَعُمْـرٌ مِثْـلُ مَـا تَهَـبُ ٱللِّئَـامُ
وَدَهْـرٌ نَـاسُـهُ نَـاسٌ صِغَـارٌ   وَإِنْ كَـانَـتْ لَهُـمْ جُثَـثٌ ضِخَـامُ
وَمَـا أَنَـا مِنْهُـمُ بِـٱلْعَيْـشِ فِيهِـمْ   وَلَكِـنْ مَعْـدِنُ ٱلـذَّهَـبِ ٱلـرَّغَـامُ
أَرَانِـبُ غَيْـرَ أَنَّهُـمُ مُلُـوكٌ   مُفَتَّحَـةٌ عُيُـونُهُـمُ نِيَـامُ
بِـأَجْسَـامٍ يَحَـرُّ ٱلْقَتْـلُ فِيهَـا   وَمَـا أَقْـرَانُهَـا إِلاَّ ٱلطَّعَـامُ
وَخَيْـلٍ مَـا يَخِـرُّ لَهَـا طَعِيـنٌ   كَـأَنَّ قَنَـا فَـوَارِسِهَـا ثُمَـامُ
خَلِيلُـكَ أَنْـتَ لاَ مَـنْ قُلْـتَ خِلِّـي   وَإِنْ كَثُـرَ ٱلتَّجَمُّـلُ وَٱلْكَـلاَمُ

* * *

المتنبي :

لاَ ٱفْتِخَـارٌ إِلاَّ لِمَـنْ لاَ يُضَـامُ ... مُـدْرِكٍ أَوْ مُحَـارِبٍ لاَ يَنَـامُ
لَيْسَ عَزْماً مَا مَرَّضَ ٱلْمَرْءُ فِيهِ ... لَيْسَ هَمّاً مَا عَاقَ عَنْهُ ٱلظَّلاَمُ
وَٱحْتِمَـالُ ٱلأَذَىٰ وَرُؤْيَـةُ جَـانِيـهِ غِـذَاءٌ تَضْـوَىٰ بِـهِ ٱلأَجْسَـامُ
ذَلَّ مَـنْ يَغْبِـطُ ٱلـذَّلِيـلَ بِعَيْـشٍ ... رُبَّ عَيْـشٍ أَخَـفُّ مِنْـهُ ٱلْحِمَـامُ
كُـلُّ حِلـمٍ أَتَـىٰ بِغَيْـرِ ٱقْتِـدَارٍ ... حُجَّـةٌ لاَجِـىءٌ إِلَيْهَـا ٱللِّئَـامُ
مَـنْ يَهُـنْ يَسْهُـلِ ٱلْهَـوَانُ عَلَيْـهِ ... مَـا لِجُـرْحٍ بِمَيِّـتٍ إِيْـلاَمُ

* * *

المتنبي :

وَفَاؤُكُمَا كَٱلرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ ... بِأَنْ تُسْعِدَا وَٱلدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ
وَمَـا أَنَـا إِلاَّ عَـاشِـقٌ كُـلُّ عَـاشِـقٍ ... أَعَـقُّ خَلِيلَيْـهِ ٱلصَفِيَّيْـنِ لاَئِمُـهْ
وَقَـدْ يَتَـزَيَّـا بِـٱلْهَـوَىٰ غَيْـرُ أَهْلِـهِ ... وَيَسْتَصْحِبُ ٱلإِنْسَانُ مَنْ لاَ يُلاَئِمُهْ
بَلِيتُ بِلَى ٱلأَطْلاَلِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا ... وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي ٱلتُّرْبِ خَاتَمُهْ
كَئِيباً تَوَقَّانِي ٱلْعَوَاذِلُ فِي ٱلْهَوَى ... كَمَـا يَتَـوَقَّـىٰ رَيِّضَ ٱلْخَيْـلِ حَـازِمُـهْ
قِفِي تَغْرَمِ ٱلأُولَىٰ مِنَ ٱللَّحْظِ مُهْجَتِي ... بِثَـانِيَـةٍ وَٱلْمُتْلِـفُ ٱلشَّـيْءَ غَـارِمُـهْ
حَبِيـبٌ كَـأَنَّ ٱلْحُسْـنَ كَـانَ يُحِبُّـهُ ... فَآثَرَهُ أَوْ جَارَ فِي ٱلْحُسْنِ قَاسِمُهْ

* * *

أبو تمام :

بِثَـلاَثَـةٍ كَثَـلاَثَـةِ ٱلـرَّاحِ ٱسْتَـوَى ... لَـكَ لَـوْنُهَـا وَمَـذَاقُهَـا وَشَمِيمُهَـا
وَثَـلاَثَـةِ ٱلشَّجَـرِ ٱلْجَنِـيِّ تَكَـافَـأَتْ ... أَفْنَـانُهَـا وَثِمَـارُهَـا وَأَرُومُهَـا
وَثَـلاَثَـةِ ٱلـدَّلْـوِ ٱسْتُجِيـدَ لِمَـاتِـحٍ ... أَعْـوَادُهَـا وَرِشَـاؤُهَـا وَأَدِيمُهَـا

وَثَلاَثَةِ ٱلْقِدْرِ ٱللَّوَاتِي أَشْكَلَتْ   أَأَخَيْرُهَا ذُو ٱلْعِبْءِ أَمْ قَيْدُومُهَا
عَبْدُ ٱلْحَمِيدِ لَهَا وَلِلْفَضْلِ ٱلرُّبَا   فِيهَا وَمِثْلُ ٱلسَّيْفِ إِبْرَاهِيمُهَا

* * *

ابن القيم :

أَمَا وَٱلَّذِي شَقَّ ٱلْقُلُوبَ وَأَوْجَدَ ٱلْـ   ـمَحَبَّةَ فِيهَا حَيْثُ لاَ تَتَصَرَّمُ
وَحَمَّلَهَا جَهْدَ ٱلْمُحِبِّ وَإِنَّهُ   لَيَضْعُفُ عَنْ حَمْلِ ٱلْقَمِيصِ وَيَأْلَمُ
لأَنْتُمْ عَلَىٰ بُعْدِ ٱلدِّيَارِ وَقُرْبِهَا   أَحِبَّتَنَا إِنْ غِبْتُمُ أَوْ حَضَرْتُمُ
سَلُوا نَسَمَاتِ ٱلرِّيحِ كَمْ قَدْ تَحَمَّلَتْ   مَحَبَّةَ صَبٍّ شَوقُهُ لَيْسَ يُكْتَمُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا ٱشْتَدَ بِي ٱلشَّوْقُ وَٱلْجَوَى   وَكَادَتْ عُرَى ٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ تفَصَّمُ
أُعَلِّلُ نَفْسِي بِٱلتَّلاَقِي وَقُرْبِهِ   وَأُوهِمُهَا لَكِنَّهَا تَتَوَهَّمُ
أُسَائِلُ عَنْكُمْ كُلَّ غَادٍ وَرَائِحٍ   وَأُومِي إِلَىٰ أَوْطَانِكُمْ وَأُسَلِّمُ

* * *

حافظ إبراهيم :

إِنِّي أَرَىٰ وَفُؤَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي   رُوحاً يَحُفُّ بِهَا ٱلإِجْلاَلُ وَٱلْعِظَمُ
أَرَىٰ جَلاَلاً أَرَىٰ نُوراً أَرَىٰ مَلَكاً   أَرَىٰ مُحَيّاً يُحَيِّينَا وَيَبْتَسِمُ
أَللهُ أَكْبَرُ هَـٰذَا ٱلْوَجْهُ أَعْرِفُهُ   هَـٰذَا فَتَى ٱلنِّيلِ هَـٰذَا ٱلْمُفْرَدُ ٱلْعَلَمُ

* * *

البحتري :

وَمِنْ إِرْثِكُمْ أَعْطَتْ صَفِيَّةُ مُصْعَباً   جَمِيلَ ٱلأَسَىٰ لَمَّا ٱسْتُحِلَّتْ مَحَارِمُهْ
وَثُكْلُ ٱبْنِهِ مُوفٍ عَلَىٰ ثُكْلِ نَفْسِهِ   فَمَا كَانَ إِلاَّ صَبْرُهُ وَعَزَائِمُهْ
وَعُرْوَةُ إِذْ لاَ رِجْلُهُ ٱنْصَرَفَتْ بِهِ   وَقَدْ خَرِمَتْ عَنْهُ بَنِيهِ خَوَارِمُهْ

بَكَىٰ أَقْرَبُوهُ شَجْوَهُ وَهْوَ ضَاحِكٌ يُعَـزِّيهِـمُ حَتَّـىٰ تَحَيَّـرَ ذَائِمُـهُ

* * *

الشريف الرضي :

وَهَـٰذَا يَـزِيـدُ بْـنُ ٱلْمُهَلَّـبِ نَـافَـرَتْ بِـهِ ٱلـذُّلَّ أَعْـرَاقُ ٱلْجُـدُودِ ٱلأَكَـارِمِ

وَقَالَ وَقَدْ عَنَّ ٱلْفِرَارُ أَوِ ٱلرَّدَىٰ : لَحَى ٱللهُ أَخزَىٰ ذِكْرَةً فِي ٱلْمَوَاسِمِ

وَمَـا غَمَـرَاتُ ٱلْمَـوْتِ إِلاَّ ٱنْغِمَـاسَـةٌ وَلاَ ذِي ٱلْمَنَـايَـا غَيْـرُ تَهْـوِيـمِ نَـائِـمِ

رَأَىٰ أَنَّ ضَرْبَ ٱلسَّيْفِ أَهْوَنُ مَحْمَلاً مِنَ ٱلْعَارِ يَبْقَىٰ وَسْمُهُ فِي ٱلْمَخَاطِمِ

فَعَافَ ٱلدنَايَا وَٱمْتَطَى ٱلْمَوْتَ شَامِخاً بِمَـارِنِ عِـزٍّ لاَ يَـذِلُّ لِخَـاطِـمِ

* * *

ابن عنين :

وَلاَ بُـدَّ أَنْ أَسْعَـىٰ لأَشْـرَفِ رُتْبَـةٍ وَأَمْنَـعَ عَيْنِـي عَـنْ لَـذِيـذِ مَنَـامِـي

وَأَقْتَحِـمَ ٱلأَمْـرَ ٱلْجَسِيـمَ بِحَيْـثُ أَنْ أَرَى ٱلْمَـوْتَ خَلْفِـي تَـارَةً وَأَمَـامِـي

فَإِمَّا مَقَاماً يَضْرِبُ ٱلْمَجْدُ حَوْلَهُ سُـرَادِقَـهُ أَوْ بَـاكِيـاً لِحِمَـامِـي

فَـإِنْ أَنَـا لَـمْ أَبْلُـغْ مَقَـامـاً أَرُومُـهُ فَكَـمْ حَسَـرَاتٍ فِـي نُفُـوسِ كِـرَامِ

* * *

ربيعة الرقي :

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْيَزِيدَيْنِ فِي ٱلنَّدَى يَـزِيـدِ سُلَيْـمٍ وَٱلأَغَـرِّ ٱبْـنِ حَـاتِـمِ

فَهَـمُّ ٱلْفَتَـى ٱلأَزْدِيِّ تَفْـرِيـقُ مَـالِـهِ وَهَمُّ ٱلْفَتَى ٱلْقَيْسِيِّ جَمْعُ ٱلدَّرَاهِمِ

فَـلاَ يَحْسَـبِ ٱلتَمْتَـامُ أَنِّـي هَجَـوْتُـهُ وَلَكِنَّنِـي فَضَّلْـتُ أَهْـلَ ٱلْمَكَـارِمِ

* * *

ربيعة الرقي :

بَكَىٰ أَهْلُ مِصْرٍ بِٱلدُّمُوعِ ٱلسَّوَاجِمِ غَـدَاةَ غَـدَا مِنْهَـا ٱلأَغَـرُّ ٱبْـنُ حَـاتِـمِ
حَلَفْـتُ يَمِينـاً غَيْـرَ ذِي مَثْنَـوِيَّـةٍ يَمِيـنَ ٱمْـرِىءٍ آلَـىٰ بِهَـا غَيْـرِ آثِـمِ
لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلْيَزِيدَيْنِ فِي ٱلنَّدَى يَـزِيـدِ سُلَيـمٍ وَٱلأَغَـرِّ ٱبْـنِ حَـاتِـمِ
يَـزِيـدُ سُلَيـمٍ سَـالَـمَ ٱلْمَـالَ وَٱلْفَتَـى أَخُـو ٱلأَزْدِ لِـلأَمْـوَالِ غَيْـرُ مُسَـالِـمِ
فَـلاَ يَحْسَـبِ ٱلتَّمْتَـامُ أَنِّـي هَجَـوْتُـهُ وَلَكِنَّنِـي فَضَّلْـتُ أَهْـلَ ٱلْمَكَـارِمِ

* * *

حاتم الطائي :

أَمَـا وَٱلَّـذِي لاَ يَعْلَـمُ ٱلْغَيْـبَ غَيْـرُهُ وَيُحْيِي ٱلْعِظَامَ ٱلْبِيضَ وَهْيَ رَمِيمُ
لَقَدْ كُنْتُ أَطْوِي ٱلْبَطْنَ وَٱلزَّادُ يُشْتَهَى مَخَـافَـةَ يَـوْمـاً أَنْ يُقَـالَ لَئِيـمُ
وَمَا كَانَ بِي مَا كَانَ وَٱللَّيْلُ مُلْبِسٌ رِوَاقٌ لَـهُ فَـوْقَ ٱلإِكَـامِ بَهِيـمُ
أَلُفُّ بِحِلْسِي ٱلزَّادَ مِنْ دُونِ صُحْبَتِي وَقَـدْ آبَ نَجْـمٌ وَٱسْتَقَـلَّ نُجُـومُ

* * *

حسان بن ثابت :

أَعَيْنِ أَلاَ ٱبْكِي سَيِّدَ ٱلنَّاسِ وَٱسْفَحِي بِدَمْعٍ فَإِن أَنْزَفْتِهِ فَٱسْكُبِي ٱلدِّمَا
وَبَكِّـي عَظِيـمَ ٱلْمَشْعَـرَيْـنِ وَرَبَّهَـا عَلَى ٱلنَّاسِ مَعْرُوفٌ لَهُ مَا تَكَلَّمَا
فَلَوْ كَانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ ٱلْيَوْمَ وَاحِداً مِنَ ٱلنَّاسِ أَبْقَىٰ مَجْدُهُ ٱلْيَوْمَ مُطْعِمَا
أَجَرْتَ رَسُولَ ٱللهِ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا عِبَـادَكَ مَـا لَبَّـىٰ مُلَـبٍّ وَأَحْـرَمَـا
فَلَـوْ سُئِلَـتْ عَنْـهُ مَعَـدٌّ بِـأَسْـرِهَـا وَقَحْطَـانُ أَوْ بَـاقِـي بَقِيَّـةِ جُـرْهُـمَـا
لَقَـالُـوا هُـوَ ٱلْمُـوفِـي بِخُفْـرَةِ جَـارِهِ وَذِمَّتِـهِ يَـوْمـاً إِذَا مَـا تَـذَمَّـمَـا
فَمَا تَطْلُعُ ٱلشَّمْسُ ٱلْمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ عَلَـىٰ مِثْلِـهِ مِنْهُـمْ أَعَـزَّ وَأَكْـرَمَـا

إِبَـاءً إِذَا يَـأْبَـىٰ وَأَلْيَـنَ شِيمَـةً وَأَنْـوَمَ عَـنْ جَـارٍ إِذَا ٱللَّيْـلُ أَظْلَمَـا

* * *

النعمان بن نضلة :

فَمَـنْ مُبْلِـغُ ٱلْحَسْنَـاءِ أَنَّ حَلِيلَهَـا بِمَيْسَـانَ يُسْقَـىٰ فِـي زُجَـاجٍ وَحَنْتَـمِ
إِذَا شِئْـتُ غَنَّتْنِـي دَهَـاقِيـنُ قَـرْيَـةٍ وَصَنَّـاجَـةٌ تَجْـذُو عَلَـىٰ كُـلِّ مَنْسِـمِ
إِذَا كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِٱلأَكْبَرِ ٱسْقِنِي وَلاَ تَسْقِنِـي بِـٱلأَصْغَـرِ ٱلْمُتَثَلِّـمِ
لَعَـلَّ أَمِيـرَ ٱلْمُـؤْمِنِيـنَ يَسُـوءُهُ تَنَـادُمُنَـا فِـي ٱلْجَـوْسَـقِ ٱلْمُتَهَـدِّمِ

* * *

شاعر :

صِياماً إِلَىٰ أَنْ يُفْطِرَ ٱلسَّيْفُ بِٱلدَّمِ وَصَمْتاً إِلَىٰ أَنْ يَصْدَحَ ٱلْحَقُّ يَا فَمِي
أَفِطْرٌ وَأَحْرَارُ ٱلْحِمَىٰ فِي مَجَاعَةٍ ؟ وَعِيـدٌ وَأَبْطَـالُ ٱلْجِهَـادِ بِمَـأْتَـمِ ؟
أُكَـرِّمُ هَـٰذَا ٱلْعِيـدَ تَكْـرِيـمَ شَـاعِـرٍ يَتِيـهُ بِـآيَـاتِ ٱلنَّبِـيِّ ٱلْمُعَظَّـمِ
وَلَكِنَّنِـي أَصْبُـو إِلَـىٰ عِيـدِ أُمَّـةٍ مُحَـرَّرَةِ ٱلأَعْنَـاقِ مِـنْ رِقِّ أَعْجَمِـي
إِلَىٰ عَلَمٍ مِنْ نَسْجِ عِيسَىٰ وَأَحْمَدٍ وَآمِنَـةٍ فِـي ظِلِّـهِ أُخْـتُ مَـرْيَـمِ

* * *

المتنبي :

أَلْمَجْـدُ عُـوفِـيَ إِذْ عُـوفِيـتَ وَٱلْكَـرَمُ وَزَالَ عَنْـكَ إِلَـىٰ أَعْـدَائِـكَ ٱلأَلَـمُ
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ ٱلْغَارَاتُ وَٱبْتَهَجَتْ بِهَـا ٱلْمَكَـارِمُ وَٱنْهَلَّـتْ بِهَـا ٱلدِّيَـمُ
وَرَاجَـعَ ٱلشَّمْـسَ نُـورٌ كَـانَ فَـارَقَهَـا كَـأَنَّمَـا فَقْـدُهُ فِـي جِسْمِهَـا سَقَـمُ
وَمَـا أَخُصُّـكَ فِـي بُـرْءٍ بِتَهْنِئَـةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ ٱلنَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

* * *

المتنبي :

عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ ٱلْعَزْمِ تأْتِي ٱلْعَزائِمُ ... وَتـأْتِـي عَلَـىٰ قَـدْرِ ٱلْكِـرَامِ ٱلْمَكَـارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ ٱلصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ ٱلْعَظِيمِ ٱلْعَظَائِمُ
وَقَفْتَ وَمَا فِي ٱلْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ ... كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ ٱلرَّدَىٰ وَهْوَ نَائِمُ
تَمُـرُّ بِـكَ ٱلأَبْطَـالُ كَلْمَـىٰ هَـزِيمَـةً ... وَوَجْهُـكَ وَضَّـاحٌ وَثَغْـرُكَ بَـاسِـمُ
وَمَـنْ طَلَـبَ ٱلْفَتْـحَ ٱلْجَلِيـلَ فَـإِنَّمَـا ... مَفَاتِيحُهُ ٱلْبِيضُ ٱلْخِفَافُ ٱلصَّوَارِمُ

* * *

المتنبي :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَـدَّقَ مَـا يَعْتَـادُهُ مِـنْ تَـوَهُّـمِ
وَعَـادَىٰ مُحِبِّيـهِ بِقَـوْلِ عُـدَاتِـهِ ... وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ ٱلشَّكِّ مُظْلِمِ
أُصَادِقُ نَفْسَ ٱلْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ ... وَأَعْـرِفُهَـا فِـي فِعْلِـهِ وَٱلتَّكَلُّـمِ
وَأَحْلُـمُ عَـنْ خِلِّـي وَأَعْلَـمُ أَنَّـهُ ... مَتَىٰ أَجْزِهِ حِلْماً عَلَى ٱلْجَهْلِ يَنْدَمِ
وَإِنْ بَذَلَ ٱلإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ ... جَـزَيْـتُ بِجُـودِ ٱلتَّـارِكِ ٱلْمُتَبَسِّـمِ
وَمَـا كُـلُّ هَـاوٍ لِلْجَمِيـلِ بِفَـاعِـلٍ ... وَلاَ كُـلُّ فَعَّـالٍ لَـهُ بِمُتَمِّـمِ
فَأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي ٱلْوَرَىٰ وَجْهُ مُحْسِنٍ ... وَأَيْمَـنُ كَـفٍّ فِيهِـمُ كَـفُّ مُنْعِـمِ
وَأَشْـرَفُهُـمْ مَـنْ كَـانَ أَشْـرَفَ هِمَّـةً ... وَأَكْبَـرَ إِقْـدَامـاً عَلَـىٰ كُـلِّ مُعْظَـمِ
لِمَنْ تَطْلُبُ ٱلدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا ... سُـرُورَ مُحِـبٍّ أَوْ إِسَـاءَةَ مُجْـرِمِ

* * *

المتنبي :

وَلَمَّـا صَـارَ وُدُّ ٱلنَّـاسِ خِبّـاً ... جَـزَيْـتُ عَلَـى ٱبْتِسَـامٍ بِـٱبْتِسَـامِ
وَصِـرْتُ أَشُـكُّ فِيمَـنْ أَصْطَفِيـهِ ... لِعِلْمِـي أَنَّـهُ بَعْـضُ ٱلأَنَـامِ

وَآنَـفُ مِـنْ أَخِـي لِأَبِـي وَأُمِّـي إِذَا مَـا لَـمْ أَجِـدْهُ مِـنَ ٱلْكِـرَامِ
وَلَـمْ أَرَ فِـي عُيُـوبِ ٱلنَّـاسِ شَيْئـاً كَنَقْـصِ ٱلْقَـادِرِيـنَ عَلَـى ٱلتَّـمَـامِ
وَزَائِـرَتِـي كَـأَنَّ بِهَـا حَيَـاءً فَلَيْـسَ تَـزُورُ إِلاَّ فِـي ٱلظَّـلاَمِ
بَـذَلْـتُ لَهَـا ٱلْمَطَـارِفَ وَٱلْحَشَـايَـا فَعَـافَتْهَـا وَبَـاتَـتْ فِـي عِظَـامِـي
يَضِيـقُ ٱلْجِلْـدُ عَـنْ نَفْسِـي وَعَنْهَـا فَتُـوسِعُـهُ بِـأَنْـوَاعِ ٱلسِّقَـامِ
كَـأَنَّ ٱلصُّبْـحَ يَطْـرُدُهَـا فَتَجْـرِي مَـدَامِعُهَـا بِـأَرْبَعَـةٍ سِجَـامِ
أُرَاقِـبُ وَقْتَهَـا مِـنْ غَيْـرِ شَـوْقٍ مُـرَاقَبَـةَ ٱلْمَشُـوقِ ٱلْمُسْتَهَـامِ
وَيَصْـدُقُ وَعْـدُهَـا وَٱلصِّـدْقُ شَـرٌّ إِذَا أَلْقَـاكَ فِـي ٱلْكُـرَبِ ٱلْعِظَـامِ
أَبِنْـتَ ٱلـدَّهْـرِ عِنْـدِي كُـلُّ بِنْـتٍ فَكَيْـفَ وَصَلْـتِ أَنْـتِ مِـنَ ٱلـزِّحَـامِ

* * *

المتنبي :

مَنِ ٱقْتَضَىٰ بِسِوَى ٱلْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ أَجَابَ كُـلَّ سُـؤَالٍ عَـنْ هَـلٍ بِلَـمِ
تَـوَهَّـمَ ٱلْقَـوْمُ أَنَّ ٱلْعَجْـزَ قَـرَّبَنَـا وَفِي ٱلتَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى ٱلتُّهَمِ
وَلَـمْ تَـزَلْ قِلَّـةُ ٱلإِنْصَـافِ قَـاطِعَـةً بَيْنَ ٱلرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ
هَـوِّنْ عَلَـىٰ بَصَـرٍ مَـا شَـقَّ مَنْظَـرُهُ فَـإِنَّمَـا يَقَظَـاتُ ٱلْعَيْـنِ كَـٱلْحُلُـمِ
وَلاَ تَشَـكَّ إِلَـىٰ خَلْـقٍ فَتُشْمِتَـهُ شَكْوَى ٱلْجَرِيحِ إِلَى ٱلْغِرْبَانِ وَٱلرَّخَمِ
وَكُـنْ عَلَـىٰ حَـذَرٍ لِلنَّـاسِ تَسْتُـرُهُ وَلاَ يَغُـرُّكَ مِنْهُـمْ ثَغْـرُ مُبْتَسِـمِ
غَـاضَ ٱلْـوَفَـاءُ فَمَـا تَلْقَـاهُ فِـي عِـدَةٍ وَأَعْوَزَ ٱلصِّدْقُ فِي ٱلإِخْبَارِ وَٱلْقَسَمِ

* * *

المتنبي :

وَلَقَـدْ رَأَيْـتُ ٱلْحَـادِثَـاتِ فَـلاَ أَرَى يَقَقَـاً يُمِيـتُ وَلاَ سَـوَاداً يَعْصِـمُ

وَٱلْهَـمُّ يَخْتَـرِمُ ٱلْجَسِيـمَ نَحَـافَـةً ... وَيُشِيـبُ نَـاصِيَـةَ ٱلصَّبِـيِّ وَيُهْـرِمُ
ذُو ٱلْعَقْـلِ يَشْقَـىٰ فِـي ٱلنَّعِيـمِ بِعَقْلِـهِ ... وَأَخُـو ٱلْجَهَـالَـةِ فِـي ٱلشَّقَـاوَةِ يَنْعَـمُ
وَٱلنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا ٱلْحِفَاظَ فَمُطْلَقٌ ... يَنْسَـى ٱلَّـذِي يُـولِـي وَعَـافٍ يَنْـدَمُ
لاَ يَسْلَمُ ٱلشَّرَفُ ٱلرَّفِيعُ مِنَ ٱلأَذَى ... حَتَّـىٰ يُـرَاقَ عَلَـىٰ جَـوَانِبِـهِ ٱلـدَّمُ
أَلظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ ٱلنُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّـةٍ فَلِعِلَّـةٍ لاَ يَظْلِـمُ
وَمِـنَ ٱلْبَلِيَّـةِ عَـذْلُ مَـنْ لاَ يَـرْعَـوِي ... عَـنْ غَيِّـهِ وَخِطَـابُ مَـنْ لاَ يَفْهَـمُ

* * *

عائض القرني :

قِفْ فِي ٱلْحَيَاةِ تَرَ ٱلْجَمَالَ تَبَسَّمَا ... وَٱلطَّلَّ مِنْ ثَغْرِ ٱلْخَمَائِلِ قَدْ هَمَى
وَشَدَتْ مُطَوَّقَةُ ٱلْعَرُوسِ وَرَجَّعَتْ ... وَتَـرَعْـرَعَ ٱلْفَنَـنُ ٱلْجَمِيـلُ وَقَـدْ نَمَـا
وَسَـرَى ٱلنَّسِيـمُ يَهُـزُّ عِطْـفَ عَبِيـرِهِ ... وَٱلْمَاءُ فِي عَطْفِ ٱلْجَدَاوِلِ تَمْتَمَا
وَتَفَتَّـحَ ٱلأَزْهَـارُ وَٱعْتَنَـقَ ٱلنَّـدَى ... هَـدَرَ ٱلْغَـدِيـرِ وَكَـانَ قَبْـلُ مُلَثَّمَـا
وَٱلنَّبْـتُ قَـدْ شَـقَّ ٱلثَّـرَىٰ فَعُيُـونُـهُ ... تَاقَتْ إِلَىٰ ضَوْءٍ تَأَلَّقَ فِي ٱلسَّمَا
وَٱلشَّمْسُ أَرْسَلَتِ ٱلأَشِعَّةَ فِي ٱلْفَضَا ... بَـدَداً وَقَبَّلَـتِ ٱلْجَلِيـدَ فَهَمْهَمَـا
وَشَدتْ طُيُورُ ٱلأَيْكِ تُنْشِدُ فِي ٱلرُّبَا ... بَيْـتَ ٱلْقَصِيـدِ سَعَـادَةً وَتَـرَنُّمَـا
وَٱلنَّحْـلُ قَـدْ تَـرَكَ ٱلْخَلِيَّـةَ مُـولَعـاً ... بِرَحِيقِ زَهْرٍ ظَلَّ يَسْكُبُ فِي ٱللَّمَى
وَفَـرَاشَـةِ ٱلْبُسْتَـانِ أَلْقَـتْ نَفْسَهَـا ... فِـي سُنْـدُسٍ فَـوْقَ ٱلْبَطَـائِحِ وُسِّمَـا
وَبَكَى ٱلْغَمَامُ مِنَ ٱلْفِرَاقِ فَشَامِتٌ ... فِي ٱلأَرْضِ يَضْحَكُ تَرْحَةً وَتَلَوُّمَا

* * *

أبو البقاء الرندي :

لِكُـلِّ شَـيْءٍ إِذَا مَـا تَـمَّ نُقْصَـانُ ... فَـلاَ يُغَـرَّ بِطِيـبِ ٱلْعَيْـشِ إِنْسَـانُ

هِـيَ ٱلأُمُـورُ كَمَـا شَـاهَـدْتَهَـا دُوَلٌ مَـنْ سَـرَّهُ زَمَـنٌ سَـاءَتْـهُ أَزْمَـانُ
وَهَـٰـذِهِ ٱلـدَّارُ لاَ تُبْقِـي عَلَـىٰ أَحَـدٍ وَلاَ يَـدُومُ عَلَـىٰ حَـالٍ لَهَـا شَـانُ
يُمَـزِّقُ ٱلـدَّهْـرُ حَتْمـاً كُـلَّ سَـابِغَـةٍ إِذَا نَبَـتْ مَشْـرَفِيَّـاتٌ وَخِـرْصَـانُ
وَيَنْتَضِـي كُـلَّ سَيْـفٍ لِلْفَنَـاءِ وَلَـوْ كَـانَ ٱبْنَ ذِي يَـزَنٍ وَٱلْغِمْـدُ غُمْـدَانُ
أَيْنَ ٱلْمُلُوكُ ذَوُو ٱلتِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ ؟ وَأَيْـنَ مِنْهُـمْ أَكَـالِيـلٌ وَتِيجَـانُ ؟
وَأَيْـنَ مَـا شَـادَهُ شَـدَّادُ فِـي إِرَمٍ ؟ وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي ٱلْفُرْسِ سَاسَانُ ؟
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ ؟ وَأَيْـنَ عَـادٌ وَشَـدَّادٌ وَقَحْطَـانُ ؟
أَتَـىٰ عَلَـى ٱلْكُـلِّ أَمْـرٌ لاَ مَـرَدَّ لَـهُ حَتَّىٰ قَضَوْا ، فَكَأَنَّ ٱلْقَوْمَ مَا كَانُوا
لِمِثْلِ هَـٰذَا يَذُوبُ ٱلْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ إِنْ كَـانَ فِـي ٱلْقَلْـبِ إِسْـلاَمٌ وَإِيمَـانُ

* * *

ابن زيدون :

أَضْحَى ٱلتَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا وَنَـابَ عَـنْ طِيـبِ لُقْيَـانَـا تَجَـافِينَـا
بِنْتُـمْ وَبِنَّـا فَمَـا ٱبْتَلَّـتْ جَـوَانِحُنَـا شَـوْقـاً إِلَيْكُـمْ وَلاَ جَفَّـتْ مَـآقِينَـا
نَكَـادُ حِيـنَ تُنَـاجِيكُـمْ ضَمَـائِـرُنَـا يَقْضِـي عَلَيْنَـا ٱلأَسَـىٰ لَـوْلاَ تَـأَسِّينَـا
حَـالَـتْ لِفَقْـدِكُـمُ أَيَّـامُنَـا فَغَـدَتْ سُوداً ، وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضاً لَيَالِينَا
لِيُسْـقَ عَهْـدُكُـمُ عَهْـدُ ٱلسُّـرُورِ فَمَـا كُنْتُـمْ لأَرْوَاحِنَـا إِلاَّ رَيَـاحِينَـا
لاَ تَحْسَبُـوا نَـأْيَكُـمْ عَنَّـا يُغَيِّـرُنَـا إِذْ طَـالَمَـا غَيَّـرَ ٱلنَّـأْيُ ٱلْمُحِبِّينَـا!
وَٱللهِ مَـا طَلَبَـتْ أَهْـوَاؤُنَـا بَـدَلاً مِنْكُمْ وَلاَ ٱنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
إِنْ كَانَ قَدْ عَزَّ فِي ٱلدُّنْيَا ٱللِّقَاءُ بِكُمْ فِي مَوْقِفِ ٱلْحَشْرِ نَلْقَاكُمْ وَتَلْقَوْنَا
غِيْظَ ٱلْعِدَا مِنْ تَسَاقِينَا ٱلْهَوَىٰ فَدَعَوْا بِـأَنْ نَغَـصَّ فَقَـالَ ٱلـدَّهْـرُ : آمِينَـا

* * *

صفي الدين الحليّ :

سَلِي ٱلرِّمَاحَ ٱلْعَوَالِي عَنْ مَعَالِينَا ... وَٱسْتَشْهِدِي ٱلْبِيضَ هَلْ خَابَ ٱلرَّجَا فِينَا
لَمَّا سَعَيْنَا فَمَا رَقَّتْ عَزَائِمُنَا ... عَمَّا نَرُومُ وَلاَ خَابَتْ مَسَاعِينَا
قَوْمٌ إِذَا ٱسْتَخْصَمُوا كَانُوا فَرَاعِنَةً ... يَوْماً وَإِنْ حَكَمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
تَدَرَّعُوا ٱلْعَقْلَ جِلْبَاباً فَإِنْ حَمِيَتْ ... نَارُ ٱلْوَغَىٰ خِلْتَهُمْ فِيهَا مَجَانِينَا
إِذَا ٱدَّعَوْا جَاءَتِ ٱلدُّنْيَا مُصَدِّقَةً ... وَإِنْ دَعَوْا قَالَتِ ٱلأَيَّامُ : آمِينَا
إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلاَقُنَا شَرَفاً ... أَنْ نَبْتَدِي بِٱلأَذَىٰ مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا
بِيضٌ صَنَائِعُنَا سُودٌ وَقَائِعُنَا ... خُضْرٌ مَرَابِعُنَا حُمْرٌ مَوَاضِينَا
لاَ يَظْهَرُ ٱلْعَجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ مُنَىً ... وَلَوْ رَأَيْنَا ٱلْمَنَايَا فِي أَمَانِينَا

* * *

جرير :

إِنَّ ٱلْعُيُونَ ٱلَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلاَنَا
يَصْرَعْنَ ذَا ٱللُّبِّ حَتَّىٰ لاَ حَرَاكَ بِهِ ... وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ ٱللهِ أَرْكَانَا
يَا حَبَّذَا جَبَلُ ٱلرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ ... وَحَبَّذَا سَاكِنُ ٱلرَّيَّانِ مَنْ كَانَا
وَحَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ ... تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ ٱلرَّيَّانِ أَحْيَانَا
كَادَ ٱلْهَوَىٰ يَوْم سَلْمَانِينَ يَقْتُلُنِي ، ... وَكَادَ يَقْتُلُنِي يَوْماً بِبَيْدَانَا
لاَ بَارَكَ ٱللهُ فِي ٱلدُّنْيَا إِذَا ٱنْقَطَعَتْ ... أَسْبَابُ دُنْيَاكِ مِنْ أَسْبَابِ دُنْيَانَا

* * *

الأحوص الأنصاري :

مَا مِنْ مُصِيبَةِ نَكْبَةٍ أُمْنَىٰ بِهَا ... إِلاَّ تُعَظِّمُنِي وَتَرْفَعُ شَانِي
وَتَزُولُ حِينَ تَزُولُ عَنْ مُتَخَمِّطٍ ... تُخْشَىٰ بَوَادِرُهُ عَلَى ٱلأَقْرَانِ

إِنِّـي إِذَا خَفِـيَ ٱللِّئَـامُ رَأَيْتَنِـي   كَـٱلشَّمْـسِ لاَ تَخْفَـىٰ بِكُـلِّ مَكَـانِ
إِنِّـي عَلَـىٰ مَـا قَـدْ تَـرَوْنَ مُحَسَّـدٌ   أَنْمَـى عَلَـى ٱلْبَغْضَـاءِ وَٱلشَّنَـآنِ

❋ ❋ ❋

المعري :

عَلِّـلاَنِـي فَـإِنَّ بِيـضَ ٱلأَمَـانِـي   فَنِيَـتْ وَٱلظَّـلاَمُ لَيْـسَ بِفَـانِـي
إِنْ تنَـاسَيْتُمَـا وِدَادَ أُنَـاسٍ   فَٱجْعَلاَنِي مِنْ بَعْضِ مَنْ تَذْكُرَانِ
رُبَّ لَيْـلٍ كَـأَنَّـهُ ٱلصُّبْحُ فِـي ٱلْحُسْـ   ـنِ وَإِنْ كَـانَ أَسْـوَدَ ٱلطَّيْلَسَـانِ
وَعَلَـى ٱلـدَّهْـرِ مِـنْ دِمَـاءِ ٱلشَّهِيـدَيْـ   ـنِ عَلِـيٍّ وَنَجْلِـهِ شَـاهِـدَانِ
فَهُمَـا فِـي أَوَاخِـرِ ٱللَّيْـلِ فَجْـرَا   نِ وَفِـي أُولَيَـاتِـهِ شَفَقَـانِ
ثَبَتَـا فِـي قَمِيصِـهِ لِيَجِـيْءَ ٱلْـ   ـحَشْرَ مُسْتَعْدِيـاً إِلَـى ٱلـرَّحْمَـٰنِ
يَـا بْـنَ مُسْتَعْـرِضِ ٱلصُّفُـوفِ بِبَـدْرٍ   وَمُبِيـدِ ٱلْجُمُـوعِ مِـنْ غَطَفَـانِ
أَحَـدِ ٱلْخَمْسَـةِ ٱلَّـذِيـنَ هُـمُ ٱلأَغْـ   ـرَاضُ فِـي كُـلِّ مَنْطِـقٍ وَٱلْمَعَـانِـي
وَٱلشُّخُـوصِ ٱلَّتِـي خُلِقْـنَ ضِيَـاءً   قَبْـلَ خَلْـقِ ٱلْمِـرِّيـخِ وَٱلْمِيـزَانِ
وَبِهِـمْ فَضَّـلَ ٱلْمَلِيـكُ بَنِـي حَـوَّ   اءَ حَتَّـىٰ سَمَـوْا عَلَـى ٱلْحَيَـوَانِ

❋ ❋ ❋

المتنبي :

إِذَا قَـدِمْـتُ عَلَـى ٱلأَهْـوَالِ شَيَّعَنِـي   قَلْـبٌ إِذَا شِئْـتُ أَنْ يَسْلاَكُـمُ خَـانَـا
أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِٱلسُّوءِ يَذْكُرُنِي   وَلاَ أُعَـاتِبُـهُ صَفْحـاً وَإِهْـوَانَـا
وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي   إِنَّ ٱلنَّفِيـسَ غَـرِيـبٌ حَيْثُمَـا كَـانَـا
مُحَسَّدُ ٱلْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَىٰ أَثَرِي   أَلْقَـى ٱلْكَمِـيَّ وَيَلْقَـانِـي إِذَا حَـانَـا
لاَ أَشْرَئِبُّ إِلَىٰ مَا لَمْ يَفُتْ طَمَعاً   وَلاَ أَبِيـتُ عَلَـىٰ مَـا فَـاتَ حَسْـرَانَـا

وَلاَ أُسَرُّ بِمَا غَيْرِي ٱلْحَمِيدُ بِهِ وَلَوْ حَمَلْتَ إِلَيَّ ٱلدَّهْرَ مَلآنَا

* * *

أبو تمام :

مَا ٱلْيَوْمُ أَوَّلُ تَوْدِيعٍ وَلاَ ٱلثَّانِي أَلْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي
خَلِيفَةُ ٱلْخِضْرِ مَنْ يَرْبَعْ عَلَىٰ وَطَنٍ فِي بَلْدَةٍ فَظُهُورُ ٱلْعِيسِ أَوْطَانِي
دَعِ ٱلْفِرَاقَ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ سَاعَدَهُ فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْمَانِي
بِٱلشَّامِ أَهْلِي وَبَغْدَادُ ٱلْهَوَى وَأَنَا بِٱلرَّقَّتَيْنِ وَبِٱلْفُسْطَاطِ إِخْوَانِي
وَمَا أَظُنُّ ٱلنَّوَىٰ تَرْضَىٰ بِمَا صَنَعَتْ حَتَّىٰ تُطَوِّحَ بِي أَقْصَىٰ خُرَاسَانِ
أَفْنَيْتُ مِنْ بَعْدِهِ فَيْضَ ٱلدُّمُوعِ كَمَا أَفْنَيْتُ فِي هَجْرِهِ صَبْرِي وَسُلْوَانِي
وَلَيْسَ يَعْرِفُ كُنْهَ ٱلْوَصْلِ صَاحِبُهُ حَتَّىٰ يُغَادَىٰ بِنَأْيٍ أَوْ بِهِجْرَانِ

* * *

أبو بكر الشبلي :

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَرْعَىٰ خَوَاطِرِي وَآخَرَ يَرْعَىٰ نَاظِرِي وَلِسَانِي
فَمَا رَمَقَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَراً لِغَيْرِكَ إِلاَّ قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي
وَلاَ بَدَرَتْ مِنْ فِيَّ دُونَكَ لَفْظَةٌ بِغَيْرِكَ إِلاَّ قُلْتُ قَدْ سَمِعَانِي
إِذَا مَا تَسَلَّى ٱلْعَاذِرُونَ عَنِ ٱلْهَوَى بِشُرْبِ مُدَامٍ أَوْ سَمَاعِ قِيَانِ
وَجَدْتُ ٱلَّذِي يُسْلِي سِوَايَ يَشُوقُنِي إِلَىٰ قُرْبِكُمْ حَتَّىٰ أَمَلَّ مَكَانِي
وَلاَ خَطَرَتْ فِي ٱلسِّرِّ مِنِّيَ خَطْرَةٌ لِغَيْرِكَ إِلاَّ عَرَّجَا بِعِنَانِي
وَإِخْوَانِ صِدْقٍ قَدْ سَئِمْتُ حَدِيثَهُمْ وَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ نَاظِرِي وَلِسَانِي
وَمَا ٱلزُّهْدُ أَسْلَىٰ عَنْهُمُ غَيْرَ أَنَّنِي وَجَدْتُكَ مَشْهُودِي بِكُلِّ مَكَانِ

* * *

عروة بن حزام :

تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ وَلاَ لِلْجِبَالِ ٱلرَّاسِيَاتِ يَدَانِ
كَأَنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلَىٰ كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ ٱلْخَفَقَانِ
جَعَلْتُ لِعَرَّافِ ٱلْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَّافِ حَجْرٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي
فَقَالاَ : نَعَمْ نَشْفِي مِنَ ٱلدَّاءِ كُلِّهِ وَقَامَا مَعَ ٱلْعُوَّادِ يَبْتَدِرَانِ
فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقْيَةٍ يَعْلَمَانِهَا وَلاَ شُرْبَةٍ إِلاَّ وَقَدْ سَقَيَانِي
فَقَالاَ : شَفَاكَ ٱللهُ وَٱللهِ مَا لَنَا بِمَا ضُمِّنَتْ مِنْكَ ٱلضُّلُوعُ يَدَانِ

* * *

عبد الله الفيصل :

أَكَادُ أَشُكُّ فِي نَفْسِي لأَنِّي أَكَادُ أَشُكُّ فِيكَ وَأَنْتَ مِنِّي
يَقُولُ ٱلنَّاسُ إِنَّكَ خُنْتَ عَهْدِي وَلَمْ تَحْفَظْ هَوَايَ وَلَمْ تَصُنِّي
وَأَنْتَ مُنَايَ أَجْمَعُهَا مَشَتْ بِي إِلَيْكَ خُطَا ٱلشَّبَابِ ٱلْمُطْمَئِنِ
يُكَذِّبُ فِيكَ كُلُّ ٱلنَّاسِ قَلْبِي وَتَسْمَعُ فِيكَ كُلَّ ٱلنَّاسِ أُذْنِي
وَكَمْ طَافَتْ عَلَيَّ ظِلاَلُ شَكٍّ أَقَضَّتْ مَضْجَعِي وَٱسْتَعْبَدَتْنِي
كَأَنِّي طَافَ بِي رَكْبُ ٱللَّيَالِي يُحَدِّثُ عَنْكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَعَنِّي
عَلَىٰ أَنِّي أُغَالِطُ فِيكَ سَمْعِي وَتُبْصِرُ فِيكَ غَيْرَ ٱلشَّكِّ عَيْنِي
وَمَا أَنَا بِٱلْمُصَدِّقِ فِيكَ قَوْلاً وَلَكِنِّي شَقِيتُ بِحُسْنِ ظَنِّي
أَجِبْنِي إِذْ سَأَلْتُكَ : هَلْ صَحِيحٌ حَدِيثُ ٱلنَّاسِ خُنْتَ ؟ أَلَمْ تَخُنِّي ؟

* * *

مجنون ليلىٰ :

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَـٰنِ حِينَ رَآنِي

وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ ٱلْعَيْنِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَنَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ وَدَعَانِي
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيرَةٌ وَعَهْدِي بِذَاكَ ٱلصَّرْمِ مُنْذُ زَمَانِ
فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ ٱلَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ حَوَالَيْكَ فِي خِصْبٍ وَطِيبِ زَمَانِ
فَقَالَ : مَضَوْا وَٱسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَبْقَىٰ مَعَ ٱلْحَدَثَانِ
وَإِنِّي لأَبْكِي ٱلْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَداً فِرَاقَكِ وَٱلْحَيَّانِ مُؤْتَلِفَانِ

* * *

حافظ إبراهيم :

دَعَانِي رِفَاقِي وَٱلْقَوَافِي مَرِيضَةٌ وَقَدْ عَقَدَتْ هُوجُ ٱلْخُطُوبِ لِسَانِي
مَلِلْتُ وُقُوفِي بَيْنَكُمْ مُتَمَلْمِلاً عَلَىٰ رَاحِلٍ فَارَقْتُهُ فَشَجَانِي
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَقْطَعُ ٱلْحُزْنُ قِطْعَةً مِنَ ٱلْقَلْبِ إِنِّي قَدْ فَقَدْتُ جَنَانِي
تَفَرَّقَ أَصْحَابِي وَأَهْلِي وَأَخَّرَتْ يَدُ ٱلْمَوْتِ وَقْتِي فَٱنْتَظَرْتُ زَمَانِي
فَمَا لِي صَدِيقٌ إِنْ عَثَرْتُ أَقَالَنِي وَمَا لِي حَبِيبٌ إِنْ قَضَيْتُ بَكَانِي

* * *

المتنبي :

أَلرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ ٱلشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ ٱلْمَحَلُّ ٱلثَّانِي
فَإِذَا هُمَا ٱجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً بَلَغَتْ مِنَ ٱلْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ ٱلْفَتَىٰ أَقْرَانَهُ بِٱلرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ ٱلأَقْرَانِ
لَوْلَا ٱلْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَىٰ ضَيْغَمٍ أَدْنَىٰ إِلَىٰ شَرَفٍ مِنَ ٱلإِنْسَانِ

* * *

المثقب العبدي :

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقٍّ فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي مِنْ سَمِينِي

وَإِلاَّ فَـاْطَّـرِحْنِـي وَٱتَّخِـذْنِـي عَـــدُوّاً أَتَّقِيــكَ وَتَتَّقِينِــي
فَـإِنِّـي لَـوْ تُخَـالِفُنِـي شِمَـالِـي خِـلاَفَـكِ مَـا وَصَلْـتُ بِهَـا يَمِينِـي
إِذاً لَقَطَعْتُهَـــا وَلَقُلْــتُ : بِينِـي كَـذَلِـكَ أَجْتَـوِي مَـنْ يَجْتَـوِينِـي
وَمَـــا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْــتُ وَجْهــاً أُرِيـــدُ ٱلْخَيْــرَ أَيُّهُمَـــا يَلِينِــي
أَأَلْخَيْـــرُ ٱلَّـــذِي أَنَـــا أَبْتَغِيــهِ أَمِ ٱلشَّــرُّ ٱلَّــذِي هُــوَ يَبْتَغِينِــي
دَعِـي مَـاذَا عَلِمْــتُ سَـأَتَّقِيــهِ وَلَكِـــنْ بِـــاْلْمُغَيَّـــبِ نَبِّئِينِــي

* * *

المرقش الأكبر :

يَـا ذَاتَ أَجْـوَارِنَـا قُـومِـي فَحَيِّينَـا وَإِنْ سَقَيْـتِ كِـرَامَ ٱلنَّـاسِ فَـاْسْقِينَـا
وَإِنْ دَعَـوْتِ إِلَـىٰ جُلَّـىٰ وَمَكْـرُمَـةٍ يَـوْمـاً سَـرَاةَ خِيَـارِ ٱلنَّـاسِ فَـاْدْعِينَـا
شُعْـثٌ مَقَـادِمُنَـا نُهْبَـىٰ مَـرَاجِلُنَـا نَـأْسُـو بِـأَمْـوَالِنَـا آثَـارَ أَيْـدِينَـا
أَلْمُطْعِمُـونَ إِذَا هَبَّـتْ شَـآمِيَّـةٌ وَخَيْـرُ نَـادٍ رَآهُ ٱلنَّـاسُ نَـادِينَـا
إِنْ تَبْتَـدِرْ غَـايَـةٌ يَـوْمـاً لِمَكْـرُمَـةٍ تَلْـقَ ٱلسَّـوَابِـقَ مِنَّـا وَٱلْمُصَلِّينَـا
وَلَيْـسَ يَهْلِـكُ مِنَّـا سَيِّـدٌ أَبَـداً إِلاَّ ٱفْتَلَيْنَـا غُـلاَمـاً سَيِّـداً فِينَـا
إِنَّـا لَنُـرْخِـصُ يَـوْمَ ٱلـرَّوْعِ أَنْفُسَنَـا وَلَـوْ نُسَـامُ بِهَـا فِـي ٱلأَمْـنِ أُغْلِينَـا
إِنَّـا لَمِـنْ مَعْشَـرٍ أَفْنَـىٰ أَوَائِلَهُـمْ قِيلُ ٱلْكُمَاةِ : أَلاَ أَيْنَ ٱلْمُحَامُونَا
لَوْ كَانَ فِي ٱلأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدُعُوا : مَـنْ فَـارِسٌ ؟ خَـالَهُـمْ إِيَّـاهُ يَعْنُـونَـا
إِذَا ٱلْكُمَـــاةُ تَنَحَّـوْا أَنْ يُصِيبَهُـمُ حَـدُّ ٱلظُّبَـاةِ وَصَلْنَـاهَـا بِـأَيْـدِينَـا

* * *

أحمد شوقي :

بَنُـو أُمَيَّـةَ لِـلأَنْبَـاءِ مَـا فَتَحُـوا وَلِـلأَحَـادِيثِ مَـا سَـادُوا وَمَـا دَانُـوا

كَانُوا مُلُوكاً سَرِيرُ ٱلشَّرْقِ تَحْتَهُمُ فَهَلْ سَأَلْتَ سَرِيرَ ٱلْغَرْبِ مَا كَانُوا
عَالِينَ كَٱلشَّمْسِ فِي أَطْرَافِ دَوْلَتِهَا فِـي كُـلِّ نَـاحِيَـةٍ مُلْـكٌ وَسُلْطَـانُ
يَا وَيْحَ قَلْبِيَ مَهْمَا ٱنْتَابَ أَرْسُمَهُمْ سَـرَىٰ بِـهِ ٱلْهَـمُّ أَوْ عَـادَتْـهُ أَشْجَـانُ
بِٱلأَمْسِ قُمْتُ عَلَى ٱلزَّهْرَاءِ أَنْدُبُهُمْ وَٱلْيَـوْمَ دَمْعِـي عَلَـى ٱلْفَيْحَـاءِ هَتَّـانُ
فِي ٱلأَرْضِ مِنْهُمْ سَمَاوَاتٌ وَأَلْوِيَةٌ وَنَيِّـــرَاتٌ وَأَنْـــوَاءٌ وَعُقْبَـــانُ
مَعَادِنُ ٱلْعِزِّ قَدْ مَالَ ٱلرَّغَامُ بِهِمْ لَوْ هَانَ فِي تُرْبِهِ ٱلإِبْرِيزُ مَا هَانُوا
لَـوْلاَ دِمَشْـقُ لَمَـا كَـانَـتْ طُلَيْطِلَـةٌ وَلاَ زَهَـتْ بِبَنِـي ٱلْعَبَّـاسِ بَغْـدَانُ
مَرَرْتُ بِٱلْمَسْجِدِ ٱلْمَحْزُونِ أَسْأَلُهُ هَلْ فِي ٱلْمُصَلَّىٰ أَوِ ٱلْمِحْرَابِ مَرْوَانُ
تغَيَّرَ ٱلْمَسْجِدُ ٱلْمَحْزُونُ وَٱخْتَلَفَتْ عَلَـى ٱلْمَنَـابِـرِ أَحْـرَارٌ وَعِبْـدَانُ

* * *

المتنبي :

عَــدُوُّكَ مَــذْمُــومٌ بِكُــلِّ لِسَــانِ وَلَـوْ كَـانَ مِـنْ أَعْـدَائِـكَ ٱلْقَمَـرَانِ
وَللهِ سِــرٌّ فِــي عُــلاَكَ وَإِنَّمَــا كَـلاَمُ ٱلْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ ٱلْهَذَيَـانِ
أَتَلْتَمِـسُ ٱلأَعْـدَاءُ بَعْـدَ ٱلَّـذِي رَأَتْ قِيَــامَ دَلِيــلٍ أَوْ وُضُــوحَ بَيَــانِ
رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ ٱلْغَدْرَ يُبْتَلَى بِغَــدْرِ حَيَــاةٍ أَوْ بِغَــدْرِ زَمَــانِ
بِـرَغْـمِ شَبِيـبٍ فَـارَقَ ٱلسَّيْـفُ كَفَّـهُ وَكَـانَـا عَلَـى ٱلْعِـلاَّتِ يَصْطَحِبَـانِ
كَـأَنَّ رِقَـابَ ٱلنَّـاسِ قَـالَـتْ لِسَيْفِـهِ رَفِيقُــكَ قَيْسِــيٌّ وَأَنْــتَ يَمَــانِ
فَنَــالَ حَيَــاةً يَشْتَهِيهَــا عَــدُوُّهُ وَمَـوْتـاً يُشَهِّـي ٱلْمَـوْتَ كُـلَّ جَبَـانِ
وَقَـدْ قَتَـلَ ٱلأَقْـرَانَ حَتَّـىٰ قَتَلْتَـهُ بِـأَضْعَـفِ قِـرْنٍ فِـي أَذَلِّ مَكَـانِ
أَتَتْـهُ ٱلْمَنَـايَـا فِـي طَـرِيـقٍ خَفِيَّـةٍ عَلَـىٰ كُـلِّ سَمْـعٍ حَـوْلَـهُ وَعِيَـانِ
وَهَـلْ يَنْفَـعُ ٱلْجَيْـشُ ٱلْكَثِيـرُ ٱلْتِفَـافُـهُ عَلَـىٰ غَيْـرِ مَنْصُـورٍ وَغَيْـرِ مُعَـانِ

المتنبي :

بِـمَ ٱلتَّعَلُّـلُ لاَ أَهْـلٌ وَلاَ وَطَـنُ وَلاَ نَـدِيـمٌ وَلاَ كَـأْسٌ وَلاَ سَكَـنُ
أُرِيـدُ مِـنْ زَمَنِـي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِـي مَـا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِـنْ نَفْسِهِ ٱلـزَّمَـنُ
لاَ تَلْـقَ دَهْـرَكَ إِلاَّ غَيْـرَ مُكْتَـرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ ٱلْبَدَنُ
فَمَـا يَـدُومُ سُـرُورُ مَـا سُرِرتَ بِـهِ وَلاَ يَـرُدُّ عَلَيْـكَ ٱلْفَـائِـتَ ٱلْحَـزَنُ
مِمَّـا أَضَـرَّ بِـأَهْـلِ ٱلْعِشْـقِ أَنَّهُـمُ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا ٱلدُّنْيَا وَمَا فَطِنُوا
تَفْنَـىٰ عُيُـونُهُـمُ دَمْعـاً وَأَنْفُسُهُـمْ فِـي إِثْـرِ كُـلِّ قَبِيـحٍ وَجْهُـهُ حَسَـنُ
تَحَمَّلُـوا حَمَلَتْكُـمْ كُـلُّ نَـاجِيَـةٍ فَكُـلُّ بَيْـنٍ عَلَـيَّ ٱلْيَـوْمَ مُـؤْتَمَـنُ
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عِوَضٌ إِنْ مُـتُّ شَـوْقـاً وَلاَ فِيهَـا لَهَـا ثَمَـنُ
يَـا مَـنْ نُعِيتُ عَلَـىٰ بُعْـدٍ بِمَجْلِسِـهِ كُـلٌّ بِمَـا زَعَـمَ ٱلنَّـاعُـونَ مُـرْتَهَـنُ
كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عِنْدَكُمُ ثُـمَّ ٱنْتَفَضْـتُ فَـزَالَ ٱلْقَبْـرُ وَٱلْكَفَـنُ

* * *

المتنبي :

صَحِـبَ ٱلنَّـاسُ قَبْلَنَـا ذَا ٱلـزَّمَـانَـا وَعَنَـاهُـمْ مِـنْ شَـأْنِـهِ مَـا عَنَـانَـا
وَتَـوَلَّـوْا بِغُصَّـةٍ كُلُّهُـمْ مِنْـهُ وَإِنْ سَـرَّ بَعْضَهُـمْ أَحْيَـانَـا
رُبَّمَـا تُحْسِـنُ ٱلصَّنِيـعَ لَيَـالِيـهِ وَلَكِـنْ تُكَـدِّرُ ٱلإِحْسَـانَـا
كُلَّمَـا أَنْبَـتَ ٱلـزَّمَـانُ قَنَـاةً رَكَّـبَ ٱلْمَـرْءُ فِـي ٱلْقَنَـاةِ سِنَـانَـا
وَمُـرَادُ ٱلنُّفُـوسِ أَصْغَـرُ مِـنْ أَنْ نَتَعَـادَىٰ فِيـهِ وَأَنْ نَتَفَـانَـىٰ
غَيْـرَ أَنَّ ٱلْفَتَـىٰ يُـلاَقِـي ٱلْمَنَـايَـا كَـالِحَـاتٍ وَلاَ يُـلاَقِـي ٱلْهَـوَانَـا
وَلَـوَ اَنَّ ٱلْحَيَـاةَ تَبْقَـىٰ لِحَـيٍّ لَعَـدَدْنَـا أَضَلَّنَـا ٱلشُّجْعَـانَـا
وَإِذَا لَـمْ يَكُـنْ مِـنَ ٱلْمَـوْتِ بُـدٌّ فَمِـنَ ٱلْعَجْـزِ أَنْ تَكُـونَ جَبَـانَـا

كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلصَّعْبِ فِي ٱلأَنْـــــفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا

* * *

المتنبي :

مَغَانِي ٱلشِّعْبِ طِيباً فِي ٱلْمَغَانِي ... بِمَنْزِلَةِ ٱلرَّبِيعِ مِنَ ٱلزَّمَانِ
وَلَكِنَّ ٱلْفَتَى ٱلْعَرَبِيَّ فِيهَا ... غَرِيبُ ٱلْوَجْهِ وَٱلْيَدِ وَٱللِّسَانِ
مَلاَعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا ... سُلَيمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ
وَقَدْ يَتَقَارَبُ ٱلْوَصْفَانِ جِدّاً ... وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ
يَقُولُ بِشِعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي ... أَعَنْ هَذَا يُسَارُ إِلَى ٱلطِّعَانِ
أَبُوكُمْ آدَمٌ سَنَّ ٱلْمَعَاصِي ... وَعَلَّمَكُمْ مُفَارَقَةَ ٱلْجِنَانِ

* * *

عائض القرني :

يَا أَرْضَ بَالقَرْنِ مَا زِلْنَا مُحِبِّينَا ... لاَ ٱلْبُعْدُ يُنْسِي وَلاَ ٱلأَعْذَارُ تُثْنِينَا
فَسَائِلِي ٱلْغَيْمَ كَمْ أَسْقَىٰ مَعَاطِفَنَا ... وَنَاشِدِي ٱلْبَرْقَ كَمْ أَحْيَا مَغَانِينَا
لِي فِيكِ يَا دَوْحَةَ ٱلأَمْجَادِ مَلْحَمَةٌ ... مَحْفُورَةٌ فِي كِتَابٍ مِنْ لَيَالِينَا
يَوْمَ ٱلصِّبَا كَقَمِيصِ ٱلْخَزِّ أَلْبَسُهُ ... وَٱلرَّوْضُ أَخْضَرُ مَمْلُوءٌ رَيَاحِينَا
وَٱلرَّمْلُ لَوْحِي وَأَقْلاَمِي غُصُونُ نَدَا ... وَٱلرَّبْعُ يُمْطِرُهُ ٱلْقُمْرِي تَلاَحِينَا
يَا أَرْضَ بَالقَرْنِ لَوْ فَتَّشْتِ فِي خَلَدِي ... وَجَدْتِ فِيهِ أَخَادِيداً وَتَأْبِينَا
جُرْحٌ مِنَ ٱلْحبِّ يَا بَالقَرْنُ مَا ٱنْدَمَلَتْ ... أَطْرافُهُ بَاتَ يُقْصِينَا وَيُدْنِينَا
قَدْ زُرْتُ بَعْدَكِ يَا بَالقَرْنُ كُلَّ حِمَىً ... وَطِرْتُ فِي ٱلْجَوِّ حَتَّىٰ جِئْتُ بَرْلِينَا
فَمَا رَضِيتُ سِوَاكُمْ فِي ٱلْهَوَىٰ بَدَلاً ... لأَنَّنِي عَاشِقٌ دُنْيَاكِ وَٱلدِّينَا
رَأَيْتُ بَارِيسَ فِي جِلْبَابِ رَاهِبَةٍ ... شَمْطَاءَ قَدْ بَلَغَتْ فِي ٱلْعُمْرِ سَبْعِينَا

وَأَنْـتِ فِـي رَيْعَـانِ ٱلْعُمْـرِ زَاهِيَـةٌ   فِي مَيْعَةِ ٱلْحُسْنِ إِشْرَاقاً وَتَكْوِينَا

* * *

عائض القرني :

أَيْـــنَ ضَيَّعْـــتَ عُهُـــودَ ٱلْـــحُـــبِّ يَـــا مَـــنْ ضَـــاعَ عَنَّـــا ؟

لَيْـــتَ أَنَّـــا مَـــا كَتَبْنَـــا   بِـــدِمَـــاءِ ٱلْقَلْـــبِ مِنَّـــا

أَللَّيَـــالِـــي شَـــاهِـــدَاتٌ   بِـــاَلَّـــذِي نَـــالَ ٱلْمُعَنَّـــى

قَـــدْ عَفَـــوْنَـــا عَنْـــكَ سَبْعِيـــنَ مَـــلاَمـــاً فَـــٱعْـــفُ عَنَّـــا

أَنْـــتَ لاَ كُنْـــتَ إِذَا لَـــمْ   تَحْفَـــظِ ٱلْـــوُدَّ وَكُنَّـــا

كَـــمْ سَكَنْـــتَ ٱلْقَلْـــبَ مَحْفُـــوفـــاً بِحِفْـــظٍ وَسَكَنَّـــا

مُـــرْ بِمَـــا شِئْـــتَ تُطَـــعْ وَٱطْـــلُـــبْ تَجِـــدْ مَـــا تَتَمَنَّـــى

نَحْـــنُ نَـــأْتِيـــكَ ٱشْتِيَـــاقـــاً   وَٱتِّقَـــاءً أَنْ تُعَنَّـــى

خُـــذْ قَـــوَارِيـــرَ عُهُـــودٍ   مِـــنْ دِمَـــانَـــا وَتَحَنَّـــا

وَٱنْحَـــرَنْ أَنْفُسَنَـــا ثُـــمَّ   ٱعْـــفُ فَـــٱلتَّقْصِيـــرُ مِنَّـــا

أَأَنَـــا أَنْـــتَ؟ نَعَـــمْ، بَـــلْ   نَحْـــنُ صِـــرْنَـــا كَـــٱلْمُثَنَّـــى

أُهْجُـــرِ ٱلإِعْـــرَابَ وَٱلْحَـــنْ   إِنَّ (إِنَّـــا) مِثْـــلُ (أَنَّـــا)

* * *

عائض القرني :

سَلاَ ٱلْقَلْبُ مِنْ غِيدٍ صَفَتْ وَحِسَانِ   وَأَهْمَـلَ ٱلـذِّكْـرُ ٱلْمُنْحَنَىٰ وَعُمَـانِ

وَمَـا عَـادَ يُلْهِينِـي ٱلصَّبَـا بِـأَرِيجِـهِ   وَلَـوْ فَـاحَ بِـٱلـرَّيْحَـانِ وَٱلنَّفَـلاَنِ

شَرِبْنَا لَيَالِي ٱلصَّفْوِ فِي كَأْسِ غَفْلَةٍ   ثَـلاَثُـونَ عَـامـاً تُـوِّجَـتْ بِثَمَـانِ

فَمَـرَّتْ كَـأَحْـلاَمِ ٱلـرَّبِيـعِ سَـرِيعَـةً   فَـأَيَّـامُهَـا فِـي نَـاظِـرَيَّ ثَـوَانِ

فَلَوْ أَنَّنِي أَرْمِي بقَوْسٍ دفَعْتُهَا ... بِقُوَّةِ بَأْسٍ وَٱحْتِدَامِ جَنَانِ
وَلَكِنَّ قَوْسَ ٱلْعُمْرِ يُنْفِذُ أَسْهُماً ... وَمَا لِلْفَتَىٰ فِي رَدِّهِنَّ يَدَانِ
وَفِي أَرْبَعِينِ ٱلْعُمْرِ وَعْظٌ وَعِبْرَةٌ ... وَيَكْفِيكَ عِلْماً شَاهِدُ ٱلرَّجَفَانِ
فَلاَ تُسْمِعَنِّي وَعْظَ قُسٍّ وَلاَ تَسُقْ ... عَلَيَّ مَقَامَاتٍ مِنَ ٱلْهَمَدَانِي
فَعِنْدِي مِنَ ٱلأَيَّامِ أَبْلَغُ عِبْرَةٍ ... عَلَىٰ مِنْبَرٍ تُلْقَىٰ بِكُلِّ لِسَانِ
وَلَمَّا ٱتَّخَذْتُ ٱلْعِلْمَ خِدْناً وَصَاحِباً ... تَرَكْتُ ٱلْهَوَىٰ وَٱلْمَالَ يَنْتَحِبَانِ

* * *

عبد يغوث :

أَلاَ لاَ تَلُومَانِي كَفَى ٱللَّوْمَ مَا بِيَا ... فَمَا لَكُمَا فِي ٱللَّوْمِ نَفْعٌ وَلاَ لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ ٱلْمَلاَمَةَ نَفْعُهَا ... قَلِيلٌ وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا
فِيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا
وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لَمْ تَرَىٰ قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيَا
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ : ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا لِي لِسَانِيَا
أَحَقّاً عِبَادَ ٱللهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعاً ... نَشِيدَ ٱلرِّعَاءِ ٱلْمُعْزِبِينَ ٱلْمَتَالِيَا

* * *

قيس بن الملوح :

أَلاَ أَيُّهَا ٱلرَّكْبُ ٱلْيَمَانُونَ عَرِّجُوا ... عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَىٰ هَوَانَا يَمَانِيَا
أُسَائِلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا ... وَحُبِّبَ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا
أَلاَ يَا حَمَامَيْ بَطْنِ نَعْمَانَ هِجْتُمَا ... عَلَيَّ ٱلْهَوَىٰ لَمَّا تَغَنَّيْتُمَا لِيَا
وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسْطَ صَحْبِي ، وَلَمْ أَكُنْ ... أُبَالِي دُمُوعَ ٱلْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا
وَيَا أَيُّهَا ٱلْقُمْرِيَّتَانِ تَجَاوَبَا ... بِلَحْنَيْكُمَا ثُمَّ ٱسْجَعَا عَلِّلاَنِيَا

فَإِنْ أَنْتُمَا ٱسْتَطْرَبْتُمَا ، أَوْ أَرَدْتُمَا	لَحَاقاً بِأَطْلاَلِ ٱلْغَضَىٰ فَٱتْبَعَانِيَا
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي مَا لِلَيْلَىٰ وَمَا لِيَا	وَمَا لِلصِّبَا مِنْ بَعْدِ شَيْبٍ عَلاَنِيَا

* * *

مالك بن الريب :

تَقُولُ ٱبْنَتِي لَمَّا رَأَتْ طُولَ رِحْلَتِي :	سِفَارُكَ هَـٰذَا تَارِكِي لاَ أَبَا لِيَا
لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي	لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَيْ خُرَاسَانَ نَائِيَا
فَلِلّـٰهِ دَرِّي يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعاً	بَنِيَّ بِأَعْلَى ٱلرَّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ	سِوَى ٱلسَّيْفِ وَٱلرُّمْحِ ٱلرُّدَيْنِيِّ بَاكِيَا
وَأَشْقَرُ مَحْبُوكٍ يَجُرُّ لِجَامَهُ	إِلَى ٱلْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ ٱلْمَوْتُ سَاقِيَا
فَيَا صَاحِبَيْ رَحْلِي، دَنَا ٱلْمَوْتُ فَٱنْزِلاَ	بِرَابِيَةٍ ، إِنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا
خُذَانِي فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا	فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ صَعْباً قِيَادِيَا
يَقُولُونَ : لاَ تَبْعُدْ ، وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي ،	وَأَيْنَ مَكَانُ ٱلْبُعْدِ إِلاَّ مَكَانِيَا!
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ	كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالَوْا نَعِيَّكَ بَاكِيَا!
إِذَا مُتُّ فَٱعْتَادِي ٱلْقُبُورَ فَسَلِّمِي	عَلَى ٱلرَّمْسِ، أُسْقِيتِ ٱلسَّحَابَ ٱلْغَوَادِيَا

* * *

عبد الله بن معاوية :

وَعَيْنُ ٱلرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ	وَلَكِنَّ عَيْنَ ٱلسُّخْطِ تُبْدِي ٱلْمَسَاوِيَا
وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لاَ يَهَابُنِي	وَلَسْتُ أَرَىٰ لِلْمَرْءِ مَا لاَ يَرَىٰ لِيَا
فَإِنْ تَدْنُ مِنِّي تَدْنُ مِنْكَ مَوَدَّتِي	وَإِنْ تَنْأَ عَنِّي تَلْقَنِي عَنْكَ نَائِيَا
كِلاَنَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ	وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

* * *

ابن الفارض :

سَائِقَ ٱلأَظْعَانِ يَطْوِي ٱلْبِيدَ طَيْ ... مُنْعِماً عَرِّجْ عَلَىٰ كُثْبَانِ طَيْ

وَبِذَاتِ ٱلشِّيحِ عَنِّي إِنْ مَرَرْتَ ... بِحَيٍّ من عُرَيْبِ ٱلْجِزْعِ حَيْ

وَتَلَطَّفْ وَٱجْرِ ذِكْرِي عِنْدَهُمْ ... عَلَّهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا عَطْفاً إِلَيّ

كَانَ لِي قَلْبٌ بِجَرْعَاءِ ٱلْحِمَى ... ضَاعَ مِنِّي هَلْ لَهُ رَدٌّ عَلَيّ

فَٱعْهَدُوا بَطْحَاءَ وَادِي سَلَمٍ ... فَهْيَ مَا بَيْنَ كَدَاءٍ وَكُدَي

يَا سَقَى ٱللهُ عَقِيقاً بِٱللِّوَى ... وَرَعَىٰ ثَمَّ فَرِيقاً مِنْ لُؤَي

المتنبي :

كَفَىٰ بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى ٱلْموتَ شَافِيَا ... وَحَسْبُ ٱلْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

تَمَنَّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَرَى ... صَدِيقاً فَأَعْيَا أَوْ عَدُوّاً مُدَاجِيَا

إِذَا ٱلْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلاَصاً مِنَ ٱلأَذَى ... فَلاَ ٱلْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلاَ ٱلْمَالُ بَاقِيَا

وَلِلنَّفْسِ أَخْلاَقٌ تَدُلُّ عَلَى ٱلْفَتَى ... أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَىٰ أَمْ تَسَاخِيَا

أَقِلَّ ٱشْتِيَاقاً أَيُّهَا ٱلْقَلْبُ رُبَّمَا ... رَأَيْتُكَ تُصْفِي ٱلْوُدَّ مَنْ لَيْسَ جَازِيَا

خُلِقْتُ أَلُوفاً لَوْ رَحَلْتُ إِلَى ٱلصِّبَا ... لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ ٱلْقَلْبِ بَاكِيَا

وَلَكِن بِٱلْفُسْطَاطِ بَحْراً أَزَرْتُهُ ... حَيَاتِي وَنُصْحِي وَٱلْهَوَىٰ وَٱلْقَوَافِيَا

تَحَاشَ بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَانَتِ ٱلصَّفَا ... نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ ٱلْبُزَاةِ حَوَافِيَا

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ ... وَمَنْ قَصَدَ ٱلْبَحْرَ ٱسْتَقَلَّ ٱلسَّوَاقِيَا

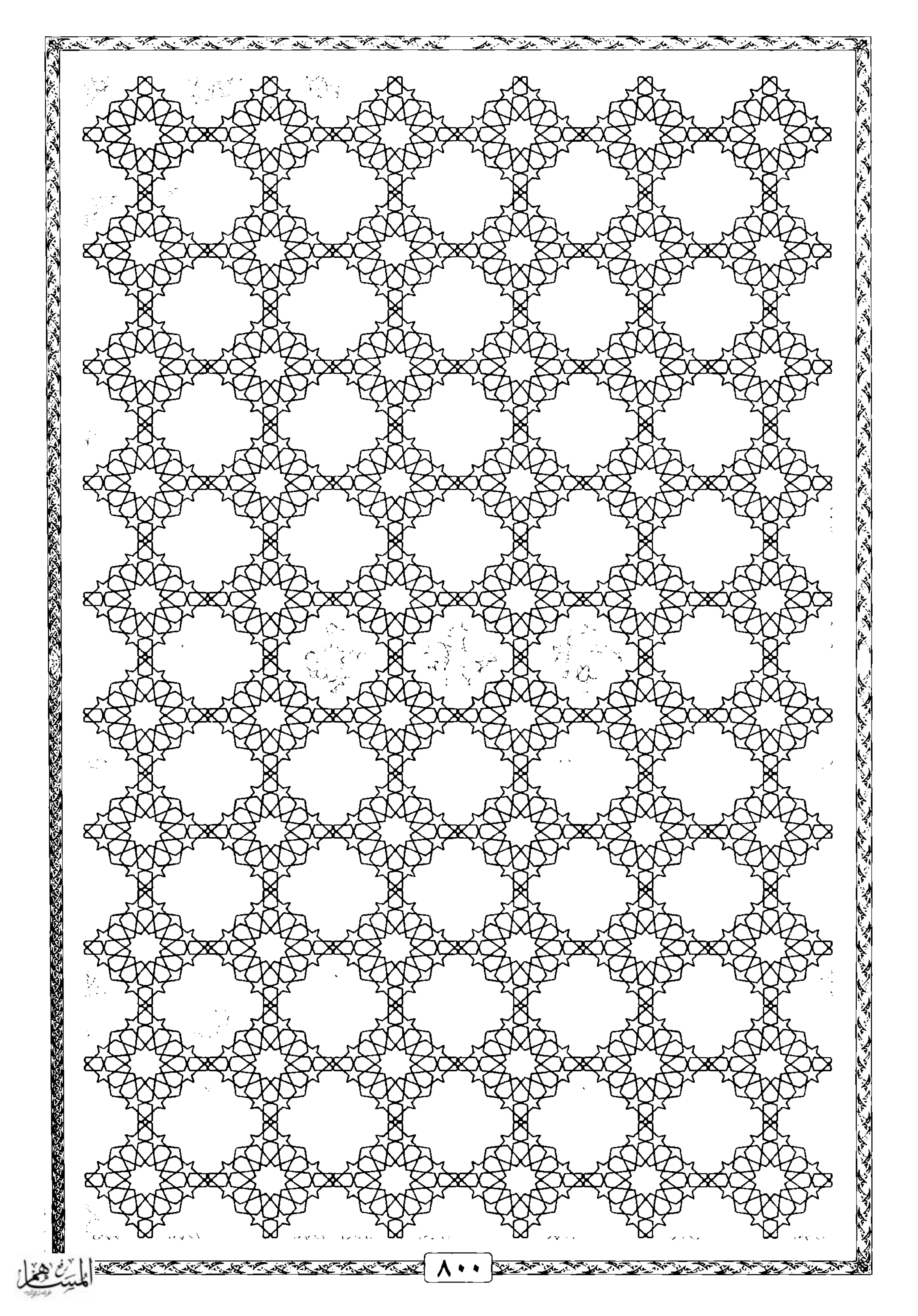
فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِهِ ... وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَمَآقِيَا

وَتَحْتَقِرُ ٱلدُّنْيَا ٱحْتِقَارَ مُجَرِّبٍ ... يَرَىٰ كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

* * *



الفهارس العامة



فهرس الأبيات

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
ما أصدق	الغضب	البسيط	٧	عبد الله البردوني	٧١١
يكون	فيطيب	الطويل	١	مجنون ليلى	٩٢ - ٣١٣
أقول	قارب	الطويل	٧	نصيب بن رباح	٧١٤
يقولون	قلوب	الطويل	١	مجنون ليلى	٩٢
أعز	كتاب	الطويل	١	المتنبي	٩٣ - ٤٣٢
يزور	الكواكب	الطويل	٣	المتنبي	٥١٨
كأن	كواكبه	الطويل	١	بشار بن برد	٧٢
فإنك	كوكب	الطويل	١	النابغة الذبياني	٤٤ - ٩٠
وإن امرأ	لقريب	الطويل	١	أبو العتاهية	٧٦
حلفت	مذهب	الطويل	١	النابغة الذبياني	٨٥ - ٥٣٥
إذا أنت	مشاربه	الطويل	١	بشار بن برد	٧٤
ولست	المهذب	الطويل	١	النابغة الذبياني	٨٩
ذهب	المهرب	الكامل	١	علي بن أبي طالب	٧٥
بكيت	النحيب	الوافر	٢	أبو العتاهية	٦٠
سقانا	نصيب	الطويل	١		٢٨
وحقك	يحبه	الطويل	٨	ابن أبي الحديد	١٥٢

بَ

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
سأغسل	جالبا	الطويل	٩	سعد بن ناشب	٥٢٠ - ٧١٥
إذا هم	جانبا	الطويل	١	سعد بن ناشب	٨٢
ارض	جانبا	مج الخفيف	٢	إبراهيم بن الأدهم	٣٩
أتيناكم	حبا	الوافر	٤		٥٧٥
سلام	حبا	الطويل	١٠	عائض القرني	٧١١

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
		بْ			
أنت يا	دب	الرمل	١		٥٩١
لا تعتبن	عاتب	مج الكامل	٧	سعيد بن حميد	٢٤٠
		تُ			
أرى	أتلفت	الطويل	٩	تميم بن جميل	٥٢٠ - ٧٢٤
بنو	الحبطات	الطويل	١	الفرزدق	١٧٨
نذير	شامت	المتقارب	٢		١١٩
أأقاتل	مولاته	الكامل	٦	عمران السدوسي	٧٢٢
		تَ			
ويقبح	تفتى	الوافر	١	الألبيري	٣٥
وخف	السبنتى	الوافر	٢	الألبيري	٣٢
الشاعرية	صنعتها	الكامل	١٠	الزبيري	٧٢٣
تفر	فررتا	الوافر	٢	الألبيري	٥٦٥
تفت	نحتا	الوافر	٨	الألبيري	٨٢ - ٧٢١
		تِ			
هنيئاً	استحلت	الطويل	١	كثير عزة	٩٣
صبرت	استمرت	الطويل	٥	عمرو بن معدي كرب	٢٣٩
وما كنت	تولت	الطويل	١	كثير عزة	٨١
سأشكر	جلت	الطويل	١	ابن الزبير الأسدي	٧١
فلولا	حسرات	الطويل	٤	دعبل الخزاعي	٢٣٧
رجعت	حياتي	الطويل	٢٣	حافظ إبراهيم	٣١٤
مدارس	العرصات	الطويل	٧	دعبل الخزاعي	٧٢١

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
أود	جنده	الطويل	١١	المتنبي	٧٣٥
جود	الجود	البسيط	١	المتنبي	٨٣ - ٤٣١ - ٦٨٦
واعذر	الحسد	البسيط	١	أبو تمام	٨٥
محسدون	حسدوا	البسيط	١	زهير بن أبي سلمى	٧٢
لو كان	خلدوا	البسيط	٥	زهير بن أبي سلمى	٧٢٩
أقلوا	سدوا	الطويل	١	الحطيئة	٩٣
يا ساكني	سفود	البسيط	٧	الحجي	٦٢ - ٧٢٨
أولئك	شدوا	الطويل	٣	الحطيئة	٧٣١
عودوا	شديد	المجتث	٤		٣٦٨
وإن التي	صدوا	الطويل	٨	الحطيئة	٥١٦
ضدان	الضد	السريع	١	دوقلة المنبجي	٧٤
أتت	العد	الطويل	٨	الحطيئة	٧٣٢
قلوا	عدد	البسيط	٣	أبو تمام	٥١٩
اليوم	غد	الكامل	١	المتنبي	٣٦٨
بذا قضت	فوائد	الطويل	١	المتنبي	٩٣ - ٤٣١
لو كان	قعدوا	البسيط	١	زهير بن أبي سلمى	٤٧ - ٨٨
ألا إن	لجمود	الطويل	١	أبو عطاء السندي	٩٣
وبيوم	محمد	الكامل	١	حسان بن ثابت	٥٧٣
الخير	مزداد	البسيط	٢	أبو العتاهية	٣٨
وفي كل	واحد	المتقارب	١	أبو العتاهية	٧٩
قوم	ولدوا	البسيط	٢	زهير بن أبي سلمى	٥٧٦
غير	ينفد	الكامل	٩	علي بن الجهم	٢٣٧ - ٧٣٠

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
بلى	مصادر	الطويل	٣	علي بن الحسين	١١٨
ولم أر	المظفر	الطويل	٢		٥٩٠
أحاطت	المعاذر	الطويل	٣	علي بن الحسين	١١٨
فأضحوا	مقاصر	الطويل	٤	علي بن الحسين	١١٧
وأنت	مكاثر	الطويل	٣	علي بن الحسين	١١٧
وأنت	المناظر	الطويل	٢		٥٧
قل لزهير	مهذار	المنسرح	٣	أبو نواس	٣٠٥
أيها الشامت	الموفور	الخفيف	٨	عدي بن زيد	٧٣٩
دعاني	النثر	الطويل	١	المتنبي	١٥١
ألا لا	نحاذر	الطويل	٣	علي بن الحسين	١١٨
بغاث	نزور	الوافر	١	العباس بن مرداس	٧٨
لقد مات	النصر	الطويل	٣	أبو تمام	٥٦٨
إن يأخذ	نور	البسيط	١	حسان بن ثابت	٥٦
لعمرك	يحذر	الطويل	٢	محمود الوراق	٢٣٨
لولا الحياء	يزار	الكامل	١	جرير	٧٥
نطير	يسير	الوافر	١		٥٦١
لا تعجلن	يضره	مج الكامل	٣	عبد الله بن معاوية	٢٣٧
أحبك	يفسر	الطويل	١		٨٦
زمانك	ينقر	الطويل	١١	نزار قباني	٧٤٥

رَ

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
سقيناهم	أصبرا	الطويل	١	النابغة الجعدي	٥٥٩
بكى	بقيصرا	الطويل	٥	امرؤ القيس	٧٤٠

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
			رْ		
صل	أبتر	الخفيف	٤	أبو إسحاق الصابىء	٧٤٢
مع الله	انهمر	المتقارب	٩		١٥٥
خذوا	البشر	الرجز	١		٥٩٦
مع الله	البصر	المتقارب	٨		١٥٣
فما أطال	السهر	السريع	١	أحمد رامي	٨٤ - ٥٩٥
وحين	القبور	المتقارب	٤		١٥٣
إذا الشعب	القدر	المتقارب	٧	أبو القاسم الشابي	٧٣٩
أتيت	المحتقر	المتقارب	١	مالك بن دينار	٦٨١
تمنى	مضر	الطويل	٦	لبيد بن ربيعة	٧٤٣
خالق	يهر	الرمل	٢	بعض بني طيء	٢٥٠
			زِ		
ملك	بزاز	الخفيف	١	المتنبي	٤٢٧
وكلامها	المتحرز	الكامل	٢	ابن الرومي	٦٥٧
			سُ		
تبني	تختلس	البسيط	١٣		٣٥٨
			سَ		
طب	أنساً	مج الرمل	٢	ابن أبي حازم	٢٧
عسى	بعسى	مج الوافر	٣	العكوك	٢٣٨
الكلب	الخساسه	مج الكامل	٢	منصور الفقيه	٣٨
أنت مني	الغموسا	الخفيف	٢		٥٩٨
نسيت	النفسا	البسيط	١		٥٦٥

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
ويقبح	ذاكا	الوافر	٢	أبو بكر الشبلي	٨٧ - ٥٦٧
أروح	سواكا	الوافر	٦	المتنبي	٧٥٧

كِ

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
قفي	جمالك	الطويل	١١	ابن الدمينة	٥٢٥ - ٧٦٥
يا جارة	ذكراك	الكامل	١	أحمد شوقي	٧٣
لقد لامني	السوافك	الطويل	٤	متمم بن نويرة	٥٢٩
فقال	فالدكادك	الطويل	٢	متمم بن نويرة	٦١
كأن	قتلاك	البسيط	١	الشريف الرضي	٦٥ - ٨٧
يا ظبية	مرعاك	البسيط	٨	الشريف الرضي	٧٩ - ٧٥٦

كْ

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
ما أقبح	أجملك	مج الكامل	١	الصاحب شرف الدين	٨٢
هبت	بريحك	مج الرمل	٢	عبد الله بن المبارك	٦١
كلما	جلالك	الخفيف	٥		١٥٣
لا هم	رحالك	مج الكامل	٢	عبد المطلب بن هاشم	٦١٩
دعنا	المعترك	الكامل	١		٥٨٣

لُ

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
هم القوم	أجزلوا	الطويل	٢	مروان بن أبي حفصة	٨٣ - ٥٩٣
إنا لفي	إجمال	البسيط	١	المتنبي	٩٠
بنو	أشبل	الطويل	٥	مروان بن أبي حفصة	٥٢٨ - ٧٦٦
ذكر	أشغال	البسيط	١	المتنبي	٧٩ - ٦٩٢
تعوَّد	أنامله	الطويل	١	أبو تمام	٨٥
فيا دارها	أهوال	الكامل	٦	المعري	٧٦٣

لْ

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
أرانب	نيام	الوافر	١	المتنبي	٤٢٧
ومن العداوة	يؤلم	الكامل	١	المتنبي	٨٤
أنام	يختصم	البسيط	١	المتنبي	٤٣١
فقسا	يرحم	الكامل	١	أبو تمام	٥٣٣
قيامي	يستقيم	الوافر	١		٦٥٠
يجل	يسلم	الطويل	٢	المتنبي	١٥٠
ولقد رأيت	يعصم	الكامل	٧	المتنبي	٧٨٣
لا افتخار	ينام	الخفيف	٦	المتنبي	٧٧٧
ذو العقل	ينعم	الكامل	١	المتنبي	٤٢٨ - ٦٤٧

مَ

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
يقولون	أحجما	الطويل	٨	علي الجرجاني	٧٧١
أأشقى	أحزما	الطويل	٢	علي الجرجاني	٥٦٦
نجد	ارتمى	الرجز	٢	عائض القرني	٦٤
ألست	أنجما	الطويل	٢	البحتري	٥٣٥
ألجم	بالجمجمة	السريع	١		٦٤٦
وما هاج	ترنما	الطويل	٨	حميد بن ثور	٥٣٠
إلام	تصرما	الطويل	٢	ابن حيوس	٤١٤
ألا لا	حلما	الطويل	١	المتنبي	٨٢
إذا ما	الدما	المتقارب	١	بشار بن برد	٤٦
أعين	الدما	الطويل	٨	حسان بن ثابت	٧٨٠
فلسنا	الدما	الطويل	١	الحصين بن حمام	٩٠
وليس	الدما	الطويل	١	الحصين بن حمام	٦٤

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
ومن لم	بمنسم	الطويل	٧	زهير بن أبي سلمى	٧٧٣
ظنوا	تحم	البسيط	٢	البوصيري	٦١٠
فازور	تحمحم	الكامل	١	عنترة	٤٥
ومهما	تعلم	الطويل	١	زهير بن أبي سلمى	٧٧
هلا	تعلمي	الكامل	١	عنترة	٧٣
أصادق	التكلم	الطويل	١	المتنبي	٤٢٥
ولم أر	التمام	الوافر	١	المتنبي	٤٢٩
إذا ساء	توهم	الطويل	٩	المتنبي	٩١ - ٤٣٠ - ٥٢٧ - ٧٨٢
بكى	حاتم	الطويل	٥	ربيعة الرقي	٧٨٠
لشتان	حاتم	الطويل	٦	ربيعة الرقي	٨١ - ٥٢٨ - ٥٦٣ - ٧٧٩
نحن الحنيفيون	حاتم	الرجز	١		٢٤ - ٣٩٣
إذا بلغ	حازم	الطويل	٣	بشار بن برد	٥١٥
تعدو	الحامي	البسيط	١	النابغة الذبياني	٧٨
فمن	حنتم	الطويل	٤	النعمان بن نضلة	٧٨١
لسان	الدم	الطويل	١	عبد الله بن معاوية	٧٦
ولم تزل	رحم	البسيط	١	المتنبي	٤٢٦
قد تنكر	سقم	البسيط	١	البوصيري	٤٣
لا تلمني	صمم	الرمل	١		٥٥٩
بسيف	ظالم	الطويل	٢	جرير	٥٨٤
وزائرتي	الظلام	الوافر	١	المتنبي	٤٢٨
تحدث	عارم	الطويل	٣	كثير عزة	٢٣٦
فطعم	عظيم	الوافر	١	المتنبي	٧٤

نِ

أول البيت	القافية	البحر	العدد	الشاعر	رقم الصحيفة
كأن	الخفقان	الطويل	١	عروة بن حزام	٩١
وأجهشت	رآني	الطويل	٧	مجنون ليلى	٥٢١ - ٧٨٩
مغاني	الزمان	الوافر	٦	المتنبي	٧٩٤
مجدٌ	الزمن	البسيط	١		٦٦
فإما	سميني	الوافر	٧	المثقب العبدي	٧٩٠
ما من	شاني	الكامل	٤	الأحوص	٧٨٦
ألا إن	شفياني	الطويل	٩	ابن الزيات	٥٢٢
لو كنت	شيبان	البسيط	١	رجل من بلعنبر	٨٠
سلا	عمان	الطويل	١٠	عائض القرني	٧٩٥
لا تسل	عني	الرمل	١		٥٥٨
قالوا	العين	البسيط	٢	منصور الفقيه	٥٨ - ٢٨٦
يا قرة	عيني	البسيط	١		٨٣
عدوك	القمران	الطويل	١٠	المتنبي	٧٩٢
دعاني	لساني	الطويل	٥	حافظ إبراهيم	٧٩٠
كأن	لساني	الطويل	٨	أبو بكر الشبلي	٧٨٨
وقد كملت	للحدثان	الطويل	١	تميم الفاطمي	٩٢
تقول	للعين	البسيط	١		٥٧
أكاد	مني	الوافر	٩	عبد الله الفيصل	٧٨٩
إذا نحن	نثني	الطويل	١	أبو نواس	١٥٠
ولله	الهذيان	الطويل	١	المتنبي	٤٣١
سألتك	هواني	الطويل	٣٤		١٤٥
تحملت	يدان	الطويل	٦	عروة بن حزام	٧٨٩

❊ ❊ ❊

فهرس أنصاف الأبيات

مُحتوى الكتاب



الدكتور عائض القرني

الأسطورة

كتاب انتقيته من أحسن ما كتبت ، واصطفيته من أجمل ما جمعت ، فكأنه واسطة العقد ، وبيت القصيد ، والغرة في وجه الفرس ، والتاج على رأس الملك .

فكنت أبحث في مئات الصفحات لأختار صفحة واحدة ، وأفتش عشرات المقالات لأصطفي مقالة واحدة .

وحرصت أن أجمع في « الأسطورة » بين أصالة المعنى ، وجمال المبنى ؛ بحيث تكون الفكرة رائدة ، واللفظ حسناً جذاباً.

ولأن من النفوس ما لا يرضيها إلا الأجمل والأكمل .. فحرصت على طلب العزيز الغالي ، والنفيس الراقي ؛ من المعاني السديدة ، والجمل الأخاذة ، والعبارات الباهرة .

في هذا الكتاب حديث مطلق ، وكلام مسجوع ، وتنقلات من فن إلى فن ، ومن قضية لأخرى ، وكأنك في زورق إبداع .

فاقبل ـ رحمك الله ـ ما جادت به الذاكرة ، وسال به القلم على طبق من حب .

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 40 - 2

